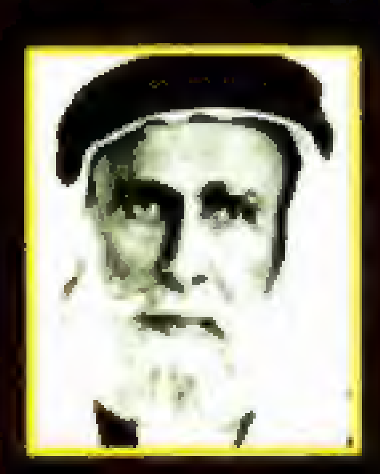
الإيجاز في تاريخ

البصرة والأحساء ونجد والحجاز







جمع وإعداد وتأليف

عارف مرخي الفتح





الايجاز في تاريخ البصرة والاحساء ونجد والحجاز


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز

١-١٣٨٥هـ/ ٦٢٢-١٩٦٥م



جمع وإعداد وتأليف
عارف مرضي الفتح

المجلد الأول

الدار العربية للموسوعات

© المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
مكتبة الكويت الوطنية
الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز
عارف مرضي ضاوي الفتح ط ـ ١ ـ
الكويت : المؤلف ٢٠٠٩
١٢٢٠ ص: خرائط، صور ٢٠×٢٧ سم
ردمك: ١-٢-٦٨٤-٩٩٩٠٦-٩٧٨
١ - العراق تاريخ ٢ - نجد تاريخ ٣ - الحجاز تاريخ
رقم الإيداع: ٢٠٠٩٢٥٥
ردمك: ١-٢-٦٨٤-٩٩٩٠٦-٩٧٨

الطبعة الأولى
٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ

طباعة وتنفيذ
الدار العربية للموسوعات
الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط1 - بيروت - لبنان
ص.ب: 511 الحازمية - هاتف: 00961 5 952594 - فاكس: 00961 5 459982
هاتف نقال: 00961 3 388363 - 00961 3 525066 - بيروت - لبنان
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

[سورة آل عمران آية، ١٤٠]

وقال الله تعالى:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[سورة آل عمران آية، ٢٦]



الإهداء

أهدي كتابي هذا إلى

صاحب السمو الوالد القائد

الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت المفدى

حفظه الله ورعاه



تقديم

أ. د. محمد عيسى صالحية

كان بودِّي أن تكون هذه المقدمة خاتمة للكتاب وعند صفحاته الأخيرة، يقرؤها القارئ مع آخر أوراق الكتاب، وتكون حواراً مع قارئ ينتقد الكتاب وله رأي فيه، وأترك لآخر الأخذ برأي أو لمحاور ولمجادل.. في بعض ما أثار الكتاب من مشكل لمساً ونبشاً لخفيٍّ عميق أو جمعاً لِمُتلهٍ أحْوَى.

ما كنت أرغب أن أكون قرصان هذا الكتاب، فأقطع الطريق على الرأي الخاص لقارئ، ولا أقوم بتلوين الشاشة على مناظرين، وما لي والمدح والثناء حيث يجب أن أضع الصمت العميق.

منذ سنوات والأخ عارف يتردد عليَّ سائلاً عن مصدر أو مرجع ومخطوط ومكان حفظه وفي أية مكتبات يقتنى، وأعجب من استعداده وهمته للسفر والبحث وإحضار مبتغاه، وكثيراً ما كنت أكسِّر رحاله إشفاقاً وتوفيراً، فلقد هام في التاريخ، وعشق القراءة في مظانه، وما أظنه إلا قد زهد بكل ما عداه.

الموضوع الذي شغل بال عارف، وملك عليه زمانه، ليله ونهاره: «تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز» وهي منطقة واسعة ومساحات شاسعة أحداثها تترى وأزماتها مستمرة أبداً، شهدت تبدل الدول وتعاقبت عليها القيادات، قبائلها في حركة دائمة ما بين غزو وبناء وهدم وإعمار، تنافست عليها القوى الأجنبية ما بين غازية وطامعة وطامحة ومستعمرة وفارضة للحماية ورجال مضوا وآخرون بنوا، وغيرهم تشاحنوا تباغضوا، تحاربوا، تجافوا.

المنطقة في حراك عسكري وسياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي.

والأنكى من ذلك أن عارفاً تصدى لحقبة زمانية يعجز الفرد الإمساك بزمامها ويعسر على فريق من الباحثين الجادِّين رصد أحداثها. من القرن الأول الهجري حتى القرن الخامس عشر الهجري، تاريخ المنطقة منذ دخول الإسلام إليها حتى تَكَوُّن الدول الحديثة المستقلة. وهو أمر دونه خَرط القتاد، والمهمّ بعد سنوات طويلة من عمله، أرسل إليَّ مخطوط الكتاب، وبدوري أحلته لصديق لغويّ لينظر فيه، ثم ألقيت نظرة على الكتاب لمدة شهر تقريباً، واستقرّ عندي.

هذا الكتاب ليس تاريخاً، وإنما هو سجل لأحداث تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز. وتضمن السجل أهم الأحداث التي مرّت في هذه الفترة من سياسية واجتماعية وعمرانية وسكانية وعسكرية، وليمثل هذا السجل خطًا بيانيًا يساعد على فهم واستيعاب تاريخ المنطقة وبالتالي التأمل

بأحداثها ونتائجها، فالباحث عرض لمعظم الروايات التي وردت في التواريخ المعاصرة للحدث، وقدّم الرواية بدقة مقبولة اقتباساً أو تلخيصاً أو مقارنة مع غيره من الروايات المماثلة، وفي كثير من الأحيان يعلّق على متن الخبر، وقد يعرف بشخوص الرواية أو الأماكن الجغرافية نقداً وتصويباً وتصحيحاً وتعديلاً، ولذا فقد استخدم الباحث مئات المصادر والمراجع والوثائق والمخطوطات، وما همّ الباحث انتماء صاحب الأصل أو عرقيته وجنسه، بل تعامل مع كافة المصادر بحيادية وأثبت رأي الكاتب دون تدخل فيه، إلّا في تعليقات وتعريفات أوردها في الهامش، ولذا فإن الكتاب يُعدُّ مفيداً لكلّ باحث في تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز، فقد يغنيك عن النظر والعودة إلى مئات المصادر والمراجع لتوثيق خبر أو إدراك معلومة. ومفيد لمن يرغب في معرفة تاريخ المنطقة أيضاً، وعلاوة على ذلك، فقد أضفى الباحث على الكتاب مسحة أدبية، وزيّنهُ سلاعةٍ بديعة، وذلك من خلال الاستشهاد بالعديد من القصائد والأبيات الشعرية والأقوال الحكمية وإثبته في متون الروايات، مما يريح النفس ويبهج الخاطر

إن الجهد المبذول في الكتاب جهد يُعْتَرفُ به، ويُقَرّ لصاحبه بطول معاناته وصبره وجلده، وأمانته في النقل والاقتباس.

ولعلّ سائلاً يسأل ما لرجل أمن ينصرف إلى مثل هذا العمل؟

تلك نزعة وهوىً لا يعرفه إلّا مَنْ غَمَرهُ حُبُّ الأمة والوطن من خلال تاريخها، وعبر تطوراتها الاجتماعية والثقافية وغيرها، وانتمى لتراب الوطن، وعَفّر رأسه بحبات رمله، جذوره عميقة، نافذة في أعماق الأعماق وما أرى الباحث وأمثاله إلّا من الأوفياء المُخْلِص للوطن والمنطقة تاريخاً وحضارة، أصلاً وفرعاً، جذراً وساقاً.

وله جزاء المجتهد، وليوفقه الله.

أ. د محمود عيسى مالحية

مقدمة المؤلف

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، الذي جعل سيرة الأولين عبرة للآخرين، وأحاديث الماضين عبرة للباقين، وفضّل الإسلام على كل دين، أما بعد،

لقد مرت أحداث كثيرة بالجزيرة العربية كانت أخبارها متفرقة، ومدفونة في بطون الكتب ومن يريد قراءة تاريخها فإنه مضطرٌ إلى قراءة مئات الكتب، ولأن آفة العلم النسيان، فإن الانتقال من كتاب إلى آخر، ينسي ما قبله، فرأيت أن غاية المطلوب قراءة التاريخ من خلال كتاب واحد يشتمل على أغلب ما يهمّني ويهمّ أبناء المنطقة، ولأن هذا الكتاب ـ بحسب علمي ـ غير موجود، اضطررت إلى إيجاده بنفسي.

ومن هذا المنطلق بدأت بجمع المادة التاريخية، وافتتحتها بأحداث السنة الأولى للهجرة النبويّة، متناولاً العصر النبويّ - على صاحبه أفضل الصلاة والسلام - بشكل سريع، عبوراً منه إلى العهد الأموي.

وكانت فترة الدولة الأموية، تتميز بغزارة التدوين، وكذلك كان الحال إلى بداية قيام الدولة العباسية، ولكننا وجدنا أخبار الجزيرة العربية بعد ذلك تقل بشكل ملحوظ مع نهاية القرن الرابع الهجري.

وتعدّ الفترة ما بين القرن الخامس إلى القرن التاسع، هي بحق الحلقة المفقودة من تاريخ الجزيرة العربية، وهي أهم الفترات شهدت كثيراً من التغيّرات، وسنتطرّق لسبب ضآلة الأخبار عن تلك الفترة بالمقارنة مع غيرها بعد قليل.

أما من القرن العاشر، إلى القرن الثاني عشر، فندين بالفضل إلى الشيخ ابن بسّام في كتابه الموسوم (بـ تحفة المشتاق) الذي سدّ كثيراً من الثغرات، بذكره لكثير من الأخبار لم يكشفها لنا أحدٌ قبله، فجزاه الله عنّا أوفى الجزاء.

أما فيما يتعلق بالقرنين الثالث عشر والرابع عشر فقد كانت المعلومات عنهما كثيرة جدًّا، مقارنة مع غيرهما من القرون، حتى أنهما حازا على ما يقارب ٤٠٪ من عدد صفحات هذا الكتاب، وهذه الفترة هي التي شهدت قيام الدول الحديثة في الخليج والجزيرة العربية، لا سيّما الدولة السعودية، التي حازت على اهتمام كثير من العلماء النجديين الذين تحمّسوا للدين وأرّخوا للدولة السعودية التي تمثّل الطابع السلفيّ

ومع إدراكنا لأهمية كتابات هؤلاء العلماء الأفاضل، واستفادتنا الدائمة منها، إلا أن هذا الشيء لم يمنعنا من انتقادها الانتقاد البنّاء، حيث يعيب كتابات هؤلاء العلماء النجديين أنه من أراد البحث عن تاريخ الجزيرة العربية من خلال كتبهم يجد في الأغلب لا يجد أمامه سوى التي تتحدث عن تاريخ الدولة السعودية، وأما ما قبلها من أخبار فلا يرقى إلى طموح الباحث.

فكثير من التواريخ النجدية تبدأ بسنة ٨٥٠هـ ذاكرةً هجرة مانع المريدي جد الأسرة السعودية الحاكمة إلى نجد قادماً من القطيف، وتذكر شراء ابن معمر للعيينة من آل يزيد، ثم بعد ذلك تقفز عدة فترات متجاوزة عدة سنين، لتتوحد في حصر انتهاء دولة أجود بن زامل في تمام الألف الهجرية، وتذكر أن الولاة الأتراك الذين تولوا حكم الإحساء هم فقط أربعة، آخرهم عمر الحليبي، وهذان الخبران الأخيران بالذات، أثبتت الدراسات الحديثة التي تعتمد على مصادر أكثر دقة كالأرشيف العثماني، عدم صحتهما.

واعتقد أنه يجب إعادة النظر في التواريخ النجدية بسبب بعض الأخطاء التي شابتها، ولإهمالها لكثير من الأحداث التاريخية التي نجدها متجلّية وظاهرة في أشعار من وصلتنا أشعارهم من أمثال جعيثن اليزيدي وابن زيد وراشد الخلاوي وابن لعبون وغيرهم، وهم يذكرون في قصائدهم عدة وقعات تبدو أنها كانت على درجة عالية من الأهمية، بل ربما أنها غيّرت مجرى التاريخ، ومع ذلك لم يتطرّق إليها العلماء النجديون.

ونظراً لهذا القصور الواضح في تغطية تاريخنا، لم يكن أمام الكثير من أبناء المنطقة بدٌّ من محاولة البحث والتنقيب من جديد، بمزيد من الأمل في أن تثمر محاولاتهم في كشف لثام الحقيقة وتفتيت ظلام الغموض الذي يكتنف تاريخ منطقتنا.

وأمّا المؤرخون القدماء الذين وصلتنا كتبهم مثل ابن الأثير وابن كثير والطبري وابن عساكر وابن خلكان وغيرهم، فأظنُّ أنهم ساهموا بضياع تاريخنا بابتعادهم عن الكتابة عنا، وربما يعود هذا الابتعاد إلى عدة أسباب، لعلَّ من أهمها:

١- خلوّ هذه المنطقة ولعدة قرون من سلطانٍ وحاكمٍ قويٍّ تتوحد البلاد تحت رايته، فظلَّ تاريخها غير مهمٍّ بالنسبة لهم لأن تحركات أهل المنطقة لا ترقى إلى مستوى الطموح السياسي المؤدي إلى تأسيس دولة، بل إنها كانت عبارة عن صورة جزئية متكررة بشكلٍ يومي تتمثل بقيام قبيلة بغزو قبيلة أخرى أو تحالف قبائل ضد قبائل أخرى، وهذه التحركات بحدّ ذاتها لا تعطي في النهاية نتائج عملية حاسمة، عدا علوّ قوم على قوم، ولا يكون لها أي تأثير على المستويين الداخلي أو الخارجي، ولأنها عبارة عن جهد مشتت، ومهدور، ومؤقت، أهم أهدافه هو حيازة المراعي، وفرض الضرائب على المهزوم. ومن الأحداث الروتينية بينهم، غزوات السلب والنهب بهدف زيادة الثروة ومن أجل البقاء، وهذه العمليات تتركز في أغلب الأحيان على طريق الحج والقرى التجارية والزراعية والموانئ البحرية، وأما الحروب الثأرية فلا حصر لها.

٢- أن أكثر المؤرخين كانوا يتورعون عن كتابة تاريخ القبائل لما فيه من الإشكالات، ولا يذكرون - في أغلب الأحيان - إلا ما كان يمس الحكومة القائمة في الإقليم، أي تدوين التاريخ الرسمي. ومن

الحكومات الرسمية التي حكمت الجزيرة العربية قديماً حكومة العباسيين والفاطميين والمغول والمماليك والأتراك وغيرهم.

٣- أن الرئاسة في الإسلام خرجت منذ وقت مبكر من يد العرب وذهبت إلى يد الفرس والسلاجقة والمماليك الذين تمركزوا في مناطق الأنهار والأشجار كبغداد ودمشق والقاهرة وتركوا الصحراء القاحلة لأهلها التي لا يستطيع أحد أن يعيش فيها سواهم، لذلك ترك المؤرخون تدوين أخبارهم، واكتفوا بتدوين أخبار دولهم التي يعيشون فيها ويدينون لها بالولاء، ولولا الحج وطريقه والحرمان الشريفان لما تطرقوا لسكان الجزيرة العربية لا من قريب ولا من بعيد، ولعدمت أخبارهم جملة وتفصيلاً.

٤- من أكبر البراهين التي تدلّ على عدم اهتمام المؤرخين القدماء بتاريخ الجزيرة العربية هو تجاهلهم لتاريخ الدولة العيونية الإحسائية العربية التي سادت ثم بادت، ولم يذكرها أحد منهم في مؤلّفاته الأدبية سوى في إشارات عابرة لا يكاد يفطن لها إلّا القليل، ولولا شاعر الدولة العيونية الأمير علي بن المقرب العيوني المتوفي سنة ٦٢٨هـ الذي يعتبر ديوانه هو المصدر الأول، إن لم يكن الأوحد لتاريخها لما علمنا من أيامهم شيئاً.

وبناء على ما سبق ذكره، فقد قررت التصدّي لهذا الخلل الواضح، المتمثّل في قلّة الأخبار عن تاريخ المنطقة، وأن أضع اللّبنة الأولى في هذا المضمار لتكون أساساً أوليًا للبناء عليه مستقبلاً، فاعتمدت طريقة جمع المعلومات، وصقلها في كتاب واحد، أسميته (الإيجاز لتاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز)، فذكرت أحداث الأزمنة دون التقيد بالأمكنة، فعند التحدث عن منطقة الإحساء، من الممكن أن تفتح نافذة أخرى على نجد بغية معرفة أحداثها في الفترة التي وصلت إليها قراءتنا بعد أن تجشمت في سبيلها كثيراً من المشقة.

ولمّا كان عنوان الكتاب لا يشتمل على إسم الدولة التي أنتمي إليها وهي (الكويت) - وهو الأمر الذي جعل البعض يسأل لماذا لم أضعها ضمن العنوان؟ فكان لزاماً عليهم أن يعوا ويعرفوا مسبقاً أن العنوان يحدد فقط الإطار الجغرافي لمنطقة البحث، وليس تعصباً للدول التي تقع في داخله، ومن ناحية أخرى فالأسماء التي ذكرتها، هي أسماء لأقاليم وليست لدول، ورغم ذلك أعترف أني قد ركزت نوعاً ما على تاريخ دولة الكويت، ولا يعدّ ذلك انحيازاً، بل لأن المثل يقول: كلٌّ يقرأ التاريخ من زاويته.

وإن قال قائل إني بتجميعي لهذه المعلومات لم أصنع شيئاً جديداً، فحسبي بذلك أنني أيقظتها من سباتها، وجمعتها بعد شتاتها، لتكون عقداً منتظماً بين يدي القارئ المحبّ للحقيقة، دون أن يبذل جهداً كبيراً، أو أن يضيع وقتاً كثيراً، ودون أن يتحمل عناء البحث عنها من جديد. ومن كان يفضل قراءة جميع ما قرأت على نفس خُطاي، كل كتاب على حدة فليكن مستعدًا لإضاعة ثماني سنوات من عمره، هي عمر تجميع معلومات هذا الكتاب وأن يضع في حسبانه أنه سوف تكون أمامه تضحيات أخرى.

وأدرك منذ البداية أن جمع مادة هذا الكتاب سيحمل في طياته الكثير من الغث والسمين، والخطأ والصواب، وذلك لأنه نابع من عقل بشر، والبشر خطّاؤون، ولأن الكتاب الوحيد على وجه الأرض الخالي من الأخطاء والعيوب هو كتاب الله عز وجل، وأنا وإن كنت قد تحريت الدقة والصواب على قدر

(استطاعتي) إلا أنني لن أصل إلى درجة الكمال، بل أعترف أنني في كل مرة أعيد فيها قراءة هذا الكتاب لمراجعته أجد أمامي أخطاء غفلت عنها في المرة السابقة، وسواء أكانت هذه الأخطاء مني أو من المصادر التي نقلت عنها، فإني أقوم بتصويبها على الفور على قدر معرفتي، وقد كلفتني عملية تصحيح الأخطاء وتدقيق المعلومات والتنقيح عدة شهور من المراجعة في سبيل أن يخرج هذا الكتاب الضخم بصورة ترضي الأغلبية، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنني من أجل هذه الغاية قمت فعلاً بحذف ثلث أوراق هذا الكتاب

وآخر قولي لكل باحث وقارىء: إن التاريخ هو المدخل الحقيقي لمعرفة كل ما تريد، ومن خلاله توضع النقط على الحروف، ولكن الحذر من قراءة التاريخ للتوقف عنده، بل يجب أن نقرأه لننطلق منه.

أحداث
القرن الأول الهجري



أخبار العصر النبوي
على صاحبه أفضل الصلاة والسلام

السنة الأولى للهجرة[1]:

- كان قدوم النبيّ ﷺ إلى المدينة المنورة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول بلا خلاف، وهذا التاريخ يوافق الرابع والعشرين سبتمبر ٦٢٢م.

- بناء مسجد قباء.

- بناء المسجد النبوي.

بنى رسول الله ﷺ بعائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان عقد بها في مكة قبل الهجرة بثلاث سنوات بعد وفاة خديجة رضي الله عنها.

في ربيع الثاني بعد مقدم الرسول ﷺ المدينة بشهر زيد في صلاة العصر ركعتان.

وفيها ولد عبدالله بن الزبير، وقيل في السنة الثانية في شوال

- وفي ربيع الثاني غزوة بواط من ناحية رضوى

- وفي جمادى الأولى غزوة العُشيرة من ينبع.

آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ووضع دستور المدينة، وصحيفة الحلف مع اليهود.

ويذكر أن اليهود الذين دخلوا ديار العرب منهم من أبناء هارون بن عمران، وذلك كان في زمن موسى ويوشع عليهما السلام، فسكنوا المدينة، وخيبر، ومن حصونهم. مارد في دومة الجندل، والأبلق الفرد حصن تيماء.

ومنهم. شريح بن عاديا الهاروني، ورث ملك دومة الجندل وأرض تيماء عن سلفه الذين دخلوا بلاد العرب من الشام، وغلبوا على ما بأيديهم منها، وإليه تنسب القصيدة التي تنسب لابنه السموأل التي مطلعها:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ   فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ[2]

---

(١) انظر السمهودي ت٩١١، وفاء الوفا ص٢٦٤-٢٧٠ - وابن الأثير الكامل في التاريخ دصادر م٢ ص١١٠.

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ٦١٠هـ - ٦٨٥هـ، تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة ـ

السنة الثانية[1]:

- **في رجب على الأصح زُوِّج عليّ بن أبي طالب بفاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ** وذلك قبل (بدر)، وبنى بها في ذي الحجة وكان عمرها خمس عشرة سنة، وقيل ثمان عشرة، وقيل تزوجها بعد أُحد، والله أعلم.

- **وفيها (غزوة الأبواء).**

- **(غزوة بواط)** من ناحية رضوى.

- **نزلت فريضة الصوم في شعبان فصاموا رمضان**، الذي يصادف أوله يوم ٢٦ فبراير ٦٢٤م

- **في ١٥ شعبان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.**

قال السمهودي عن سعيد بن المسيب قال: صَلّى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً، وصرفت القبلة قبل بدر بشهرين، والثبت عندنا أنها صرفت في الظهر في مسجد القبلتين. وعن كثير بن عبدالله المزني عن أبيه عن جده قال: صرفت القبلة يوم الاثنين النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً. وقال ابن الأثير: أمره الله أن يستقبل الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه المدينة، وقيل: على رأس ستة عشر شهراً في صلاة الظهر.

- **في رمضان كانت (غزوة بدر الكبرى)**، وكان المسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر، وخرجت الأنصار معه ﷺ فيها، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه، ومعهم ثلاث أفراس، وكان المشركون ألفاً، ويقال تسعمائة وخمسين رجلاً معهم مائة فرس، وهذه بدر الثانية لما تقدم والله أعلم.

فرضت زكاة الأموال وقيل في الثالثة وقيل في الرابعة

- **في شوال غزا بني قينقاع**، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات

- **في ذي القعدة (غزوة السويق)**.

السنة الثالثة[2]:

قال ابن الأثير: في جمادى الأولى، غزا بني سُليم ببحران، وسبب هذه الغزوة أن جمعاً من بني سُليم تجمعوا ببحران من ناحية الفُرُع، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فسار إليهم في ثلاثمائة، فلمّا بلغ بحران وجدهم قد تفرقوا فانصرف ولم يلق كيداً، وكانت غيبته عشر ليال.

وغزا النبي ﷺ (غزوة الكدر) وتعرف بـ (غزوة قرقرة) ويقال نجران. ثم غزا (غزوة أنمار)، ثم كانت

- الأقصى، الأردن، ع١/ ١٩٨٢م ص٨١٥، وسنذكر هذه القصيدة كاملة في الصفحات القادمة.

(١) السمهودي، وفاء الوفا ص٣٦١، ٢٧٤ - ابن الأثير الكامل في التاريخ م٢ ص١١٥

(٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ م٢ ص١٤٢، ١٤٥ - السمهودي وفاء الوفا ٢٨٠ - ابن شدقم ضامن الحسيني المدني كان حيًّا سنة ١٠٩٠هـ، تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، تحقيق كامل الجبوري ج١ ص١٠٤ عن الإرشاد ١٨٧.

(غزوة أحد) في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور. وفيها غزوة القَرْدة، والقردة ماء بنجد. وفيها: كان مولد الحسن السبط ﷺ بالمدينة المنورة لمنتصف شهر رمضان، في زمن يزدجرد ملك الأكاسرة قبل وقعة بدر بتسعة عشر يوماً.

السنة الرابعة[1]:

- في محرم حادثة بئر معونة، وملخصها أن عامر بن مالك بن جعفر أبو البراء ملاعب الأسنة اقترح على النبي ﷺ بعث وفد إلى نجد لنشر الإسلام ولكن الرسول ﷺ كان يخشى عليهم. فقال له: أرسلهم وعنده بإجارتهم، فلمّا رآهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب استصرخ بني عامر لقتلهم فلم يجيبوه وقالوا: لن ننقض عهد أبي البراء فأتى أحياء رعل وعصيّة وذكوان من بني سليم فأجابوه وقتلوا المسلمين في بئر معونة حيث قتل ٧٠ صحابيًّا، وذكر ابن الأثير أن مقتل هؤلاء الصحابة ﷺ كان في صفر.

- وفي صفر كانت غزوة الرَّجيع.

إجلاء بني النضير عن المدينة

((وفيها إجلاء بني النضير من المدينة، وكان سبب ذلك أن عامر بن الطفيل أرسل إلى النبي ﷺ يطلب دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية، فخرج النبي ﷺ إلى بني النضير يستعينهم فيها ومعه جماعة من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي، فقالوا: نعم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض وتآمروا على قتله وهو جالس إلى جنب جدار، فقالوا: من يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه؟ فانتدب له عمرو بن جحاش، فنهاهم عن ذلك سلاّم بن مِشْكم وقال: هو يعلم، فلم يقبلوا منه، وصعد عمرو بن جحاش، فأتى الخبر من السماء إلى رسول الله ﷺ بما عزموا عليه، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى آتيكم، وخرج راجعاً إلى المدينة، فلمّا أبطأ قام أصحابه في طلبه، فأخبرهم الخبر وأمر المسلمين بحربهم، ونزل بهم، فتحصنوا منه في الحصون، فقطع النخل وأحرق، وأرسل إليهم عبدالله بن أُبيّ وجماعة معه أن اثبتوا وتمنعوا فإنّا لن نُسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا النبي ﷺ أن يُجْليهم ويكفّ عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من الأموال إلا السلاح، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام..)).

((وفيها غزوة ذات الرقاع، أقام بعد بني النضير في المدينة شهري ربيع.

ثم غزا نجداً بني يريد محارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلاً، وهي غزوة ذات الرقاع، سميت بذلك لأجل جبل كانت الوقعة به، وقيل إن هذه الغزوة كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة)).

---

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ م٢ ص١٦٧، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٠، ١٧٥.

- وفيها. كان زواج عثمان بن عفّان بأمّ كلثوم بنت النبي بعد وفاة أختها رُقية، لذا سمّيَ بذي النورين.

- وفيها: حُرِّمت الخمر.

- وفي رمضان تزوج النبي ﷺ زينب بنت خزيمة أم المساكين من بني هلال، وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلّقها.

وفيها غزوة بدر الثانية، وسميت أيضاً غزوة السويق، وفيها تزوج رسول الله ﷺ، أم سلمة.

السنة الخامسة[1]:

((وفيها تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، وهي ابنة عمته، كان زوَّجها مولاه زيد بن حارثة، وكان يقال له زيد بن محمد. فخرج رسول الله ﷺ، يريده وعلى الباب سترٌ من شعر، فرفعته الريح فرآها وهي حاسرة فأعجبته وكُرِّهت إلى زيد، فلم يستطع أن يقربها، فجاء إلى النبي ﷺ، فأخبره، فقال: أرابك فيها شيء؟ قال: لا والله. فقال له رسول الله ﷺ ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ ففارقها زيد وحلّت، وأنزل الوحي على النبي، ﷺ، فقال: من يبشر زينب أن الله قد زوجنيها؟ وقرأ عليهم قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ الآية، فكانت زينب تفخر على نسائه وتقول: زوجكن أهلوكن وزوجني الله من السماء

- وفيها غزوة دومة الجندل في ربيع الأول

- وفي شوال كانت غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب

فتح قريظة

وفيها غزوة بني قريظة، ((حاصر بني قريظة شهراً أو خمساً وعشرين ليلة، فلمّا اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن أبعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، وهو أنصاري من الأوس، نستشيره، فأرسله، فلمّا رأوه قام إليه الرجال وبكى النساء والصبيان، فرقّ لهم، فقالوا: ننزل على حكم رسول الله. فقال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح. قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى عرفت أنّي خُنتُ الله ورسوله وقلت: والله لا أقمت بمكان عصيت الله فيه. وانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد وقال: لا أبرح حتى يتوب الله عليّ. فتاب الله عليه وأطلقه رسول الله ﷺ ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فقال الأوس: يا رسول الله افعل في موالينا مثل ما فعلت في موالي الخزرج، يعني بني قينقاع. فقال: ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ؟ قالوا بلى. فأتاه قومه فاحتملوه على حمار ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك. فلمّا كثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فعلم كثير منهم أنه يقتلهم، فلمّا انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ قال: قوموا إلى سيدكم، أو

(١) انظر ابن الأثير الكامل في التاريخ ص١٧٧. وانظر السمهودي، وفاء الوفا ص٣١٠.

قال: خيركم، فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا: يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك فقد ردَّ رسول الله ﷺ الحكم فيهم إليك. فقال سعد: عليكم عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم إليّ؟ قالوا: نعم، فالتفت إلى الناحية الأخرى التي فيها النبي ﷺ وغضَّ بصره عن رسول الله إجلالاً وقال وعلى من هاهنا العهد أيضاً؟ فقالوا: نعم. وقال رسول الله ﷺ: نعم. قال: فإني أحكم أن تُقتل المقاتلة وتُسبى الذرية والنساء وتُقسم الأموال، فقال له رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة. وكان فتح قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة)).

- وفيها: ((غزوة الخندق)).

- وفيها أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

السنة السادسة[1]:

- أغار عيينة بن حصن الفزاري على لقاح رسول الله ﷺ فاستقلها.

- وفي هذه السنة فرض الحج على الصحيح

- قتل المشركون سرية محمد بن مسلمة فلم يفلت منهم غيره، وكانوا عشرة

- سرية علي بن أبي طالب إلى فدك في مائة رجل.

سرية عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فظهر عليهم فزوجه رسول الله ﷺ تماضر بنت الأصبغ بن عمرو الكلبي وهو ملكهم.

- في جمادى الأولى منها خرج رسول الله ﷺ إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع، خُبيب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غِرّة، وأغذّ السير حتى نزل على غرّان منازل بني لحيان، وهي بين أمج وعسفان، فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا في رؤوس الجبال، فلمّا أخطأه ما أراد منهم خرج في مائتي راكب حتى نزل بعسفان تخويفاً لأهل مكة، وأرسل فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم عاد قافلاً.

- وبعد غزوة بني لحيان غزوة ذي قَرَد.

- وبعد ذي قرد غزوة بني المصطلق من خزاعة في شعبان على ماء يقال له المريسيع بناحية قديد وتزوج فيها النبي ﷺ من جويرية بنت قائدهم الحارث بن أبي ضرار بعد أن وقعت في سبي المسلمين.

- وكان حديث الإفك في غزوة بني المصطلق.

- أجدب الناس فاستسقى رسول الله ﷺ في رمضان في موضع المصلى فسقوا.

- أرسل زيد بن حارثة في سرية، فسبى سلمة بن الأكوع في تلك السرية بنت مالك بن حذيفة.

- بيعة الرضوان في ذي القعدة.

---

(١) انظر السمهودي، وفاء الوفا ص٣١٠ - ابن الأثير الكامل في التاريخ م٢ ص١٨٨، ١٩١، ٢٠٠

- صلح الحديبية، وهي عمرة الحديبية، وكان قد خرج رسول الله ﷺ معتمراً في ذي القعدة لا يريد حرباً، ومعه جماعة من المهاجرين والأنصار ومن تبعه من الأعراب ألف وأربعمائة، وقيل ألف وخمسمائة، وقيل ثلاثمائة، وساق الهدي معه سبعين بدنة ليعلم الناس أنه إنما جاء زائراً للبيت

السنة السابعة[1]:

لما عاد رسول الله ﷺ من الحديبية أقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم.

- سار ﷺ إلى خيبر في ألف وأربعمائة رجل معهم مائتا فارس، وكان مسيره إلى خيبر في المحرم سنة سبع.

- وأسلم أبو هريرة.

قصة سحر النبي ﷺ

قال الواقدي: وفي المحرم منها جاء رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم - وكان حليفاً في بني زريق وكان ساحراً - فقالوا له: يا أبا الأعصم أنت أسحرنا وقد سحرنا محمد فلم نصنع شيئاً، ونحن نجعل لك جعلاً على أن تسحره لنا سحراً ينكؤه، فجعلوا له ثلاثة دنانير، وذكر قصة سحره. وفي رواية عن الزهري بإسناد صحيح أن المدة التي مكث النبي ﷺ فيها في السحر سنة، وفي رواية أربعين ليلة، والله أعلم.

- وفيها جاءته أم حبيبة بنت أبي سفيان، وتزوج بها.
- عمرة القضية (القضاء)، وهي قضاء عمرة الحديبية وكانت في شوال
- تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية[2]
- سرية عمر بن الخطاب إلى قبائل هوازن[3]
- سرية أبي بكر الصديق إلى نجد
- سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة
- شرحبيل أمير غسان يقتل الحارث بن عمير الأزدي الذي حمل إليه كتاب رسول الله ﷺ
- قصة أبي سفيان مع هرقل في الشام.
- أهديت مارية القبطية للنبي ﷺ.

السنة الثامنة:

في صفر قدم عمرو بن العاص مسلماً على النبي ﷺ وقدم معه خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ ٢١٦

(٢) وفاء الوفا ٣١٥.

(٣) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب لأيوب صبري باشا ج٣ ص١٨٥

العبدري[1]. وقد ذكرنا قدوم ابن الوليد وابن العاص في حوادث سنة ٥هـ نقلاً عن السمهودي، وهذه المسألة من المسائل التي يقع فيها الخلاف بشأن وقت حدوثها، وقد نبه ابن الأثير إلى ذلك.

- **في جمادي الأولى (غزوة مؤتة)** قرب معان والبلقاء وهي من الغزوات العظيمة[2]. وذكر ابن الأثير أن الذي جمع من الجنود لهذه الحرب مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبليّ عليهم رجل من بليّ يقال له مالك بن رافلة، ونزلوا مؤاب من أرض البلقاء. وكان عدد جنود هرقل مائتي ألف!.

- **وفيها: غزوة (ذات السلاسل)**، وهي غير ذات السلاسل الوقعة المشهورة في أرض كاظمة.

- **وفي ١٠ رمضان كان (فتح مكة المكرمة)**، وأمر على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية.

- غزو بني خزيمة.

- غزوة الطائف.

- ولادة إبراهيم ابن الرسول ﷺ من جاريته مارية القبطية.

- استشهاد جعفر بن أبي طالب.

- استشهاد زيد بن حارثة

- زفاف زينب بنت رسول الله ﷺ[3]، وفي نفس السنة توفيت رحمها الله[4].

غزوة هوازن بحنين في شوال[5].

- وأسلم مالك بن عوف النصري، وتألف المؤلفة من غنائم هوازن

- انصرف إلى المدينة في آخر ذي القعدة[6].

- وفيها بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وبها المنذر بن ساوى، فصالح المنذر على أن على المجوس الجزية ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم. وقيل إن إرساله كان سنة ست من الهجرة مع الرسل الذين أرسلهم رسول الله ﷺ إلى الملوك[7].

السنة التاسعة:

- هجر النبي ﷺ نساءه شهراً.

---

(١) الكامل في التاريخ م٢ص٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه ص٢٣٤

(٣) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج٣ ص١٨٦.

(٤) الكامل في التاريخ م٢ ص٢٢٩.

(٥) المصدر السابق ص٢٦١.

(٦) وفاء الوفا للسمهودي ص٣١٦

(٧) نفس المصدر ٢٢٩.

- تتابع الوفود.

- فرض الحج، (وسنة فرضه فيها اختلاف)[1].

- في شهر ربيع الآخر أرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ في سرية إلى ديار طيِّئ وأمره أن يهدم صنمهم الفلس، فسار إليهم وأغار عليهم، فغنم وسبى وكسر الصنم[2].

غزوة تبوك

لما عاد رسول الله ﷺ أقام بالمدينة بعد عوده من الطائف ما بين ذي الحجة (٨هـ) إلى رجب (٩هـ)، ثم أمر الناس بالتجهز لغزو الروم وأعلم الناس مقصدهم لبعد الطريق وشدة الحر وقوة العدو، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة ورّى بغيرها[3] ذكر السمهودي أن (غزوة تبوك) كانت في رجب وهي آخر غزواته ﷺ[4].

((وسببها أن هرقل ومن اجتمع إليه من لخم وجذام وعاملة وغيرهم أظهروا أنهم يريدون غزو الرسول ﷺ، فلمّا سار إليهم، هابوا محاربته فلم يلقَ كيداً وأتته رسل هرقل، فكساهم وردَّهم، وكان جيش رسول الله ﷺ في هذه الغزوة يدعى جيش العسرة، لأن الناس كانوا مصيّفين. فجهز عثمان بن عفان ﷺ ثلثهم، ويقال أكثر من ذلك، وأنفق عليهم ﷺ سبعين ألف درهم، ويقال أكثر من ذلك، وأعطاهم أبو بكر ﷺ جميع ما بقي من ماله وهو أربعة آلاف درهم وكان المسلمون ثلاثين ألفاً، وكانت الإبل اثني عشر ألف بعير والخيل عشرة آلاف وكان خليفة رسول الله ﷺ بالمدينة ابن أم مكتوم ويقال محمد ابن مسلمة الأنصاري. ويقال كان خليفته أبو رهم، ويقال سباع بن عُرفُطة وأثبت ذلك محمد بن مسلمة الأوسي))[5].

وفيها نعى النبي ﷺ النجاشي للمسلمين، وكان موته في رجب سنة تسع.

- وفي شعبان توفيت أم كلثوم بنت النبي ﷺ وهي زوج عثمان بن عفان.

- وفي رمضان: قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ.

- فُرضت الصدقات، وفرق رسول الله ﷺ فيها عماله[6]، وذكر بعث الأمراء على الصدقات في السنة العاشرة، ويروى أن هذا حدث في خلال السنة الثانية للهجرة[7].

(١) نفس المصدر ص٢٨٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر م٢ ص٢٧٦.

(٤) وفاء الوفا ص٣١٦.

(٥) جمل من أنساب الأشراف تصنيف الإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ ج١ ص٤٧١، وسوف نختصر عنوان هذا الكتاب في الصفحات القادمة ونسميه أنساب الأشراف.

(٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير م٢ ص٢٨٣-٢٩١.

(٧) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، أيوب صبري باشا ج٣ ص٨٨.

السنة العاشرة:

- وفي أولها قدم عدي بن حاتم بوفد طيِّئ.
- وقدوم زيد الخيل في وفد طيِّئ.
- وفد بني حنيفة.
- وفد غسان.
- وفد نجران الذين كانت فيهم قصة المباهلة.
- جاء جبريل يعلم الناس دينهم..
- ثم أذن رسول الله ﷺ للناس بالحج في حجة الوداع ورجع[1].
- وفد عامر بن الطفيل، أتى عامر بن الطفيل النبي ﷺ ومعه أربد بن قيس وهما يريدان برسول الله ﷺ أمراً حال الله بينهما وبينه، فدعا النبي ﷺ عليهما. فأما أربد فأصابته صاعقة فأحرقته، وأما عامر فأصابته غدة كغدة البعير في عنقه فمات. قال ابن خلدون ثم قدم علقمة بن علاثة بن عوف، وعوف بن خالد بن ربيعة وابنه فأسلموا.
- قدوم الجارود بن عمرو في طائفة من قومه عبدالقيس
- قدوم فروة بن مسيك.
- قدوم وفد زبيد وعمرو بن معديكرب.
- قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة.
- وفد الأزد.
- حجة الوداع.
- بدء حركة الردة.
- ظهور الأسود العنسي في اليمن
- سرية أسد الله علي بن أبي طالب على اليمن[2].
- ظهور مسيلمة الكذاب في اليمامة.

---

(١) وفاء الوفا ص٣١٧.

(٢) نفس المصدر.

وفاة رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ

١١هـ ((ابتدئ برسول الله ﷺ مرضه في أواخر صفر في بيت زينب بنت جحش، وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه في بيت ميمونة، فجمع نساءه فاستأذنهن أن يمرَّض في بيت عائشة، ووصلت أخبار بظهور الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة باليمامة، وطليحة في بني أسد، وعسكر سميراء))[١].

وتوفي ﷺ لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين (٨ يونيو ٦٣٢م تقريباً)، وذكر ابن الأثير نفس التاريخ المذكور ثم أضاف: وقيل: مات نصف النهار يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الأول[٢].

اتفقوا على دفنه في بيته، فحمل بالفرش وحفر له في موضع الفراش. وأوصى رسول الله ﷺ في مرضه بإخراج المشركين من جزيرة العرب كما في الصحيح من حديث ابن عباس أنه ﷺ أمر بذلك ولفظه: وأمرهم بثلاث، فقال ((**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**)) والثالثة إما سكت عنها وإما قالها فنسيتها. قال الداودي: الثالثة هي الوصية بالقرآن، وقال المهلب: بل هي تجهيز جيش أسامة، وقواه ابن بطال بأن الصحابة لما اختلفوا على أبي بكر في تنفيذ جيش أسامة، قال لهم أبو بكر إن النبي ﷺ عهد بذلك عند موته[٣]

صفة النبي ﷺ

قال علي بن أبي طالب: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس واللِّحية، شثْن الكفين والقدمين، ضخم الكراديس، مشرباً وجهه حمرةً، طويل المسربة، إذا مشى تكفّأ تكفّؤاً كأنما ينحطُّ من صبَب، لم أر قبله ولا بعده مثله، وكان أدعج العينين، سبط الشعر، سهل الخدَّين، ذا وفرة، كأن عنقه إبريق فضة، وإذا التفت التفت جميعاً، كأن العرق في وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عرقه وريحه. قال أبو عبيدة وغيره: شثن الكفين والقدمين يعني أنهما إلى الغلظ [أقرب]، وقوله ضخم الكراديس، يعني ألواح الأكتاف، والمسربة الشعر ما بين السرة واللَّبة، والصبب الانحدار، والدعج في العين السواد، والسبط من الشعر ضد الجعد.

وكان بين كتفيه، ﷺ، خاتم النبوّة، وهي بضعة ناشزة حولها شعر[٤].

مبايعة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لما توفي رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة (في ١٢ ربيع الأول)، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: منا الأمراء ومنكم الوزراء. ثم قال أبو بكر: قد رضيت لكم أحد هذين

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير م٢ ص٣١٧

(٢) نفس المصدر ص٣٢٣

(٣) وفاء الوفا ص٣١٩.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير م٢ ص٣٠٥

الرجلين عمر وأبا عبيدة أمين هذه الأمة. فقال عمر: أيكم يطيب نفساً أن يخلف قَدَمَين قدمهما النبي، ﷺ؟ فبايعه عمر وبايعه الناس. فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا عليًا. قال: وتخلّف علي وبنو هاشم والزبير وطلحة عن البيعة. وقال الزبير: لا أغمد سيفاً حتى يبايع علي. فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر، ثم أتاهم عمر فأخذهم للبيعة. وقيل: لما سمع عليّ بيعة أبي بكر خرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء عجلاً حتى بايعه، ثم استدعى إزاره ورداءه فتجلله. والصحيح: أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر، والله أعلم[1]. هذا ما ذكره ابن الأثير، وقد ذكر تفاصيل أخرى كثيرة عن هذه الحادثة يستحسن الرجوع لها لمن أراد الاستزادة والاستفادة. وقد بويع أبو بكر الصديق ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول[2].

١٢هـ تصفية حروب الردة، وبدء الفتوح الإسلامية في العراق والشام، فخاض خالد بن الوليد ﷺ المعارك التالية: وقعة المدار، وقعة الولجة، وقعة أليس، وقعة امغيشا، فتح الحيرة صلحاً، وقعة دومة الجندل، وكلها في العراق.

وفيها: كان مسير أبي عبيدة عامر بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة إلى الشام، ثم لحاق عمرو بن العاص بهم، وحصلت معركة داثن، معركة وادي عربة.

أمر أبو بكر خالد بن الوليد بالمسير من العراق إلى الشام مدداً لجيش المسلمين في ذي الحجة.

ومن أهم الإنجازات في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ إنفاذه لجيش أسامة بن زيد، وجهاده لأهل الردة، وجمعه للقرآن بعد وقعة اليمامة لما رأى من كثرة من قتل من الصحابة لئلا يذهب القرآن، وهزم المرتدين في ذي القصة والبحرين وبزاخة وعمان ومهرة وحضرموت كما صار في عهده بعض الفتوحات الكبرى والمعارك المشهورة، ومنها ذات السلاسل في كاظمة سنة ١٢هـ، وفتح الحيرة، وفتح الأنبار، وفتح عين التمر، ووقعة اليرموك، وفي أثنائها جاء الخبر إلى الجيش بوفاة أبي بكر رحمة الله على الصديق وجزاه الله خيراً عن الإسلام وأهله.

وفاة أبي بكر ﷺ

١٣هـ قال البلاذري: توفي أبو بكر الصديق ﷺ مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، فكانت أيامه سنتين و٣ أشهر و٢٦ يوماً وهذا قول أبي معشر، وقال غيره: سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وتوفي وهو ابن (٦٣ سنة) وذلك المجتمع عليه في سنه، وكان مولده بعد الفيل بثلاث سنين[3].

قالت عائشة ﷺ: دخل أبو بكر على النبي ﷺ فقال: **(يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار)** فسمي يومئذ عتيقاً. وقال: **(لو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر)**[4].

---

(١) نفس المصدر ص٣٢٥.

(٢) أنساب الأشراف ج١٠ ص٧١.

(٣) المصدر نفسه ص٩١.

(٤) المصدر نفسه ص٥٣-٦٦

((قال الواقدي في إسناده: كان أبو بكر أبيض نحيفاً خفيف العارضين أجنأ لا يستمسك إزاره في حقويه، معروق الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة عاري الأشاجع. وقال غير الواقدي: كان أبو بكر حسن الجسم معصوب اللحم مشرباً صفرة، جعداً، يضرب شعره شحمة أذنيه، مسنون الوجه، أكحل العينين مائل اللحية واضح الثنايا، حمش الساقين، هيناً ليناً متواضعاً كريماً، تعرف فيه الخير حين تراه، وكان يمرّ في الطريق فيتعلق الصبيان بثوبه يقولون: يا أبانا يا أبانا. ويقال: كان أبيض تعلوه صفرة، حسن القامة، نحيفاً أجنأ، يسترخي إزاره عن عاتقه وحقويه، أقنى معروق الوجه، يخضب بالحناء والكتم))[1]

خلافة عمر بن الخطاب ﷺ

قال ابن الأثير: لما نزل بأبي بكر ﷺ الموت دعا عبدالرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر. فقال: إنه أفضل من رأيت إلا أن فيه غلظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه، وقد رمقته فكنت إذا غضبت على رجل أراني الرضا عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه. ودعا عثمان بن عفان وقال له: أخبرني عن عمر. فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكرا مما قلت لكما شيئاً، ولو تركته ما عدوتُ عثمان، والخيرة له أن لا يلي من أموركم شيئاً، ولوددتُ أني كنتُ من أموركم خِلْواً وكنتُ فيمن مضى من سلفكم. ودخل طلحة بن عبيدالله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة على أبي بكر فقال: استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاقٍ ربك فسائلك عن رعيتك! فقال أبو بكر: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أبالله تخوفني! إذا لقيتُ ربي فسألني قلت: استخلفتُ على أهلك خير أهلك.

ثم إن أبا بكر أحضر عثمان بن عفان خالياً ليكتب عهد عمر، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد. ثم أغمي عليه، فكتب عثمان: أما بعد فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب ولم آلكم خيراً. ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ. فقرأ عليه، فكبّر أبو بكر وقال: أراك خِفْتَ أن يختلف الناس إن متُّ في غشيتي. قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. فلمّا كتب العهد أمر به أن يقرأ على الناس، فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر، فكان عمر يقول للناس: أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول الله ﷺ، فإنه لم يألكم نصحاً. فسكن الناسُ، فلمّا قرئ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا، وكان أبو بكر أشرف على الناس وقال: أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا. ثم أحضر أبو بكر عمرَ فقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ، وأوصاه بتقوى الله ثم قال:

يا عمر إن لله حقًّا بالليل لا يقبله في النهار، وحقًّا في النهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، ألم ترَ يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله

---

(١) المصدر السابق ص٥٧.

عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا باطل أن يكون خفيفاً. ألم ترَ يا عمر أنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبةً يُلقي فيها بيديه. أولم ترَ يا عمر أنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لا أكون منهم، وأنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه يجاوز لهم ما كان من سيّئ فإذا ذكرتهم قلت أين عملي من أعمالهم؟ فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من الموت، ولست بمعجزه[1].

قال البلاذري. قالوا: كان عمر أول من دعي أمير المؤمنين وأول من أرّخ للكتب في شهر ربيع الأول سنة ١٠هـ وأول من جمع القرآن في الصحف وأول من سن قيام شهر رمضان وجمع الناس على ذلك وكتب به إلى البلدان وذلك في شهر رمضان سنة ١٤هـ، فلمّا توفي قال علي بن أبي طالب: نوّر الله لعمر كما نوّر مساجدنا[2].

فيما بين ١٣هـ إلى ١٦هـ كان فتح بلاد الفرس وبلاد الشام، وقد سجل المسلمون فيها أعظم البطولات والانتصارات، وحفظ عمر عنده نصوص القرآن الكريم التي كتبت أيام أبي بكر، وللتحدث عن هذه السنوات لا تكفي صفحة أو صفحتان وإنما تحتاج إلى كتب ومجلدات، لذا نكتفي بالتنويه عنها وهي موجودة بكل تفاصيلها في كتب كثيرة.

وقعة القادسية

١٣هـ قال ابن الأثير: وكتب عمر إلى المثنى بن حارثة الشيباني ومن معه يأمرهم بالخروج من بين العجم والتفرق في المياه التي تلي العجم، وأن لا يدعوا من ربيعة ومضر وحلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا أحضروه إما طوعاً أو كرهاً، ونزل الناس بالجلّ وشراف إلى غُضيّ، وهو جبل البصرة، ويسلمون، بعضهم ينظر إلى بعض ويغيث بعضهم بعضاً، وذلك في ذي القعدة سنة ١٣هـ. وأرسل عمر في ذي الحجة من السنة مخرجهُ إلى الحج إلى عماله على العرب أن لا يدعوا من له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأي إلا وجهوه إليه، فأما من كان على النصف ما بين المدينة والعراق فجاء إليه بالمدينة لما عاد من الحجّ، وأما من كان أقرب إلى العراق فانضم إلى المثنى بن حارثة، وجاءت أمداد العرب إلى عمر[3].

١٤هـ وولّى عمر بن الخطاب سعد بن مالك[4] على حرب العراق، ووصّاه بالصبر وسرّحه فيمن اجتمع إليه من نفر المسلمين، وهم أربعة آلاف، فيهم حميضة بن النعمان بن حميضة على بارق، وعمرو

---

(١) الكامل في التاريخ م٢ ص٤٢٥.

(٢) أنساب الأشراف ج١٠ ص٣٢٢.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير م٢ ص٤٤٨.

(٤) هو سعد بن مالك بن أهيب، ويقال: وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو إسحاق بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة، وآخرهم موتاً (نظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني).

ابن معديكرب، وأبو سبرة بن ذؤيب على مذحج، ويزيد بن الحارث الصُّدائيّ على صُداء، وجنب ومُسْلية وبشر بن عبدالله الهلالي في قيس عيلان[1].

أمدّ عمر سعداً بعد خروجه بألفي يمانيّ وألفي نجديّ، وكان المثنى بن حارثة في ثمانية آلاف، وسار سعد والمثنى ينتظر قدومه، فمات المثنى قبل قدوم سعد من جراحة انتقضت عليه، واستخلف على الناس بشير بن الخصاصية، وسعد يومئذ بزرود وقد اجتمع معه ثمانية آلاف، وأمر عمر بني أسد أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة، فنزلوا في ثلاثة آلاف، وسار سعد إلى شراف فنزلها ولحقه بها الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن، فكان جميع من شهد القادسية بضعة وثلاثين ألفاً، وجميع من قُسم عليه فيئها نحواً من ثلاثين ألفاً. ولم يكن أحد أجرأ على أهل فارس من ربيعة، فكان المسلمون يسمّونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفرس[2].

معركة القادسية من أعظم معارك التاريخ الإسلامي ومن أهمها وهي عدة أيام ومنها يوم أرماث وأغواث وعِماس والهرير وغيرها. قال ابن الأثير: قيل: كانت وقعة القادسية سنة ١٦هـ (في المحرم)، قال: وكان بعض أهل الكوفة يقول: إنها كانت سنة ١٥هـ، وقد تقدم أنَّ مبتدأ أمرها كان في سنة ١٤هـ[3].

بناء البصرة والكوفة

قالوا: بُصِّرت البصرة سنة ١٤هـ، وكُوِّفت الكوفة سنة ١٧هـ، ثم استأذنوا عمر ﷺ في بناء القصب فقال: العسكر أجدُّ لحربكم وأزكى لكم، وما أحبّ أن أخالفكم فشأنكم. فابتنى أهل المصرين بالقصب ثم وقع الحريق بالكوفة والبصرة... فبعث سعد إلى عمر ﷺ نفراً يستأذنونه في البناء ويخبرونه عن الحريق فأذن لهم وقال: لا يزيد أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنّة تلزمكم الدولة، ولا ترفعوا بنياناً فوق القدر. قالوا: وما القدر؟ قال: ما لا يقربكم إلى السَّرَف ولا يخرجكم عن القصد، وأن يكون الطريق أربعين ذراعاً وما بين ذلك عشرين والأزقة سبع أذرع. وأول شيء خط بالكوفة المسجد، فوضع في موضع التمّارين من السوق، ثم قام رجل في وسطه شديد النزع، فرمى عن يمينه وعن يساره وبين يديه ومن خلفه وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهام[4].

ذكر ابن الأثير أن نزول عتبة البصرة كان في ربيع الأول أو الآخر سنة ١٤هـ. وقيل: إن البصرة مُصِّرت سنة ١٦هـ بعد جلولاء وتكريت، أرسله سعد إليها بأمر عمر. وإن عتبة لما نزل البصرة أقام نحو شهر فخرج إليه أهلُ الأُبُلّة، وكان بها خمسمائة سوار يحمونها، وكانت مرفأ السفن من الصين، فقاتلهم

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير م٢ ص٤٥١

(٢) المصدر نفسه ص٤٥٢.

(٣) نفس المصدر ص٤٨٥.

(٤) الروض المعطار للحميري ص٥٠٢

عُتبة فهزمهم حتى دخلوا المدينة، ودخل عتبة إلى عسكره .، وكان المسلمون ثلاثمائة، وكان فتحها في رجب أو شعبان[1].

البصرة. ((مصَّرها عتبة بن غزوان وهي خطط وقبائل. وبها قبر طلحة بن عبيدالله من الصحابة في المدينة وخارج المربد في البادية قبر أنس بن مالك، والحسن البصري، وابن سيرين.... ولها نهر يعرف بنهر الأُبُلّة طوله أربعة فراسخ ما بين البصرة والأُبُلّة وعلى حافتي هذا النهر قصور وبساتين متصلة كأنها بستان واحد قد مدّت على خيط واحد))[2].

نبذة عن عتبة بن غزوان ﷺ

قال ابن خلدون: عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نشيب بن وهب بن زيد بن مالك بن عبد عوف بن الحارث بن مازن بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس عَيْلان الصحابي المشهور الذي بنى البصرة لعمر بن الخطاب وإليه ينسب العتبيون الذين سادوا بخراسان

وقال القيسراني بمن نسبه العُتْبي[3]:

الأول منسوب إلى عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف، منهم محمد ابن عبيدالله بن عمر بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان أبو عبدالرحمن العتبي من أهل البصرة، صاحب أخبار وآداب، حدث عن أبيه وسفيان بن عيينة وغيرهما.

الثاني. منسوب إلى عتبة بن غزوان، منهم شيخنا أبو إبراهيم أسعد بن مسعود بن علي بن محمد ابن محمد بن الحسن العتبي، من ولد عتبة بن غزوان، حدثنا عن أبي بكر الحيري

وفي زيادات الحافظ محمد بن أبي بكر عمر بن أحمد بن عمر أبي موسى الأصبهاني على كتاب الأنساب المتفقة للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر بن المقدسي، قال[4]: العتبي. أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه العبدوي العتبي من ولد عتبة بن مسعود، وأبوه أيضاً رويا الحديث

فتح دمشق

في رجب كان فتح دمشق، وقيل إن وقعة اليرموك سنة ١٥هـ، ولم تكن للروم بعدها وقعة وقد قدم كتاب عمر بن الخطاب ﷺ بعزل خالد بن الوليد وولاية أبي عبيدة بن الجراح أثناء حصار دمشق، فلم يعرفه أبو عبيدة ذلك حتى فرغوا من صلح دمشق وكتب الكتاب باسم خالد وأظهر أبو عبيدة بعد ذلك عزله[5]

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير م٢ ص٤٨٧.

(٢) مسالك الممالك للإصطخري ص٨١

(٣) الأنساب المتفقة للقيسراني ت٥٠٧ ص١٦١.

(٤) نفس المصدر ٢٨٤.

(٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير م٢ ص٤٣٢

١٥هـ وفيها أنشأ عمر بن الخطاب الديوان، وفيها كان قدوم ابن الخطاب إلى الجابية وعقده الصلح مع أهل إيليا (القدس)، وفيها فتح صيدا، وجبيل وبيروت

١٦هـ في هذه السنة:

- وضع التاريخ الهجري والتأريخ به.
- فتح غزة وسبيطية ونابلس وعمواس
- فتح المدائن عاصمة الفرس.
- هزيمة الفرس في موقعة جلولاء.
- فتح العديد من المدن في العراق.
- وفاة ماريا القبطية رحمها الله.

دخول المسلمين بيت المقدس

((روي أن المسلمين لما حاصروا بيت المقدس في السنة ١٦هـ وطال حصارهم، قال لهم أهلها: لا تتعبوا فلن يفتحها إلا رجل نحن نعرفه، له علامة عندنا، فإن كان إمامكم فيه تلك العلامة سلمناها له من غير قتال. فأرسل المسلمون إلى عمر بن الخطاب ﷺ يخبرونه بذلك، فركب عمر ﷺ على جمل، خطامه ليف ورحله، ومعه غلامه يعاقبه في الركوب نوبة بنوبة، وقد تزود شعيراً وتمراً وزيتاً، وزاده تحته، وعليه مرقعة، ولم يزل يطوي القفار الليل والنهار إلى أن قرب من بيت المقدس، فتلقاه المسلمون وعليه إزار وخفّان وعمامة، وهو آخذ برأس راحلته، يخوض الماء قد خلع خفيه وجعلها تحت إبطه، وقالوا له: يا أمير المؤمنين ما ينبغي أن يرى المشركون أمير المؤمنين في هذه الهيئة، وما زالوا به حتى ألبسوه ثوباً أبيض، وأركبوه فرساً، وفي رواية برذوناً ليرهب العدو، فلمّا أن استوى عليه ومشى به داخله شيء من العجب، فنادى بأعلى صوته: أقيلوا عُمَرَ عثرته، أقالكم الله عثرتكم. فنزل ورجع إلى مرقعته فلبسها وركب جمله ثم سار على هيئته إلى أن وصل، فلمّا رآه المشركون من أهل الكتاب كبّروا وقالوا: هذا هو!! وفتحوا له الباب، فقال: بالإيمان اعتززنا، وفي رواية: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العزّ من غيره))[1].

فتح مصر

قال ابن الأثير: قيل: في هذه السنة (٢٠هـ) فتحت مصر في قول بعضهم على يد عمرو بن العاص والإسكندرية أيضاً، وقيل فُتحت الإسكندرية سنة ٢٥هـ، وقيل فُتحت مصر سنة ١٦هـ في ربيع الأول، وبالجملة ينبغي أن يكون فتحها قبل عام الرمادة لأن عمرو بن العاص حمل الطعام في بحر القلزم من مصر إلى المدينة، وقيل غير ذلك[2].

---

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج، للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج٢ ص١٢٢٤.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير م٢ ص٥٦٤

عزل المغيرة بن شعبة عن البصرة وولاية أبي موسى الأشعري

١٧هـ قال ابن الأثير في هذه السنة عزل عمر المغيرة بن شعبة عن البصرة، واستعمل عليها أبا موسى وأمره أن يُشخص إليه المغيرة بن شعبة في ربيع الأول قال الواقدي. وكان سبب عزله أنه كان بين أبي بكرة والمغيرة بن شعبة منافرة، وكانا متجاورين بينهما طريق[١]، وفيها، اعتمر عمر ﷺ ووسع في المسجد، وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم على من أبى البيع دورهم لذلك. وكانت العمارة في رجب.

وفيها:

- زواج عمر بن الخطاب ﷺ من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ﷺ.
- فتح أرمينيا.
- فتح الأهواز (خورستان).

القحط الشديد واستسقاء عمر بالعباس ﷺ

١٨هـ قال ابن خلدون ((أصاب الناس في سنة ١٨هـ قحط شديد وجدب أعقب جوعاً بعد العهد بمثله مع طاعون أتى على جميع الناس، وحلف عمر لا يذوق السمن واللبن حتى يحيا الناس، وكتب إلى الأمراء بالأمصار يستمدُّهم لأهل المدينة فجاء أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من الطعام، وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام من مصر فرخص السعر، واستسقى عمر بالناس فخطب الناس وصلى، ثم قام وأخذ بيد العباس وتوسل به ثم بكى وجثا على ركبتيه يدعو إلى أن مطر الناس...، ولما هلك يزيد بن أبي سفيان ولَّى عمر على دمشق مكانه أخاه معاوية بن أبي سفيان، وعلى الأردن شرحبيل بن حسنة. ولما فحش أثر الطاعون بالشام أجمع عمر المسير إليه ليقسم مواريث المسلمين ويتطوف على الثغور، ففعل ذلك ورجع واستقضى في سنة ثمان))

وفاة أبي عبيدة عامر بن الجراح ﷺ في طاعون عمواس

(وفاة أمين الأمة): أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر مات في طاعون عمواس في الشام وهو أمير وكان حين توفي ابن (٥٨ سنة). قال له رسول الله ﷺ: (أنت أمين هذه الأمة). وانتزع حلق المغفر من وجه رسول الله ﷺ يوم أحد، فسقطت ثنيتاه، فلم ير أثرم قط أحسن فماً منه، وكان نحيفاً معروق الوجه خفيف اللحية طوالاً، أجنى، أشعر، آدم، يصبغ لحيته ورأسه بالحناء والكتم. وقال الهيثم بن عدي هاجر في المرتين جميعاً - إلى الحبشة - وهاجر أبو عبيدة مع النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وشهد بدراً والمشاهد كلها[٢].

---

(١) نفس المصدر ص٥٤٠

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج١١ ص٦٧.

ولاية معاوية بن أبي سفيان ﷺ على الشام

وفيها توفي يزيد بن أبي سفيان وهو على الشام في طاعون عَمْوَاس، فولّى مكانه أخاه معاوية وأقرّه عثمان من بعد عمر.

وفيها: أرسل عمر بن الخطاب ﷺ إمدادات لجيش عمرو بن العاص يقودها الزبير بن العوام، وفيها المقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت.

وفيها: معاوية يرمم حصون السواحل ويرتب فيها الحراسات

وفيها: فتح تكريت

وفاة خالد بن الوليد ﷺ بحمص

٢٠هـ قال البلاذري: حدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال: توفي خالد بن الوليد بن المغيرة بحمص سنة عشرين، وأوصى إلى عمر بن الخطاب، وكان عبدالرحمن بن خالد يلي الصوائف فيبلي ويحسن أثره[1].

٢١هـ:

- وفاة خالد بن الوليد (على الأصح).
- بناء جامع عمرو بن العاص بالفسطاط
- ولاية أبي هريرة على البحرين.

٢٢هـ

- الفتوحات في همذان والريّ وقومس وجرجان وأذربيجان.
- شق خليج أمير المؤمنين في مصر.

استشهاد عمر بن الخطاب ﷺ

٢٣هـ خرج عمر بن الخطاب لصلاة الفجر (في يوم الأربعاء ٢٥ ذو الحجة) ولما استوت الصفوف هجم عليه أبو لؤلؤة المجوسي مولى المغيرة بن شعبة وطعنه عدة طعنات بخنجر ذي رأسين، صنعه أبو لؤلؤة بنفسه لهذا الغرض وكان حداداً، فلمّا كشف عليه اثنان من الأطباء قال الأخير لعمر ﷺ بما معناه وصِّ وصيَّتك فإني لا أرى أنك تبقى للمشيَّة، فقال عمر لقد صدقني، فوصَّى عمر عدة وصايا من أهمها أنه جعل الأمر من بعده شورى في ستة أنفار من أجلَّة الصحابة وهم: علي بن أبي طالب (٤٧عاماً) وعثمان ابن عفان ﷺ (٧١عاماً) وعبدالرحمن بن عوف (٥٧عاماً) وطلحة بن عبيدالله (٥٠عاماً) والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ﷺ أجمعين.

---

(١) المصدر السابق ج٥ ص١١٨.

وكان عمر طويلاً آدم أصلع أعسرَ يَسَراً، يعمي يعمل بيديه، وكان لطوله كأنه راكب، وقيل: كان أبيض أبهق، يعني شديد البياض، تعلوه حمرة، طُوالاً أصلع أشيب، وكان يصفّر لحيته ويرجّل رأسه. وكان مولده قبل الفجار بأربع سنين، وكان عمره خمساً وخمسين سنة، وقيل ابن ستين، وقيل: ابن ثلاث وستين وأشهر، وهو الصحيح، وقيل: ابن إحدى وستين سنة[1].

مبايعة عثمان بن عفان ﷺ

٢٤هـ قال الواقدي: بويع عثمان بالخلافة أول يوم من المحرم سنة ٢٤هـ، وقتل يوم الجمعه لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥هـ بعد العصر، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حَشّ كوكب إلى جانب البقيع في موضع نخل، وكوكب رجل، فهي مقبرة بني أمية اليوم..، وقتل وهو ابن (٨٢سنة)[2].

٢٨هـ:

- **زواج عثمان بن عفان ﷺ** من نائلة بنت الفرافصة الكلبية.
- **معاوية بن أبي سفيان ﷺ** يغزو قبرص.
- **الروم يعقدون هدنة مع العرب مدتها ثلاث سنوات لقاء جزية.**

٢٩هـ وفيها تولى عبدالله بن عامر بن كريز على البصرة بدلاً من أبي موسى الأشعري، ﷺ.

- **وفاة أبي سفيان ﷺ** بالمدينة

٣٠هـ وفيها مات أبو سفيان بن حرب بالمدينة، وهو ابن (٩٣سنة)، وقد ولد قبل الفيل بعشر سنين[3] ومن مآثره (نذكر ما نقله لنا البلاذري من ذكر شهامة أبي سفيان ومروءته قبل إسلامه. ((لطم أبو جهل فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فرأت أبا سفيان فشكت إليه، فرجع معها إليه وقال: الطميه قبحه الله، فلطمته، فقال: أدركتكم المَنَافِيَّةُ يا أبا سفيان: وأخبرت فاطمة رسول الله ﷺ بما كان من أبي جهل ومن أبي سفيان فقال: **اللهمّ لا تَنْسَها لأبي سفيان**))[4] **وفي هذه السنة كان جمع القرآن ونسخه في مصاحف.**

- **سقوط خاتم النبي ﷺ** من إصبع عثمان في بئر أريس واتخاذ آخر بدلاً منه.
- **نفي أبي ذر إلى الربذة.**
- **افتتح سعيد بن العاص طبرستان**، غزاهم في جيش فيه الحسن والحسين والعبادلة الأربعة وحذيفة بن اليمان في خلق من الصحابة فسار بهم فمر على بلدان شتى يصالحونه على أموال جزيلة حتى انتهى إلى بلد معاملة جرجان فقاتلوه حتى احتاجوا إلى صلاة الخوف فسأل حذيفة كيف صلى رسول الله ﷺ فأخبره

---

(١) الكامل في التاريخ م٢ ص٤٥٣.

(٢) أنساب الأشراف ج٦ ص٢٠٥

(٣) نفس المصدر ج٥ ص١٩.

(٤) نفس المصدر ص١٤.

فصلّى كما أخبره ثم سأله أهل ذلك الحصن الأمن فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ففتحوا الحصن فقتلهم إلّا رجلاً واحداً.

وفاة أبي ذر الغفاري ﷺ في بلدة الربذة

٣١هـ قال الواقدي: صلى عليه ابن مسعود بالربذة في آخر ذي القعدة سنة ٣١هـ. وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبدمناة بن كنانة، وقيل اسمه برير ابن جنادة. وكان خامساً في الإسلام. قالوا: وكان أبو ذر رجلاً يصيب الطريق فارساً وراجلاً كأنه سبع، ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام حين سمع بالنبي ﷺ وما يدعو إليه، والنبي ﷺ يومئذ بمكة مُسْتَخْفٍ من المشركين، فتوصل إليه حتى دخل عليه وعنده أبو بكر بعد ما أسلم بيومين أو ثلاثة، قال أبو ذر: فقلت: يا محمد إلامَ تدعو؟ فقال: إلى الله وحده لا شريك له وخلع الأوثان وأني رسول الله. فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ثم قلت: إني منصرف إلى أهلي فإذا أمرت بالقتال لحقت بك، فإني أرى قومك جميعاً عليك. فقال رسول الله ﷺ: صدقت، وأصبت فانصرف. فكان أبو ذر يكون بأسفل ثنية غزال، وكان يعترض عير قريش فيأخذها، فمن شهد: الشهادة: رد عليه ماله وإلا فلا، فكان كذلك حتى هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ومضى يوم بدر ويوم أحد ثم قدم فأقام مع رسول الله ﷺ. قالوا: كان أبو ذر نحيفاً آدم، أبيض الرأس واللحية[1].

قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا ذر ماشياً على قدميه ليلحق بالجيش الذي توجه إلى غزو الروم في سنة ٩هـ والتي تسمى معركة تبوك: (يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده، ويشهده عصابةٌ من المؤمنين)[2].

وفاة عدد من أجلة الصحابة ﷺ

٣٢هـ توفي عبدالرحمن بن عوف (وهو ابن (٧٥سنة) ودفن بالبقيع وهو من العشرة المبشرين بالجنة، رحمه الله تعالى. وفيها مات عبدالله بن مسعود ﷺ وله بضع وستون سنة ودفن بالبقيع وكان نحيفاً قصيراً شديد الأدمة، يغيّر شيبه، وبكى أبا عبدالرحمن[3]، ومنهم أيضاً أبو الدرداء، وعبدالرحمن بن ربيعة الباهلي.

وفاة العباس ﷺ

وتوفي العباس في شهر رمضان ٣٢هـ وهو ابن (٨٨سنة)، وكان معتدل القناة، ودفن بالمدينة بالبقيع وصلى عليه عثمان بن عفان، وكان يقول حين نشب الناس في أمر عثمان: اللهمّ اسبق بي أمراً لا أحب أن

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ت ٢٧٩هـ ج٦ ص١٧٠ / ج١١ ص٨٧-١٢٨

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير م٢ ص٢٨٠

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ت ٢٧٩هـ ج٦ ص١٤٩.

أدركه. قال ابن عباس: كان أبي أبيض بضًا رَجْلَ الشعر، حسن اللحية في رقَّة، تامَّ القامة رحب الجبهة أهدب الأشفار أو قال أوطف، أقنى الأنف عظيم العينين سهل الحدين بادناً جسيماً، وكان قبل أن تكبر سنه ذا ضفيرتين، وكفَّ بصره قبل موته بخمس سنين، وقد كان خضب ثم ترك الخضاب[1].

ومما ننقله عن ابن الأثير قوله: كان أمير المؤمنين عمر حين أراد المسير إلى أرض فلسطين في سنة ١٦هـ واستخلف على المدينة عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه، (قال له علي: أين تخرج بنفسك؟ إنك تريد عدوًا كلباً. فقال عمر: أبادر بالجهاد قبل موت العباس، إنكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشرّ كما ينتقض الحبل. فمات العباس لستٍّ سنين من خلافة عثمان، فانتقض بالناس الشر). وقال ابن الأثير أيضاً: (ولما أراد عمر وضع الديوان قال له عليّ وعبدالرحمن بن عوف: ابدأ بنفسك. قال: لا. بل أبدأ بعمِّ رسول الله ﷺ، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض للعباس وبدأ به، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف)[2].

ولادة علي زين العابدين رضي الله عنه

٣٣هـ ولد بالمدينة الإمام علي زين العابدين بن الحسين بن علي، وقيل إن ولادته كانت في سنة ٣٥ في وقعة الجمل، وقيل سنة ٣٨هـ، وقد اختلف الناس في أمه واسمها، قال الطبراني: اسمها غزالة من بنات كسرى، وقال المبرد: اسمها سلامة من ولد يزدجرد، وقال ابن قتيبة: إنها سندية اسمها سلافة أو غزالة من سبي فارس من خيرات العجم، وقال ابن خلكان. والأصح ما قاله المجدي أنها شاه زنان بنت كسرى بن يزدجرد بن أبرويز كانت ذات عفة وفضل سيدة نسوة الفرس وبنت ملكهم. ويذكر ابن شدقم أنه توفي سنة ٩٥هـ، وله من العمر سبع وخمسون سنة، وعلى هذا يكون عمره الشريف يوم الطف ٢٨سنة[3].

الفتنة العظمى في الإسلام

٣٥هـ وفيها كان مسير أهل الأمصار إلى عثمان رضي الله عنه في المدينة. أظهروا أنهم يريدون البصرة وكان خروجهم في رجب[4]. بعد حصارهم لبيته تسللوا وهجموا عليه وقتلوه ظلماً وعدواناً.

تعتبر حادثة مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه من الحوادث الأليمة والفظيعة في الإسلام، فلم يأتِ على الإسلام شرّ بمثل ما أتت هذه الحادثة من تبعات سيئة لها إلى يومنا هذا، لأن المسلمين

(١) المصدر السابق ج١٠ ص٣٧-٣٩ // ج٤ ص٣٠-٢٩

(٢) الكامل في التاريخ ص٥٠٠، ٥٠٢

(٣) تحفة الأزهار لضامن بن شدقم ج٢ ص١٥٤، ١٣٥. سنة الطف هي ٦١هـ، فإذا قيل عمره حين وفاته في سنة (٩٥هـ) كان ٥٧سنة، فإن عمره يوم الطف يكون ٢٣سنة وليس ٢٨، لكن اذا قلنا إنه ولد في سنة ٣٣هـ فعمره بالطف يكون ٢٨سنة. والله أعلم.

(٤) أنساب الأشراف ج٦ ص١٧٦.

انقسموا لأول مرة وتحاربوا فيما بينهم وتناحروا، وكأن الله يعاقبهم على ما اقترفت أيديهم من قتل خليفتهم

فقد حوصر هذا الخليفة المظلوم في بيته وهو لا يريد قتالاً، وهجموا عليه في بيته وهو يتلو القرآن وقتلوه، والمصيبة أنهم قتلوه وهم بقتله فرحون ومفتخرون، فلا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لو أن الذين قتلوا ذا النورين زوج ابنتي رسول الله ﷺ ومجهز جيش العسرة رأوا ما عليه الحكام بعده من العتوّ والفجور وظلم الرعية لترحموا عليه وعلى أيامه ألف رحمة ولندموا ألف مرة وتحسَّروا على ما صنعت أيديهم من فتنة لا تزال آثارها باقية بشكل سلبيّ

قال الواقدي: وكان عثمان رجلاً ليس بالقصير ولا الطويل، حسن الوجه رقيق البشرة كبير اللحية عظيمها أسمر اللون عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس يصفر لحيته، وكان يشد أسنانه بالذهب .. وقال جرير بن حازم: كان رجلاً مربوعاً حسن الشعر والوجه أصلع أروح الرجلين[1]

مبايعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

ولما قتل عثمان جعل الناس يبايعون عليًّ، فجاء طلحة فقال له علي: هات يدك أبايعك. فقال له طلحة: أنت أحق بها مني. وقد بايع الناس عليًّ يوم السبت لتسع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة[2] سنة ٣٥ هـ.

يوم الجمل ويوم صفين

٣٦هـ يوم الجمل هو يوم الخميس لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة[3] ويوم صفين حين نزل علي بن أبي طالب لليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ٣٦هـ، فغلب وأصحابه على الماء، فأمر رضي الله تعالى عنه أصحابه أن لا يمنعوا أصحاب معاوية - ﷺ - الماء فجعل السقاة يزدحمون عليه.

ويقال: إن معاوية ﷺ لما رأى شدة قتالهم على تلك الشريعة أرسل إلى أصحابه أن خلّوا عن الماء ليشربوا وتشربوا. فلمّا أهلّ هلال صفر سنة ٣٧هـ، أمر علي - كرّم الله وجهه - فنودي في أهل الشام بالإعذار إليهم، وحرض الناس وأوصاهم يغضوا الأبصار ويخفضوا الأصوات، ويقلّوا الكلام، ويوطنوا أنفسهم على المجالدة والمنازلة ويستشعروا بالصبر[4]. وبعد الجمل وصفين[5] كانت وقعة النهروان في

---

(١) المصدر نفسه ص٢٠٧-٢١٠

(٢) المصدر السابق ج٣ ص١٦ / ج٦ ص٢٠٦.

(٣) المصدر السابق ج٩ ص٤٣٢.

(٤) المصدر السابق ج٣ ص٨٣، ٨٤، كلما أردت أن أكتب عن الأحداث الكبيرة في الإسلام مثل يوم الجمل وصفين كنت مختصراً لها، لما فيها من المآسي التي وقعت بين أجلة الصحابة ﷺ، وتلك جراح لا تعيش عليها غير الجراثيم، التي تبحث دائماً عن موضع الألم في الجسد، ليس لتداويه وتطهره بل لتعدى عليه..

(٥) صفين تقع: في جهة الغرب بمسافة ٢٠كم تقريباً من منطقة الرقة السورية..

المحرم من سنة ٣٨هـ حينما سار علي ﷺ إلى الخوارج فدعاهم، فاعتزل بعضهم فلم يقاتلوه، وبقي الآخرون فقاتلهم بالنهروان فقتلوا لتسع خلون من صفر[١]. وكان مع أمير المؤمنين – علي – ﷺ من صرة في يوم صفين أربعة آلاف مدرع[٢].

المؤامرة الكبرى، مقتل علي ومبايعة الحسين ﷺ

٤٠هـ قال البلاذري: تآمر أشخاص على قتل عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص زاعمين الرغبة في تخليص المسلمين من المشاكل التي تسبب بها هؤلاء المذكورون. فأما صاحب علي فقتله حين خرج لصلاة الصبح، وأما صاحب معاوية فطعنه وهو دارع فلم يضره وأما عمرو بن العاص فخرج أمامه خارجة ابن أبي خارجة من بني عدي بن كعب، فظن الرجل أنه عمرو بن العاص، فشد عليه فقتله، ورجع عمرو وراءه.

فلمّا قتل علي تداعى أهل الشام إلى بيعة معاوية، فقال عبدالرحمن بن خالد بن الوليد: نحن المؤمنون ومعاوية أميرنا وهو أمير المؤمنين، فبايع له أهل الشام وهو بإيليا لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة أربعين، فكان بين قتل عثمان وبيعة الناس لمعاوية أربع سنين وشهرين وسبع عشرة ليلة. وقيل: ضرب البرك معاوية وهو ساجد، فمذ ذلك جعل الحرس يقومون على رؤوس الخلفاء في الصلاة، اتخذ معاوية المقصورة. وروى بعضهم أن معاوية لم يولد بعد هذه الضربة[٣].

جاء – ابن ملجم – ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٤٠هـ، وهذا الثبت...، وكانت تلك الليلة الميعاد الذي ضربه وصاحبه في قتل علي ومعاوية وعمرو... وقالوا: مكث علي يوم الجمعة ويوم السبت وتوفي ليلة الأحد، لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان. قتل وعمره ثلاث وستون سنة[٤].

وكانت صفة علي كرم الله وجهه: آدم شديد الأدمة، ثقيل العينين، ضخم البطن، أصلع ذا عضلات ومناكب، في أذنيه شعر قد خرج من أذنه، وكان إلى القصر أقرب[٥].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة، إذ ضرب رسول الله ﷺ منكب علي فقال: (علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى) خرجه ابن السمان[٦]. وعن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال لعلي: (أنت

---

(١) المصدر السابق ص١٣٦.

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لـ محمد بن صالح بن الحسن العصامي الصنعاني ت١٢٦٣هـ تحقيق محمد الأكوع ط١ ص٢٥٤.

(٣) أنساب الأشراف ج٣ ص٢٥٢.

(٤) المصدر نفسه ص٢٥٣–٢٥٧–٢٥٨.

(٥) نفس المصدر ص٢٥٤.

(٦) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي لعبدالملك بن حسين الشافعي العاصمي المكي ت١١١١هـ دار =

متي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي). أخرجه البخاري ومسلم. وعن أنس ﷺ قال: كان عنده ﷺ طير أهدي إليه، وكان مما يعجبه أكله فقال: (اللهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي فأكل معه). خرجه الترمذي والبغوي في المصابيح[1]

وبعد مقتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بويع ابنه الحسن بالخلافة.

عام الجماعة ومبايعة معاوية ﷺ

قال البلاذري: حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا وهب بن جرير عن جعدبة عن صالح بن كيسان قال: لما قتل علي بن أبي طالب، وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة، سار معاوية بالناس إلى العراق وسار الحسن بن علي بمن معه من أهل الكوفة، ووجه عبيدالله بن العباس وقيس بن سعد بن عبادة في جيش عظيم حتى نزلوا مسكن من أرض العراق، وقد رقَّ أمر الحسن، وتواكل عنه أهل العراق، فوثبوا عليه فانتُزع رداؤه عن ظهره، وأخذ بساطه من تحته، وخرق سرادقه. فأرسل عبيدالله بن عباس إلى عبدالله بن عامر يأمره أن يأتيه إذا أمسى بأفراس حتى يصير إلى معاوية فيصالحه ففعل، فلحق عبيدالله بمعاوية وترك جنده لا أمير لهم، وفيهم قيس بن سعد فقام بأمر أولئك الجند، وجعل معاوية يرسل إليه أربعين ليلة يسأله أن يبايعه فيأبى حتى أراد معاوية قتاله، فقال له عمرو بن العاص: إنك لن تخلص إلى قتل هؤلاء حتى تقتل أعدادهم من أهل الشام، فصار إلى أن أعطاه ما أراد من الشروط لنفسه ولشيعته، ثم دخل قيس في الجماعة ومن معه وبايعه[2]. وقد بويع الحسن في شهر رمضان سنة أربعين، وصالح معاوية في شهر ربيع الآخر سنة ٤١هـ، فكان أمره ستة أشهر وأياماً[3]

روي عن أبي نعيم في حليته يرفع سنده إلى أبي بكر قال: إن رسول الله ﷺ قام ذات يوم يصلي فجاء سبطه الحسن وهو ساجد فركب على ظهره ورقبته فقال رسول الله ﷺ: (إن هذا ريحانتي، والله إن ابني هذا سيد عسى الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[4] وكان عمر الحسن لما بويع ٣٧سنة[5]

وفاة عمرو بن العاص ﷺ

٤٣هـ في هذه السنة توفي عمرو بن العاص، ولم يبلغ الثمانين من عمره وكان أكبر من عمر بن الخطاب بخمس سنين وهذا الأصح، وفي رواية أخرى قيل إنه توفي بمصر سنة ٥٢هـ يوم الفطر، وهو ابن (٩٣سنة) وقيل: مات وله (٨٨سنة) والله أعلم[6]

= الكتب العلمية بيروت ط١/١٩٩٨م تحقيق الشيخين عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض م٣ ص٢٧

(١) المصدر نفسه ص٢٩

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٢٩٢.

(٣) المصدر السابق ج٣ ص٢٩٥

(٤) تحفة الأزهار لضامن بن شدقم ج١ ص١٢٦ = راجع صحيح البخاري: الفتن٢٥.

(٥) المصدر السابق راجع هامش ج١ ص١٤٥

(٦) المصدر نفسه ص٢٧٩.

٤٤هـ وفاة أبي موسى الأشعري، وعتبة بن أبي سفيان، وأم حبيبة بنت أبي سفيان رحمهم الله جميعاً.

ولاية زياد بن أبي سفيان على البصرة وغيرها

٤٥هـ قال ابن خلدون: معاوية عزل الحارث بن عَبْد الله الأزدي عن البصرة وولى عليها زياداً سنة ٤٥هـ وجمع له خراسان وسجستان. ثم جمع له السند والبحرين وعمان، وقدم البصرة فخطب خطبته البتراء وهي معروفة. وإنما سميت البتراء لأنه لم يفتتحها بالحمد والثناء، فحذرهم في خطبته ما كانوا عليه من الانهماك في الشهوات والاسترسال في الفسق والضلال، وانطلاق أيدي السفهاء على الجنايات، وانتهاك الحرم وهم يدنون منهم، فأطال في ذلك عنفهم ووبخهم وعرفهم ما يجب عليهم من الطاعة من المناصحة والانقياد للأمة ....، فجرد السيف وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة، وخافه السفهاء والذّعار، وأمن الناس على أنفسهم ومتاعهم، حتى كان الشيء يسقط من يد الإنسان فلا يتعرض له أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه، ولا يغلق أحد بابه، وأدرّ العطاء واستكثر من الشرط فبلغوا أربعة آلاف....، وجعل معه رجالاً على الجباية منهم أسلم بن زرعة الكلابي.

وفاة الحسن ﷺ بالمدينة المنورة

يذكر ابن خلدون أن الحسن بن علي ﷺ توفي سنة ٤٩هـ بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع، وذكر أبو الفرج الأصبهاني أنه توفي سنة ٥١هـ على فراشه بالمدينة، وتجتمع كل الروايات على أن العقب منه في رجلين فقط هما: زيد والحسن المثنى[1]

٥٠هـ وفاة المغيرة بن شعبة الثقفي ﷺ النبي ولاه معاوية الكوفة بالطاعون سنة ٥٠هـ رحمه الله[2]
وجمع معاوية لزياد الكوفة والبصرة في سنة ٥٠هـ فكان يخلف سمرة بن جندب الفزاري حليف الأنصار بالبصرة إذا خرج إلى الكوفة ويخلفه بالكوفة إذا خرج إلى البصرة عمرو ابن حريث المخزومي، وكان يقيم بالبصرة ستة أشهر وبالكوفة ستة أشهر[3].

وفاة زياد

٥٣هـ في رمضان: قال ابن خلدون مات زياد بن أبيه بطاعون أصابه في يمينه، يقال بدعوة ابن عمر، وذلك أن زياداً كتب إلى معاوية أني ضبطت العراق بشمالي ويميني فارغة فاشغلها بالحجاز، فكتب له عهده بذلك، وخاف أهل الحجاز وأتوا عَبْد الله بن عمر يدعو لهم الله أن يكفيهم ذلك، فاستقبل القبلة ودعا معهم وكان من دعائه. اللهمَّ اكفه، ثم كان الطاعون فأصيب في يمينه ولما مات استخلف على

---

(١) سمط النجوم العوالي م٣ ص١٠٣.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج١٣ ص٣٤٤.

(٣) المصدر نفسه ج٥ ص٢١٩.

الكوفة عَبْد الله بن خالد بن أُسيد، وكان خليفته على البصرة عَبْد الله بن عمر بن غيلان، وعزل بعد ذلك عَبْد الله بن خالد عن الكوفة وولى عليها الضحاك بن قيس.

ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة

٥٤هـ الضحاك بن قيس بن خالد الفهري ولاه معاوية بن أبي سفيان ﷺ الكوفة بعد زياد، وعزله سنة ٥٧هـ[١]، وقيل كانت التولية سنة ٥٥هـ، والعزل سنة ٥٨هـ.

وفي هذه السنة: تولى مروان بن الحكم على المدينة.

٥٥هـ وفاة سعد بن أبي وقاص.

وفيها قتل توبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية.

وفاة ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر

٥٨هـ توفيت أم المؤمنين عائشة ﵂[٢]

وفاة معاوية بن ابي سفيان ﷺ

٦٠هـ مات معاوية بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين وصلى عليه الضحاك بن قيس وهو ابن (٧٣سنة) ويقال ابن (٨٠سنة). وكانت له بنت يقال لها عاتكة تزوجها يزيد بن عبدالملك. ويزيد بن معاوية وأمه ميسون ابنة بحدل الكلبية[٣].

كان أبيض جميلاً، إذا ضحك انقلبت شفته العليا، وكان يخضب بالصفرة. وقال معاوية بن صالح، عن العرباض بن سارية: سمعت رسول الله ﷺ وهو يدعونا إلى السحور: (اللهمَّ علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب) رواه أحمد في مسنده[٤].

خلافة يزيد بن معاوية بن ابي سفيان

بعد وفاة معاوية رحمه الله تولى الخلافة ابنه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن (عبد مناف) أمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة أحد بني حارثة بن جناب، وكنيته أبو خالد. وكان آدم جعداً مهضوماً، أحور العين، بوجهه آثار جدري حسن اللحية خفيفها[٥].

---

(١) المصدر نفسه ج١١ ص٤٦.

(٢) المصدر نفسه ج٥ ص١٥٣.

(٣) العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي ت٣٢٨ ج٥ ص١٠٤

(٤) سمط النجوم العوالي م٣ ص١٥٥.

(٥) العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي ج٥ ص١١٧.

قال العاصمي يصف الحالة التي كان عليها يزيد عندما بلغه نبأ وفاة أبيه معاوية ﷺ: فإذا بيزيد في ركب مع أخواله من بني كلب وهو على بختيّ له وربطة مثنية في عنقه، ليس عليه سيف ولا عمامة، وقد كان ضخماً سميناً قد كثر شعره وشعث، فأقبل الناس يسلمون عليه ويعزّونه وهو ترى فيه الكآبة والحزن وخفض الصوت والناس يعيبون ذلك منه، ويقولون: هذا الأعرابي الأمّيّ(*) ولي أمر الناس، والله سائل عنه، فسار، فقلنا: يدخل من باب توما، فلم يدخل ومضى إلى باب شرقي، فلم يدخل منه وأجازه، ثم جاز باب كيسان إلى باب الصغير فلمّا وافاه أناخ ونزل ومشى الضحاك بين يديه إلى قبر معاوية فصففنا خلفه وكبر أربعاً، فلمّا خرج من المقبرة أتي ببغلة، فركبها إلى الخضراء ثم نودي: الصلاة جامعة لصلاة الظهر، فاغتسل ولبس ثياباً نقية ثم جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وذكر موت أبيه وقال: إنه كان يغزيكم البحر والبرّ ولست حاملاً أحداً من المسلمين في البحر. وإنه كان يشتيكم بأرض الروم ولست مشتياً أحداً بها، وإنه يخرج لكم العطاء ثلاثاً وأنا أجمعه لكم كله. قال: فافترقوا وما يفضلون عليه أحداً[1]

استشهاد الحسين بن علي ﷺ

٦١هـ استشهد الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن (عبدمناف) يوم الجمعة يوم عاشوراء بالطفّ من شاطئ الفرات بموضع يدعى كربلاء، وهو ابن (٥٦سنة)، وهو صابغ بالسواد، قتله سنان بن أبي أنس وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير، وحزّ رأسه وأتى به إلى عبيدالله وهو يقول:

أنا قتلت الملك المحجّبا ... خير عباد الله أمّاً وأبا

فقال له عبيدالله بن زياد - وكان يحكم العراق -: إذا كان خير الناس أمّاً وأباً وخير عباد الله، فلم قتلته؟ قدموه فاضربوا عنقه! فضربت عنقه[2].

قلوب الناس مع من تحب وسيوفهم مع من تهاب

ولما صار الحسين إلى الصفاح - بين حنين وأنصاب الحرم - لقيه الفرزدق بن غالب الشاعر فسأله عن أمر الناس وراءه فقال له الفرزدق: الخبير سألت، إن قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء من السماء، والله يفعل ما يشاء. فقال له الحسين: صدقت[3].

(*) يزيد لم يكن أمّياً، وهذه رواية متحاملة.

(١) سمط النجوم العوالي م٣ ص١٦٣.

(٢) العقد الفريد ج٥ ص١٢٢.

(٣) أنساب الأشراف ج٣ ص٣٧٦.

رغبة الحسين بالعودة ورفض ابن زياد

((تواقف الحسين وعمر بن سعد بن أبي وقاص حلوين فقال الحسين: اختاروا مني الرجوع إلى المكان الذي أقبلت منه أو أن أضع يدي في يد يزيد فهو ابن عمي ليرى رأيه فيّ، وإما أن تُسيروني إلى ثغر من ثغور المسلمين فأكون رجلاً من أهله لي ما له وعليّ ما عليه. ويقال إنه لم يسأله إلا أن يشخص إلى المدينة فقط. فكتب عمر بن سعد إلى عبيدالله بن زياد بما سأل فأراد عبيدالله أن يجيبه إلى ذلك، فقال له شمر بن ذي الجوشن الكلابي ثم الضبابي: لا تقبلنّ منه إلا أن يضع يده في يدك فإنه إن لم يفعل ذلك كان أولى بالقوة والعز، وكنت أولى بالضعف والعجز فلا ترض إلا نزوله على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت كان ذلك لك وإن عفوت كنت أولى بما تفعله، لقد بلغني أن حسيناً وعمر يجلسان ناحية من العسكر يتناجيان ويتحادثان عامة الليل، فقال ابن زياد: نعم ما رأيت. فاخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا ابعث بهم إليّ سلْماً، وإن هم أبوا قاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطعه، وإن أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الناس، وثب عليه فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.... فلمّا أوصل شمر الكتاب إليه قال عمر: يا أبرص ويلك لا قرب الله دارك ولا سهل محلتك، وقبحك وقبح ما قدمت له، والله إني لأظنك ثنيته عن قبول ما كتبت به إليه.

فقال له شمر: أتمضي لأمر الأمير وإلا فخلِّ بيني وبين العسكر وأمر الناس، فقال عمر: لا ولا كرامة، ولكني أتولى الأمر. قال: فدونك. فجعل عمر شمراً على الرجال ونهض بالناس عشية الجمعة، ووقف شمر فقال: أين بنو أختنا يعني: (العباس وعبدالله وجعفر وعثمان) بني علي بن أبي طالب، وأمهم أم البنين بنت حزام بن ربيعة الكلابي الشاعر، فخرجوا إليه، فقال: لكم الأمان، فقالوا: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن بنت رسول الله لا أمان له؟ ثم إن عمر بن سعد نادى: يا خيل الله اركبي وابشري، فركب في الناس وزحف نحو الحسين وأصحابه بعد صلاة العصر والحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه، فقال العباس بن علي: يا أخي، أتاك القوم، فنهض فقال: يا عباس اركب، بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم: ما بدا لكم وما تريدون؟ فأتاهم العباس في عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب ابن مظاهر، فسألوهم عن أمرهم فقالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو نناجزكم فانصرف العباس وحده راجعاً فأخبر الحسين بقولهم، وقال لهم حبيب بن مظاهر: والله لبئس القوم عند الله قوم قتلوا ذرية نبيهم وعترته وعباد أهل المصر. فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكي نفسك. وقال عزرة لزهير بن القين: كنت عندنا عثمانياً فما بالك؟ فقال: والله ما كتبت إلى الحسين ولا أرسلت إليه رسولاً ولكن الطريق جمعني وإياه فلمّا رأيته ذكرت به رسول الله ﷺ، وعرفت ما تقدم عليه من غدركم ونكثكم وميلكم إلى الدنيا، فرأيت أن أنصره وأكون في حزبه حفظاً لما ضيعتم من حق رسول الله ﷺ. فبعث الحسين إليهم يسألهم أن ينصرفوا عنه عشيتهم حتى ينظر في أمره، وإنما أراد أن يوصي أهله ويتقدم إليهم فيما يريد))[1].

ومن حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: كان عندي النبي ﷺ ومعي الحسين، فدنا من النبي ﷺ

(١) المصدر نفسه ص٣٩١

فأخذته فبكى فتركته، فدنا منه، فأخذته، فبكى فتركته، فقال له جبريل: أتحبه يا محمد؟ قال: نعم! قال: أما إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها! فبسط جناحه، فأراه منها، فبكى النبي ﷺ[1].

بدء أمر التوابين

في آخرها: كان ابتداء أمر التوابين بزعامة سليمان بن صرد للمطالبة بدم الحسين، فكانوا يتداعون ويستعدون ويرتأون[2].

٦٢هـ التوابون يعلنون الثورة للمطالبة بدم الحسين.

ثورة المدينة المنورة

وفيها (٦٢هـ): أهل المدينة يعلنون خلع يزيد بن معاوية، ويحاصرون بني أمية في دورهم، ويطردون عثمان بن محمد عامل يزيد على المدينة.

وقعة الحرة

في ذي الحجة من سنة ٦٣هـ كانت ((وقعة الحرة الشهيرة)) عندما أمر يزيد بن معاوية بقتال أهل المدينة، وسببها هو ما ذكره الإمام ابن الجوزي قال: ((لما دخلت سنة ٦٢هـ ولى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة، فبعث إلى يزيد وفداً من المدينة، فلمّا رجع الوفد أظهروا شتم يزيد وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويلعب بالكلاب، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه. وقال المنذر: أما والله لقد أجازني مائة ألف درهم، ولا يمنعني ما صنع أن أصدقكم عنه، والله إنه يشرب الخمر، وإنه يسكر حتى يدع الصلاة، ثم بايعوا لعبدالله بن حنظلة الغسيل، وأخرجوا عثمان بن محمد عامل يزيد، وكان ابن حنظلة يقول: يا قوم ما خرجنا على يزيد حتى خفت أن نرمى بالحجارة من السماء، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاء حسناً))[3]

وقال ابن الجوزي: قال أبو الحسن المدائني – وكان من الثقات –: أتى أهل المدينة المنبر فخلعوا يزيد، فقال عبدالله بن أبي عمرو بن حفص المخزومي: قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي، ونزعها عن رأسه، إني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي، ولكن عدو الله سكير. وقال آخر: قد خلعته كما خلعت نعلي، حتى كثرت العمائم والنعال. ثم ولوا على قريش عبدالله بن مطيع، وعلى الأنصار عبدالله بن حنظلة. ثم حاصر القوم من كان بالمدينة من بني أمية في دار مروان. فكتب مروان ومن معه إلى يزيد: إنا قد حصرنا ومنعنا العذب، فيا غوثاه. فوصل الكتاب إليه، فبعث إلى مسلم بن عقبة – وهو شيخ كبير –

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ ص١٢٥

(٢) أنساب الأشراف ج٦ ص٣٦٦.

(٣) وفاء الوفا ص١٢٧.

فجاء حتى دخل عليه وقال له: اخرج وسر بالناس، فخرج مناديه فنادى: أن تسيروا إلى الحجاز على أخذ أعطياتكم كملاً ومعونة مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته. فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل، وكتب يزيد إلى ابن مرجانة (عبيدالله بن زياد بن أبيه) أن اغز ابن الزبير، فقال: لا والله لا أجمعها للفاسق أبداً قتل ابن رسول الله ﷺ وإغزاء البيت. وقال يزيد لمسلم: إن حدث بك حادث فاستخلف حصين بن نمير السكوني. وقال له: ادع القوم ثلاثاً، فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، وإذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً بما فيها من مال أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عنهم وانظر علي بن الحسين فاستوص به، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه، فممّا بلغ أهل المدينة إقبال الحصين وثبوا على من كان محصوراً من بني أمية، وقالوا: لا نكفّ عنكم حتى نضرب أعناقكم أو تعطون عهد الله وميثاقه ألا تبغوا غائلة، ولا تدلوا لنا على عورة، ولا تظاهروا علينا عدوًّا، فأعطوهم العهد على ذلك. فأخرجوهم من المدينة، فخرجوا حتى لقوا مسلم بن عقبة، وأرسل إليه مروان ابنه عبدالملك فأشار عليه أن يأتيهم من ناحية الحرة، وأن ينتظرهم ثلاثاً ففعل، فلمّا مضت الثلاث قال: يا أهل المدينة، ما تصنعون؟ قالوا نحارب، قال: لا تفعلوا وادخلوا في الطاعة، قالوا: لا نفعل، وكانوا قد اتخذوا خندقاً، فنزل منهم جماعة، وحمل ابن الغسيل على الخيل حتى كشفهم وقاتلوا قتالاً شديداً، وجعل مسلم يحرض أصحابه، وكان به مرض، فنصب له سرير بين الصفين وقال: قاتلوا عن أميركم، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً..[1]

توجه الجيش الأموي من المدينة المنورة إلى مكة المشرفة

قال ابن الجوزي: لما دخلت سنة ٦٤هـ وقد فرغ مسلم من قتال أهل المدينة سار متوجهاً إلى مكة واستخلف على المدينة روح بن زنباع وسار إلى ابن الزبير فمات في الطريق[2]. وقال القرطبي أهلكه الله منصرفه عن المدينة ابتلاه الله بالماء الأصفر (في بطنه) فمات بقديد. وقال الطبري: مات بهرشى بعد الوقعة بثلاث ليال، وكان لحماقته المفرطة يقول عند موته: اللهمَّ إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله أحب إليَّ من قتال أهل المدينة، ولئن دخلت النار بعدها إني لشقي[3].

ولاية حصين بن نمير على الجيش الأموي

((ولما انقضى أمر الحرة توجه مسلم بن عقبة بمن معه من أهل الشام إلى مكة يريد ابن الزبير وهو ثقيل، فلمّا كان بالأبواء حضره أجله، فدعا حصين بن نمير فقال له: إني أرسلت إليك، فلا أدري أقدمك على هذا الجيش أو أقدمك فأضرب عنقك! قال: أصلحك الله، أنا سهمك، فارم بي حيث شئت. قال: إنك أعرابي جلف جاف وإن هذا الحي من قريش لم يمكنهم أحد قط من أذنه إلا غلبوه على رأيه، فسر

(١) المصدر السابق ص١٢٧، وقعة الحرة مشهورة ومذكورة في الكتب وقد توقفنا عن ذكر بقية الخبر لفظاعته، ولأنه من المواضيع التي تحتاج إلى تحقيق وتدقيق، لذا تركه أسلم.

(٢) المصدر نفسه ص١٣٦.

(٣) المصدر نفسه ١٣٣

بهذا الجيش فإذا لقيت القوم فإياك أن تمكنهم من أذنك لا يكن إلا على الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف.
ومات مسلم بن عقبة لا رحمه الله، ومضى حصين بن نمير بجيشه ذلك، فلم يزل محاصراً لأهل مكة حتى مات يزيد وذلك خمسون يوماً ونصب المجانيق على الكعبة وأحرقها يوم الثلاثاء لخمس خلون من ربيع الأول سنة ٦٤هـ وفيها مات يزيد بن معاوية))[١].

وفاة يزيد بن معاوية

وكان بين الحرة وبين موته ثلاثة أشهر، وقال القرطبي: دون ثلاثة أشهر، لأنه توفي بالذبحة وذات الجنب في نصف ربيع الأول، فلقد ذاب ذوب الرصاص واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام، فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته فنكس عنها، فقال لهم بنو أمية: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام، ففعلوا، ومضى ذلك الجيش حتى دخلوا الشام[٢] وقد مات يزيد ابن معاوية بحوارين من بلاد حمص، وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد ليلة البدر في شهر ربيع الأول. ومات وهو ابن (٣٨سنة)[٣].

خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية (٤٠يوماً)

استخلف معاوية بن يزيد بن معاوية وهو ابن (٢١سنة)، ومات بعد أبيه بأربعين يوماً. ولم يزل مريضاً طول ولايته، لا يخرج من بيته وحين حضرته الوفاة قيل له: لو عهدت إلى رجل من أهل بيتك واستخلفت

---

(١) العقد الفريد ج٥ ص١٣١. (٢) وفاء الوفا ص١٣٧

(٣) وكان يزيد رحمه الله إلى جانب حزمه وعزمه وشدته في التحكيم، كان يتمتع بحصيلة الأدب والشعر، مما يدلّ على رقة أحاسيسه، ومما ينسب إليه هذه القصيدة التي تعتبر من عيون الشعر العربي

مدت مواشطها من كفها شركاً ... تصيد به قلبي من داخل الجسد
إنسية لو رأتها الشمس ما طلعت ... من بعد رؤيتها يوماً على أحد
سألتها الوصل قالت لا تغر بنا ... من رام منا وصالاً مات بالكمد
فكم قتيل لنا بالحب مات جوًى ... من الغرام ولم يبدئ ولم يعد
فقلت أستغفر الرحمن من زللٍ ... إن المحبّ قليل الصبر والجلد
قد خلفتني طريحاً وهي قائلة ... تأملوا كيف فعل الظبي بالأسد
قالت: لطيف خيال زارني ومضى ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال: خلفته لو مات من ظمأ ... وقلت: قف عن ورود الماء لم يرد
قالت: صدقت الوفا في الحب شيمته ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي
واسترجعت سألت عني فقيل لها ... ما فيه من رمقٍ دقت يداً بيدِ
وأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت ... ورداً وعضّت على العُنّاب بالبَرَدِ
وأنشدت بلسان الحال قائلة ... من غير كره ولا مطل ولا مدد
والله ما حزنت أخت لفقد أخٍ ... حزني عليه ولا أمٌ على ولد
إن يحسدوني على موتي فوا أسفي ... حتى على الموت لا أخلو من الحسد

خليفة! قال: لم أنتفع بها حيًّا فلا أتقلدها ميتاً، لا يذهب بنو أمية بحلاوتها وأتجرع مرارتها، ولكن إذا مت فليصلِّ عليَّ الوليد بن عتبة، وليصلِّ بالناس الضحاكُ بن قيس. حتى يختار الناس لأنفسهم[1]

ثلاثة رجال يطلبون الخلافة

كان (مروان بن الحكم بن أبي العاص) بالشام فهمَّ بالمسير إلى المدينة لمبايعة (ابن الزبير) ويأخذ منه الأمان لبني أمية فقدم عليه عبيد الله بن زياد فقال له: ((استحييت لك من هذا الفعل إذ أصبحت شيخ قريش المشار إليه وتبايع عبدالله بن الزبير وأنت أولى بهذا الأمر منه)). فقال له: لم يفت شيء. وقال ابن زياد: إنما ينظر الناس إلى هذا الغلام يعني خالد بن يزيد بن معاوية فتزوج أمه فيكون في حجرك، ففعل مروان ذلك، ووعدها أن يولي ابنها عهده فتزوج أم خالد وهي فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ولقبها حبّة لقصرها - وجمع بني أمية فبايعوه بالإمرة عليهم وبايعه مواليهم وأتباعهم وبايعه أهل تدمر ثم سار بجمع عظيم إلى الضحاك وهو يومئذ بدمشق، فلمّا بلغه خروج مروان إليه خرج بمن معه من أهل دمشق وغيرهم وفيهم زفر بن الحارث فاقتتلوا بمرج راهط..[2].

دعوة كلب لخالد بن يزيد

قال حسان: يا أهل الأردن قد علمتم أن ابن الزبير في شقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله ومفارقة لجماعة المسلمين، فانظروا رجلاً من (بني حرب) - بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف - فبايعوه فقالوا: اختر لنا ما شئت من بني حرب وجنبنا هذين الغلامين عبدالله وخالد ابني يزيد بن معاوية، فإنا نكره أن يدعو الناس إلى شيخ ونحن ندعو إلى صبيّ، وكان هوى حسان في خالد بن يزيد وكان ابن أخته فلمّا رموه بهذا الكلام أمسك وكتب إلى الضحاك بن قيس الفهري كتاباً .. وقال لرسوله اقرأ الكتاب على الضحاك بمحضر بني أمية وجماعة الناس. فلمّا قرأ كتاب حسان تكلم الناس فصاروا فرقتين، فصارت اليمانية مع بني أمية والقيسية زبيرية ثم اجتلدوا بالنعال ومشى بعضهم إلى بعض بالسيوف حتى حجز بينهم خالد بن يزيد، ودخل الضحاك دار الإمارة فلم يخرج ثلاثة أيام

دعوة قيس عيلان لابن الزبير

وخرج الضحاك بن قيس إلى مسجد دمشق فجلس فيه، فوقع في يزيد بن معاوية فقام إليه شابٌ من كلب بعصاً فضربه بها والناس جلوس في الحلق وعليهم سيوفهم، فقام بعضهم إلى بعض فاقتتلوا، وقيس تدعو إلى ابن الزبير ونصرة الضحاك، وكلب تدعو بني أمية ونصرة خالد بن يزيد .، ودخل الضحاك دار الإمارة ولم يخرج لصلاة الفجر، وبعث إلى بني أمية يعتذر إليهم وقال: لم يقم منكم قائم وكتب اليَّ هذا الرجل فولاّني..[3].

---

(1) العقد الفريد ج٥ ص١٣٢

(2) أنساب الأشراف ج٦ ص٢٧٥.

(3) المصدر نفسه ص٢٦٥

مبايعة الضحاك أمير دمشق لابن الزبير سرّاً

عبيدالله بن زياد بن أبي سفيان لما أخرجه أهل البصرة بعد موت يزيد بن معاوية قدم دمشق وعليها الضحاك بن قيس بن خالد الفهري عاملاً لعبدالله بن الزبير، وقد ثار زفر بن الحارث الكلابي بقنسرين يبايع لابن الزبير، والنعمان بن بشير بحمص على طاعته، وكان حسان بن مالك بن بحدل عاملاً ليزيد بن معاوية على فلسطين[1].

وكان الضحاك بدمشق يبايع الناس لابن الزبير سرّاً خوفاً من بني أمية وكلب، فكتب إليه ابن بحدل كتاباً يشتم فيه ابن الزبير ويعظم له حق بني أمية ويذكر إحسانهم إليه[2].

خروج الضحاك عن صمته وإعلانه البيعة لابن الزبير

جاء ثور بن معن بن يزيد السلمي ويقال معن بن يزيد بن الأخنس نفسه إلى الضحاك فقال له: عجباً لك! دعوتنا إلى طاعة رجل فبايعناك، ثم أنت الآن تسير إلى هذا الأعرابي - حسان بن مالك بن بحدل - من كلب ليستخلف ابن أخته خالد بن يزيد وهو صبي غُمر قال الضحاك: فما الرأي؟ قال: أن تظهر ما كنا نستره من بيعة ابن الزبير .. فخرج الضحاك بمن معه وعطفهم وأقبل حتى نزل مرج راهط وأظهر بيعة ابن الزبير، وخلع بني أمية[3].

مبايعة الأمويين وكلب لمروان فقال خالد: أمر دُبّر بليل

((لما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الشام كلهم ابن الزبير إلا أهل الأردنّ وبايع أهل مصر أيضاً ابن الزبير، واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس الفهري على أهل الشام. فلمّا رأى ذلك رجال بني أمية وناس من أشراف أهل الشام ووجوههم، منهم روح بن زنباع وغيره، قال بعضهم لبعض: إن الملك كان فينا أهل الشام، فانتقل عنا إلى الحجاز، لا نرضى بذلك، هل لكم أن تأخذوا رجلاً منا فينظر في هذا الأمر.. فأتوا [عمرو بن سعيد بن العاص] فقالوا له: ارفع رأسك لهذا الأمر. فرأوه حدثاً، فجاءوا إلى [خالد بن يزيد بن معاوية] فقالوا له: ارفع رأسك لهذا الأمر، فرأوه حدثاً حريصاً على هذا الأمر. فلمّا خرجوا من عنده قالوا هذا حدث. فأتوا [مروان بن الحكم] فإذا عنده مصباح وإذا هم يسمعون صوته بالقرآن فاستأذنوا ودخلوا عليه فقالوا: يا أبا عبدالملك ارفع رأسك لهذا الأمر. فقال: استخيروا الله، واسألوا أن يختار لأمة محمد ﷺ خيرها وأعدلها. فقال له روح بن زنباع: إن معي أربعمائة من جذام، فأنا آمرهم أن يتقدموا في المسجد غداً ومر أنت ابنك عبدالعزيز أن يخطب الناس وأن يدعوهم إليه فإذا فعل ذلك تنادوا من جانب المسجد صدقت صدقت! فيظن الناس أن أمرهم واحد.

فلمّا اجتمع الناس قام عبدالعزيز فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان

---

(1) المصدر نفسه ص٢٦٣.

(2) المصدر نفسه ص٢٦٤.

(3) المصدر السابق ج٦ ص٢٦٦

كبير قريش وسيدها، والذي نفسي بيده لقد شابت ذراعاه من الكبر. فقال الحجاميون. صدقت صدقت! فقال خالد بن يزيد: أمر دبر بليل))[1] وكانت بيعة مروان بالجابية يوم الأربعاء لثلاث ليال خلون من ذي القعدة سنة ٦٤هـ ويقال في رجب[2].

وقعة مرج راهط الحاسمة

((قدم عبيدالله بن زياد فكان مع بني أمية بدمشق فخرج الضحاك بن قيس إلى المرج - مرج راهط - فعسكر فيه وأرسل إلى أمراء الأجناد فأتوه إلا ما كان من كلب - فقدم عليه زفر بن الحارث من قنسرين وأمده النعمان بن بشير بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص، - ودعا مروان إلى نفسه فبايعه بنو أمية، وكلب وغسان والسكاسك وطيئ، فعسكر في خمسة آلاف، وأقبل عباد بن يزيد من حوران في ألفين من مواليه وغيرهم من بني كلب، فلحق بمروان وغلب يزيد بن أبي نمس على دمشق فأخرج منها عامل الضحاك

فكان الضحاك في ستين ألفاً وكان مروان في ثلاثة عشر ألفاً أكثرهم رجاله، وأكثر رجال الضحاك ركبان، فاقتتلوا بمرج راهط عشرين يوماً.. وكان على ميمنة الضحاك، زياد بن عمرو بن معاوية العقيلي، وعلى ميسرته ميسرة بن أبي بشير الهلالي، فقال عبيد الله بن زياد لمروان: إنك على حق وابن الزبير وما دعا إليه على الباطل، وهم أكثر منا عدداً وعُدداً ومع الضحاك فرسان قيس واعلم أنك لا تنال منهم ما تريد إلا بمكيدة وإنما الحرب خدعة فادعهم إلى الموادعة، فإذا أمنوا وكفوا عن القتال فكرَّ عليهم .. فأصبح الضحاك والقيسية قد أمسكوا عن القتال وهم يطمعون أن يبايع مروان لابن الزبير، وقد أعد مروان أصحابه فلم يشعر الضحاك وأصحابه إلا والخيل قد غشيتهم، فقتل الضحاك بن قيس، وصبرت قيس عند راياتها يقاتلون، فنظر رجل من بني عقيل إلى ما تلقى قيس عند راياتها فقال: اللهمّ العنها من رايات واعترضها بسيفه فجعل يقطعها فإذا سقطت راية تفرق أهلها ثم انهزم الناس، فنادى منادي مروان: لا تتبعوا من ولاكم اليوم ظهره.

فزعموا أن رجالاً من قيس لم يضحكوا بعد المرج حتى ماتوا جزعاً على من أصيب من فرسان قيس يومئذ، فقتل من قيس يومئذ ممن كان يأخذ شرف العطاء ثمانون رجلاً وقتل من بني سليم ستمائة وقتل لمروان ابن يقال له عبدالعزيز))[3].

ذكر البلاذري أن على ميمنة جيش الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العُقيلي، وعلى ميسرته زحر ابن أبي شَمِر الهلالي من أهل حمص وذكر أن الضحاك في ستين ألفاً وأنه قاتل مروان الضحاك بالمرج عشرين ليلة وقال ((قتل من قيس من لم يقتل مثلهم قط وقتل الضحاك، وقتل معه من الأشراف ثمانون كلهم كان يأخذ القطيفة))[4]

---

(١) العقد الفريد لابن عبدربه ج٥ ص١٣٥

(٢) أنساب الأشراف ج٦ ص٢٧٣

(٣) العقد الفريد لابن عبدربه ج٥ ص١٣٧.

(٤) أنساب الأشراف ج٦ ص٢٦٩

الصراع المرير بين قيس عيلان وكلب

وهرب زفر بن الحارث الكلابي إلى قرقيسيا وبها عياض فمنعه من دخولها، فقال له زفر بن الحارث: أوثق لك بالطلاق والعتاق إذ أنا دخلت الحمام بها أن أخرج منها، فأذن له، فدخلها، فلم يدخل الحمام، وأقام بها، وأخرج عياضاً عنها وتحصن بها وثابت إليه قيس، وأمد قيس رأسوه عليهم[1].

وكان دخول زفر لقرقيسيا في المحرم سنة ٦٥هـ وذلك قبل مرور التوابين - بقيادة سليمان بن صرد - به بأشهر، وهو زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ بن يزيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب[2]

وقال زفر بن الحارث الكلابي: وقد فر يومئذ عن ثلاثة بنين له وغلام فقتلوا، وقال في العقد الفريد: عن أبيه وأخيه وفي (أنساب الأشراف) يقول وكان معه رجلان من سليم فلمّا حاص يوم المرج تركهما ونجا فلذلك يقول:

لم تر مني نبوة قبل هذه ... فراري وتركي صاحبيَّ ورائيا

وفيما يلي قصيدته في وقعة مرج راهط التي جمعتها من أكثر من مصدر، من أهمها العقد الفريد وأنساب الأشراف:

لَعَمْرِي لقد أبقتْ وقيعةُ راهطٍ ... لمروانَ صدْعاً بيِّناً متنائيا

أتانيَ عن مروان بالغيب أنَّهُ ... مُقِيدٌ دمي أو قاطعٌ مِنْ لسانيا

ففي العيس لي مَنْجًى وفي الأرض مهربٌ ... إذا نحنُ رفَّعنا لهنَّ المثانيا

فلا تحسبوني إن تغيَّبتُ غافلاً ... ولا تفرحوا إن جئتكُم بلقائيا

أيذهبُ يومٌ واحدٌ إن أسأتُهُ ... بصالحِ أيامي وحُسْنِ بلائيا

ولَمْ تُرَ منِّي زلَّةٌ قبل هذه ... فراري وتركي صاحبيَّ ورائيا

أتتركُ كلباً لم تنلْها رماحُنا ... وتذهبُ قتلى راهطٍ وهي ما هيا

أريني سلاحي لا أبا لكِ إنني ... أرى الحربَ لا تزدادُ إلّا تماديا

أبعدَ عمرٍو وابنِ معنٍ تتابعٌ ... ومقتلِ همامٍ أمنِّي الأمانيا

فلا صُلْحَ حتى تدعسَ الخيلَ بالقَنا ... وتثأرَ من نساءِ كلبٍ نسائيا

فقدْ ينبتُ المرعى على دِمَنِ الثَّرى ... وتبقى حزازاتُ النُّفوسِ كما هيا

فأجابه جواس بن القعطل واسم القعطل ثابت وهو أحد بني حصن بن ضمضم بن جناب الكلبي فقال:

لَعَمْرِي لقد أبقتْ وقيعةُ راهطٍ ... على زُفَرٍ داءً من الدَّاءِ باقيا

(١) المصدر السابق ج٦ ص٢٧٤-٢٧٦ وقرقيسيا تقع على نهر الفرات جنوب دير الزور بعشرين كيلو متر تقريباً وتسمى الآن البصيرة.

(٢) المصدر السابق ج٧ ص٤١-٤٤

يُبَكِّي على قَتْلَى سُلَيْمٍ وعامرٍ   وذبيانَ مَعْذوراً ويُبْكِي البَوَاكِيَا

دَعَا بِسلاحٍ ثمّ أحْجَمَ إذ رأى   سُيُوفَ جَنَابٍ والطوالَ المَذَاكِيَا[1]

وظل الصراع قائماً بين قيس وكلب و حرب بين الفريقين ترداد لهيباً يوماً بعد يوم، ويلتقي الجمعان في يوم ((بنات قين)) ويستطيع زفر بن الحارث الكلابي أن يثأر ليوم راهط، يقول.

أقَرّ العُيونَ أنَّ رَهْطَ تَخَدّلٍ   أذيقُوا هَوَاناً بِأَلْوِي تُدْمُ

صبحناهُمُ البيضَ الرِّقَاقَ صحابُهُ   سحائبَ خَشْتٍ وَالوشيجَ المُقَوَّمُ

وتقاتل الفريقان ((يوم دهمن)) وقتل من الفريقين الكثير، ثم سار عمير بن الحباب وزفر بن الحارث وجمعا جمعاً كبيراً، فأغار عليهم، وقتلا منهم مقتلة واستاق الغنائم والسبي. ثم جمع الفريقان جمعاً كبيراً والتقيا عند ((العوير)) فأصابت قيس من كلب يقول المحير بن أسلم القشيري.

وَصَدَمْنَا كَلْباً، فَتَبْنَ قتيلٍ   أو سليبٍ مُشَرَّدٍ مِنْ جراحِ

وقال زفر بن الحارث

يَا كَلْبُ قَدْ كَلِبَ الزّمَانُ عَلَيْكُمْ   وَأَصَابَكُمْ مِنّي عَذَابٌ مُرْسَلُ

أَيَهُونُنَّ يَا كَلْبُ أصْدَقُ شِدّةٍ   يَوْمَ اللِّقَاءِ أمِ التَّهَوِيلُ الأَوَّلُ

((لما انقضى أمر المرج تبع عمير مروان بن الحكم وفي نفسه ما فيها من أمر قتلى قيس يوم المرج، فلمّا عقد مروان لعبيد الله بن زياد ووجهه إلى الجزيرة والعراق وشخص عمير في جيشه، فجعله على إحدى مُجنبتيه وهي الميسرة، وكان معه يوم لقي سليمان بن صرد بعَين الوردة، وأتى معه قرقيسيا فكان عمير يثبطه عن المقام عليها ويشير عليه بتلقي جيش المختار بن أبي عبيد الثقفي قبل أن يدخل الجزيرة، فأخذ ابن زياد السير حتى لقي إبراهيم بن الأشتر، فمال عمير مع ابن الاشتر حتى فُضّ عسكر عبيدالله بن زياد وقتل عند نهر يقال له الخازر بقرب الزابي، وكره عمير أن يصير إلى المختار، فأتى قرقيسياء فأقام بها مع زفر بن الحارث، فكانا يغيران على كلب واليمانية))[2]

وقال البلاذري. قال هشام بن الكلبي وغيره صار زفر بن الحارث إلى قرقيسيا فتحصن بها، وجعل يغير منها على بلاد كلب لأن كلباً كانوا مروانية وكانت قيس زبيرية...، وكان عمير بن الحباب السلمي يغير مع زفر أيضاً ببني تغلب وذلك بعد انصراف عمير من جيش عبيدالله بن زياد حين قتل وقبل وقوع الحرب بين قيس وتغلب، وغزا زفر تدمر وعليها عدمر بن الأسود الكلبي من بني عامر الاجدار بن عوف ابن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيداللات ومعه ابنه الهذيل بن زفر فقتلهم جميعاً ففي ذلك قال (القصيدة السابقة: يا كلب قد كلب الزمان عليكم).

فأجابه جواس بن القعطل الكلبي

---

(١) المصدر السابق ج٦ ص٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه ج٧ ص٦٠

دُسْنَا وَلَمْ تَفْشَلْ هَوَازِنُ دَوْسَةً ... تَرَكَتْ هَوَازِنَ كَالْفَرِيدِ الأَعْزَلِ

فلمّا رأت كلب المذر ما لقيته كلب الوادي من زفر بن الحارث وعمير بن الحباب بن جُعْدَة السُّلمي من الصمعاء أمّروا عليهم حميد بن حريث بن محدل الكلبي فخرج حتى نزل بتدمر وعبدالملك يومئذ يريد أن يزحف إلى زفر بن الحارث، ثم يأتي العراق لمحاربة مصعب بن الزبير[1].

وقعة اللهابة بين كعب بن العنبر وبني فقيم

في أيام مروان بن الحكم على المدينة المنورة كان بين بني كعب بن العنبر بن عمرو الذين ينزلون اللهابة وبين بني فقيم قتال في اللهابة، فقتل منهم قتلى فأدت إليهم بنو فقيم ثلاثمائة بعير وستة أعبد...، وارتفعوا إلى مروان فقضى باللهابة لبني كعب، وأمرهم أن يعوضوا بني فقيم إبلاً...، وكسر بنو كعب رجل مالك بن المحراش سيد بني فقيم يومئذ، فقعد بنو فقيم رجلاً من بني كعب يقال له عامر ليكسروا رجله، فمروا به على أبيات بني دارم فاستغاث بهم، فجاء عتاب بن عوف بن القعقاع فطلب إلى بني فقيم فيه وأعطاهم خمسين بعيراً، فأخذوها وخلّوا عن عامر[2].

يوم الثرثار الأول بين قيس وتغلب

في يوم ((الثرثار الأول)) أتت جماعة من تغلب إلى مالك بن مسمع قبل يوم الجفرة وقبل مصيره إلى ناحية اليمامة والبحرين - إلى ثاج سنة٦٩هـ - فشكوا إليه قيساً وما كان منهم يوم ماكسين وقبله، فقال: ما أحسبكم إلا من نبيط تكريت ولو كنتم من بني تغلب لدافعتم عن أنفسكم وحُرَمكم، فقالوا: إنما جنَّ علينا ما قد علمت من النصرانية، ومضر مضر وأيّ السلطان غلب فهو مع قيس، فقال مالك: ادعوا فإن أمدهم السلطان بفارس فلكم عليَّ فارسان، وإن أمدهم برجل فلكم رجلان، إن السلطان اليوم لفي شغل عنكم وعنهم، فانطلقوا وقد عصبوا ... ثم إن الربعيين والقيسيين التقوا على الثرثار فاقتتلوا قتالاً شديداً...، ثم إن قيساً انهزمت وقتلت بنو تغلب والنمر منهم مقتلة عظيمة وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بني سليم، وقالت ليلى بنت الحُمارس التغلبية، ويقال قالها الأخطل:

لَمَّا رأوا والصَّليبَ طالعا ... ومار سرجيس وسُمّاً ناقعا

والخيلُ لا تحمِلُ إلا دارعا ... والبيضُ في أيمانِنا قواطِعا

خَلُّوا لنا الثرثار والمزارعا ... وحنطةً طيساً وكرماً يانعا

كأنّما كانوا غراباً واقعا

وقال الأخطل:

عَجِبْتُمْ عَلَيْنَا آلَ عيلانَ كُلُّكُمْ ... وَأَيُّ عَدُوٍّ لَمْ نُبِتْهُ عَلَى عَتْبِ

(١) المصدر السابق ج٧ ص٥٤

(٢) المصدر السابق ج١٣ ص٣٤.

فأجابه جرير بن عطية في قصيدة له.

سَتَعلمُ ما يُغْنِي الصُّلَيبُ إذا غَدَتْ كَتَائِبُ قَيْسٍ كالمُهَنَّأةِ الجُرْبِ
لَعلَّكَ يا حَسْرِيرَ تَغْلِبَ فاجرٌ إذا مُضَرٌ يَوْماً تَسَامَتْ بِهَا الحَرْبُ[1]

ثم كان يوم الثرثار الثاني ثم يوم الحابور وصطدمت قيس وفيها العامريون بتغلب في الجزيرة الفراتية، ودارت بين الفريقين معارك عدة انتصر فيها القيسيون، والتقى الجمعان في ((يوم الحابور)) وبقر القيسيون بطون النساء الحوامل من تغلب، يقول الصفار المحاربي:

بَقَرْنَا مِنْكُمُ ألفَيْ بَقِيرٍ فَلَمْ نَتْرُكْ لِحَامِلَةٍ جَنِينَا

غير أن هذا الحادث لم يسعد زفر بن الحرث وأصحابه، إذ لام زفرُ عُميراً فيمن بقر من النساء فقال. ((ما فعلته ولا أمرت به)). وقال زفر يعاتبه

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عُمَيْراً رِسَالَةَ عَاتِبٍ وعليكَ زَارِي
أتَتْرُكُ حَيَّ ذي كَلْعٍ وكَلْبٍ وَتَجْعَلُ حَدَّ نَابِكَ في نِزَارِ
كَمُعْتَمِدٍ على إحْدَى يَدَيْهِ فَخَانَتْهُ بِوَهْيٍ وانْكِسَارِ

وظلّت حروب قيس بقيادة عمير بن الحباب السلمي وزفر بن الحارث الكلابي قائمة، على الكلبيين وتغلب، إلى أن قتل عمير بن الحباب، قتله إياس بن عياد وهنا يستطيع عبدالملك بن مروان جذب قيس وزفر بن الحارث إليه، ليعود العامريون مرة أخرى في طاعة الأمويين[2]

قال البلاذري: حدثنا محمد بن الأعرابي قال: قال الأخطل للوليد بن عبدالملك يا أمير المؤمنين أصلح بين ابني نزار، فقال بيهس بن صهيب الجَرْمي: لا أصلح الله بينهم فقال الأخطل والله ما ادري ما تكره من ذلك؟ فقال بيهس: وأنا والله ما أدري ما ينفعك من ذاك؟[3].

عندما أرسل بشر بن مروان إلى قيس يذكرهم بعصبية زُفر بن الحارث لأنه من كندة، اعتز زفر بانتمائه لقيس البدوية، يقول:

لَعَلَّكَ يا بِشْرُ بنَ مروانَ لائِمِي على حِينِ أبْدَتْ نَوَاجِذَهَا الحَرْبُ
فَتُخبِرُ قومي أنَّني لَسْتُ مِنْهُمُ وَتَزْعَمُ أنّا مَعشَرٌ مِنْ بَنِي وَهْبِ
أتجعلُ أجلافاً عليها عَبَاؤها كَكِنْدَةَ تَمْشِي في المطارِفِ وَالقُضْبِ[4]

قالوا: قال عبدالملك لزفر: بلغني أنك من كندة؟ فقال: وما خير من لا ينفي حسداً ولا يُدّعى رغبة[5]. يقصد أن من كان فيه خير ينفيه البعض حسداً له، ويدّعيه البعض رغبة به.

---

(1) المصدر السابق ج٧ ص٦٧.
(2) شعر بني عامر ص٦٥ والأغاني ط ٢٤/٢٩
(3) أنساب الأشراف للبلاذري ج٨ ص٨٤.
(4) راجع شعر بني عامر ص٦٥ وأنساب الأشراف ٥/٣٠
(5) أنساب الأشراف للبلاذري ج٧ ص٥١

زعم المختار للشيعة بقدومه من المهدي (ابن الحنفية)

٦٤هـ ((عبدالله بن الزبير ولّى عبدالله بن يزيد الحطمي على الكوفة، فقدمها ابن يزيد لثمانٍ بقين من شهر رمضان سنة ٦٤هـ، ويقال بعد ذلك بأشهر، فكان المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير ابن عوف بن عقدة بن عيرة بن عوف بن قسي الثقفي إذا دعا الشيعة إلى نفسه، وإلى الطلب بدم الحسين قالوا: هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة وقد أطاعته الشيعة وانقادت له وولته أمرها، فيقول. إن سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال، وقد جئتكم من قبل المهدي محمد - يعني ابن الحنفية - مؤتمناً منتجباً ووزيراً مناصحاً، فلم يزل حتى انشعبت إليه طائفة منهم، وعظمهم مع ابن صرد، فكان سليمان أثقل الناس على المختار))[1].

التنادي بالكوفة بثارات الحسين

٦٥هـ ((فلمّا أهل هلال شهر ربيع الآخر سنة ٦٥هـ خرج سليمان إلى النخيلة في أصحابه معسكر بها، وبعث حكيم بن منقذ والوليد بن غضين بن مسلم الكناني ثم الغفاري في خيل فناديا بالكوفة. يالثارات الحسين، فتلاحق به بعد النداء قوم، وكان مبلغ من أثبت في ديوانه ستة عشر ألفاً، ويقال اثنا عشر ألفاً فعرض أصحابه ومن اجتمع إليه من أهل الكوفة فوجدهم أربعة آلاف، فقال: يا سبحان الله أما وافاني من ستة عشر ألفاً إلا أربعة آلاف؟ ويقال إنه قال: أما وافاني من اثني عشر ألفاً إلا أربعة آلاف؟! فقيل له ان المختار ثبط الناس عنك وقد صار معه ألفان فقال. سبحان الله أما تذكر هؤلاء الله وما أعطونا من الميثاق))[2].

يوم المنبجس ويوم الربذة

وفيها: ((وجه مروان بن الحكم جيشاً من فلسطين وغيرها مع حبيش بن دلجة القيني أحد بني وائل ابن جشم إلى ابن الزبير في ستة آلاف وأربعمائة فيهم يوسف بن الحكم الثقفي ومعه ابنه الحجاج بن يوسف...، وكان عبدالله بن الزبير لما بلغته حركة هذا الجيش حين أنفذ، كتب إلى الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة والحارث هو القباع وكان عامله على البصرة يأمره أن يوجه إليه جيشاً كثيفاً، فوجه الحارث (الحنتف[3] بن السِّجْف التميمي)، ثم أحد بني العُجيف بن ربيعة بن مالك بن حنظلة في ثلاثة آلاف ويقال

---

(١) نفس المصدر ج٦ ص٣٦٧.

(٢) المصدر السابق ص٣٦٨.

(٣) قال ابن ماكولا (ت٤٧٥) في كتاب الإكمال: الحنتف بن السجف بن عبدالحارث بن طريف (ابن عمرو بن عامر ابن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة بن أد) وقد نسبه أبو اليقظان فقال الحنتف بن السجف بن بشير بن الأدهم بن صفوان بن صباح بن طريف بن عمرو وقال. شاعر وفارس وهو الذي قتل ابني هثيم العامريين عامراً وطارقاً من بني عوف بن عمرو بن كلاب بن ربيعة عدى بينهما فقتلهما وهرمت بنو عامر وقال.

فرقت بين ابني هثيم بطعنة ... لها عاند يكسو السليب إزارا

وجدت بنفس لا يجاد بمثلها ... وقد كان نبح النابحات هرارا =

في ألفين. وكتب إلى ابن مطيع وهو عامله على الكوفة بمثل ذلك، ووجه ابن مطيع محمد بن الأشعث بن قيس في ألفين من أهل الكوفة. ووجه ابن الزبير من مكة مسروقاً النصري، وقدم حبيش بن دلجة فعسكر بالجرف. فالتقى النصري وحبيش بالمسجس، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان أول الوقعة لابن الزبير ثم صارت الدولة لحبيش وأهل الشام، فقتلوا من أصحاب النصري خلقاً وهزموهم...، وقدم محمد بن الأشعث بن قيس، فلمّا بلغه خبر الوقعة تداخله وأصحابه رعب وهيبة، فانكفأ منصرفاً إلى الكوفة..، ودخل حبيش المدينة))[1].

وبلغ حبيشاً قرب الحنتف بن السجف، فأشير عليه أن يتلقاه ولا يمهله حتى يصير إلى المدينة فيعينه أهلها ومن حولها، ويأتيه مدد عبدالله بن الزبير، فجمع حبيش أصحابه وقواهم بالسلاح والعدة، وسار ليلقى الحنتف فيحاربه دون يثرب، فسار في أربعة آلاف من أصحابه، وخلف بالمدينة سائر من معه..، فلمّا انتهى إلى الربذة وجد الحنتف قد وردها قبله بيوم، فجعل حبيش يدعو إلى طاعة مروان، والحنتف يدعو إلى طاعة عبدالله بن الزبير، ثم إنهما التقيا في وقت الظهر، وكان للحنتف ألف فارس قد أكمنهم في غيابة من الأرض، أي هبطة، وعليهم رجل من قومه يقال له رباح، فاقتتل البصريون والشاميون ساعة والشاميون ظاهرون، ثم إن كمين الحنتف خرج عليهم، فلم يشعروا إلا وهم من ورائهم فانهزم أصحاب حبيش في كل وجه وقتل حبيش بن دلجة عند حوافر الخيل وتقطع أصحابه))[2]

وقعة شبكة الدوم او وادي القرى

بعد يوم الربذة ودخول الحنتف إلى المدينة منتصراً، أمر ابن الزبير حتماً أن يقيم بالمدينة ليعاضد عامله، فلم يزل مقيماً حتى وجه عبدالملك طارقاً مولى عثمان إلى وادي القرى فلقيه الحنتف بموضع يقال له شبكة الدوم فقتله طارق – بن عمرو –، وقال بعضهم كانت الوقعة بوادي القرى والله أعلم[3].

- حفاظاً وذبّاً عن حريمي ونصرة ولم أتحمل في المواطن عارا

قال البلاذري: الحنتف بن السجف بن بشير بن الأدهم بن صفوان بن صباح قاتل ابي هتيم، (عامر وطارق) من بني عامر بن كلاب، فقال الفرزدق:

ونحن قتلنا ابي هتيم وأدركت بجيراً بنا رُكّضُ الجياد الصلادم

وأضاف البلاذري: ومنهم مالك بن المنتفق، وكان له طعام يدعو عليه، ولا يدعو عاصم بن حليفة فيمن يدعوه، إذ أغار بسطام بن قيس على إبل المنتفق، فحمل عليه عاصم فقتله، وقال للمنتفق: هذا وللطعام لا تدعوني. وكان مالك يكنى أبا سيف، وكان له ألف بعير. قال: ولعاصم بن حليفة قاتل بسطام بالكوفة ولدٌ وخطة، وقد حسُن إسلامه. راجع: أنساب الأشراف ج١١ ص٣٩٠

(١) المصدر نفسه ج٦ ص٢٩٠

(٢) المصدر نفسه ص٢٩٢.

(٣) المصدر السابق ج٦ ص٢٩٣

خلافة عبدالملك بن مروان

((مات بالشام مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف لثلاث خلون من رمضان سنة ٦٥وهو ابن ٦٣ سنة، وصلى عليه ابنه عبدالملك، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً. وبويع لعبدالملك بدمشق. وولد عبدالملك بالمدينة سنة ٢٣هـ ويقال سنة ٢٦هـ ويقال ولد لسبعة أشهر...، وكان يلقب أبا الأملاك وذلك أنه ولي الخلافة أربعة من ولده: الوليد وسليمان ويزيد وهشام))[1].

خروج نجدة الخارجي الحنفي في اليمامة على الخلافة

٦٧هـ ((رجع نجدة بن عامر بن عَبْد الله بن سيار بن مفرح الحنفي إلى اليمامة وكثر أصحابه فصاروا ثلاثة آلاف فخاف أن يطأ الجنود اليمامة، وأن يمرى أمره، فاستخلف باليمامة عمارة بن سلمى من ولد الدُّول بن حنيفة، وهو عمارة الطويل وأتى البحرين في سنة ٦٧هـ، فقالت الأزد: نجدة أحبّ إلينا من ولاتنا، لأنه منكر للجور، وولاتنا يجورون، فعزموا على مسالمته، واجتمعت عبدالقيس ومن بالبحرين غير الأزد على محاربته، فقال بعضهم: نجدة أقرب إليكم منه إلى الأزد فلا تحاربوه، وقال بعضهم: أَنَدَعُ نجدة وهو حروري مارق تجري أحكامه علينا، فالتقوا بالقطيف، وأقتل وكيع أحد بني جذيمة من عبدالقيس يرتجز...، فقتل وكيع وجماعة من العبديين، وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف))[2].

- عبدالله بن الزبير يولي أخاه مصعباً البصرة.
- وقعة نهر الخازر ومقتل عبيدالله بن زياد.
- مصعب بن الزبير يحاصر المختار الثقفي في حروراء.

وفاة عبدالله بن عباس ﷺ

٦٨هـ ((مات عبدالله بن عباس ﷺ بالطائف وهو ابن (٧١سنة وأشهر أو ٧٢) وكان يصفر لحيته، وكان مرضه ثمانية أيام، وصلى عليه ابن الحنفية. كان عبدالله بن عباس مديد القامة جيد الهامة مستدير الوجه جميله أبيضه، وليس بالمفرط البياض، سبط اللحية، في أنفه قنى، معتدل الجسم، وكان أحسن الناس عيناً قبل أن يكف بصره، وكف قبل موته بست سنين أو نحوها))[3].

وفيها كان استيلاء الخوارج النجدات على الطائف وقطع ميرة البحرين واليمامة عن الحجاز.

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ ص١٣٨ وكان مروان بن الحكم ﷺ دقيقاً وطويلاً.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج٧ ص١٧٦.

(٣) المصدر السابق ج٤ ص٧١.

هزيمة الجيش الزبيري على يد نجدة الحنفي قرب القطيف

٦٩هـ ((أقام نجدة بالبحرين، فلمّا قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة ٦٩هـ، بعث إليه عبدالله بن عمير الليثي الأعور في أربعة عشر ألفاً ويقال في عشرين ألفاً، ويقال إن حمزة بن عبدالله بن الزبير الموجه له حين ولي البصرة، فجعل ابن عمير يقول: اثبت يا أبا المطرح فإنا لا نفر، فقدم ونجدة بالقطيف فنزل على ميل من عسكره، وصيّر النحر خلفه، والأثقال أمامه وأناخ الإبل أمام الأثقال، وقال لآخذن نجدة أخذاً. وحض نجدة أصحابه فرغبهم في الشهادة والجنة وزهدهم في الدنيا، واعتزل قوم من أصحابه منهم ذؤاد العكلي فلم ينهض معه، فقال نجدة: إن إخوانك هؤلاء أحبوا البقاء وثبت نجدة فيمن بقي معه وأتى ابن عمير في عسكره وهو غار فقاتلهم طويلاً، وأصبح ابن عمير فهاله أمر من رأى في عسكره من القتلى، والقطعى والجرحى، وتشاغل من في عسكره بموتاهم وجرحاهم، فأتاهم نجدة فحمل عليهم فلم يلبثوا أن انهزموا فلم يلوِ أحد منهم على أحد، وحوى نجدة العسكر وأصاب جواري لابن عمير وفيهن أم ولد له، فعرض نجدة عليها أن يردها عليه، فقالت: لا حاجة لي فيمن فرّ عني. وورد ابن عمير البصرة فارًّا))[1]، فهجاه الفرزدق.

قتال أصحاب نجدة لبني تميم بكاظمة

في الكامل في التاريخ يقول ابن الأثير: بعث نجدة إلى البوادي بعد هزيمة ابن عمير أيضًا من يأخذ من أهلها الصدقة، فقاتل أصحابه بني تميم بكاظمة وأعان أهل طويلع[2] بني تميم فقتلوا من الخوارج رجلاً، فأرسل نجدة إلى أهل طويلع أن أغار عليهم وقتل منهم نيفًا وثلاثين رجلاً وسبى

وقوع الطاعون في البصرة وافتراق الناس إلى زبيرية واموية

وفيها ((وقع الطاعون الجارف في البصرة، فكثر الموت بالبصرة حتى جعل أهل الدار يموتون من آخرهم لا يجدون من يدفنهم، وأمير البصرة يومئذ عمر بن عبيدالله بن معمر بها، استعمله عليها مصعب، فقدم خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص على مالك بن مسمع وعسكر بجفرة خالد، ومال إليه كثير من الناس ، فكان القوم يغدون إلى المربد ثم يفترقون فرقة إلى خالد وفرقة إلى المصعبية...، فلم يزالوا على ذلك حتى هرب خالد بن عبدالله وتفرق أصحابه وهرب مالك إلى اليمامة، فلمّا قتل عبدالملك مصعباً ودخل الكوفة بعث خالداً أميراً على البصرة، واستعمل بشر بن مروان أخاه على الكوفة، وبلغ ذلك مالك بن مسمع وهو باليمامة، فأقبل حتى دخل البصرة، فأتى دار الإمارة على ناقته، ففتح له الباب فدخل حتى أناخ على بساط خالد، وأقطعه عبدالملك قطائع كثيرة ووصله))[3]

---

(١) المصدر السابق ج٧ ص١٧٨

(٢) طويلع: ماء وقيل واد وذكر أنه قريب من اللهابة وهو على طريق الـــفر من اليمامة إلى البصرة ويوجد به مدة يقال لها الجربا وغيرها، وبين طويلع ولوريمة مسافة ليلة على الجمال

(٣) أنساب الأشراف ج٦ ص٨٢

((هرب مالك بن مسمع إلى قرية من قرى اليمامة لبكر بن وائل يقال لها ثاج، فلم يزل بها إلى أن صالح عبدالملك زفر بن الحرث الكلابي، وانصرف إلى الشام ثم شخص إلى العراق فقتل مصعباً، ويقال إنه رجع إلى البصرة في أيام حمزة بن عبدالله ثم رجع إلى ثاج، ويقال أيضاً إن مصعباً استأمن له حين رجع إلى البصرة. وأعطى نجدة الحنفي مالك بن مسمع حين هرب إلى ثاج مالاً))[1]

مبايعة الخوارج لقطري بن الفجاءة

٧١هـ ((ولى الخوارج بعد قتل الزبير بن علي، قطري بن الفجاءة، واسم الفجاءة مازن بن زياد بن يزيد بن حنثر بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ويقال مازن بن زياد بن يزيد بن حنثر بن حارثة بن صمير بن خزاعي بن مازن، بايعوه سنة ٧١هـ، صار قطري ويكنى أبا نعامة من أصبهان حتى الأهواز، ثم رفع إلى كرمان))[2].

إيقاع مصعب بأصحاب المختار وإهانة ابن الزبير لوجوه العراق

قتل مصعب من أصحاب المختار ثلاثة آلاف ثم حج في سنة ٧١هـ فقدم على أخيه عبدالله بن الزبير ومعه وجوه أهل العراق فقال: يا أمير المؤمنين قد جئتك بوجوه أهل العراق ولم أدع لهم نظيراً فأعطهم من المال. قال: جئتني بعبيد أهل العراق لأعطيهم من مال الله! وددت أن لي بكل عشرة منهم رجلاً من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم! فلمّا انصرف مصعب ومعه الوفد من أهل العراق وقد حرمهم عبدالله بن الزبير ما عنده فسدت قلوبهم فراسلوا عبدالملك بن مروان حتى خرج إلى مصعب فقتله[3].

مقتل مصعب في العراق ومحاصرة عبدالله بن الزبير في مكة

٧٢هـ وفي هذا العام قتل عبدالملك مصعب بن الزبير(٣٦سنة) وولّى خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد على البصرة، وأتى الكوفة، ووجه منها الحجاج بن يوسف إلى عبدالله بن الزبير في ألفين، ويقال في ثلاثة آلاف، ويقال في خمسة آلاف من أهل الشام وذلك في سنة ٧٢هـ، فلم يعرض للمدينة ولا طريقها، وسار على الربذة حتى أتى الطائف، فكان يبعث البعوث إلى عرفة، ويبعث ابن الزبير إليه أصحابه فيقتتلون هناك وكل ذلك تهزم خيل ابن الزبير. قالوا: ولما صدر الناس عن الحج أعاد الحجاج الرمي بالمنجنيق، فلقد كان الحجر يقع بين يدي عبدالله بن الزبير وهو يصلي فلا يبرح[4].

---

(١) المصدر السابق ج٧ ص١٨٤ - ج٦ ص ٨٠

(٢) المصدر السابق ج٧ ص١٧١.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ت٣٢٨ ج٥ ص١٤٥.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري ج٧ ص١١٦-١٠٦-١٢١

الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ.

((وقالت أسماء بنت أبي بكر، أم عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم: والله ما أنتظر إلا أن تقتل فأحتسبك، أو تظفر فأسرُّ بظفرك، وإن كنت على حق وبصيرة في أمرك فما أولاك بالجد ومنازلة هؤلاء القوم، وإلا فالسِّلْم منهم أولى بك، فقال: يا أُمّه[1] إني أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني، فقالت: يا بني، إن الشاة إذا ذبحت لم تألم لسلخ، فامض على بصيرتك فاستعن بالله ربك فخرج ابن الزبير، فدفع أهل الشام دفعة منكرة، وقتل منهم ثم انكشف وأصحابه فرجع، وبلغ أمه الخبر فقالت: خذلوه وأحبوا الحياة ولم ينظروا لدنياهم ولا آخرتهم، ثم قامت تصلي وتدعو فتقول: اللَّهمَّ إن عبدالله بن الزبير كان معظماً لحرمتك، وقد جاهد فيك أعداءك...، اللَّهم أظهره وانصره، اللَّهمَّ ارحم طول ذلك السجود والنحيب، وذلك الظمأ في الهواجر، وما أقول هذا القول تزكية له، ولكنه الذي أعلمه منه، وأنت أعلم بسريرته وعلانيته ... فلمّا كان يوم الثلاثاء، وهو اليوم الذي قتل فيه، جاء إلى أمه وعليه درعه ومغفره فودعها وقبل يدها فقالت: لا تعد إلا من النار، وقال: يا أمه خذلني الناس إلا ولدي وأهل بيتي، وكان الحجاج قد بسط الأمان للناس، فاستأمن إليه خلق واعتزلوا ابن الزبير))[2] وهكذا قتل عبدالله ابن الزبير ﷺ يوم الثلاثاء في جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ، وكان الحصار ستة أشهر وسبع عشرة ليلة، وكان يوم قتله رحمه الله ابن ٧٣سنة[3]

موقف عبدالله بن عمر من ابن الزبير

((قال عوانة بن الحكم: مرَّ عبدالله بن عمر حين أخبر بصلب ابن الزبير، فحملت ناقته تحتث بخشبته، أو قال بجذعه، ورائحة المسك تسطع منه فقال: رحمك الله أبا خبيب، رحمك الله أبا خبيب، والله لقد كنت صواماً قواماً، ولكنك رفعت الدنيا فوق قدرها وأعظمتها، ولم تكن لذلك بأهل))[4].

مبايعة ابن الحنفية لعبدالملك لاجتماع الأمة عليه

كتب محمد بن الحنفية[5] يبيعته لما قتل ابن الزبير وكان في كتابه.

---

(١) لاحظت في كتاب البلاذري أن لهجة قريش في ذلك الزمن في قولها ((يا أمه)) عندما يخاطب الشخص أمَّهُ، وقولها ((يا أبه)) عندما يخاطب الشخص والده، مقاربة للهجتنا في هذا الزمن، فقد تطورت الكلمتان وحفتا، وقول (يمه يبه) هي لهجة أكثر أهل الجزيرة العربية اليوم، وهي بهذا النقل من البلاذري تكون كلمات عربية فصيحة وليست عامية، ولعل استخدام كلمة يا أمي أو يا أمه في ذلك الوقت تختلف من إقليم إلى آخر، والله أعلم.

(٢) أنساب الأشراف ج٧ ص١٢٤

(٣) المصدر نفسه ج٧ ص١٢٨.

(٤) المصدر نفسه ج٧ ص١٢٩

(٥) الحنفية: قيل من سبي اليمامة فصارت لعلي كرم الله وجهه وإنما كانت أمة لبني حنيفة سندية سوداء ولم تكن من أنفسهم، أعطاه إياها أبو بكر ﷺ من سبي بني حنيفة. راجع: سمط النجوم العوالي م٣ ص٧٣.

إني اعتزلت الأمة عند اختلافها فقعد في البيت الحرام الذي من دخله كان آمناً لأحرز ديني وأمنع دمي، وتركت الناس.... وقد رأيت الناس اجتمعوا عليك ونحن عصابة من أمتنا لا نفارق الجماعة، وقد بعثت إليك ما رسولاً ليأخذ لنا منك ميثاقاً، ونحن أحق بذلك منك فإن أبيت فأرض الله واسعة والعاقبة للمتقين. فكتب إليه عبدالملك: قد بلغني كتابك بما سألت.. فلك عهد الله وميثاقه...

وكتب إلى الحجاج بن يوسف: ((لا تعرض لمحمد ولا لأحد من أصحابه)). وكان في كتابه: ((جنبني دماء بني عبدالمطلب، فليس فيه شفاء من الحرب، وإني رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي))[1].

خضوع اليمامة والبحرين للأمويين بعد مقتل أبي فديك

٧٤هـ قتل أبو فديك على يد جيش عبد الملك بقيادة عمر بن عبيد الله بن معمر وابني ابن أخيه وهم محمد وعمر ابنا موسى بن طلحة بن عبيدالله ومعهم أهل الكوفة والبصرة وكندة وربيعة وتميم وهمدان ومذحج وأسد، وساروا بالناس حتى بلغوا الوفرا وحفر خندقاً وبكل منزل ينزله يحفر إلى أن وصل هجر وحدث اللقاء، وهزم جيش الخوارج، فخضعت البحرين واليمامة للحكم الأموي بعد أن قتل أبو فديك وحمل رأسه إلى عبد الملك بن مروان وكانت خسارة الخوارج ٦ آلاف قتيل و٨٠٠ أسير وولي على البحرين عبد الله بن الجارود العبدي.

وفيها: عبدالملك بن مروان يضرب الدنانير الذهبية لأول مرة في الإسلام.

وفيها: توفيت هند بنت النعمان.

ولاية الحجاج على العراق بعد وفاة بشر بن مروان.

٧٥هـ قال ابن خلدون: ولى عبْد الملك الحجاج بن يوسف على الكوفة والبصرة سنة ٧٥هـ وأرسل إليه وهو بالمدينة يأمره بالمسير إلى العراق، فسار على النجب في اثني عشر راكباً حتى قدم الكوفة في شهر رمضان، وقد كان بشر بعث المهلب إلى الخوارج، فدخل المسجد وصعد المنبر وقال: عليّ بالناس فظنوه من بعض الخوارج فهمُّوا به، حتى تناول عمير بن ضابئ البرجمي الحصباء وأراد أن يحصبه، فلمّا تكلم جعل الحصباء يسقط من يديه وهو لا يشعر به، ثم حضر الناس فكشف الحجّاج عن وجهه وخطب خطبته المعروفة، ذكرها الناس وأحسن من أوردها المبرّد في الكامل، يتهدد فيها أهل الكوفة ويتوعدهم عن التخلف عن المهلب، ثم نزل وحضر الناس عنده للعطاء واللحاق بالمهلب.

ويقال إن الحجّاج أول من عاقب على التخلف عن البعوث بالقتل، قال الشعبي كان الرجل إذا أخل بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر وعثمان وعلي نزع عمامته ويقام بين الناس، فلمّا ولي مصعب أضاف إليه حلق الرؤوس واللّحى، فلمّا ولي بشر أضاف إليه تعليق الرجل بمسمارين في يده في حائط فيخرق

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ت٣٢٨ ج٥ ص١٤٠

المسماران يده وربما مات، فلمّا جاء الحجّاج ترك ذلك كله وجعل عقوبة من تخلى بمكانه من الثغر أو البعث في القتل.

ولي عبدالملك الحجاج الحجاز ثلاث سنين، فكان يصلي بالناس في الموسم كل سنة، ثم ولاّه عبدالملك العراق وهو ابن (٣٣سنة)، فوليه لعبدالملك (١٤سنة) ثم للوليد حتى هلك بواسط في رمضان سنة ٩٥هـ وهو ابن (٥٣سنة) ودفن بواسط[1].

مقتل صالح بن مسرّح زعيم الخوارج ومبايعة شبيب بن يزيد

٧٦هـ قال هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف: كان صالح بن مسرّح أحد بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ويكنى أبا مالك متخشعاً، فأتاه شبيب بن يزيد الشيباني، فقال له صالح: ((إن الحكيم السعيد إذا سمع الحق نوّر الله قلبه وجلا العمى عن بصره)).

وبعث صالح الرسل إلى أصحابه فتواعدوا للخروج في صفر سنة ٧٦هـ ليلة أربعاء، فاجتمعوا جميعاً للميعاد، فقال شبيب لصالح أرى أن نستعرض الناس فإن الكفر قد علا وإن الظلم قد فشا. فقال صالح: بل ندعوهم فإن الدعاء أقطع للحجة، ولا نريد أن نعيب على قوم أعمالاً ندخل فيها، وكان رأي صالح البسط بعد الدعاء، فأقاموا بأرض دارا... ثم بعث لهم محمد بن مروان جيشاً فالتقوا في آمد وقتل صالح. فلمّا رأى شبيب صالحاً قتيلاً قال: إليّ يا معشر المسلمين. فلاذوا به واجتمعوا إليه وحامى بعضهم على بعض حتى دخلوا حصناً بجوثا فقال لهم شبيب: بايعوني أو من شئتم منكم، ثم اخرجوا بنا حتى نبيّتهم فإن الليل أخفى للويل وهم آمنون لكم. فبايعوا شبيباً وأتوا باللبود فبلوها بالماء ثم ألقوها على الجمر وخرجوا فلم يشعر الحارث بن عميرة بن مالك بن حمزة بن أسمع بن ربيب بن شراحيل وأصحابه إلا والخوارج يضربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم، وضارب ابن عميرة حتى صرع فاحتمله أصحابه وانهزموا وخلوا لهم العسكر وما فيه ومضوا إلى المدائن. وكان قتل صالح بن مسرح في سنة ٧٦هـ يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، ويقال يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة[2].

مسير شبيب[3] بن يزيد الشيباني لقتال عنزة

٧٦هـ قال ابن خلدون: سار شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني إلى أرض الموصل فلقي سلامة بن سنان التميمي من تميم شيبان، وأخاه فضالة من أكابر الخوارج، وكان خرج قبل صالح بن مسرح التميمي

---

(١) أنساب الأشراف ج١٣ ص٣٥٣.

(٢) المصدر السابق ج٨ ص٩.

(٣) (هو يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة الروم فابتاع جارية من السبي ووقع عليها فولدت له شبيب بن يزيد في سنة ٢٥هـ في يوم النحر، فقال أبوه: ولد في اليوم الذي تهراق فيه الدماء، وأحسبه سيكون صاحب دماء، وكان اسم أمه جهيرة). أنساب الأشراف ج٨ ص١٧.

من بني امرئ القيس بن زيد مناة في ثمانية عشر رجلاً ونزل على ماء لبني عنزة فقتلوهم وأتوا برؤوسهم إلى عبد الملك يتقربون له بهم، فلمّا دعا شبيب سلامة إلى الخروج شرط عليه أن ينتخب ثلاثين فارساً ويسير بهم إلى عنزة، فيثأر منهم بأخيه، ففعل شرطه، وسار إلى عنزة فأثخن فيهم، وجعل يقتل المحلة بعد المحلة، ثم أقبل شبيب إلى داران في نحو سبعين رجلاً ففرت منهم طائفة من بني شيبان نحو ثلاثة آلاف، فنزلوا ديراً خراباً وامتنعوا منه وسار في بعض حاجاته، واستخلف أخاه مصاد بن يزيد بجماعة من بني شيبان في أموالهم مقيمين، فقتل منهم ثلاثين شيخاً، فيهم حوثرة بن أسد، وأشرف بنو شيبان على مصاد وأصحابه، وسألوا الأمان ليخرجوا إليهم ويسمعوا دعوتهم فأخرجوا، ونزلوا إليهم واجتمعوا بهم، وجاء شبيب فاستصوب فعلهم، وسار بطائفة نحو أذربيجان.

الفضل بن سيار قد خرج قبل خروج صالح بن مسرح فقتلته عنزة فعرض لهم عبدالملك وأنزلهم بأنقاب من حرة الموصل فاختار سلامة بن سيار من أصحابه ثلاثين فأغار بهم على عنزة فقتل منهم بشراً، وقال شعراً:

فَصَبَّحْتُهُمْ قَبلَ الشُّروقِ بِعَتِيبَةٍ	مَساعيرَ لا كُشْفِ اللِّقاءِ ولا عُزْلِ
وَلَيْستْ دِماءُ التَّغْلِبِيِّينَ بِالَّتِي	تُوازي دِماءَ الحَيِّ شَيْبانَ فِي القَتْلِ
لَعَلَّ جِيادِي أَنْ تَعُودَ عَلَيْهِمُ	فَتُنْزِلَهُمْ دارَ الصَّغارِ مِنَ الذُّلِّ[1]

خروج المحاربي بالبحرين وهزيمته على يد والي اليمامة

٧٨هـ خرج رجل من بني محارب بن عمرو بن وديعة بن بكير بن أفصى بن عبدالقيس بالبحرين على محمد بن صعصعة في سنة ٧٨هـ قبل أن يقتل قطري، فكتب الحجاج إلى عبدالملك: إن قطرياً قد شغل من قبلي من المقاتلة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلى إبراهيم بن عربي في أمر هذا الخارجي. فكتب إلى إبراهيم وهو باليمامة: ((أن سر إلى البحرين فإن ظفرت بالمحاربي فلا تقتله وأحسن إليه وأحفظ له بلاءه عند أمير المؤمنين مروان، فإنه لجأ إليهم يوم تجمل، ثم تحول إلى بني تميم)). فخرج إبراهيم إلى البحرين في ألفين فهزم الخوارج وتفرقوا، ورجع إبراهيم إلى اليمامة[2]

فتنة ريان النكري وميمون الخارجي في بلاد البحرين

((وخرج بعد هذا المحاربي على محمد بن صعصعة الكلابي ريان النكري، نُكْرة بني لكيز بن أفصى سنة (٧٧هـ؟) على فراسخ من الخط، وقدم ميمون الخارجي من عمان في أصحابه فنزل دارين، فكتب إليه الريان أن أقبل إليّ فصار ميمون إلى الزرة وأتاه الريان. فندب محمد بن صعصعة الناس، فأبطأ عنه العبديون، وأتاه قوم من أهل الخط فوجه إلى الخوارج رجلاً من الأزد، ويقال وجه إليهم عبدالله ابن عبدالملك العوذي، فهزمهم الخوارج وقتلوا أميرهم، ورجع الفل إلى محمد بن صعصعة، فخافهم

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج٨ ص١٧.

(٢) نفس المصدر ج٨ ص٤٧

محمد ولم يكن معه جند سواهم، وخذله العبديون فخرج من البحرين. وأقام ميمون بالبحرين أربعين يوماً ثم انصرف إلى عمان وأقام الريان بالزارة. وبلغ الحجاج الخبر فبعث يزيد بن أبي كبشة السكسكي وهو يزيد بن حيويل بن يسار بن حي بن قرط بن شبل بن المقلد، مدداً لمحمد بن صعصعة، فسار يزيد وقدم محمد على الحجاج فهمّ بقتله فقال: إن الناس خذلوني ولم يكن معي أحد من أهل الشام وانهزم من وجهت إلى الخوارج وفروا عن أميرهم حتى قتل، فحبسه في السجن حتى مات. وقدم يزيد بن أبي كبشة البحرين في اثني عشر ألفاً، وكان الريان في ألف وخمسمائة فالتقوا، وقتل الريان وهزم أصحابه وأسر منهم أسرى فقتلهم يزيد وصلبهم، وصلب الريان وكتب إلى الحجاج بالفتح وبعث بالرؤوس، فولى الحجاج زياد بن الربيع بن زيد على البحرين، وقدم ابن أبي كبشة والشاميون على الحجاج))[1].

وقد ذكرت هذه الفتنة في سنة ٧٩هـ- ٦٩٨م حيث يوجد اختلاف في سنة وقوعها إذا ما قارنا المصدر السابق في المصدر الذي سنتناوله الآن وهو من كتاب تاريخ الإمارة العيونية للأستاذ عبدالرحمن الملا حيث يذكر: إنه في سنة ٧٩هـ- ٦٩٨م انتفض بالخط جماعة بقيادة رجل يدعى ريان النكري وقويت شوكتها حين قدم من عمان جماعة أخرى بقيادة رجل يدعى ميمون ما كادت تستقر في دارين وتعلم بثورة الخط حتى بادرت بالانضمام إليها فحاول مولى الأمويين محمد بن صعصعة القضاء على تلك الانتفاضة بيد أنه لم يجد أذناً صاغية من عبدالقيس فأعد جيشاً من الأزد لكنه لم ينجح فكر البلاد بجلده ولكن الخلاف لم يلبث أن ثار بين ميمون والريان فاضطر ميمون إلى ترك البحرين والعودة إلى عمان واستقر الريان بالزارة.

فتنة داود بن محرز العبقسي في البحرين

٨٠هـ- ٦٩٩م أرسل الحجاج جيشاً من البحرين بقيادة يزيد بن أبي كبشة في اثني عشر ألف مقاتل والتقى بالريان وكان عدد أصحابه لا يزيد على الألف وخمسمائة مقاتل، فدارت بين الفريقين معركة بالغة العنف في ميدان الزارة أسفرت عن مصرع الريان وقتل عدد كبير من أتباعه.

وقد ثار بالبحرين على أثر مصرع الريان داود بن محرز بن عبدالقيس في جماعة من قومه فاستولى على القطيف وأمر بإنزال جثة الريان وغيره من المصلوبين ودفنهم، وألحق الهزيمة بجيش أعده لقتاله ((البهاء)) صاحب شرطة القطيف، كما ألحق الهزيمة بجيش تشكل معظم أفراده من الأزد بقيادة عبدالرحمن بن النعمان العودي[2].

وفي هذا العام: فتك الطاعون بالبصرة.

وفيه: جرفت السيول الحجاج في مكة وجرفت أحمالهم وغرقت بيوت مكة وعرف هذا العام بـ (عام الجحاف).

---

(١) المصدر نفسه ج٨ ص٤٩.

(٢) تاريخ الإمارة العيونية لعبد الرحمن الملا.

وفاة محمد بن الحنفية رحمه الله

٨١هـ وفيها توفي محمد بن الحنفية بالمدينة ودفن بالبقيع ويقال إن ذلك في سنة ٨٢هـ وله ٦٥ سنة، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وهو والي المدينة[1].

وفيها: عبدالملك بن مروان بنقل الدواوين من الرومية إلى العربية.

تشدد الحجاج في أمر الخراج ومبايعة الناس لابن الأشعث

٨٢هـ قال ابن خلدون: اشتد الحجاج على الناس في الخراج، وأمر مَن دخل الأمصار أن يرجع إلى القرى، يستوفي الجزية، فنكر ذلك الناس، وجعل أهل القرى يبكون منه، فلمّا قَدِمَ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بايعوه على حرب الحجّاج وخلع عبد الملك.

ثم اشتد القتال بينهم في المحرّم سنة ٨٢هـ وتراجعوا على حرب الحجاج وخلع عبد الملك. وانهزم أهل العراق وقصدوا الكوفة، وانهزم منهم خلق كثير. وفشا القتل في القرى، فقتل منهم عُقْبَة بن الغافر الأزدي في جماعة استلحموا معه، وقتل الحجّاج بعد الهزيمة منهم عشرة آلاف، وكان هذا اليوم يسمى يوم الزاوية. واجتمع مَن بقي بالبصرة على عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وبايعوه، فقاتل بهم الحجّاج خمس ليالٍ ثم لحق بابن الأشعث بالكوفة ربيعة، طائفة من أهل البصرة. ولما جاء عبد الرحمن الكوفة وخليفة الحجّاج عليها عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله الحَضْرَمي، وثب به مُطَرِّ بن ناجِيَة من بني تميم مع أهل الكوفة، فاستولى على القصر وأخرجه. فلمّا وصل ابن الأشعث لقيه أهل الكوفة احتفت به هَمْدان وجاء إلى القصر فمنعه مطر فقصد الناس القصر وأخذوه، فحبسه عبد الرحمن وملك الكوفة.

وقعة دير الجماجم بين ابن الأشعث الكندي وبين الحجاج

٨٣هـ قال الحميري عند حديثه عن دير الجماجم: بظاهر الكوفة على شاطئ الفرات... وبهذا الموضع كانت الوقيعة بين عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، وبين الحجاج بن يوسف فإنه قد كان خلع عبدالملك بن مروان سنة اثنتين وثمانين، فبعث إليه عبدالملك ابنه عبدالله في أهل الشام وأخاه محمد بن مروان في أهل الجزيرة، ومع عبدالرحمن خيار أهل الأرض من القراء خرجوا منكرين لأمر الحجاج، فخيراه في عزل الحجاج ومراجعة الطاعة فلم يجب إلى ذلك فولى الحجاج حربه، فكانت وقعة ابن الأشعث مع الحجاج بدير الجماجم في شعبان من سنة ثلاث وثمانين، فهزم عبدالرحمن ولحق ببلاد الترك بعد أن كانت بينهما ثمانون وقعة أكثرها على الحجاج، وصار عبدالرحمن إلى رتبيل ملك الترك فقبله وأكرمه وصار إليه في أصحابه وهم زهاء عشرين ألفاً، وكان ابن الأشعث لما انهزم توجه إلى نيسابور ثم إلى كرمان فأغلق الباب دونه فسار إلى رتبيل ملك الترك، فوجه إليه الحجاج من ضمن له ألف

---

(١) أنساب الأشراف ج٣ ص٤٨٧.

ألف وأربعمائة ألف درهم على أن يسلم ابن الأشعث إليه، ففعل فقتل نفسه خشية أن يمثل به فحمل إليه رأسه. وقال الأصمعي: كانت لابن الأشعث أربع وقعات. وقعة الأهواز ووقعة الزاوية ووقعة دير الجماجم ووقعة بدجيل[1]. وفي هذه الوقعة هرب ابن الأشعث إلى مسكن.

وفي هذه السنة: الحجاج يبني مدينة واسط.

موقف سعيد بن المسيب من مبايعة ابني عبدالملك

٨٦هـ كتب عبدالملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي، وهو بالمدينة، يأمره أن يدعو الناس إلى بيعة الوليد وسليمان، فبايعوا غير سعيد بن المسيب، فإنه قال: لا أبايع لأحد وعبدالملك حي، فضربه هشام ضرباً مبرحاً، وألبسه المسوح، وحمله إلى ثنية بالمدينة كانوا يقتلون عندها ويصلبون، فظن أنهم يريدون قتله، فلمّا انتهى إليها ردوه فقال: لو ظننت أنهم لا يصلبونني ما لبست سراويل مسوح، ولكن قلت يسترني. وبلغ عبدالملك خبر سعيد فقال: قبح الله هشاماً، إنما كان ينبغي له إذ أبى أن يضرب عنقه، وكتب إلى هشام يلومه ويقول: إن سعيداً لم يكن ممن تخافه، وقد كان ينبغي لك أن تدعه[2]. وفي هذه السنة عُيِّن عمر بن عبدالعزيز بن مروان أميراً على مكة والمدينة والطائف[3].

وفاة عبدالملك وخلافة ابنه الوليد

مات عبدالملك بن مروان للنصف الأول من شوال سنة ٨٦هـ وهو ابن (٦٣)[4] وقال للوليد: إذا أنا متّ فضعني في قبري ولا تعصر علي عينيك عصر الأمة، ولكن شمر واتزر والبس للناس جلد النمر فمن قال برأسه كذا فقل بسيفك كذا. وصلى عليه ابنه الوليد، وفي أيام عبدالملك حولت الدواوين إلى العربية عن الرومية والفارسية. ويقال حولت في زمن الوليد. وأم الوليد ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث ابن زهير بن جذيمة العبسي[5].

كان عبدالملك بن مروان يلقب (رشح الحجر) لبخله، و(أبا الذبان) لنتن فمه وفساد عمور أسنانه واجتماع الذبان عليها وعلى شفتيه. ولم يزل ينسك قبل الخلافة، وقد روى الحديث عن عثمان وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري. قال المدائني: كان عبدالملك آدم جميلاً أقنى كأنه من رجال يهود في تمامه[6].

---

(١) الروض المعطار للحميري ص١٧٦.

(٢) أنساب الأشراف ج٧ ص٢٥٦.

(٣) إتحاف الورى بأخبار أم القرى، لعمر بن فهد، تحقيق فهيم شلتوت جامعة أم القرى ط١ ج٢ ص١١٢.

(٤) هناك اضطراب في تحديد عمر الخليفة عبدالملك عند وفاته. عند البلاذري الذي ذكر عدة أقوال في ذلك ومنها قوله: قال الواقدي: قبض وهو ابن ٥٨سنة. (ج٧ ص٢٠٤) وقال: مات للنصف من شوال سنة ٨٦هـ وهو ابن ٦٣سنة. (ج٧ ص٢٧٠).

(٥) العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ ص١٤٠ وص١٥٨.

(٦) أنساب الأشراف ج٧ ص١٩٤.

خروج مسعود المحاربي بالبحرين

خرج مسعود بن أبي زينب أحد ولد محارب بن عبدالقيس بالبحرين على الأشعث بن عبدالله بن الجارود فخرج الأشعث عن البحرين وأخذ مسعود عبدالرحمن بن النعمان العوذي ومنصور بن أبي رجله العوذي فقتلهما[1]. وذكر أن الخوارج ثاروا أيضاً في سنة ٨٩هـ بقيادة مسعود بن أبي زينب العبدي واستعادوا نفوذهم على البحرين حتى سنة ١٠٥هـ.

٨٨هـ.

- عمر بن عبدالعزيز يجدد بناء الحرم النبوي.

- الوليد بن عبدالملك يأمر بحفر الآبار وعمل الفوارة في المدينة المنورة وجر المياه إليها وإصلاح الطرق وإنشاء المشافي للمرضى.

خروج داود العبدي بالبصرة

٩٠هـ خرج داود بن عقبة العبدي من عبد الخوارج والمجتهدين بالبصرة في سنة ٩٠هـ ومروان بن المهلب على البصرة خليفة يزيد، فوجه إليه خيلاً فقتل هو وأصحابه بموقوع[2]

عزل عمر بن عبدالعزيز عن إمارة المدينة بإشارة الحجاج

٩٣هـ قال ابن خلدون: الحجّاج كتب إلى الوليد: إنّ كثيراً من المُرّاق وأهل الشقاق قد انجلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة ومنعهم عمر وأصابه من ذلك وهن. فولّى الوليد على مكّة خالد بن عبد الله القسْرِيّ وعُثْمَانَ بن حَيَّانَ بإشارة الحجّاج، وعزل عمر عن الحجاز وذلك في شعبان من السنة. ولما قَدِمَ خالد مكة أخرج مَن كان بها من أهل العراق كرهاً، وتهدّد مَن أنزل عراقيًّا أو أجره داراً، وكانوا أيام عمر ابن عبد العزيز يلجأ إلى مكة والمدينة كل مَن خاف الحجّاج فيأمن.

وفيها ضمت أسبانيا والبرتغال للخلافة الأموية وكان ملك الأندلس حين فتحت يقال له لوذريق من أهل أصبهان وبأصبهان سمي أهل قرطبة الأسبان[3]

وفيها: توفي الإمام أنس بن مالك.

وفاة زين العابدين وابن المسيب وعروة بن الزبير رحمهم الله

٩٤هـ مات علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في أول السنة بالمدينة. ثم مات بعده سعيد ابن المسيب وهو ابن (٧٥سنة) ثم مات عروة بن الزبير، ومات في هذه السنة أبو بكر بن عبدالرحمن بن

---

(١) المصدر نفسه ج٨ ص٣٥٤.

(٢) المصدر نفسه ج٨ ص١١٩.

(٣) المسالك والممالك لابن خرداذبه ص٩٠

الحارث بن هشام، فسميت هذه السنة سنة الفقهاء[1]، وقد ذكر ابن شدقم أن زين العابدين توفي رحمه الله في سنة ٩٥هـ[2].

مقتل سعيد بن جبير على يد الحجاج

٩٥هـ في شعبان. قَتَلَ الحجاج بن يوسف الإمام أبا محمد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي[3]. فمات الحجاج بعده بعام وشهر تقريباً

وفاة الوليد بن عبدالملك

٩٦هـ مات الوليد بن عبدالملك في النصف من شهر ربيع الأول سنة ٩٦هـ وهو ابن (٤٤سنة) وصلى عليه سليمان وكانت ولايته عشر سنين غير شهور. وولي بالخلافة من ولد الوليد إبراهيم شهرين ثم خلع وولي يزيد الكامل شهراً ثم مات. كان الوليد أسن ولد عبدالملك وكان يحبه فتراخى في تأديبه لشدة حبه إياه فكان لحّاناً. وقال عبدالملك: أضرنا في الوليد حبنا فلم نوجهه إلى البدية. وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم وأكثرهم فتوحاً وأعظمهم نفقة في سبيل الله، بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر وأعطى المجذومين حتى أغناهم عن سؤال الناس وأعطى كل مقعدٍ خادماً وكل ضرير قائداً[4].

خلافة سليمان بن عبدالملك بن مروان

ثم بويع سليمان بن عبدالملك في ربيع الأول سنة ٩٦هـ بعد وفاة أخيه الوليد، واستمرّ بالخلافة إلى أن مات سنة ٩٩هـ بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر خلون من صفر وهو ابن ٤٣سنة وصلى عليه عمر بن عبدالعزيز. وكانت ولايته سنتين وعشرة أشهر ونصفاً، وكان فصيحاً جميلاً وسيماً نشأ بالبادية عند أخواله بني عبس وولد في المدينة في بني جديلة

سخط سليمان على الحجاج الثقفي وقتيبة الباهلي

((قالوا: وكان الحجاج بن يوسف وقتيبة[5] بن مسلم أشارا على الوليد بتولية ابنه عبدالعزيز العهد مكان سليمان أو بعده، فحقد على قتيبةَ سليمانُ، فلمّا استخلف سليمان قال قتيبة وهو بخراسان: أيها

(١) أنساب الأشراف ج١٠ ص٢٣٧

(٢) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص١٥٤

(٣) إتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهيم شلتوت جامعة أم القرى ط١/١٩٨٣ ج٢ ص١٢٨).

(٤) العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي ت٣٢٨ ج٥ ص١٥٩

(٥) ولي قتيبة الري للحجاج، وولي خراسان (١٣سنة) وفتح خوارزم وسمرقند وبخارى، وكانوا قد كفروا، وقتل وهو ابن (٤٥سنة)

الناس، قد وليكم هَبَنَّقَةُ القيسي، وذلك أن سليمان كان يعطي أهل الشرف واليسار والنباهة ولا يرفع خسيسة ولا يصطنع خاملاً، وذلك أن هبنقة كان يحص سِمَانَ إبله بالمرعى والعلف ويضرب المهازيل، ويقول: أنا لا أُصلحُ ما أفسد الله، ولا أفسد ما أصلح فنُسب إلى الحمق، وكان ذلك سبب مخالفة قتيبة حتى قتل بخراسان))[1].

دعوة قتيبة الناس إلى خلع سليمان ثم مقتله

((كان قتيبة مستوحشاً من سليمان بن عبدالملك، وذلك لأنه سعى في بيعة عبدالعزيز بن الوليد فيمن سعى وأراد دفعها عن سليمان، فلمّا مات الوليد قام قتيبة فخطب الناس فوقع في سليمان ودعا الناس إلى خلعه فلم يجيبوه، فشتم بني تميم وبكر بن وائل والأزد، فأجمعوا على حربه فطلبوا إلى حضين بن المنذر الرقاشي أن يتولى أمرهم فأبى ذلك وأشار عليهم بوكيع بن أبي سود وقال: هذا أمر لا يقوى عليه غيره، لأنه أعرابي تطيعه عشيرته، وقد قتل قتيبة من قتل آل الأهتم فسعوا إلى وكيع فبايعوه، وكان السفير بينه وبينهم حيّان مولى مصقلة بن هبيرة، فكان قتيبة يبعث إلى وكيع فيطلي رجله بمغرة ويقول: أنا عليل، ثم إنه دعا بفرسه وأخذ حمار أم ولده فعقده عليه، ولقيه رجل يقال له إدريس فقال له: يا أبا مطرف إنك تريد أمراً وقد تخاف أمراً قد أمسك الله منه والرجل قاتله الله. فقال وكيع: هذا وكيع رسول إدريس، أقتيبة يؤمنني؟ والله لا آتيه حتى أوتى برأسه. وزحف نحو فسطاط قتيبة وتلاحق الناس به وقتيبة في أهل بيته وقوم وفوا له، فوثبوا عليه فقتلوه، والثبت أن عمود فسطاط قتيبة وقع على هامته فقتله، وأخذ رأس قتيبة سعيد ابن نجد الأزدي وانتزع من دفع الرأس إلى وكيع، فبعث به إلى سليمان - ابن عبدالملك - مع رجل من بني حنيفة))[2].

العداوة القديمة بين وكيع وقتيبة

((قالوا: كتب الحجاج إلى قتيبة: إنه لم يبق بخراسان حمار يهق غير وكيع بن أبي سود، فإذا أتاك كتابي فاضرب عنقه. فكتب إليه: إنه ليس بخراسان رجل أعظم غناء منه في محاربة العدو. فكتب إليه إنه ليس بوكيع بن أبي سود، ولكنه وكيع بن حسان، لص من أهل سجستان فإذا جاءك كتابي فحُل لواءه وقوّض بناءه. وكان وكيع شهد مع قتيبة قتال الترك فقال له: يا أبا مطرف إنما مثلك اليوم مثل الدرع الحصينة التي يحتاج إليها في يومها، وهذا يومك، فحمل وحملوا فهزم الترك. وعزل قتيبة وكيعاً عن الرئاسة، وولاها ضرار بن حصين الضبي، فكتب يزيد بن عمير الأسدي إلى قتيبة: إنك عزلت السباع واستعملت الضباع))[3].

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج٨ ص١٠٣.

(٢) المصدر السابق ج١٢ ص١٩١.

(٣) المصدر السابق ج١٢ ص١٩٢

وفاة الحجاج وولاية ابنه على العراق

في العقد الفريد: أن الحجاج مات في آخر أيام الوليد بن عبدالملك، فتفجع عليه الوليد، وولّى مكانه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال الوليد: مت الحجاج ووليت مكانه يزيد بن أبي مسلم، فكنت كمن سقط منه درهم فأصاب ديناراً.

تصفية سليمان بن عبدالملك لقوم الحجاج

قال ابن خلدون: ((قام سليمان بن عبدالملك بعزل ولاة الحجّاج عن العراق فولّى يزيد بن المهلّب على المصْرَيْن وعزل عنهما يزيد بن أبي مسلم. فبعث يزيد أخاه زياداً على عمّان وأمر سليمان يزيد بن المهلّب بنكبة آل أبي العُقَيْل قوم الحجّاج وبني أبيه وبسط أصناف العذاب عليهم، فولّى على ذلك عبد الملك ابن المهلب))

إلى أن قال: ((ونقلهم من البلقاء وفيهم زوجة يزيد بن عبدالملك وعذبها، وجاءه يزيد بن عَبْد الملك إلى منزله شافعاً فلم يشفعه، فضمن حمل ما قرر عليها فلم يقبل، فتهدده فقال له ابن المهلب: لئن وليت أنت لأرمينك بمائة ألف سيف، فحمل يزيد بن عَبْد الملك عنها مائة ألف دينار))

انتقال الإمامة إلى بني العباس سِرّاً

وفيها ((حين حضرت عبدالله بن محمد – ومحمد هو ابن الحنفية بن علي بن أبي طالب – الوفاة لشربه لبناً مسموماً على يد قوم لم يعرفهم في بلاد لخم وجذام وهو في طريقه لفلسطين، ورد في العقد الفريد الآتي: قال عبدالله: ميلوا بي إلى ابن عمي ومن لا جئتني أدركه! فأسرعوا حتى أتوا الحميمة من أرض الشراة وبها محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، فنزل بها فقال: يابن عمي، إني ميت وقد صرت إليك وأنت صاحب الأمر وولدك القائم به ثم أخوه من بعده والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى تخرج الرايات السود من قعر خراسان ثم ليغلبنَّ على ما بين حضرموت وأقصى إفريقيا وما بين الهند إلى أقصى فرغانة فعليك بهؤلاء الشيعة واستوص بهم خيراً فهم دعاتك وأنصارك ولتكن دعوتك خراسان لا تعدوها لا سيما مرو))[1].

٩٧هـ ولي على البصرة عبدالله بن هلال الكلابي ثم عزل عنها سنة ٩٨هـ وتولى بعده سفيان بن عبدالله الكندي[2].

وفاة سليمان بن عبدالملك وخلافة عمر بن عبدالعزيز

٩٩هـ قال ابن خلدون: توفي سليمان بدابق من أرض قنّسرين في صفر، وقد كان في مرضه أراد أن

---

(١) العقد الفريد ج٥ ص٢٠٥.

(٢) التحفة النبهانية.

يعهد إلى ولده داود، ثم استصغره وقال له كاتبه رجاء بن حيوة: ابنك غائب عنك بقُسْطَنْطينية ولا يعرف حياته من موته، فعدل إلى عُمَرَ بن عبد العزيز وقال له: إني والله لأعلم أنها تكون فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده، وكان عبد الملك قد جعل ذلك له، وكتب بعد البسملة: هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبدالعزيز: إني قد ولّيتك الخلافة بعدي ومن بعدك يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم، وختم الكتاب.

ثم مات سليمان وجمع رجاء أهل بيته فقرأ عليهم الكتاب. فلمّا ذكر عمر قال هشام: والله لا نبايعه أبداً. فقال له رجاء: والله نضرب عنقك. فقام أسفاً يجرّ رجليه، حتى جاء إلى عمر بن عبدالعزيز، وقد أجلسه رجاء على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه، فبايعه واتبعه الباقون. كان عمر بن عبدالعزيز بن مروان ابن الحكم يلقب بخامس الخلفاء الراشدين وكان من العلماء والعُبّاد الزُّهّاد المتقطعين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي الخلافة يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٩٩هـ وكان على حرسه عمرو المهاجر ويقال أبو العباس الهلالي[1]. وكان عمر بن عبدالعزيز أشجّ، ضربه حمار وهو بمصر، فلمّا رآه أخوه الأصبغ قال: هذا والله أشجّ بني أمية، يملأ الأرض عدلاً[2].

---

(١) العقد الفريد لابن عبدربه ج٥ ص١٦٨

(٢) أنساب الأشراف ج٨ ص١٢٦.



أحداث
القرن الثاني الهجري



موقف عمر بن عبدالعزيز ﵁ من أصحاب الجمل

سئل عمر بن عبدالعزيز عن عليّ، وعثمان ﵄ وأمر الجمل فقال: ((تلك دماء كفّ الله عنها يدي، فأنا أكره أن أغمس فيها لساني))[1]

عمر الخليفة وجرير الشاعر

قال البلاذري: حدثني عبدالرحمن بن حرزة أحد ولد جرير بن عطية الخطفي قال: وفد جرير على عمر بن عبدالعزيز فعبر حيناً لا يصل إليه، ثم رأى ذات يوم عون بن عبدالله المسعودي - الهذلي- يريد الدخول عليه وكان قارئاً فقام إليه جرير فقال له:

يَا أَيُّهَا الْقَارِئُ الْمُرْخِي عِمَامَتَهُ ... هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي

أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لاقِيَهُ ... إِنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرَنِ

فقال له عون: إن أمكنني ذلك فعلت إن شاء الله. فلمّا دخل عون على عمر سلم وجلس حتى فرغ من حوائج الناس، ثم أقبل عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن ببابك جرير بن عطية وهو يطلب الإذن، فقال عمر: أو يُمنع أحد من الدخول؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، لكنه يطلب إذناً خاصًّا ينشدك فيه. قال: يا غلام أدخل جريراً. فأُدخل إليه وعون جالس فأنشد جريرٌ عمر

أَأَذْكُرُ الْجَهْدَ وَالْبَلْوَى الَّتِي شَمَلَتْ ... أَمْ أَكْتَفِي بِالَّذِي نُبِّئْتَ مِنْ خَبَرِي

كَمْ بِالْمَوَاسِمِ مِنْ شَعْثَاءَ أَرْمَلَةٍ ... وَمِنْ يَتِيمٍ ضَعِيفِ الصَّوْتِ وَالنَّظَرِ

مِمَّنْ تُرَجَّى لَهُ مِنْ بَعْدِ وَالِدِهِ ... كَالْفَرْخِ فِي الْعُشِّ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِرِ

---

(1) نفس المصدر ج٨ ص١٧٦.

فبكى عمر حتى بلت دموعه لحيته، وأمر بصدقات تفرق على الفقراء في النواحي، فقال جرير.

هٰذي الأرامـلُ قـد قَـضَّـيْـتَ حـاجَـتَـهـا ... فَـمَـنْ لِـحَـاجَـةِ هٰـذا الأَرْمَـلِ الـذَّكَـرِ

فقال له: يا جرير أنت من أبناء المهاجرين الأولين؟ قال: لا، قال. أفمن أبناء الأنصار؟، قال: لا، قال. أفمن أبناء التابعين بإحسان؟ قال: لا، قال أفمن فقراء المسلمين أنت فنجريك على ما نُجري عليه الفقراء؟ قال: قدرتي فوق ذلك، قال أفأنت ابن سبيل فنعينك على سفرك؟ قال: قدرتي فوق ذلك، فقال يا جرير ما أرى لك بين الدفتين حقًّا

فولى جرير فقال عون: يا أمير المؤمنين بن خلفاء كنت تعوّده الإحسان، وإن مثل لسانه يُتَّقى، فقال عمر: ردوه، فرد فقال له عمر: يا جرير إن عندي من مالي عشرين ديناراً وأربعة أثواب فأقاسمك ذلك فقال: بل تُوفَّر يا أمير المؤمنين وتُحْمَد. فلمّا خرج تلقاه الناس فقالوا له: ما وراءك؟ قال خرجت من رجل يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، وإني له لحامد. ولم يذكره بسوء. وقال فيه حين مات:

فالشـمـسُ كـاسِـفَـةٌ لَـيْـسَـتْ بِـطـالِـعَـةٍ ... تَـبْـكِـي عـلـيـكَ نُـجُـومَ الـلَّـيْـلِ وَالـقَـمَـرا[1]

وفاة عمر بن عبدالعزيز ﷺ وخلافة يزيد

١٠١هـ توفي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﷺ وهو ابن (٣٩سنة) وكانت خلافته ثلاثين شهراً، ودفن بدير سمعان على مقربة من معرة النعمان[2] مات في يوم الجمعة لستٍّ بقين من رجب، وصلى عليه يزيد بن عبدالملك، وهو الذي ولي الخلافة بعد عمر، وأم يزيد هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية[3]

عشق الخليفة يزيد لحبابة

كان يزيد بن عبدالملك كلفاً بحبابة كلفاً شديداً فلمّا توفيت اكبّ عليها أياماً يترشفها ويتشممها، ثم أنتنت فقام عنها وأمر بجهازها، ثم خرج بين يدي نعشها حتى إذا بلغ القبر نزل فيه حتى اذا فرغ من دفنها وانصرف لصق إليه مسلمة أخوه يعزيه ويؤنسه فلمّا أكثر عليه قال: قاتل الله ابن أبي جمعة - كثير عزة - حيث يقول.

فإنْ تَـسْـلُ عـنـكَ الـنَّـفـسُ أو تَـدَعِ الـهَـوَى ... فَـبـالـيَـأسِ تَـسْـلُـو عـنـكَ لا بـالـتَّـجَـلُّـدِ

وكُـلُّ خَـلـيـلٍ زارَنِـي فَـهْـوَ قـائِـلٌ ... مِـنَ اجْـلِـكَ. هٰـذا هـامَـةُ الـيَـوْمِ أو غَـدِ

وعزة هي بنت جميل بن حفص بن إياس بن عبدالعزى بن حاجب بن غفار التي كان كثير بن عبدالرحمن يشبب بها، وقال الأصمعي. سمع كثير عزة منشداً ينشد شعر جميل بن عبدالله بن معمر العذري الذي يقول فيه:

---

(١) أنساب الأشراف ج٨ ص١٣٤

(٢) المصدر السابق ج٨ ص١٢٦.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ ص١٧٥.

ما أنتِ والوَعْدَ الذي تَعِدينَني	إلَّا كَبَرْقِ سَحابةٍ لم تُمْطِرِ
تُقْضى الديونُ وليسَ يُنْقَضى عاجِلاً	هذا الغَرِيمُ ولستُ فيه بمعسرِ
يا لَيْتَني أَلْقى المَنِيَّةَ بَغْتَةً	إنْ كانَ يومُ لِقائِكُمْ لَمْ يُقْدَرِ
بهواكِ ما عِشْتُ الفُؤادُ وإنْ أَمُتْ	يَتْبَعْ صَدايَ صَداكِ بَيْنَ الأَقْبُرِ

فقال كثير: هذا والله الشعر المطبوع، ما قال أحد مثل قول جميل وما كنت إلّا رواية لجميل، ولقد أبقى للشعراء مثالاً تحتذي عليه[1].

ولاية عمر بن هبيرة على العراق

١٠٢هـ وفيها: قتل يزيد بن المهلب، فولي عمر بن هبيرة الفزاري على العراق، وقال المدائني: يقال إن الهذيل بن زفر قتل يزيد، وإن القحل احتز رأسه[2] واستأذنت باهلة في صلب يزيد بن المهلب فأذن لها فصلبوه منكساً وشدّوا على بطنه سمكة. قال ذو الرمة:

لَوَدَّتِ الأزدُ إذ رَثَّتْ حَبائِلُهُمْ	أنَّ المُهَلَّبَ لَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَلِدِ
كانُوا ذوي عددٍ ثَرٍّ وعمائرةٍ	مِنَ السِّلاحِ وأبطالاً ذوي نَجَدِ
فَمَا تَرَى منهمُ مِنْ بَعْدِ كَثْرَتِهِمْ	إلَّا الأَرامِلَ والأَيتامَ مِنْ أَحَدِ

قالوا: وأقام مسلمة بعد يزيد على العراق ثمانية أشهر ويقال ستة أشهر، فقدح فيه عند يزيد بن عبدالملك...، فعزله وولى العراق عمر بن هبيرة[3].

دخول ابن هبيرة من خلال قلب حبابة إلى قلب يزيد

ذكر البلاذري: غلبت حبابة على يزيد بن عبدالملك وانقطع إليها عمر بن هبيرة[4] وكان يهدي إليها، فلطفت منزلته من يزيد حتى كان يدخل عليه في أي الأوقات شاء. ولما عزم يزيد على عزل مسلمة ابن عبدالملك عمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل حبابة، فكانت تعمل له في ذلك حتى ولاه إياها يزيد.

قيل للقعقاع بن خليد العبسي: إن ابن هبيرة قد أشرف على ولاية العراق. قال: ومن يطيق ابن هبيرة: حبابة بالليل وهداياه بالنهار، فلم تزل حبابة تعمل لابن هبيرة حتى ولي العراق. وولي ابن هبيرة العراق وخراسان وزحزح عنها مسلمة بن عبدالملك فقال الفرزدق:

---

(١) المصدر السابق ج٦

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج٨ ص٣٢٨-٣٣٠

(٣) المصدر نفسه ج٨ ص٣٣٨-٣٤٤.

(٤) عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان.

راحت بمسلمة البغالُ مُوَدّعاً	فارْعَيْ فزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ
وَلَقَدْ علمتُ إذا فزارةُ أُمِّرَتْ	أنْ سَوْفَ تطمعُ في الإمارة أشْجَعُ
وَأرَى البلادَ تَنَكَّرَتْ أعلامُها	حتّى أُمَيَّةُ عَنْ فَزارَةَ تَنزِعُ
نزع ابنُ بشرٍ وابنُ عمرٍو قبلهُ	وأخو هَرَاةَ لِمِثْلِهَا يتَوَقَّعُ

عبدالملك بن بشر، ومحمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة، وأخو هراة: سعيد بن عبدالعزيز خُذينة[1]

خروج مسعود بن أبي زينب المحاربي

١٠٥هـ[2] خرج مسعود بن أبي زينب العبدي المحاربي إلى اليمامة وعليها سفيان بن عمرو العقيلي ولاه إياها عمر بن هبيرة الفزاري في أيام يزيد بن عبدالملك، فخرج سفيان بن عمرو العُقيلي بأهل اليمامة فلقي مسعوداً بالخضرمة فقاتله فانكشف أهل اليمامة عن سفيان، ثم كروا والتقى عضّاص بن تميم بن مُحلّم العدوي - عدي الرباب - ومسعود فاختلفا ضربتين فقتل عضاصٌ مسعوداً.

قيام هلال بن مدلج بأمر الخوارج بعد مقتل مسعود فقتل أيضاً

وقام بأمر الخوارج هلال بن مُدْلج فقاتلهم يومه كله فقتل ناس من الخوارج، وقتلت زينب أخت مسعود، فلمّا أمسى هلال تفرق عنه أصحابه، وبقي في عصبة، فدخل قصراً فتحصن فيه، فقال عبيدالله بن مالك عم تميم بن مُحَلّم: علام تدع هذا وقد جبن لكم نفسه، وقد تفرق أصحابه، ولعل طائفة منهم تعود إليه. فطلبوا سلماً فلمّا وجدوه أحجم الناس عنه وهابوا الإقدام، فرقي عبيدالله إلى حائط القصر وتلقاه هلال بن مدلج الخارجي على الحائط فاختلفا ضربتين فقتل عبيدالله هلالاً، وجرحه هلال فبرئ من جراحاته، واستأمن من بقي في القصر منهم. وقال الهيثم بن عدي: قتل مسعوداً رقيب بن عبدالرحمن، مولى بني شيبان، واحتز رأسه رجل من بني سعد، والأول أثبت[3].

قال الفرزدق:

ولولا سيوفٌ من حنيفةَ جُرّدَتْ	بِبُرقانَ أمسى كاهلُ الدِّينِ أزْوَرا
تركن لمسعودٍ وزينبَ أختِهِ	رداءً وجلباباً من الموتِ أحْمَرا

انقسام الخوارج بين هجر والقطيف

قالوا: لما قتل مسعود قام أخوه سعيد بالبحرين، فقال سعيد: قال الله ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ

---

(١) المصدر نفسه ج٨ ص٢٦٩.

(٢) راجع سنة ٨٦هـ.

(٣) المصدر السابق ج٨ ص٣٥٤

سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فلا تحلّ الصلاة للسكران، وما حُرِّم السكر، ففارقه عون بن بشر أحد بني الحارث بن عامر بن حنيفة وأكفره، فصار أصحاب سعيد فرقتين، فرقة معه وفرقة مع عون، فخرج عون عن هجر وأتى القطيف فجاءه ناس كثير، وبقي سعيد بهجر، فدس سعيد رجلين ليفتكا بعون أحدهما حبشي يقال له بكير، فقدما القطيف فوجأه بكير بمحجر في خاصرته، وأُخذ بكير فدفع إلى الوالي فقيل له: من أمرك بهذا؟ قال: أنت. فدفعه إلى عون فقتله، ومات عون بن بشر، وأقام سعيد بن أبي زينب بهجر ولم يعتقد[1].

وفاة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفي هذا العام مات ببلاد البلقاء يزيد بن عبدالملك يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان وهو ابن (٣٤سنة)، وصلى عليه أخوه هشام بن عبدالملك، وكانت ولايته أربع سنين وشهراً. وكان يزيد صاحب لهو ولذّات وهو صاحب حبابة وسلامة وفي ولايته خرج يزيد بن المهلب[2]

خلافة هشام بن عبدالملك بن مروان

بويع هشام بن عبدالملك بن مروان بعد وفاة أخيه يزيد، وأم هشام هي أم هشام عائشة بنت إسماعيل ابن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكانت عائشة ام هشام حمقاء فطلقها عبدالملك لحمقها، وولدت هشاماً وهي طالق ولم يكن في ولد عبدالملك أكمل من هشام[3].

اهتمام هشام بنفائس الخيل

في خلافة هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ) صار إبراهيم بن عربي الكناني[4] والياً على اليمامة يقول ابن الكلبي في كتابه أنساب الخيل ص٢٢٤-: خبرني بعض علماء أهل اليمامة أن هشام بن عبدالملك كتب إلى إبراهيم بن عربي الكناني أن أطلب في أعرب باهلة، لعلك تصيب لي من ولد الحرون شيئاً فإنه مسلم بن عمرو الباهلي كان يُطرقهم، ويُحبُّ أن يبقى فيهم نسلُهُ فبعث إلى مشايخهم، فسألهم،

---

(١) المصدر السابق ج٨ ص٣٥٥.

(٢) العقد الفريد ج٥ ص١٧٦.

(٣) نفس المصدر.

(٤) وذكر عبدالرحمن ابن السويداء أن إبراهيم بن عربي ولي اليمامة فيما بين (٧٦-٩٦هـ) ثم إنه حددها فيما بين (٨٦ ٩٦هـ) وقد ذكرت ولاية ابن عربي على اليمامة في عهد يزيد بن عبدالملك (١٠١هـ - ١٠٥هـ) على اليمامة والبحرين ثم تولى اليمامة في عهد هشام بن عبدالملك.

قال البعيث الشاعر يهجو ابن عربي

ترى منبرَ العبدِ اللئيمِ إذا بَدَا ثلاثةُ غربانٍ عليهِ وقوعُ

يقصد كفيه ووجهه وهي سوداء على بياض ثيابه، وكان إبراهيم بن عبدالرحمن بن نافع بن عربي بن مكث الكناني كلما ذكر هذا البيت قال: قاتل الله البعيث رجع. الـ١٠٠٠سنة العاصمة لابن السويداء ط١ ص٢٠٤.

فقالوا: ما نعلم شيئاً غير فرس عند الحكم بن عرعرة النُّمَيْري يقال له «الحموم»، فبعث إليه، فجيء بها. وجاء رجلٌ من سعد بفرس أشقر أقرح، من ولد لاحق، فلمّا نظر إليه الحكم بن عرعرة ويقال إنه أبصر الناس بفرسٍ، فقال: ماله قاتله الله! إن سبقنا شيء فهذا خليقٌ. وكان يحاكها عشر غلاء ويتقدمها، ثم تغضب وتدركها عروق كرام فتسبقه. فلمّا أرسلت الخيلُ، صدر الأشقر السعدي عليها. وانقطعا من الخيل. فرجز السعدي، فأنشأ يقول:

نحنُ صَبَّحْنا عامراً في دارِها ... أَرْوَعَ يَطْوي الخَيْلَ من أقطارِها

يغادرُ الخيلَ على آثارِها ... مقورةً تعثرُ في غُبارِها

قال: فوالله لكأنها فهمت رجزه! فصرّت أذنيها، ثم اعتمدت في اللجام، فبدرت بين أيديها، فجاءت أمامها كأنها كتاب أعسر، فنهض النميري يرتجز، فقال:

ما إن صَبَّحْتُ عامِراً في دارِها ... إلا جلالاً كُمتاً من مُيّارِها

منخرقَ المنخرِ من نَخْرارِها ... قد تركتْ عودكَ في غُبارِها

خيفانةٌ لا يُصطلى بنارِها ... تحمي بنات أمّها من عارِها

قال: فكلمه فيها إبراهيم بن عربي، فقال: إن أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصيب له فرساً من نسل الحرون قد جلت عن نفسها بالسبق. فحدّ مني ثمنها! فقال الحكم: إن لها صحبةً وحقًّا، وهي عندي نفيسة، ما تطيب نفسي عنها. ولكن أهبُ لأمير المؤمنين ابناً لها سبق الناس عاماً أول، وإنه لراهنٌ. قال: فضحك القوم. فقال: ما يضحككم؟ أرسلت أمه عاماً أول بجوٌ في حلبة ربيعة، وإنها لعقوقٌ به، قد ربض في بطنها فسبقت. فبعث به إلى هشام، فسبق الناس عليه، وما انتزع.

حدوث خلاف بين بني عبس وبني زبيد التميميين

وقد حدث أن بني عبس وقع بينهم وبين زبيد بن ضباب بن سليط بن يربوع من تميم خلاف في ماء (خفّ) بحذاء عيون ابن عامر أدى ذلك الخلاف إلى قتل رجل زبيدي يدعى عنقوش فهرب العبسيون إلى الشام حتى أخذوا من الوليد (٨٦-٩٦هـ) وكانوا (أخواله) كتاباً إلى إبراهيم بن عربي عامله على اليمامة يجبر بني زبيد على أخذ الدية، فلمّا قدموا على إبراهيم سجن من الزبيديين ثلاثة عشر رجلاً من (دوار سجن اليمامة) فأبوا على قبول الدية فخرج أحد الزبيديين ويدعى أبا خنساء فوجد رفقة لبني عبس يسوقون إبل الدية فعرف ميسمهم على أفخاذ الإبل ووجد بينهم رجلاً ظنه قاتل عنقوش الزبيدي فقتله، عند ذلك قال الفرزدق

كُلُوا ما جَمَعْتُمْ من دياتٍ فإنَّهُمْ ... بنُو مُحْصَناتٍ لم تُدَنَّسْ ثيابُها

وإنَّ زبيداً لا تزالُ رماحُها ... صوارمَ أو مستوردُ الموتِ غابُها

وقال غسان السليطي:

فدى لأبي الخنساء رَحْلي وناقتي ... إذا ذكرت أخبارُه بالمواسمِ

سَقَيْتَ الغُلام الجذيمي صفيحة ... بمقتلِ عنقوشٍ غداة الصَّرائمِ

رحيل بني زبيد التميميين إلى الجزيرة الفراتية

ثم رحل الزبيديون من البادية فلحقوا بالجزيرة الفراتية من جريرة ذلك، وأصبح ذكر أمير اليمامة وسجنه يفزع الخائف وظل سجن اليمامة (دوار) مشهوراً حتى عهد الخليفة العباسي المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ) الذي سجن فيه أحد قواده[١].

خروج خارجي من يذكر من عنزة في الموصل

((وفي أيام هشام (١٠٥-١٢٥هـ) خرج خارجي (يذكر) من عنزة بالموصل في ثلاثة عشر رجلاً، فوجه إليه الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم المستنير بن عجلان القَنَري، أحد (بني يذكر)، فقال المستنير لا ألقه إلا في عدة من معه، فقاتلهم فظهر عليهم، فأوفده الحرّ إلى هشام، فقال له: ألك حاجة؟ فقال. تخرجنا من ربيعة وتردنا إلى بني أسد، فقال. نعم. فقال (بنو يقدم بن عنزة): لا نتحول، وقالت (يذكر بن عنزة). بلى. فاصطلحوا على أن صُيّروا سبعاً على حدة))[٢].

ولاية المهاجر الكلابي على اليمامة

قال خليفة بن خياط عن اليمامة: ولاّها هشام بن عبدالملك المهاجر[٣] بن عبدالله من أبي بكر بن كلاب ((لقد سار المهاجر على طريقة من سلفه من الولاة في استخدام العرفاء الذين يسومون الرعية سوء العذاب وخاصة أبناء البادية عند جباية الزكوات))[٤].

منازعة ابن بيض وأبي الحويرث على بئر في اليمامة

في عهد المهاجر (١٠٥- ١٢٠) حدثت مخاصمة بين حمزة بن بيض الحنفي[٥] وأبي الحويرث السحيمي أو أبي الجون السحيمي في بئر تقع في منازل بني حنيفة من إقليم اليمامة وتطور الأمر بينهما حتى عرضاه على المهاجر بن عبدالله الكلابي والي اليمامة، فقال حمزة أربعة أبيات يستدرّ بها عون المهاجر على خصمه وهي:

غمضتُ عن حاجةٍ كانتْ تؤرّقني ... لولا الذي قلتَ فيها قلَّ تغميضي

---

(١) المصدر السابق ص٢١٧.

(٢) أنساب الأشراف ج٩ ص١٧.

(٣) كان المهاجر بن عبدالله الكلابي من أجمل الناس وأتمهم، وكان طويل القامة إلى درجة أنه ذات مرة كان يمر في مسجد دمشق فعدل عن القناديل لئلا يكسرها بطوله، وقد مدحه جرير، وذكر أنه حج في السنة التي حج فيها الخليفة هشام بن عبدالملك في سنة ١٠٦هـ والتقى به هناك.

(٤) الـ١٠٠٠سنة الغامضة ط١ ص٢٠٥.

(٥) حمزة بن بيض بن عون بن عبدالله بن شمر بن عمرو بن عبيدالله بن عمرو بن عبدالعزيز بن سحيم بن مرة بن الدؤل ابن حنيفة. راجع. أنساب الأشراف ج٩ ص٩٠

حلفت بالله لي أن سوف تُنصفني ... فساغ في الحلق ريقي بعد تَجْريضي

سَلْ هؤلاءِ إلى ماذا شهادتُهُمْ ... أمْ كيف أنت وأصحاب المعاريض

وسل سحيماً إذا وافاك جمعُهُمُ ... هل كان بالبئرِ حَوْضٌ قَبْلَ تَحْويضي

غير أن الشهود شهدوا لأبي الحويرث على حمزة فحكم له بالبئر فقال السحيمي غامزاً معتمراً بقوله:

أنتَ ابن بيضٍ لَعَمْري لستُ أُنكِرُهُ ... حقّاً يقيناً، وَلٰكِنْ مَنْ أبو بيضِ؟!

إن كنتَ أنبضت لي قوساً لِترميني ... فَقَدْ رَمَيْتُكَ رمياً غيرَ تَنْبيضِ

أوْ كنتَ خَضْخَضْتَ لي وطباً لِتَسْقِيَني ... فَقَدْ سَقَيْتُكَ وَطْباً غيرَ مَمْخُوضِ

إنَّ المهاجرَ عدلٌ في حُكُومَتِهِ ... والعدلُ يَعْدِلُ عند كُلِّ عِرْبِيضِ(١)

ولاية خالد القسري على العراق والقبض على ابن هبيرة

كانت ولاية خالد بن عبدالله القسري البجلي العراق في شوال ١٠٥هـ، وفي يوم دخول خالد بن عبدالله القسري للعراق قبض على عمر بن هبيرة وحبسه. قال الفرزدق:

لَعَمْري لَئِنْ نابتْ فزارة نَوْبَةٌ ... لَمِنْ حَدَثِ الأيامِ تَشْجُلُها قَسْرُ

لقد حبس القسريُّ في سجنِ واسطٍ ... فتى شيظميًا لا يسهنهُهُ الزجرُ

فتى لم تُورِّكْهُ الإماءُ ولم يكنْ ... غذاءٌ له لحمُ الخنازيرِ والخمرُ

فقال ابن هبيرة: ما رأيت أكرم من الفرزدق، هجاني أميراً ومدحني أسيراً(٢)

هروب ابن هبيرة واستجارته بمسلمة بن عبدالملك

استطاع عمر بن هبيرة الفزاري الهرب من سجنه. وسمع ابن هبيرة في طريقه امرأة من قيس تقول لا والذي أسأله أن ينجي عمر بن هبيرة، فقال: يا غلام أعطها ما معك وأعلمها أني قد نجوت. وقدم ابن هبيرة فأشارت عليه قيس بأن يستجير بأم حكيم بنت يحيى امرأة هشام، فقال: امرأة؟ قالوا: فاستجر بأبي شاكر مسلمة بن هشام، قال: صبيّ، ولكني أستجير بأبي سعيد مسلمة بن عبدالملك، قالوا: أتستجير به وقد وليت ما كان يليه ولم تبق عليه؟ فقال: هو كريم ولا يسلمني أبداً، فتوجه إليه ومعه وجوه القيسية، فلمّا رآه كره مصيره إليه، وانطلق إلى هشام فكلمه فيه وقال: هذا رجل خاف تحامل خالد عليه للمضرية، فأمنه هشام على أن يؤدي ما طولب به فأداه(٣)

---

(١) المصدر السابق ص٢٠٦

(٢) أنساب الأشراف ج٩ ص١٠٢- ٣٢-٣٣

(٣) المصدر السابق ج٩ ص٣٤

ولاية خالد القسري على البصرة

لما ولي خالد بن عبدالله العراق، ولّى البصرة أبان بن ضبارة من أهل اليمن، ثم عزله، وولّى عقبة ابن عبدالأعلى الكلاعي من أهل الشام، ثم عزله، وولّى عامر بن سهل الكلاعي أو الكلابي، فكلهم كانوا على الصلاة بالبصرة. وعلى الشرط والأحداث مالك بن المنذر بن الجارود العبدي من قبل خالد[1].

نظرة خالد القسري لأهل البادية

خطب خالد بن عبدالله القسري فقال: يا أهل البادية، ما أخشن بلدكم وأغلظ معاشكم وأجفى أخلاقكم، لا تشهدون جمعة ولا تجالسون عالماً. فقام إليه رجل منهم دميم فقال: أما ما ذكرت من خشونة بلدنا وغلظ طعامنا فهو كذلك ولكنكم معشر أهل الحضر فيكم ثلاث خصال هي شرّ من كل ما ذكرت. قال له خالد: وما هي؟ قال: تنقبون الدور وتنبشون القبور... ! قال: قبحك الله وقبح ما جئت به!

وفاة الفرزدق وجرير وابن سيرين والحسن البصري

١١٠هـ وفي هذه السنة توفي الفرزدق وهو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال. وغالب هذا هو سيد بادية تميم، وأما صعصعة فكانت أمة من الإماء، لذلك كان جرير يعيِّره بها. وأما الفرزدق فاسمه همام وكان قصيراً غليظاً فشُبه بالفرزدقة وهي الجردقة التي تدق ويشربها النساء، ويكنى أبا فراس، وكان ولد الفرزدق: لبطة وسبطة وخبطة، وركضة وزمعة.

قال البلاذري: سمعت محمد بن زياد الأعرابي (ت٢٣١هـ وهو ابن ٨٠سنة) يقول: بقي جرير بعد الفرزدق أربعين يوماً، وكان يوم بلغه موت الفرزدق عند المهاجر بن عبدالله الكلابي[2] من اليمامة.

وفيها توفي جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي باليمامة وعمره ٨٢ عاماً، وله من الأولاد ثمانية ذكور. ومن أحفاده (عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، أبو عقيل) كان يسكن البصرة[3]. وفيها مات (ابن سيرين) و(الحسن البصري).

١١٢هـ حج بالناس فيها إبراهيم بن هشام المخزومي وهو أمير الحرمين والطائف، وأمير العراق خالد القسري، وأمير خراسان الجنيد بن عبد الرحمن المُرّي

وقعة بين بني عقيل وبني الحارث بن كعب في سحبل

بمناسبة ذكرنا لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي وحجه في هذه السنة سنورد الخبر التالي نقلاً عن معجم البلدان لياقوت الحموي عند ذكره لسحبل. قال ياقوت: سحبل، موضع في ديار بني

---

(١) المصدر نفسه ج٩ ص٣٩

(٢) المصدر نفسه ج١٢ ص٦٥ وص٧٨

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب للنمري

الحارث بن كعب كان جعفر بن علبة الحارثي يزور نساء بني عقيل فنذر به القوم فقبضوه وكشفوا دبر قميصه وربطوه إلى جمته وجعلوا يضربونه بالسياط ويقبلون ويدبرون به على النساء اللواتي قد كان يتحدث إليهن حتى تصحوه وهو يستعفيهم ويقول: يا قوم لموت خير مما تصنعون، فلمّا بلغوا منه مرادهم أطلقوه فمضت أيام أخذ جعفر أربعة رجال من قومه رصد العقيليين حتى ظفر برجل ممن كان يصنع به ذلك فقبضوا عليه وفعلوا به شرًا مما فعل بجعفر ثم أطلقوه فرجع إلى الحيّ فأنذرهم فتبعهم سبعة عشر فارساً من بني عقيل حتى لحقوا بهم بوادٍ يقال له سحبل فقتلهم جعفر فيقال: إنه قتل فيهم حتى لم يبق من العقيليين إلا ثلاثة نفر... فمضى العقيليون إلى والي مكة إبراهيم بن هشام المخزومي (١١٢-١١٤) وقيل السريّ بن عبدالله بن الحارث بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي - أزيح عن ولاية مكة سنة ١٤٦هـ - فطلب جعفراً ومن كان معه يومئذ حتى ظفر بهم وحبسهم فذلك قول جعفر بن علبة في محبسه.

فِدًى لِبَنِي عَمِّي أجابوا لِدَعْوَتِي ... شَفَوْا مِنْ بَنِي القَرْعَاءِ عَمِّي وخالِيَا

كَأَنَّ بَنِي القَرْعَاءِ يومَ لَقِيتُهُمْ ... فِراخُ القَطَا لاقَيْنَ صقراً يَمَانِيَا

أقولُ وقد أجْلَتْ مِنَ القَوْمِ عَرْكَةٌ ... لِيَبْكِ العُقَيْلِيِّينَ مَن كانَ باكِيَا

شَفَيتُ غليلي من خُشَيْنَةَ بعدما ... كسوتُ هذيلَ المشرفيَّ اليمانيا

وفاة الشاعر ذو الرمة غيلان وذكر موقع فلجة

١١٧هـ توفي الشاعر ذو الرمة[1] غيلان بن عقبة بن بهيس العدوي المضري. وقد جاء ذكر لموضع [فلجه] الواقعة على درب حجاج البصرة الذي تقصده الخرقاء ميّة بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقرية العامرية، عشيقة الشاعر ذي الرمة غيلان .. وبسبب سكنى الخرقاء على ((فلجه)) التي يمر بها الحجاج قال ذو الرمة مخاطباً هؤلاء الحجاج بأن عليهم أن يتمّوا حجّهم بالتوقف في فلجة بعض الوقت لرؤية وجه حبيبته الخرقاء عندما تضع لثامها، بقوله:

تَمامُ الحجِّ أنْ تَقِفَ المَطَايَا ... عَلَى خَرْقَاءَ واضِعَةَ اللِّثامِ

فلمّا سمعت الخرقاء هذا البيت من حبيبها قالت لجموع الحجاج الذين يمرون بديرتها فلجة (أنا منسك من مناسك الحج)!. ويقول الأستاذ القدير أحمد محارب الظفيري: تقع قارة فلجة في جهة الشمال الشرقي عن (آبار الدليمية)، وتبعد عن هذه الآبار باثني عشر كيلومتراً، وهذه القارة الابار تقع ضمن بادية الظفير القريبة من حفر الباطن[2]. وفي مجلة العرب يقول عن فلجة: تقع تقريباً من الخضارة وحبر والذبائب، أي بقرب خط الطول ٤٢/١٥ - ٤٠/٢٣ شرق الدفينة بميل نحو الشمال بما يقارب ٥٠ كيلو. ليس من المستبعد أن تكون فلجة هي المنهل المعروف بالخضارة[3].

---

(١) هو غيلان بن عقبة بن بهيس بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن دودان ابن أسد. أنساب الأشراف ج١١ ص٢٨٦

(٢) راجع بحث لأحمد محارب الظفيري في جريدة الوطن الكويتية بتاريخ ١٥سبتمبر ٢٠٠٥م ص٥.

(٣) مجلة العرب ج٢ السنة السابعة ١٩٧٢/٩م

وفاة علي بن عبدالله بن العباس بالحُميمة

١١٨هـ توفي علي بن عبدالله بن العباس وله (٧٨سنة) وإنه لمعتدل القناة، وقال الهيثم بن عدي: توفي علي بن عبدالله بالحميمة من عمل دمشق سنة سبع عشرة ومائة وله ثمان وسبعون سنة، وذلك في أيام هشام بن عبدالملك[١].

ولاية يوسف الثقفي على العراق وعزل خالد القسري

١٢٠هـ عزل هشام بن عبدالملك خالد عبدالله القسري عن العراق في جمادى الأولى، وولّى عليه يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، وقد قدم عليه يوسف واسطاً فحبسه بها ثم شخص إلى الحيرة، فلم يزل خالد محبوساً ثمانية عشر شهراً وحبس معه أخوه إسماعيل بن عبدالله وابنه خالد بن يزيد وابن أخيه المنذر بن أسد بن عبدالله، ثم كتب هشام يأمر يوسف بتخلية سبيله في شوال سنة ١٢١هـ[٢].

((وكان يوسف قصيراً عظيم اللحية يلبس ثوباً طولاً يجرها، وكان شديد العقوبة مسرعاً في ضرب الأبشار وكان يأخذ الثوب اليوسفي فيمر ظفره عليه فإن تعلق به خيط ضرب صاحبه وربما قطع يده))[٣].
وقال ابن خلدون: لما ولي يوسف نزلت الدلة بالعراق في العرب، وصار الحكم فيه إلى أهل الذمة

ولاية علي بن المهاجر الكلابي على اليمامة

تولى على اليمامة علي بن المهاجر بن عبدالله الكلابي من قبل والي العراق يوسف بن عمر من (١٢٠-١٢٥هـ)[٤].

مطاردة الإمام زيد

بعد أن ((خرج زيد بن علي - من عند يوسف بن عمر بعدما أخلى سبيله - حتى إذا كان بالقادسية لحقته الشيعة فيما ذكره لوط بن يحيى أنهم قالوا: أين تخرج عنا ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة، وأهل البصرة، وأهل خراسان يضربون بها دونك بني أمية عدداً وليس قبلنا من أهل الشام إلا عدة قليلة، لو أن قبيلة من قبائلنا نصبت لهم لكفتهم بإذن الله فأبى عليهم، فقالوا: نناشدك الله إلّا ما رجعت، قال: إني لست آمن من غدركم كفعلكم بجدي الحسين. قالوا: لن نفعل، وإن أنفسنا دونك ونعطيك من العهود والمواثيق ما تثق به فإنّا نرجو أن تكون المنصور وأن يكون هذا الزمان الذي تهلك فيه بنو أمية، فلم يزالوا به حتى ردّوه. قالوا: ولما رجع زيد إلى الكوفة أقبلت الشيعة تختلف إليه ويبايعونه حتى أحصى ديوانه

(١) أنساب الأشراف ج٤ ص١٠٥

(٢) المصدر السابق ج٩ ص٥٨-١٠٢.

(٣) المصدر نفسه ج٩ ص١٢٠.

(٤) الـ١٠٠٠سنة الغامضة لابن السويداء ط١ ص٢٠٧

خمسة عشر ألفاً من أهل الكوفة سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وأهل خراسان والري وجرجان والجزيرة، وأقاموا بالكوفة بضعة عشر شهراً إلّا أنه قد كان من ذلك بالبصرة نحواً من شهر، ثم أقبل إلى الكوفة فأرسل دعاة إلى السواد والكور يدعون الناس إلى بيعته))[1].

يبدو أن الأجهزة الأمنية للدولة الاموية في ذلك الوقت المبكر من نشأة الدولة كانت يقظة ونشطة ومتطورة، فقد استطاعت رصد تحركات الإمام زيد ومتابعته وكشف مخططه من بدايته، فقد قال البلاذري: ((كان قد وجه دعاته إلى الآفاق فأجابه ناس من أهل كل ناحية، وكان قد نزل بالكوفة في منزل مولى له يقال له حميد بن دينار في أحمس، وفي منزل نصر بن خزيمة العبسي، فبلغ يوسف أنه بالكوفة في عبس فتحول إلى بارق، فنزل فيهم في منزل نصر بن عبدالرحيم البارقي ثم تحول إلى بني يربوع، ثم إلى بني بكر بن وائل، وكتب إلى هلال بن خبّاب فأجابه وكان إذا بويع قال: أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء على أهله وردّ المظالم وإقفال المجمرة ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب، أتبايعون على هذا؟ فيبايعونه ويضع يده على يد الرجل، ثم يقول: عليك عهد الله وميثاقه لتفينّ لنا ولتنصحنا في السر والعلانية والرخاء والشدة والعسر واليسرة، فيمسح على ذلك))[2] وبعث الإمام زيد إلى أحد أئمة المذهب السني أبي حنيفة يطلب منه التأييد والخروج والمبايعة ((فكاد يغشى عليه فرقاً، وقال: من أتاه من الفقهاء؟ فقيل له: سلمة بن كهيل ويزيد بن أبي زياد، وهاشم البريد، وأبو هاشم الرماني وغيرهم. فقال: لست أقوى على الخروج، وبعث إليه بمال قوّاه به))[3] وأما على مستوى الأوسط الشيعية فقد ((اجتمع إلى زيد جماعة من الرؤساء، فقالوا: يرحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال: كنا أحق البرية بسلطان رسول الله ﷺ فاستأثرا علينا، وقد وُليا علينا وعلى الناس فلم يألوا عن العمل بالكتاب والسنة، ففارقوه ورفضوا بيعته، وقالوا: إن أبا جعفر (محمد بن علي بن الحسين) هو الإمام، وجعفر بن محمد إماماً بعد أبيه، وهو أحق بها من زيد، وإن كان زيد أخاه، فسماهم زيد حين رفضوا بيعته الرافضة[*]...، وكان زيد يقول: رفضتني الرافضة كما رفضت الخوارج عليّاً))[4].

قالوا: فلمّا خفقت الألوية على رأس زيد بن علي قال: الحمدلله الذي أكمل ديني، والله إني كنت أستحيي من رسول الله أن أردَ عليه الحوض غداً ولم آمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر[5].

---

(1) غاية الاختصار للشريف تاج الدين الحسيني نقيب حلب كان حيًّا سنة٧٥٣، ص١٣٨

(2) أنساب الأشراف ج٣ ص٤٣٤

(3) المصدر نفسه ج٣ ص٤٣٥

(*) مصطلح الرافضة أو الرفضة أو الروافض، هذه مسميات مما لا يؤمن بها المؤلف، فالمسلمون جميعهم إخوة وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ صدق الله العظيم، ونحن وإن ذكرناها في الكتاب فمن أجل إعطاء فكرة عن الثقافة السائدة في تلك العصور، ولكي لا يفقد النص معناه.

(4) المصدر نفسه ج٣ ص٤٣٦

(5) غاية الاختصار ص١٣٨.

بداية خروج الامام زيد بن علي في الكوفة

وبعد أن شعر الإمام زيد أن دعوته قد بلغت الآفاق وستوت ((خرج ليلة الأربعاء لسبع ليال بقين من محرم ١٢٢هـ في جماعة كانوا حوله، وآخرين بعث إليهم رسله يوافوه، وأمر فاشتعلت النيران في الجرادي، فكلما أكلت جرديًا رفعوا آخر فلم يزل كذلك إلى طلوع الفجر، وكانت ليلة باردة، فلم يتتام إليه فيها إلا أربعمائة، فقال: أين الناس؟ أتراهم تحصنوا للبرد؟ فقيل له: لا، ولكنهم جمعوا في المسجد وأغلقت الدروب ليُقطعوا عنك. وقد ذكر بعض أهل الكوفة أنه اجتمع إلى زيد أربعة آلاف لم يصبح إلا وهو في ثلاثمائة أو أقل منها))[1].

((وعن يحيى بن الحسن قال: حدثنا عباد حدثنا سعيد قال: تفرق أصحاب زيد عنه وحضرت معه دار رزق في ثلاثمائة رجل، وجاء يوسف بن عمر في عشرة آلاف، ونحن في ثلاثمائة قال فصفَّ أصحابه صفًا خلف صفّ حتى لا يستطيع أحد أن يلوي عنقه، فجعلنا نضرب ولا نرى إلّا النار تخرج من الحديد فقتلنا منهم مقتلة عظيمة وجاء سهم فأصاب جبين زيد فأنزلناه و نحرنا به، وكان رأسه في حجر محمد بن مسلم بن الخياط، ورجلاه في حجر أخ له. فقال: ادعوا يحيى فجاء يحيى فأكبَّ عليه فقال: ابشر يا أبتاه ترد على رسول الله وعلى فاطمة والحسن والحسين، قال: أجل يا بنيّ، ولكن أي شيء تريد أن تصنع قال: أريد والله يا أبتاه أن أقاتلهم ولو لم أجد أحداً إلّا نفسي قال: فافعل يا بنيّ فإنك والله لعلى الحق وإنهم على الباطل وإن قتلانا في الجنة وإن قتلاهم في النار. قال ثم قال: قين قين قال فجئناه بحداد فنزع السهم، فكانت فيه نفسه))[2] كان سنه يوم قتل فيما قالوا (٤٢سنة)[3]

مقتل يحيى بن زيد بخراسان

لما قتل زيد بن علي رحمه الله بالكوفة استخفى ابنه يحيى ثم هرب حين سكن عنه الطلب إلى خراسان فقتل بها، رماه رجل من أصحاب نصر بن سيار فقتله، وأخذ رأسه فبعث به نصر إلى يوسف بن عمر[4] وقد قتل يحيى يوم الجمعة وقت العصر بقرية يقال لها أرغوي سنة ١٢٥هـ ولا عقب ليحيى وكانت له بنت ترضع[5]

وفاة هشام وخلافة الوليد بن يزيد بن عبدالملك

١٢٥هـ مات هشام بن عبدالملك بالرصافة يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الأول وهو ابن (٥٣سنة) وصلى عليه الوليد بن يزيد وكانت خلافته عشرين سنة ثم بويع للوليد بن يزيد بن عبدالملك

---

(١) المصدر نفسه ج٣ ص٤٣٨.

(٢) المصدر السابق ص١٣٨.

(٣) المصدر السابق ص١٤٠.

(٤) أنساب الأشراف ج٣ ص٤٥٣.

(٥) تحفة الأزهار ج٢ ص٥٠٧، راجع سنة ١٢٥

يوم الأربعاء لستٍّ خلون من ربيع الآخر، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف، أخي الحجاج بن يوسف. وكانت ولايته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً[1].

وفاة محمد بن علي العباسي الذي أوصى إليه ابن الحنفية بالإمامة

وفيها توفي (محمد بن علي بن عبدالله بن عباس) قال الواقدي: الثبت أنه توفي سنة ١٢٥هـ قبل قتل الوليد بن يزيد بقليل، وكان له يوم مات سبعون سنة. وولد المهدي العباسي أمير المؤمنين في السنة التي مات فيها محمد بن علي فسمي باسمه وكني أبا عبدالله بكنيته، وكانت وفاة المهدي سنة ١٦٩هـ وله ٤٣ سنة[2].

قالوا: وكانت الشيعة تروي أن الإمام محمد بن علي (فيُظَنُّ أنه ابن الحنفية)، فلمّا مات ابن الحنفية قالوا: الإمام ابنه (عبدالله بن محمد بن علي) وهو أبو هاشم، فلمّا سُمّ أبو هاشم في طريقه وهو يريد الحجاز عدل إلى (محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) بالحميمة فأوصى إليه وأعطاه كتبه وجمع بينه وبين قوم من الشيعة، فقال: إنا كنا نظن أن الإمامة والأمر فينا، فقد زالت الشبهة وصرح اليقين بأنك الإمام والخلافة في ولدك، فمال إليه الناس فثبتوا إمامته وإمامة ولده[3].

نظر عبدالملك بن مروان إلى محمد بن علي وهو غلام وكان جميلاً فقال: هذا والله يفتن المرأة الشريفة. فقال خالد بن يزيد بن معاوية: (أما والله إن ولده لأصحاب هذا الأمر) فقال عبدالملك: كلّا، فقال خالد: هو والله ذاك، إن شيخاً أخبرني عن كعب أن هذا الأمر (يصير إلى بني العباس وأنه لا يليه رجل من آل أبي طالب إلا أن يخرج عن والٍ فيقتل، وأنها لولد العباس إلى أن ينزل المسيح) قال: وتبع ابن امرأة كعب[4].

انقلاب الأمويين على الوليد بن يزيد

١٢٦هـ قتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك بالبخراء من تدمر على ثلاثة أميال، يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة وهو ابن ثلاثين أو ست وثلاثين. وقيل ابن خمس وأربعين وأشهر[5]. وكان الشيب قد وخطه، ولم يُصَلِّ عليه أحد، وحمل رأسه إلى يزيد بن الوليد بن عبدالملك فنصب عند باب الفراديس[6].

---

(١) العقد الفريد ج٥ ص١٧٩.

(٢) أنساب الأشراف ج٤ ص١٠٧.

(٣) المصدر نفسه ج٤ ص١٠٨.

(٤) أنساب الأشراف ج٤ ص١١٣

(٥) العقد الفريد ج٥ ص١٨٥.

(٦) أنساب الأشراف ج٩ ص١٨٥.

خلافة يزيد بن الوليد بن عبدالملك مدة خمسة أشهر

بويع يزيد بن الوليد بن عبدالملك في أول رجب ١٢٦هـ وأمه ابنة يزدجرد بن كسرى، سباها قتيبة ابن مسلم بخراسان وبعث بها إلى الحجاج بن يوسف فبعث به الحجاج إلى الوليد بن عبدالملك فاتخذها فولدت له يزيد الناقص ولم تلد غيره. ومات يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذي الحجة سنة ١٢٦هـ وهو ابن خمس وثلاثين سنة، وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك. وكانت ولايته خمسة أشهر واثني عشر يوماً.

قال عبدالعزيز. بويع وهو ابن ٣٩ سنة ومات ولم يبلغ الأربعين[1] وكان يزيد بن الوليد أسمر، مديد القامة، صغير الرأس، وكان جميلاً وفي فمه بعض السعة[2].

تولية أبي لطيفة العُقيلي إمارة العقيق

في خلافة يزيد بن الوليد عام ١٢٦هـ- ٧٤٣م تولى أبو لطيفة بن مسلم العقيلي إمارة العقيق، وقبله كان الأمير عقبة بن شريح الحرشي في ولاية المهاجر بن عبدالله على اليمامة[3]

ثورة المهير الحنفي على ابن المهاجر في اليمامة

لما قتل الوليد بن يزيد كان عليّ بن المهاجر على اليمامة عاملاً ليوسف بن عمر الثقفي. فقامت ثورة في اليمامة، قام بها المهير بن سلمى بن هلال من بني الدئل بن حنيفة جاء إلى ابن المهاجر فقال أخلِ لنا بلادنا، فأبى، فجمع له المهير وسار إليه وهو في قصره بقاع هجر فالتقوا بالقاع بسوق هجر فهزمه المهير حتى أدخله قصره وخرج من ناحية القصر فهرب إلى المدينة، وقتل المهير بن سلمى ناس من أصحابه، وكان يحيى بن أبي حفصة وقيل (مروان بن أبي حفصة اليمامي) قد أشار على ابن المهاجر أن لا يقاتل فعصاه فقال:

بذلتُ نصيحتي لبني كلابٍ ... فلم تقبل مشاورتي ونُصحي

فدا بني حنيفة من سواهم ... فإنهم فوارسُ كلِّ فتحِ

وتأمّر المهير على اليمامة، وكان على شرطه عبدالحكم بن حكام النُمَيدي فركب المهير والناس معه فشدَّ قوم على عبدالحكم فقتلوه ثم مات المهير واستخلف عبدالله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدؤل. فاستعمل عبدالله بن النعمان المندلث بن إدريس الحنفي على الفلج قرية من قرى بني عامر بن صعصعة، وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي. هي لبني نمير - فجمع له بنو كعب ابن ربيعة بن عامر، ومعهم بنو عقيل وأتوا الفلج، فقاتلهم المندلث بالفلج فقتل المندلث، قتله رجال بن

(١) العقد الفريد ج٥ ص١٩٤.

(٢) أنساب الأشراف ج٩ ص١٩٠

(٣) الـ١٠٠٠سنة الغامضة ج٢ ط١ ص٢٢١

عروة القشيري وقتل أكثر أصحابه. وظفرت بنو عامر ولم يقتل منهم كبير أحد، وقتل يومئذ يزيد بن المنتشر، وأمه الطثرية من طثر بن عنز بن وائل - بن قاسط بن هنب - وكان معهم فقال القحيف:

إنْ تَقْتُلُوا مِنَّا شَهِيداً صَابِراً   فَقَدْ تَرَكْنَا مِنْكُمُ مَجَازِرَا

خَمْسٌ مِئِينَ لَمْ يُدْخَلُوا الْمَقَابِرَا

وقال ثور بن الطثرية يرثيه:

أَرَى الأَثْلَ مِن نَحْرِ الْعَقِيقِ مُجَاوِري   مُقِيماً وقد غالَتْ يزيداً غَوَائِلُهْ

مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دلاصاً مُفَاضَةً   وأبيضَ هنديًّا طوالاً حمائِلُهْ

وقد كانَ يَحْمي المحجرين بِسَيْفِهِ   ويبلغُ أَقْصَى حجرةِ الحيِّ نائِلُهْ

في أبيات. وقال القحيف:

أَتَانَا بِالْعَقِيقِ صَرِيخُ كَعْبٍ   فَحَلَّ النَّبْعِ والأَسَلِ النِّهَالِ

يوم الفلج الثاني

لما أتى عبدالله بن النعمان خليفة نمير قتل المدلث جمع جمعاً بلغ ألفاً من حنيفة وغيرها من ساكني اليمامة، فغزا الفلج، فلمّا تصافّ الناس نهزم أبو لطيفة بن مسلم العقيلي فقال الراجز:

فرَّ أبو لطيفةَ المنافقْ   والجونيانِ وفرَّ طارقْ

لمّا أحاطَتْ بهمُ البوارقْ   والموتُ حَيْثُ الحُرُقُ الخَوافِقْ

طارق بن عبدالله القشيري، والجونيان من بني قشير، وتجلّلت بنو جعدة البرادع، وقاتلوا حتى قتلوا إلا نفرٌ منهم، وقُطعت يد زياد بن حيّان الجعدي ثم قتل، وقال الأسوار بن عمرو مولى بني هزان:

سَلُوا الفَلْجَ عَنَّا وعَنْكُمُ   وأُطْمَةَ إذ سالَتْ مَدَامِعُها دَمَا

عَشِيَّةَ لَوْ شِئْنَا سَبَيْنَا نِسَاءَكُمْ   وَلَكِنْ صَفَحْنَا عِفَّةً وتَكَرُّمَا

وقال بعض الربعيين:

سَمَوْنَا لِكَعْبٍ بالصَّفائحِ والقَنَا   وبالخَيْلِ شُعْثاً تَنْتَحِي في الشَّكائِمِ

فَمَا غابَ قرنُ الشمسِ حتَّى رَأَيْتَنَا   نَسُوقُ بَني كَعْبٍ كَسَوْقِ البَهائِمِ

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الهامَ عَنْ سَكَنَاتِهِ   وَطَعْنٍ كَأَفْوَاهِ المَزَادِ الشَّوَاجِمِ

وَفَرَّ أبوكَ يا لَطِيفَةُ هارِباً   وَلَمْ يَنْجُ مِنْ أسيافِنا وهو سالِمِ

يوم معدن الصحراء

وأغارت بنو عُقيل وقشير وجعدة بن كعب، ونمير بن عامر بعد الفلج الثاني، وقد تجمع عليهم

((بنو سهلة)) النميري، على من كان من بني حنيفة بمعدن الصحراء، فقتلوا من وجدوا من بني حنيفة، وسلبوا نساءهم، وكفت بنو نمير عن النساء، غير أن رياح بن جندل بن الراعي سبى امرأة واحدة مُخَصّلةً بخصل الفضة، فقال القحيف:

وَرِثْنَـــا أبـانـا عـامـراً مَـشْـرَفِـيَّـةً   صفائحَ فيها اليوم أنصاف ما بها

ضَرَبْنـا بـهـا أعـنـاقَ بَـكْـرِ بـنِ وائـلٍ   جهاراً وجَاوِرنا بـهـا مـنْ ورائـهـا

ومناسبة الحديث عن بني نمير، فقد ذكرهم ابن سعيد[1] المغربي الأندلسي نميرة ليست في غيرهم، وذلك عندما قال: ((ويقولون. إن دم الأشراف ينفع من عضّة الكلْب الكَلِب)). ثم ذكر قول الشاعر:

مـنَ الـبِـيـضِ الـوُجـوهِ بَـنـو نُـمَـيْـرٍ   دمـاؤهُـمُ مـن الـكَـلَـبِ الـشِّـفـاءُ

وكانت نمير تفتخر بنسبها، بأن يقول أحدهم. ((أنا نُميريٌّ، فلمّا قال جرير

فَـغُـضَّ الـطَّـرْفَ إنَّـكَ مِـن نُـمَـيْـرٍ   فـلا كـعـبـاً بـلـغـتَ ولا كـلابـا

صارت تعدل عن النسب إلى نمير، وتنتسب إلى عامر))[2]، وربما انتسبوا إلى إحدى بطونهم القوية كبني سهلة

يوم النشاش

قالوا: ولما أُوقع بالعامريين يوم الفلج الثاني قال عمر بن الوازع الحنفي: لست بدون عبدالله بن النعمان وغيره ممن بغير، وهذه فترة يُؤمن فيها من السلطان، فمضى يريد أصاخ، فلمّا كان بأرض الشريف بثَّ خيله فأغارت وأغار فملأ يده من الغنائم، وأقبل ومن معه حتى نزلوا النشاش، وأقبلت بنو عامر حاشدة حتى أغارت فلم يرع عمر بن الوازع إلا رغاء الإبل، فجمع ابن الوازع النساء في فسطاط وأقام عليهن حرساً من ثقاته، ولقي القوم فقاتلهم فهزمت حنيفة ومن معها، وهرب ابن الوازع فلحق باليمامة، وتساقط منهم خلق في قلب النشاش من العطش وشدة الحر، فطُلب ابن الوازع فلم يقدر عليه، ورجعوا بالأسرى والسبايا. فقال بعض نمير

إذا عُـدَّ الـفَـعَـالُ وجـدتَ قَـوْمِـي   نُـمَـيْـراً بَـذَّ فـعـلُـهـمُ الـفَـعـالا

هُـمُ قَـتَـلُـوا الـبُـهَـيـمَ بـه وَجَـوْنـاً   عُـلابِـيَـةً ومـا قُـتِـلَ اغْـتِـيـالا

بهيم بن عرة، وقال القحيف العقيلي

مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـنّـا قـريـشـاً رسـالـةً   وأفـنـاءَ قَـيْـسٍ حـيـثُ سـارَتْ وَحَـلَّـتِ

بِـأنّـا تَـرَكْـنـا مِـنْ حَـنـيـفـةَ بـعـدمـا   أغـارتْ عـلـى أهْـلِ الـحِـمَـى ثـم وَلَّـتِ

تـسـكُ نُـمَـيْـرٌ بـالـقَـنـا صَـفَـحـاتِـهِـمْ   فَـكَـمْ ثَـمَّ مـن نَـذْرٍ لـهـا قـد أحَـلَّـتِ

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ت ٦٨٥هـ، تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، الأردن، ط١/ ١٩٨٢م ج٢ ص٧٩١

(٢) المصدر السابق ج٢ ص٥٠١

في أبيات. وقال سعد بن عياش العنوي.

سحنُ صَبّحْنا عمرَ بنَ الوارعِ ... مَلْمُومَةً ذاتَ غُبارٍ ساطعِ

وقال القحيف:

تَرَكْنا على النشّاش بكرَ بنَ وائلٍ ... بُطونُ السِّباعِ العاوياتِ قُبُورُها

قتلناهُم حتّى رَفَعْنا كُفُوفَنا ... بمشهورةٍ بيض حدادٍ ذكورها

وشيبان قد كانت لِحَيْنٍ وشِقْوَةٍ ... كباحثةٍ عن شفرةٍ تستثيرها

قالوا: وكفت قيس يوم النشّاش عن السلب، فجاءت عكل من الحلة فسلبتهم، ولم يكن لحنيفة بعد هذا اليوم جمع، غير أن عبدالله بن مسلم الحنفي جمع جمعاً وأغار على ماء لقشير يقال له حلبان، فقال الشاعر.

لقد لاقتْ قُشَيْرٌ يومَ لاقتْ ... عُبَيْدَاللهِ إحدى المُنْكَراتِ

لقد لاقتْ على حلبانَ لَيْثاً ... هِزَبْراً لا ينامُ على التِّراتِ

وأغار على عكل فقتل منهم عشرين رجلاً، فقال نوح بن جرير بن عطية:

وَضَيَّعْتُمُ يا عكلُ بالسرةِ نِسْوَةً ... باتَتْ عُلُوجُ القَرْيَتَيْنِ تَكُومُها[1]

قدوم المثنى الفزاري والياً على اليمامة

ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري العطفاني القيسي والياً على اليمامة من قبل أبيه، حين ولي العراق من قبل مروان الجعدي (١٢٧-١٣٢) فوردها وهي سلم فلم يحارب، وتشاغلت بنو عامر على بني حنيفة، فتعصّب لهم المثنى بالقيسية، فضرب عدّةً من بني حنيفة فقال بعضهم.

إنْ تَضْرِبُونا بالسِّياطِ فإنّنا ... ضَرَبْنَاكُمُ بالمُرْهَفَاتِ الصَّوارمِ

وإنْ تَحْلِقُوا مِنّا الرؤوسَ فإنّنا ... قطعْنا رؤوساً منكمُ بالغَلاصِمِ

ثم إن المثنى جعل يرفعهم إلى قاضيه طلحة بن إياس العدوي فلم يقبل شهادة عامريٍّ فهدأت البلاد وسكنت[2].

مقتل المثنى بعد قتل أبيه يزيد

في أول قيام الدولة العباسية عام ١٣٢هـ قتل يزيد بن عمر بن هبيرة والد المثنى بن يزيد، فامتنع

---

(١) كام المرأة: نكحها. وعكل أمة حضنت بني عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبدمناة بن أد بن طابخة فغلبت عليهم.

(٢) أنساب الأشراف ج٩ ص٢٠٧-٢١٤

المثنى باليمامة فبعث إليه زياد بن عبدالمدان الذي ولاه السفاح مكة والمدينة والطائف واليمامة بالعساكر من المدينة مع إبراهيم بن حيان السلمي فقتله وقتل أصحابه سنة ١٣٣هـ[1].

قال البلاذري. ولم يزل عبيدالله بن مسلم مستخفياً حتى قدم السَّرِيّ بن عبدالله بن الحارث بن عباس ابن عبدالمطلب والياً على اليمامة، من قبل بني العباس، فدُلَّ عليه فقتله لما صنع، فقال نوح بن جرير:

فَلَوْلا السريّ الهاشميُّ وسيفُهُ ... أعادَ عُبَيْدُاللهِ شرًّا على عُكْلِ[2]

خلافة إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك أربعة أشهر

((بويع إبراهيم المخلوع في أول سنة ١٢٧هـ بعد موت أخيه يزيد الناقص وأمه بربرية فلم يتم له الأمر، وكان يدخل عليه قوم فيسلمون عليه بالخلافة وقوم يسلمون بالإمرة وقوم لا يسلمون بخلافة ولا بإمرة فمكث أربعة أشهر حتى قدم مروان بن محمد فخلع إبراهيم وقتل عبدالعزيز بن الحجاج وولي الأمر بنفسه.

وفي رواية خليفة بن خياط: لما أتى مروان بن محمد وفاة يزيد بن الوليد دعا قيساً وربيعة ففرض لستة وعشرين ألفاً من قيس وسبعة آلاف من ربيعة وأعطاهم أعطياتهم وولّى على قيس إسحاق بن مسلم العقيلي، وعلى ربيعة المساور بن عقبة، ثم خرج يريد الشام واستخلف على الجزيرة أخاه عبدالعزيز بن محمد بن مروان فتلقاه وجوه قيس الوثيق بن الهذيل بن زفر، ويزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، وأبو الورد ابن الهذيل بن زفر، وعاصم بن عبدالله بن يزيد الهلالي في خمسة آلاف من قيس فساروا معه))[3].

خلافة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

ولد مروان بالجزيرة سنة ٧٢هـ وأمه بنت إبراهيم بن الأشتر، وقال بعضهم. بل لخباز لمصعب بن الزبير، أو لابن الأشتر واسم الخباز رزنا وقال بعضهم: كانت رزبا عبداً لمسلم بن عمرو الباهلي. ودُفع إلى مروان أبيات قالها الحكم بن الوليد بن يزيد وهو محبوس، وهي:

ألا مَنْ مُبلغٌ مروانَ عنّي ... وعمّي الغَمْرَ طال بذا حنينا

بأنّي قد ظُلِمْتُ وطالَ حَبْسِي ... لَدَى البخراءِ في لحفٍ مَهِينا

ألا فِتْيَانُ مِنْ مُضَرٍ فَيَحْمُوا ... أسارَى في الحديدِ مُكَبَّلينا

أتذهبُ عامِرٌ بِدَمِي ومُلْكِي ... فلا غَثًّا أصَبْتُ ولا سَمِينا

فَإنْ أهْلِكْ أنا وَوَلِيُّ عَهْدِي ... فَمَرْوَانٌ أميرُ المُؤْمِنِينا

فَإنْ لا عَيمِتُكَ حربَ قيسٍ ... فتخرجَ منهمُ الداءَ الدفينا

(١) الـ١٠٠٠سنة الغامضة٣ لابن السويداء ط١ ص٢٠٨.

(٢) المصدر نفسه ج٩ ص٢١٤.

(٣) المصدر السابق ج٩ ص١٩٩.

قبيلة عامر المذكورة في القصيدة: هي عامر الكلبية التي منها منصور بن جمهور وقومه الذين قاموا هم وغيرهم من الشاميين والأمويين وانقلبوا على الخليفة الوليد بن يزيد ولم يعترفوا بولاية العهد للحكم ابن الوليد، بل رموه مع أخيه في السجن وصار يزيد بن الوليد خليفةً للمسلمين

قال البلاذري: وجه إبراهيم المخلوع سليمان بن هشام بن عبدالملك في خيول أهل دمشق فالتقى بمروان – بعين الجر من البقاع من عمل بعلبك، وذلك في صفر سنة ١٢٧هـ فتناوشوا يومهم، ثم بكروا على الحرب فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه، فانهزم سليمان ومن معه، وكان محصوداً، فلحقوا بإبراهيم.

ونزل مروان بن محمد الغوطة فخرج إليه خلق من الناس فبايعوه، فلمّا رأى ذلك عبدالعزيز بن الحجاج بن عبدالملك، ويزيد بن خالد بن عبدالله القسري أخذا عثمان والحكم ابني الوليد بن يزيد فقتلاهما في محبسهما وخافا أن يتخلصا .، وقد قال بعض الرواة إنهما قتلا يومئذ يوسف بن عمر، وقال بعضهم قتل في أيام يزيد بن الوليد، قتله يزيد بن خالد وقال الشاعر حين أقبل مروان

أتــاك مــروانُ شــيـبـةُ مــروان يــجــرُّ الـجـيـشَ غـضـبـاً لِـلـرَّحْـمـن
مـتـغـلـبـت الـغَـلْـبَـاءِ وقـيـس غَـيْـلان

مالت قيس كلها، ويزيد بن عمر بن هبيرة إلى مروان[1]. ويقال إن مروان أقبل فتلقاه أبو محمد السفياني بالخلافة وعزاه عن الوليد وابنيه وقال له يا أمير المؤمنين إن الحكم وعثمان – ابني الوليد بن يزيد – جعلا لك العهد بعدهما، وكان مع مروان حوثرة بن سهيل الباهلي، والكوثر الغنوي، والوثيق بن الهذيل، وأبو الورد الكلابي، وعبدالرحمن بن الأشهب الجعدي، ونباته العقيلي، وابن سعيد الحرشي فقال مروان إن هذين الغلامين جعلا لي الأمر بعدهما، والله يعلم أني لم أطلبهما في ليل ولا نهار ثم ارتحل فنزل مرج راهط..، فبويع مروان ثم دخل دمشق[2].

ولما بويع لمروان بالغوطة، وقوي أمره، ووهن أمر إبراهيم استخفى إبراهيم بن الوليد حتى أخذ له الأمان فكان مع مروان وفي طاعته، ولم يزل حيّاً حتى قتله عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس سنة ١٣٢هـ[3].

حرب أسد وطيىء مع فزارة

في ولاية عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بن مروان للحجاز عام ١٢٩هـ- ٧٤٦م ولّى أمية بن عبدالله العثماني على قبيلتي أسد وطيئ فانقادت له القبيلتان. ولكنه عندما أراد الذهاب لجباية زكاة طيئ انضم إليه قوم من فزارة ليغيروا على طيّئ لثأر كان لهم، فخرج بهم، فتلاقى هو ومعدان الطائي في جماعة من قومه في المنتهب غرب جبل رمان فهزم أمية بن عبدالله وقومه

---

(١) أنساب الأشراف ج٩ ص٢٢١.

(٢) المصدر نفسه ج٩ ص٢٢٤.

(٣) المصدر نفسه ج٩ ص٢٠٠.

وقال أنيف بن زبان الطائي قصيدة يعتذر فيها إلى والي المدينة ويذكر امتثال قومه طيئ لدفع الزكاة لأمية إذا ردَّ فزارة فقال:

وجئنا على فرتاج سمعاً وطاعةً	نؤدّي الزّكاة حين حلَّ عقالُها
وفي فيد صدقنا فجئت وفودنا	إلى فيد حتى ما يحد رجالُها
فقالوا أغِرْ بالناسِ تأتِكَ طيّئٌ	إذ وطئتها الخيلُ واجتثَّ مالُها
دَعَوْا بنزارٍ فاعتزنا بطيّئٍ	فمالك زلّتْ من نزارٍ بمالُها[1]

في كتاب شعر طيئ وأخبارها في يوم المنتهب تزوج معدان بن عبدالله الطائي امرأة من بني بدر من فزارة، فكان شباب بني بدر يجتمعون ذات يوم على نبيذ لهم مع شباب من طيئ فأسرع فيهم الشراب، فوقع بينهم كلام، فوثب غلام طائيّ فضرب شيئاً من بني بدر فشجّه فمات منها، فقال أدهم بن أبي الزعراء الطائي للبدريين: لكم دية صاحبكم فأبوا إلا أن يدفع الطائيّ إليهم، فأبى أن يفعل، فأتوا صاحب المدينة في ذلك، وقال أدهم: وكنا قد منعنا الصدقة من حين وقعت الفتنة فكتب أمية بن عبدالله أحد بني عثمان ابن عفان، وكان عامل صدقة الحليفين أسد وطيئ، ويكتب إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية (١٢٧-١٣٢) يخبره بمنعنا الصدقة وقتلنا الرجل، فكتب إليه مروان أن سير إليهم جيشاً وكتب إلى أدهم: إن مكن البدريين من صاحبهم وأد الصدقة وإلا فقد أمرت رسولي أن يأتيني بك، وإن أبيت أتاني برأسك، ثم والله لأملأنّ الخيل في عرصاتك. قال أدهم: فأمرت بضرب عنق الرسول، فقال الرسول: إن الرسل لا تقتل وإني لأسير فيكم فاستحياه. فقلت صدقت، وخليت سبيله وقلت له: قل لمروان: آليت أن تبل الخيل في عرصاتي، وبيني وبينك رمل عالج، وعديد طيئ حولي، والجبلان خلف ظهري، فجهد جهدك فلا أبقى الله عليك، وكتبت إليه أنا وبعض قومي شعراً فيه ذم وتنقص له، قال معدان بن عبيدالله الطائي

ألا مَنْ مُبلِغٌ مروانَ عنّي	على ما كانَ من نارِ السّعَارِ
ألَمْ تَرَ للخلافةِ كيفَ ضاعَتْ	إذ كانَتْ بأبناءِ السّراري
إذا كانَتْ بذي حمقٍ تراهُ	إذ ما نابَ أمرٌ كالحمارِ[2]

فكتب مروان إلى عبدالواحد بن منيع السعدي والي أمية: أن سيروا بأهل الشام وأهل المدينة والبوادي وقيس وغيرهم إلى معدان حتى تأخذوا منه الصدقة وتقيدوا البدريين من صاحبهم، وأوطئوا الخيل بلاد طيئ، وأتوني بمعدان.

فصار أمية في عدد كبير وبعث إلى كل صاحب دم وثأر يطلبه من طيئ، فثارت قيس تطلب الثأر من طيئ. قال معدان: وكنت في اثني عشر ألفاً، فلمّا انتهيت إلى معسكر أمية إذا جبال من حديد وعسكر لا يرى طرفاه، فرفعت طيئ النار على أجأ ونحروا الجزر وجعلوا من جلودها حمماً وطعموا من لحومها

(١) المئة سنة الغامضة ج٣ ط١ ص١٨٦.

(٢) المصدر نفسه ص١٨٧

فقلت: يا بني خيبري، ويا معشر طيئ هذا والله يومكم، البقاء الدهر أو الهلاك، فإذا وقع البل عندكم فقبح الله أجزع الفريقين. ثم تواقف الفريقان، ووقع بينهم الشر وصرت الغلبة لطيّئ[1].

انتقال قبيلة حرب من صعدة في اليمن إلى الحجاز

ذكر الهمداني الذي عاش حتى أوائل القرن الرابع (ت٢٠٦هـ) أن قبيلة حرب انتقلت في سنة ١٣١هـ من بلادها صعدة إلى الحجاز وهم بنو حرب بن سعد بن سعد بن خولان.

بداية دولة الخلفاء العباسيين

بويع أبو العباس السفاح في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢هـ بالكوفة. فسيّر عبدالله بن علي بن عبدالله ابن العباس في جمع عظيم للقاء مروان بن محمد وكان مروان في جيوش كثيفة فالتقيا بالزاب من أرض الموصل في جمادى الآخرة. فهزم مروان واستولى عليّ على عسكره وسار مروان منهزماً حتى عبر الفرات من جسر منبج فأحرقه. فلمّا مر على قنسرين وثبت به طيئ وتنوخ واقتطعوا مؤخرة عسكره ونهبوه، وقد كان تعصب عليهم وجفاهم أيام دولته وقتل منهم جماعة[2].

خروج السفياني

نزل عبدالله بن علي على نهر أبي فطرس، وكانت ببالس ابنة لمسلمة بن عبدالملك، فخطبها عامل عبدالله بن علي، وهو رجل من أهل خراسان، فأنعمت له وقالت: أتهيّأ لك، وكتبت إلى أبي الورد مجزأة ابن الهذيل بن زفر الكلابي تستجير به، فخرج أبو الوازع أخو أبي الورد في جماعة فأتوا بالس والخراساني في الحمام فدخلوا عليه فقتل.

ولحق بهم أبو الورد ودعا الناس فأجابه من قيس وغيرها زهاء سبعة آلاف أكثرهم من قيس وبلغ أبا محمد ((زياد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية)) وذلك الثبت[3]، فطمع وقال: أنا السفياني الذي يروى أنه يرد دولة بني أمية، ونزل دير حنينا، وبايعه الوليد وأناس وكتب إلى هشام بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط يدعوه إلى الخروج معه فاعتلّ عليه.

وبلغ عبدالله بن علي الخبر فقتل جميع من كان معه من بني أمية ومن يهدي هداهم، ووجه عبدالصمد إلى السفياني وأصحابه وهم بقنسرين في سبعة آلاف فاقتتلوا، فانهزم الناس عن عبدالصمد حتى أتوا حمص، وأقبل ابن علي حتى نزل على أربعة أميال من حمص، ووجه بسام بن إبراهيم وخففاً المازني بين يديه إلى حمص، وكتب إلى حميد بن قحطبة فقدم عليه. وصار السفياني وأبو الورد إلى مرج الأخرم،

---

(١) المصدر نفسه ص١٨٨

(٢) تاريخ حلب لابن العديم.

(٣) وقيل إن اسم هذا السفياني ((العباس بن محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية))، وإن زياداً كان خرج طالباً بدم الوليد بن يزيد وليس هو بالخارج أيام عبدالله بن علي، ولكن الثبت أنه زياد

وأتاهم عبدالله بن علي ومعه عبدالصمد وحميد بن قحطبة فاقتتلوا في آخر ذي الحجة سنة ١٣٢هـ وعلى ميمنة أبي محمد أبو الورد، وعلى ميسرته الأصبغ بن ذؤالة الكلبي، فانهزم أهل الشام وهرب السفياني وجرح أبو الورد، فحمل إلى أهله فمات، ولجأ قوم من أصحاب أبي الورد إلى أجمة فأحرقت عليهم[١].

مقتل آخر خليفة اموي

قتل - مروان بن محمد - بقرية من قرى مصر يقال لها بوصير يوم الخميس لخمس بقين من ذي الحجة ١٣٢هـ وكانت ولايته خمس سنين وستة أشهر وعشرة أيام[٢]، قتل وهو ابن ٦٩سنة[٣] قائلاً قولته المشهورة. (انفرجت عني قيس انفراج الرأس ما تبقى منهم أحد، وذلك أنا وضعنا الأمر في غير موضعه)[٤].

الوضع في البصرة

((أما في البصرة فقد اعتصم مسلم بن قتيبة الباهلي ولم يسلم الإمارة للوالي العباسي سفيان المهلّبي ولكن اعتصامه هذا لم يدم طويلاً حيث ترك البصرة إلى الحجاز لما علم بمقتل ابن هبيرة))[٥].

ضربة بين بني جعفر بن كلاب وبني جعفر العباسيين

((لما ولي أبو العباس السفاح، وكانت تحته أم سلمة المخزومية، وأمها من بني جعفر، وكان خالها معروف بن عبدالله بن حيان بن سلمي بن مالك، فوفد إلى أبي العباس، فأكرمه وقضى حوائجه، فسأله معروف أن يقطعه ضربة وما سقت، فجعل منزلها معروف، وكان من وجوه بني جعفر وكان ذا نعم كثير فغشيه الضيفان وكثروا، وجعل يجني لهم الرطب ويحسب اللبن، فأقام كذلك شهرين، ثم أتاه ضيفان بعدما ولّى الرطب، فأرسل رسوله فلم يأته إلا بشيء يسير قليل، فأنكر ذلك عليه فقال. ما لي نخلك رطب، فإنه قد ذهب - فقال: ثكلتك أمك! أما هو إلا ما أرى؟ والله لشرلي أعود على ضيفاني وعيالي من نخلكم هذا، قبحه الله من مال. وأتاه قيّمهُ هناك بقثّاء وبطيخ، فقال: قبح الله ما جئت به، احذر أن يراه أهلي، فأسوءك. فكره معروف ضربة وأراد أن يبيعها فذكرها للسري بن عبدالله الهاشمي، وهو يومئذ عامل اليمامة وقد دخل إليه معروف، فاشتراها منه بألفي دينار.... ثم إن جعفر بن سليمان بن عبدالله بن العباس كتب إلى السري أن يوليه إياها بالثمن، فغعل وورثها عنه بنوه، واشترى سليمان أكثر سُهمان من بقي منها، فعامَّتها اليوم لولد سليمان بن جعفر))[٦].

---

(١) أنساب الأشراف ج٤ ص٢٢٣.

(٢) العقد الفريد ج٥ ص١٩٨.

(٣) أنساب الأشراف ج٩ ص٢١٨.

(٤) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص١٢٧.

(٥) المصدر السابق ص١٢٧.

(٦) في كتاب أبي علي الهجري مؤلف النوادر سنة ٣١٦هـ بقلم حمد الجاسر دار اليمامة ص٢٦٠، ترد هذه القصة بشكل =

١٣٤هـ وفيها ضربت الأميال بين مكة والكوفة، وفيها كان أمير الحرمين والطائف واليمامة زياد بن عبيدالله الحارثي الذي عزل في سنة ١٣٥هـ عن مكة والطائف واليمامة، بالعباس بن عبدالله بن معبد بن العباس بن عبدالمطلب[1].

وفاة أبي العباس السفاح وخلافة أبي جعفر المنصور

١٣٦هـ توفي بالأنبار أمير المؤمنين أبو العباس وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وأياماً، وكان له يوم توفي (٣٦سنة) ويقال أقلّ من ذلك، وكان آخر ما تكلم به أن تشهد ثم قال: إليك ربي لا إلى النار وكان أبو العباس طويلاً أبيض أقنى ذا شعر أسود جعد حسن اللحية جعدها، قدم من الشام ثم قدم أهله بعده[2].

وبويع (عبدالله بن محمد بن عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس أبو جعفر المنصور) في اليوم الذي توفي فيه أخوه لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦هـ، وكان مولده بالشراة لسبع خلون من ذي الحجة ٩٥هـ أي أن عمره عند خلافته كان ٤١ عاماً، وأمُّه أمة اسمها سلامة، وجنسها بربري، وكان أسمر طوالاً نحيف الجسم خفيف العارضين يخضِّب بالسواد، وتزوج أروى بنت منصور الحميرية وولدت له: محمد وهو المهدي وجعفراً وكانت شرطت عليه ألّا يتزوج ولا يتسرّى إلا عن أمرها، ووزر له ابن عطية الباهلي ثم أبو أيوب المورياني ثم الربيع مولاه.

* اخبر عبد قال أيوب صبري باشا: عندما انقرضت دولة بني العباس ويبدو أنه يقصد بني أمية كانت زوجة الشخص الذي يتصرف في ملك عثمان بن عتبة - بن أبي سفيان - من قبيلة بني جعفر بن كلاب المخزومي والصحيح من عامر بن صعصعة - وجدة (؟ عمها شيخاً) - الصحيح الشيخ معروف - وبات على ساحل نهر ضرية، طلب منها بعض الأراضي فتركت لعمها بعض الأراضي وطيّبت خاطره، ولما كان عمها من البدو كان يمتلك كثيراً من الحيوانات، وفي وقت ترطيب البلح وحينما طاب للأكل هاجر العم مع أولاده وعياله وخدمه ودوابه إلى شاطئ ذلك النهر، وأخذ يطعم الضيوف الواردين ويحلب نياقه وأخذ يسقي اللبن للواردين ويظهر مظاهر كرمه

ولما تجاوز البلح وقت ترطيبه جاء عنده اثنان من الضيوف فبعث إلى صاحبة الأرض وطلب منها بعضاً من الرطب الطازج، ولما كان وقت البلح الطازج قد مر فقطف خدمها مقداراً من البلح وأحضره وأخطره بأنه لم يجد بلحاً طازجاً في الحديقة

قال البدوي: إن صنعكم هذا من أجل ضيوفي عيب، وأعاد الخادم المسكين، وجاء الخادم مرة ثانية بمقدار من العجوة وبين أنّ موسم الرطب قد مرّ، معاتبة قائلاً: ((سيسود وجهك مثل الشيء الذي أحضرته))، ولامه وكره ما أهدي له من حدائق النخيل وباعها لعامل اليمامة عبدالله الهاشمي بألفي قطعة من الذهب، وهذا ما يروونه، وأما عبدالله الهاشمي فقسم ما اشتراه من الحديقة إلى قسمين، وبنى في وسطها كثيراً من الدكاكين وسماها سوق ضرية وأجرها بثمانية آلاف درهم سنوياً. راجع: موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، أيوب صبري باشا ج٤ ص٨٤١.

(١) إتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهيم شلتوت جامعة أم القرى ط١/١٩٨٣ ج٢ ص١٧١.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ت ٢٧٩هـ ج٤ ص٢٣٧

من أخطاء المنصور الفادحة

١٣٨هـ في هذا العام قتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني. وكان المنصور يقول: أخطأت مرّات وقاني الله شرَّها، قتلت أبا مسلم وحولي من يقدّم طاعته على طاعتي، فلو وثبوا بي وأنا في خَرَقٍ لذهبت ضياعاً، وخرجت يوم الراوندية ولو أصابني سهم غَرْبٌ لذهبت ضياعاً، وخرجت إلى الشام ولو اختلف بالعراق سيفان لذهبت الخلافة ضياعاً[١].

وفيه: كانت موقعة مرج دابق بين الروم بقيادة إمبراطورهم قسطنطين الخامس، وصالح بن علي العباسي وهزيمة الروم.

ظهور جحا بالكوفة

((كان أبو مسلم آنس الناس بيقطين، فلمّا قدم الكوفة وهو يريد الحج قال له: يا يقطين بلغني أنه نشأ بالكوفة رجل يقال له جحا طريف مليح، وأن أهلها عملوا بعدنا جوذابة - طعام يصنع سكر وأرز ولحم - تنسب إلى رجل يكنى أبا جرير، فأطعمني من الجوذابة وأرني جحاكم، فاتخذت جوذابات وأتي بها مع طعام كثير، فلمّا تغدى أبو مسلم قال: أرني الآن جحا هذا، فطُلب حتى وُجد، وأتي به يقطين وأبو مسلم وهما في غرفة ليس فيها غيرهما، فأخذ بمصادة الدب ثم قال: يا يقطين أيكم أبو مسلم؟ فضحك أبو مسلم فاستملحه فوهب له خمسة آلاف درهم))[٢].

بناء بغداد

١٤٥هـ في هذا العام تمّ بناء بغداد على يد أبي جعفر المنصور، ليجعلها مركزاً عسكريًّا وإداريًّا[٣] وقيل إن ابتداء بناء بغداد كان في سنة ١٤٦هـ. ومن أسباب بنائها أن المنصور كان يكره أهل الكوفة ولا يأمن على نفسه منهم، خاصة بعد ما عمله بأهل بيت الرسول ﷺ (وأهل الكوفة شيعتهم) وأهملت وصية السفاح الذي قال في أول خطاب له (الكوفة منزلكم لا تتخلون عنها)[٤].

ثورة النفس الزكية في المدينة

في هذا العام قام النفس الزكية ((محمد بن عبدالله المحض بن حسن المثنى بن حسن السبط ابن علي بن أبي طالب)) في المدينة طالباً الخلافة، وبايعه العلماء الذين في طبقة الإمام أبي حنيفة، والإمام مالك من الأئمة الأربعة[٥]. وقد تخلف القليل من الأهالي عن بيعته برًّا بأيمانهم التي سبقت في بيعة بني العباس، فساعد الإمام مالك في تذليل هذه العقبة بفتواه، فقد قال لأهل المدينة: إنما بايعتم

---

(١) المصدر السابق ج٤ ص٣٧٤. (٢) المصدر السابق ج٤ ص٢٦٩.

(٣) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص١٣٠.

(٤) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٦٣ عن ابن خلدون المبتدأ والخبر ج٣ ص١٩٦ وص١١٧.

(٥) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، أيوب صبري باشا ج٥ ص٥٢.

(٦) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨ ص١٣٨

مكرَهين وليس على مُكْرَه يمين. فتحمسوا مع الثائرين حتى أجلوا والي المدينة عنها(١).

وقد كتب المنصور كتاباً إلى محمد النفس الزكية وأرسل له تسعة آلاف درهم خوفاً وإشفاقاً منه وهذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ وإنّ لك عهد الله وميثاقه وذمّة رسول الله ﷺ أن أؤمنك وجميع إخوتك وأهل بيتك وعشيرتك وأتباعك على جميع دمائكم وأموالكم، وأستودعكم ما أصبتم من دم ومال ولك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج، وأعمر لك حيث شئت من البلاد، وأطلق من في حبسي من أقوامك، وأؤمن كل من لجأ إليك واتبعك وبايعك، ولا أدخل في شيء من أمرك، ولا أتبع من تبعك بضرر أبداً، فإن أردت أن توثق لنفسك فوجه إليّ من أردت ليأخذ لك مني الأمن والأمان والعهد والميثاق كلما أردت والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

ثم إن النفس الزكية محمداً كتب إليه جواباً على رسالته:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسم ● تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ● نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ وقد عرضت عليّ الأمان فما أعرضت إلا الحق وهو حقنا، وأنتم ادعيتم ما هو لنا، وخرجتم علينا بشيعتنا، وحظيتم بفضلنا...

ومما قاله محمد النفس الزكية، وما قاله المنصور في باب التفاضل بينهما نلخصه في الجدول الآتي

محمد النفس الزكية	المنصور
١- علي ولد بالكعبة ومن حين خروجه من بطن أمه أقر بالوحدانية لله والرسالة ولرسوله ﷺ.	١- جل فخرك بقرابة النساء. وإن الله جعل العمّ أباً وبدأ به على الوالد،... ولم يجعل الله النساء كالعمومة.
٢- خديجة أول النساء إسلاماً وأزكاهم نسباً واختار الله تعالى منها سيدة نساء العالمين فاطمة	٢- محمد ﷺ له أربعة عمومة. أنذرهم مراراً فأجابه اثنان أحدهما أبي، وأبى اثنان أحدهما أبوك فقطع الله ولايتهما ولم يجعل بينه وبينهما إلّاً ولا ذمّةً ولا ميراثاً.
٣- الله أمر جبرئيل أن يقول لرسول الله ﷺ أن يزوج ابنته فاطمة من عليّ وهي بضعة رسول الله فولدت له السبطين	٣- زعمت أنك ابن أخف أهل النار عذاباً... وليس في الكفر بالله صغير.
٤- هاشم ولد عليًا مرتين، وعبدالمطلب قد ولد الحسن مرتين، والرسول ﷺ ولدني مرتين وأنا أوسط بني هاشم.	

محمد النفس الزكية:	المنصور:
	٤- زعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً وفخراً ولم تلدك العجم، ولا تعرَّقت بك الأمهات... فانظر إلى أين أنت غداً من الله عزَّ وجلّ. تفخرت على من هو خير منك نسباً وأباً وهو إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ٥- أما قولكم إنكم بنو رسول الله ﷺ فقد قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ ولكنكم بنو ابنته ٦- وقد قال رسول الله ﷺ ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث)). ولا خلاف بين المسلمين في عدم توريث الجد بالأم والخال والخالة، فكيف تورث وقد بالغ أبوك في ذلك وطلبها فلم تحصل له. ٧- وأما افتخارك بعليّ لما أدركت الوفاة رسول الله ﷺ أمر بالصلاة لغيره فاختارت الناس رجلاً بعد رجل حتى قتل الثالث فقام بها فطلبه طلحة والزبير وأبو سعيد بالبيعة فأغلق بابه عليه. ثم بايع معاوية بعد قتال شديد وافترق شيعته عنه. ثم ابنه الحسن السبط ولحق بالحجاز. ثم أخوه الحسين مع ابن مرجانة حتى قتل. ثم خرج زيد ابن الإمام علي زين العابدين على بني أمية فقتلوه وصلبوه وأحرقوه، وكذا ابنه يحيى بخراسان.

إلى أن قال النفس الزكية. فإن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي أومنك على نفسك ومالك وعلى كل أمر أحدثته إلا حدود الله وحق عباده...، وأنا أولى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأوفى بالعهد والمقال. وأي العهود والأمانات تعطيني؟ أمان ابن هبيرة[1]؟ أم أمان ابن عمك عبدالله بن علي؟ أم أمان أبي مسلم؟ والسلام.

(١) المذكورون هم ممن غدر بهم المنصور بعد أن أعطاهم الأمان، وذكر أن المنصور كان يتحدث مع ابن هبيرة فكان ابن هبيرة يتكلم ويعد انتهائه من الحديث. يهص ويهص معه سبعمائة من القيسية فقال المنصور. لا يعزّ ملك هذا فيه (أنساب الأشراف للبلاذري) ت ٢٧٩هـ ج٤ ص٢٠١.

فلمّا وصل الكتاب إلى المنصور وقرأه كتب إليه الجواب:

أمّا بعد فقد ورد إليَّ كتابك وفهمت خطابك، وإذا جلُّ فخرك بقرابة النساء ..[1]. إلى أن قال: وأسروا الصبية من نسائكم وحملوهم إلى بلدانهم وطافوا بهم بأسواقهم حتى خرجنا عليهم وطلبناهم بثأركم وطلبناهم وعرفناهم بمقامكم، وقد علمت مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وولاية زمزم والمقام.. ولم نزل عنيها في الجاهلية والإسلام، ونازعنا فيها أبوك وغيره من بني عبدالمطلب وبني هاشم في خلافة عمر فحكم بها للعباس من بين أخويه وكان استيلاؤه عليها من ميراث عمومته فلا يبقى شرف ولا فضل في الجاهلية والإسلام إلا والعباس وارثه ومورثه.

وما ذكرت عن بدر فإن الأزمنة جاءت والعباس مشتغل بموت أبي طالب وعياله مشغولون واتفقت عليهم الأزمنة التي أصابته، فلو خرج إلى بدر لمات طالب وعقيل جوعاً فأقام ليطعمهم وأذهب العار عنهم، وطلبنا بثأركم وأدركنا ما عجزتم عنه... والسلام

ثم بعد إرسال الكتاب أمر ابن أخيه عيسى بن موسى بن علي بن عبدالله بن العباس أن يتجهز في عسكر ويسير إلى محمد في المدينة، وسير معه من اركان دولته مثل محمد بن أبي العباس السفاح وكثير ابن حصين وحميد بن قحطبة وهزار مرد، فقال له: إن ظفرت به فأعطه الأمان ثم أغمد به سيفك، ومن لقيك من آل أبي طالب فاكتب، عرفني به ومن لم يفعل فاقبض على ماله، فسار حتى وصل الأعواض، وفي يوم السبت ٢٢ رمضان سنة ١٤٥هـ وصل عيسى إلى الحرف فأقام به يوماً وثانيه، ووقف بسلع يوم الاثنين ونادى أهل المدينة: إن الله حرّم دماء بعضنا على بعض فهلمّوا إلينا وإليكم الأمان فمن قدم تحت رايتنا فهو آمن وخلوا بيننا وبينه فشتموه وانصرف من يومه وعاد من الغد وتفرق القواد من سائر الجهات، وأخلى ناحية أبي الجراح لمن يهزم، فبرز محمد وأصحابه وكان صاحب رايته عثمان بن محمد بن خالد الزبيري، وعلى مقدمة محمد النفس الزكية بن عبدالله بن الحسن: يزيد بن معاوية بن عبدالله بن جعفر الطيار، وعلى مقدم جيش عيسى بن موسى ولده الحسن بن زيد بن الحسن المثنى، وقاسم بن زيد، وعلي وإبراهيم ابنا الحسن بن زيد، فانهزم يزيد بن معاوية، ونزل عيسى بذباب، وصار القتال، استشهد محمد الزكي... يوم الاثنين ١٤ رمضان ١٤٥هـ وقيل ٢٥ رجب وعمره خمسة وأربعون[2]، وعندما علم محمد بن حسن المستولي على ولاية مكة من يد سري بن عبدالله أن جيشاً قد أرسل من بغداد تحت قيادة داود بن عيسى بن موسى بن علي بن عبدالله بن عباس لمحاربته فأخذ أمراً بالعودة إلى المدينة، وقبل وصوله إلى المدينة بمرحلة سمع بشهادة النفس الزكية فهرب إلى جهة ما فعاد سريّ بن عبدالله وتولى الولاية إلى سنة ١٤٦هـ[3]

قالوا: كان محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ﷺ أسمر أرقط مخضوب الرأس بصفرة من

---

(١) انظر الجدول للتكملة المقارنة..

(٢) تحفة الأزهار لضامن بن شدقم ج١ ص٣٢٧.

(٣) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، أيوب صبري باشا ج٥ ص٥٢.

أبناء ستين، وكان أخوه إبراهيم شابًا قد وخطه الشيب حلو الوجه خفيف اللحية فأفاء، وكان أيداً شديد البطش..»[1].

ثورة إبراهيم أخي محمد النفس الزكية عليه السلام

وفي نفس العام في رمضان أي بعد حوالي شهرين من ثورة أخيه محمد، ثار إبراهيم وساعدته قبائل عبدالقيس والأزد وأفخاذ من قبائل مختلفة أخرى دفعتها لمصلحة الشخصية أو الظروف السياسية[2]. ولم تزل العالم تأتي لمبايعته زمراً زمراً، فاستولى على واسط والأهواز وفارس، فبلغه استشهاد أخيه فتوجه إلى المسجد وهو مريض وصعد المنبر وخطب الناس وحمد الله وأثنى عليه وعزاهم استشهاد أخيه واستسرعهم بالخروج، فكان ظهوره ليلة الإثنين غرّة شهر رمضان ١٤٥ متأخر عن الوعد الذي كان بينه وبين أخيه لمرض معه، فسار عليه عيسى بن موسى، وعلي بن عبيد الله بن العباس من المدينة فالتقيا بباخمرا بالقرب من الكوفة، فاحتربا حرباً شديداً، فانكسر عيسى وولى منهزماً، فأمر إبراهيم عسكره أن لا يتبعوا المدبر، إلا أن إبراهيم هذا قد توفي قبيل نهاية شهر ذي القعدة وقبل ذي الحجة سنة ١٤٥هـ وعمره ٤٨ سنة فحزّوا رأسه ومضوا به إلى المنصور فوضع في طشت بين يديه فقال للحسن بن زيد بن الحسن السبط: أتعرف هذا؟ فأخذته العبرة...

فإبراهيم الشهيد بباخمرا العقب منه منحصر في ابنه الحسن، أمه أمامة بنت عصمة العامرية من بني جعفر بن كلاب، كان سيداً وجيهاً بالغ المنصور في طلبه وطلب عيسى بن زيد فلم يظفر بهما، ولما مات وتولى ابنه المهدي توجهت إليه مليكة بنت عبدالله زوجة الحسن والتمست منه لهما العفو والأمان فلمّا خرج أمنهما.

ولاية جعفر بن سليمان على المدينة ثم مكة والطائف

١٤٦هـ في ربيع الآخر ولي جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس المدينة حتى سنة ١٥٠هـ ثم صار عاملاً على مكة والطائف واليمامة وكانت وفاته سنة ١٧٧هـ[3]. فصارت ضرية بعد ذلك لجعفر ابن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس ولآله بعده، ويحسب إليهم حمى ضرية حيث يقول الأصفهاني عنها: ((ضرية: سرة الحمى وهي قرية عظيمة عنّه يطؤها الطريق، بها بنو عامر والتجار، وعامتها لآل جعفر بن سليمان))[4]. ولجعفر أخ اسمه محمد ولاه الرشيد على بعض الإمارات وقد ذكرناه في سنة ١٧٠هـ وسنة ١٧٣هـ، وذكر ابن خلدون أن محمد هذا توفي في سنة ١٩٣هـ، وأن أخاه جعفراً كان كثير السعاية فيه عند الرشيد بقوله ((إنه يحدث نفسه بالخلافة وإن أمواله كلها فيء من أموال المسلمين، فاستصفاها الرشيد وبعث من قبضها)).

---

(١) أنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٣

(٢) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى بدكتور فاروق عمر ص١٣٠.

(٣) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٢ ص٢٠٩.

(٤) بلاد العرب للأصفهاني تحقيق حمد الجاسر ود. صالح العلي دار اليمامة، ص٣٩٦.

ولاية عقبة بن سلم الباهلي على البصرة

وفي هذا العام وجّه أبو جعفر المنصور: محمد بن أبي العباس عاملاً على البصرة، فاشتكى واستعفى فأعفاه، واستخلف على البصرة عقبة بن سلم بن قتيبة بن مسلم فأقره المنصور بعده إلى سنة ١٥١هـ[1].

وفاة جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ﷺ

١٤٨هـ توفي الإمام الصدق الذي أجمعت الأمة الإسلامية على إمامته وهو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ولجعفر هذا ابنان (إسماعيل وموسى الكاظم) وإسماعيل ابنه اسمه محمد، أما موسى فيجيء من أحفاده محمد بن الحسن العسكري.

والدة الإمام جعفر الصادق هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأم أم فروة هي أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ أجمعين. لذلك كان الصادق يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين.

نشأة بعض المذاهب الشيعية مثل الإسماعيلية والجعفرية

وبوفاة الإمام جعفر الصادق نشأت [جماعة جديدة] تقول إن الإمام بعد جعفر هو ابنه إسماعيل، وهذه الجماعة هي [الأقلية] التي تقول إن إسماعيل لم يمت بل تغيب ليظهر بعد حين في البصرة.

[أما الأغلبية] فاعتقدت أن إسماعيل مات في حياة أبيه جعفر الصادق وأن الإمامة انتقلت إلى ابن إسماعيل محمد (رغم اعتراف هذه الأغلبية بأن جعفراً الصادق) قد عهدها لابنه موسى الكاظم.

وعرف محمد بن إسماعيل - باسم المكتوم، لأن دعوة الفرع الذي قال بإمامته دخل في طور الكتمان الشديد، واتسم هذا الفرع بالتطرف والعلمية والدقة في التنظيم، وبدأت الفرقة تعرف بعدة أسماء وهي:

[السبعية] لأن إسماعيل سابع الأئمة وتقديسهم وتأثرهم برقم سبعة (السماوات والأراضي والكواكب سبع).

[التعليمية] لأنهم يقولون إن الحق إما أن يعرف بالرأي أو بالتعليم، وباطل أن يعرف بالرأي لتعارض الآراء.

[الباطنية] لأنهم قالوا لكل ظاهر باطن// والعلم علمان: ١- علم ظاهر ٢- علم باطن.

ظهور مذهب الإثني عشرية

قالت الفئة الكبرى من أتباع الإمام موسى: بوفاة إسماعيل عيّن الصادق ابنه موسى الكاظم إماماً سابعاً وتابع خط موسى هذا سلسلة أئمة حتى الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) الذي ذهب

(١) أنساب الأشراف ج٤ ص٢٣٩

في غيبة وسيظهر عندما يحين الوقت - كما يعتقدون هم أنفسهم - لأنه [المهدي المنتظر] وهؤلاء الإمامية الإثنا عشرية.

تذهب المصادر الإمامية إلى أن موسى قد مات مقتولاً من قبل هارون الرشيد وأن محمد بن إسماعيل قد وشى بعمه عند الخليفة وقال له: (ما ظننت أن بالأرض خليفتين إلّا عندما رأيت عمي موسى يسلم عليه بالخلافة)[1].

قمع ثورة العبدي في البحرين على يد والي البصرة

١٥١هـ في هذا العام: انتفض في البحرين جماعة أعلنت التمرد والخروج على أبي جعفر المنصور بزعامة سليمان بن حكيم العبدي فقمعوا. وقال ابن خلدون: سار عقبة بن سالم الباهلي من البصرة واستخلف نافع بن عقبة، فغزا البحرين وقتل ابن حكيم العدويّ واستقصره المنصور بإطلاق أسراهم، فعزله وولّى جابر بن مومة الكلابيّ، ثم عزله وولّى مكانه عَبْدالملك بن ظبيان النميريّ. ثم عزله وولّى الهيثم بن معاوية المكّي.

اختصام الغنويين والعثمانيين على عين نفده

وفي هذا العام اختصم الغنويون والعثمانيون، عند أبي لمطرف عبدالله بن محمد بن عطاء الليثي وهو عامل للحسن بن زيد على عين ماء بنفده. ((ووكل آل عثمان عبدالله بن عمرو بن عتبة العثماني فاجتمعوا عند أبي المطرف عامل الحسن بأضاخ وولي الخصومة من غني الحصين بن ثعلبة، أحد بني عمرو الذين امتدحهم ابن عرندس، فشهدت بنو تميم للعثمانيين وشهدت قيس للغنويين فلم يثبت لفريق منهم حق فلحق العثماني بأهله وبقيت نفده مواتاً دفيناً))[2]

تنازع بين بني جعفر وبني أبي بكر في ضرية على قنيع

((كان سلمة بن عمرو بن أنس شريفاً قارئاً لكتاب الله عز وجل حسن العلم به، فمدحه - شعراء بني كلاب - حيث إنه قد تنازع بنو جعفر بن كلاب، وكان سيدهم عبود بن خالد، وبنو أبي بكر بن كلاب ورأسهم أبو بكر معروف بن عبدالكريم في قنيع، كلهم ادّعاه، وأخت معروف زوجة عبود وأم ولده طفيل، واجتمعوا بقنيع ونفرت بينهم شعراء من ضريّة، فاصطلحوا على أن يحكموا سلمة بن عمرو بن أنس العتريفي فلم يحكم بينهم حتى عقد لنفسه عقداً ألا يردوا حكمه، وأخذ عليهم الأيمان فلمّا استوثق قال: ما لأحد من الفريقين حق في قنيع، انه ممات دفن، فرضوا جميعاً وصوّبوا رأيه فقال عقيل بن العرندس أحد بني عمرو بن عبد بن أبي بكر بن كلاب:

يـا دار بـيـن كُـلَـيْـبَـاتٍ وأظْـفـارِ   والـحـمـَّتـيْـنِ سـقـاكِ اللهُ مِـنْ دارِ

---

(١) راجع جامع لأخبار القرامطة للدكتور سهيل زكار

(٢) أبو علي الهجري، مؤلف النوادر سنة ٣١٦هـ بقلم حمد الجاسر دار اليمامة ص٢٥٠

إلى أن قال:

بلْ أيُّها الرَّجُلُ المُفْني شَبيبتَهُ ... يَبْكي على ذاتِ خَلْخالٍ وأسوارِ

عُدْ مدحي بني عمرو فإنَّهُمُ ... ذوو فُضُولٍ وأحلامٍ وأخطارِ

هَيْنُونَ لَيْنُونَ أيسارٌ ذوو يَسَرٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أبناءُ أيسارِ

لا ينطقونَ عنِ الفحشاءِ إنْ نَطَقُوا ... وَلا يُمَارُونَ مَنْ مَارَوا بإكثارِ

من تلقَ منهم تقلْ لاقيتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلُ النجومِ التي يَسْري بها السَّاري

وقال فيه وفي إخوته - جامع أحد بني بكر

إذا ما غنيٌّ فاخرَتْها قبيلةٌ ... فإنَّ غنيًّا في ذُرى المَجْدِ أفْخَرُ

وكَمْ فيهمُ من سَيِّدٍ وابنِ سَيِّدٍ ... وَمِنْ فارسٍ يومَ الكريهةِ مِسْعَرُ

هُمُ رَتَقُوا الفَتْقَ الذي كانَ باديًا ... وقاموا بأُفْقِ الحَقِّ، والحَقُّ أنْوَرُ)[1]

خلافة المهدي محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي

وبويع صبيحة اليوم الذي توفي فيه أبوه لست خلون من ذي الحجة ١٥٨هـ وكان مولده بالحميمة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ، فيكون سنه ٢٨ سنة، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة وأربعين يوماً. وكان أسمر طويلاً معتدل الخلق جعد الشعر بعينه اليمنى نكتة بياض، وتزوج ريطة بنت السفاح وأولدها عليًا وعبيدالله .. وكان يتابع الجواري، وأول من حظي منهن عنده رحيم ولدت له العباسة، ثم الخيزران فولدت له موسى وهارون.

قال عبدالملك بن مالك الخزاعي: دخلت على أمير المؤمنين المهدي، قال: فأنشدني، فأنشدته قول السموأل:

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فَكُلُّ رداءٍ يَرْتَديهِ جَميلُ

وَإنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلى النَّفْسِ ضَيْمَها ... فَلَيْسَ إلى حُسْنِ الثَّناءِ سَبيلُ

إذا المرءُ أعْيَتْهُ المُرُوءةُ يافِعاً ... فَمَطْلَبُها كَهْلاً عليهِ ثَقيلُ

---

(1) المصدر السابق ص٢٥٣

وكان الأصمعي يقول: هذا المحال كلابيٌّ يمدح غنويًّا. ذكر أبو تمام أن الذي كان يقول (هذا المحال) هو أبو عبيدة، وروى محمد بن يزيد هذا الشعر لعبيد بن [illegible] لا لأبيه، يمدح قوماً نزل بهم ولم يذكر ممن هم، وإنما أنكر أبو عبيدة أن يكون كلابي يمدح غنويًّا، لأن فزارة كانت قد أوقعت ببني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة، ثم أدركتهم غني فاستنقذتهم، فلما قتلت طيّئ قيس الندامى، وقتلت غنيٌّ هُريم بن سنان الغنوي، استغاثت غنيٌّ ببني أبي بكر وبني محارب، فقعدوا عنهم، ولم يُخلّوهم، فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين متقاورين. راجع: مختصر جمهرة النسب لابن الكلبي اختصره المبارك بن يحيى بن المبارك الحمصي ت٦٥٨هـ ج١ ص٢٦٥

تُعَيِّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا فقلتُ لها: إنَّ الكرامَ قليلُ
وما ضرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ، وجارُ الأكثرينَ ذليلُ
ونحنُ قومٌ لا نرى القتلَ سُبَّةً إذا ما رأتهُ عامرٌ وسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لنا وتكرهُهُ آجالُهُمْ فتطولُ
وما ماتَ منّا سيِّدٌ حتفَ أنفِهِ ولا طلَّ منّا حيثُ كانَ قتيلُ
تسيلُ على حدِّ السُّيوفِ نفوسُنا وليستْ على غيرِ السُّيوفِ تسيلُ
وننكرُ إنْ شئنا على الناسِ قولَهُمْ ولا يُنكرونَ القولَ حينَ نقولُ
فنحنُ كماءِ المُزْنِ ما في نِصابِنا كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بخيلُ
وأسيافُنا في كُلِّ شرقٍ ومغربٍ بها من قِراعِ الدّارعينَ فُلُولُ

فقال: أحسنت، اجلس، بهذا بلغتم...

قدوم أبي زياد الكلابي إلى بغداد في أيام المهدي

ذكر ابن النديم أنه في أيام المهدي قدم إلى بغداد أبو زياد الكلابي يزيد بن عبدالله بن الحر بن همام من بني عبدالله بن كلاب. يبدو مما نقله ياقوت أن أبا زياد اهتم بعشائر بني كلاب ومواطن سكناها حيث نقل عن هذه العشائر نصوصاً كثيرة. لبني أبي بكر، وربيعة، ومالك ووقاص وبني عمرو بن كلاب والعجلان من بني عامر وجعفر بن كلاب ولكل من وبرة بن الأصبط وعبدالله مكانان، ولبني كلاب علمة والصبات[1].

ولاية بشر البجلي على اليمامة

١٥٩هـ في هذه السنة. ولي أمر اليمامة بشر بن المنذر البجلي، وذلك بعد ولاية قثم بن عباس بن علي بن عبدالله بن عباس[2].

((وفيها وهي التي بعدها أمر المهدي بنفي كل من بمكة من المغنين..، وأخرج كل من فيها من المتشبهين من الرجال بالنساء، ومن النساء بالرجال، ومنع لعب الشطرنج وغيره من الأمور التي تجر إلى اللهو والطرب، ومنع أشياء كثيرة من المباحات الملهية عن الصلوات))[3].

ولاية زفر بن عاصم الهلالي على المدينة المنورة

١٦٠هـ في هذه السنة ولّى الخليفة المهدي زفر بن عاصم بن عبدالله بن يزيد الهلالي إمارة المدينة

---

(١) بلاد العرب للأصفهاني ص٢٠.

(٢) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٣ ص٢٠٩.

(٣) درر الفرائد المنظمة للحج للجزيري

المنورة خلفاً لعبد الله بن صفوان الجمحي. وفي بداية عهده زار المهدي المدينة المنورة وأنفق فيها أموالاً طائلة، وأمر بتوسعة المسجد النبوي الشريف وإجراء بعض التعديلات في مبناه.

وبقي زفر أميراً للمدينة حتى سنة ١٦٣هـ حيث وليها جعفر بن سليمان العباسي للمرة الثانية وفي عهده تم إكمال توسعة المسجد، بينما ولي زفر الجزيرة خلفاً لعبدالصمد بن علي، ولم تطل ولايته على الجزيرة، إذ عزل عنها أواخر سنة ١٦٣هـ، وولي مكانه عبد الله بن صالح بن علي، وبقي زفر خارج الولاية حتى عام ١٧٢هـ، حيث عين قائداً لغزوة الصائفة، فوصل إلى بلاد صيحان من وراء خراسان، وهناك واجهت الغزوة موجة برد شديدة، فعاد زفر بالجيش من حيث أتى ويكنى زفر بأبي عبدالله الدمشقي الهلالي، وكان في بداية أمره من أمراء الجهاد في الدولة العباسية، حيث ولي غزو الصائفة فيها سنة ١٥٦ هـ وما قبلها وما بعدها. وقد ذكر ابن العديم في تاريخ حلب ان زفر بن الحارث ولي على حلب في سنة ١٣٧هـ.

١٦١هـ مات سفيان الثوري بالبصرة رحمه الله. قال الواقدي ولد سفيان سنة ٩٧هـ. وقال أبو اليقظان: خرج بنو ثور من الرباب، وليس بالبصرة منهم اليوم أحد[1].

وفي هذه السنة أمر المهدي ببناء القصور في طريق مكة وتجديد الأميال والبرك والمصانع (لخزن الماء)

١٦٢هـ في محرم المهدي يضع ديوان الأزمة (الديوان المسؤول عن مراقبة كافة الدواوين).

وفيها: المهدي يجري الأرزاق على المجذومين والمسجونين في كل البلاد

وفي سنة ١٦٣هـ كان على الحجاز واليمامة جعفر بن سليمان، وعلى البحرين والبصرة والأهواز وفارس محمد بن سليمان فعزله المهدي سنة ٦٤ وولى مكانه صالح بن داود.

١٦٥هـ ولّى على البصرة روح بن حاتم، وعلى البحرين وعمان والأهواز وفارس وكرمان النعمان مولى المهدي.

١٦٦هـ المهدي يقيم البريد بين مكة والمدينة واليمن بالبغال والإبل.

١٦٧هـ تولى على اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيري وعلى البصرة محمد بن سليمان

ثورة الاعراب بين البصرة والبحرين وهجومهم على البصرة

ثارت الأعراب والعشائر القاطنون بين البصرة والبحرين وهجموا على البصرة ونهبوا وقتلوا وحربوا، فكافحهم الوالي فلم يقدر، فطلب المدد من بغداد فأصلح ما فسد[2].

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج١١ ص٣٢٣

(٢) التحفة النبهانية.

خلافة موسى الهادي بن محمد المهدي

١٦٩هـ وفي مستهلّ صفر بويع أبو محمد موسى الهدي بن المهدي. وقد توفي ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ بعيساباد وكانت خلافته سنة وشهرين إلا أياماً، وكانت سنه (٢٦سنة) وكان أبيض طويلاً جسيماً، بشفته العليا تقلص واتخذ الفضل بن الربيع حاجباً[1].

وقعة فخ

وفيها أي (١٦٩هـ) استغلّ الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ وعن آله خلاف الهادي وأخيه الرشيد فخرج بمدينة لابساً البياض رمز المعارضة وجلس في المسجد النبوي وبايعه الناس على الكتاب والسنة والمرتضى من آل البيت[2] وكان الحسين لا يملك ما يلبس إلّا فروة ليس تحتها إلّا قميص، وقد وفد مرة على المهدي فأعطاه أربعمائة ألف دينار ففرقها ببغداد والكوفة[3]. ثم قدم إلى مكة بعد بيعته بالمدينة ونادى. أيّما عبد أتاه فهو حرّ فأتاه العبيد، فانتهى الخبر إلى الهادي[4]. وحين تمّ للحسين ما أراد انتهبت جماعته ما في بيت مال المسلمين، فرفضه أهل المدينة وخرج إلى المدينة وهناك أرسل له الهادي من يقتله[5]. فجهز الهادي عليه موسى بن عيسى بن علي، ومحمد بن سليمان بن المنصور، فوقع بينهم الحرب الذي لا مثله، فقتلاه وهو محرم وقتل معه أكثر من مائة من أصحابه وقومه بفخ يوم التروية سنة ١٦٩ وقيل سنة سبعين والأرجح أنه قتل في نهاية عام ١٦٩هـ[6] وحمل رأسه إلى موسى الهادي فأنكر عليهم، لقتلهما إياه من دون أمره ونقل عن محمد الجواد ﷺ أنه قال: لم يكن بعد الطف مصرع أعظم من فخ، فالحسين مات منقرضاً[7].

ثم دارت الدوائر على الخليفة الهادي نعم فمات مسموماً، وفشلت خطته في تولية ابنه جعفر وجاء هارون الرشيد ليحكم بالتعاون مع والدته الخيزران ووزيره يحيى بن خالد البرمكي[8]

هروب الشريف إدريس مؤسس حكم اسرة الادارسة إلى طنجة

حضر إدريس بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى العلوي مع أخيه الحسين بعد وقعة فخ، فلمّا

---

(١) العقد الفريد ج٥ ص٣٢٩

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٦٧.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي م ص١٤٠.

(٤) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٢٢٠.

(٥) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٦٧.

(٦) تاريخ مكة لأحمد السباعي ص١٤٠.

(٧) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار لضامن بن شدقم الحسيني المدني، تحقيق كامل الجبوري ج١ ص٢٢٢.

(٨) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٦٧.

غلب العسكر وانهزموا منكسرين بعد أن قتل الحسين انهزم إدريس بغلامه راشد بن وضع مولى ملحم ومنصور المستعمل على بريد مصر، فقام بالدعوة بأرض طنجة بالمغرب فأجابه أهلها منقادين إليه مطيعين لأمره، فبلغ ذلك هارون الرشيد فاضطرب لذلك اضطراباً شديداً لعلمه بقوته وشدة بأسه[1].

هروب الشريف يحيى بن عبدالله المحض إلى الديلم

وهرب يحيى بن عبدالله أخو إدريس القائم بطنجة إلى بلاد الديلم حيث حشد له فيها أنصاراً دعوا إلى خلافته وأنشأ منهم قوة كلفت الرشيد خمسين ألف محارب للقضاء عليها[2].

خلافة هارون الرشيد بن محمد المهدي

بويع هارون الرشيد في اليوم الذي توفي فيه أخوه الهادي، وفي هذه الليلة ولد عبدالله المأمون. وكان مولد الرشيد في المحرم سنة ١٤٨هـ أي أنه عندما ولي الخلافة لم يكن عمره يتجاوز ٢٨ سنة هجرية، وكان الرشيد أبيض جسيماً طويلاً جميلاً، وقد وخطه الشيب. وتزوج زبيدة وهي ابنة جعفر بن المنصور أولدها محمداً الأمين ثم مراجل فأولدها عبدالله المأمون ومارِدة أولدها محمد المعتصم ووزر له جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وقتله، ثم الفضل بن الربيع[3]. وقد أرضعت زوجة يحيى بن خالد هارون الرشيد فكان جعفر أخاه من الرضاعة وكان يحيى بن خالد مسؤولاً عن هارون في زمان والده المهدي[4]

حج هارون الرشيد ﷺ مشياً على الأقدام

١٧٠هـ وفيها حج بالناس الخليفة هارون الرشيد وفرق بالحرمين مالاً كثيراً وكان حجه ماشياً، يمشي على اللبود، كانت تبسط له من منزل إلى منزل ويقال إن الحجة التي مشى فيها كانت سنة ١٧٧هـ[5]

البصرة والبحرين واليمامة وعمان والأهواز وفارس في ولاية رجل واحد

وفيها ولي اليمامة محمد بن سليمان بن علي بن العباس ابن عم المنصور الذي كان والياً على البصرة والبحرين واليمامة وعمان والأهواز وفارس حيث صارت اليمامة تابعة للبصرة بدلاً من تبعيتها للمدينة[6].

١٧٣هـ فيها حج بالناس هارون الرشيد وأحرم من بغداد[7]

---

(١) تحفة الأزهار ج١ ص٣٥٤

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/ ١٩٩٩م ص١٤١.

(٣) العقد الفريد ج٥ ص٣٤٠.

(٤) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٦٩.

(٥) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٢٢٢

(٦) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٣ ص٢١٠.

(٧) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٢٢٦

غزو الحبشة لجدة ورغبة الرشيد بفتح قناة السويس

وفيها جاءت الحبشة في زمن الحج إلى جدة فأوقعوا بمن فيها، فخرج الناس هاربين إلى مكة فخرج معهم أهل مكة لقتال الحبشة ودفعهم، فلمّا رأت الحبشة ذلك هربوا إلى المراكب فجهز وراءهم صاحب مكة غزاة في البحر وقيل إن ذلك كان سنة ١٨٣هـ والله أعلم

وقالوا إن الرشيد أراد أن يوصل ما بين بحر القلزم وبحر الروم ليتهيأ له أن يغزو الروم ببلادهم. فقال له يحيى بن خالد البرمكي. إن فعلت ذلك دخلت سفن الروم أرض العرب واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه.

خروج يحيى بن عبدالله بالديلم

١٧٦هـ. وفيها خرج يحيى بن عَبْدالله المحض بن حسن أخي المهدي بالديلم، واشتدت شوكته وكثر جمعه وأتاه الناس من الأمصار، فندب إليه الرشيد الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي في خمسين ألفاً وولاه جرجان وطبرستان والري وما إليها. ووصل معه الأموال، فلمّا بلغ الفضل الطالقان وقيل الري، تلطّف في ستر له من بلاد الدَّيْلَم. ذكر ضامن بن شدقم أن يحيى لم يفد إلى الفضل بن يحيى بمجرد المكاتبة إلا بعد أن احتال يحيى الحيل حيث يقول ((فعلم إن لم يتمكن منه قتله الرشيد، وكان لملك الديلم امرأة يودها إلى الغاية ولم يخالفها قط عما تهواه، فاحتال الفضل بالمراسلة إليها في بلاغ مرامه بما لا مزيد عليه وإيصالها جميع ما حوته يداه، فملك إليه مالت ومن الآخرة خابت ولعلها بدفع يحيى أشارت وأشار بعض خواصها بالصلح، فلمّا علم يحيى بذلك قال إذا كان لا بد من فعلكم الخوان فدعني أستوثق منهم لي ولأصحابي الأمان، فوثق خوفاً من الفضل عليه، إلا أنه شرط عليه أن يكتب له كتاباً عهداً وميثاقاً وأمناً بخط الرشيد ومهره بخطوط بني هاشم والعباسيين والأعيان ويكون الكفيل عليه أبو الوفاء عبدالصمد بن علي والفضل بن يحيى بن خالد البرمكي، فأجيب لذلك وأرسله مع هدايا..، فقدم يحيى والفضل إلى بغداد فتلقاه الرشيد بالإعزاز والإجلال ثم بعد مدة أمر بحبسه فلم يزل به إلى أن مات))[1] حبسه لسعاية كانت فيه من آل الزبير، قال في العمدة: إن يحيى صار إلى الديلم مستجيراً بملكها فابتاعه الفضل بن يحيى بثمانية آلاف درهم، ثم مضى يحيى إلى المدينة، فسعى به عبدالله بن مصعب بن ثابت الزبيري عند الرشيد قائلاً إنه أراد مني المبايعة[2]. ويقول ابن خلدون: ((فيقال أطلقه بعدها، ووصله بمال، ويقال سمّه لشهر من اعتقاله، ويقال أطلقه جعفر بن يحيى افتئاتاً فكان بسببه نكبة البرامكة)).

اضطرابات وثورة في بلاد البصرة واليمامة والبحرين

١٧٧هـ عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير، خلف جعفر بن سليمان في الولاية ودام

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار لضامن بن شدقم، تحقيق كامل الجبوري ج١ ص٣٤٨.

(٢) المصدر نفسه

بها، وفي هذه السنة أفسد العرب في البصرة واليمامة والبحرين فقطعوا الطريق. وانتهكوا المحارم. وحدثت ثورة في البلاد عزلتها عن الخلافة برهة من الزمن حتى أخضعها سويد بن أبي سويد القائد الخراساني واستولى على اليمامة[1].

تهديد ملك الروم للرشيد بخطاب شديد اللهجة

١٨٧هـ وفي هذه السنة ((خلع الروم ملكتهم وكانت امرأة تدعى رمى وملكوا نقفور فكتب إلى الرشيد: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافه إليها، لكن ذلك من ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من أموالها وإلّا السيف بيننا وبينك

فلمّا قرأ الرشيد الكتاب استفزّه الغضب وكتب على ظهر الكتاب ((بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم وقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه لا ما تسمعه. ثم سار الرشيد من يومه حتى نزل على هرقلة ففتح وغنم وخرب فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله في كل سنة فأجابه))[2]

نكبة البرامكة

في هذه السنة كانت نكبة البرامكة على يد هارون الرشيد فمات فيها أبو الفضل جعفر بن يحيى الذي كان قد بلغ مكانة عالية عند الرشيد. وقال ابن خلدون في تاريخه: انظر ما نقله ابن عبد ربه في مفاوضة الرشيد عم جده داود بن علي في شأن نكبتهم، وما ذكره في باب الشعراء من كتاب العقد في محاورة الأصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في سمرهم، تتفهم أنه إنما قتلتهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن دونه، وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمغنين من الشعر احتيالاً على إسماعه للخليفة وتحريك حفائظه لهم وهو قوله:

ليت هنداً أنجزتنا ما تعِدْ ... وشفت أنفسنا مما تجِدْ

واستبدّت مرةً واحدةً ... إنما العاجزُ مَنْ لا يَستَبِدّْ

وإن الرشيد لما سمعها قال: "إي والله إني عاجز" حتى بعثوا بأمثال هذه كامن غيرته، وسلطوا عليهم بأس انتقامه، نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال. وأما ما تموه به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر، واقتران سكره بسكر الندمان، فحاش لله "ما علمنا عليه من سوء" وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة، وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء، ومحاوراته للفضيل بن عياض وابن السماك والعمري، ومكاتبته سفيان الثوري، وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة في طوافه، وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأول

---

(١) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٣ ص٢٠٩.

(٢) المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ

وقتها. حكى الطبري وغيره أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة، وكان يغزو عاماً ويحج عاماً، ولقد زجر ابن أبي مريم مضحكه في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه يقرأ ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [يس: ٢٢] وقال والله ما أدري لم؟ فما تمالك الرشيد أن ضحك، ثم التفت إليه مغضباً، وقال: يا ابن أبي مريم في الصلاة أيضاً إياك إياك و القرآن والدين، ولك ما شئت بعدهما. وأيضاً فقد كان من العلم والسذاجة بمكان لقرب عهده من سلفه المنتحلين لذلك، ولم يكن بينه وبين جده أبي جعفر بعيد زمن، إنما خلفه غلاماً. وقد كان أبو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها. وهو القائل لمالك حين أشار عليه بتأليف الموطأ: «يا أبا عبد الله إنه لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك، وإني قد شغلتني الخلافة فضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به، تجنب فيه رخص ابن عباس، وشدائد ابن عمر، ووطئه للناس توطئة

١٨٨هـ يقول ابن فهد ((فيها حج بالناس هارون الرشيد وهي آخر حجة حجها في قول بعضهم، وآخر حجة حجها خليفة وإلى وقتنا هذا))[1]، وابن فهد نجم الدين عمر بن محمد عاش فيما بين سنة ٨١٢هـ و٨٨٥هـ.

ثورة ابن بكير واستيلاؤه على البحرين

١٩٠هـ ثار على هارون الرشيد في البحرين سيف بن بكير أحد بني عبد القيس وتمكن من السيطرة على هجر.. فوجه إليه الرشيد جيشاً على رأسه محمد بن مزيد فالتقى الطرفان بالموضع المعروف بعين النورة ودارت معركة عنيفة أسفرت عن قتل سيف بن بكير وهزيمة أتباعه

إمارة محمد الفقعسي على الحليفين اسد وطيئ

في حدود هذه السنة تولّى محمد بن عبدالملك بن حبيب بن تمام بن معبد، من بني فقعس من أسد إمرة بني أسد وطيئ، ويعرف بمحمد بن عبدالملك الفقعسي، الأسّدي، أديب وشاعر ذكر له ديوان شعر وكتاب مآثر بني أسد ومفاخرها. وقال ابن حبيب: أدركت عبدالله بن وزر (النبهاني) سنة تسعين (ومائة) وهو والي الحليفين من طيّئ وأسد، فولى بني أسد وترك قومه، وولي بعده محمد بن عبدالملك الفقعسي، فولى طيئاً وترك قومه، فحمدا جميعاً[2].

وفاة أمير المؤمنين هارون الرشيد وخلافة ابنه الأمين

١٩٣هـ في ٣ جمادى الآخرة توفي هارون الرشيد في مدينة طوس، وفيها توفي أبو العباس الفضل ابن يحيى بن خالد بن برمك وزير الرشيد عرف بكرمه وجوده.

بويع الأمين بعد وفاة والده الرشيد، وكان مولده بالرصافة سنة ١٧١هـ في شوال، فكانت خلافته

---

(١) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٢٤٥ (المقصود إلى وقت المؤلف ابن فهد).

(٢) راجع هامش. بلاد العرب للأصفهاني تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي منشورات دار اليمامة، ص٤٧

أربع سنين وستة أشهر وأياماً، صفا له الأمر من جملتها سنتين وشهراً وكانت الفتنة بينه وبين أخيه سنتين، وكان طويلاً جسيماً جميلاً حسن الوجه بعيد ما بين المنكبين أشقر سبطاً صغير العينين به أثر جدري. ووزر للأمين الفضل بن الربيع إلى آخر أيامه، وكان حاجبه العباس بن الفضل بن الربيع، ثم علي بن صالح ثم السندي بن شاهك[1].

اقتتال بين بني جعفر والضباب على طخفة

قال الأصفهاني وهو يتكلم عن طخفة: حد الحمى طخفة، وهي يطؤها الطريق، وهي التي اقتتل عليها بنو جعفر، والضباب. أيام مات هارون الرشيد أمير المؤمنين. قال: وطخفة ماء لجعفر والضباب، فظفرت به الضباب، وقتل فيها رجل من جعفر كان شديداً[2]. وقال أيوب صبري باشا عن طخفة. جبل أحمر مستطيل في مرعى ضرية في محاذاته لسقي الدواب آبار متعددة[3]. وقالوا تقع في الشمال الشرقي من ضرية غرب جبل منية (مني قديماً) وشرق جبال الأيم (ليم الآن) وجبل اللجأة.

مطالبة حفيد معاوية بن أبي سفيان بالخلافة بدمشق

١٩٥هـ قال ابن خلدون: ((علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية ويلقب أبا العميطر لأنه زعم أنها كنية الحرذون فلقبوه بها، وكانت أمه نفيسة بنت عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وكان يقول: أنا ابن شيخي صفين يعني علياً ومعاوية، وكان من بقايا بني أمية بالشام، وكان من أهل العلم والرواية، فادّعى لنفسه بالخلافة آخر سنة ١٩٥هـ وأعانه الخطاب بن وجه الفلس مولى بني أمية، كان متغلباً على صيدا، فملك دمشق من يد سليمان بن المنصور، وكان أكثر أصحابه من كلب، وكتب إلى محمد بن صالح بن بيهس[4] يدعوه ويتهدده، فأعرض عنه، وقصد السفياني القيسية فاستجاشوا بمحمد بن صالح، فجاءهم في ثلاثمائة فارس من الضباب ومواليه، وبعث السفياني يزيد بن هشام للقائهم في اثني عشر ألفاً، فانهزم يزيد وقتل من أصحابه ألفان وأسر ثلاثة آلاف أطلقهم ابن بيهس وحلقهم، ثم جمع جمعاً مع ابنه القاسم وخرجوا إلى ابن بيهس فانهزموا، وقتل القاسم وبعث برأسه إلى الأمين. ثم جمع جمعاً آخر وخرجوا مع مولاه المعتمر فانهزموا، وقتل المعتمر فوهن أمر السفياني وطمعت فيه قيس.

ثم إن ابن بيهس مرض فجمع رؤساء بني نمير وأوصاهم ببيعة مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد ابن سعد بن مسلمة بن عبد الملك بالخلافة. وقال لهم: تولوه وكيدوا به السفياني فإنكم لا تتقون بأهل بيته، وعاد ابن بيهس إلى حوران، واجتمعت نمير على مسلمة فبايعوه، فقبل منهم وجمع مواليه، ودخل

---

(١) العقد الفريد ج٥ ص٣٤٠.

(٢) بلاد العرب للأصفهاني تحقيق حمد الجاسر ود. صالح العلي دار اليمامة، ص٣٩٠

(٣) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج٤ ص٩٢٧.

(٤) لعل محمد بن صالح بن بيهس هو حفيد بيهس بن زميل الكلابي الموجود في أحداث ١٢٦هـ إلى جانب الخليفة الوليد بن يزيد.

على السفياني فقيده وحبس رؤساء بني أُمَيَّة، وأدنى لقيسية وجعلهم بطانة، ((وأفاق ابن بيهس من مرضه فجاء إلى دمشق وحاصرها وسلمها له القيسية في محرم سنة ١٩٨هـ وهرب مسلمة، السفياني إلى المزة، وملك ابن بيهس دمشق إلى أن قدم عَبْدالله بن طاهر دمشق وسار إلى مصر، ثم عاد إليها فاحتمل ابن بيهس معه إلى العراق ومات بها)).

استيلاء طاهر بن الحسين على الأهواز واليمامة والبحرين وعمان

١٩٦هـ في أثناء الخلاف الذي حدث بين الأخوين الأمين والمأمون ابتداء من هذه السنة، قام ((طاهر بن الحسين)) بالاستيلاء على الأهواز وأرسل عماله إلى اليمامة والبحرين وعمان[1]، وواسط والمدائن، وضرب حصاراً على بغداد.

وفاة العالم وكيع بن الجراح

١٩٧هـ في هذه السنة توفي وكيع بن الجراح الكوفي يوم عاشوراء ودفن بفيد وهو راجع من الحج وكان عمره ٦٨ عاماً، وقد ولد في سنة ١٢٩هـ بقرية من أصبهان، ويقول الذهبي: كان وكيع أسمر ضخماً سميناً. ويضيف أبو داود: وكان أعور. ويقول سعيد بن منصور في سير النبلاء: قدم وكيع إلى مكة، وكان سميناً، فقال له الفضيل بن عياض: ما هذا السمن وأنت راهب العراق؟ قال: هذا من فرحي بالإسلام. وقد أثنى العلماء على وكيع بن الجراح ثناء كبيراً، يقول أحمد بن حنبل: ما رأيت رجلاً مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب مع خشوع وورع. فقد جاءه الإمام الشافعي وكان تلميذاً له يشكو إليه سوء حفظه، يقول الإمام الشافعي:

شَكَوْتُ إلى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إلى تَرْكِ المَعَاصِي
وَأَلْهَمَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ... وَنُورُ اللهِ لا يُهْدَى لِعَاصِي

وعن سفيان بن وكيع قال: كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بكرة إلى ارتفاع النهار، ثم ينصرف ليقيل، ثم يصلي الظهر، ويقصد الطريق إلى المشرعة التي يصعد منها أصحاب الروايا فيريحون نواضحهم فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرائض إلى حدود العصر، ثم يرجع إلى مسجده فيصلي العصر ثم يجلس يدرس القرآن ويذكر الله إلى آخر النهار، ثم يدخل منزله فيقدم إليه الإفطار، وكان يفطر على نحو عشرة أرطال من الطعام ثم يقدم إليه إناء أو قربة فيها نحو عشرة أرطال من نبيذ فيشرب منها ما طاب له مع طعامه، ثم يضعها بين يديه، ثم يقوم فيصلي ورده من الليل، كلّما صلى شيئاً شرب منها حتى تنتهي فينام[2].

محاصرة مؤيدي المأمون لبغداد

((حوصرت بغداد بواسطة الفريق المؤيد للمأمون وتضرر الأمين من ذلك الحصار ونفدت أمواله

---

(١) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٣ ص٢١٠.

(٢) جريدة الوطن الكويتية ٢٢ أكتوبر ٢٠٠ العدد ١٠٦٧٧ ص٢٩ أسرار أئمة وفقهاء الإسلام بقلم كريم حسن.

وهرب جنده، وعندها أقدم ابن زبيدة على جريمة جديدة حين أمر بحرق القصور والدور الجميلة في بغداد التي كادت تخرب كلها فرثاها الشعراء وأعلنوا حسرتهم على حاضرة الخلافة، ولم يجد أحدهم تفسيراً لنكبة تلك المدينة (على يد حاكمها) إلا إصابتها بعين حاسد))[1].

خلافة عبدالله المأمون بن هارون الرشيد

بويع المأمون بعد قتل أخيه الأمين يوم الخميس لخمس خلون من صفر سنة ١٩٨هـ، وكان مولده بالياسرية في ليلة الجمعة ١٤ربيع الأول ١٧٠هـ، وكان أبيض تعلوه شقرة أجنأ أعين طويل اللحية رقيقها ضيق الجبين بخده خال أسود وكان قد وخطه الشيب. ووزر له الفضل بن سهل ذو الرياستين ثم الحسن بن سهل ثم أحمد بن أبي خالد الأحول ثم أحمد بن يوسف ثم ثابت بن يحيى ثم محمد بن يزداد. وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً[2].

خروج محمد بن إسماعيل ثم مبايعة محمد بن محمد بن زيد

١٩٩هـ خرج الشريف محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن حسن المثنى ﷺ ودعا لنفسه. وكانت شيعته من الزيدية وغيرهم يدعون إلى إمامته لأنها كانت متوارثة في آبائه من إبراهيم الإمام جده، فخرج سنة ١٩٩هـ ودعا لنفسه ووافاه أبو السرايا السري بن منصور كبير بني شيبان فبايعه وقام بتدبير حربه، وملك الكوفة وكثر تابعوه من الأعراب وغيرهم، وسرّح الحسن بن سهل زهير بن المسيب لقتاله فهزمه طاطبا واستباح معسكره، ثم مات محمد في صبيحة ذلك اليوم فجأة، ويقال إنّ أبا السرايا، سمّه لما منعه من الغنائم.

فبايع أبو السرايا يومه ذلك لمحمد بن محمد بن زيد بن عليّ زين العابدين واستبدّ عليه، ورجعت عليهم جيوش المأمون فهزمهم أبو السرايا، وملك البصرة وواسط والمدائن.

ووجه أبو السرايا إلى مكّة الحسين الأفطس بن الحسن بن عليّ زين العابدين، وإلى المدينة محمد ابن سليمان بن داود بن حسن المثنى ابن الحسن، وولى البصرة زيد بن موسى بن جعفر الصادق، وكان يقال له زيد النار لكثرة من أحرق من الناس بالبصرة فملكوا مكة والمدينة والبصرة، وكان بمكّة مسرور الخادم الأكبر، وسليمان بن داود بن عيسى فلمّا أحسوا بقدوم الحسين فرّوا عنها، وبقي الناس في الموقف فوضى، ودخلها الحسين من الغد فعاث في أهل الموسم ما شاء الله، واستخرج الكنز الذي كان في الكعبة من عهد الجاهلية، وأقره النبي ﷺ والخلفاء بعده[3].

---

(١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٧٤.

(٢) العقد الفريد ج٥ ص٢٤١.

(٣) تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع.

أحداث
القرن الثالث الهجري



مبايعة محمد الديباج بن جعفر الصادق بالخلافة ثم طلبه الأمان

٢٠٠هـ عسف الحسين الأفطس وظلم واستمر إلى أن سمع قتل أبي السرايا – السري بن منصور الشيباني – سنة ٢٠٠هـ فخاف تغير الناس عليه فعمد إلى محمد بن جعفر الصادق الملقب بالديباج لجماله وسأله المبايعة له بالخلافة فكره محمد بن جعفر ذلك فاستمال ابنه علي بن محمد المذكور فلم يزل به حتى بايعوه بالخلافة وجمعوا الناس على مبايعته كرهاً ولقبوه أمير المؤمنين وذلك في ربيع الأول سنة ٢٠٠هـ (أكتوبر ٨١٥م تقريباً) وبقي شهوراً ليس له من الأمر شيء والأمر للأفطس وعلي بن محمد وهما على أقبح سيرة ثم جاءه جيش من المأمون وعليه عيسى بن يزيد الجلودي فطلب محمد بن جعفر الديباج الأمان بعد قتال عند بئر ميمونة وخلع نفسه فأجلوه ثلاثاً فخرج من مكة ودخلها العباسيون ثم سار الديباج إلى العراق واعتذر للمأمون فقبله.

قال الذهبي إن الجلودي خرج بالديباج إلى العراق واستخلف على مكة ابنه محمداً، وقيل استخلف يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وجاء من اليمن إبراهيم بن موسى الكاظم ودخل مكة عنوة وقتل يزيد بن محمد سنة ٢٠٢هـ[1].

الخليفة العباسي يجعل علي الرضا بن موسى الكاظم وليًا لعهده

٢٠١هـ ((اتخذ الخليفة العباسي من علي الرضا بن موسى الكاظم الذي تدور الدعوة باسمه وليًا لعهده سنة ٢٠١ فابتعد العلويون عن تأييدها، فاستطاع القائد العباسي هرثمة بن أعين من إلحاق الهزيمة بجيش أبي السرايا وقتله في ربيع الأول ٢٠١هـ))[2].

---

(١) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام للسيد أحمد بن زيني دحلان م.الخيرية بمصر ط١/ ١٣٠٥هـ ص٨.

(٢) القرامطة بين المد والجزر أ.د. مصطفى غالب

احتلال إبراهيم بن موسى الكاظم لمكة

٢٠٢هـ في هذه السنة: قال أحمد السباعي ((هاجم مكة علوي جديد من اليمن هو إبراهيم بن موسى الكاظم وأخوه علي الرضا الذي ولّاه المأمون ولاية العهد فاحتل مكة وقتل عاملها وأوقع بأنصار العباسيين فيها ثم ما لبث العباسيون أن أجلوه عنها..)).

ثم يعلق السباعي على هذا الخبر تعليقاً معقبًا. بأنه يستبعد أن تكون هذه الثورة ما جاءت إلَّا انتصاراً لأخيه ولي العهد وللمأمون أمير المؤمنين لدي قامت ضده ثورة في بغداد قام بها إبراهيم بن المهدي العباسي، لأنه ينقل عن تقي الدين الفاسي عن العتيقي أن إبراهيم بن الكاظم كان والياً على مكة من قبل المأمون وبذلك ينفي عنه فكرة الثورة[1]. ويذكر ابن فهد أن في هذه السنة (٢٠٢هـ) ((حج بالناس إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد ودعا لأخيه بعد المأمون بولاية العهد وهو أول طالبي أقام للناس الحج في الإسلام على أنه كان متغلباً لا متولياً من قبل الخليفة، ثم مضى إبراهيم إلى اليمن))[2].

انقلاب مؤقت على الخليفة قام به عمه المبارك

خلع المأمون في بغداد وبويع بالخلافة عمه إبراهيم بن المهدي ولقب بـ(إبراهيم المبارك) وكان وافر الفضل سخيّ الكف وكان ضخم الجثة أسود اللون لأن أمه جارية سوداء تسمى شكلة[3].

خروج الخليفة المأمون عن الاحتجاب ودخوله بغداد

٢٠٤هـ بعد ست سنوات من احتجابه في مرو الخليفة المأمون ((بناء على نصيحة وزيره الفضل ابن سهل، أدرك خطأ ابتعاده عن دار الخلافة، فعاد إلى بغداد ودخلها بلباسه الأخضر وأعلامه الخضراء وفرض على أهلها لونه الجديد، فالتزم الناس بدعوته إلى أن تراجع عن ذلك القرار وعاد إلى لبس السواد في ٢٨ صفر سنة ٢٠٤هـ ومعه عاد الناس إلى لبس السواد مرة أخرى ومنذ ذلك التاريخ بدأ ملك المأمون الحقيقي))[4].

ولاية داود بن ماسجور على البصرة واليمامة والبحرين

٢٠٦هـ جمعت [البصرة واليمامة والبحرين] ولايتها لداود بن ماسجور[5].

---

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ص١٤٥

(٢) إتحاف الورى لابن فهد مد١/ ج٢ ص٢٧٩

(٣) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٧٩ عن تاريخ اليمن لعمارة.

(٤) المصدر السابق ص٧٦.

(٥) التحفة النبهانية

وفاة المأمون وضم اليمامة لإسحاق القيسي

٢١٨هـ توفي المأمون بطرسوس، وجاء المعتصم وضم إلى إسحاق بن إبراهيم بن أبي حميضة القيسي ولاية اليمامة.

خلافة المعتصم بن هارون الرشيد

بويع المعتصم بعد أخيه عبدالله المأمون يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ٢١٨هـ، وكان مولده في شهر رمضان سنة ١٧٨هـ.. وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وأمه أم ولد يقال لها ماردة. وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعاً مشرب اللون حمرة ، وكان شديد البأس حمل باباً من حديد فيه سبعمائة وخمسون رطلاً[1] وعوقه عكام فيه مائتان وخمسون رطلاً... وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر. ووزر له الفضل بن مروان، ثم أحمد بن عمار، ثم محمد بن عبدالملك الزيات[2].

٢٢٢هـ طاعون جارف في البصرة.

وامعتصماه...

٢٢٣هـ وفي هذه السنة حدثت وقعة عمورية، ومن خبرها أنه ((خرج ملك الروم توفيل في جمع عظيم فبلغ زبطرة وقتل وسبى ومثّل بمن وقع في يده من المسلمين ولما بلغ المعتصم ذلك وأن امرأة هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم (وامعتصماه) استعظمه ونهض من وقته وجمع العساكر وسار لليلتين بقيت من جمادى الأولى لهذه السنة، وبلغ أن عمورية هي عين النصرانية وهي أشرف عندهم من قسطنطينية وأنه لم يتعرض أحد إليها منذ كان الإسلام، وتجهز المعتصم جهازاً لم يعهد قبله مثله من السلاح وحياض الأدم وغير ذلك، وسار المعتصم حتى نزل على نهر قريب من البحر بينه وبين طرطوس يوم وجعل عسكره ثلاث ، فرقة مع الأفشين حيدرا بن كاووس ميمنة، وفرقة مع أشناس ميسرة، وفرقة مع المعتصم في القلب، وبين كل فرقة وفرقة فرسخان، وأمرهم المعتصم بحرق القرى وتخريب بلاد الروم، ففعلوا ذلك حتى وصلوا عمورية فأول من قدمها أشناس ثم المعتصم ثم الأفشين فأحدقوا بها، وكان نزوله عليها لست خلون من رمضان من هذه السنة وأقام عليها المجنيقات، وجرى بين المسلمين والروم عليها قتال شديد يطول شرحه وآخره أن المسلمين خربوا في السور مواضع بالمنجنيق وهاجموا البلد وقتلوا أهله ونهبوا الأموال والنساء، وأقبل الناس بالسبي والأسرى إلى المعتصم من كل جهة وأمر بعمورية فهدمت وأحرقت وكان مقامه على عمورية خمسة وخمسين يوماً ثم ارتحل راجعاً إلى الثغور..)).

---

(١) هذه الأوزان التي ذكر أن أمير المؤمنين المعتصم رفعها مبالغ فيها، ثم إنه ليس هناك ربط بين شدة البأس والقوة الجسدية.

(٢) العقد الفريد ج٥ ص٢٤٣.

وفاة الأصمعي

٢٢٦هـ في صفر، مات الأصمعي - عبد الملك بن قريب - وله ٩١ سنة[١]. وقرأت أنه مات في سنة ٢١٥هـ.

وفاة المعتصم ومصادفات الرقم ٨

٢٢٧هـ وفيها توفي أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد لثمانٍ مضت من ربيع الأول بسامرا وكانت خلافته (٨سنوات و٨أشهر ويومين) وهو ثامن الخلفاء العباسيين ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات وكان أبيض، أصهب اللحية طويلها مربوعاً مشرب اللون بحمرة.. طيب الأخلاق لكنه إذا غضب لا يبالي من قتل وما فعل.

خلافة هارون الواثق بن المعتصم بن هارون الرشيد

بويع صبيحة اليوم الذي توفي فيه أبوه يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ وكان مولده سنة ١٩٦هـ وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً. وكان أبيض إلى الصفرة حسن الوجه جسيماً في عينه اليمنى نكتة بياض[٢].

وفاة محمد العتبي البصري

٢٢٨هـ توفي محمد بن عبدالله بن عمر بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العتبي الأموي البصري أبو عبدالرحمن. وكان عالماً بالأخبار والآداب[٣].

غزوة بغا الكبير لبلاد العرب ما بين مكة والمدينة ونجد

٢٣٠هـ ((كان سبب ذلك أن بني سليم كانت تفسد حول المدينة بالشر، ويأخذون مهما أرادوا من الأسواق بالحجاز بأي سعر أرادوا، وزاد الأمر بهم أن وقعوا بناس من كنانة وباهلة، فأصابوهم، وقتلوا بعضهم في جمادى الآخرة من سنة ٢٣٠هـ. فوجه محمد بن صالح عامل المدينة إليهم حماد بن جرير الطبري وكان مسلحة لأهل المدينة في مائتي فارس، وأضاف إليهم جنداً غيرهم، وتبعهم متطوعة فسار إليهم حماد وأصحابه وقريش والأنصار وقاتلوا قتالاً عظيماً، فقُتل حماد وعامّة أصحابه وعدد صالح من قريش والأنصار، وأخذ بنو سُليم الكراع والسلاح والثياب، فطمعوا ونهبوا القرى والمناهل ما بين مكة والمدينة وانقطع الطريق.

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب للنمري.

(٢) العقد الفريد ج٥ ص٤٤٢، وقد ذكرنا فيما تقدم أن محمداً المهدي جد أبيه كانت في عينه اليمنى نكتة بياض أيضاً.

(٣) الكامل في التاريخ م٧ ص٩

فوجّه إليهم الواثق بُغا الكبير، أبا موسى في جمع من الجند فقدم المدينة في شعبان فقاتلهم ببعض مياه الحَرّة من وراء السوارقية قريتهم التي يأوون إليها، وبها حصون، فقتل بُغا منهم خمسين رجلاً وأسر مثلهم وانهزم الباقون، وأقام بُغا بالسوارقية، ودعاهم إلى الأمان على حكم الواثق، فأتوه متفرقين، فجمعهم، وترك من يعرف بالفساد وهم زهاء ألف رجل، وخلّى سبيل الباقين، وعاد بالأسرى إلى المدينة، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاثين فحبسهم ثم سار إلى مكة.

فلمّا قضى حجه سار إلى ذات عرق بعد انقضاء الموسم وعرض على بني هلال مثل الذي عرض على بني سليم فأقبلوا فأخذ من المفسدين نحواً من ثلاثمئة رجل، وأطلق الباقين، ورجع إلى المدينة، فحبسهم.

وذكر اليعقوبي، أن بني هلال وبني سليم عاثوا بالأرض فساداً فقطعوا الطريق حتى تخلف الناس عن الحج في أوائل القرن الثالث الهجري، ونصبوا رجلاً منهم يقال له عُزيزة الخفافي، وسلموا عليه بالخلافة فما كان من الخليفة العباسي الواثق بالله أن وجه إلى بني سليم أحد قواده وهو بغا الكبير وأمره بقتل كل من وجده من الأعراب، فاجتمعت قيس من كل ناحية وأكثرهم بنو سليم ورئيسهم عزيزة فلقيهم فقاتلوه فقتل منهم خلقاً عظيماً وصلبهم على الشجر وأسر منهم عالماً حبسهم في دار يزيد بن معاوية بالمدينة فنقبوا وخرجوا على أهل المدينة، فوثب عليهم أهل المدينة فقتلوا عامتهم وحمل بغا الباقين في الأغلال ووافى إسحاق بن إبراهيم في الموسم في تلك السنة.

حبس بغا من بني سليم ألف نفس فنقبوا الحبس فأخبرت بهم امرأة فأحاط بهم أهل المدينة وحاصروهم يومين ثم برزوا للقتال بكرة الثالث وكان مقدمهم (عزيزة السلمي) فكان يحمل فيهم وهو يرتجز:

لا بُدَّ مِنْ زَحْمٍ وإنْ ضاقَ الباب ... إني أنا عزيزة بن قطاب

للموتُ خَيْرٌ للفتى مِنَ العابْ

وكان قد فكَّ قيده وصار يقاتل يومه إلى أن قتل وصلب، وقتلت عامة سليم وكثير من الأعراب.

وعزيزة بن قطاب السلمي ممن قتل في حدود سنة ٢٣١هـ عندما غزا بغا الكبير بلاد العرب. قال عزيزة بن قطاب الكبيدي ثم العوفي[١]:

لَقَدْ رُعْتُمُوني يومَ ذي العارِ رَوْعَةً	بأخبار سوءٍ دونهنَّ مَشِيبي
نَعَيْتُمْ فَتَى قيسِ عَيْلانَ عُذْوَةً	وَفارِسَها تَنْعُونَهُ لِحَبيبِ

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٢٣١هـ: قتل أهل المدينة من كان في حبس بُغا من بني سليم وبني هلال وكان سبب ذلك أن بُغا لما حبس من أحبه من بني سليم وبني هلال بالمدينة، وهم ألف وثلاثمائة، وكان سار عن المدينة إلى بني مُرة، فنقب الأسرى الحبس ليخرجوا، فرأت امرأة النقب، فصرخت بأهل المدينة، فجاؤوا، فوجدوهم قد قتلوا الموكلين، وأخذوا سلاحهم، فاجتمع عليهم أهل

---

(١) أبو علي الهجري مؤلف النوادر سنة ٣١٦هـ بقلم حمد الجاسر دار اليمامة ص٧٠، ١٢٤.

المدينة ومنعوهم من الخروج، وباتوا حول الدار، فقاتلوهم، فلمّا كان الغد قتلهم أهل المدينة، وقتل سودانُ المدينة كل من لقوه بها من الأعراب ممن يريد الميرة، فلمّا قدم بُغا وعلم بقتلهم شق عليه ذلك. وقيل إن السجان كان قد ارتشى منهم ليفتح لهم الباب، فعجلوا قبل ميعاده، وكانوا يرتجزون:

السموتُ خيرٌ لِلْفَتَى مِنَ العَار قد أخذ البوّاب ألف دينار

وكان سبب غيبة بُغا عنهم أن فزارة ومُرة تغيبوا عنه فدك، فلمّا قاربهم أرسل إليهم رجلاً من قواده يعرض عليهم الأمان، ويأتيه بأخبارهم، فلمّا أتاهم الفزاري حذرهم سطوته، فهربوا، وخلوا فدك، وقصدوا الشام.

وأقام بغا بجنفا وهي قرية من حد عمل الشام مما يلي الحجاز نحواً من أربعين ليلة، ثم رجع إلى المدينة بمن ظفر به من بني مُرّة وفزارة

وفيها سار إلى بغا من بطون غطفان، وفزارة، وأشجع وثعلبة، جماعة، وكان سار إليهم، فلمّا أتوه استحلفهم الأيمان المؤكدة أن لا يتخلفوا عنه متى دعاهم، فحلفوا، ثم سار إلى ضرية لطلب بني كلاب، فأتاه منهم نحو من ثلاثة آلاف رجل، فحبس من أهل الفساد نحواً من ألف رجل، وخلّى سائرهم، ثم قدم بهم المدينة في رمضان سنة ٢٣١هـ، فحبسهم، ثم سار إلى مكة فحج، ثم رجع إلى المدينة[1].

ولاية إسحاق بن أبي حفصة على اليمامة والبحرين وطريق مكة

٢٣١هـ وفيها ولّى الواثق إسحاق بن إبراهيم بن أبي حَفْصة على اليمامة والبحرين وطريق مكة مما يلي البصرة[2].

وقعة بين بغا الكبير وبني نمير قرب اليمامة

تعرضت اليمامة، لغارات بني نمير[3]. فلمّا كان عام ٢٣٢هـ ((سار بغا الكبير إلى بني نمير فأوقع بهم، وكان سبب ذلك أن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الخطفي امتدح الواثق بقصيدة، فدخل عليه، وأنشده، فأمر له بثلاثين ألف درهم، وأخبر الواثق بإفساد بني نمير في الأرض، وإغاراتهم على الناس وعلى اليمامة وما قرب منها.

وكتب الواثق إلى بُغا يأمره بحربهم وهو بالمدينة، فسار نحو اليمامة فلقي من بني نُمير جماعة بالريف فحاربهم، فقتل منهم نيفاً وخمسين رجلاً وأسر أربعين رجلاً، ثم سار حتى نزل مرأة، وأرسل إليهم يدعوهم إلى السمع والطاعة، فامتنعوا، وسار بعضهم نحو جبال السُّود، وهي خلف اليمامة، وبث بُغا سراياه فيهم، فأصاب منهم، ثم سار بجماعة من معه، وهم نحو من ألف رجل، سوى من تخلف في

---

(١) الكامل في التاريخ م٧ ص١٩.

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣-٨٧٤هـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ج٢ ص٢٥٩، راجع سنة ٢١٨ و٢٣٠.

(٣) القوى السياسية في كوت الإحساء يوسف جعفر ص١٣٥.

العسكر من الضعفاء والأتباع، فلقيهم وقد جمعوا لهم وهم نحو من ثلاثة آلاف بموضع يقال له روضة الأمان على مرحلة من أضاخ، فهزموا مقدمته، وكشفوا ميسرته، وقتلوا من أصحابه نحواً من مائة رجل وعشرين رجلاً، وعقروا من إبل عسكره نحو سبعمائة بعير، ومائة دابة، وانتهبوا الأثقال وبعض الأموال، ثم أدركهم الليل، وجعل بغا يدعوهم إلى الطاعة.

فلمّا طلع الصبح ورأوا قلة من مع بُغا عباًوا، وجعلوا رجالتهم أمامهم، ونعمهم ومواشيهم وراءهم، وحملوا على بغا، فهزموه، حتى بلغ معسكره، وأيقن من معه بالهلكة.

وكان بغا قد أرسل من أصحابه مائتي فارس إلى طائفة منهم، فبينما هو قد أشرف على العطب، إذ وصل أصحابه إليه منصرفين من وجوههم، فلمّا نظر بنو نمير ورأوهم قد أقبلوا من خلفهم ولّوا هاربين، وأسلموا رجّالتهم، وأموالهم، فلم يفلت من الرجّالة إلا اليسير، وأما الفرسان فنجوا على خيلهم.

وقيل إن الهزيمة كانت على بغا من غدوة إلى انتصاف النهار، ثم تشاغلوا بالنهب، فرجع إلى بغا من كان انهزم من أصحابه، فرجع بهم، فهزم بني نمير، وقتل فيهم من زوال الشمس إلى آخر وقت العصر زهاء ألف وخمسمائة راجل، وأقام بموضع الوقعة، فأرسل أمراء العرب يطلبون الأمان، فأمّنهم، فأتوه فقيّدهم، وأخذهم معه إلى البصرة، وكانت الوقعة في جمادى الآخرة. ثم قدم واجن الأشروسني على بغا في سبعمائة مقاتل، مدداً له، فسيره بغا في آثارهم حتى بلغ تبالة من أعمال اليمن، ورجع، وكان بغا قد كتب إلى صالح أمير المدينة ليوافيه ببغداد بمن عنده من فزارة، ومرة، وثعلبة، وكلاب، ففعل، فلقيه ببغداد، فسارا جميعاً، وقدم بغا سامرّا بمن بقي معه منهم، سوى من هرب ومات وقتل في الحروب فكانوا يزيدون على ألفي رجل، ومائتي رجل من نمير، وكلاب ومرة وفزارة وثعلبة وطيئ))[1]

٢٣١هـ وفيها خرج محمد بن عبدالله الخارجي التغلبي في ثلاثة عشر رجلاً في ديار ربيعة، فخرج إليهم غانم بن أبي مسلم بن أحمد الطوسي وكان على حرب الموصل في مثل عدته، فقتل من الخوارج أربعة، وأخذ محمد بن عبدالله أسيراً، فبعث به إلى سامرّا فحبس[2].

ولاية عمير بن عمار للبصرة

٢٣٢هـ ولي عمير بن عمار البصرة[3].

خلافة جعفر المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد

بويع جعفر المتوكل بعد والده المعتصم في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ وكان مولده يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال ٢٠٦هـ وكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام، وكان أسمر كبير العينين نحيف الجسم خفيف العارضين وكان كثير الولد. ووزر له

---

(١) الكامل في التاريخ م٧ ص٢٣٢، راجع النجوم الزاهرة لابن تغري بردي

(٢) الكامل في التاريخ م٧ ص٢٣.

(٣) ولاة البصرة ومتسلموها لابن عبلان ت١٢٣٣ دار منشورات البصرة٦٢

محمد بن عبدالملك الزيات ثم محمد بن الفضل الجرجاني ثم عبيدالله بن يحيى بن خاقان[1].

٢٣٥هـ وفاة إسحاق بن إبراهيم[2].

ولاية محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بن أبي حفصة القيسي

٢٣٦هـ ((قُتل محمد بن إبراهيم بن مصعب أخو إسحاق بن إبراهيم. وكان سبب ذلك أن إسحاق أرسل ولده محمد بن إسحاق بن إبراهيم إلى باب الخليفة ليكون نائباً عنه بابه، فلمّا مات إسحاق عقد المعتز لابنه محمد بن إسحاق على فارس، وعقد له المنتصر على اليمامة والبحرين وطريق مكة في المحرم من هذه السنة، وضم المتوكل إليه أعمال أبيه كلها، وحمل إلى المتوكل وأولاده من الجواهر التي كانت لأبيه، والأشياء النفيسة، كثيراً.

وكان عمه محمد بن إبراهيم على فارس، فمّا بلغه ما صنع المتوكل وأولاده بابن أخيه ساءه ذلك، وتنكر للخليفة ولابن أخيه، فشكا محمد بن إسحاق ذلك إلى المتوكل، فأطلقه في عمه يفعل به ما يشاء، فعزله عن فارس، واستعمل مكانه ابن عمه الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب، وأمره بقتل عمه محمد بن إبراهيم[3].

وفاة الإمام ابن حنبل

٢٤١هـ توفي الإمام أحمد بن حنبل الشيباني الفقيه المحدث في شهر ربيع الأول[4] الموافق ليوليو أو أغسطس من سنة ٨٥٥م وفيها حج بالناس أمير مكة عبدالله بن محمد بن داود بن عيسى العباسي[5]

٢٤٢هـ حج إبراهيم بن مطهر بن سعيد الكاتب الأنباري من البصرة على عجلة تجرّها الإبل، عليها كنيسة[6] ومهرج وقينات، وسلك طريق المدينة فكان ذلك من أعجب ما رآه الناس في الموسم[7]

مقتل الخليفة المتوكل

٢٤٧هـ قتل الخليفة العاشر المتوكل على الله بالليل بالسيوف على يد الأتراك وقت خلوته باتفاق مع ابنه المنتصر بالله وبغا الصغير الشرابي، قتل في مجلس شرابه وكان عمره نحو أربعين سنة. وكان أسمر خفيف العارضين. وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان

---

(١) العقد الفريد ج٥ ص٢٤٤

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير د.صادر م٧ ص٥٣

(٣) المصدر نفسه م٧ ص٢٣٦، وراجع: تاريخ اليمامة لابن خميس ج٣ ص٢١١.

(٤) المصدر نفسه م٧ ص٨٠

(٥) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج١ ط١ ١٩٨٣ ص٤٢٩.

(٦) وهي شبه هودج تغطى بثوب أو نحوه يستظل بها الراكب.

(٧) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٣٢٣.

خلافة محمد المنتصر بن جعفر المتوكل بن المعتصم مدة ستة أشهر

بويع لأربع خلون من شوال ٢٤٧هـ. وكان مولده يوم الخميس لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٢٢هـ، وكانت خلافته ستة أشهر، وسنه (٢٦ سنة إلّا ثلاثة أيام). وكان قصيراً أسمر ضخم الهامة عظيم البطن جسيماً، على عينه اليمنى أثر. ووزر له أحمد بن الخصيب.

ردُّ فدك لآل الحسن والحسين عليهم السلام

قال ابن الأثير عن الخليفة المنتصر. أمر الناس بزيارة قبر علي والحسين ﷺ، فأمن العلويين، وكانوا خائفين أيام أبيه، وأطلق وقوفهم، وأمر بردِّ فدك إلى ولد الحسين والحسن ابني علي بن أبي طالب ﷺ[1].

خلافة أحمد المستعين بن محمد بن المعتصم

٢٤٨هـ بويع يوم الإثنين لأربع خلون من شهر ربيع الآخر وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر، وكان مولده يوم الثلاثاء لأربع خلون من رجب سنة ٢٢١هـ، وأمه أم ولد يقال لها مخارق، وكان مربوعاً أحمر الوجه، أشقر مسمناً عريض المنكبين ضخم الكراديس خفيف العارضين، بوجهه أثر جدري، ألثغ بالسين، وزر له أحمد بن الخصيب فنكبه، وقلد مكانه ابن يزداد ثم شجاع بن القاسم كاتب أتامش حاجبه[2]

شكل لباس رجال البادية في زمن المستعين

((رجال البادية كانوا يقتصرون في لبسهم على الإزار ويتركون بقية أجسامهم عارية أو يلتحفون ما يشبه الرداء أو العباءة وقد أمرهم الخليفة المستعين بلبس الأكمام الواسعة، فكانوا يحفظون فيها دنانيرهم وبذلك لا يستبعد أن تكون أقرب شبه بأكمام البادية اليوم))[3].

أول ظهور صاحب الزنج أو (علوي البصرة) وخروجه إلى البادية

٢٤٩هـ يقول ابن الأثير عن صاحب الزنج أنه: شخَصَ من سامرا سنة ٢٤٩هـ إلى البحرين فادَّعى بها أنه (علي بن عبدالله بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب)، ودعا الناس بهجر إلى طاعته فاتبعه جماعة كثيرة من أهلها ومن غيرهم، فجرى بين الطائفتين عصبية قُتل فيها جماعة.

وكان أهل البحرين قد أحلّوه بمحلّ نبي، وجبي الخرج، ونفذ فيهم حكمه، وقاتلوا أصحاب

---

(١) الكامل في التاريخ م٧ ص١١٦ وراجع الكامل في التاريخ م٢ ص٢٢٤، فقد كان الخليفة المأمون في سنة ٢١٠هـ قد ردها أيضاً إليهم.

(٢) العقد الفريد ج٥ ص٢٤٥.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ص١٨٢.

السلطان بسببه، فوتر منهم جماعة، فتنكروا له، فانتقل عنهم إلى الإحساء، ونزل على قوم من بني سعد بن تميم يقال لهم: بنو الشَّمَّاس، وأقام فيهم، وفي صحبته جماعة من البحرين منهم: يحيى بن محمد الأزرق البحراني، وسليمان بن جامع، وهو قائد جيشه[1]

وذكر في كتاب ساحل الذهب الأسود أن القوم الذين استقرَّ بينهم في البحرين قبل انتقاله إلى الإحساء أو إلى البادية هم بنو سعد بن تميم وبنو كلاب ونمير وقال. ((استقر بينهم وعكف على نشر دعوته بين مريديه فعظم مقامه حتى جبوا له الخراج وقاوموا أصحاب السلطان بسببه، ولكن سرعان ما تكشفت لهم حقيقته.. فانتقل إلى البادية في عدد قليل من أصحابه ومنهم يحيى بن محمد بن الأزرق البحراني مولى لبني دارم ويحيى بن أبي ثعلبة تاجر من أهل هجر وقائد جيشه سليمان بن جامع من موالي بني حنظلة وقد جعله قائداً لجيشه من حيٍّ إلى حي)).

اقوال في نسب صاحب الزنج او علوي البصرة

قال ابن الأثير ((وكان اسمه فيما ذكر علي بن محمد بن عبدالرحيم، ونسبه في عبدالقيس، وأمه ابنة علي بن رحيب بن محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمة من قرى الريّ، وكان يقول جدي محمد ابن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبدالملك مع زيد بن علي بن الحسين، فلمّا قتل زيد هرب فلحق بالريّ، فجاء إلى قرية ورزنين وأقام بها. وأن أبا أبيه عبدالرحيم رجل من عبدالقيس، كان مولده بالطالقان، وقدم العراق، واشترى جارية سندية، وأولدها محمداً أباه.

وكان متصلاً قبلُ بجماعةٍ من حاشية المنتصر، منهم غانم الشطرنجي، وسعيد الصغير، وكان معاشه منهم ومن أصحاب السلطان، وكان يمدحهم ويستميحهم بشعره، منهم، ومن غيرهم[2].

ويقول ابن عنبة: ما ذكره النسابون مثل الشيخ الشريف أبي الحسن محمد بن أبي جعفر العبيدلي، وأبي الحسن علي بن محمد العمري والشريف أبي عبد الله الحسين بن طباطبا الحسني وغيرهم، وزعم قوم آخرون منهم (بربة) الهاشمي وهو إبراهيم بن محمد بن إسمعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي النسابة وأبو الحسين زيد بن كتيلة الحسني النسابة أن علي بن محمد (صاحب الزنج) صحيح النسب في آل أبي طالب[3]

وقال الشيخ أبو علي أحمد بن مسكويه في كتاب ((تجارب الأمم)): سمعت جماعة من آل أبي طالب يذكرون أنه علوي صحيح النسب في آل أبي طالب، وكان هذا الرجل يدعي أنه علي بن محمد بن أحمد المختفي، فإن كان ما يدعيه صحيحاً فقد عقب علي بن محمد الذي ذكره شيخ الشرف وابن طباطبا والعمري وغيرهم، إذ صاحب الزنج لا يصح له عقب وأولاده قتلوا بالأبلة، ومع هذا فهو لم يقدر على تصحيح نسبه حال حياته فكيف يثبته عقبه بعده ويقال إنه كان ورزنينيٌّ وأنه ادعى هذا النسب.

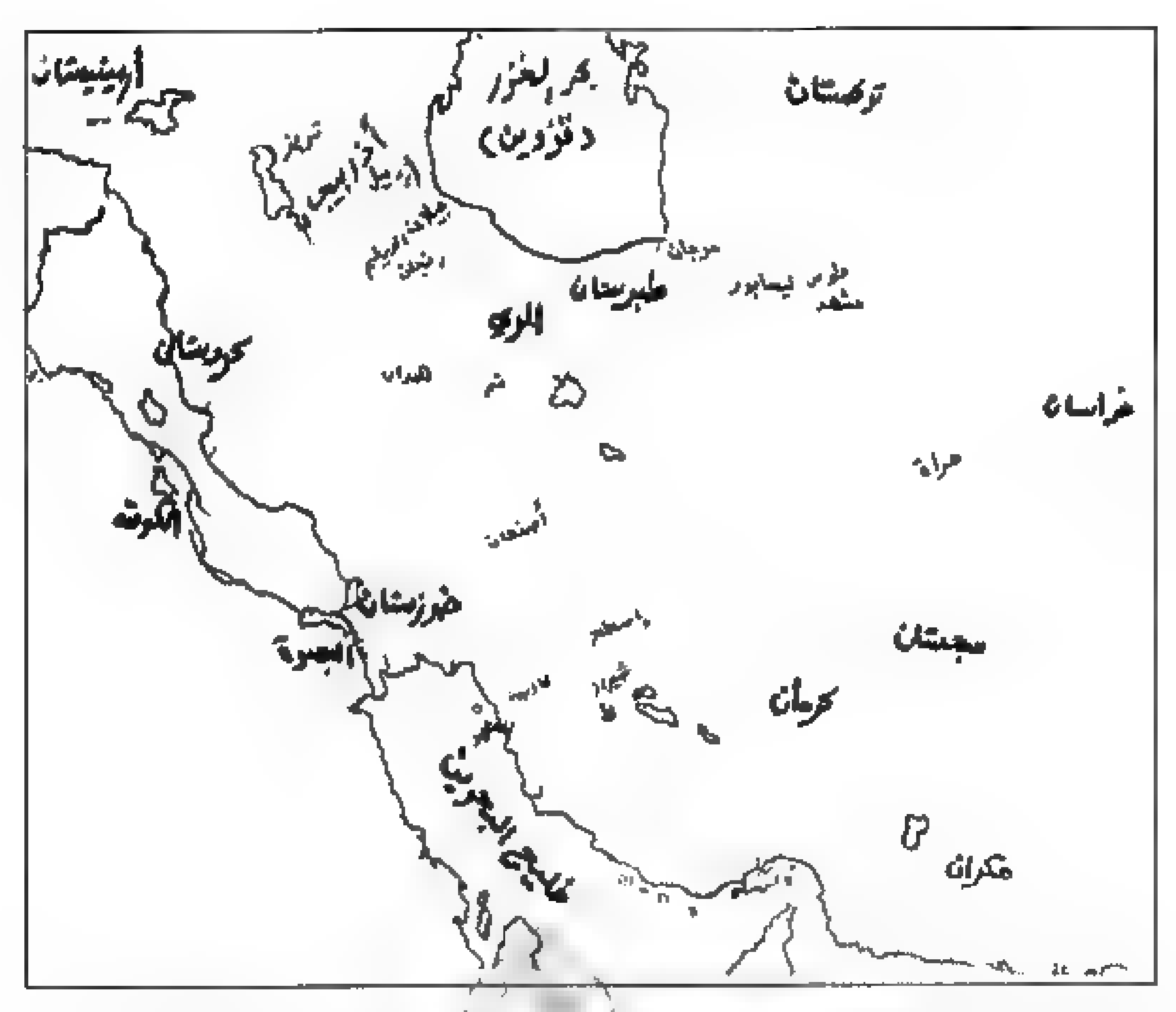
قال السيد ضامن بن شدقم: عيسى بن زيد بن علي زين العابدين: لقبه ميتم الأشبال، وكان حامل

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير د.صادر م٧ ص٢٠٥

(٢) المصدر السابق م٧ ص٢٠٥.

(٣) عمدة الطالب ص٣٢٢.



راية إبراهيم الغمر بن عبدالله المحض، وقد جعل له إبراهيم الأمر من بعده فلم يستتم له الأمر فكتم نسبه عن زوجته وغيرها في أيام المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) والمهدي (١٥٨-١٦٩هـ) والهادي (١٦٩-١٧٠هـ) مبذلين الأموال في طلبه، ولم يزل مستتراً عن الأعين مشتغلاً في الصنائع الدنية، فاستأجره رجل ليسقي له الماء بالأجرة على جمل، وكان بينه وبين الحسن (١٠٠-١٦٨هـ) بن صالح بن حي صحبة وصداقة، فاجتمع رأي الحسن وزوجته على أن يزوجا ابنهما من بنت عيسى لما رأيا صلاحها، وعبادتها وتقواها كأبيها وهما لا يعرفانه إلا بالأجير السقاء، فذكرا ذلك لأمها زوجة عيسى بن زيد بالكوفة فاضطربت فرحاً مسرورة وهي لا تعرفه أيضاً إلّا بالأجير. فذكرت له ذلك فأطرق رأسه متحيراً مفكراً في أمره.. فدعا الله ﷻ على ابنته بالموت فماتت فخلصه الله تعالى مما هو مهتم منه فأظهر الجزع والبكاء على موتها ..، ولما أدركت الوفاة عيسى أوصى أحد أصحابه وهو حاضر أن يوصل ولديه زيداً وأحمد إلى الخليفة موسى الهادي بن محمد بن المنصور فجاء بهما إلى باب الهادي ..، فنهض عن سريره وسجد على الأرض طويلاً ثم عاد إلى موضعه ووضع الطفلين على فخذيه وهو يبكي بكاء شديداً..[1]. وعيسى بن زيد كانت وفاته في أيام الهادي في سنة ١٦٩هـ وله ستون سنة بالكوفة.

(١) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٥١٣

وحكى صاحب الأغاني: أن أحمد بن عيسى[1] بن زيد وإسحاق بن إبراهيم الموصلي توفيا معاً في يوم واحد سنة ٢٣٥هـ وبعثا إلى الخليفة المتوكل فقال تكافأت الحالتان[2].

قال ابن زهرة الحسيني أثناء حديثه عن بني زيد الشهيد. ومنهم محمد بن أحمد المختفي، ادعى صاحب الزنج نسبه، أمه قرة بنت علي بن حبيب من بني أسد بن خزيمة. خرج بالأهواز في خلافة المهدي بالله، ثم سار إلى البصرة فملكها. وكان قد استغوى الزنج، وهم إذ ذاك بالبصرة والأهواز ونواحيها كثيرون، وكان أهل تلك النواحي يشترونهم، ويستعملونهم في أملاكهم وضياعهم وبساتينهم، وتابعه جماعة من الأعراب وغيرهم وفعل ما لم يفعله أحد قبله وتوجه إلى بغداد زمن المعتمد على الله أبي العباس بن المتوكل (٢٥٦-٢٧٩هـ) فقام بحربه طلحة بن المتوكل وهو الملقب بالموفق، وهو إذ ذاك القائم بأمور الخلافة، وإن كان المتسمي بها أخوه، فلم يزل يعمل به حيله، ومكايده ومقارعه ومصايده إلى أن قتله بالسيف لليلتين بقيتا من صفر سنة ٢٧٣هـ وكان المدبر لأمر الحرب والناظر في أمور الموفق صاعد بن مخلد، وكانت مدة صاحب الزنج من وقت ظهوره إلى وقت قتله ١٤ سنة و٤ أشهر و٦ أيام وكان قاسي القلب، ذميم الأفعال، وحسبك من ذلك تمكينه الزنج من دماء المسلمين ونسائهم وأموالهم ....، وقد قيل إنه خارجي المذهب يرى تكفير من ليس على رأيه من أهل القبلة. وهو من أحفاد عيسى ميتم الأشبال، كان عيسى شجاعاً مقداماً قتل الأسد، وكان له أشبال. فسمي ميتم الأشبال خاف المهدي بن المنصور العباسي (١٥٨-١٦٩هـ) على نفسه، فاستتر في الكوفة واستخفى مدة طويلة[3].

قال محمد بن حيدر السليماني في مخطوطه لجواهر اللطاف: ((عن محمد بن زكريا (ال.....) قال سرت إلى أحمد بن عيسى بن زيد وهو يومئذ متوار بالبصرة فقال لي لما طلبنا هارون يعني الملقب بالرشيد خرجت أنا والقاسم بن إبراهيم وعبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسين، فتفرقنا في البلاد، فوقعت إلى ناحية الري، ووقع عبدالله بن موسى إلى الشام وخرج القاسم بن إبراهيم إلى اليمن، فلمّا توفي هارون اجتمعنا في الموسم فتشاكينا بما مر علينا، فقال القاسم: أشد ما مر بي أني لما خرجت من مكة أريد اليمن سرت في مفازة ومعي بنت عمي وهي زوجتي وبها حمل فجاءها المخاض في ذلك الوقت...

وشكا عبدالله بن موسى أنه خرج من بعض قرى الشام وقد حث عليه الطلب وأنه سار إلى بعض المسالح وقد تزيا بزي الأكرة الملاحين فسخره بعض الجند وحمل على ظهره شيئاً فكان إذا أعياه وضع ما على ظهره للاستراحة ضربه ضرباً شديداً وقال لعنك الله ولعن من أنت منه.

وقال أحمد بن عيسى: وكان من غليظ ما نالني أني سرت إلى ورزنين ومعي ابني محمد وتزوجت إلى بعض الحكام وتكنيت بأبي جعفر الحصاص فكنت أغدو وأقعد مع بعض من آنس به من الشيعة ثم

(١) توفي عيسى في الكوفة في أيام الهادي سنة ١٦٩هـ وله ستون سنة

(٢) تحفة الأزهار ج٢ ص٥١٦.

(٣) غاية الاختصار ص١٢٣.

أروح إلى منزلي كأني قد عملت يومي وولدت المرأة بنتاً وتروح ابني محمد إلى بعض من عبدالقيس هنالك فأظهر مثل ما أظهرته ولما صار لابنتي نحو (١٠سنين) طالبني أخوالها تزويجها من رجل من الحكام له فيهم قدر، فضقت ذرعاً بما دفعت إليه وخفت من أهلها وبنيني وألح علي القوم في تزويجها ففزعت إلى الله تعالى وتضرعت إليه في أن... ويقبضها ويحسن علي الخلف فأصبحت الصبية عليلة ثم ماتت من يومها فخرجت مبادراً إلى ابني محمد أبشره فلقيني في الطريق وأعلمني أنه ولد له ولد فسميته عليًّا وهو ناحية ورزنين لا أعرف له خبراً[1].

إذاً هو علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد. وتشير الروايات التاريخية إلى أنه كان رجلاً أبيض، ولكن تقلب من نسب إلى نسب آخر حسب ظروفه[2].

وقال السيد أبو طالب الحسني رحمه الله: وهذا الخبر طريق إلى إثبات نسب علي بن محمد صاحب البصرة. انتهى

وقال أيضاً في الجواهر اللطاف: أما السيد علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي المعروف بعلوي البصرة، قال الجندي في تاريخه: كان من أكمل أهل الأرض من أبناء زمانه علماً وأدباً وسخاء وشجاعة وكان أحد الدعاة، وفي نسبه مقال لبعض الناس وله القصيدة التي يحث فيها أهل الأدب على مفارقة الأوطان لطلب الرزق والفضائل أولها قوله:

رأيتُ المقامَ على الاقتصاد	قُنُوعاً بـ ... للعباد
وعَجْزٌ بِذِي أدبٍ أنْ يَضِيق	معيشةٌ باتساع البلاد

وهي اثنان وعشرون بيتاً، يقال لما أنشدت فقد من البصرة خمسمائة محبرة، فلمّا علم بذلك رجع بقصيدة أخرى[3].

ثلاث حركات قام بها الشيعة في وجه العباسيين

٢٥٠هـ ظهرت أول هذه الحركات، وكانت بزعامة يحيى بن عمر العلوي الذي ظهر بالكوفة أيام الخليفة المستعين بالله، فالتف حوله كثير من أهلها وبعض الأعراب، لكن الثوار لم ينظموا صفوفهم ولم يهتموا بتسليح أنفسهم مما مكن محمد بن عبدالله عامل الكوفة من إخماد ثورتهم وقتل زعيمهم[4].

وقال ابن الأثير: في هذه السنة ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين

---

(١) الجواهر اللطاف المتوجة بها هامات الأشراف، مؤلف سنة١٣٣٣هـ لـ محمد بن حيدر النعمي المخلافي السليماني الحسني ص٤٦.

(٢) تاريخ الخليج العربي.. للدكتور فاروق عمر ص١٧٤.

(٣) الجواهر اللطاف المتوجة بها هامات الأشراف لـ محمد النعمي المخلافي السليماني ص٧.

(٤) قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين تأليف محمد عبد الفتاح عليان مطبوع سنة ١٩٧٠م.

ابن علي بن أبي طالب المكنى بأبي الحسين عليه السلام، بالكوفة، وكانت أمه فاطمة بنت الحسين بن عبدالله بن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

وقال أيضاً: وفيها ظهر الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بطبرستان[2].

قطع بني عقيل لطريق جدة

٢٥١هـ قطعت بنو عقيل طريق جدة فحاربهم أمير مكة جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العاسي الملقب بشاشات فقتل من أهل مكة (٣٠٠ رجل) ومن بني عقيل...، وأغارت الأعراب على القرى[3].

تزعم إسماعيل بن يوسف الأخيضر لبني عقيل ومهاجمته مكة

وفيها خرج بمكة إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب فهرب عنها عاملها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العاسي ونهب إسماعيل منزله وقتل الجند وجماعة من أهل مكة نحواً من ثلاثمائة رجل فقال بعض بني عقيل:

عـلـيـك ثـوبـان وأمـي عـاريـة   فـألـق لـي ثـوبـيـك يـابـن الـزانـيـة

وفعل بمكة أعمالاً قبيحة من القتل والنهب والإحراق وبلغ به الحال في النهب إلى أن أخذ ما كان حمل لإصلاح العين من المال وما في الكعبة من العمد وما في خزنتها من الذهب ...، وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار وخرج من مكة بعد أن نهبها وأحرق بعضها في ربيع الأول بعد خمسين يوماً، فسار إلى المدينة وتوارى عنه عاملها علي بن الحسين بن إسماعيل، ثم رجع إلى مكة في رجب فحصرها حتى مات أهلها جوعاً وعطشاً ...، ثم رحل بعد مقامه سبعة وخمسين يوماً إلى جدة فحبس عن الناس الطعام وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب...))[4]

ثورة علوية أخرى بالكوفة

وفيها: خرج بالكوفة أيضاً الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين الأعرج بن علي زين العابدين، واجتمع إليه الناس من بني أسد وغيرهم من جموعه وأشياعه، وزحف إليه ابن بشكال من أمراء الدولة فهزمه، ولحق بصاحب الزنج فكان معه، وكاتبه أهل الكوفة في العود إليهم، وظهر عليه صاحب

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير م٧ ص١٢٦

(٢) نفس المصدر م٧ ص١٣١.

(٣) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٣٢٩.

(٤) المصدر السابق ط١/ ج٢ ص٣٢٩.

الزنج فقتله. وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة قبله بقليل، واجتمعت له جموع العبيد من زنج البصرة وأعمالها[1].

مقتل المستعين وخلافة المعتز

قتل الخليفة المستعين في واسط الذي اضطر إلى خلع نفسه بسبب الفتنة التي جرت ضده ثم حاربه المعتز لإسقاطه وبويع المعتز لأربع خلون من المحرم سنة ٢٥٢هـ وكانت الفتنة بينه وبين المستعين سنة. وكان مولده يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ٢٣٢هـ. وكانت خلافته منذ بويع له واجتمعت الكلمة عليه ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً. ومنذ بايعه أهل سر من رأى إلى أن قتل أربع سنين وستة أشهر وخمسة عشر يوماً، قتله صالح بن وصيف. وكان أبيض شديد البياض، ربعة، حسن الجسم، على خده الأيسر خال أسود الشعر[2].

استنقاذ بني فزارة وغيرهم لإدريس بن موسى ابن عم الأخيضر

روى المؤرخ المسعودي في كتابه مروج الذهب أن سعيداً ((الحاجب)) حمل موسى بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ من المدينة في أيام المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ) وكان من الزهاد وكان معه ابنه إدريس بن موسى فلمّا صار سعيد بناحية زبالة من العراق اجتمع خلق كثير من العرب من بني فزارة وغيرهم لأخذ موسى الثاني[3] من يده، فسمه موسى فمات هناك وخلّت بنو فزارة ابنه إدريس من سعيد[4].

ولاية ابن أبي عوف للبصرة واليمامة والبحرين ومسير الأخيضر إليه

٢٥٢هـ في هذه السنة عقد المعتز لمحمد بن أبي عوف على لواء البصرة واليمامة والبحرين، وفي عهده سار (محمد بن يوسف الأخيضر بن إبراهيم بن عبدالله بن موسى من الحجاز إلى اليمامة، حيث تمكن من إقامة الدولة[5]. وساعده أخوال أبيه بنو جعفر بن كلاب المتاخمون لليمامة

---

(١) ابن خلدون المجلد الرابع ٣٠.

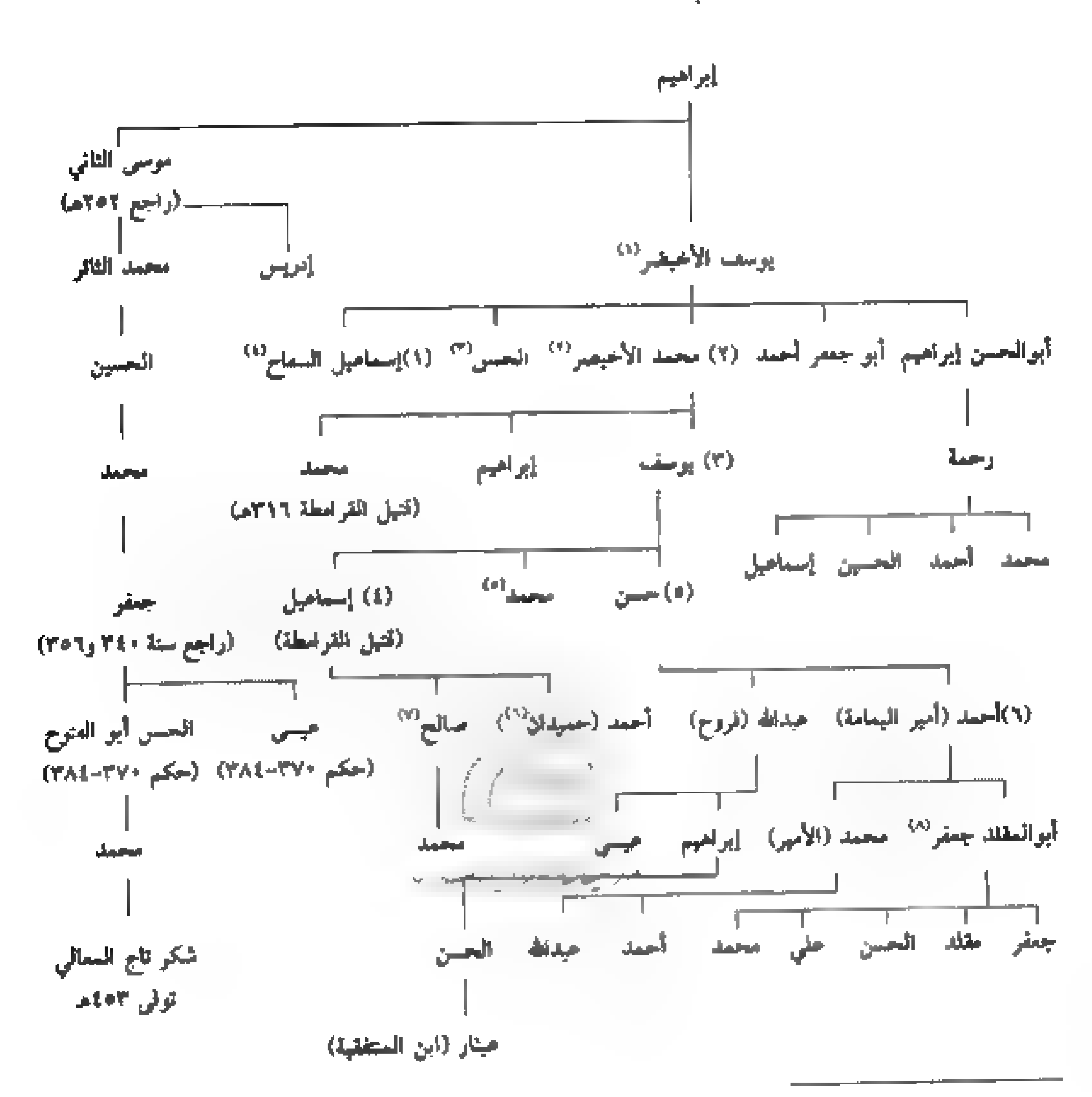
(٢) العقد الفريد ج٥ ص٢٤٦.

(٣) موسى الثاني أمه أمامة بنت طلحة بن صالح بن عبد الله بن عبد الجبار بن منظور بن زبان بن سيار الفزاري وولده يقال لهم ((الموسويون)) وفيهم الإمرة بالحجاز، وولد ثمانية عشر ولداً ذكراً، راجع: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص١٤٨.

(٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عنبة ص١٤٨.

(٥) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٣ ص٢١١.

موسى الجون بن عبدالله بن الحسن المثنى



(١) أمه قطية بنت عامر من بني عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب

(٢) ملك اليمامة وأولاده بعده.

(٣) ظهر بالحجاز وقتله العباسيون بمكة

(٤) غلب على مكة أيام المستعين واعترض الحاج، ت٢٥٢هـ

(٥) راجع التنبيه والإشراف ص٣٤٧، يدعى رعيث وعقبه كثير منتشر

(٦) له عقب كثير يقال لهم بنو حميدان

(٧) ولّاه القرامطة ٣١٥ على الكوفة.

(٨) له عقب كثير يلقب عبرية

نبذة عن الأمراء الأخيضريين

فيما يلي نورد معلومات تتعلق بترتيب أمراء بني الأخيضر على حسب ما ذكره أيوب صبري باشا في كتابه، وإن كان لنا تحفّظ على بعض ما جاء فيه من مواضيع[١] ننظر لها بعدم الدقة!

يقول صبري باشا: عدد الأمراء الذين تولوا الحكم منهم ثلاثة عشر شريفاً، حكم ثلاثة منهم في اليمامة فقط، والباقون حكموا في اليمامة وأرض الحجاز. وأول من ظهر من سادات بني الأخيضر هو.

١- إسماعيل بن يوسف الأخيضر بن إبراهيم بن عبدالله بن موسى الجون الحسني. ويحكى أن إسماعيل بن يوسف الأخيضر وجد بمكة، وبايع النفس الزكية[٢] محمد بن عبدالله المحض الذي خرج في أواخر حكومة بني أمية، وأن المنصور العباسي وجد أثناء هذه البيعة، ومدح واقعة البيعة بقصيدة طويلة. ولما استولى إسماعيل بن يوسف الأخيضر على البلاد اليمانية[٣] كان جعفر بن الفضل بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي بن يوسف بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ﷺ والياً على مكة من قبل المستعين بن المعتصم العباسي. وانتقلت بلاد اليمامة بعد وفاة إسماعيل بن يوسف الأخيضر:

٢- لأخيه الشريف أبي عبدالله محمد بن يوسف الأخيضر، وبعد وفاته:

٣- لأخيه الآخر الشريف أبي جعفر بن يوسف الأخيضر، وبعد ارتحاله:

٤- انتقلت إلى الشريف حسن بن يوسف الأخيضر أخيه الآخر. بعدما استولى الشريف حسن على بلاد اليمامة صرف جهده لتوسيع حدود حكومته، وفي نهاية شكل إمارة مكة المكرمة واستقل بها. وانتقلت حكومة أم القرى بعد وفاة الشريف حسن إلى:

٥- عمه وإلى أخيه يوسف الأخيضر، وبعدما مات محمد بن يوسف الأخيضر

٦- انتقلت الحكومة إلى ابنه الشريف يوسف بن محمد بن يوسف الأخيضر، ومن بعده.

٧- إلى أخيه الشريف أبي عبدالله إبراهيم بن محمد ومن بعده

٨- إلى أبي عبدالله إلى الشريف محمد بن محمد بن يوسف الأخيضر، وبعد وفاة محمد بن محمد:

٩- الشريف حسن بن يوسف الأخيضر وبعده.

١٠- إلى أخيه، ومن بعد.

١١- إلى الشريف محمد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن يوسف الأخيضر، وبعد وفاة الشريف محمد:

---

(١) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب لأيوب صبري باشا ج٥ ص٥٩-٦١.

(٢) النفس الزكية قتل في سنة ١٤٥هـ، والأحداث التي بدأ ذكر إسماعيل الأخيضر فيها وقعت في منتصف القرن الثالث.

(٣) يقصد: بلاد اليمامة.

١٢- إلى الشريف صالح بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف الأخيضر[١].

وهؤلاء هم الذين فازوا إذ سعدوا بإدارة مكة المكرمة.

وكان أولاد وأحفاد الشريف صالح بن إسماعيل في داخل ممالك السودان، وفي فترة ما هاجروا إلى مدينة غانا القريبة من المحيط الأطلسي وكونوا هناك دولة وحكموا فيها.

وفاة إسماعيل بن يوسف الاخيضر

٢٥٣هـ حج بالناس محمد بن أحمد بن عيسى - كعب البقر - بن جعفر المنصور، وقال العتيقي: حج بالناس إسماعيل بن يوسف العلوي الخارجي. وفيها مات بالجدري إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم ابن موسى الجون الهاشمي[٢].

وقال المسعودي: إن الذي حج بالناس عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبي[٣]

٢٥٤هـ حج بالناس علي بن إسماعيل بن الحسين بن إسماعيل بن العباس العباسي[٤].

وفيها: توفي ((علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أحد الأئمة الإثني عشرية، وهو والد الحسن بن علي العسكري المنتظر عند الفرقة الضالة الجاهلة الكاذبة الخاطئة. وقد كان عابداً زاهداً..))[٥].

انتقال صاحب الزنج من البادية إلى البصرة

كان صاحب الزنج ((ينتقل بالبادية، فذكر عنه أنه قال: أوتيت في تلك الأيام بالبادية آيات من آيات إمامتي ظاهرة للناس، منها أني لقنت سوراً من القرآن، فجرى بها لساني في ساعة، وحفظتها في دفعة واحدة، منها: سبحان، والكهف، وص، ومنها أني فكرت في الموضع الذي أقصده حيث أنبت في البلاد، فأظلتني غمامة، وخوطبت منها، فقيل لي: اقصد البصرة

وقيل عنه إنه قال لأهل البادية: إنه يحيى بن عمر العلوي أبو الحسن، المقتول ناحية الكوفة، فخدع أهلها، فأتاه منهم جماعة كثيرة، فزحف بهم إلى الروم (الردم) من البحرين، كانت بينهم وقعة عظيمة، وكانت الهزيمة عليه وعلى أصحابه، قتلوا قتلاً كثيراً، فتفرقت العرب عنه.

فلمّا تفرقت عنه سار فنزل البصرة في بني ضبيعة، فاتبعه جماعة كثيرة منهم: علي بن أبان المهلبي،

---

(١) الشريف صالح وهو الأمير رقم ١٢، الذي ذكر أيوب باشا أن أولاده كونوا لهم دولة في غانا الافريقية، في سنة ٣١٥هـ القرامطة سلموا الكوفة لوالده الأمير: إسماعيل.

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج١ ط١ ١٩٨٣ ص٢٩٥.

(٣) المصدر نفسه ج١ ط١ ص٢٩٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط١/١٩٦٦م ج١١ ص١٥.

وكان قدومه البصرة سنة ٢٥٤هـ، ومحمد بن رجاء الحضاري عاملها، ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالية، والسعدية، وطمع في إحدى الطائفتين أن تميل إليه، فأرسل إليهم يدعوهم، فلم يجبه أحد من أهل البلد، وطلبه ابن رجاء، فهرب، فحبس جماعة ممن كانوا يميلون إليه، منهم ابنه وزوجته وابنة له، وجارية حامل منه)[1].

وذكر في ساحل الذهب الأسود أن صاحب الزنج بعدما هجم على هجر حاضرة البحرين وتصدى له أهلها ودخلوا معه بمعركة حامية الوطيس في موضع يدعى الردم انهزم فتفرقت عنه العرب وكرهوه وفرَّ مهزوماً عبر الصحراء، فلمّا كان بالصمان وقع نظره على طائر فقال قصيدته التي أولها:

أيا طائرَ الصمَّانِ ما لك مُفرداً   تأشَّيتَ بي أم عاقَ إلفكَ عائقُ

وفيها يثني على بني تميم ونمير وكلاب، ويهدد بني عامر ومحارب العبقسيين ويهجو العريان الذي تصدى له في بني عبدالقيس ومحارب بن حفصة وبني عامر فأخرجه من بلاد البحرين ونواحيها.

ذهاب صاحب الزنج إلى بغداد

وسار - صاحب الزنج - يريد بغداد، ومعه من أصحابه محمد بن سلم، ويحيى بن محمد، وسليمان بن جامع، ومرقس القريعي، فلمّا صار بالبطيحة نذر بهم رجل كان يلي أمرها، اسمه عمير بن عمار، فحملهم إلى محمد بن عوف، عامل واسط، فخلص منه وأصحابه، فدخل بغداد فأقام بها حولاً، فانتسب إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد، فزعم بها أنه ظهرت له آيات عرف بها ما في ضمائر أصحابه، وما يفعل كل واحد منهم، فاستمال جماعة من أهل بغداد .

وعُزل محمد بن رجاء عن البصرة، فوثب رؤساء بلالية والسعدية، فأخرجوا من في الحبوس، فخلص أهله فيهم، فلمّا بلغه خلاص أهله رجع إلى البصرة، وكان رجوعه في رمضان سنة ٢٥٥هـ[2].

خلع الخليفة المعتز والمشهد الحقير

٢٥٥هـ ((في يوم الأربعاء لثلاث بقين من رجب، خلع المعتز بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد... ولليلتين من شعبان ظهر موته وكان سبب ذلك أن الأتراك طلبوا أرزاقهم فلم يكن عند المعتز مال يعطيهم فنزلوا معه إلى خمسين ألف دينار فأرسل المعتز وسأل أمه قبيحة في ذلك فقالت: ما عندي شيء، فاتفق الأتراك والمغاربة والفراغنة على خلع المعتز فصاروا إلى بابه فقالوا اخرج إلينا فقال: قد شربت.... وقد أفرط في العمل فإن كان لابد من الاجتماع فليدخل بعضكم إلي فدخل إليه جماعة منهم فجروا المعتز برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر وبقي بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده وأدخلوه حجرة وأحضروا ابن

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير م٧ ص٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه م٧ ص٢٠٨.

أبي الشوارب القاضي وجماعة فأشهدوهم على خلعه، ثم سلموا المعتز إلى من يعذبه ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة أيام، ثم أدخلوه سرداباً وجصصوه عليه فمات ودفنوه بسامرا مع المنتصر. وكانت خلافته (٤سنوات و٧أشهر) وكان عمره (٢٤سنة و٢٣يوماً) وكان أبيض أسود الشعر)).

هذا ما ذكره المؤرخون عن مصير هذا الخليفة المسكين، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، كيف عمل ذلك المشهد في خليفة الله في خلقه، وكيف كان أولئك الشرذمة من العسكر مسيطرين إلى هذه الدرجة، وأين كان العقل عند الخلفاء العباسيين الذين سبقوه وأوصلوا الأمور إلى هذا السوء؟ هذا الحبر يحتاج إلى صفحات لتحليله واستخلاص العبر منه.

رحمك الله أيها الخليفة قاصر العقل وقصير العمر، اعلم أن الخطأ ليس خطأك بل خطأ أجدادك الذين رموك بتخطيطهم الأعمى في أحضان الأترك وأيديهم فتمادوا بطغيانهم واستبدوا في الحكم واستخلصوا ثروات الشعوب لأنفسهم! لذا، لا تلام الحركات الثورية التي قامت هنا وهناك لما ترى من مهزلة ولعب في بيت الخلافة وشؤون الدولة الإسلامية، فالحزم كان مطلوباً على كل حال.

خلافة محمد المهتدي بن هارون الواثق بن المعتصم

((بويع يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٥هـ. كان مولده يوم الأحد لخمس خلون من ربيع الأول سنة ٢١٩هـ، وكانت خلافته أحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً. وكان أبيض مشرباً حمرة، صغير العينين أقنى الأنف، في عارضيه شيب وخضب لما ولي الخلافة وزر له سليمان بن وهب، وحاجبه باك باك))[1]

وفيها كانت ثورة الزط في جنوب العراق (وهم عناصر هندية هاجرت إلى مناطق الخليج واستقرت فيها، وامتدت الثورة من البطيحة إلى الأحواز وكرمان) وفارس.

ولاية الأحوص الباهلي على البصرة

ولي على البصرة الأحوص الباهلي وأرسلت العساكر الكثيرة تحت قيادة جعلان التركي نحو البصرة لرد غارات الزنوج[2].

خروج صاحب الزنج ثانيةً في البصرة وخروج الزنج معه

((ثم عاد إلى أرض البصرة في رمضان (أغسطس أو سبتمبر ٨٦٩م تقريباً) فاجتمع معه بشر كثير ولكن لم يكن معهم عدد يقاتلون بها، فأتاهم جيش من ناحية البصرة فقتلوا جميعاً ولم يكن في جيش هذا الخارجي سوى ثلاثة أسياف، وأولئك الجيش معهم عَدَدٌ وَعُدَدٌ ولبوسٌ ومع هذا هزم أصحاب هذا الخارجي ذلك الجيش وكانوا أربعة آلاف مقاتل، ثم مضى نحو البصرة بمن معه فأهدى له رجل من أهل

---

(١) العقد الفريد ج٥ ص٢٤٧

(٢) التحفة النبهانية للشيخ محمد النبهاني ص٢٦٦

جبي فرساً فلم يجد لها سرجاً ولا لجاماً وإنما ألقى عليها حبلاً وركبها وسنف حنكها بليف، ثم صادف رجلاً وتهدده بالقتل فأخذ منه مائة وخمسين ديناراً وألف درهم، وكان هذا أول مال نهبه من هذه البلاد وأخذ من آخر ثلاثة براذين ومن موضع آخر شيئاً من الأسلحة والأمتعة، ثم سار في جيش قليل السلاح والخيول ثم جرت بينه وبين نائب البصرة وقعات متعددة يهزمهم فيها وما زال أمره يقوى ويزداد أصحابه ويعظم أمره ويكثر جيشه، وهو مع ذلك لا يتعرض لأموال الناس ولا يؤذي أحداً، وإنما يريد أخذ أموال السلطان وقد انهزم أصحابه في بعض حروبه هزيمة عظيمة ثم تراجعوا إليه واجتمعوا حوله ثم كروا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين. وكان لا يؤتى بأسير إلا قتله ثم قوي أمره وخافه أهل البصرة وبعث الخليفة إليها مدداً ليقاتلوا هذا الخارجي وهو صاحب الزنج قبحه الله ثم أشار عليه بعض أصحابه أن يهجم بمن معه على البصرة فيدخلونها عنوة فهجن آراءهم وقال بل نكون منها قريباً حتى يكونوا هم الذين يطلبوننا إليها ويخطبوننا عليها..))[1].

ولاية سعيد الحاجب على البصرة ودجلة واليمامة والبحرين

٢٥٦هـ ((سعيد بن صالح الحاجب، كان قائداً حارب الزنج حرباً شديدة وقد ولاه المهتدي بن الواثق سنة ٢٥٦هـ على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين))[2].

مقتل المهتدي بالله وخلافة المعتمد على الله

((قاوم المهتدي شغب الأتراك بكل جرأة حيث استدعى موسى بن بغا وأصحابه وعنفه وأنذره قائلاً: والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن بدلها منكم أو ليلحقن بها أكثركم. أما دين؟ أما حياء؟ أما تستحيون؟ لِمَ هذا الإقدام على الخلفاء والجرأة على الله ﷻ وأنتم لا تبصرون؟

ولكن الأتراك استمروا في جشعهم ومؤامراتهم مما اضطر الخليفة إلى إعلان النفير العام مبيحاً دماء الأتراك وأموالهم رافعاً شعار: (يا معشر الناس انصروا خليفتكم). ولكن العامة خافت الجند فتخاذلت عن القتال، كما انسحب الجند الأتراك من جانبه وانضموا إلى أصحابهم، مما أدى إلى اندحار المهتدي حيث أعلنوا خلعه قبل موته ومبايعة أحمد بن المتوكل الذي لقب بالمعتمد على الله سنة ٢٥٦هـ- ٨٧٠م))[3]، وقتل المهتدي بالله بن الواثق بالله بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد بسر من رأى بسهم لحقه على يد الأتراك في رجب.

يقول الدكتور فاروق عمر: ((تعتبر إجراءات المهتدي من أكثر الإجراءات السياسية والعسكرية جدية في سبيل استعادة هيبة الخلافة ومركزها، فقد كان إدارياً حازماً ابتعد عن مجالس الغناء والشراب والجواري. كما وأبعد السباع وكلاب الصيد عن البلاط، مما يدل على محاولته الإصلاح... وبدأ يسمع

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط١/١٩٦٦م ج١١ ص١٩.

(٢) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٣ ص٢١١.

(٣) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص١٦٨

الظلامات ويصرف أمور الدواوين بنفسه، ولكن الظمة العسكرية لم تمهله كما وأن الأحوال بصورة عامة لم تساعده حيث وقعت أحداث وتطورات شغلته ولم تكن في حسبانه فقد فضح بيكباك خطته مما أدى إلى توحيد الأتراك ضده))[1].

وُلِد أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل بن المعتصم في يوم الثلاثاء لثمان بقين من المحرم سنة ٢٢٩هـ وتوفي ببغداد لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ٢٧٩هـ فكانت مدة خلافته ٢٣سنة

انضمام الكثير من الأعراب إلى حركة صاحب الزنج

٢٥٧هـ انضم كثير من الأعراب الساخطين إلى صاحب الزنج (علوي البصرة) وقاتلوا معه في هجومهم على البصرة سنة ٢٥٧هـ ومنهم الهمليون في الطائع الذين انضموا إليه عندما صلب رئيسهم عقاباً له[2].

ولاية يارجوخ على البصرة ودجلة واليمامة والبحرين

في هذه السنة عقد المعتمد ليارجوخ على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد ابن صالح، مولى من قبله عبدالرحمن بن مفلح وتميم اليمامة ونجد، واستعمل منصور بن جعفر الخياط على البصرة وكور دجلة إلى ما بين الأهواز[3]، وهكذا نرى أن الدولة العباسية جمعت كل هذه الأقاليم في ولاية رجل واحد تمتد أراضيه من الأهواز شمالاً إلى البحرين جنوباً إلى نجد غرباً، وهذا التقسيم الإداري يختلف من زمن إلى آخر، فأحياناً يكبر حجم الولاية لتشمل أقاليم أخرى، وأحياناً تقلّص حتى لا يبقى في يد الوالي إلا منطقة واحدة، وسنرى هذا كثيراً في هذا الكتاب

رياح وزلازل وظلمة تنال أهل البادية حول المدينة

٢٥٩هـ ذكر اليعقوبي في تاريخه أنه نال أهل البادية زلازل ورياح وظلمة، فمن كان حول المدينة من بني سليم وبني هلال وغيرهم من بطون قيس وسائر أهل البلد، هربوا إلى المدينة ومكة يستجيرون بقبر النبي ﷺ وبالكعبة وأحضروا معهم متاعاً من متاع الحاج الذين قطعوا عليهم الطريق وذكروا أنه هلك منهم خلق عظيم في البادية

٢٦٣هـ حج بالناس الفضل بن العباس، وكان أمير مكة محمد بن عيسى المخزومي[4]

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) من كلام المترجم في سياست نامه لوزير السلاجقة الأكبر نظام الملك الطوسي، ترجمة وتعليق الدكتور السيد محمد العزاوي، دار الرائد العربي ص٢٧٧.

(٣) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٣ ص٢١٢.

(٤) درر الفرائد المنتظمة في أخبار الحاج للجزيري ج١ ط١ ص٤٩٨.

بداية الدعوة الإسماعيلية في الكوفة

٢٦٤هـ كان ابتداء أمر القرامطة، أن رجلاً منهم يقال له الحسين الأهوازي قدم من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة، فكان بموضع يقال له «نهرين يظهر فيه الزهد والتقشف، وقابل كثيرين على رأسهم حمدان بن الأشعث قرمط، علمهم أصول الدعوة الإسماعيلية، وأعلمهم أنه يدعو إلى إمام من آل البيت، فواصل حمدان قرمط هذه الدعوة بعد الأهوازي وعرف أنصاره باسم القرامطة[1].

قال السباعي: يذكر صاحب الإسلام السياسي أنه نقل عن كتاب مخطوط بدار الكتب المصرية للنويري ولم يذكر اسمه: أن حمدان قرمط فرض على كل رجل وامرأة درهماً سماه الفطرة، وعلى كل بالغ ديناراً سماه الهجرة، وأنه استنتج هذا من قوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ ثم فرض خمس ما يملكه أتباعه معللاً ذلك بقوله تعالى. ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾[2].

مسير ابن الأشعث الربعي إلى صاحب الزنج ومفاوضته

سار قرمط (حمدان بن الأشعث[3] الربعي) إلى سواد الكوفة قبل مقتل صاحب الزنج (ولا يعلم تاريخ مسيره إليه) وقال له: إني على مذهب ومعي ١٠٠ ألف ضارب سيف فتناظرني فإن اتفقنا على المذهب ملت إليك وإن تك الأخرى انصرفت عنك، فتناظرا فاختلفت آراؤهما (فانصرف قرمط عنه).

قبيلة فزارة تقطع الطريق

٢٦٧هـ وفيها أوقعت فزارة بالتجار، فأخذوا فيما قيل مئة بر[4].

وقعة بين العلويين والجعفريين في الحجاز

٢٦٨هـ وفيها كانت وقعة بين العلويّين والجعفريّين بالحجاز، فقتل ثمانية من الجعفريّين وخلّصوا عامل المدينة من أيديهم[5]. ثم وقع الصلح بين بني علي وبني جعفر على يد يحيى بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيدالله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين. الذي توفي بمكة سنة ٢٧٧هـ عن عمر يناهز الـ (٦٣ عاماً تقريباً)[6].

---

(١) راجع "تاريخ الكوفة" للسيد حسين ابن السيد أحمد البراقي النجفي ت١٣٣٢هـ وراجع. قرامطة العراق في القرنين ٣-٤ لمحمد عبدالفتاح عليان ط١٩٧٠م.

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/ ص١٧٢

(٣) من المحتمل أن يكون نسب حمدان بن الأشعث من آل الأشعث أهل الكوفة الذين منهم: عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي المذكور في أحداث سنة ٨٢ و٨٣ و٨٦هـ..

(٤) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج١ ط١ ١٩٨٣ ص٤٩٩.

(٥) تاريخ ابن خلدون المجلد الثالث ص٤٧٠.

(٦) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار لضامن بن شدقم تحقيق كامل الجبوري ج١ ص٣٣٥، =

محاولة حاكم مصر الاستيلاء على مكة المشرفة

٢٦٩هـ ((أرسل أحمد بن طولون صاحب مصر إلى مكة قائدين من مصر في (٢٤٩٠ فارساً) لإجلاء العباسيين عنها فوافاها في أواخر ذي القعدة، وقسموا الأموال في عامة الناس فأعطى لكل رجل دينارين وأعطوا خاصتهم لكل رجل سبعة دنانير. وكأنهم أرادوا الاستعانة بهم ضد والي مكة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي، وكان أميراً بمكة في جيش عدته (مائة وعشرون فارساً ومائتا عبد من السودان) ثم أيد في اللحظة الأخيرة بنحو (مائتي فارس) يقودهم جعفر بن الباغمردي فما انتهى المدد إلى مكة في ٣ ذي الحجة سنة ٢٦٩هـ (١٣ يونيو ٨٨٣م تقريباً) حتى اشتبك القتال مع الجيش الطولوني، فانهزم عسكر ابن طولون وقتل منهم نحو مائتي رجل))[1]

ثورة ابني الشريف الحسن بن جعفر بن موسى الكاظم بالمدينة

٢٧١هـ وفيها: ثار بالمدينة محمد وعلي ابنا الحسن بن جعفر بن موسى الكاظم وقتلا جماعة من أهلها، ونهبا أموال الناس، ومنعا الجمعة بمسجد رسول الله ﷺ شهراً[2]

مقتل صاحب الزنج علوي البصرة

٢٧٢هـ في هذه السنة قتل صاحب الزنج علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد. قال محمد الحميري: ((وكان الذي طاوله في تلك الحروب طلحة بن جعفر المتوكل المعروف بالموفق رحمه الله، ثلاث سنين وثمانية أشهر إلى أن قتله وسبق رأسه إلى بغداد وطيف به. قال بعضهم: رأيت ذلك اليوم فما رأيت مثله حسناً، سار الأمير والجيش أمامه وخلفه والرأس بين يديه محمول على الرمح وصاعد الوزير معه. وكان قيام هذا الدعي في شوال سنة خمس وخمسين في خلافة المهتدي بالله (٢٥٥-٢٥٦هـ)، وقيل في صفر سنة سبعين كذا في تاريخ القضاعي، وفي تاريخ محمد بن سهل أنه قتل سنة ٢٧١هـ وهو خارج من المدينة التي سماها المختارة وهي على دجلة على مسيرة يوم من البصرة بالقرب من عبادان، وسكنها سودانه الذين جيشوا معه من عبيد أهل البصرة وغيرهم، كان خرج إليهم من البصرة إلى بواديهم وألفهم فأقام معهم بها يقاتل البصرة إلى أن هدمها وحرقها وكانت مدته إلى أن قتل ست عشرة سنة، وكان موته بسهم أصابه في نحره بين الصَّفَّين وهو ينشد

لِـمِـيـتَـةٌ يَـلْـقَـهـا الإنـسـانُ واحـدةٌ ... خـيـرٌ لـه مـن لـقـاءِ الـمَـوْتِ تـاراتِ))[3]

= راجع سنة ٢٦٧هـ

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ص١٦٧

(٢) ابن خلدون المجلد الثالث

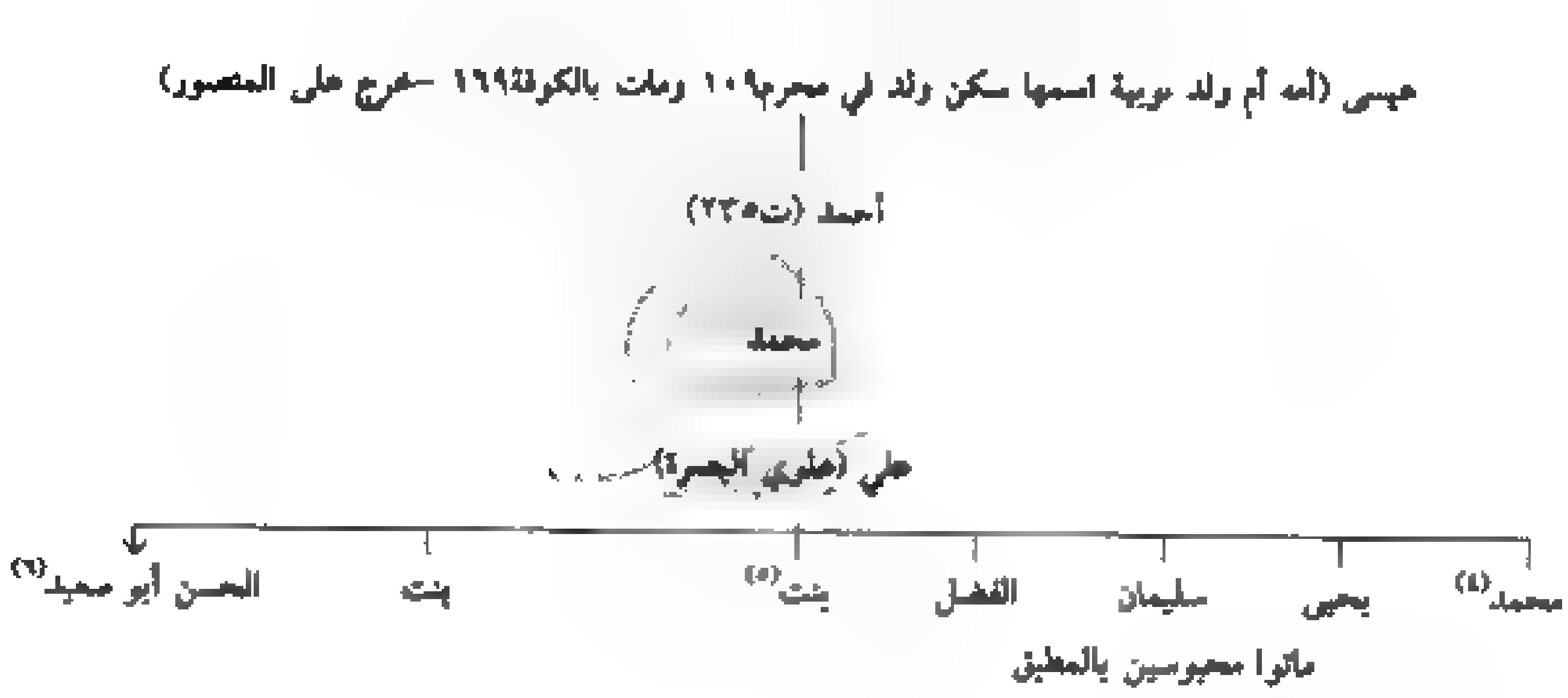
(٣) الروض المعطار ص١٠٨.

نبذة عن أحوال صاحب الزنج السياسية

التناقض البارز في عقيدة الحركة: أن صاحبها رغم انتحاله العلوية لم يدعُ إلى خلافة علوية ولا تبنّي آراء شيعية بل على العكس، فقد دعا إلى آراء أقرب ما تكون إلى الخوارج. فقد رفع شعار [لا حكم إلا لله] وهو شعار خارجي معروف، إضافة إلى تبنيه الآية المفضلة لدى الخوارج حيث نقشها على نقوده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1]

وأما أركان قيادته: فجلّهم من العرب من آل المهلب وآل همدان وغيرهم[2] وأهم أسباب فشله: أنه أراد أن يحول الزنج من أرقاء إلى مالكين للرقيق وأن يرفعهم إلى السلطة والثراء ففي بداية حركته خطب في أتباعه قائلاً إنه: (يريد أن يرفع من أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأمور)، وهذا ما حدد حركته إلى درجة كبيرة وحصرها في فئة الزنج. وأبعد عنه الفئات الأخرى التي شاركت معه في البداية وعلى رأسها زعماء من آل المهلب وباهلة وهمدان وعرب سهول البصرة ومن أهل القرى. كما أن أهل القرى الذين أعانوه في أول الأمر انقلبوا ضده وأغروا بعض أتباعه البارزين بالأموال[3].

زيد الإمام الشهيد بن علي زين العابدين بن الحسين



(١) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص١٧٤.

(٢) نفس المصدر ص١٧٢.

(٣) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية ص١٧٥.

(٤) صلبه المؤيد بعد قتل أبيه

(٥) لصاحب الزنج بنتان، متزوجتان من قواد جيشه، فواحدة عند علي بن أبان المهلبي، والأخرى عند سليمان بن جامع، فأما التي تزوجها علي بن أبان فقد أنجب منه ولداً استعبده الموفق وسماه سيماً وولاه الولايات وآخرها البصرة، وقتل بها ليلة دخول القرامطة.

(٦) الحسن أبو سعيد هو زعيم قرامطة البحرين ومؤسس دولتهم، وقد أضفناه إلى المشجر اعتماداً على اتعاظ الحنفا، فيرجى مراجعة سنة ٢٨١هـ.

غزوة عامل البحرين محمد بن نور السامي القرشي لعُمان

٢٧٣هـ في ولاية رشيد بن النضر على عمان، احتدت الأمور فيها، ((حتى اضطر أهالي عمان لمراجعة الخليفة المعتضد العباسي (٢٧٩- ت٢٨٩)، وكان رجل اسمه عزان الخروصي حاول أن يحكم بالقهر والعسف فلم يتسق له الأمر وصارت الناس فوضى، فذهب اثنان من الأهالي إلى البحرين يتكلمان مع محمد بن نور عامل الخليفة على البحرين في الاستيلاء على عمان وإزالة الفوضى التي فيها. وقد قصد أحدهما قبلاً بمخاطبة الديوان في هذا الأمر، فأصدر الخليفة أمره إلى محمد بن نور عامله على البحرين بالزحف على عمان فسار إليها هذا بجموع وافرة، ففتح نزوة عاصمة عمان وقتل عزان، وفر كثير من الأهالي إلى البحرين وإلى سيراف وإلى هرمز. ثم ثار على محمد بن نور بعض القبائل وتكاثروا عليه فترك مقره ولحق بالساحل إلى أن أدركته نجدة عظيمة من مرتزقة مضر، فتمكن من قمع الثورة، وأرهف الحد في الأهالي وقطع الأيدي وصلم الآذان وعطل قنى المياه التي يشرب منها الخلق وأحرق الكتب. ولكن ذلك كله لم يفده شيئاً إذ ما كاد يرجع إلى البحرين محل عمالته حتى ثار الأهالي ثانية وقتلوا العامل الذي استعمله على عمان وذهب دمه هدراً لأن الخلافة عدلت عن ولاية عمان))[1].

القرامطة يقيمون قلعة حصينة بالقرب من الكوفة

٢٧٧هـ تمكن القرامطة بفضل الأموال من إقامة قلعتهم الحصينة بالقرب من الكوفة، وقد أووا إليها جميعاً وسموها دار الهجرة، وقوي بها جانبهم حتى أطلق عليها بعض الكتاب (ملجأ الفرار) وكان جميع القرامطة سواء منهم الأغنياء أو الفقراء يحملون الأسلحة. يقول النويري. ((وبسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء، وقتلوا جماعة ممن أظهروا خلافاً لهم فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم وأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم خوفاً منهم... ولم يبق أحد إلا خافهم ولا بقي أحد يخالفهم لقوتهم ولتملكهم في البلاد))[2].

اختفاء حسين الأهوازي

٢٧٨هـ في هذه السنة اختفى حسين الأهوازي وغاب ذكره عن كتب التاريخ منذ أن اختفى من دار الهيصم الإقطاعي الكوفي الذي حبسه في داره ليتمم خلفه فيه بقتله ولكنه لم يجده من الغد[3].

ويذهب الدكتور محيي الدين اللاذقي إلى افتراض جريء وهو أن حسيناً الأهوازي هو نفسه الحسين ابن منصور الحلاج المتصوف والشاعر المشهور أو الداعية القرمطي حسب استنتاج من ألقوا القبض عليه سنة ٣٠١هـ وقاموا بصلبه وتقطيع أطرافه وقتله سنة ٣٠٩هـ[4].

---

(١) مخطوطة. عقد اللآل في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل١٨

(٢) قرامطة العراق محمد عبدالفتاح عليان..

(٣) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص١٨١

(٤) نفس المصدر..

نجاح مؤقت لتحالف قبائلي من مضر وحدان وبني الحارث باحتلال صحار

((توجهت القبائل المتحالفة التي تكونت من المضرية والحدان وبني الحارث من أهل الباطنة برئاسة الحواري بن عبدالله الحداني الذي انتخبوه إماماً لهم إلى ولاية صحار ثاني أكبر ولايات عمان بعد نزوى ودخلوا صحار في ٢٣ شوال ٢٧٨هـ- ٨٩١م و ستولوا عليها ودعوا إلى إمامة الحواري بن عبدالله الحداني على منابرها.

فلمّا بلغ خبرهم عزان بن تميم أرسل إليهم قوات كبيرة جلّها من اليمانية التي اندحرت في واقعة الروضة بالإضافة إلى قبيلة هناءة التي كانت تثير التعصب للأزدية نراها هنا تدافع عن إمامة عزان بن تميم، وقد ألجأتها العصبية القبلية للوقوف إلى جانب القبائل الأزدية الموالية لعزان بن تميم، وقد تألفت هذه القبائل من [اليحمد والعتيك وسائر ولد مالك بن فهم] وترأس اليمانية الأهيف بن الحمام الهنائي يعاونه سليمان بن عبدالملك السليمي عن بني سليمة من أولاد مالك بن فهم وشاذان بن الصلت على اليحمد والصلت بن مهال المتكي الهجاري على العتيك. والتقى الطرفان بالحيام من ظهر عوتب بموضع يسمى القاع.. وانهزمت النزارية هزيمة منكرة))[١].

وفاة الموفق ومبايعة المعتضد احمد وليًا للعهد ووفاة المعتمد

ذكر ابن خلدون أنه في هذه السنة (٢٧٨هـ) توفي الموفق وبويع المعتضد بولاية العهد، وفي سنة ٢٧٩هـ خلع جعفر بن المعتمد وقدّم عليه المعتضد ((توفي المعتمد على الله أبو العبّاس أحمد بن المتوكل لعشر بقين من رجب ٢٧٩هـ (لـ٢٣سنة) من ولايته، ودفن بسامراء، وهو أول من انتقل إلى بغداد، وكان في خلافته مغلباً عاجزاً، وكان أخوه الموفق مستبدًا عليه، ولما مات الموفق سنة ثمان وسبعين كما قدمناه أقام مكانه ابنه أبا العبّاس أحمد المعتضد وحجر المعتمد كما كان أبوه يحجره، وولاه عهده كما كان أبوه، ثم قدمه في العهد على ابنه جعفر ثم هلك فبايع الناس للمعتضد بالخلافة صبيحة موته)).

وفاة عدة من علماء الاحاديث المشهورين

٢٧٩هـ وممن مات في أيام المعتمد من الأعلام: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والربيع الجيزي، والزبير بن بكار[٢].

خلافة احمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن المعتصم

بويع في رجب سنة ٢٧٩هـ وكان مولده في جمادى الآخرة ٢٤٣هـ، وكانت خلافته تسع سنين

(١) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى لدكتور فاروق عمر ص٢٠٤.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ت٩١١هـ ط٤ م/ الفجالة الجديدة، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

وتسعة أشهر وأربعة أيام. وأمه ضرار، وكان نحيف الجسم معتدل القامة طويل اللحية أسمر. ووزر له عبيدالله بن سليمان بن وهب ثم ابنه القاسم بن عبيدالله[1].

ابتداء أمر القرامطة بالقطيف بالبحرين

قال ابن خلدون في تاريخه عن ابتداء أمر القرامطة: كان في سنة ٢٨١هـ قد جاء إلى القطيف بالبحرين رجل تسمّى بيحيى بن المهدي وزعم أنه رسول من المهدي، وأنه قد قرب خروجه، وقصد من أهل القطيف علي بن المعلى بن حمدان الربادبي، وكان غالياً في التشيع، فجمع الشيعة وأقرأهم كتاب المهدي ليشيع الخبر في سائر قرى البحرين، فأجابوا كلهم وفيهم أبو سعيد الجنابي وكان من عظمائهم. ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة ورجع بكتاب المهدي بشكرهم على إجابتهم، وأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلثين عن كل رجل منهم ففعلوا. ثم غاب وجاء بكتاب آخر بأن يدفعوا إليه خمس أموالهم فدفعوا، وأقام يتردد في قبائل قيس.

وقال المقريزي: كان رجل من أهل قرية جَنّابة(*) يعمل الفراء يقال له أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، أصله من الفرس، سافر إلى سواد الكوفة، وتزوج من قوم يقال لهم (بنو القصّار) كانوا من أصول هذه الدعوة، فأخذ عن عبدان، وقيل بل أخذ عن حمدان قرمط وسار داعيةً، فنزل القطيف وهي حينئذ مدينة عظيمة فجلس بها يبيع الرقيق، فلزم الوفاء والصدق، وكان أول من أجابه الحسين بن سنبر وعلي بن سنبر وحمدان بن سنبر، في قوم ضعفاء، ما بين قصاب وحمال وأمثال ذلك، فبلغه أن بناحيته داعياً يقال له أبو زكريا، أنفذه عبدان قبل أبي سعيد، وكان قد أخذ على بني سنبر من قبل، فعظم أمره على أبي سعيد وقبض عليه وقتله، فحقد عليه بنو سنبر قتله.

واتفق أن البلد كان واسعاً، ولأهله عادة بالحروب، وهم رجال شداد جهال، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته في تلك الديار، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، حتى اشتدت شوكته، وكان لا يظفر بقرية إلا قتل من أهلها ونهبها، فهابه الناس، وأجابه كثير منهم، وفر منه خلق كثير إلى بلدان شتى خوفاً من شره، ولم يمتنع عليه إلا هجر، وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها وبها التجار والوجوه فنازلها شهوراً يقاتل أهلها..[2].

ويقول المقريزي في هامش النسختين من كتابه: ((اختلف في أبي سعيد الجنابي فقال قوم: اسمه الحسن بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنه صاحب الزنج القائم بالبصرة بعد سنة ٢٥٠هـ وأن علي بن محمد كان مقيماً بهجر، ويعرف أنه شريف ويعطي ويكرم، ثم

---

(١) العقد الفريد ج٥ ص٣٤٨.

(*) جزيرة جنابة بفتح الجيم وتشديد النون، بلدة صغيرة من سواحل فارس، وهي ليست على الساحل الكبير للخليج العربي إنما يُدخل إليها في المراكب في خليج، يكون بين المدينة والبحر ثلاثة أميال أو أقل، ومقابلها في البحر جزيرة خارك، شمالها مهروبان وجنوبها سيبر.

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي د. الشيال ط١٩٦٧م ص١٥٩-١٦٠

إنه خرج وجمع، فقاتله العريان[1] بن إبراهيم بأرض البحرين، فانصرف إلى القطيف، وبنى بأم أبي سعيد على سبيل الاستحلال، وخرج من القطيف إلى الاحساء وظهر الحمل بأم أبي سعيد، فلمّا ولدته سمته الحسن وكنته بأبي سعيد، وكتمته سنة خوفاً عليه، وتزوجت برجل من أهل جنابة، فنسب أبو سعيد إليه، ونشأ على أنه رجل من أهل جنابة، ينتسب إلى من هو ربيب له، وقيل ما ذكر في الأصل))[2].

محمد بن نور يعتقل يحيى فيفر ابو سعيد إلى البادية

يقول محمد علي التاجر الذي يبدو أنه كان ينقل بعض أخباره حرفيًا عن ابن خلدون ونقل أنه في أحد الأيام كان يحيى مدعوًّا عند أبي سعيد الجنابي وكان لأبي سعيد خادم يدعى إبراهيم له زوجة جميلة، فلمّا فرغوا من الطعام خرج أبو سعيد من بيته وأمر زوجة الخادم بخدمة ضيفه وإكرامه، فقيل إنه لما خلا بها راودها عن نفسها فأبت عليه وأخبرت زوجها بذلك، فصعب عليه وأغضبه فأخبر مولاه أبا سعيد بالخبر، فأراد كتم الخبر وتلافي الأمر بالتي هي أحسن، ولكن الخادم أبى السكوت فشكا أمره إلى محمد ابن نور أمير البلاد - من بني سامة بن لؤي - فقبض الأمير على يحيى وجلده وطرحه في السجن، وطلب أبا سعيد ففرّ إلى البادية

فتآمر بعض الخونة ومن لهم هوى في دعوة يحيى من رجال الأمير على إخراج يحيى من السجن، وبالفعل أخرجوه ليلاً من السجن وأطلقوا سراحه، فلحق بأبي سعيد وتلاحق بهم من على دعوتهم من القرامطة واجتمع عليهم خلق كثير، فأغاروا على القرى والسواد وانتهبوا الأموال وقتلوا من لم يكن على طاعتهم ثم أغاروا على القطيف فقتلوا بها جمعاً كبيراً وفشا أمر أبي سعيد بعد ذلك[3]

إجابة بني الاضبط الكلابيين لابي سعيد ودخول بني عُقيل في طاعته

٢٨١هـ ((ودعا أبو سعيد العرب فأجابه بنو الأضبط من كلاب وساروا إليه بحرمهم وأموالهم فأنزلهم الإحساء وأطمعوا في بني كلاب وسائر من يقرب منه من العرب، فضم إليه رجالاً وساروا فأكثروا من القتل وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة إلى الإحساء، فدخل الناس في طاعته فوجه جيشاً إلى بني عقيل فظفر بهم ودخلوا في طاعته، فلمّا اجتمع إليه العرب منّاهم ملك الأرض كلها، وورد إلى من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد، ولم يرد عبداً ولا أمة ولا إبلاً ولا صبيًا إلا أن يكون دون الأربع سنين وجمع الصبيان في دور وأقام عليهم قوماً وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه، ووسمهم لئلاّ

(١) العريان بن إبراهيم بن الزحاف بن العريان بن مورق بن رجا بن بشر بن صهبان بن الحارث بن وهب بن خبة بن كعب بن عامر بن معاوية بن عبدالله بن مالك بن عامر بن الحارث

(٢) اتعاظ الحنفا ص١٥٩.

(٣) مخطوط: عقد اللآل في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر فصل١٩، ملحقة في كتاب من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة.

يختلطوا بغيرهم، ونصب لهم عرفاء وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان، فنشأوا لا يعرفون غير الحرب وقد صارت دعوته طبعاً لهم))[1].

إجراءات تأسيس الدولة القرمطية

قبض أبو سعيد كل مال في البلاد وجمع الثمار والحنطة والشعير، وأقام رعاة للإبل والغنم ومعهم قوم لحفظها والتنقل معها على نوب المعرفة، وأجرى على أصحابه جرايات فلم يكن يصل لأحد غير ما يطعمه، وأقبل على جمع الخيل وإعداد السلاح ونسج الدروع والمغافر واتخاذ الإبل وإصلاح الرحال وضرب السيوف والأسنة واتخاذ الروايا والمزد والقرب وتعليم الصبيان الفروسية.

وطرد الأعراب من قربه وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرحال، وإصلاح أراضي المزارع وأصول النخل وإصلاح مثل هذه الأمور وتفقدها ونصب الأمناء على ذلك، وأقام العرفاء على الرجال...[2].

قال الأستاذ يوسف جعفر: القرامطة لم يسموا جماعتهم بالقرامطة بل سموا أنفسهم ((المؤمنون المنصورون بالله والناصرون لدينه والمصلحون في الأرض))[3]

ولاية عباس الغنوي على اليمامة والبحرين وتوجهه للقاء القرمطي

قال ابن خلدون: ثم أظهر أبو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين سنة ٢٨٦هـ واجتمع إليه القرامطة والأعراب، وقتل واستباح، وسار إلى القطيف طالباً البصرة وبعث المعمة فيه أربعة عشر ألف دينار ثم قرب أبو سعيد من نواحي البصرة، وبعث المعتضد إليهم المدد مع عباس بن عمرو الغنوي وعزله عن فارس وأقطعه اليمامة والبحرين، وضم إليه ألفين من المقاتلة، وسار إلى البصرة وأكثر من الحشد جنداً ومتطوعة، فسار ولقي أبا سعيد الجنابي، ورجع بمن كان معه من بني ضبّة إلى البصرة، ثم كان اللقاء فهزمه الجنابي وأسره واحتوى على معسكره، وحرق الأسرى بالنار، وذلك في شعبان من هذه السنة

وسار إلى هجر فملكها وأمّن أهلها ورجع إلى أهل البصرة وبعثوا إليهم بالرواحل عليها الطعام والماء، فاعترضهم بنو أسد وأخذوا الرواحل وقتلوا النقل واضطربت البصرة وتشوف أهلها إلى الانتقال فمنعهم الواثقي، ثم أطلق الجنابي العباس الغنوي، فركب إلى الأبلة وسار منها إلى بغداد، فخلع عليه المعتضد.

---

(١) اتعاظ الحنفا ص١٦٠.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيعة في الخليفة ص٢٤٥ عن سهيل زكار في الجامع لأخبار القرامطة ص١٤٨.

(٣) القوى السياسية في كوت الإحساء - ليوسف جعفر ص١٨٧

أول رسالة من قرامطة البحرين إلى ديوان الخلافة العباسية

هزم أبو سعيد عباس بن عمرو الغنوي واعتقه ثم أطلق سراحه ليكون حامل أول رسالة رسمية إلى الخليفة العباسي، وجه فيها ((يا هذا، لم تحرق هيبتك وتقتل رجالك وتطمع أعداءك في نفسك وتتعبها في طلبي وإنفاذ الجيش إليّ، وأنا رجل مقيم في فلاة لا زرع عندي ولا ضرع ولا غلة ولا بلد، وإنما رضيت لنفسي بخشونة العيش والأمن على المهجة والعز بأطراف هذه الرماح وما اغتصبتك بلداً كان في يدك.

ولا أزلت سلطانك عن عمل جليل، ومع هذا فوالله لو أنفذت إليّ جيشاً من الجيوش مع الثلج والريح والندى فيجيئون من المسافة البعيدة والطريق الشاق وقد قتلهم السفر قبل قتالنا، فإنما غرضهم أن يبدوا عذراً في مواقعتنا ساعة ثم يهربون فإن ثبتوا مع ما لحقهم من وعثاء السفر وشدة الجهد التي هي أكثر أعواني عليهم، فما هو إلا أن أحمل عليهم حتى ينهزموا، وأكثر ما تقدر عليه أن يجيئوا فيستريحوا ويقيموا فيكونوا عدة لا قبل لي بهم فيهزموني إذا قاتلوني.

لا يقدر جيشك على أكثر من ذلك، فما هو إلا أن انهزم حتى قد بعدت عن هذا الموضع عشرين فرسخاً أو ثلاثين فأجول في الصحراء شهراً أو اثنين ثم أكبسهم على غرة فأقتلهم جميعهم، ولو لم يستو لي هذا، وكانوا متحرزين فما يمكنهم الطواف خلفي في البراري، فلا ينبغي طلبي في الصحاري ثم لا يحملهم البلد في المقام ولا الزاد إن كانوا كثيرين فإن انصرف الجمهور وبقي الأقل فهم تلف سيوفي أول يوم ينصرف الجيش ويبقى من يتخلف، هذا إن سلموا من وباء هذا البلد، ورداءة مائه وهوائه للذين نشؤوا في ضده وربوا في غيره ولا عادة لأجسامهم بالصبر عليه، ففكر في هذا وانظر هل يفي تعبك وتحريك جيشك وعسكرك وإنفاقك الأموال وتجهيزك الرجال وتحملك لهذه المشاق لطلبي، وأنا مع ذلك خالي الذرع منها سليم النفس والأصحاب من جميعه وهيبتك تنقص في الأطراف وعند ملوكها كلما جرى عليك شي من هذا، ثم لا تظفر من بلدي بطائل ولا تصل منه إلى مال أو حال، فإن اخترت بعد هذا محاربتي فاستخر الله تعالى وأنفذ من شئت وإن أمسكت فذاك إليك))[1].

رواية ابن الأثير عن مبتدأ أمر القرامطة في إقليم البحرين

ظهور أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة وهم أخبث من الزنج وأشد فساداً كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة (٢٨٦هـ) بنواحي البصرة فالتف عليه من الأعراب غيرهم بشر كثير وقويت شوكته جداً وقتل من حوله من أهل القرى، ثم صار إلى القطيف قريباً من البصرة ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها فعمروه وجددوا معالمه بنحو من أربعة آلاف دينار، فامتنعت من القرامطة بسبب ذلك وتغلب أبو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد وأكثروا في الأرض الفساد وكان أصل أبي سعيد الجنابي هذا أنه كان سمساراً في الطعام يبيعه ويحسب للناس الأثمان، فقدم رجل به يقال له يحيى بن المهدي في سنة ٢٨١هـ فدعا أهل القطيف إلى بيعة المهدي فاستجاب له رجل يقال له علي بن العلاء بن حمدان الزيادي فساعده في الدعوة إلى المهدي وجمع الشيعة

(١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة في الحنيفة ص٣٤٧

الذين كانوا في القطيف فاستجابوا له وكان في جمعة من استجاب أبو سعيد الجنابي هذا قبحه الله ثم تغلب على أمرهم وأظهر فيهم القرمطة فاستجابوا له و لتفوا عليه فتآمر عليهم وصار هو المشار إليه فيهم وأصله من بلدة هناك يقال لها جنابة[1]

ظهور أبي عبدالله الشيعي بإفريقيا يدعو لعبيدالله المهدي

وفيها على قول ابن خلدون ظهر بالمغرب من دعاة الرافضة أبو عبد الله الشيعي في كتامة من قبائل البربر عام ٢٨٦هـ داعياً لعبيدالله المهدي بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق فظهر على الأغالبة بالقيروان، وبايع لعبيدالله المهدي سنة ٢٩٦هـ. فتم أمره وملك المغربين.

اعتراض قبيلة طيئ لركب الحاج

وفيها اعترضت طيئ ركب الحاج بالأجيفر، وقاتلوه ونهبوا أموال التجار ما قيمته ألف ألف دينار، ثم اعترضوا الحاج كذلك سنة تسع وثمانين بمعدن فهزمهم الحاج وسلموا.

اعتراض جموع من الأعراب بقيادة طيئ لركب العراق بالمعدن

٢٨٧هـ جمعت طيئ من قدرت عليه من الأعراب وقصدت ركب العراق في رجوعه من الحج ليأخذوه وكانوا في ثلاثة آلاف وأمير الحاج أبو الأغر، فواقعهم بالمعدن وقاتلهم يومين هما الخميس والجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة والتحم القتال وجدلت الأبطال، ثم أيد الله الوفد وقتل رئيس طيئ صالح بن مدرك وجماعة من أشراف قومه، وأسر خلق وانهزم الباقون وسلم الحاج ودخل الركب بالأسرى بالرؤوس على الرماح بغداد[2]

إغارة القرمطي على هجر واستيلاؤه على القطيف

وفيها في ربيع الآخر أغار أبو سعيد على نواحي هجر، بمساندة بني كلاب وعقيل والحريش[3].

---

(١) يقول ياقوت في معجم البلدان عن جنابة بلدة صغيرة من سواحل فارس وليست على ساحل البحر الأعظم إنما يدخل إليها في المراكب قبالها جزيرة خارك وشمالها من جهة البصرة مهروبان وجنوبها سيراف وهي فرضة ليست بالطويلة ترسو فيها مراكب من يريد فارس، وشرب أهلها من الآبار المالحة (قال الحازمي) جنابة ناحية بالبحرين ومنها أبو سعيد الجنابي القرمطي وكان من جنابة بلدة بساحل فارس وكان دقاقاً فنفي من جنابة فخرج إلى البحرين فأقام بها تاجراً وجعل يستميل العرب بها ويدعوهم إلى نحلته حتى استجاب له أهل البحرين وما والاها وكان من كسره عساكر السلطان ورعيته وعداوته من أهل عمان، وجمع ما يصاقبه من بلدان العرب قد انتشر حتى قتل على فراشه وكفى الله أمره ثم قام منه سليمان بن الحسن . وقال غير الحازمي إنه قتل على يد غلامه في الحمّام

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج١ ط١ ١٩٨٣ ص٥٠٢.

(٣) محطات تاريخية، سعود الخالدي ص٧٥- ثابت بن سنان الصابئ تاريخ أخبار القرامطة ص١٢ - طه الولي، القرامطة ص١٩٦.

وكان أبو سعيد الجنابي يعتمد في قوته منذ بدايته على تحالف قبائل من عامر بن صعصعة (من أهل البادية) مع أزدية (من أهل عمان).

يبدو أن أبا سعيد عندما هاجم هجر طلب من بني العياش والعريان الجلاء عن ديارهم أو الحرب فاختاروا الحرب، وحصل لهم من جراء ذلك الدمار و الهلاك، ويتضح ذلك من خلال قصيدة لعلي بن المقرب يعرض على قومه العيونيين عندما رأى ضعفهم وتشتتهم وظهور غيرهم عليهم الجلاء بأسلوب استحمامي قبل أن تقعِ الكارثة، أو أن يتحدوا في وجه الأخطار:

٧٢- إنّي لأخْشَى أنْ تُلاقُوا مِثْلَما لاقى بنو العَيَّاش والعريانِ

٧٣- كَرِهُوا الجَلاءَ عنِ الديارِ فَأُهْلِكُوا بالسَّيفِ عَنْ عرضٍ وبالنّيرانِ[1]

يقول شارح ديوان علي بن المقرب. عياش بن سعيد رئيس بني محارب، كان منزله بالجبل المعروف بالشبعان من جبال هجر. وهو في وسطها تحف به أنهارها وبساتينها. والعريان: رئيس بني مالك، وهو العريان بن إبراهيم بن الرحاف بن العريان بن مورق بن رجاء بن بشر بن صهبان بن الحارث ابن وهب بن عصية بن كعب بن عامر بن معاوية بن عبدالله بن مالك بن عامر بن الحارث.

وذلك أن عبدالقيس حين اختلفت كلمتهم وكثرت بينهم الحروب ضعفوا ووهى أمرهم بالبحرين فوثب القرمطي، وهو أبو سعيد الحسن بن بهرام بن بهرست على القطيف وهو يومئذ ضامن مكوسها وفرضتها وكان قد جمع مالاً عظيماً استمال به قلوب الناس وكانت رئاسة القطيف يومئذ وملكها لبني حذيمة[2] وكان أولو الأمر منهم:

بنو أبي الحسن علي بن مسمار بن سلم بن يحيى بن سلم[3] بن مدحور بن صعصعة بن مالك بن عامر[4] بن محاش بن سعد بن ثعلبة[5] بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة ابن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس.

---

(١) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج٢ ص١٤٤١.

(٢) في مخطوط عقد اللآل في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل١٩ جاء اسم ابن مسمار بشكل مختلف بشكل خفيف. وهنا نذكر الاختلاف للمقارنة جديمة وبنو حريمة أمرهم في يد بني أبي الحسن علي بن مسمار بن سلم ابن يحيى بن أسلم بن مدحور بن صعصعة بن مالك بن عمرو بن محاش بن سعد بن (كلب). و(كلب) هذه يمكن أن تكون (ثعلب)، فإذا صح هذا الاحتمال، فإنه يحملنا إلى ترجيح أن الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي يكون من هذه الأرومة حيث إن عبدالقيس لها أن يعترف بأكثريتها في البحرين..

(٣) سلم: أسلم..

(٤) عامر: عمرو، وربما الصحيح هو عامر، وأن عمراً هذا هو الذي تنسب له عامر ربيعة، الذين قضي على حكمهم في سنة ٤٦٧هـ على يد عبدالله العيوني والقوات العباسية، لأنه قيل إن الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي الذي بنى دولته على أنقاض دولة آل أبي سعيد كان يعرف بزعيم بني عامر، وهناك بنو عامر بن الحارث بن أنمار، وعلى هذا فإنهم يلتقون مع العيونيين (بني مرة بن عامر بن أنمار) في أنمار.

(٥) ثعلبة: كلب. وفي نص آخر يكون الاسم هكذا ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس.

وجمع جيشاً عظيماً من أهلها ومن البادية ومن أهل عمان وحارب بهم القطيف حتى ملكها بعد حرق الزارة... وسار إلى الإحساء بجموع عظيمة ولم يمكن آل العياش وآل العريان ومن يتعلق بهم الانتقال فلم ينتقلوا فحاربهم أبو سعيد حتى قهرهم وملك الإحساء فحين استقر له الملك جمع من بها من عبدالقيس في محلة من الإحساء تسمى الرمادة وأضرمها عليهم ناراً .. ومن خرج قتلوه...

قال التاجر محمد علي في مخطوطته عند اللاّب وجمع - أبو سعيد - جمعاً عظيماً من أهلها ومن البادية ومن أهل عمان وحارب بهم في القطيف حتى تمت له الغلبة على أبي الحسن علي بن مسمار المذكور وقومه حتى ملكها بعد حرق الزارة وهي يومئذ مدينة ودار مملكة... ولم يمكن للعياش والعريان المذكورين وما يتعلق بهما الانتقال منها لما لهم فيها من عرض وثمار فلم ينتقلوا فحاربهم أبو سعيد.. وملك الإحساء.

استيلاء القرامطة على صحار واليمامة

وبعد أن استكمل أبو سعيد سيطرته على البحرين سيَّر بعض سراياه إلى عمان فدخلها عنوة واستولى على قصبتها صحار، ثم مدَّ نفوذه إلى اليمامة بعد أن قضى على دولة بني الأخيضر بها وصادرهم[1]

اختفاء زكرويه وانتقال نشاطه الثوري إلى الشام

وفيها: ((ثار أهل السواد من القرامطة، وحولوا الانتقام لعبدان، فاختفى زكرويه في جب تحت الأرض سنة ٢٨٧هـ ولم يجد بدًّا من نقل نشاطه إلى بلاد الشام، فأرسل ابنه الحسين إلى هناك سنة ٢٨٨هـ))[2].

وهكذا بعد أن فشل زكرويه في استغواء من قرب الكوفة من الأعراب أسد وطيّئ وغيرهم، أرسل أولاده إلى كلب بن وبرة فاستغووهم فلم يجبه منهم إلا الفخذ المعروف ببني العليص بن ضمضم بن عدي ابن جناب ومواليهم خاصة فبايعوا ابن زكرويه المسمى محمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقيل: لم يكن لمحمد بن إسماعيل ولد اسمه عبدالله. وأتاه جماعة من بني الأصبغ وسموا الفاطميين ودانوا بدينه.

وفي سنة ٢٨٨هـ جرت حروب بالشام بين طغج بن جف أمير دمشق وبين القرامطة[3].

حروب محمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل في الشام

٢٨٩هـ قال ابن العديم: في آخر هذه السنة ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن يحيى، من ولد إسماعيل بن جعفر العلوي بنواحي دمشق، يدعو إلى نفسه، واجتمع إليه خلق كثير من الأعراب، وأتباع

---

(١) تاريخ الإمارة العيونية لعبدالرحمن آل ملا، نقلاً عن كتابي اتعاظ الحنفا للمقريزي والكامل لابن الأثير.

(٢) قرامطة العراق محمد عبدالفتاح عليان.

(٣) المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفداء ت٧٣٢هـ.

الفتن، فسار بهم إلى دمشق، وكان بها طغج بن جف مولى أمير المؤمنين من قبل هارون بن خمارويه عامل أمير المؤمنين على مصر والشام، فلمّا بلغه خبره استعد لحربه، وتحصن طغج بدمشق، فحصره هذا العلوي بها، وكانت بينهما وقعات، وانقضت.

تَغَلُّب سبعمائة على سبعة آلاف قرب القطيف!!

وفيها. ((أرسل المعتضد جيشاً من (٧٠٠٠ رجل) لقتال أبي سعيد وكان على رأس (٧٠٠فارس وراجل) من بني كلاب وعقيل وبحرانيين وكان ذلك قرب- القطيف -سبخة أقان - فانهزم الجيش العباسي))[١].

وفاة المعتضد وخلافة المكتفي

وفيها توفي الخليفة المعتضد رحمه الله، وكان ما يزال يذكر أبا سعيد رغم مرضه ويتحسر قائلاً: ((حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي والله لقد كنت وضعت عند نفسي أن أركب ثم أخرج نحو البحرين ثم لا ألقى أحداً أطول من سيفي إلا ضربت عنقه، وإني أخاف أن يكون هناك حوادث عظيمة))[٢].

وبويع علي المكتفي بن أحمد المعتضد بن طلحة الموفق يوم الثلاثاء لسبع بقين من ربيع الآخر ٢٨٩هـ، وكان مولده في رجب سنة ٢٦٤هـ، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يوماً، وأمه جيجق وقيل خاضع. وكان ربعة حسن الوجه أسود الشعر وافر اللحية عريضها، ولم يشب إلى أن مات[٣]

مقتل مقدم القرامطة يحيى وقيام أخيه الحسين صاحب الشامة

٢٩٠هـ ((في هذه السنة اشتدت شوكة القرامطة بجزيرة حصروا دمشق بعد أن هزموا أميرها طغج بن جف ثم اجتمعت عليهم العساكر وقتلوا مقدمهم يحيى المعروف بالشيخ، ولما قتل مقدم القرامطة يحيى المذكور قام فيهم أخوه الحسين وتسمى أحمد وأظهر شامة في وجهه وزعم أنها آيته، وكثر جمعه فصالحه أهل دمشق على مال دفعوه فانصرف عنهم إلى حمص فغلب عليها وخطب على منابرها بالمهدي أمير المؤمنين، وعهد إلى ابن عمه عبدالله ولقبه المدثر وزعم أنه المدثر الذي في القرآن، ثم سار إلى حماة والمعرة وغيرهما فقتل أهلها حتى قتل الأطفال والنساء، وسار إلى سلمية فأخذها بالأمان ثم قتل أهلها حتى صبيان المكتب، ولما اشتد أمر القرمطي صاحب الشامة المذكور خرج المكتفي من بغداد ونزل الرقة وأرسل إليه الجيوش))[٤].

---

(١) التنبيه والإشراف للمسعودي.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٢٤٨.

(٣) العقد الفريد ج٥ ص٣٤٨.

(٤) المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ.

القبض على صاحب الشامة

٢٩١هـ كتب الوزير أبو الحسن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد إلى محمد بن سليمان الكاتب بمناهضة القرامطة فسار إليهم والتقى الجمعان يوم الثلاثاء ٦ محرم على ١٢ ميلاً من حماة فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى حجز الليل بينهم، والقرمطي لما انهزم أصحابه ارتاع لذلك ورحل من وقته خوفاً من الطلب إلا أنه قبض عليه بالدالية وهي قرية من عمل الفرات وحمل إلى المكتفي بالرقة.

انطلاق زكرويه القرمطي من القطيف وقطعه لطريق الحج

٢٩٤هـ يبدو أن زكرويه الذي اختفى في الجب سنة ٢٨٧هـ، وقبض على ابنه صاحب الخال وقمعت حركته في سنة ٢٩١هـ كان ملتجئاً عند قرامطة البحرين، حيث تذكر التواريخ أنه في سنة ٢٩٤هـ ((خرج زكرويه القرمطي من بلاد القطيف يريد الحاج فوافاهم وقاتلهم حتى ظفر بهم في أواخر المحرم سنة ٢٩٤هـ ولما فرغ القرامطة من مهاجمة الحجاج فكروا في اتخاذ قاعدة لهم بالصحراء لكي يهاجموا منها قوافل الحجاج كل عام، ويغيروا منها على أطراف العراق وبلاد الشام كلما سنحت لهم الفرصة. ووقع اختيارهم على فيد، ولكنهم عجزوا عن الاستيلاء على هذا المكان الحصين فراحوا يجوبون الصحراء بحثاً عن مكان آخر يحقق لهم غرضهم))[1]

مداهمة الجيوش العباسية للقرامطة

((وبينما جيوش القرامطة على هذا الحال إذ داهمتهم جيوش الخلافة العباسية فسدت عليهم جميع منافذ الصحراء، وأخذ قواد العباسيين يرسلون الطلائع لاستكشاف تحركاتهم ويذكر النويري (في نهاية الأرب) أن هؤلاء القواد كانوا يخشون انضمام زكرويه بن مهرويه إلى أبي سعيد الجنابي أمير قرامطة البحرين لكن من المرجح أن أبا سعيد لم يقدم على تلك المحاولة، لأنه كان أحد التلاميذ المخلصين لعبدان، عدو زكرويه اللدود..))[2].

قال ابن العديم: انتدبت بغداد جيشاً لقتاله فساروا وسار زكرويه إلى زبالة فنزلها وكانت قد تأخرت القافلة الثالثة وهي معظم الحاج..., فوصلوا إلى فيد وبلغهم الخبر فأقاموا ينتظرون عسكر السلطان فلم يرد عليهم الجند فساروا فوافاهم الملعون بالهبير فقاتلهم... فعطشوا واستسلموا فوضع فيهم السيف فلم يفلت منهم إلا اليسير وأخذ الحريم والأموال فندب المكتفي لقتاله القائد وصيفاً ومعه الجيوش وكتب إلى شيبان أن يوافوا فجمعوا في ألفين ومائتي فارس فلقيه وصيف يوم السبت رابع شهر ربيع الأول فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وأصبحوا على القتال فنصر الله وصيفاً وقتل عامة أصحاب زكرويه... وتفرق أصحاب زكرويه في البرية وماتوا عطشاً.

---

(١) قرامطة العراق محمد عبدالفتاح عليان.

(٢) المصدر نفسه

المكتفي يكافىء الحسين بن حمدان بإقطاعه حلب

ثم إن المكتفي ولّى حلب الحسين بن حمدان عم سيف الدولة فماشت عليه العرب من كلب واليمن وأسد وغيرهم فاجتمعوا بنواحي حلب فخرج للقائهم في شهر رمضان فهزموه حتى بلغوا به باب حلب وجرى بينه وبين القرامطة في هذه السنة وقعة كسرهم فيها واستأصلهم[1].

بنو سعد يخرجون بني هذيل من جبل غزوان

قال الهمداني وهو يتحدث عن منازل هذيل عرنة وعرفة وبطن نعمان ونخلة ورحيل وكبكب والبوباة وأوطاس وغزوان، فأخرجهم منه بنو سعد بمعونة عج بن شاخ سلطان مكة، وغزوان من أمنع جبال الحجاز وأكثرها صيداً وعسلاً[2]...

قال الفاسي. لعل عج بن حاج كان أمير مكة في سنة ٢٨١هـ إلى سنة ٢٩٥هـ ويحتمل أن يكون ولي قبل هذا التاريخ وبعده والله أعلم... وذكر عج بن حاج في حوادث سنة ٣٠٠هـ من كتاب (غاية الأماني) كعامل للحرمين، لذا نرجح وقوع هذه الحادثة قريباً من ٢٨١هـ إلى ٣٠٠هـ.

وعن هوية بني سعد هؤلاء من يكونون نقتبس بعض ما جاء في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق قال الشريف الإدريسي (٤٩٣-٥٦٠هـ) حيث يقول ((والطائف على ظهر جبل غزوان وعلى ظهر جبل غزوان ديار بني سعد المضروب بهم المثل في كثرة العدد وبه جملة من قبائل هذيل)). إلى أن يقول: ((والغالب على نواحي مكة فيما يلي المشرق بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل ومن غربيها قبيلة مدلج وغيرها من قبائل مضر))[3].

وقال ابن خلدون. قال السهيلي. حضن من جبل مصل بجبل الطائف الذي أعلى نجد، تبيض فيه النسور. وقال: وسكانه بنو جشم بن بكر، وهو أول حدود نجد. وأرض تهامة من الحجاز.

وقال الأصفهاني في كتابه بلاد العرب العائد للربع الأول من القرن الثالث: أما سعد بن بكر، فليست لهم أعداد، إنما مياههم أوشال، بمنزلة مياه هذيل، وهم جيران هذيل، إلا أنهم ربما جلسوا إلى فروع نجد. وهذيل لا تفارق تهامة[4].

قال ابن القيسراني[5] في ذكره لمن نسبه السعدي فذكر أنهم تسعة وهم كالآتي:

١- منسوب إلى سعد بن بكر بن هوازن، منهم عبد الله بن وقدان، يعرف بابن السعدي لأنه استرضع في بني سعد بن بكر، له صحبة وهو من بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب من قريش.

---

(١) تاريخ حلب لابن العديم.

(٢) صفة جزيرة العرب للهمداني ص٢٨٨

(٣) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

(٤) بلاد العرب للأصفهاني تحقيق الجاسر ود. صالح العلي دار اليمامة، ص١٣

(٥) الأنساب المتفقة لابن القيسراني المتوفى سنة ٥٠٧هـ في الصفحة ١٢١

٢- سعد تميم وهو سعد بن زيد مناة بن تميم...

٣- سعد الأنصار...

٤- سعد جذام...

٥- سعد خولان ..

٦- سعد تجيب...

٧- منسوب إلى سعد بن أبي وقاص...

٨- علي بن حجر السعدي من بني عبدشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم...

٩- سعد هذيم من قضاعة...

انتهى.

وفي زيادات الحافظ محمد بن أبي بكر عمر بن أحمد بن عمر أبي موسى الصبهاني على كتاب الأنساب المتفقة للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر بن المقدسي، قال[1]:

قال الطبراني وغيره: عطية السعدي من بني جشم بن سعد وهو سعد بن بكر بن هوازن الذي ابتدأ فيه فلا يقال إنه سعد من أجل أنه ذكر أبا دون سعد.

ومن بني عبدشمس أيضاً حُيَي بن غالب السعدي العشمي، قاله أبو حاتم، فحصل ممّا ذكر ثمانية ولم يذكر بني سعد بن بكر، وإنما ذكر عبدالله بن وقدان من بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤي من قريش يعرف بابن السعدي، لأنه استرضع في بني سعد بن بكر، والأولى بالظئر حليمة ظئر رسول الله ﷺ وعطية السعدي الذي ذكرناه أيضاً.

وذكر القيسراني فيمن يسمى بالعوفي رهط عطية العوفي من بني سعد بن بكر بن هوازن، وهم حضنة رسول الله ﷺ[2].

خلافة جعفر المقتدر بن المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل

بويع المقتدر في اليوم الذي توفي فيه أخوه المكتفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ وخلع في خلافته دفعتين، الأولى بابن المعتز والثانية بالقاهر، وكان مولده لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٢٨٢هـ. وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة إلا خمسة عشر يوماً. وكان أبيض مشرباً بحمرة حسن الخلق ضخم الجسم بعيد ما بين المنكبين جعد الشعر مدور الوجه قد كثر الشيب في وجهه.

ابتداء الخلافة الفاطمية بإفريقية

٢٩٦هـ في هذه السنة كان قيام دولة الفاطميين في إفريقيا، وقد تسموا بهذه التسمية نسبة إلى فاطمة

---

(١) المصدر نفسه ص٢٧٤.

(٢) المصدر نفسه ص١٧١.

(بنت رسول الله ﷺ)، أي أنهم يدّعون أنهم أولادها. وهناك من ينكر عليهم هذا النسب وهناك من يقرُّ لهم به. قال المؤرخون عن بداية قيام دولتهم: دخل أبو عبد لله الشيعي داعية الفاطميين بإفريقيا على أبي نصر زيادة الله بن عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن الأغلب فهرب إلى مصر منه فانتقلت الدولة إلى بني عبيدالله العلوي مؤسس الدولة الفاطمية.

وفي كتاب المختصر لأبي الفداء قال: أول من ولي منهم أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، وقيل هو عبيدالله بن أحمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد اختلف في صحة نسبه، فقال القائلون بإمامته إن نسبه صحيح ولم يرتابوا فيه وذهب كثير من العلويين العالمين بالأنساب إلى موافقتهم أيضاً ويشهد بصحته ما قاله الشريف الرضي:

ما مُقامِي على الهوان وعندي	مِقْوَلٌ صارمٌ وأنفٌ حَمِيُّ
ألبس الذلَّ في بلاد الأعادي	وبمصر الخليفة العلويُّ
مَنْ أبوهُ أبي ومولاهُ مولاي	إذا ضامني البعيدُ القصيُّ
لفَّ عِرْقي بعِرْقِهِ سيِّدا الناسِ	جميعاً محمدٌ وعليُّ

وذهب آخرون إلى أن نسبهم مدخول ليس بصحيح وبالغت طائفة منهم إلى أن جعلوا نسبهم في اليهود، فقالوا لم يكن اسم المهدي عبيدالله بل كان اسمه سعيد بن أحمد بن عبدالله القداح بن ميمون بن ديصان

وقيل عبيدالله بن محمد.

وقيل فيه سعيد بن الحسن وإن الحسين المذكور قدم إلى سلمية فجرى بحضرته حديث النساء فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد بسلمية مات عنها زوجها فتزوجها الحسين بن محمد المذكور ابن أحمد ابن عبدالله القداح المذكور، وكان للمرأة ولد من اليهودي فأحبه الحسين وأدبه ومات الحسين ولم يكن له ولد فعهد إلى ابن اليهودي الحداد، وهو المهدي عبيد لله وعرفه أسرار الدعوة وأعطاه الأموال والعلامات فدعا له الدعاة. وقد اختلف المؤرخون كثيراً في قصة عبدالقداح بن ميمون بن ديصان المذكور.

وكان الخليفة المكتفي بالله قد ((أرسل في طلب المهدي هو وولده نزار اللذين هربا إلى المغرب مع خاصتهم ومواليهم بعد أن كانت اليمن وجهته السابقة، وحين وصل المهدي إلى سجلماسة قبض عليه واليها وحبسه ولبث هناك إلى أن أخرجه عبدالله الشيعي.

ويقال إن أبا عبدالله الشيعي حين دخل السجن الذي حبس فيه عبيدالله وجد أن صاحب سجلماسة قد قتله (أي قتل المهدي) وأنه وجد في السجن رجلاً محبوساً فأخرجه للناس وقال: هذا هو المهدي! وأوصاه ألّا يتكلم الا بما أمره وإلا قتله، وربما لذلك بادر المهدي المزيف بقتل عبدالله الشيعي!))[1]

---

(١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة في الحقيقة ص١٤٨، راجع الدمشقي البداية والنهاية مجلد ١١ - ١٢ ص١٨٠.

قال ضامن بن شدقم عن عبيدالله بن محمد الحبيب بن جعفر الشاعر ابن محمد بن إسماعيل الأعرج ابن جعفر الصادق: ويقال لولده العبيديون، فمنهم ملوك المغرب، وخلفاء مصر، فأبو محمد عبيدالله خلف أبا علي ميمون المستنصر بالله، ثم أبوعلي ميمون خلف أبا محمد عبدالله المهدي لدين الله، فهو أول من تسلط من هذا البيت المغرب، وكان أول ظهوره ليوم الأحد سابع ذي الحجة سنة ٢٩٦هـ، وفي شهر شوال سنة ٢٠٧ غلب على إفريقيا من أعمال المغرب..[١].

وقال السيوطي: لم أورد أحداً من الخلفاء العبيديين لأن إمامتهم غير صحيحة لأمور.

منها أنهم غير قرشيين، وإنما سمتهم بالفاطميين جهلةُ العوام، وإلا فجدهم مجوسي. (قال القاضي عبدالجبار البصري): اسم جد الخلفاء المصريين سعد، وكان أبوه يهوديًا حداداً نشابة. (وقال القاضي أبو بكر الباقلاني): القداح جد عبيدالله الذي يسمى بالمهدي كان مجوسيًّا ودخل عبيدالله المغرب، وادعى أنه علوي، ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وسماهم جهلة الناس الفاطميين. (وقال ابن خلكان): أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيدالله جد خلفاء مصر، حتى أن العزيز بالله بن المعز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات.

إنا سمعنا نسباً منكراً	يُتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدّعي صادقاً	فاذكُرْ أباً بعدَ الأبِ السّابعِ
وإن تُرِدْ تحقيقَ ما قُلْتَهُ	فانسبْ لنا نفسكَ كالطائعِ
أو فَدَعِ الأنسابَ مستورةً	وادخلْ بنا في النَّسَبِ الواسعِ
فإنَّ أنسابَ بني هاشمٍ	يقصرُ عنها طمَعُ الطامعِ

وقال الإمام الذهبي: المحققون متفقون على أن عبيدالله المهدي ليس بعلوي. ومنها أن أكثرهم زنادقة.....، ومنهم من أباح الخمر ومنها أن مبيعتهم صدرت والإمام العباسي قائم موجود سابق البيعة، فلا تصح البيعة للإمامين. ومنها أن الحديث ورد بأن هذا الأمر إذا وصل إلى بني العباس لا يخرج عنهم حتى يسلموه إلى عيسى ابن مريم أو المهدي. انتهى كلام الإمام السيوطي[٢].

هجوم أبي سعيد الجنابي على البصرة

٢٩٩هـ- ٣٠٠هـ (حملة أبي سعيد الجنابي على البصرة) كانت – كما ذهب غويه – بأمر الخليفة عبيدالله المهدي الفاطمي[٣].

---

(١) تحفة الأزهار المجلد٢ القسم٢ ص٨٢.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ت٩١١هـ ط٤ م/ الفجالة الجديدة، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.

(٣) قرامطة العراق محمد عبدالفتاح عليان.

أحداث
القرن الرابع الهجري



٣٠٠هـ صلب الحسين بن منصور الحلاج لاتهامه بالكفر ورفضه التوبة.

٣٠١هـ في هذه السنة: ولّى المُقْتَدِر ابنه أبا العباس العهد، وهو الذي ولي الخلافة بعد القاهر وسُمِّيَ بالراضي، فولاه أبوه المُقْتَدِر العهد وهو ابن أربع سنين وقلّده مصر والمغرب، واستخلف له عليها مؤنساً الخادم، وولّى ابنه الآخر عليًا على الريّ ودنباوند وقزوين وأذربيجان وأبهر

وفيها: كثرت الأمراض الدموية بالناس في بغداد.

رسالة من ديوان الخلافة إلى قرامطة البحرين وصلت بعد موت أبي سعيد

حدث في آخر أيام أبي سعيد أن عمدت الخلافة العباسية إلى إرسال سفارة إلى قرامطة البحرين، وعندما وصلت هذه السفارة إلى البصرة علمت بمصرع أبي سعيد فراجعت علي بن عيسى وزير الخلافة فطلب منها الذهاب إلى الإحساء وتسليم الرسالة التي يحملونها إلى خليفة أبي سعيد، ومما جاء في الرسالة: (زعمت أنك رسول المهدي، وقد قتلت العلويين وسبيت آل الأخضر العلويين ومن باليمامة واسترقت العلويات وغدرت بأهل البحرين).

فأجاب سعيد بن أبي سعيد (إن أهل البحرين بغوا علينا وغدروا بنا وقالوا إنا نشترك في أزواجنا ونرى الإباحية وتعطيل الشريعة، وقد كذبوا علينا ونحن قوم مسلمون وما نحل من اتهمنا بغير الإسلام).

وعلى هذا الأساس شجعت هذه الإجابة الوزير علي بن عيسى فكتب مجدداً يقول: (إن كنتم صادقين فأطلقوا من في أيديكم من أسارى المسلمين). فاستجاب القرامطة

رسالة سعيد بن أبي سعيد لديوان الخلافة

((يسجل لنا ابن الجوزي في كتابه المنتظم تلك الرسالة التي - بعثها خليفة أبي سعيد الجنابي - تبدأ بحمد الله والصلاة على رسوله وتعظم الخليفة وتظهر عدل الوزير ثم يتطرق إلى الموضوع الرئيسي قائلاً:

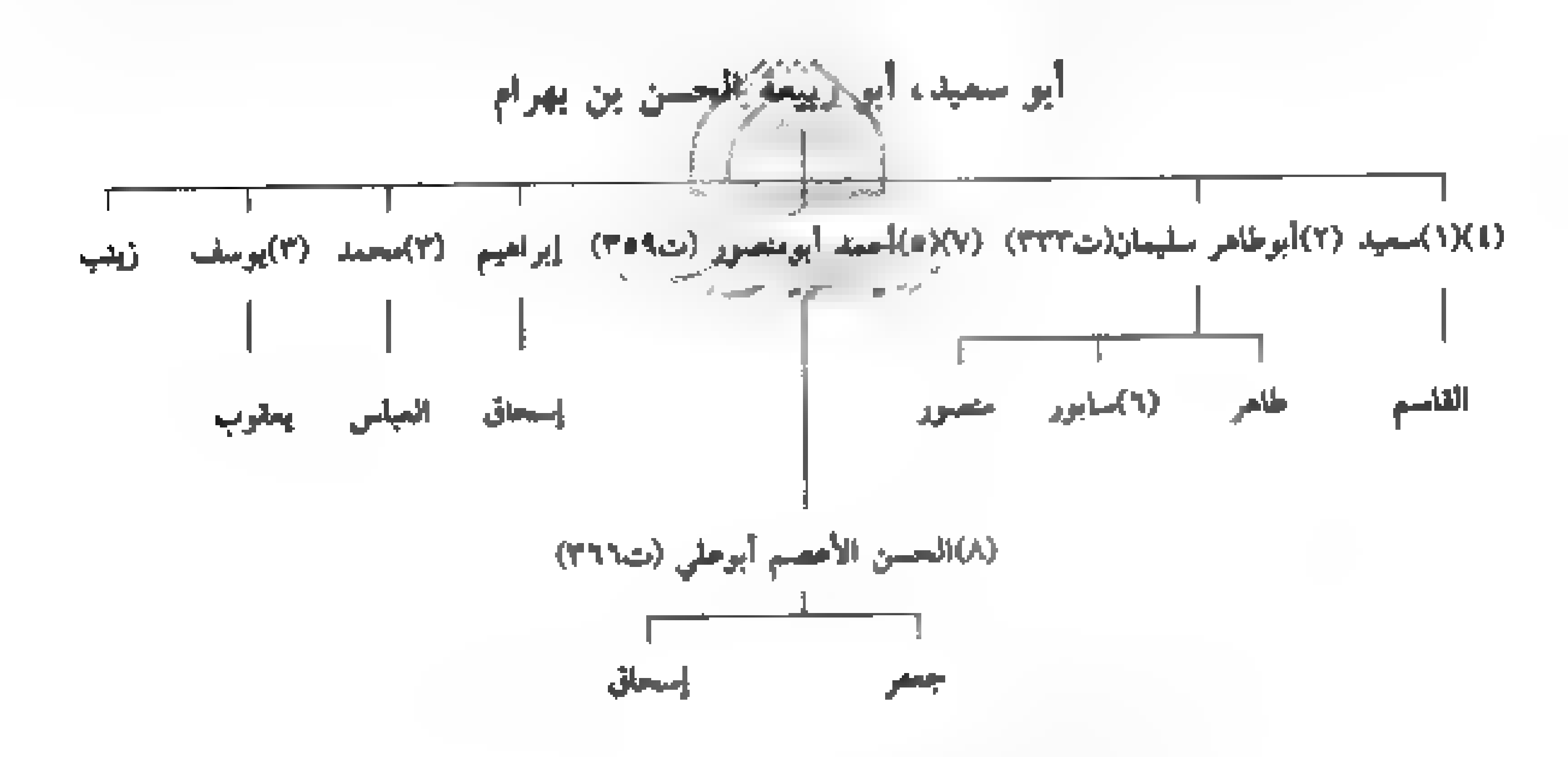
(إنّا لم نخرج من الطاعة ولكنا كنا قوماً مستورين فلما غلبت ذلك فجّار الناس من لا دين لهم فشنعوا

علينا وقذفونا بالكبائر، ثم خرجوا إلى سبْتا وصربنا ثم نادوا (أجّلناكم ثلاثة أيام فمن قام بعدها أحل بنفسه (العقوبة) فخرجنا فوثبوا علينا قبل الأجل وضربونا وأغرمونا الأموال، فسألناهم أن يؤمنونا على أنفسنا فلم يفعلوا، وأمر صاحب البلد بقتلنا فهربنا، فأخذوا حرمنا وسلبوهم سلباً قبيحاً وانتهبوا منازلنا، فلجأنا إلى البادية، فخرج ناس إلى المعتضد بالله فشمروا عنينا نصدق مقالهم وبعث إلينا من يخاصمنا فدافعنا عن أنفسنا فقويت وحشتنا من الخلق. وأما ما ادعي علينا من ترك الصلاة وغيرها فلا يجوز قبول دعوى إلا ببينة، وإذا كان السلطان ينسبنا إلى الكفر بالله تعالى فكيف يسألنا أن ندخل في طاعته))[1]

هذه الرسالة تضع أمامنا المشهد الذي اضطر أبو سعيد الجنابي إلى الخروج إلى البادية وكيف أنه ضُرِب وصُودِر وسُبّ وطُرِد، وكاد أن يُقتل لولا أنه هرب بأولاده وقومه، وهذا ما جعله ناقماً على الدولة وحاقداً عليها بسبب ما تعرض له من إهانة وتحقير، فبثّ دعوته في أهل البادية وخرج بهم على أهل البلد وانتصر عليهم تدفعه رغبته العارمة بالانتقام

مقتل كبير القرامطة مؤسس الدولة

٣٠١هـ قتل كبير القرامطة أبو سعيد الجنابي بن بهرام.. قتله خادمه بالحمام يقول الأستاذ محمد عبد الفتاح عليان في كتابه قرامطة العراق: مقتل أبي سعيد الجنابي سنة ٣٠٢هـ تمّ على يد خادم كان قد أخذه من الجيش العباسي، ومن المحتمل كثيراً أن يكون ذلك الاغتيال من تدبير الخلافة العباسية دون سواها، (وكان سنه يوم قتله نيفاً وستين سنة)[2].



قيل إن جعفراً ولد الحسن الأعصم وقيل إنه ابن عمه وقيل إنه عمه. وكان ويكنى بأبي جعفر، والله أعلم

(١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي لخليفة ص٢٧٠، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣ ص١٤٢.

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي ص١٦٥.

تلقّب أولاد آل أبي سعيد بالسادة لادعائهم النسب العلوي

كان القرامطة من آل أبي سعيد يتلقبون باسم السادة[1]، وذلك إشارة منهم بادعائهم إلى النسب العلوي الشريف، وقد رأيناهم بعد أن انضووا تحت راية الخليفة المطيع العباسي وأرادوا مهاجمة الدولة الفاطمية في الشام ومصر كيف أنهم كتبوا على راياتهم شعار: (السادة العائدون إلى الحق).

فالحقيقة أن رؤساء القرامطة يدعون النسب العلوي رغم أن معظم المؤرخين والمحققين قد نسبوهم إلى غير ما ادّعوه.

وقد قالت د. منى الخليفة: ((خلافاً لجميع الحركات التي ظهرت آنذاك، فإن أبا سعيد لم يدّع النسب العلوي، كما فعل صاحب الزنج وأبناء زكرويه ولم يعلن عن نفسه إماماً كما فعل علي بن الفضل في اليمن، وإنما اكتفى بلقب (سيد) وعلى هديه سار أتباعه..))[2]. لكننا نخالف رأي الدكتورة الخليفة ونقول الصحيح هو العكس، فقد ادعى أبو سعيد ومن جاء بعده النسب العلوي، فانظر على سبيل المثال سنة ٣١٨هـ عندما يقول محمد بن إياس في بدائع الزهور إن أبا طاهر (كان يدعي النسب العلوي)، ولكن لعلهم لم يطمحوا إلى ادعاء الإمامة أو الخلافة.

ودليل آخر على تسمي أولاد أبي سعيد بالسادة إشارة منهم إلى نسبهم العلوي الرفيع فقد وجد درهم ضرب بصحار في سنة ٣٥٨هـ كتب على الوجه: ((الله - محمد رسول الله - ﷺ - المطيع لله[3] - السادة[4] - عمر بن محمد[5]؟)) وكتب على الظهر ((لا إله إلا الله - وحده لا شريك له - ركن الدولة[6] - أبو علي - عضد الدولة[7] - أبو شجاع)).

حال قرامطة البحرين بعد وفاة كبيرهم

كان أبو سعيد الجنابي عهد لابنه الأكبر سعيد بالأمر بعده، فلم يستقم له الأمر، وثار عليه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان فقتله وقام بأمرهم وبايعه العقدانية وجاءه كتاب عبيدالله المهدي بالولاية[8].

---

(١) راجع سنة ٢٨١هـ من هذا الكتاب واقرأ كلام المقريزي في اتعاظ الحنفا وقوله في نسب أبي سعيد.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين لمنى الخليفة ص٢٤٤.

(٣) المطيع لله هو الخليفة العباسي من سنة ٣٣٤-٣٦٣هـ.

(٤) السادة: هو اللقب الذي تلقب به أولاد الحسن الجنابي، كتب على راياتهم ونقودهم بالشام وفلسطين بإضافة كلمة الرؤساء أحياناً.

(٥) عمر بن محمد هو: أحد الولاة المباشرين لعمان وقد ذكر ابن الأثير أن أبا الفرج بن العباس عندما فارق عمان (٣٥٥هـ) أمر عليها عمر بن نبهان الطائي الذي يبدو أنه هو عمر بن محمد نفسه.

(٦) ركن الدولة أبو علي هو حسن بن بويه أحد الإخوة الثلاثة الذين أسسوا الكيان البويهي في الخلافة العباسية.

(٧) عضد الدولة أبو شجاع هو: فناخسرو بن ركن الدولة، عهد إليه أبوه بعض المقاطعات، يذكر هنا اسمه وليًّا لعهد والده ركن الدولة، وكانت عمان من ضمن المقاطعات الموكلة إليه (مجلة الواحة السعودية الصادرة ببيروت ع٣١ س٢٠٠٣م عمان في عهد الدولة الجنابية بقلم محمود الهجري ص١٠).

(٨) مخطوط: عقد اللآل في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل١٩.

العقدانية. أبرزهم حسب ما جاء في كتاب دي جريه عن وصف ابن حوقل[1]: الوزيران الأولان:

١- الحسين بن سنبر[2]، كبير إحدى العائلات المعروفة في القطيف.

٢- والد زوجة أبي سعيد[3].

٣- أبو طريف عدي بن محمد الغمر[4] (الذي أسر سنة ٣٢٢هـ).

٤- أبو الحسن بن أحمد بن بشر الحارثي[5] وزير العدل والشرطة.

٥ ثور بن ثور الكلابي[6] المشرف العام على إعداد السرايا التي كانت ترسل سنوياً إلى اتجاهات مختلفة

٦- أبو الحسن علي بن عثمان الكلابي الذي كان يشغل منصب إدارة البريد.

٧ أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف باسم كشاجم وزير الدولة وهو شاعر ذائع الصيت واسمه نصر بن كشاجم (كاتب الحسن الأعصم).

تعيين أحمد بن هلال على عمان

٣٠٤هـ محمد بن نور بعد رحيله عيّن على عمان أحمد بن هلال[7].

ويذكر ابن الجوزي أن الأمير أحمد بن هلال أرسل هدايا ثمينة إلى الخليفة المقتدر في سنة ٣٠٥هـ وأرفقها بطلب لإرسال قوة عسكرية للمساعدة في صد الغزو المتوقع من جانب أعداء الإسلام الذين تحركوا من الإحساء للاعتداء على عمان، ومن ضمن الهدايا كما يقول السيوطي دمية تتكلم، وكانت تردد كلمات هندية وفارسية أفصل من الببغاء وقد بعث الخليفة بالقوة فوراً بحيث إن العملية القرمطية ضد عمان بقيادة أبي طاهر سليمان شقيق سعيد الأصغر فشلت مثل سابقتها، مما جعل القرامطة يصرفون النظر نهائياً عن عمان[8].

رئاسة أبي طاهر سليمان بن الحسن على القرامطة

٣٠٥هـ خُلع سعيد ليحل محله أخوه أبو طاهر سليمان.

وكان وزراء وأمراء الدولة العباسية هم الذين شجعوا أبا طاهر للتمرد والثورة على الخلفاء

---

(١) راجع كتاب. من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٣٢٩

(٢) هو من قبيلة ثقيف على حسب ما ذكر المسعودي في التنبيه والأشراف

(٣) ذكر أن أخوال أبناء أبي سعيد من بني سنبر، وذكر أن أبا سعيد تزوج من قوم يقال لهم بنو القصار.

(٤) لعله من الأشراف أبناء عبدالله الغمر بن الحسن المثنى

(٥) ربما يكون من القبائل الأزدية القحطانية العمانية

(٦) الخامس والسادس فإن هذين الاثنين من القبيلة نفسها بني كلاب وربما من بني الأصبط بالتحديد.

(٧) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب.مايلز ط٨٣ ص١٠٠.

(٨) المصدر نفسه

العباسيين، وخاصة الذين تشيعوا منهم، فقد بعث أفراداً من آل الفرات وبني القاسم الذين استبدلوا بالحكم أيام المقتدر بالله العباسي، وأظهروا التشيع فراسلوا أولاد أبي سعيد الجنابي بقولهم: أنتم خرجتم أيام المعتضد والمكتفي فلمّا صار الأمر إلى هذا الصبي - المقتدر - قعدتم، قوموا فنحن كتابه وأصحابه والدولة لكم[1].

ويذكر (Zwemer) بأن أحد حكام الحسا القرامطة قام بسك عملة طويلة الحسا في عام ٩٢٠م وإن على جانبيها مكتوب بالخط الكوفي عبارة تكاد تكون ممسوحة هي ((محمد السعود))[2].

انتقال أهل قران إلى البصرة بسبب ابن الأخيضر

٣١٠هـ تذكر المصادر التاريخية أنه في هذه السنة ((انتقل أهل قران[3] من اليمامة إلى البصرة لحيف لحقهم من ابن الأخيضر في مقاسماتهم وجدب أرضهم، فلمّا انتهى خبرهم إلى أهل البصرة سعى أبو الحسن أحمد بن الحسين بن المثنى في مال جمعه لهم فقووا به على الشخوص إلى البصرة فدخلوا على حال سيئة فأمر لهم سلك أمير البصرة بكسوة ونزلوا بالمسامعة)).

نستدل من هذا الخبر إلى أن بني الأخيضر كانوا ما يزال حكمهم سارياً على اليمامة، ولم ينته نهائيًا بمجرد هجوم أبي سعيد الجنابي عليهم في سنة ٢٨٧هـ تقريباً، عندما قتّلوا في آل الأخيضر وسبوا العلويات، ومن المرجح أن الأخيضريين قد انضووا تحت راية القرامطة بعد ذلك، بل إن أحد رؤسائهم قد سلم له أبو طاهر الكوفة وأصبح أميراً عليها تقديراً له على ما قام به من جهد وولاء.

هجوم القرامطة على البصرة

٣١١هـ قال المسعودي ((أبو طاهر سار من الإحساء إلى البصرة في (٤٠٠فارس) على أربعمائة حجرة لا حصان فيها و(٥٠٠راجل) ودخولهم ليلاً[4] وقتلهم سبكاً المفلحي ومن قدروا عليه من أصحابه ومن ظهر لهم من الرعية، وذلك في ليلة الخميس لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣١١هـ وقيل بل ليلة الاثنين لستّ بقين، وكان مسيرهم من الإحساء إليها في ستّ ليال، وتهارب الناس منهم إلى الأبلة والمفتح والشطوط والأنهار والجزائر وأقاموا في البلد (١٧يوماً) ثم رحلوا عنها منقلبين بما احتملوا منها إلى بلدهم))[5]، وحملوا على جمالهم ما قدروا عليه من الأمتعة والنساء والصبيان.

---

(١) القوى السياسية في كوت الإحساء - يوسف جعفر ص١٨٤.

(٢) ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها الكسندر أداموف ترجمها عن الروسية د.هاشم صالح التكريتي بغداد، ط١/ ١٩٨٢ ص٦٨.

(٣) وادي قُرّان، به قرية يقال لها قرّان، وبهذه القرية بنو سحيم، وأسفل منه قرية يقال لها ملهم. راجع: صفة جزيرة العرب للهمداني تحقيق الأكوع ص٢٧٥.

(٤) كانت معه السلالم الشعر، التي ألقاها على السور وصعد بها، فقتل خلقاً كثيراً، وأقام بالبصرة ١٨يوماً يحمل منها ما يقدر على حمله.

(٥) التنبيه والإشراف للمسعودي ت٣٤٥هـ مراجعة عبدالله الصاوي مكتبة الشرق الإسلامية بمصر ١٩٣٨م ص٣٣٠.

وقعة الهبير

٣١٢هـ قال المسعودي: اعترض أبو طاهر الحج في منصرفهم عن مكة بنواحي الهبير، مما يلي الثعلبية وهو في (٥٠٠فارس) و(٦٠٠راجل) وقتل من قتل من القواد وسائر الأولياء وغيرهم، وأسر أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان بن حمدون أميرهم، وأحمد بن بدر العم، وأحمد بن محمد بن كشمرد، وغيرهم...، وذلك في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢هـ[1].

روايات أخرى لوقعة الهبير

قال الجزري: اعترض أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطي الحج عند عودتهم من مكة بعد انقضاء الحج بالسرميل من الهبير في المحرم سنة اثنتي عشرة فأوقع بقافلة تقدمت في معظم الحاج وكان فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرهم فنهبهم، واتصل الخبر ببقي الحاج وهم بفيد فأقاموا بها حتى في زادهم فارتحلوا، وكان أمير الحاج يومئذ أبو الهيجاء عبدالله بن أحمد بن أبي بكر بن حمدان، فأشار على الحاج بالعود إلى وادي القرى وأنهم لا يقيمون بفيد فاستطالوا الطريق ولم يقبلوا منه، فأوقع بهم القرامطة وأخذوهم وأسروا أبا الهيجاء ومن كان معه من القواد، مثل أحمد بن كشمرد ونحرير وأحمد بن بدر عم والدة المقتدر، وأخذ أبو طاهر جمال الحاج جميعها، وما أراد من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان وعاد إلى بلاده هجر، وترك الحاج في مواضعهم، فمات أكثرهم جوعاً وعطشاً ومن حرِّ الشمس[2].

وقال شارح ديوان ابن المقرب ولم يحدد السنة: ((كان في الحاج يومئذ عشرون أميراً تحت كل أمير ألف فارس، وكان أمير الحاج يومئذ أبو الهيجاء بن حمدان ومعه من بني تغلب ألف فارس، ومن بني شيبان ألف فارس. فحين التقاهم جيش القرمطي وقد جعل لجيشه ميمنة وميسرة وقلباً وجعل يومئذ أبو الهيجاء لأصحابه ميمنة وميسرة وقلباً، فجعل بجميع الأمراء ومن تحت أيديهم ميمنة وميسرة، وجعل نفسه والألفي فارس الذين من تغلب وشيبان قلباً وحمل بعضهم إلى بعض فانهزمت ميمنة أبي الهيجاء وميسرته، وهزم أبو الهيجاء والألفا فارس الذين معه قلب عسكر القرمطي، فحين أمعنت ميمنة أبي الهيجاء وميسرته في الهزيمة، عطفت ميمنة القرمطي وميسرته على أبي الهيجاء فقتلوا منهم قتلى كثيرة وأسروا أبا الهيجاء وجماعة من أشراف قومه تغلب وشيبان وأسروا الوزير ابن أبي الساج))[3].

وقوع الأزهري عالم اللُّغة في أسر البدو

((الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهر الأزهري الهروي اللُّغوي الإمام المشهور في اللُّغة ... كان قد رحل وطاف في أرض العرب في طلب اللُّغة. وحكى بعض الأفاضل أنه رأى بخطه قال: امتحنت بالأسر سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير وكان القوم الذين

(١) المصدر نفسه.

(٢) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزري ص٢٣٣.

(٣) ديوان ابن المقرب ط.البابطين ج٢ ص٩١١.

وقعت في سهمهم عرباً نشؤوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ويرجعون إلى أعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ ويرعون النعم ويعيشون بألبانها ويتكلمون بطباعهم، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في أسرهم دهراً طويلاً، وكنت نشتي بالدهناء ونرتبع بالصمان ونقيظ بالستارين واستفدتُ من محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمة ونوادر كثيرة أوقعت أكثرها في كتابي، يعني التهذيب وستراها في مواضعها. وذكر في تضاعيف كلامه أنه أقام بالصمان شتوتين.. وكانت ولادته سنة ٢٨٢هـ وتوفي في سنة ٣٧٠هـ في أواخرها وقيل سنة إحدى وسبعين بمدينة هراة.. والقرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة، ولهم مذهب مذموم، وكانوا قد ظهروا في سنة ٢٨١هـ في خلافة المعتضد بالله وطالت أيامهم وعظمت شوكتهم وأخافوا السبيل واستولوا على بلاد كثيرة وأخبارهم مستقصاة في التواريخ وكانت وقعة الهبير التي أشار إليها في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وكان مقدم القرامطة يوم ذاك أبا طاهر الجنابي القرمطي ولما ظهر على الحجاج قتل بعضهم واسترقَّ آخرين واستولى على جميع أموالهم وذلك في خلافة المقتدر بن المعتضد))[1].

وذكر الأزهري في معجمه (تهذيب اللُّغة) قوله: كنت امتحنت بالإيسار سنة عارضت القرامطة بالهبير، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً عامتهم من هوازن، واختلط بهم أصرام من تميم وأسد نشأوا في البادية يتبعون الغيث أيام النجع ويرجعون إلى أعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ ويرعون النعم ويعيشون بألبانها ويتكلمون بطبائعهم البدوية، ولا يكاد يوجد في منطقتهم لحن أو خطأ فاحش فبقيتُ في أسرهم زمناً طويلاً. وكنا نشتي الدهنا ونتربع الصمان. واستفدت من محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضاً).

القرمطي يطلب من الخليفة البصرة والأهواز

وفيها: أرسل القرمطي يطلب من المقتدر البصرة والأهواز. وذكر ابن حمدان أن القرمطي قتل من الحاج من الرجال ٢٢٠٠ ومن النساء ٣٠٠ وبقي عنده بهجر ٢٢٠٠ رجل و٥٠٠ امرأة[2]. وبرأيي أن الذي جعل القرمطي يطلب من الخليفة توليته على البصرة والأهواز إضافة إلى ما تحت يده من حكم الإحساء والقطيف هو أن الخلفاء فيما سبق يجعلون هذه الأماكن جميعها حسب التقسيم الإداري تحت ولاية رجل واحد وفي هذا الكتاب أمثلة كثيرة قد سبق ذكرها والإشارة إليها.

رسالة لأبي طاهر يرد بها على تهديد الخليفة المقتدر بالله

ردَّ أبو طاهر القرمطي على رسالة من الخليفة العباسي المقتدر وجه فيها عدة اتهامات لأبي طاهر، فردَّ عليه الأخير برسالة جاء فيها: ((بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين. من

(١) وفيات الأعيان ج٦.

(٢) درر العقود الفريدة.

أبي طاهر الداعي إلى تقوى الله القائم بأمر الله الآحد بآثار رسول الله ﷺ إلى قائد الأرجاس المسمى بولد العباس. أما بعد: عرفك الله مراشد الأمور وجنبك التمسك بحبل الغرور. فإنه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك وذكرك ما وضعته من نظم كلامك ونمت به فخامة إعظامك من التعليق بالأباطيل والإصغاء إلى محش الأقاويل من الذين يصدون عن السبيل فبشرهم بعذاب أليم على حين زوال دولتك ونفاد منتهى طلبتك وتمكن أولياء الله من رقبتك وهجومهم على معقل أوطانك صبراً وسبيهم حرمك قسراً وقتل جموعك صبراً أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون وجند الله هم الغالبون)).

((خبّرني أيها المحتج لهم والمناظر عنهم في أي حد من كتاب الله أو أي خبر من رسول الله ﷺ إباحة شرب الخمور وضرب الطنبور وعزف القيان ومعانقة الغلمان! وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام واحتووها من وجوه الحرام)).

((وأما ما ذكرت من إحراق مساجد الأبرار فأي مساجد أحق بالخراب بأسانيد من مشايخ فجرة بما أجمعوا عليه من الضلالة وابتدعوا من الجهالة)).

((وأما ما ذكرت بأني تسميت بسمة عدوان فليس أعظم من تسميتك بالمقتدر بالله أمير المؤمنين، أيُّ جيش صدمك فاقتدرت عليه أم أي عدو سافك فابتدرت إليه، لأنت أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين، وإنك لتقلد بعض خدمك شيئاً من أمرك فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى فأي الأمرين أقرب للتقوى، وأما ضمنت أنه من انقاد له نفر من عشيرته وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم، وبعد مقالك والوعيد والإبراق والتهديد عزم على ما أنت عازم وأقدم على ما أنت عليه قادم والله من ورائي ظهير وهو نعم المولى ونعم النصير والحمد لله وعلا وصلى الله على خير بريته وآل عترته))[1].

اعتراض القرامطة للحجاج بزبالة

٣١٣هـ فيها اعترض القرامطة حاج العراق، وكانوا في ألف فارس بزبالة وناوشوهم القتال، فقاتلهم أصحاب الخليفة وانهزموا ووضع القرامطة على الحجاج قطيعة أخذوها وكفّوا عنهم، فساروا إلى مكة، كذا قال ابن الأثير، وقال ابن الجوزي: إن الحجاج رجعوا إلى بغداد ولم يحجوا، ولم يحج أحد في هذه السنة خوفاً من القرمطي[2]، وذكر المسعودي أن القرمطي كان في خمسمائة فارس وستمائة راجل[3].

احتلال القرامطة للكوفة وتولية الأخيضر عليها

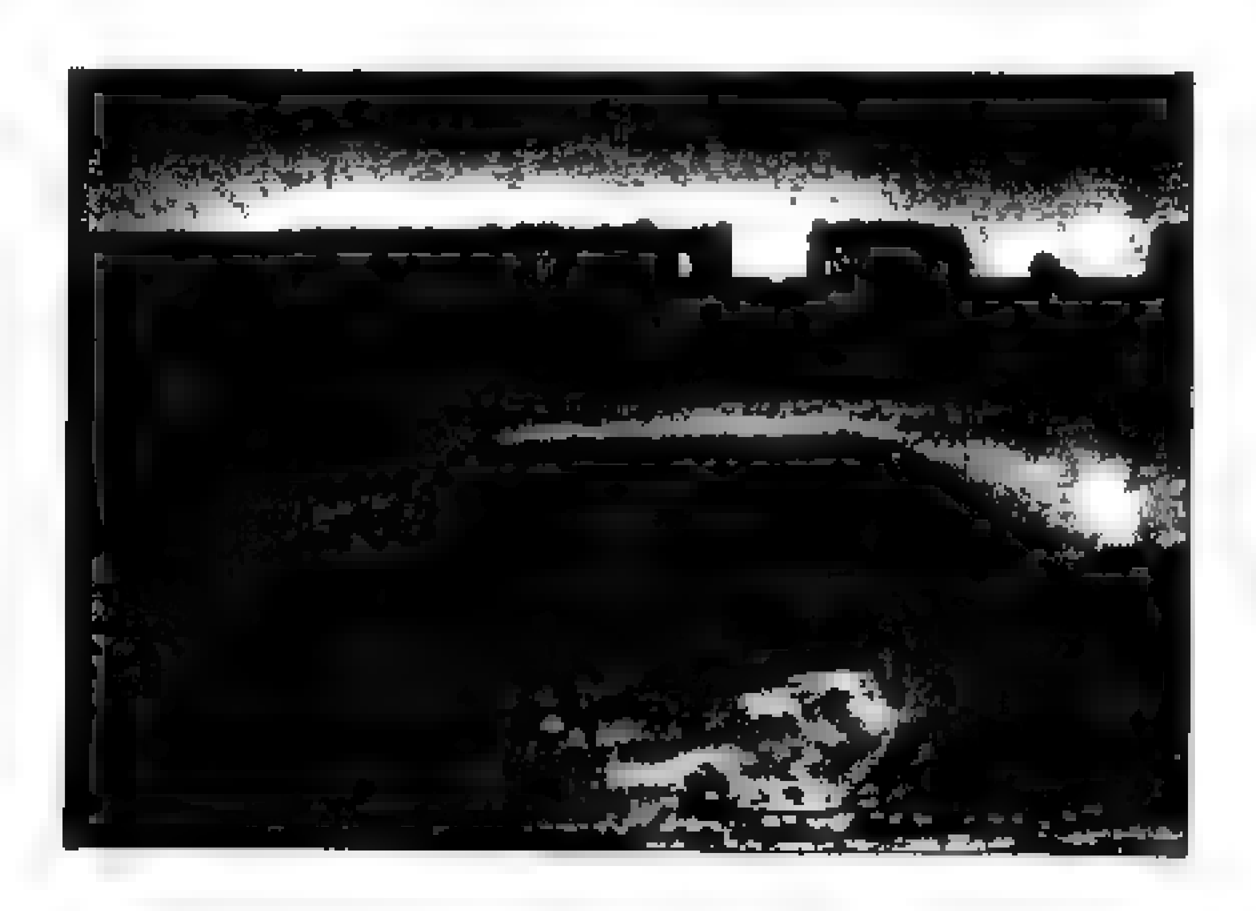
وفيها في ذي القعدة. ((مصير أبي طاهر القرمطي إلى الكوفة وموافقته من كان بها من الأولياء الذين جردوا من الحضرة للقائه وهم جعفر بن ورقاء الشيباني وجني الصفواني الخادم مولى ابن صفوان العقيلي، وثمل الخادم الدلفي، صاحب أنطاكية والثغور الشامية، وطريف السكري الخادم وإسحاق بن

(١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة في الخليفة ص٣٠٥
(٢) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٣٧١.
(٣) التنبيه والإشراف للمسعودي ت٣٤٥هـ ص٣٣٠

شروين السبكري وغيرهم من رؤساء الأجناد وهزيمته إياهم وقتله من قتل منهم، وأسره جنيًّا الصفواني وغيره، وذلك يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة (٣١٣هـ). ثم مسيره عن الكوفة إلى الإحساء بالذرية والثقلة، وتسليمه البلد إلى إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالأخيضر صاحب اليمامة ابن إبراهيم بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب))[1].

بناء حصن الأخيضر في صحراء العراق

((عندما قام أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي بمهاجمة الكوفة ساعده عرب الأخيضر باليمامة وعهد إليهم أبو طاهر ولايتها سنة ٣١٥هـ في حين أقام الأخيضريون حصناً في صحراء العراق يزاولون من خلاله الإشراف على سلطة القرامطة بالكوفة))[2].



٣١٤هـ فيها ردّ حاج خراسان من بغداد خوفاً من القرمطي، وتأخر الحاج من العراق خوفاً من القرمطي، فحج بالناس بمكة الحسن بن عبدالعزيز العباسي على قلة من الناس[3].

وفيها بعث المقتدر سلامة الطولوني إلى مكة ليحضر علي بن عيسى بن الجراح وكان مجاوراً بمكة. وفيه نزح أهل مكة بأموالهم وأهليهم من مكة خوفاً من القرمطي وقربه منهم[4].

(١) نفس المصدر ص٣٣١.

(٢) محطات تاريخية لسعود الزيتون الخالدي ص١٠٧.

(٣) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٣٧٢.

(٤) نفس المصدر.

بناء مدينة الإحساء (المؤمنية) على يد أبي طاهر

وفيها وقع بين العقدانية وأهل البحرين خلاف، فخرج أبو طاهر وبنى مدينة الإحساء وسماها المؤمنية، فلم تعرف إلا بهذا الاسم، وبنى بها قصره وأصحابه حوله[1]

استيلاء القرامطة على عُمان

٣١٥هـ في هذه السنة استولى أبو طاهر القرمطي على عمان، فهرب واليها في البحر إلى فارس[2]

وقعة أبي طاهر مع ابن أبي الساج

وفيها في شوال: ((أسر ابن أبي الساج - في يد سليمان بن الحسن القرمطي - واصطلم عسكره وأتى على أكثر من ثلاثين ألف فارس وراجل مع تفرق كثير من أصحابه عنه في الطريق وتأخرهم عنه، وصاحب البحرين في نحوٍ من ألفين من المقاتلة أكثرهم رجالة ثم مسيره من الكوفة حتى جاز الأنبار وقطع عدة من أصحابه الفرات إلى الجانب الشرقي، فقتلوا من كان في الأنبار من القواد منهم المعروف بالحارثي وبرغوث وابن بلال ومحمد بن يوسف الحرري وغيرهم من الأولياء، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذي القعدة من هذه السنة))[3].

قال أيوب صبري دخل يوسف بن أبي الساج المغرور بكثرة عساكره - أربعين ألفاً - وحاصر القرامطة - ألف وخمسمائة جندي منهم سبعمائة فارس - في موضع حصين ووجه سفيراً برسالة إلى أبي الطاهر ليحدثه عن كثرة جيشه ويوصيه فيها بالدخول في طاعة الخليفة، فقال أبو طاهر لأحد أتباعه. اقتل نفسك بسلاحك من أجلي، وبعد أن اقتدى بهذا الكلب أبو طاهر بالروح، قال للرسول. لقد رأيت بعينك كيف يطيعون أوامري!!، قل ليوسف أن يستعد، وبإذن الله سأقبض عليه غداً وأربطه مع الكلب في حبل واحد، وأشار إلى الكلب الذي كان مربوطاً بوتد خيمة.

وصرف الرسول، وفي غد ذلك اليوم استطاع أن يقبض على يوسف بن أبي الساج مع أتباعه، وربطهم في سلسلة ضخمة، وربط يوسف بجانب الكلب الذي أراه للرسول[4].

---

(١) مخطوط: عقد اللآل في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل١٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) التنبيه والإشراف للمسعودي ت٣٤٥هـ ص٣٣١

(٤) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج٢ ص٨٥٦، وعن هذه الوقعة والتحركات التي تلتها قال ابن خلدون خرج أبو طاهر سنة خمس عشرة وقصد الكوفة، وجاء الخبر إلى ابن أبي السّاج فخرج من واسط آخر رمضان يسابق أبا طاهر إليها، فسبقه أبو طاهر، وهرب العمال عنها واستولى على الأتراك والعلوفات التي أعدت بها ووصل ابن أبي السّاج ثامن شوال بعد وصول أبي طاهر بيوم، وبعث يدعوه إلى الطاعة للمقتدر، فقال لا طاعة إلا لله، فآذنه بالحرب وتراجعوا يوماً إلى الليل ثم انهزم أصحاب ابن أبي السّاج وأسروا ووكل أبو طاهر طبيباً يعالج جراحه، ووصل المنهزمون ببغداد فأرجفوا بالهرب، وبرز مؤنس المظفر لقصد الكوفة وقد سار ـ

مسير أبي طاهر إلى زبارا على بعد يوم من بغداد

عودة إلى رواية المسعودي وترتيبه للأحداث. ((وحلف السواد والذرية وعبر في جريدة خيل من أصحابه إلى الأنبار، وسار عنها يريد الحضرة، حتى انتهى إلى النهر المعروف بزبارا فوق التل المعروف بعقرقوف بفرسخ وذلك على بعض يوم من مدينة السلام، وكان مؤنس الخادم نصر، ونصر المعروف بالقشوري، وأبو الهيجاء عبدالله بن حمدان، وكان أصنفه وغيره ممن سمّينا أنه أسر معه قبل رحيله لمواقعة ابن أبي الساج وسائر من كان بالحضرة من عساكر السلطان معسكرين على هذا النهر، فلمّا أحسوا بدنوّه قطعوا القنطرة التي عليها وصار النهر حاجزاً بين الفريقين فشرع قوم من رجاله فرموا بالنشاب، وذلك اليوم الثاني عشر والثالث عشر من ذي القعدة من هذه السنة ورجع يريد الأنبار))[1].

لقاء أبي طاهر بيلبق غلام مؤنس

((وبعث مؤنس غلامه يلبق في نحو من ثلاثة، وقيل من سبعة آلاف على طريق قصر ابن هبيرة من طريق الكوفة، فعبروا على جسر الفرات المعروف بجسر سورا وساروا في البر ليخالفوه إلى سواده. وقد كان قوم من الأولياء، شرعوا في الماء، فأحرقوا الجسر الذي عقده، فحصل في الجانب الشرقي وسواده في الجانب الغربي.

وقيل إنه قطع الجسر عند عبوره، وتأدى إليه خبر يلبق فعبر الفرات في زورق عشرة عشرة من أصحابه، فيهم ثلاثة إخوة له، وعبر خلق سباحة فسبق إلى سواده. وقتل أخواه أبو العباس الفضل وأبو يعقوب يوسف، وكانا في السواد ابن أبي الساج حين بلغهما قرب يلبق منهم، فلقي يلبق. فأتى على أكثر من كان معه ونجا يلبق مكسراً. وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة))[2]

مسير أبي طاهر إلى هيت

قال المسعودي ((وسار إلى مدينة هيت في ثقته فنزل عليها وحصرها - وأنا يومئذ بها منحدراً من الشام أريد مدينة السلام - وعبر أصحابه الذين كانوا في جانب الأنبار على أطواف اتخذوها في الموضع

= القرامطة إلى عين التمر فبعث مؤنس من بغداد خمسمائة سرية ليمنعهم من عبور الفرات. ثم قصد القرامطة الأنبار ونزلوا غربي الفرات، وجاؤوا بالسفن من الحديثة، فأجبر فيهم ثلاثمائة منهم، وقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم واستولوا على مدينة الأنبار. وجاء الخبر إلى بغداد فخرج الحاجب في العساكر، ولحق بمؤنس المظفر واجتمعوا في نيف وأربعين ألف مقاتل إلى عسكر القرامطة ليخلصوا ابن أبي الساج، فقاتلهم القرامطة وهزموهم. وكان أبو طاهر قد نظر إلى ابن أبي الساج وهو يستشرف إلى الخلاص، وأصحابه يشيرونه، فأحضره وقتله وقتل جميع الأسرى من أصحابه، وكثر الهرج ببغداد، واتخذوا السفن بالانحدار إلى واسط ومنهم من نقل متاعه إلى حلوان.

(1) التنبيه والإشراف ص٣٣٢.

(2) نفس المصدر ص٣٣٢

المعروف بفم بقة أسفل هيت، فاجتمعوا فيه فوقع أهل هيت يوم الأحد لثمان خلون من ذي الحجة من هذه السنة ٣١٥هـ))[1].

استيلاء القرامطة على الرحبة وقرقيسيا وبث السرايا

((وعاد إلى معسكره وارتحل عنها يوم الاثنين صبيحة الوقيعة إلى ناحية رحبة مالك بن طوق وارتفعت من معسكره دار عظيمة عند السحر قبل رحيله، فظننا أنه يريد معاودة الحرب وإذا هو قد ضرب ثقله بالنار لكثرة الذرية والثقلة وقلة الظهر، وصار إلى الرحبة وعليها يومئذ أبو جعفر محمد بن عمرون التغلبي فافتتحها عنوة ونزلها وهي من الجانب الشامي، وقرقيسيا وهي من الجانب الجزري، وبث منها السّرايا إلى النواحي، منها سرية إلى كفرتوثا ورأس العين ونصيبين عليها الحسين بن علي بن سنبر الثقفي، ومعاذ الأعرابي الكلابي، فأوقعوا بالأعراب من تغلب والنمر وغيرهم من الحاضرة))[2].

توجيه سرية إلى الرقة بقيادة ابن سنبر الثقفي ومعاذ الكلابي

((ووجه بسرية له في نحو ألفين، وقيل دون ذلك إلى الرقة، وهي على ثلاثين فرسخاً من الرحبة، وكان على السرية الحسين بن علي بن سنبر ومعاذ الكلابي أيضاً، وكان نزولهما عليها، لثمان بقين من جمادى سنة ٣١٦هـ، وأميرها غلام جني الصفواني، فكان القتال بينهم يوم الثلاثاء والأربعاء لخمس بقين من هذا الشهر، وانصرفوا في آخر يوم الأربعاء، وقد أصيب عدة من الفريقين، إلا أكثر منهم من السرية، راجعين إلى الرحبة))[3]

بناء دار الهجرة والدعوة إلى المهدي

قال ابن تغري بردي: ((في المحرم دخل أبو طاهر القرمطي الرحبة بعد حروب ووضع فيها السيف فبعث إليه أهل قرقيسيا يطلبون الأمان فأمنهم وبعث سراياه في الأعراب فقتلوا ونهبوا وسبوا ثم دخل قرقيسيا ونادى: لا يظهر أحد من أهلها نهاراً. فلم يظهر أحد ثم توجه إلى الرقة فأخذها. ولما رأى الوزير علي بن عيسى أن الهجري -أعني القرمطي- استولى على البلاد استعفى من الوزارة. ولما رجع القرمطي من سفره بنى داراً وسماها دار الهجرة ودعا إلى المهدي العلوي وتفاقم أمره وكثر أتباعه فعند ذلك ندب الخليفة المقتدر هارون بن غريب وبعثه إلى واسط وبعث صافياً إلى الكوفة فوقع هارون بجماعة من القرامطة فقتلهم وبعث بجماعة منهم أسارى على الجمال إلى بغداد ومعهم ١٧٠ رأساً))[4].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه ص٣٣٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) النجوم الزاهرة ليوسف بن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ

تحركاته حول هيت والكوفة والقادسية والبصرة والبحرين

قال المسعودي: ((وأقام صاحب البحرين بالرحبة يروي في نزول مدينة الرملة من بلاد فلسطين أو مدينة دمشق فيما حكى، ثم عمل على الرجوع إلى بلده لأمور قد ذكرناها في غير هذا الموضع من أخبارهم، فسار عن الرحبة في أول شعبان سنة ٣١٦هـ في البر والماء منحدراً في الفرات، وكان مقامه في الرحبة إلى أن خرج عنها نحواً من سبعة أشهر، فنزل على هيت ثانية فقاتلهم قتالاً شديداً في الماء والبر، ولم يكن معه في الأولى سفن، ثم انحدر عنهم وسار إلى ناحية الكوفة والقادسية، وامتار واجتاز بظاهر البصرة وعاد إلى البحرين، وذلك في آخر المحرم وأول صفر سنة ٣١٧هـ))[1].

قصيدة أبي طاهر عند عودته إلى هجر

كان أبو طاهر على يقين من ضعف الخلافة العباسية لذلك كان يأمل في الاستيلاء على العراق وغيره من الأقطار الإسلامية وإقامة الدعوة للمهدي في هذه الأقطار، يتضح ذلك من قوله حين عاد إلى هجر[2]:

أَغَرَّكُمُ مِنِّي رُجُوعِي إِلَى هَجَرْ ... فَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ يَأْتِيكُمُ الخَبَرْ

إِذَا طَلَعَ المَرِّيخُ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ ... وَقَارَنَهُ النَّجْمَانِ فَالحَذَرَ الحَذَرْ

فَمَنْ مُبْلِغٌ أَهْلَ العِرَاقِ رِسَالَةً ... بِأَنِّي أَنَا المَرْهُوبُ فِي البَدْوِ وَالحَضَرْ

فَيَا وَيْلَهُمْ مِنْ وَقْعَةٍ بَعْدَ وَقْعَةٍ ... يُسَاقُونَ سَوْقَ الشَّاءِ لِلذَّبْحِ وَالبَقَرْ

سَأَصْرِفُ خَيْلِي نَحْوَ مِصْرٍ وَبُرْقَةٍ ... إِلَى قَيْرَوَانِ التُّرْكِ وَالرُّومِ وَالخَزَرْ

أُكِيلُهُمُ بِالسَّيْفِ حَتَّى أُبِيدَهُمْ ... فَلا أُبْقِي مِنْهُمْ نَسْلَ أُنْثَى وَلا ذَكَرْ

أَنَا الدَّاعِ لِلْمَهْدِيِّ لا شَكَّ غَيْرُهُ ... أَنَا الصَّارِمُ الضِّرْغَامُ وَالفَارِسُ الذَّكَرْ

أُعَمَّرُ حَتَّى يَأْتِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمٍ ... فَيَحْمَدُ آثَارِي وَأَرْضَى بِمَا أَمَرْ[3]

وهذه أبيات أخرى قالها سليمان أبو طاهر يتغنّى بها وهو عائد إلى هجر يسخر فيها من مؤنس قائد الخليفة:

قُولُوا لِمُؤْنِسِكُمْ بِالرَّاحِ كُنْ آنِساً ... وَاسْتَتْبِعِ الرَّاحَ سُرْنَايَا وَمِزْمَارَا

وَقَدْ تَمَثَّلْتُ عَنْ شَوْقٍ تَقَادَفَ بِي ... بَيْتاً مِنَ الشِّعْرِ لِلْمَاضِينَ قَدْ سَارَا

---

(١) التنبيه والإشراف للمسعودي ص٣٣٤.

(٢) قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين - لمحمد عبدالفتاح عليان.

(٣) هذه القصيدة تتبعتها في أكثر من مصدر وأخرجتها بهذا الشكل بعد أن كانت أبياتاً متفرقة. وقد ذكر بعض أبياتها ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة حين قال: ((وكان أبو طاهر المذكور مع قلة دينه عنده فضيلة وفصاحة وأدب)) ثم ذكر القصيدة.

((تَزُورُكُمْ لا تُواخِذُكُمْ بِجَفْوتِكُمْ إنَّ الكَرِيمَ إذا لَمْ يُسْتَزَرْ زَارا))
وَلا تَكُونُ كَأَنْتُمْ فِي تَخَلُّفِكُمْ مَنْ عَالَجَ الشَّوْقَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارا[1]

فرض الإتاوة على أعراب الجزيرة قبل العودة إلى هجر

((خرجت العساكر من بغداد لدفاع القرمطي مع مؤنس المظفر وهارون بن غريب الخال فلم يطيقوا دفاعه، وتوافقوا ثم تحاجزوا، وعاد مؤنس إلى بغداد، وسار هو إلى الرحبة واستباحها ودوّخ بلاد الجزيرة بسراياه، وسار إلى هيت والكوفة، وقاتل الرقة فامتنعت عليه، وفرض الإتاوة على أعراب الجزيرة يحملونها إلى هجر، ودخل في دعوته جماعة من بني سليم بن منصور وبني عامر بن صعصعة، وخرج إليه هارون بن غريب الخال فانصرف أبو طاهر إلى البرية، وظفر هارون بفريق منهم فقتلهم وعاد إلى بغداد، وفي سنة سبع عشرة هجم على مكة))[2]

ظهور القرامطة البقلية بسواد الفرات

((شجعت الاضطرابات التي أثارها أبو طاهر القرمطي في جنوب العراق أنصار عبدان ويطلق عليهم غريب بن سعد، فتجمعوا من جديد حول زعيمين يدعى أحدهما عيسى بن موسى، وهو ابن أخت عبدان، والآخر حريث بن مسعود وكانوا من الكثرة بحيث إن ما تجمع حول حريث بن مسعود وحده كان يزيد على عشرة آلاف وظهر قرامطة يعرفون بالبقلية بسواد الفرات ومعهم قوم من الأعراب من بني رفاعة وذهل وعبس، وأمدوا، وكان عليهم رؤساء منهم يقال لهم عيسى بن موسى، ابن أخت عبدان القرمطي، وحريث بن مسعود فأوقعوا وقائع عظيمة وأخذوا الحربة ممن خالفهم على رسوم أحدثوها))[3].

خلع المقتدر بالله ومبايعة القاهر بالله

٣١٧هـ قال ابن خلدون في شهر محرم، لما جاء مؤنس إلى الدار هرب ابن ياقوت وسائر الحجبة والخدم والوزير وكل من بالدار، ودخل مؤنس فأخرج المُقْتَدِر وأمه وولده وخواص جواريه، فنقلهم إلى داره واعتقلهم بها، وبلغ الخبر هارون بن غريب بقُطْرَبُّل، فدخل إلى بغداد واستتر، ومضى ابن حمدان إلى دار ابن طاهر فأحضر محمد بن المعتضد، وبايعوه ولقبوه القاهر بالله وأحضروا القاضي أبا عمر المالكي عند المُقْتَدِر للشهادة عليه بالخلع، وقام ابن حمدان يتأسف له ويبكي ويقول: كنت أخشى عليك مثل هذا ونصحتك فلم تقبل، وآثرت قول الخدم والنساء على قولي، ومع هذا فنحن عبيدك وخدمك. وأودع كتاب الخلع عند القاضي أبي عمر، ولم يظهر عليه أحداً حتى سلمه إلى المُقْتَدِر بعد عوده، فحسن موقع ذلك منه وولاه القضاء، ولما تم الخلع عمد مؤنس إلى دار الخليفة فنهبها، ومضى ابن نفيس إلى تربة أم المُقْتَدِر فاستخرج من بعض قبورها ستمائة ألف دينار وحملها إلى القاهر.

---

(١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة في الحديقة ص٢٨٧

(٢) تاريخ ابن خلدون..

(٣) راجع تاريخ الطبري

تعلق القاهر بابن حمدان لإنجاده وعودة المقتدر للخلافة

ثم يضيف ابن خلدون في وصف تلك الأحداث قوله "وقصد أبو الهيجاء حمدان الفرات فتعلق به القاهر واستقدم به فقال له: اخرج معي إلى عشيرتي أقتل دونك، فوجد الأبواب مغلقة فقال له ابن حمدان: قف حتى أعود إليك، ونزع ثيابه ولبس بعض الخلقان، وجاء إلى الباب فوجده مغلقاً والناس من ورائه، فرجع إلى القاهر وتمالأ بعض الخدام على قتله، فقاتلهم حتى كشفهم ودخل في بعض مسارب البستان، فجاؤوه فخرج إليهم فقتلوه وحملوا رأسه، وانتهى الرّجالة إلى دار مؤنس يطلبون المُقْتَدِر، فسلمه إليهم وحملوه على رقابهم إلى دار الخلافة، فلمّا توسط الصحن المنيمي اطمأن وسأل عن أخيه القاهر وابن حمدان، وكتب لهما الأمان بخطه، وبعث فيهما فقيل له إن ابن حمدان قد قتل، فعظم عليه وقال: والله ما كان أحمد بسيف في هذه الأيام غيره، وأحضر القاهر فاستدناه وقبل رأسه، وقال له لا ذنب لك ولو لقّبوك المقهور لكان أولى من القاهر، وهو يبكي ويتطارح عليه حتى حلف له على الأمان، فانبسط وسكن"

٣١٧هـ ذكر ابن الأثير: ((أن القاهر حينما تولى الخلافة لأول مرة بعد المقتدر سنة ٣١٧هـ أقطع أبا الهيجاء مضافاً إلى ما بيده من أعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وهمذان وكنكور وكرمان وشاهان والراذانات ودقوقى وخانيجار ونهاوند والصيمرة والسيروان وماسبذان وغيرها)). ومن هذا الخبر يتضح لنا حدود الدولة الحمدانية كيف توغلت بحدودها لتشغل أجزاء كبيرة من الإقليم الفارسي الشمالي.

هجوم القرامطة على مكة المشرفة والدعوة للمهدي

٣١٧هـ خرج الحج من بغداد إلى مكة وهم سالمين، فلحقهم أبو طاهر بمكة يوم التروية قبل طلوعهم عرفات بساعات، فقاتله أمير مكة ومن معه ولم يكن إلا القليل حتى هزمهم وأعمل فيهم السيف ونهب





الحجيج وقتلهم في المسجد الحرام ورمى البيت بنفسه ورمى مئات القتلى في بئر زمزم وخلع باب الكعبة ووقف يلعب بسيفه على باب الكعبة وهو يقول

أنا بالله وبالله أنا   يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وأخذ كسوة الكعبة فقسمها بين أصحابه ونهب دور أهل مكة وخلع الحجر الأسود من البيت ووضعه على سبعين جمل فسيرهم به وهم ينصرفون من مكة إلى هجر فلمّا بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبدالله العلوي الفاطمي بإفريقية كتب إليه ينكر عليه فعلته

وفي اليوم السابع من ذي الحجة، وافاها صاحب البحرين عدو الله أبو طاهر سليمان بن أبي ربيعة الحسن القرمطي مكة، في تسعمائة من أصحابه، وقتل في المسجد الحرام ألفاً وسبعمائة وقيل ثلاثة عشر ألفاً من الرجال والنساء.

وقتل في سكك مكة وظاهرها وشعابها من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفاً وشيء من الناس والصبيان مثل ذلك، فكان ممن قتله بمكة أميرها ابن محارب[1]

ذكر ابن الأثير أن أمير مكة هو ابن مخلب، قال: ((فخرج إليه ابن مخلب أمير مكة في جماعة من الأشراف فسألوه في أموالهم فلم يشفعهم فقاتلوه فقتلهم أجمعين، فلمّا بلغ ذلك أبا محمد عبيدالله العلوي بإفريقية كتب إليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة ويقول: قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت، وإن لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم وترد الحجر الأسود إلى مكانه وترد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة)).

---

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج١ ط١ ١٩٨٣ ص٥٠٨-٥٠٩

قال ابن شدقم: شرع مع أصحابه بضرب رقاب العالم، فلذي قتل ألف وسبعمائة رجل، قيل بل ثلاثة عشر ألف رجل فمنهم الشيخ علي بن بابويه القمي قطع أطرافه وهو يقول:

تَرَى الْمُحِبِّينَ صَرْعَى فِي دِيارِهِمُ كَفِتْيَةِ الْكَهْفِ لا يَدْرُونَ كَمْ لَبِثُوا

وأراد أحد المقام فدسه أهل مكة في شعبها، ثم قال: يا حمير أين ما قلتم ومن دخله كان آمناً؟ فرأيتهم أني قد دخلته وفعلت ما أردت وما رأيت منكم من تعرض لي؟ فقال رجل: ليس معنى الآية الشريفة كما ذكرت، وإنما المراد بقوله ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ أي أمّنوه. فلم يلتفت إليه. وخطب لعبدالله المهدي ومضى بالحجر الأسود إلى هجر معتقداً أن العالم يأتونه فيحجونه، فهلك تحته أربعون بعيراً[1] فلم تزل العالم تأتي إلى حج بيت الله الحرام، ولم يمض إلى هجر سوى العوام والجهال[2].

وقعة هذيل مع القرامطة أثناء رجوعهم

قال المسعودي: ((وجرد البيت مما كان عليه من الكسوة، وحمل ذلك على خمسين جملاً إلا ما أصابه الدم من عوذ الناس به فإنه تُرك، وذلك يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣١٧هـ، وكان مقامهم بمكة ثمانية أيام يدخلونها غدوة ويخرجون منها عشيًا يقتلون وينهبون، ورحل عنها يوم السبت من هذا الشهر، وعرضت له هُذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر وهم رجالة في المضايق والشعاب والجبال وحاربوه حرباً شديداً بالنبل والخناجر ومنعوه من المسير واشتبهت عليهم الطرق فأقاموا بذلك ثلاثة أيام حائرين بين الجبال والأودية.

وتخلص كثير من النساء والرجال المأسورين و قتطعت هذيل مما كان معهم ألوفاً كثيرة من الإبل والثقلة، وكانت ثقلته على نحو مائة ألف بعير عليها أصناف المال والأمتعة إلى أن دلَّه عبد أسود من عبيد هذيل يقال له زياد استأمن إليه على طريق سلكه فخرج عن المضايق وسار راجعاً إلى بلده))

نهاية دولة الأخيضريين في اليمامة

تذكر بعض المصادر التاريخية أن نهايةَ دولةَ آل الأخيضر كانت في سنة ٣١٧هـ، وقيل٣٢٥هـ، إلا أن الرحالة ناصر خسرو عندما مرّ باليمامة خلال رحلته في سنة ٤٤٣هـ قال عنها: (وأمراؤها علويون منذ القديم) وإنهم على مذهب الزيدية.

ادعاء أبي طاهر سلمان بن الحسن النسب العلوي

يقول ابن إياس: في دولة الخليفة القاهر بالله.. تغلبت على الخلفاء طائفة من العربان يقال لهم القرامطة، وكان أميرهم يدعى أبا طاهر القرمطي وكان يدعي أنه علوي من أولاد الإمام علي ﷺ وكان يقول نحن أفضل من بني العباس، وكانت هذه القبيلة دون الألف إنسان، وكان أبو طاهر القرمطي خارجيًّا سفاكاً للدماء جاهلاً وكان القرامطة يسكنون بهجر[3].

---

(١) أي أن الجمل يموت تلو الآخر عندما يوضع على ظهره الحجر، فنفقت جمال كثيرة

(٢) راجع: تحفة الأزهار لضامن بن شدقم تحقيق كامل الجبوري ج١ ص٤١٦.

(٣) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي ط١/١٩٧٤م تحقيق وتقديم محمد مصطفى.

استيلاء القرامطة على الربذة وتخريبها

٣١٩هـ كانت الربذة في الأصل قرية مشهورة، وقد استولى عليها القرامطة في سنة ٣١٩هـ وخربوها وأجبروا أهاليها على الهجرة.

((وسبب استيلاء القرامطة على الربذة. كان بدعوة أهالي قرية ضرية[١] للقرامطة، لأن الحروب كانت متوالية ومستمرة بين سكان قريتي الربذة وقرية ضرية وكان النصر دائماً بجانب أهل الربذة. ولما رأى سكان ضرية أن الانتصار على أهل الربذة مستحيل، طلبوا العون من القرامطة، وكان القرامطة يريدون أن يستولوا على الحرمين المحترمين، ولما ساعدوا أهالي قرية ضرية بسوق كتائبهم، فاضطر أهل قرية الربذة إلى ترك قراهم وهاجروا إلى أماكن أخرى ولم يعودوا إليها بعد))[٢].

تخريب الكوفة أيضاً على يد القرامطة

٣١٩هـ أغار أبو طاهر القرمطي على الكوفة وهدد بغداد ثم رجع إلى بلاده وهو ينشد:

أَغَرَّكُمْ مِنِّي رُجُوعِي إلى هَجَرْ ... فَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ يَأْتِيكُمُ الْخَبَرْ

الأبيات المعروفة[٣] قال المقريزي. فلما كان في رمضان سنة (٣١٩هـ) سار إلى الكوفة، فعاث عسكره في السواد وأسروا خلقاً، واشتروا أمتعة، ورجعوا بعد خمسين ليلة أقاموا بها إلى بلدهم.

وبعث أبو طاهر سرية في البحر نحو أربعين مركباً فوضعوا السيف في أهل الساحل، ولم يلقوا أحداً إلّا قتلوه من رجل وامرأة وصبي، فما نجا منهم إلا من لحق بالجبال، وسبوا النساء واجتمع الناس، فقتلوا منهم في الحرب معهم خلقاً كثيراً وأسروا جماعة ثم تحاملوا عليهم وتبددوا بالشهادة، وجدوا فقتلوا أكثرهم، وأخذوا جميع من بقي أسراً بحيث لم يفلت منهم أحد، وحملت الأسرى إلى بغداد مع الرؤوس وهم نحو المائة رجل ومائة رأس فحبسوا ببغداد، ثم خلصوا وصاروا إلى أبي طاهر[٤].

استشهاد المقتدر بن المعتضد وخلافة القاهر بن المعتضد

٣٢٠هـ وقع بين مؤنس والمقتدر بالله أبي الفضل جعفر حرب خرج فيه المقتدر فتوغل في المعركة فضربه بربري من خلفه فسقط على الأرض، فقال لضاربه: ويحك أنا الخليفة! فقال: أنت المطلوب وذبحه بالسيف ورفع رأسه على الرمح وسلب ما على بدنه وبقي مكشوف العورة حتى ستر بحشيش، ثم

---

(١) راجع كلامنا في بداية الدولة العباسية من أن أول حبيبة عباسي قد أقطع ضرية لبني جعفر بن كلاب، ثم باعوها وصارت في يد بني جعفر بن سليمان بن عبدالله بن العباس، ويقول أبو علي الهجري. فعامتها اليوم لولد سليمان بن جعفر العباسيين. فعلى هذا الأساس فإن سكان ضرية هم بنو جعفر الكلابيين وبنو جعفر العباسيين، والفرق بينهما أن الكلابيين قبيلة والعباسيين عائلة

(٢) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، أيوب صبري باشا ج٤ ص٨٣٩.

(٣) انظر مجلة الوثيقة عدد١ سنة٨٢ قرامطة البحرين ص١٦٥

(٤) اتعاظ الحنفا للمقريزي د. الشيال ط١٩٦٧م ص١٨٢

حفر له مكانه فدفن وعفي أثره. وكانت وفاته لثمان بقين من شوال سنة ٣٢٠هـ ومدة خلافته أولاً وثانياً وثالثاً (٢٥ سنة) إلا أياماً، وعمره (٣٨ سنة وشهر ونصف)[١].

وبويع محمد القاهر بن المعتضد لليلتين بقيتا من شوال ٣٢٠هـ وكان مولده سنة ٢٨٧هـ ومدة خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام، ثم أجمعوا على خلع القاهر، واتفق بليق وابنه علي وابن مقلة والحسن بن هارون على البيعة لأبي أحمد بن المكتفي فبايعوه، وحلفوا له وأطلعوا مؤنساً على ذلك، فأشار بالمهل وتأنيس القاهر حتى يحرموا من واطأه من القواد والساجية والحجرية، فأبوا وهونوا عليه الأمر في استعجال خلعه فأذن لهم، فأشاعوا أن أبا طاهر القرمطي ورد الكوفة، وندبوا علي بن بليق للمسير إليه ليدخل للوداع ويقبض على القاهر. وكان القاهر رجلاً ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، أسمر معتدل الجسم أصهب الشعر، طويل الأنف، في مقدم لحيته طول لم يشب.

وبعث القاهر إلى مؤنس بالحضور عنده ليطالعه برأيه فأبى معرله، وولّى طريفاً السبكري مكانه وأعطاه خاتمه وقال: قد فوضت إلى ابني عَبْدالصمد ما كان المُقْتَدِر فوضه إلى ابنه محمد، وقلدتك خلافته ورياسة الجيش وإمارة الأمراء وبيوت الأموال، كما كان مؤنس وامض إليه واحمله إلى دار الخلافة مرفهاً عليه لئلا يجتمع إليه أهل الشرّ ويفسد ما بيننا وبينه. فسار طريف إلى مؤنس وأخبره بأمان القاهر له ولأصحابه، وحمله على الحضور عنده وهون عليه أمره، وأن القاهر لا يقدر على مكروهه. فركب وحضر فقبض عليه القاهر وحبسه قبل أن يراه، وندم طريف على ما فعل، واستوحش.

- وطلب أبا أحمد بن المكتفي فظفر به، وبنى عليه حائطاً فمات.

- فعمد القاهر إلى بليق في محبسه وأمر به فذبح وحمل الرأسين إلى مؤنس، فلمّا رآهما مؤنس استرجع ولعن قاتلهما فأمر به فذبح وطيف بالرؤوس.

خلع القاهر وخلافة أحمد الراضي بن المقتدر

٣٢٢هـ قال ابن خلدون: سيما رئيس الساجية، ارتاب بالقاهر وجمع أصحابه وأعطاهم السلاح، وبعث إلى الحجرية فجمعهم عنده وتحالفوا على خلع القاهر، وزحفوا إلى الدور وهجموا عليه، فقام من النوم ووجد الأبواب مشحونة بالرجال، فهرب إلى السطح ودلهم عليه خادم فجاؤوه واستدعوه للنزول فأبى فتهددوه بالرشق بالسهام، فنزل وجاؤوا به إلى محبس طريف السبكري، فحبسوه مكانه وأطلقوه حتى سمل بعد ذلك، وذلك لسنة ونصف من خلافته. وهرب الخصيبي وزيره وسلامة حاجبه. وقد قيل في خلعه غير هذا. ولما قبض القاهر بحثوا عن أبي العباس بن المُقْتَدِر وكان محبوساً مع أمه فأخرجوه وبايعوه وبعث القضاة إلى القاهر ليخلع نفسه، فأبى فسمل.

وفي رواية أخرى: ركبوا معه وصاروا إلى الدار ورتب على أبوابها غلماناً، ووقف هو على باب العامة، وأمر بالهجوم فهجموا كلهم من سائر الأبواب في وقت واحد، فبلغ الخبر الوزير الخصيبي،

---

(١) سمط النجوم العوالي م٣ ص٤٩٠.

فخرج في زي امرأة واستتر، فلمّا دخلوا على القاهر، هرب إلى سطح الحمام فاستتر فيه، فوجدوه وقبضوا عليه، وصاروا به إلى موضع المحبوس فحبسوه، ووكلوا بباب البيت جماعة.

وبويع أحمد الراضي بن المقتدر لست خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ وكان مولده في رجب ٢٩٧هـ وكانت خلافته ست سنين وثمانية أشهر وعشرة أيام وأمه أم ولد يقال لها ظلوم، وكان قصير القامة نحيف الجسم أسود الشعر رقيق السمرة في وجهه طول[1].

اعتراض القرامطة للحاج على الجابرية في ثاج

٣٢٢هـ رغبة من أبي طاهر في استعادة ثقة الناس به ورفع معنوياتهم استأنف نشاطه العسكري، فحاول غزو مدن الساحل الشرقي كما عاود اعتراض الحجيج فتصدى لهم (بالجابرية)[2] في ٢٢شوال سنة٣٢٢ فظفر بعدة قوافل ونهب ما معها من النفائس والأموال.

وفيها حج بالناس قاضي مكة على حاله، وأرسل حاجب الخليفة إلى أبي طاهر يسأله لكف عن الحاج جميعهم وأن يرد الحجر الأسود إلى موضعه، فأجاب ... وساروا إلى مكة وعادوا ولم يتعرض لهم القرامطة، ولم يجب على رد الحجر الأسود[3].

٣٢٣هـ حج بالناس قاضي مكة على حاله، وبطل الحج من بغداد لاعتراض القرمطي لهم في الطريق فيما بين القادسية والكوفة واستيلائه على أمتعة الناس وأحمالهم، فخرج جماعة من العلويين بالكوفة إلى أبي طاهر القرمطي وسألوه أن يكف عن الحج فكف عنهم، وشرط عليهم أن يرجعوا إلى بغداد فرجعوا ولم يحج من العراق أحد[4].

حكام الأقاليم في هذه السنين

٣٢٤هـ قطع ابن رائق حمل واسط والبصرة، وقطع البريدي حمل الأهواز وأعمالها، فضاقت أموال بغداد وعجز أبو جعفر الوزير فعزلوه...، واستوزروا سليمان بن الحسن ودام الحال توقفه... ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم فيها لابن رائق وليس للخليفة فيها حكم، وأما باقي الأطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق المذكور، وخوزستان في يد البريدي، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه، وكرمان في يد أبي علي محمد بن اليامي والري وأصفهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه ويد شمكير ابن زياد أخي مرداويج يتنازعان عليها، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان، ومصر

---

(١) العقد الفريد ج٥ ص٣٥١.

(٢) الجابرية: هي السودة ذكرها شارح ديوان ابن المقرب ج٢ ص١٠٣٤ وهي معروفة وتجمع أرضاً متسعة من أرض عامر، كثيرة المياه وبها زرع وعليها حصون وفيها من الخيل والإبل ما لا يحصى عددها، وملكها محمد بن منصور الجابري، وهو ذو قوة في زمانه

(٣) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج١ ط١ص٥١٧.

(٤) المصدر نفسه

والشام في يد الإخشيد محمد بن طغج، والمغرب وافريقيا في يد السامانى، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي.

((وفيها عاثت العرب من بني نُمير وقُشير وملكوا ديار ربيعة ومضر وشنوا الغارات وقطعوا السُّبُل وخلت المدائن من الأقوات لضعف أمر الخلافة، لأن الخليفة الراضي صار مع ابن رائق كالمحجور عليه))[1].

رحيل بني كلاب من نجد إلى الشام

٣٢٤هـ ولي حلب أبو العباس أحمد بن سعيد بن العباس الكلابي ومدحه أبو بكر الصنوبري وكان بها نائباً عن أبي بكر الإخشيد محمد بن طغج قال ابن العديم في تاريخ حلب: وفي ولاية أبي العباس الكلابي وردت بنو كلاب[2] إلى الشام من أرض نجد وأغارت على معرة النعمان فخرج إليها والي المعرة معاذ بن سعيد بجنده وتبعهم إلى البراعيثي فعطفوا عليه وأسروه وأكثر جنده. وأقام فيهم مدة يعذبونه فخرج إليهم العباس أحمد بن سعيد الكلابي ولي حلب فخلصه منهم وكان ورودهم في سنة ٣٢٥هـ. انتهى كلام ابن العديم. وقرأت في مصدر آخر أن ورودهم الشام كان في عام ٣٥٢هـ والله أعلم.

من بطون بني كلاب. صبيعة وذؤيبة وهي أسماء أمهاتهم وبهن يعرفون.

أولاد كلاب بن ربيعة

أولاد ذؤيبة بنت عمرو بن مرة بن صعصعة:
- جعفر
- معاوية (الضباب) ← بنو خالد
- ربيعة ← نفيل (وعونمير) ← أهل بيت بالبصرة

أولاد صُبيعة بنت مرة بن صعصعة وأمها سلول بنت ذهل بن شيبان:
- عمرو
- عبيد (أبو بكر)
- عامر ← الأصم، كعب ← عامر ← الوحيد
- الحارث (رؤاس) ← ليس لبني رؤاس بادية
- عبدالله
- كعب (الأضبط) ← حشر

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣-٨٧٤هـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ج٣ ص٢٥٨

(٢) ذكرت بعض المصادر التاريخية، أن بني كلاب وردوا من نجد إلى حلب في هذه السنة التي ذكرناها، ولكن قد ورد في هذا الكتاب أيضاً أن بني كلاب كانوا في قرقيسيا منذ بداية الدولة الأموية برئاسة زفر بن الحارث وأولاده من بعده، وهم من بني نفيل بن عمرو بن كلاب. ولعل المقصودين هذه المرة بطون أخرى من بني كلاب غير التي سبقتها في الهجرة وعلى وجه التحديد بني أبي بكر بن كلاب الذي منهم صالح بن مرداس مؤسس الدولة المرداسية في حلب سنة ٤١٤هـ.

اختلال أمر القرامطة

٣٢٦هـ ((اختل أمر القرامطة وبدأ فساد حربهم وقتل بعضهم بعضاً (يخربون بيوتهم بأيديهم) وسبب ذلك أن رجلاً منهم يدعى ابن سنبر له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك فقصد ابن سنبر إلى أصفهان لصاحب له هناك وقال له: إنما أني وقف على أسرار أبي سعيد وغوامص أحوال القرامطة أريد أن أرشدك على ذلك كله حتى أجعلك سيداً عليهم بشرط أن تقتل عدوي أبا حفص فأجابه فأخذ يعلمه ويرشده فجاء إلى أولاد أبي سعيد وأخبرهم بما يعرف وقالوا هذا ما نحن عليه فسيدوه

ولكن بعد ذلك عمل أبو طاهر وإخوته حيلة بهذا الرجل الصفوي بعدما شكوا في أمره ولما كشفوه على حقيقته قتلوه بعد ما أهلك منهم خلقاً كثيراً من عظمائهم وكان هذا سبب تمسكهم بهجر وترك البلاد)).

أول سنة يمكس الحاج في الإسلام

٣٢٧هـ ((حج بالناس أبو علي عمر بن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبدمناف العلوي.... فكاتب أبو علي عمر بن يحيى العلوي الفاطمي من العراق أبا طاهر القرمطي وكان يحبه لشجاعته وكرمه أن يخلي سبيل الحاج على مكس يأخذه منهم ويعطيه على كل جمل خمسة دنانير وعلى المحمل سبعة دنانير فأجابه إلى ذلك. فخرج من العراق رفقتان إحداهما على طريق الكوفة والأخرى على طريق البصرة فأخذ أبو طاهر منهم على كل محمل عشرين درهماً، وهي أول سنة مكس الحاج فيها ولم يعهد ذلك في الإسلام منذ الحاج وليس معهم أحد من أصحاب السلطان إلا رجل علوي من أهل الكوفة وهو أبو علي عمر بن يحيى العلوي بكتاب القرمطي إليه وذمامه، وكان أمير القافلة ويسيرون بسيره وينزلون بنزله إلى أن عادوا سالمين))[1].

٣٢٨هـ حج بالناس عمر بن يحيى بن الحسن بن الحسين العلوي من العراق[2].

وفاة الراضي وخلافة المتقي بن المقتدر

٣٢٩هـ وفيها: توفي الراضي أبو العباس أحمد بن المُقْتَدِر في ربيع الأول لسبع سنين غير شهر من خلافته وكان آخر خليفة خطب على المنبر وإن خطب غيره فنادر. وآخر خليفة جالس السمر ووصل الندماء، ودولته آخر دول الخلفاء في ترتيب النفقات والجوائز والجرايات والمطابخ والخدم والحجاب[3]

وبويع للمتقي لله إبراهيم بن المقتدر بالخلافة يوم موت أخيه الراضي، فصلى ركعتين وركب

---

(١) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص٢٤١

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج١ ط١ ١٩٨٣ ص٥١٩.

(٣) تاريخ ابن خلدون المجلد الثالث.

السرير، وكان ذا دين وورع وزهد ولهذا لقبوه المتقي، ولم يكن له من الخلافة إلا الاسم، والتصرف لتوزون.

ثم إنه زاد استيلائه فخلع المتقي، وسلمه لابن عمه المستكفي فأخرجه إلى جزيرة بقرب السند، وأكحله بعد أن أشهد المتقي على نفسه بالخلع سنة ٣٣٣هـ فكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً. وكان عمر المتقي (٣٢ سنة و٦ أشهر و ١٢ يوماً)[1]. وكان المتقي تعلوه حمرة، أصهب شعر اللحية كث اللحية بفكه الأدنى عوج ووزر له أحمد بن محمد بن ميمون، ثم اليزيدي ثم سليمان بن الحسن بن مخلد ثم أبو إسحاق محمد بن أحمد القراريطي ثم محمد بن قسم الكرخي ثم أحمد بن عبدالله الأصبهاني ثم علي بن محمد بن مقلة[2].

٣٣٠هـ وفيها وقعة بين الأتراك والقرامطة بناحية باب حرب، فانهزمت القرامطة[3] وخرجوا من بغداد بعد أن دخلوها مع علي بن محمد أخي البريدي ومعهم الترك والديلم وحصل لهم نهب بغداد وخرج الخليفة المتقي وابنه هاربين إلى الموصل.

٣٣١هـ حج بالناس القرمطي على مال أخذه منهم.

لجوء رئيس البصرة البريدي إلى هجر مستجيراً

٣٣٢هـ قام بالأمر بالبصرة أبو الحسن البريدي بعد أخويه، فأساء السيرة في الجند فثاروا به ليقتلوه. فهرب منهم إلى هجر مستجيراً بالقرامطة وولوا عليهم بالبصرة أبا القاسم ابن أخيه أبي عَبْدالله وأمد أبو طاهر القرمطي أبا الحسن، وبعث معه أخويه لحصار البصرة فامتنعت عليهم وأصلحوا بين أبي القاسم وعمّه، ودخل البصرة وسار منها إلى توزون ببغداد.

وفاة أبي طاهر سليمان والنزاع على الحكم

وفيها مات أبو طاهر وتولى أخوه أحمد بن أبي سعيد القرمطي[4]، ولم يحج أحد لموت القرمطي. قال ابن إياس. ((وفيها هلك الخبيث الطريد من رحمة الله أبوطاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي الهجري القرمطي في شهر رمضان (مايو ٩٤٤م تقريباً) بالجدري بعد أن رأى في نفسه العبر وتقطعت أوصاله وهو الذي قتل الحجيج واستباحهم غير مرة واقتلع الحجر الأسود وتولى مكانه أبو القاسم سعيد بن الحسن أخوه)).

((هلك لـ (٣١سنة) من ملكه، ومات عن عشرة من الولد كبيرهم سابور، وولي أخوه الأكبر أحمد

---

(١) سمط النجوم العوالي م٣ ص٤٩٣.

(٢) العقد الفريد ج٥ ص٣٥٢.

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣-٨٧٤هـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ج٣ ص٢٧٥.

(٤) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج١ ط١ ١٩٨٣ ص٥١٩.

ابن الحسن، واختلف بعض العقدانية عليه، ومدوا إلى ولاية سابور بن أبي طاهر، وكاتبوا القائم - الفاطمي - (ت٣٣٥هـ) في ذلك فجاء جوابه بولاية أحمد وأن يكون الولد سابور ولي عهده، فاستقر أحمد في الولاية عليهم وكنوه أبا منصور وهو الذي رد الحجر الأسود إلى مكانه، ثم قبض سابور على عمه أبي منصور فاعتقله بموافقة إخوته له على ذلك في سنة ٣٥٨هـ))[1].

((مات أبو طاهر بعد أن فرضت له الإتاوة في بغداد من قبل الخلفاء العباسيين وفي دمشق من قبل أمرائها من بني طغج وفي مصر حيث كان كافور الإخشيدي يدفع له كل سنة إتاوة (٨٠٠ألف). وله من العمر ٣٨سنة أمضى منها ٢٨سنة في الحكم زاخرة بالأحداث. وكان (أولاد أبي طاهر) حين وافاه الأجل صغاراً فتضلّع للقيام بأعباء الدولة أخواه (أبو العباس محمد) و(أبو يعقوب يوسف) يساعدهما سبعة ورراء برأسهم (أبو محمد سنبر بن الحسن) - أخته زوجة أبي طاهر القرمطي - وبعد حين قام أخوهم (سعيد) بالثورة على أخويه والاستيلاء على مقاليد الحكم. ولكنه لم ينجح في إحكام السيطرة على البلاد. فهب أخوه (أحمد) للإطاحة به بالتعاون مع كبار القرامطة والاستعانة بتوجيه العبيديين الفاطميين. وجرى الاتفاق على أن يظل أحمد بن الحسن يمارس مهم الحكم حتى يكبر سابور بن سليمان فيسلمه الحكم باعتباره ولي عهد أبيه)).

انقسام القرامطة إلى فريقين بعد وفاة أبي طاهر

[الفريق الأول] فيه أبناء أبي طاهر سليمان بن الحسن وعلى رأسهم سابور وعمه أحمد ومعهم بعض كبار القرامطة ويسمون العقدانية بقائهم على عقيدة أسلافهم في موالاة العبيديين [والفريق الثاني]. وفي مقدمتهم سعيد بن الحسن بن بهرام الجنابي ورأى هؤلاء ضرورة الالتزام بالاستقلال التام وممارسة الحكم بمفاهيم محلية خالصة لا سلطان عليها لأي قوة خارجية.

أبى سعيد الإذعان لهذه الترتيبات وأعدَّ جيشاً من مؤيديه سار به إلى عمان فاستولى عليه ولكن أحمد سير إليه جيشاً بقيادة ابنه الحسن الأعصم، وهناك دارت معركة حامية أسفرت عن هزيمة سعيد.

هجوم فاشل للقرامطة على عُمان

٣٣٢هـ قيام حملة بقيادة أبي علي حسن بن عاصم[2]، زحف فيها زعماء القرامطة بجحفل على عمان، غير أن شجاعة جنود يوسف بن وجيه والأتراك قضت عليهم، ولعل هذه المحاولة قد تمت سنة ٣٣٢هـ ويقول ابن خلدون إن محاولات زعماء القرمطة للاحتفاظ بعمان ظلت مستمرة ويائسة وإنها لم تتوقف حتى سنة ٣٧٥هـ[3].

---

(١) مخطوط. عقد اللآل في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل١٩

(٢) أظن المقصود في هذا الخبر هو أبو علي الحسن الأعصم بن أحمد.

(٣) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب. مايلز ط٣ ص١١٤.

خلافة عبدالله المستكفي بن علي

بويع في صفر ٣٣٣هـ وكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وأياماً. كان مولده في مستهل سنة ٢٩٢هـ وتوفي سنة ٣٣٩هـ وأمّه أمّ ولد يقال لها غصن وكان أبيض تعلوه حمرة أسود الشعر ضخم الجسم تامّ الطول خفيف العارضين كبير العينين أشهل جهوريّ الصوت[1] أقنى الأنف.

وفيها حج أمير العراق بإعطاء القرامطة، وكان أبو طاهر قد مات وولي أخوه أحمد بن أبي سعيد القرمطي[2].

سقوط بغداد في أيدي البويهيين وخلع الخليفة المستكفي بالله، ومبايعة المطيع لله

في عام ٣٣٤هـ- ٩٤٦م سقطت بغداد في أيدي البويهيين، والدولة البويهية (٣٢٠-٤٤٧هـ) كانت زيدية في البداية، ثم تحولت تدريجيًا إلى إمامية[3].

قال أبو الفدا: كان معزالدولة - أبو الحسين، أحمد بن بويه - في الأهواز فلمّا بلغه موت تورون سار إلى بغداد فلمّا قرب منها اختفى المستكفي بالله وابن شيرزاد فكانت إمارته ثلاثة أشهر وأياماً، وقدم الحسن بن محمد المهلبي صاحب معز الدولة إلى بغداد وسارت الأتراك عنها إلى جهة الموصل فظهر المستكفي واجتمع بالمهلبي وأعلمه أنه إنما استتر خوفاً من الأتراك .. ثم وصل معز الدولة إلى بغداد (١٢جمادى الأولى) واجتمع بالمستكفي وبايعه وحلف له المستكفي وخلع عليه... ونزل معز الدولة بدار مؤنس وأنزل أصحابه في دور الناس فلحق الناس من ذلك شدة عظيمة....

وأضاف أبو الفدا. وفي هذه السنة خلع المستكفي بالله أبوالقاسم عبدالله بن المكتفي علي بن المعتضد بن الموفق لثمان بقين من جمادى الآخرة وصورة خلعه أن معز الدولة وعسكره والناس حضروا إلى دار الخليفة بسبب وصول رسول صاحب خراسان فأجلس الخليفة معز الدولة على كرسي ثم حضر رجلان من نقباء الديلم وتناولا يد المستكفي بالله فظن أنهما يريدان تقبيلها فجذباه عن سريره وجعلا عمامته في عنقه ونهض معز الدولة فاضطرب الناس وساق المستكفي ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق بها شيء وكانت مدة خلافة المستكفي (سنة و٤ أشهر).

ولما بويع المطيع لله (٣٣٤-٣٦٣هـ) سلم إليه المستكفي فسمله وأعماه وبقي محبوساً إلى أن مات. وأمه أم ولد اسمها غصن. بويع أبو القاسم الفضل المطيع بن المقتدر بن المعتضد لسبع بقين من شعبان ٣٣٤هـ وكان مولده في النصف من ذي القعدة ٣٠١هـ وكانت خلافته (٢٩سنة) وأمه أم ولد تدعى مشعلة وكان شديد البياض أسود شعر الرأس واللحية.

---

(١) العقد الفريد ج٥ ص٣٥٢.

(٢) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص٢٤٢.

(٣) الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات لسعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع دمشق ط١/٢٠٠٤م ص٢١٣.

تلاشي أمر العرب ودولتهم أثناء الدولة البويهية والسلجوقية

قال ابن خلدون في تاريخه. تلاشى أمر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم، وصار الأمر للأعاجم والملك في أيديهم والتغلب لهم. وذلك في دولة الديلم والسلجوقية. وخالطوا أهل الأمصار وكثروهم فامتلأت الأرض بلغتهم، واستولت العجمة على أهل الأمصار والحواضر حتى بعدوا عن اللّسان العربي وملكته، وصار متعلمها منهم مقصراً عن تحصيلها، وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في فني المنظوم والمنثور، وإن كانوا مكثرين منه

وفي هذه السنة بطل الحج من العراق بسبب القرامطة[1].

وفاة القائم بأمر الله الفاطمي ووفاة الإخشيد

٣٣٥هـ توفي القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن المهدي عبيدالله صاحب المغرب (١٣شوال) وقام بالأمر بعده ابنه إسماعيل بن محمد وتلقب بالمنصور بالله وكتم موت القائم خوفاً من أبي يزيد الخارجي... ثم اتسم بالخلافة وضبط الملك والبلاد وفي هذه السنة أيضاً مات الإخشيد بدمشق وكان قد سار إليها من مصر وهو محمد بن طغج صاحب مصر ودمشق وكان مولده (٢٨٦هـ) ببغداد[2].

إعادة الحجر الأسود

٣٣٩هـ أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكة بعد ٢٢ سنة من أخذهم له، بعث به أخو أبي طاهر الجنابي مع محمد بن سنبر إلى المطيع حيث توسط الشريف أبو علي عمر بن يحيى العلوي بين الخليفة المطيع لله وبين القرامطة حتى أجابوا.

قال الجزيري حج بالناس عمر بن يحيى العلوي، فلمّا كان يوم الثلاثاء يوم النحر وافى سنبر بن حسن القرمطي مكة ومعه الحجر الأسود، فلما صار بفناء الكعبة ومعه أمير مكة أظهر الحجر من سفط وعليه ضباب فضة قد عملت من طوله وعرضه تضبط شقوقاً حدثت عليه بعد قلعه، وأحضر معه جصًا يشد به، فوضع سنبر الحجر بيده، ويقال إن الذي أعاد الحجر في مكانه حسن بن المرزق البناء وشده الصانع بالجص وقال سنبر لما رده: أخذناه بقدرة الله تعالى، ورددناه بمشيئته ﷻ. ويقال أخذناه بأمر وأعدناه بأمر. ونظر الناس إلى الحجر فتبينوه وقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى[3].

---

(١) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزري ص٢٤٢

(٢) المختصر في أخبار البشر. تاريخ أبي الفداء، وكان الإخشيد قبل مسيره عن مصر قد وجد بداره رقعة مكتوب عليها: ((قدرتم فأسأتم وملكتم فبخلتم ووسع عليكم فضقتم وأدرت لكم الأرزاق فقطعتم أرزاق العباد واغتررتم بصفو أيامكم ولم تفكروا في عواقبكم واشتغلتم بالشهوات واغتنام اللذات وتهاونتم بسهام الأسحار وهي صائبات ولا سيما أن خرجت من قلوب قرحتموها وأكباد أجعتموها وأجساد أعريتموها، ولو تأملتم في هذا حق التأمل لانتبهتم، أو ما علمتم أن الدنيا لو بقيت للعاقل ما وصل إليها الجاهل ولو دامت لمن مضى ما نالها من بقي فكفى بصحبة ملك يكون في زوال ملكه فرح للعالم)).

(٣) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص٢٤٢.

وللصلاح الصفدي رحمه الله تعالى من قصيدة له ذكرت منها ما قاله في الحجر الأسود:

فَيَا وَيْحَ القَرامِطَةِ الَّذِينَ … اسْتَطالُوا بالعُتُوِّ وبالفُجُورِ
لَقَدْ سَلَوهُ عُدْوَاناً وظُلْماً … إلى هَجَرٍ وَجَدُّوا في المَسِيرِ
أَتَوْا أمراً عَظِيماً فاسْتَحَلُّوا … بذلكَ حُرْمَةَ الأمرِ الخَطِيرِ
تَغَرَّبَ عِنْدَهُمْ عِشْرِينَ عاماً … وثلثَ عامِي من بعدِ الكسورِ
وَلَكِنَّ المُطِيعَ شَرَاهُ منهم … بخمسينَ ألفَ دينارٍ نضيرِ
وجاء لأخذه ابنُ عكيمٍ … وكانَ بأمرِهِ عينَ البصيرِ
ومنْ خُبْثٍ وَمَكْرٍ شَبَّهُوهُ … بآخَرَ، فعل بهتانٍ وزورِ
وجاؤوا والمسيرُ يضوعُ مِنْهُ … وقد لَفُّوهُ في خِرَقِ الحَرِيرِ
فَرَدُّوهُ إلى ما كانَ حَقًّا … وَأوْضَحَ ذلكَ بالعلمِ الضَّرُورِي[1]

أول تمكن الأشراف من الاستقلال بحكم مكة

٣٤٠هـ ((الأمير أبو محمد جعفر – بن محمد بن الحسين بن محمد الثائر – أول من ملك مكة من مني موسى الجون وهو مبتدأ تمكن الأشراف من حكومتها، وكان ذلك بعد الأربعين والثلاثمائة وكان حاكم مكة أنكجور التركي من قبل العزيز بالله الفاطمي، فقتله الأمير أبو محمد جعفر وقتل من الطلحية والهديلية[2] والبكرية خلقاً كثيراً، واستوت له تلك النواحي وبقيت في يده نيفاً وعشرين سنة، وكان له عدة أولاد منهم عبدالله (القود) أرسله أبوه إلى مصر بعد أن قتل أنكجور بعاديه فعفا عنه...[3].

وفاة المنصور إسماعيل بن محمد بن عبيدالله وولاية المعز

٣٤١هـ توفي المنصور بالله العلوي أبو طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيدالله المهدي سلخ شوال وكانت خلافته ٧ سنين و ١٦يوماً وكان عمره ٣٩ سنة، وكان خطيباً بليغاً يخترع الخطبة لوقته..، وعهد إلى ابنه أبي تميم معد ((المعز لدين الله)) وكان عمر المعز (٢٤)[4] وفي كتاب غاية الاختصار لابن زهرة يقول: ولد (المعز) سنة ٣٢٩هـ وبويع سنة ٣٤١هـ، وهو الذي ملك مصر وخرجت عساكره مع جوهر إلى الشام، مات سنة ٣٦٥هـ

قال ضامن بن شدقم في محمد بن عبدالله بن إسماعيل الأقطع بن محمد بن إسماعيل الأعرج بن

---

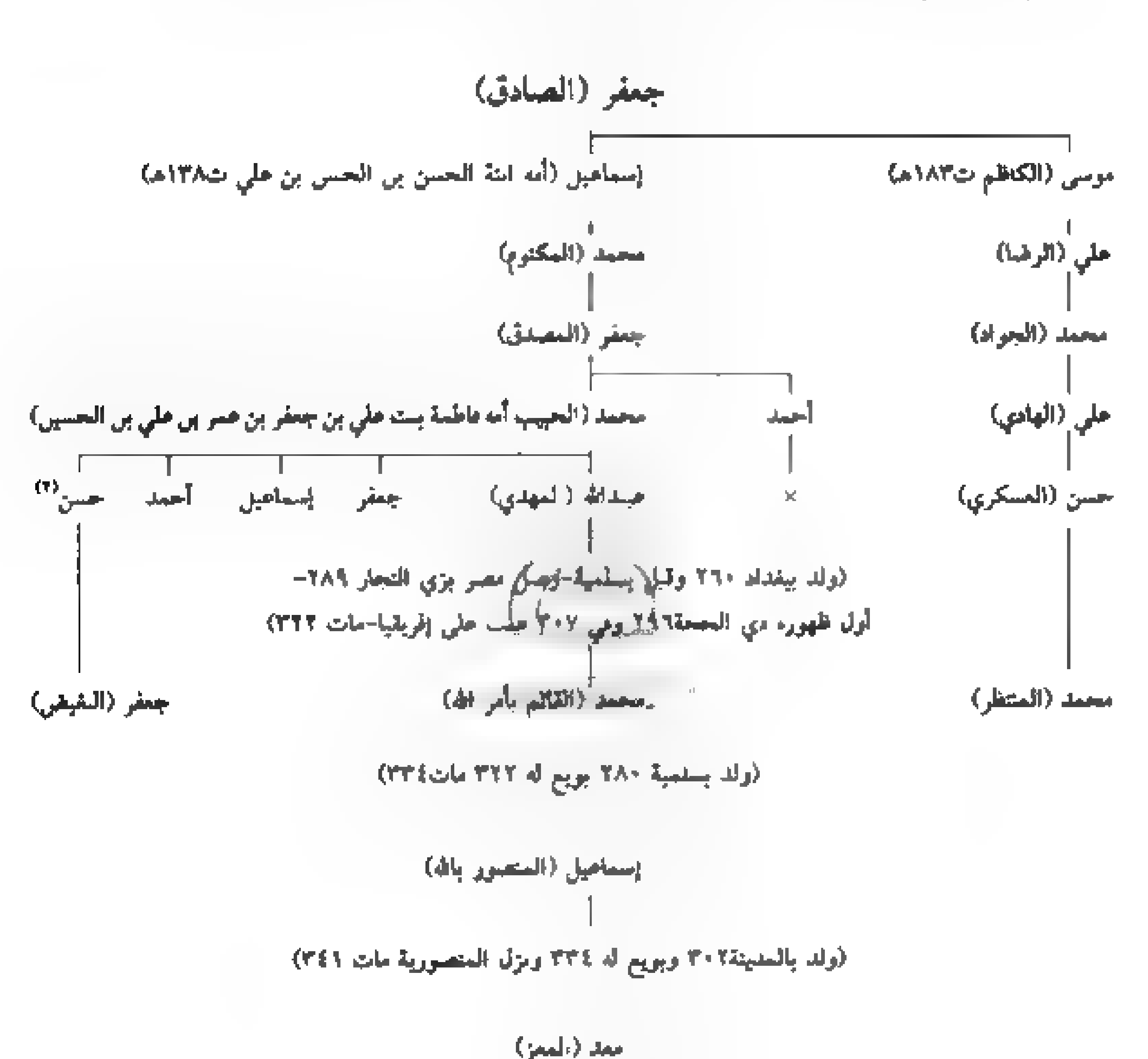
(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج١ ط١ ١٩٨٣ ص٥١٢

(٢) في تحفة الأزهار ص٤١٠ جاء بدلاً من الهذيلية (الهدلية). وقال أيضاً إنها بقيت في يده ١٧سنة، وقيل إنما كانت ولايته بها سنة٣٥٦ وقيل سنة٣٥٨، وقال أيضاً. يقال لولده بنو الحراني الثائر..

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: المعروف بابن عنبة ت٨٢٨هـ ص١٥٧.

(٤) المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ.

جعفر الصادق: خرج في أيام حياة يحيى بن زكرويه القرمطي وادعى أنه محمد هذا، فأنفذ إليه المكتفي بالله العباسي، محمد بن سليمان، فقتل يحيى، ثم إنه ادعى أخوه الحسين بن زكرويه أنه أحمد بن عبدالله هذا لقب بالمهدي لدين الله فعظم أمره وعلت همته وركت شوكته فملك الشام بأسرها، وفعل بالإسلام ما لا يمكن ذكره، فأنفذ إليه المكتفي بالله، محمد بن سليمان فلم يطق على محاربته فانهزم عنه بعد أن قتل أكثر جيشه فأمده المكتفي بالله بجيش عرمرم وزحف عليه بدانه، فوقعت بينهم حرب شديدة فلم يطيقوا عليه إلا أن وزيره الحسين وأعيان دولته أسروه وسمموه إليهم فأتوا به إلى بغداد فشهروه مع من أسروه معه، ثم أحرقوهم..»[1].



---

(١) تحفة الأزهار المجلد٢ القسم٢ ص٧٨.

(٢) قال المقريزي قال ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦هـ) وادعى عبيدالله القائم بالمغرب أنه أخو حسن بن محمد هذا، وشهد =

قصيدة المتنبي المشهورة في سيف الدولة وسببها

٣٤٣هـ سار سيف الدولة نحو الحدث لبنائها وكان أهلها قد أسلموها للدمستق سنة ٣٣٧هـ فاستردها وبدأ بالتخطيط وحفر أول الأسس بيده مما عتم أن جاء الدمستق في خمسين ألفاً وفيهم الروس والبلغر والأرمن والصقلب والخزر مع ملوك لهم ونشبت المعركة فأظفر الله سيف الدولة وقتل كثيراً وأسر كثيراً ثم قتل أكثرهم واستبقى بعضهم وكان في الأسر بطريق سمندوبه ولقندويه وهو صهر الدمستق..... فأنشد المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أَهلِ العَزْمِ تأتِي العَزَائِمُ	وَتَأتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا	وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائِمُ[1]

وقعة بين العلويين والجعفريين في الحجاز

٣٤٨هـ وبلغ المعز وهو بالمغرب: أمر ((الحرب من بني حسن وبني جعفر بن أبي طالب بالحجاز وأنه قتل من بني الحسن أكثر ممن قتل من بني حسن من بني جعفر، فأنفذ مالاً ورجالاً سرًّا، سعوا بين الطائفتين حتى اصطلحوا، وتحملوا الحمالات عنهما.

وكان فاضل القتلى لبني حسن عند بني جعفر سبعين قتيلاً، فأدى القوم ذلك إليهم، وعقدوا بينهم في المسجد الحرام صلحاً، وتحملوا دياتهم من مال المعز، وذلك في سنة ٣٤٨هـ، فصار ذلك جميلاً عند بني حسن للمعز، فلمّا دخل جوهر مصر بادر حسن بن جعفر الحسني فملك مكة ودعا للمعز، وكتب إلى جوهر بذلك، فبعث الخبر إلى المعز، فأنفذ من المغرب إليه بتقليد الحرم وأعماله))[2]

= له بذلك رجل من بني العيفي، وشهد له أيضاً بذلك جعفر بن محمد بن الحسين بن أبي الجن علي بن محمد الشاعر بن علي بن إسماعيل بن جعفر. وعرّفوا ادعى أنه ولد الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر، وكل هذه دعوى متفضحة، لأن محمد بن إسماعيل بن جعفر لم يكن له قط ولد اسمه الحسين، وهذا كذب فاحش، لأن مثل هذا النسب لا يخفى على من له أقل علم بالنسب، ولا يجهل أهله إلا جاهل

وعلق المقريزي على النص السابق فقال: وأما ما ذكره أبو محمد - ابن حزم - من انتسابهم إلى الحسين بن محمد ابن إسماعيل فقول انتحله معاندوهم، فقد كان أبو محمد بقرطبة، وملوكها بنو أمية وهم أعدى أعادي القوم، فنقل هناك ما أشاع ملوك بلده، حتى اشتهر كما هي عادة الأعداء. والذي يقوله أهل هذا البيت ويذهبون إليه: إن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه من بعده، وإن الإمام بعد إسماعيل بن جعفر هو ابنه محمد ويلقبونه المكتوم، وبعد المكتوم ابنه جعفر بن محمد بن إسماعيل، ويلقبون جعفراً هذا ((بالمصدق)) وبعد جعفر المصدق ابنه محمد الحبيب بن جعفر المصدق.

قالوا: فولد محمد الحبيب عبيدالله بن محمد بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم ابن الإمام إسماعيل، وعبيدالله هذا هو القائم بالمغرب الملقب بالمهدي المنسوب إليه سائر الخلفاء الفاطميين بالمغرب وبمصر. راجع اتعاظ الحنفا للمقريزي د. الشيال ط١٩٦٧م ص١٦.

(١) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي أ. محمد عزة دروزة م١ ج١ ص٥٣.

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي د. الشيال ط١٩٦٧م ص١٠١

إسلام الترك

في سنة ٣٤٩هـ الموافق (٩٦٠م تقريباً) كان إسلام الترك وقال ابن الجوزي أسلم من الترك مائتا ألف خركاه[1].

مقتل الشاعر المشهور المتنبي

٣٥٤هـ قتل المتنبي وابنه قتلهما الأعراب وأخذوا ما معهما واسمه أحمد بن الحسين بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الكندي ومولده سنة ٣٠٣هـ في الكوفة بمحلة تسمى كندة فنسب إليها وليس هو من كندة التي هي قبيلة بل هو جعفي القبيلة[2] ومن شعر المتنبي قصيدة ينتقد فيها عصره:

وَإِنَّمـا النَّـاسُ بِـالمُـلـوكِ وَمـا ... يُـفـلِـحُ عُـرْبٌ مُـلـوكُـهـا عَـجَـمُ

لا أَدَبٌ عِـنـدَهُـمْ وَلا حَـسَـبٌ ... وَلا عُـهُـودٌ لَـهُـمْ وَلا ذِمَـمُ

بِـكُـلِّ أَرضٍ وَطِـئْـتُـهـا أُمَـمٌ ... تُـرْعَـى بِـعَـبْـدٍ كَـأَنَّـهُـمْ غَـنَـمُ

يَـسْـتَـخْـشِـنُ الـخَـزَّ حِـيـنَ يَـلْـمُـسُـهُ ... وَكـانَ يُـبْـرَى بِـظُـفْـرِهِ الـقَـلَـمُ

أخذ سليم لحجاج مصر والشام

٣٥٥هـ ((ونهبت بنو سليم حاج مصر والشام - والمغرب - وكانوا عالماً كثيراً، وأخذ جميع ما كان معهم من الأموال وكان جزلاً، لأن كثيراً من الناس من أهل الثغور والشام هربوا من خوفهم من الروم بأموالهم وأهليهم وقصدوا مكة ليسيروا منها إلى العراق وأجلوا، وقتل أمير الركب وهلك من الناس ما لا يحصى، وتمزق في البراري، ولم يسلم إلا القليل، ورد على الحجاج بعض ما أخذ منهم في السنة التي بعدها))[3].

فك أسر أبي فراس الحمداني

وفيها استفك سيف الدولة بن حمدان ابن عمه أبا فراس بن حمدان من الأسر، وكان بينه وبين الروم الفداء فخلص عنده عدة من المسلمين من الأسر[4].

وفاة كافور الإخشيدي

٣٥٦هـ ((وفيها مات كافور الإخشيدي وكان خصيًا أسود من موالي محمد بن طغج الإخشيدي

---

(١) العبر في خبر من غبر للذهبي ٧٤٨هـ.

(٢) المختصر: تاريخ أبي الفدا

(٣) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٤٠٤.

(٤) المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا

صاحب مصر واستولى كافور على ملك مصر والشام بعد موت أولاد الإخشيد....، وكان كافور شديد السواد واشتراه الإخشيد بـ ١٨دينارأ ..، وكان يدعى له بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام وكان تقدير عمره (٦٥سنة) ووقع الخلف فيمن ينصب بعده واتفقوا على أبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد وخطب له في جمادى الأولى سنة ٣٥٧هـ))[١].

حكم الأشراف لمكة[٢]

وفيها (٣٥٦هـ) تم احتلال مكة من قبل الشريف جعفر، لأن حكمه صادف وفاة أبي المسك كافور في مصر، وجعفر هو ((أول مؤسس لحكم العائلة العلوية في مكة قد نجح بفضل ابنه عيسى والذي حكم لمدة ١٤ عاماً أي حتى ٩٩٤م (٣٨٤هـ تقريباً) والتي منع حلالها الجيش الفاطمي من دخول التموين إلى مكة أو المدينة حتى وافق عيسى على الدعاء للخليفة الفاطمي، وقد نجح عيسى بفضل أخيه الأصغر أبي الفتوح والذي حكم لمدة ٤٥ سنة، وقد توافق حكمه مع حكم الخليفة المعتوه في مصر الحاكم))[٣].

((وكان جعفر بن محمد الحسني قدم إلى مكة مع قافلة حجاج فاطمية من مصر))[٤].

وفاة معز الدولة الديلمي

وفيها: ((مات السلطان معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي وكان في صباه يحتطب، وأبوه يصيد السمك، فما زال إلى أن ملك بغداد نيفاً وعشرين سنة، ومات بالإسهال عن ٥٣ سنة وكان من ملوك الجور والرفض، ولكنه كان حازماً سائساً مهيباً وقيل إنه مرضه عن الرفض .. وقيل إن سابور ذا الأكتاف أحد ملوك الفرس من أجداده وكان أقطع، طرت يده في بعض الحروب وتملك بعده ابنه عز الدولة بختيار))[٥].

وفاة سيف الدولة الحمداني

وفيها: توفي سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبدالله بن حَمْدان بن حَمْدون بن الحارث بن لقمان ابن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن عطيف بن محربة بن حارثة بن مالك بن عبيد بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب[٦]. وكان عمره عند وفاته ٥٣ عاماً.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) كنا قد ذكرنا ذلك في سنة ٣٤٠هـ.

(٣) حكام مكة لجيرالد دوغوري ترجمة محمد شهاب مراجعة محمد علي سويد م.مدبولي ط١/ ٢٠٠٠م ص٥٨-٥٩

(٤) المصدر نفسه ص٦٥

(٥) العبر في خبر من غبر للذهبي.

(٦) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣-٨٧٤هـ ج٤ ص١٦.

مقتل الأمير الفارس الشاعر أبي فراس الحمداني

٣٥٧هـ فيها قتل أبو فراس الحمداني[١]، وكان عمره يوم قتل ٣٧سنة هجرية، وهو شاعر اشتهرت قصائده باسم الروميات حيث إنه قالها عندما كان في أسر الروم (منذ سنة ٣٥١هـ) وبعث بقصائده إلى ابن عمه سيف الدولة يطلب منه أن يخلصه بأي وسيلة.

ومن شعر أبي فراس المشهور قوله:

أراكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيمَتُكَ الصَّبْرُ	أما لِلْهَوَى نَهْيٌ عليكَ ولا أمْرُ

إلى أن يقول في آخرها:

ونحنُ أناسٌ لا توَسُّطَ بيننا	لنا الصَّدْرُ دونَ العالمينَ أو القبرُ
تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا	وَمَنْ يَخْطُبِ الحَسْناءَ لم يُغْلِهِ المَهْرُ
أعزُّ بني الدُّنيا وأعلى ذوي العُلا	وأكرمُ مَنْ فوقَ التُّرابِ ولا فَخْرُ

وفي هذه السنة لم يحج أحد من الشام ولا مصر.. وهلك أكثر الحاج الخراساني وهلكت جمالهم بالعطش، ومن سلم منهم وهم الأقل لم يلحق يوم عرفة[٢].

رئاسة الأعصم على القرامطة

وقع بين القرامطة تحارب فيما بينهم وانقسموا قسمين وكل قسم يريد الانفراد في الحكم، ونلخص هذه الأحداث بالتالي:

١- عندما لم يجد سابور بن أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن الجنابي القرمطي من عمه أبي منصور أحمد بن أبي سعيد أذناً صاغية عندما طلب منه تسليمه مقاليد الحكم قرر انتزاع الحكم من عمه قبل أن يسلمه لابنه الأعصم بموافقة إخوته له فنجح بالقبض على عمه، وبقي رهن الاعتقال. إلا أن الجزيري في درر الفرائد المنظمة يقول (قتل سابور بن أبي طاهر عمه أحمد بن سعيد القرمطي بعد أن كان مقدماً على اعتراض ركب العراق وقطع الخطبة لبني بويه بمكة، فاشتغل القرامطة بالحرب بين ولد أبي طاهر وولد عمهم أحمد، وأصلح المطيع بينهم وقدم عليهم الحسين بن أحمد، وكانت الخطبة في الموسم للمطيع وللحسين القرمطي بالإمارة) ويظهر أن الجزيري لم يرتب الأحداث بالشكل الصحيح حيث إن سابور لم يقتل عمه بل إنه اعتقله فقط.

٢- ثار أحد إخوة المعتقل من أبناء أبي سعيد الحسن، وأخرج أحمد بن الحسن من الاعتقال بتهريبه من السجن.

٣- ثم تمَّ اعتقال سابور وسجنه حتى مات وقيل قتل.

---

(١) راجع: النجوم الزاهرة وبدائع الزهور ج٤ ص١٩

(٢) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٤٠٥

٤- توفي أبو منصور أحمد بن الحسن سنة ٣٥٩هـ ويقال مسموماً على يد شيعة سابور.

٥- وبعد وفاة أبي منصور ولي ابنه أبو علي الحسن بن أحمد ويلقب الأعصم، وقيل الأغنم وقيل الأعسم وقيل الأعظم.

٦- طالت مدته وعظمت وقائعه في أطراف الشام والعراق وتوصل إلى مصر وحارب جوهراً قائد المعز، وأسخط عمله المعز ملك إفريقية فكتب بعزله عن القرامطة وتولية أبناء أبي طاهر ذلك فخرجوا من الجزائر (البحرين) ثائرين ونهبوا الإحساء وعاثوا فساداً في البلاد.

٧- اشتغل القرامطة بالحرب بين ولد أبي طاهر وولد عمهم أحمد.

٨- أصلح بينهم المطيع وقيل الطائع وأمرهم بروم السكينة وتجنب الأضرار بالناس والرجوع إلى الجزائر وهو يقطعها لهم، فأطاعوه ورجعوا إلى أوال.

٩- قدم المطيع عليهم الحسن الأعصم ابن عمهم أحمد

١٠- جرت للأعصم أمور وفتن وبعى جمعاً كثيراً من ولد أبي طاهر ويقال اجتمع منهم بجزيرة أوال نحو من ثلاثمائة.

١١- حج الأعصم بنفسه ولم يتعرض للحاج، ولا أنكر الخطبة للمطيع.

١٢- وأخيراً أدت كثرة الفتن إلى قتله.

١٣- وبعد موت الأعصم ثار الشقاق بين القرامطة ولعب السيف بينهم مدة مديدة حتى أفناهم وبددهم وشردهم في الأمصار، ولم يبق منهم إلا جعفر وإسحاق ابني الأعصم فما زالا متشاربين متكافحين مدة ثلاثين سنة[1].

حال القرامطة بعد مقتل سابور

٣٥٨هـ ((لما فتكوا بسابور استوحش بعضهم من بعض وانقبضوا عن الالتقاء بالجرعاء وغيرها وكان من رسومهم ركوب مشايخهم وأولادهم فُرادى فيجتمعون إلى قبلة الإحساء بالمكان المعروف بالجرعاء، ويلعب أحداثهم بالرماح على خيولهم وينصرفون أفداداً بغاية التواضع، وقد لبسوا البياض لا غير. وكان من رسومهم أن تقع شوراهم بالجرعاء فيمن يخرجونه لما دهمهم وأهمهم، فإن اتفق رأيهم على خروجهم بأجمعهم لم يتخلفوا ونفذوا وتركوا في البلد أوثقهم وأشفهم منزلة عندهم))[2].

استيلاء جوهر قائد العبيديين على حكم مصر

٣٥٨هـ قدم جوهر إلى مصر، ووصلت البشرة بفتحها في نصف رمضان سنة ٣٥٨هـ، فسرَّ المعز سروراً كثيراً وأنشأ ابن هانيء قصيدة أولها:

---

(١) مخطوط عقد اللآل في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر لفصل١٩ الملحق بكتاب من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة، وراجع تاريخ ابن خلدون

(٢) صورة الأرض لابن حوقل دار مكتبة الحياة بيروت١٩٩٢ ص٣٤.

يقولُ بنو العبَّاس. هَلْ فُتِحَتْ مِصْرُ؟ فَقُلْ لِبَنِي العباسِ: قد قُضِيَ الأمْرُ

ولما وصلت البشارة من الشام بكسر عسكر أبي عبدالله الحسن بن أحمد القرمطي المعروف بالأعصم أنشده ابن هانيء قصيدة منها:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحْكُمْ فأنتَ الواحدُ القهّارُ[1]

قال ابن زولاق: سألت أبا جعفر مسلم عند رجوعه من لقاء جوهر الصقلي قبل دخوله إلى مصر وكتابته الأمان لأهل مصر والشرط عن مقدار العسكر فقال ((هو مثل جمع عرفات كثرة وعدة)) وسألته عن سن القائد جوهر، فقال لي: ((نيف وخمسون سنة))[2].

قال أبو الفدا: إنه لما مات كافور الإخشيدي اختلفت الأهواء في مصر وتفرقت الآراء فبلغ ذلك المعز فجهز العساكر إليها فهربت الإخشيدية من جوهر المذكور قبل وصوله ..، (١٧شعبان) وأقيمت الدعوة للمعز في الجامع العتيق في شوال.

محاربة ثم صلح بين الأعصم وابن طغج

٣٥٨هـ ((لما سار جعفر بن فلاح من القاهرة في عسكره كان قد سار الحسن بن عبيدالله بن طغج عن دمشق في شهر رمضان واستخلف عليه شمول الإخشيدي ونزل الرملة، وتأهب لحرب من يسير إليه من مصر، فوردت الأخبار بمسير القرامطة إليه، ووافوه بالرملة، فلقيهم وحاربهم، فانهزم منهم، ثم صالحهم وصاهرهم في ذي الحجة. ورحل عنه القرمطي بعد ما أقام بظاهر الرملة ثلاثين يوماً))[3].

تعيين وشاح السلمي أميراً على الرملة

٣٥٨هـ في ذي القعدة (٩٦٩م) عين وشاح السلمي على إدارة شؤون الرملة التي استولى عليها الأعصم.

استيلاء جعفر بن فلاح على الرملة ودمشق

((سار جعفر بن فلاح أحد أكبر قواد المعز الذي اشترك مع المعز في فتح مصر لفتح الشام، فاستولى على الرملة في آخر سنة ٣٥٨هـ وعلى دمشق في أول سنة ٣٥٩هـ، وأقام بها إلى سنة ٣٦٠هـ حيث قصده الحسن بن أحمد القرمطي وقاتله وقتله))[4].

قال المقريزي ولاثنتي عشرة - ليلة بقيت من محرم ٣٥٩هـ - سار جعفر بن فلاح بن أبي مرزوق إلى الشام، وقاتل القرامطة بالرملة وهزمهم. وقبض علي بن عروان صاحب القرامطة.

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي تحقيق د.جمال الدين الشيال ط١٩٦٧م ص٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٧.

(٣) المصدر نفسه ص١٢٣.

(٤) المصدر نفسه ص١٠١.

التقى جعفر بن فلاح مع ابن طغج وحاربه، فـهزم منه واحتوى على عسكره، فقتل كثيراً من أصحابه، وأخذ أسيراً في النصف من رجب سنة (٣٥٩هـ) فأقام بالرملة يتبع ما كان لابن طُغْج ولأصحابه.

وكان بحوران والبثنية بنو عقيل من قبل الإخشيد وهم شبيب، وظالم بن موهوب، وملهم بن (....)[1] قد ملكوا تلك الديار، فأخذ جعفر بن فلاح يستميل إليه من العرب فزارة ومرة ليضرب بهم بني عقيل.

إزاحة مرة وفزارة لبني عقيل من حوران والبثنية

((جهز جعفر من طبرية من استمالهم من مرة وفزارة لحرب بني عقيل بحوران والبثنية، وأردفهم بعسكر من أصحابه، فواقعوا بني عقيل، وهزموهم إلى أرض حمص وهم خلفهم ثم رجعوا إلى الغوطة، وامتدت أيديهم إلى أخذ الأموال وهم سائرون حتى نزلوا ظاهر دمشق فثار عليهم أهل البلد، وقاتلوهم وقتلوا منهم كثيراً من العرب، فانهزموا عنها، وذلك لثمانٍ خلون من ذي الحجة، فلحقوا بطلائع جعفر، فساروا معها إلى دمشق، وخرج إليهم الناس مستعدين لمحاربتهم في خيل ورجل فاقتتلوا يومهم ثم انصرفوا، وأصبحوا يوم الجمعة فاقتتلوا، وصاح الناس في الجامع بعد الصلاة: ((النفير))، فخرج النفير، واشتد القتال إلى آخر النهار.

ونزل جعفر يوم السبت لعشر خلون منه بالشماسية، وأصبح الناس للقتال، ولم يصلُّوا ذلك اليوم في المصلى صلاة العيد، فاستمروا طول النهار ومعهم الجند الذين كانوا مع شمول فكلّوا، وحملت معهم المغاربة فانهزموا، وتمكن السيف منهم وهم منهزمون إلى أرض عاتكة وقصر الحجاج، فقتل خلق كثير، وكان رئيس الشام في هذه الحروب أبو القاسم بن أبي يعلى العباسي، ومحمد بن عصودا وصدقة الشوا.

قال المقريزي عن مراجعة الناس بطلب الصلح من جعفر بن فلاح أكثر من مرة: فرجع المشايخ إليه، وما زالوا يتضرعون إليه حتى قال: (ما أعفو عنكم حتى تخرجوا إليّ ومعكم نساؤكم مكشوفات الشعور فيتمرغن في التراب بين يدي لطلب العفو). فقالوا له: (نفعل ما يقول القائد). وما برحوا يذلون له حتى انبسط معهم في الكلام، وتقرر الأمر على أنه يدخل يوم الجمعة في الصلاة..))[2].

لحاق محمد بن عصودا بالقرامطة في الإحساء

((لحق محمد بن عصودا بالقرامطة في الإحساء هو وظالم بن موهوب العقيلي لما انهزم بنو عقيل عن حوران والبثنية، فحثوهم على المسير إلى دمشق))[3].

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي ص ١٢٠ ـ ١٢٣.

(٣) المصدر نفسه ١٢٥

ذهاب الحسن الأعصم إلى الحج

٣٥٩هـ حج بالناس نقيب الطالبيين أبو أحمد الحسين بن موسى الحسيني، وحج أبو علي الحسين ابن أحمد القرمطي، ولم يتعرض للحاج ولا أنكر الخطبة للمطيع، وخطب بمكة للمطيع بالله وللقرامطة الهجريين من بعده، وقطعت خطبة المعز لدين الله العلوي من مكة وخطب له بالمدينة))[1].

الخليفة المطيع العباسي يجمع كلمة القرامطة ويؤلف بينهم

٣٦٠هـ يقول ابن حوقل عن القرامطة: ((ثم بذل المطيع سل سخائمهم وسعى في تأليف قلوبهم وجمع كلمتهم في سنة ٣٦٠هـ على ما بلغني سنة ٣٦١هـ من مشافهة أبي الحسين علي بن أحمد الجزري، صاحب أبي الحسين علي بن محمد بن العمر، ورأيته بصقلية...، وأخبرني بأشياء كالسر عنده ثم حمش وجه الحديث وقال: ومن بقي من العقدانية بالإحساء وغيرها هلكوا كلهم

وكان في جملتهم رجال جلة ذوو حلوم وعقول دون من صحبهم من الجفاة الأغتام لأصحاب الطعام، كبني الغمر، وأجلّهم كان المقيم بالجعفرية من ظاهر البصرة وهو أبو الحسين علي بن محمد بن العمر، ويتلوه أخوه المقيم بالكوفة أبو طريف عديّ بن محمد بن العمر، وأبو الحسن علي بن أحمد بن بشر الحارثي المتولي رحالهم وأموالهم من سائمتهم وكراعهم، وكان المقيم فيهم الحدود على من وجبت منهم وكان قد ناهز المائة سنة

وثور بن ثور الكلابي صاحب جيشهم ممن أيضاً كان مع كبر سنه، وكان صاحب سراياهم إلى كل مكان، وكان أكبر منه حالةً وأتم درايةً أبو الحسن علي بن عثمان الكلابي، كان يزعم أن سنيه مائة وعشرون سنة، وكان ممن لقي أبا زكريا الطمامي وشهد دعوتهم الأولى وناموسهم القديم فصيح اللّسان حسن البيان جريء الجنان وترسّل لهم إلى غير مكان، وكان منابة قاصيهم ابن عرفة في أسباب المراسلة إلى بني حمدان وغيرهم، فعقد عليه بيعتهم وأخذ عليهم للعهود بموالاتهم))[2].

٣٦٠هـ لم يحج أحد من العراق والمشرق لاختلاف كان بين القرامطة[3].

مسير الحسن الأعصم للشام بدعم عباسي

٣٦٠هـ ((ورد على جعفر بن فلاح خبر هزيمة عسكره على مشارف إسكندرونة على يد عساكر الروم، وخبر مسير القرامطة إلى الشام وأنهم وردوا الكوفة، فأمدهم صاحب بغداد بالسلاح، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب بن حمدان، تقوية على حرب المغاربة وبعث إليه أبو تغلب يقول:

(هذا شيء أردت أن أسير أنا فيه بنفسي وأنا مقيم في هذا الموضع إلى أن يرد عليَّ خبرك فإن

---

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجريري ج١ ط١ ١٩٨٣ ص٥٢٥

(٢) صورة الأرض لابن حوقل دار مكتبة الحياة بيروت١٩٩٢ ص٢٤.

(٣) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجريري ص٢٤٥

احتجت إلى مسيري سرت إليك). ونادى في عسكره من أراد المسير من الجند الإخشيدية وغيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه، فقد أذن له في المسير والعسكران واحد.

وقدم القرمطي إلى الرحبة، فأمده أبو تغلب بالمال، ومن كان عنده من الإخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين، وسار بهم القرمطي حتى قدم قرب دمشق، فأشار أصحاب جعفر أن يقاتلهم بطرف البرية فخرج إليهم جعفر بن فلاح وقد استهان بهم ولم يعبأ بهم، فانهزم منهم، وأخذ السيف أصحابه، وقُتل فلم يدر قاتله لست خلون من ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ وملك القرمطي دمشق وأمن أهلها، ونزل القرمطي ظاهر المزة فجبى مالاً وسار يريد الرملة وعليها سعادة بن حيان، فالتجأ إلى يافا، ونزل عليه القرمطي، وقد اجتمعت عليه عرب الشام وأتباع الجند فأصبهم القتال حتى أكل أهلها الميتة، وهلك أكثرهم جوعاً، ثم سار عنها وترك على حصارها ظالماً العقيلي وأبا الهيجا بن منجى، وأقام القرامطة الدعوة للمطيع لله العباسي في كل بلد فتحوه، وسودوا أعلامهم، ورجعوا عما كانوا يمخرقون به، وأظهروا أنهم كأمراء النواحي الذين من قبل الخليفة العباسي))[1].

استيلاء الأعصم على دمشق وعودته لهجر

٣٦٠هـ قال د.جمال الدين الشيال: خرج - الأعصم القرمطي - إلى دمشق فاقتتل مع جعفر بن فلاح وقتله بظاهر دمشق، وملك دمشق وولى عليها ظالم بن موهوب العقيلي، ثم عاد إلى بلاد هجر[2].

هجوم القرامطة على مدينة القلزم

٣٦٠هـ ((وفي شوال أنفذ جوهر سعادة بن حيان إلى الرملة والياً عليها، وقد كثر الإرجاف بالقرامطة، وأن جعفر بن فلاح قتل منهم، وملكوا دمشق، فتأهب جوهر لقتالهم، وعمل الخندق، ونصب عليه البابين الحديديين...، وبنى القنطرة على الخليج، وفرق السلاح على المغاربة والمصريين.

وفي ذي الحجة كبست القرامطة مدينة القلزم، وأخذوا واليها عبدالعزيز بن يوسف وما كان له من خيل وإبل))[3].

وصول القرامطة إلى أبواب القاهرة

٣٦١هـ قال المقريزي: في مستهل ربيع الأول التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة، وكان يوم جمعة، فقتل من الفريقين جماعة، وأسر عدة، وأصبحوا يوم السبت متكافئين، وغدوا يوم الأحد للقتال، فسار الحسن بن أحمد بهرام الذي يقال له الأعصم - زعيم عسكر القرامطة - بجميع عسكره على الخندق، والباب مغلق، فلمّا زالت الشمس فتح جوهر الباب، واقتتلوا قتالاً شديداً قتل فيه خلق كثير،

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي تحقيق د.جمال الدين الشيال ط١٩٦٧م ص١٢٦-١٨٧.

(٢) المصدر نفسه، انظر الهامش ص٩٧.

(٣) المصدر السابق ص١٢٨.

وانهزم الأعصم ونهب سواده بالجب، وأخذت صناديقه وكتبه، وهو في الليل على طريق القُلْزُم، فنهبت بنو عقيل وبنو طيّئ كثيراً من مواده، ونادى جوهر في المدينة. (من جاء بالقرمطي أو برأسه فله ثلاثمائة ألف درهم، وخمسون خلعة، وخمسون سرجاً يحلى على دوابها)[1].

تحارب بين أشراف المدينة وأشراف مكة

٣٦١هـ فيها تحارب بنو حسن أهل مكة وبنو حسين أهل المدينة وكانت طاعتهم للعبيديين، وجاءوا مع أمراء المعز لما وصل إلى مصر ليقيموا له الخطبة بمكة فجاء القرامطة لنصرة بني حسن وانهزم أهل المدينة[2]. فقد بادر حسن بن جعفر الحسني فملك مكة ودعا للمعز، وكتب إلى جوهر بذلك، فبعث الخبر إلى المعز، فأنفذ من المغرب إليه بتقليد الحرم وأعماله[3].

اعتراض بني سليم وبني هلال لركب العراق

٣٦١هـ ((أخذ ركب العراق، اعترضه بنو هلال، وقتل خلق كثير وبطل الحج ولم تسلم إلّا طائفة نجت ومضت مع أمير الحاج أبي أحمد الموسوي والد الشريف الرضيّ على طريق المدينة النبوية وتم حجهم))[4]. وذكر في العبر ((أخذ ركب العراق، اعترضه بنو سليم وبنو هلال، وقتلوا خلقاً وبطل الحج، إلا طائفة نجت))[5].

مسير المعز الفاطمي من إفريقية يريد مصر

٣٦١هـ ((سار المعز من إفريقية في أواخر شوال واستعمل على بلاد إفريقية يوسف بلكين بن زيري ابن مناد الصنهاجي...، واستصحب المعز معه أهله وخزائنه وفيها أموال عظيمة حتى سبك الدنانير وعملها مثل الطواحين وشالها على جمال ووصل إلى برقة ومعه محمد بن هانئ الشاعر الأندلسي...، ثم سار المعز حتى وصل إلى الإسكندرية في أواخر شعبان سنة (٣٦٢هـ) وأتاه أهل مصر وأعيانها فلقيهم وأكرمهم))[6]

دخول المعز إلى القاهرة

٣٦٢هـ ((في شهر ربيع الآخر تواترت الأخبار بمسير المعز إلى مصر، وورد كتابه من قابس،

---

(١) المصدر السابق ص١٣٠

(٢) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٤٠٨

(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزي د. الشيال ط١٩٦٧م ص١٠١

(٤) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص٢٤٥.

(٥) العبر في خبر من غبر للذهبي ٧٤٨هـ.

(٦) تاريخ أبي الفدا.

فتأهب جوهر لذلك، وأخذ في عمارة القصر والزيادة فيه.. ولخمس بقين من شعبان ورد الخبر بوصول المعز إلى الإسكندرية، ولقيه أبو طاهر القاضي ومن معه، فخاطبهم بخطاب طويل، وأخبرهم أنه لم يسر لازدياد في ملك ولا رجال ولا سار إلّا رغبة في الجهاد ونصرة للمسلمين، وخلع على القاضي وأجازه وحمله وكان دخوله إلى القاهرة وحصوله في قصره يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٣٦٢هـ)[1]. وذكر أبو الفدا أن دخول المعز القاهرة كان في ٥ رمضان من هذه السنة.

رسالة وجواب بين المعز الفاطمي والأعصم القرمطي

٣٦٢ يوم الثلاثاء ٦ رمضان المعز دخل مصر بعد أن جمع العساكر وسار إليها وكتب كتاباً إلى الأعصم يعرفه فيه أن المذهب واحد وأنهم منهم استمدوا وأنهم سادتهم في هذا الأمر وبهم وصلوا إلى هذه المرتبة ويعظه ويبالغ في تهديده، ولما قرأه الأعصم أجابه:

(وصل إلينا كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله ونحن سائرون على أثره والسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل)[2].

الأعصم يسأل الخلافة الإمداد وولاية الشام ومصر

٣٦٢هـ قطع ما كان على ابن الإخشيد في كل سنة من الإتاوة للقرامطة وهي ثلاثمائة ألف دينار ولما بلغ القرمطي ذلك عظم عليه لأن المعز كان يصافيه لما كان بالمغرب ويهاديه، فلمّا وصل إلى مصر قطع ذلك عنه وسار القرمطي واسمه الحسن بن أحمد بن أبي سعيد بن بهرام إلى بغداد وسأل الخليفة المطيع بالله العباسي على لسان عز الدولة بختيار أن يمده بمال ورجال ويوليه الشام ومصر ويخرج المعز منها فامتنع الخليفة المطيع بالله من ذلك، وقال:

(كلهم قرامطة وعلى دين واحد، فأما المصريون (بنو أبي عبيد) فأماتوا السنن وقتلوا العلماء. وأما هؤلاء (القرامطة) فقتلوا الحاج وقلعوا الحجر الأسود وفعلوا ما فعلوا).

فقال عز الدولة بختيار للقرمطي (اذهب وافعل ما بدا لك.)، وقيل إن بختيار أعطاه مالاً وسلاحاً فسار القرمطي إلى الشام ومعه أعلام سود وأظهر أن الخليفة المطيع ولّاه وكتب على الأعلام اسم المطيع وتحته مكتوب (السادة الراجعون إلى الحق) وملك القرمطي الشام ولعن المعز هذا على منبر دمشق وقال: هؤلاء من ولد القداح كذابون محترقون أعداء الإسلام ونحن أعلم بهم ومن عندنا خرج جدهم القداح. ثم أقام القرمطي الدعوة لبني العباس وسار إلى مصر بعساكره.

يقول صاحب النجوم الزاهرة. وفي نسب المعز أقوال كثيرة أخر أضربت عن ذكرها خوف الإطالة، والظاهر أنه ليس بشريف وأنه مدّعٍ والله أعلم[3]

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزي ص١٣٣-١٣٤.

(٢) المصدر السابق ص٢٠٢.

(٣) النجوم الزاهرة ج٤ ص٧٧

قرامطة البحرين يشنّون هجوماً ضخماً على مصر والشام

يقول الأستاذ يوسف جعفر: العباسيون والحمدانيون والإخشيديون والبويهيون وقبائل عربية أخرى كان على رأسها العقيليون وقبائل طيئ يساندون الأعصم في حروبه للفاطميين بالشام، فكيف يكون زعيم القرامطة سيّئاً وكافراً وفاسداً في العقيدة والدين والأخلاق وتسانده كل تلك الجهات الإسلامية القوية؟[1]

استيلاء القرامطة على دمشق والرملة بفلسطين

وصل القرامطة إلى دمشق وأوقعوا بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وقتلوا واليها جعفر بن فلاح بن مرزوق بظاهر دمشق وغنموا ماله وأنعامه وملك القرامطة دمشق...، عزموا على المسير إلى الشام بقيادة الحسن بن بهرام القرمطي ومعيته محمد بن عصودا من زعماء أحداث دمشق الذين تصدوا للفاطميين وبرفقته ظالم بن موهوب العقيلي الذي لجؤوا إلى الإحساء وكثرت الأخبار بمسير القرامطة إلى الشام..، وعينوا دغفل بن الجراح أميراً على الرملة بفلسطين.

يقول ابن السويدي: كان آل الجراح ومن معهم من طيئ يشكلون جزءاً هامًّا من جيش القرامطة والذي كان عليه اعتمادهم كما جاء في ذيل تاريخ دمشق وهذه المشاركة من جانب طيئ هي التي أدت إلى قيام الإمارة الطائية.

مع أن المصادر تشير إلى وجود قبيلة طيئ في بلاد الشام الجنوبية قبل هذا الزمن، إلّا أن لا علاقة بين هؤلاء وبين آل الجراح الذين قدموا من نجد (بلاد الجبلين) وكانوا عند انهزامهم في حروبهم يعودون إلى برية نجد (الجبلين في منطقة حائل)[2]

وصول فلول القرامطة إلى أسيوط وإخميم

٣٦٣هـ ((في شهر ربيع الآخر كثر الإرجاف بالقرامطة وانتشارهم في أعمال الشام، وكان معهم عبدالله بن عبيدالله أخو أبي جعفر مسلم، فكتب إليه المعز بعدما شكاه إلى أخيه مسلم.

وفي جمادى الأولى أرجف بالقرامطة.. وفي شعبان كثر الإرجاف بالقرامطة ودخول مقدمتهم أرياف مصر وأطراف المحلة، وأنهم نهبوا واستخرجوا الخراج ثم رجعوا إلى أعمال الشام.

ووصلت سرية القرامطة إلى أطراف الحوف، وأنفذ القرمطي عبدالله بن عبيدالله - أخا مسلم - إلى الصعيد، فنزل في نواحي أسيوط وإخميم، وحارب العمال، واستخرج الأموال، فثقل ذلك على المعز، وعاتب أبا جعفر مسلماً، فاعتذر إليه، وتبرأ من أفعاله، ونزل الأعصم القرمطي بعسكره بلبيس، وتأهب المعز لمنعه ورده))[3]

---

(١) القوى السياسية في كوت الإحساء يوسف جعفر ص١٨٥.

(٢) الـ١٠٠سنة الغامضة لابن السويداء ط١ ص١١٧

(٣) اتعاظ الحنفا ص١٤٧-١٤٩ ١٥٠

نشوب المعارك بين القرامطة والفاطميين في مصر

((فتأهب المعز وعرض عساكره في ثالث رجب (٣٦٣هـ)، وأمر بتفرقة السلاح على الرجال، ووسع عليهم الأرزاق، وسير معهم الأشراف والعرب، وسير معهم المعز ابنه الأمير عبدالله، فسار بمظلته وبين يديه الرجال والسلاح والكراع والبنود وصناديق الأموال والخلع، وسير معه جميع أهله، وجمعاً من جند المصريين خلا الشريف مسلم، فإنه أعفاه من ذلك.

وانبسطت سرية القرمطي في نواحي أسفل الأرض فأنفذ المعز عبده ريان الصقلبي في أربعة آلاف فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها وقتل وأسر

ولثمان خلون من رجب قدمت سرية القرامطة إلى الخندق فبرز إليهم المغاربة فهزموهم، ثم كروا على المغاربة فقتلوا منهم جماعة وأسروا، وفرّ إليهم علي بن محمد الخازن فالتحق بالقرامطة، وورد الخبر بأن عبدالله بن عبيدالله أخا مسلم أوغل في الصعيد، وقتل، واستخرج الأموال، وأسرف في قتل المغاربة وأسرهم، ثم كر راجعاً إلى إخميم))[1].

المعز يقدم الرشوة لابن الجراح لإضعاف عسكر الاعصم

((لما استقر المعز الفاطمي بالقاهرة سنة ٣٦٣هـ ـ ٩٧٣م خرج عليه الحسن بن أحمد القرمطي أتى من الشام بجيش كثيف من العساكر وكان معه الأمير حسان بن الجراح أمير العرب ومعه الجم الغفير من عربان الشام حتى سد بهم الفضاء فكان ينشد ويقول:

زعمت رجال الغرب أني هبتها ... فدمي إذاً ما بينهم مطلول
يا مصر إن لم أسق أرضك من دمي ... يروي ثراك فلا سقاني النيل

ولمّا رأى المعز أنه لا يقوى على محاربة حسان بن الجراح أرسل إليه يقول في الدس ارحل عن مصر وأنا أرسل لك ١٠٠،٠٠٠ دينار فبعث حسان يقول: إن بعثت إليّ بما تقول رحلت عن مصر. فأرسل اليه المعز مئة ألف بأكياس مختومة، فلمّا التقت الجيوش للحرب أظهر حسان أنه انكسر فانهزم بمن معه من العربان، فعند ذلك ضعفت شوكة عسكر القرمطي وانهزم من ساعته وقويت شوكة المعز فكسروهم وولوا مدبرين.

هزيمة القرامطة في مصر

((وأما أخبار القرامطة، ففي كتب المؤرخين من المشارقة المتعصبين على الدولة الفاطمية أن سبب انهزام الحسن بن أحمد القرمطي من عساكر المعز أن العرب لما أمكنت بمسير سراياها بأرض مصر رأى المعز أن يفلّ عساكر القرامطة وجموعهم بمخادعة حسان بن الجراح الطائي أمير العرب ببلاد الشام، وكان قدم مع القرمطي في جمع عظيم قوى به عسكر القرمطي، فبعث المعز إلى ابن الجراح وبذل له مائة

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزي د. الشيال ط١٩٦٧م ص٢٠٢

ألف دينار على أن يفل عسكر القرمطي، فأجب إلى ذلك، وأن المعز استكثر المال، فعمل دنانير من نحاس وطلاها بالذهب، وجعلها في أكياس، ووضع على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب ليغطي ما تحتها، وشدت الأكياس وحملت إلى ثقة من ثقات ابن الجراح بعدما كانوا استوثقوا منه وعاهدوه أنه لا يغدر بهم، فلمّا وصل إليه المال تقدم إلى كبراء أصحابه بأن يتبعوه إذا تواقف العسكران وقامت الحرب، فلمّا اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزماً واتبعه أصحابه وكان في جمع كبير))[1].

فلمّا رآه القرمطي وقد انهزم تحير، فكان جهده أن قاتل بمن معه حتى تخلص وكانوا قد أحاطوا به من كل جانب فنجا على نفسه وانهزم واتبعوه ودخلوا عسكره فظفروا منه بنحو من ألف وخمسمائة رجل، فأخذوهم أسرى، وانتهبوا العسكر.

استيلاء ظالم العقيلي على دمشق

٣٦٣هـ ((سار ظالم بن موهوب العقيلي إلى أبي الهيجاء بن منجا القرمطي وهو في دمشق ومعه ألفا رجل، فلمّا وافى ظالم عقبة دمر خرج إليه أبو الهيجاء وابنه بمن معه، ففر عدة من جنده ولحقوا بظالم مستأمنين إليه فقوي بهم وسار بهم فأحاط بأبي الهيجاء فلم يقدر على الفرار فأخذه وابنه بعد أن وقعت فيه ضربة وانقلب العسكر كله مع ظالم، فملك دمشق لعشر خلون من شهر رمضان سنة ٣٦٣هـ))[2].

تحريض المعز العبيدي لبني هلال وغيرهم على قطع طريق الحج

٣٦٣هـ ((فيها خطب للمعز الفاطمي بالحرمين مكة والمدينة النبوية وفيها خرج طائفة من بني هلال وطائفة من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وعطلوا على من بقي منهم الحج في هذا العام. (البداية والنهاية) ولم يحج أحد من العراق، قال الجزيري لأن المعز العبيدي صاحب مصر سلط بني هلال وغيرهم على الركب العراقي، فقتل منهم خلق كثير وضاق الوقت وبطل الحج ولم يسلم إلّا من مضى مع الشريف أحمد الموسوي على طريق المدينة، وأقيمت الدعوة بالحرمين للمعز العبيدي وقطعت خطبة بني العباس))[3].

٣٦٣هـ ((وفيها وصل أهل المدينة إلى مكة، ونفّروا عنها بني حسن. وفيها أقيمت الدعوى بالحرمين للمعز العبيدي وقطعت خطبة بني العباس))[4].

خلافة الطائع لله بن المطيع لله بن المقتدر

٣٦٣هـ لما تغلب سكتكين التركي وهو غلام معز الدولة، وقويت شوكته ونفذت كلمته، وانضاف

(١) المصدر نفسه ص٢٠٥.

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي د. الشيال ط١٩٦٧م ص٢١٠

(٣) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص٢٤٥

(٤) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٤١٠

إلى ذلك ما لحق المطيع من الفالج والمرض، خلع نفسه طائعاً من الخلافة، وسلمها لولده الطائع عبدالكريم ويكنى أبا بكر، ولقبه الطائع لله وذلك في ذي القعدة ٣٦٣هـ. ثم توفي المطيع سنة ٦٤ وكانت خلافته (٢٩ سنة و٦ أشهر و١١ يوماً) وعمره (٥٩ سنة و٧ أشهر و١٢ يوماً).

وبويع الطائع بالخلافة والأمر مغلوب عليه وما له إلّا الاسم، لم يلِ الخلافة من بني العباس أكبر منه سنّاً، كان عمره حين استخلف (٤٧سنة)[1].

محاولة عضد الدولة الاستيلاء على الإحساء ومحاولة المعز إعادة العلاقات

قال عبدالرحمن آل ملا: مهما تكن نتيجة الصراعات فقد انتهج (المعز) سياسة جديدة تجاه أعداء اليوم وأصدقاء الأمس، فسعى إلى إزالة أسباب الخلاف معهم، وفي هذا الإطار، أطلق سراح من كان لديه من أسراهم وأكرمهم وكان من أبرزهم (أبو المنجا) فقد استدعاه (المعز) بعد إطلاق سراحه في ٢٥محرم ٣٦٤هـ (١٥ أكتوبر ٩٧٤م تقريباً) وأنعم عليه بالهبات السخية وكلفه أن يبذل كل ما في وسعه للعمل على رأب الصدع الذي منيت به علاقة العبيديين برؤساء البحرين كما ضمن لهم إتاوة سنوية تحمل إليهم. وصادف ذلك هوى في نفس (الأعصم) لأن أزمة حادة قد نشبت بينه وبين الخلافة العباسية سببها فيما أرى أن (عضد الدولة بن خسرو بن ركن الدولة علي بن بويه) حين علم بفشل مساعي (الأعصم) في الاستيلاء على مصر ورجوعه إلى الشام خائباً، رغب في الاستيلاء على الإحساء وأرسل لاحتلالها جيشاً جراراً، وكان واليها من قبل الأعصم عمه (أبا يعقوب يوسف) فتصدى للمهاجمين ولكنه لاذ بالفرار من الإحساء لما وجد نفسه عاجزاً عن صد هجوم العباسيين عليهم، حينذاك بادر الأعصم للعودة إلى بلاده لمعالجة الوضع فجمع فلول المهزمين وعمل بالتنسيق مع عمه (أبي يعقوب) على قتال العباسيين وإجلائهم عن البلاد فتمّ له ما أراد على إثر معركة طاحنة دارت رحاها بين الطرفين. وقد أحس (الأعصم) بعد انتصاره في تلك المعركة بدماء الثقة تتدفق في شرايينه من جديد فأرسل إلى رجال العشائر يدعوهم للقدوم عليه والتكتل حوله فبادروا إلى ذلك

مكاتبة امير مكة للمعز

٣٦٥هـ ((ورد – إلى المعز بمصر – كتاب أمير مكة جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكتاب أخيه الحسن ابن محمد الحسني وهو أخو صفية امرأة عبدالله بن عبيدالله أخي مسلم يسأل الإحسان إلى أخته صفية، وكانت مستترة، فأمر برد ضياعها وريعها وتسليم ذلك إليها))[2].

---

(١) سمط النجوم العوالي م٣ ص٤٩٥.

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي د. الشيال ط١٩٦٧م ص٢٢٥

وفاة المعز العبيدي الفاطمي وتولي ابنه العزيز

٣٦٥هـ ١٧ربيع الأول: ((توفي المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بأمرالله أبي القاسم محمد بن المهدي عبيدالله العلوي الحسيني بمصر، وهو ابن ٤٦ سنة. ولما مات المعز أخفى العزيز ابنه موته وأظهره في عيد النحر من هذه السنة وبايعه الناس))[١].

محاصرة قوات العزيز بن المعز لمكة المشرفة

٣٦٥هـ في موسم الحج خطب أهل مكة والمدينة للمعز المتوفى وتركوا الخطبة للعزيز ابنه، فبعث جيوشه إلى الحجاز ومعهم أمير علويّ لتعيينه على مكة فحاصروا مكة والمدينة وضيّقوا عليهم، وكان أمير مكة عيسى بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى، وأمير المدينة طاهر ابن مسلم[٢] الذي مات في هذه السنة فولي ابنه الحسن وابن أخيه مكانه. وبطل الحج من ناحية العراق والمشرق لاضطراب أمور البلاد[٣]. ودخلت سنة ٣٦٦هـ والحصار لا زال مستمرًا حتى رجعوا إلى دعوتهم، وخطب للعزيز بمكة.

محاربة القائد الفاطمي جوهر الصقلي لأهل الشام

٣٦٥هـ وصل جوهر الصقلي أحد قادة الفاطميين إلى دمشق وتقاتل مع ألتكين التركي الأصل الذي تولى أمر دمشق من قبل معز الدولة ثم استقل بالحكم، ودامت الحرب أكثر من شهر، فأشار أهل دمشق على ألتكين بمكاتبة الحسن الأعصم لنجدتهم ففعل، فلمّا قرب منهم رحل جوهر خوفاً من أن يقع بين نارين وعدوين.

استجابة الأعصم لنجدة أهل الشام بجيش فيه أبناء عمه

يقول الملا[٤]: بناء على نصيحة الأهالي ألتكين يكاتب الحسن بن أحمد الأعصم فأجابه الأعصم إلى ما طلب فأعد جيشاً سيّره إلى الشام لنجدة أهلها فيه من أبناء عمه (إسحاق)[٥] و(كسرى) و(جعفر)

---

(١) المختصر في أخبار البشر وهو تاريخ أبي الفدا.

(٢) أبو جعفر مسلم بن محمد بن عبيدالله الحسيني ذُكر في أحداث سنة ٣٥٨هـ في مصر. راجع: اتعاظ الحنفا ص١٠٣- ١٠٧.

(٣) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٤١٣، وراجع تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع.

(٤) الإمارة العيونية للملا.

(٥) إسحاق لعله: إسحاق بن إبراهيم بن الحسن. وكسرى لعله: كسرى بن أبي القاسم سعيد بن أبي سعيد الحسن الجنابي. وهناك قول قد ذكرناه في الصفحات السابقة وهو أنه لم يبق من رؤساء القرامطة بعد وفاة الأعصم إلا ابنيه جعفر وإسحاق، فلعل هذه الأسامي منتشرة بين الأبناء والأعمام.

وذكر ابن حوقل: كسرى بن أبي القاسم، وصخر بن أبي إسحاق. راجع: صورة الأرض ص٣٤.

وذلك في سنة ٣٦٥هـ الموافق ٩٧٦م فنزلوا ظاهر دمشق ولقي (ألبتكين) القرامطة وأنعم عليهم بالأموال وأكرمهم وأمّلهم، فمكثوا بدمشق أياماً ثم ساروا قاصدين الرملة ففرّ منها عامل العبيديين (أبو محمود بن إبراهيم بن جعفر) واعتصم بيافا ونشب القتال بينهم

مسير الأعصم إلى الشام ووفاته في الرملة

٣٦٦هـ وفي جمادى الأولى وردت البشارة على جعفر بأن ابن عمه الحسن بن أحمد الأعصم في الطريق إلى الشام. ولما صح الخبر بذلك حاول (جوهر) الاعتصام بمكان آمن، فدخل زيتون الرملة وتحصن بها وسار ألبتكين من دمشق في إثر (الحسن) فأدركه بالرملة. وهناك أدركت الحسن بن أحمد الوفاة.

جوهر يغري العزيز بالمسير

قال ابن خلدون. كتب أفتكين إلى الأعصم مَلِك القرامطة يستنجده، فسار إليه من الإحساء، واجتمع إليهم من رجال الشام والعرب نحو من خمسين ألفاً وأدركوا جوهراً بالرملة، وقطعوا عنه الماء فارتحل إلى عسقلان فحاصروه بها حتى بلغ الجهد، وأرسل جوهر إلى أفتكين بالمعاتبة والوعد، والقرمطيّ يمنعه، ثم سأله في الاجتماع فجاءه أفتكين، ولم يزل جوهر يفتل له في الذروة والغارب، وأفتكين يعتذر بالقرمطيّ ويقول: أنت حملتني على مداراته، فلمّا أيس منه، كشف له عمّا هم فيه من الضيق، وسأله الصنيعة وأنه يتّخذها عند العزيز فحلف له على ذلك، وعزله القرمطيّ، وأراه جوهر أن يحمل العزيز على المسير بنفسه فصمّم من عزله وأبى إلاّ الوفاء، وانطلق جوهر إلى مصر وأغرى العزيز بالمسير إليهم، فتجهّز في العساكر وسار وجوهر في مقدمته، ورجع أفتكين والقرمطيّ إلى الرملة، واحتشدوا ووصل العزيز فاصطفوا للحرب بظاهر الرملة في محرم سنة سبع وستين[1].

= وذكر المقريزي، أن كسرى بن أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي طالب أصحابه بتسليم الأمر للمعز لدين الله، لما كان يسمعه من أبيه وعمومته أنه الإمام وصاحب الأمر والعلم والمهدي وصاحب الزمان، فاجتمع عمومته ودعوه للمناظرة في هذا، فلما حضر معهم في الدار خبطوه بسيوفهم حتى قتلوه. اتعاظ الحنفا ص٢٣٨

(١) لو أن ابن خلدون قال إنهم اصطفوا للحرب في محرم ٣٦٦هـ لزال الإشكال، لأن التاريخ الذي ذكره يتنافى مع كثير من المصادر التي تكاد تجمع على أن وفاة الأعصم كانت في سنة ٣٦٦هـ

وتذكر القارئ بأن ما تراه من المتناقضات في نقلنا للأخبار نحن أيضاً نراه، ولكن ماذا بوسعنا أن نفعل؟ كل الذي نستطيع فعله هو محاولة التوفيق بين الأخبار قدر المستطاع، أما التي تختلف اختلافاً كليًّا فنذكرها ونتركها على علتها لعلنا نجد لها فيما بعد التفسير المناسب من مصادر أخرى أكثر دقة. ولعل من أهم هذه التناقضات:

١- بعض المصادر تذكر وجود الأعصم في الشام نصرة لأهل الشام ووفاته في الرملة سنة ٣٦٦هـ، بينما مصادر أخرى تذكر أنه اصطف للقتال سنة ٣٦٧هـ في الشام، وبعد الهزيمة عاد للإحساء ولم تشر إلى وفاته.

٢- وبعض المصادر تذكر ما يفيد بأن الأعصم حين توفي كان عمره ٨٨سنة؟، وأظن أن هذا العمر كبير جدًّا ولا ينسجم مع قائد نشط عسكريًّا يكون بين الفينة والأخرى خارجاً للحرب هنا وهناك من مصر إلى عمان إلى الكوفة

حرب ألبتكين مع العزيز الفاطمي ووقوعه في قبضة العزيز

قال ابن خلدون: وبعث العزيز إلى أفتكين يدعوه إلى الطاعة، ويرغّبه ويعده بالتقدّم في دولته، ويدعوه إلى الحضور عنده فتقدم بين الصفّين، وترجّل وقبّل الأرض وقال: قل لأمير المؤمنين لو كان قبل هذه لسارعت، وأما الآن فلا يمكنني، وحمل على الميسرة فهزمهم وقتل الكثير منهم، فامتعض العزيز وحمل هو والميمنة جميعاً فهزمهم، ووضع المغاربة السيف فقتلوا نحواً من عشرين ألفاً، ثم نزل في خيامه، وجيء بالأسرى فخلع على من جاء بهم، وبذل لمن جاء بأفتكين مائة ألف دينار، فلقيه المفرّج بن دغفل الطائي، وقد جهده العطش فاستسقاه، وتركه بعرشه مُكرَماً، وجاء إلى العزيز فأخبره بمكانه، وأخذ المائة ألف التي بذلها فيه، وأمكنه من قياده، ولما حضر عند العزيز وهو لا يشك أنه مقتول أكرمه العزيز ووصله، ونصب له الخيام، وأعاد إليه ما نهب منه، ورجع به إلى مصر فجعله أخص خدمه وحجّابه، وبعث إلى الأعصم القرمطيّ من يردّه إليه ليصنه، كما فعل بأفتكين فأدرك بطبرية، وامتنع من الرجوع فبعث إليه بعشرين ألف دينار، وفرضها له ضريبة وسار القرمطيّ إلى الإحساء، وعاد العزيز إلى مصر[1].

وفاة الأعصم الحسن بن أحمد وما حلّ بالقرامطة من بعده

٣٦٦هـ في يوم الأربعاء ٢٣ رجب ٣٦٦هـ الموافق (١٦ فبراير ٩٧٧م تقريباً) ((توفي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الحسن بن بهرام أبو علي، وقيل أبو محمد القرمطي الجنّابي الخارجي ولد بالإحساء في شهر رمضان سنة ٢٧٨هـ ... مات بالرملة في عوده إلى دمشق في شهر رجب))[2]، وقيل كان يلقب بالأعصم وكان يلبس الثياب القصيرة وكان فصيحاً شاعراً

تقول د. مي الخليفة عن الحسن الأعصم بن أحمد بن الحسن أبي سعيد الجنابي: ولد الأعصم في

- إلى البصرة، وكذلك قيامه بفريضة الحج أكثر من مرة وزيارته لقصر الخلافة في بغداد، إن لم نقل زياراته.

٣- بعض المصادر تسمي الأعصم الحسن وبعضها تسميه الحسين..

٤- وبعض المصادر تفيد أنه بعد موت الأعصم طردوا أولاده ومضوا إلى البحرين وولوا أمرهم إلى اثنين منهم هما إسحاق وجعفر الهجريين؟ بينما بعض المصادر تقول بن إسحاق وجعفراً هما ابنا الأعصم!! وبعض المصادر تذكر أن إسحاق وجعفراً وكسرى هم أبناء عم الأعصم..

٥- في الوقت الذي نعلم أنه وقت حكم الأعصم للقرامطة من ٣٥٩هـ تقريباً إلى سنة ٣٦٦هـ تقول بعض المصادر الموثوقة إنه في سنة ٣٦١هـ مات سعيد بن أبي سعيد وبه لم يبق من أبناء أبي سعيد غيره هو وغير أخيه يوسف أبي يعقوب الذي تولى بعده ثم تذكر المصادر أن يوسف هذا توفي سنة ٣٦٦هـ وتولى بعده ستة شركاء؟؟، فأين ذهبت سنوات حكم الأعصم

(١) تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع.

(٢) النجوم الزاهرة ج٤ ص١٢٨

الإحساء عام ٢٧٨هـ[١] ولقب بالأعصم لوجود بياض في طرف من أطرافه، وكان قصير القامة وقيل إنه كان يستعين بكرسي حين يمتطي صهوة جواده ولم يكن يركب من الخيل إلا أقواها[٢].

وكان الأعصم عالماً أديباً لبيباً، ذكروا أنه قال لكاتبه أبي نصر كشاجم ذات ليلة: ما يحضرك في هذه الشموع؟ فقال. إنما نحضر مجلس السيد أعزه الله لنسمع كلامه ونستفيد من أدبه، فقال على البديهة شعراً:

ومـجـدولـةٍ مـثـل صـدرِ الـقـنـاةِ	تـعـرَّتْ وبـاطِـنُـهـا مُـكْـتَـسِـي
لَـهَـا مـقـلـةٌ هِـيَ رُوحٌ لَـهـا	وتـاجٌ عـلـى هـيـئـةِ الـبُـرْنُـسِ
إذا غـازَلَـتْـهـا الـصَّـبَـا حَـرَّكَـتْ	لِـسـانـاً مـنَ الـذَّهَـبِ الأمْـلَـسِ
إذا مـا رمـت الـنـعـاس كـرا	وقـطـعـت مـن الـرابـل لـم تـنـعـس
وتـنـتـجُ فـي وقـت تـلـقـيـحـهـا	ضـيـاء يـجـلّـي دُجَـى الـحِـنْـدِسِ
وقال: فـنـحـنُ مـنَ الـنُّـور فـي أسْـعُـدٍ	وتـلـكَ مـن الـنّـارِ فـي أنْـحُـسِ[٣]
زَعَـمُـوا أنّـي قَـصِـيـرٌ لَـعَـمْـرِي	مـا تُـكَـالُ الـرِّجَـالُ بـالـقُـفْـزانِ
إنَّـمـا الـمَـرْءُ بـالـلِّـسـانِ وَبـالـقَـلْـبِ	وَهَـذا قَـلْـبـي وَهَـذا لِـسَـانـي

وقال:

إنّي امْرُؤٌ لَيْسَ مِنْ شأني ولا أرَبي	طَـبْـلٌ يَـرِنُّ ولا نـايٌ ولا عُـودُ
ولا اعـتـكـافٌ عـلـى خَـمْـرٍ وَمَـجْـمَـرَةٍ	وذاتِ دَلٍّ لَـهَـا دَلٌّ وَتَـفْـنِـيـدُ
ولا أبِـيـتُ بَـطِـيـنَ الـبَـطْـنِ مِـنْ شَـبَـعٍ	ولي رَفِيقٌ خَمِيصُ البَطْنِ مَجْهُودُ
وَلا تَـسَـامَـتْ بِـيَ الـدُّنْـيَـا إلـى طَـمَـعٍ	يَـوْمـاً ولا غَـرَّنـي فِـيـهَـا الـمَـوَاعِـيـدُ

وقال:

يـا سـاكِـنَ الـبَـلَـدِ الـمـنـيـفِ تَـعَـزُّزاً	بِـقِـلاعِـهِ وحُـصُـونِـهِ وكُـهُـوفِـهِ
لا عِـزَّ إلّا لِـلْـعَـزِيـزِ بِـنَـفْـسِـهِ	وبِـخَـيْـلِـهِ وبِـرَجْـلِـهِ وَسُـيُـوفِـهِ
وَبِـقُـبَّـةٍ بَـيْـضَـاء قَـدْ ضُـرِبَـتْ عَـلَـى	جَـنْـبِ الـخِـيَـامِ لِـجَـارِهِ وحَـلِـيـفِـهِ[٤]
قَـرْمٍ إذا اشـتَـدَّ الـوَغَـى أرْدَى الـعِـدَى	وَشَـفَـى الـنُّـفُـوسَ بِـضَـرْبِـهِ وَوُقُـوفِـهِ[٥]
لَـمْ يَـرْضَ بـالـشَّـرَفِ الـتَّـلِـيـدِ لِـنَـفْـسِـهِ	حَـتَّـى أشـادَ تَـلِـيـدَهُ بِـطَـرِيـفِـهِ[٦]

---

(١) إذا كانت ولادته في سنة ٢٧٨هـ فهذا يعني أن عمره حين وفاته كان (٨٨سنة)؟.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٣٠٩.

(٣) أخبار القرامطة للدكتور سهيل زكار دار الكوثر الرياض ١٩٨٩ ص ٦٠٠.

(٤) وقيل ضيوفه. (٥) قيل: زحوفه.

(٦) أي: سيفه

وفاة أمراء من القرامطة

٣٦٦هـ ((توفي يوسف بن الحسن الجنابي القرمطي صاحب هجر ومولده سنة ٢٨٠هـ وتولى أمر القرامطة بعد شركة وسموا السادة))[1]، وكنا قد ذكرنا أن الأعصم توفي في الرملة عن عمر يناهز الثامنة والثمانين، وتذكر المصادر أنه في سنة ٣٦٧هـ توفي (أبو يوسف يعقوب بن الحسن أمير القرامطة): ويذكر دي خويه (أن القرامطة في تلك الفترة لم يعودوا مكروهين، وتغيرت مواقف الناس تجاههم، إلى حد أن أسواق الكوفة ظلت مقفلة ثلاثة أيام حين وصلها نبأ وفاة أبي يوسف يعقوب بن الحسن أمير القرامطة عام ٣٦٧هـ)[2].

وبوفاة أبي يعقوب بن الحسن بن بهرام القرمطي عقد الأمر بعده لسبعة من أهل بيت الإمارة شركة ومنهم سهل بن همام وكان الأمر بينهم شركة وسموا السادة

قيام النزاع والشقاق بين القرامطة لمدة ٣٠ سنة

بعد موت الأعصم ثار الشقاق والنزاع بين القرامطة لمدة ٣٠ سنة بين إسحاق وجعفر وفي هذه المدة تغلبت القبائل عليهم وهي: تغلبة، وعقيل، وسليم. وقال المؤرخون: وعلى أثر موت الأعصم ثار أهل البحرين على أسرة أبي سعيد وأنكروا عليهم خطبتهم وولاءهم لبني العباس واتفقت كلمتهم على إخراج الأمر منهم إذ قرر العقدانية طرد أبناء الحسين فنفوهم بأجمعهم إلى جزيرة أوال وأسندوا مهام الدولة لرجلين منهم هما: إسحاق وجعفر الهجريين يعاونهما ستة أشخاص أطلقوا عليهم اسم السادة ثم أعلنوا ولاءهم للفاطميين في مصر.

قال ابن خلدون: وأنكروا ما فعله الأعصم من البيعة لبني العباس، واتفقوا على إخراج الأمر عن ولد أبي سعيد الجنابي وقدموا رجلين منهم هما جعفر وإسحاق، وسار بنو أبي سعيد إلى جزيرة أوال وكان بنو أبي طاهر قبلهم فقتلوا كل من دخل إليهم من ولد أحمد بن أبي سعيد وأشياعه، ثم قام بأمر القرامطة جعفر وإسحاق هذان، ورجعوا إلى دعوة العلوية ومحاربة بني بويه ورجعوا سنة أربع وستين[3] إلى الكوفة فملكوها، وبعث صمصام الدولة بن بويه العساكر إليهم فهزمهم على الفرات، وقتل منهم خلقاً واتبعوهم إلى القادسية، ثم اختلف جعفر وإسحاق، وطمع كل منهم في الرياسة على صاحبه وافترق أمرهم وتلاشت دعوتهم إلى أن استولى الأصفر بن أبي الحسن التغلبي سنة ٣٩٨هـ عليهم، وملك الإحساء من أيديهم، وأذهب دولتهم وخطب للطائع واستقرت الدولة له ولبنيه[4]

قال التاجر محمد علي: وبعد موت - الأعصم - ثار الشقاق بين القرامطة ولعب السيف بينهم مدة مديدة حتى أفناهم وبددهم وشردهم في الأمصار ولم يبق منهم إلا جعفر وإسحاق ابنا الأعصم فما زالا

---

(١) تاريخ أبي الفداء، وهذا الخبر يعني أن عمر الأمير يوسف في هذا العام ٨٦هجرية.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٣٢٠.

(٣) لعله يريد سنة ٣٧٤هـ.

(٤) تاريخ ابن خلدون ج٤ ص٩١.

متنازعين متكافحين مدة ثلاثين سنة ضعف في أثنائها شأن البحرين وتشتت شملها وانفرط عقد نظامها وتكاثرت فيها الأعراب ذوو المطامع المختلفة والغايات المتضاربة، فقد ذكر أهل السير والمؤرخون أن القبائل العربية قد كثرت في ذلك الوقت في البحرين، وكل منها له شأن وغرض يرمي إليه ويتحين الفرص للحصول عليه وأكثر القبائل وأظهرها بنو ثعلبة وبنو عقيل من بني عامر بن صعصعة وبنو سليم، وأظهرهم بنو ثعلبة وهم الطامحون إلى الملك والرئاسة ورئيسهم يومئذ الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي، وهو الذي أوقع بإسحاق وجعفر ابني أبي علي الحسن بن أحمد القرمطي واحتوى على ملكهم[1].

إرسال حاكم علوي إلى مكة من قبل العباسيين

٣٦٦هـ في هذه السنة بعث الحسين بن أحمد عساكره إلى الحرمين وقطع الخطبة للعبيديين، وجاء أميرٌ علويّ من قبل الطائع إلى مكة، فأقام له الخطبة. وقال ابن كثير: كانت الخطبة في هذه السنة بالحرمين للفاطميين أصحاب مصر دون العباسيين.

وفيها حج بالناس ابن القمر صاحب القرامطة. وقال ابن الجوزي: وحج في هذه السنة بالناس من العراق أبو عبدالله أحمد بن أبي الحسين محمد بن عبدالله العلوي وكذلك إلى سنة ٣٨٠هـ[2].

في شوال ورد أبو بكر محمد بن علي بن شاهويه، صاحب القرامطة إلى الكوفة ومعه ألف رجل منهم وأقام الدعوة بها للطائع لله ولعضد الدولة.

تأسيس إمارة الأشراف الحسينيين في المدينة المنورة

٣٦٦هـ تأسست على يد أبي طاهر قاسم بن مسلم بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وقد أشرنا إلى أن أميرهم في سنة ٣٦٥هـ كان طاهر بن مسلم.

وقال ابن خلدون: قال ابن الحصين في ذيله على الطبري: دخلت المائة الرابعة والخطبة بالمدينة للمقتدر، قال: وترددت ولاية بني العباس عليها والرياسة فيها بين بني حسين وبني جعفر إلى أن أخرجهم بنو حسين فسكنوا بين مكة والمدينة، ثم أجلاهم بنو حرب من زبيد إلى القرى والحصون، وأجازوهم إلى الصعيد فهم هنالك إلى اليوم، وبقي بنو حسين بالمدينة إلى أن جاءهم طاهر بن مسلم من مصر فملكوه عليهم، وفي الخبر عن وصول طاهر هذا أنّ مسلماً أباه اسمه محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى المحدّث ابن الحسن بن جعفر، ويسمّى عند الشيعة حجّة الله بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن زين العابدين، وكان مسلم هذا صديقاً لكافور المتغلّب على الإخشيديّة بمصر، وكان يدبّر أمره، ولم يكن بمصر لعصره أوجه منه، ولما ملك العبيديّون مصر وجاء المعزّ لدين الله ونزل بالقاهرة التي اختطها وذلك سنة ٣٦٥هـ خطب يومئذ من مسلم هذا كريمته لبعض بنيه فردّه مسلم فسخطه المعزّ ونكبه، واستصفى

(١) مخطوط: عقد اللآل في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل١٩.

(٢) إتحاف الورى ج٢ ص٤١٣.

أمواله، وأقام في اعتقاله إلى أن هلك، ويقال فرَّ من محبسه فهلك في مفره، ولحق ابنه طاهر بن محمد بعد ذلك بالمدينة فقدمه بنو حسين على أنفسهم، واستقل بإمارتها سنين، ثم مات سنة ٣٨١هـ وولي مكانه ابنه الحسن[1].

ثم يقول ابن خلدون: إلا أن أمراء المدينة لهذا العهد - يقصد سنة ٧٩٩هـ -، ينتسبون إلى داود ويقولون: جاء من العراق فلعلهم لقنوا ذلك عمن لا يعرفه.

نقل هلال وسليم وربيعة إلى مصر

تقول المصادر التاريخية إن العزيز بالله الفاطمي ((أرسل جيشاً في سنة ٣٦٧هـ لمهاجمة القرامطة في الشام واستطاع أن يهزمهم ويشتت شملهم وبذلك استطاع أن يفرد بفلول بني هلال وربيعة وسليم منقلهم إلى منطقة مصر العليا الصعيد. إلا أن هؤلاء بدأت تعلو مشاكلهم وبخاصة ما بين رعة ورياح))،

وفيها أنفذ العزيز من مصر على الركب باديس بن زيري الصنهاجي فاستولى على الحرمين وأقام الخطبة للعزيز بمكة[2].

مسيرات العساكر المصرية إلى ابن الجراح بفلسطين والشام

٣٧٠هـ سيرت العساكر من مصر لقتال المفرج بن الجراح لعظم شأنه بفلسطين وكثر جمعه وقوة شوكته.

٣٧١هـ انقطع الحج العراقي إلى سنة ٣٧٨هـ[3].

٣٧٢هـ ((اعترض الحاج عند عوده من مكة المفرج بن دغفل المعروف بابن الجراح بنعمة واقصة، فحاصرهم حتى صالحوه على مال أخذه منهم))[4].

استيلاء الجيوش المصرية على فلسطين والشام

٣٧٢هـ ((سير العزيز بالله العلوي صاحب مصر جيشاً مع بكتكين إلى الشام فوصلوا إلى فلسطين وكان قد استولى عليها مفرج بن الجراح وكثر جمعه، فجرى بينهم قتال شديد فانهزم ابن الجراح وجماعته وكثر القتل والنهب فيهم، ثم سار بكتكين إلى دمشق فقاتله قسام المتولي عليها فغلبه بكتكين وملك دمشق وأمسك قساماً وأرسله إلى العزيز بمصر واستقر بدمشق وزالت الفتن))[5].

---

(١) تاريخ ابن خلدون م٤.

(٢) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٤١٥.

(٣) المصدر نفسه ص٤٢٠

(٤) درر الفرائد المنظمة ص٥٢٩.

(٥) المختصر: تاريخ أبي الفدا

وفاة عضد الدولة بن ركن الدولة الديلمي فخلفه ابنه صمصام الدولة

٣٧٢هـ في ثامن شوال من هذه السنة مات عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه بمعاودة الصرع مرة بعد أخرى وحمل إلى مشهد علي بن أبي طالب ﷺ فدفن به[1] وجلس ابنه صمصام الدولة أبو كليجار المرزبان للعزاء فجاءه الطائع معزياً، وكان عضد الدولة بعيد الهمة شديد الهيبة حسن السياسة ثاقب الرأي[2].

قيام دولة بني خفاجة قرب الكوفة

٣٧٤هـ- ٥٦٨م قامت دولة بني خفاجة بالقرب من الكوفة واستمرت ١٩٤ عاماً، أي إلى سنة ٥٦٨هـ، ومؤسسها هو: أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجي.

دخول القرامطة للبصرة واقترابهم من بغداد

٣٧٤هـ دخلت القرامطة البصرة لما علموا بموت عضد الدولة، ولم يكن لهم قوة على حصارها، فجمعوا لهم مالاً فأخذوه وانصرفوا[3] وعند اقتراب جيوشهم من أطراف بغداد تم استرضاؤهم بمختلف التنازلات[4].

استيلاء القرامطة على الكوفة ثم اندحارهم

٣٧٥هـ إسحاق وجعفر الهجريان (عضوا مجلس السيادة) يقودان حملة كبيرة واتجها نحو الكوفة واستوليا عليها وخطبا لشرف الدولة البويهي نكاية بأخيه صمصام الدولة لإلقائه القبض على ممثل القرامطة في بغداد أبي بكر – محمد بن علي – بن شاهويه، بعد ذلك سير صمصام الدولة جيشاً جراراً من العرب والأتراك يقوده (إبراهيم بن مرح العقيلي) و(أبو القاسم بن زعفران) و(أبو الفضل المظفر) لمقاتلتهم فاشتبكوا في معركة عنيفة أسفرت عن انهزام القرامطة استطاع (إبراهيم) اختراق القوات القرمطية وأسر عدد من قادتهم وفي مقدمتهم أبو قيس الحسن بن المنذر

قال ابن خلدون: كان للقرامطة محل من البأس والهيبة عند أهل الدول وكانوا يدافعونهم في أكثر الأوقات بالمال، وأقطعهم معزّ الدولة وابنه بختيار ببغداد وأعمالها، وكان يأتيهم ببغداد أبو بكر بن شاهويه يحتكم بحكم الوزراء فقبض عليه صمصام الدولة، وكان على القرامطة في هجر ونيسابور مشتركان في إمارتهما، وهما إسحاق وجعفر فلمّا بلغهما الخبر سارا إلى الكوفة فملكاها وخطبا لمشرف الدولة، وكاتبهما صمصام الدولة بالعتب فذكرا أمرهما ببغداد، وانتشر القرامطة في البلاد وجبوا

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع القسم الخامس.

(٣) النجوم الزاهرة ج٤ ص١٤٥.

(٤) من سواد الكوفة إلى البحرين ص٣٢٠ راجع ميكال يا دي خويه، القرامطة ص١٥٦

الأموال، ووصل أبو قيس الحسن بن المنذر من أكابرهم إلى الجامعين فسرّح صمصام الدولة العسكر، ومعهم العرب فعبروا الفرات وقاتلوه فهزموه وأسروه، وقتلوا جماعة من قواد القرامطة، ثم عاودوا عسكراً آخر. ولقيتهم عساكر صمصام الدولة بالجامعين فانهزم القرامطة وقتل مقدّمهم وغيره وأسروا منهم العساكر، وساروا في اتباعهم إلى القادسية فلم يدركوهم

قال ابن الأثير: وفيها (٣٧٥هـ) ورد الخبر بأن اثنين من سادة القرامطة وهما إسحاق وجعفر دخلا الكوفة في جمع عظيم فانزعجت النفوس بسبب ذلك وذلك لصرامتهما وشجاعتهما. ولأن عضد الدولة مع شجاعته كان يصانعهما وأقطعهما أراضي من أراضي واسط، وكذلك عز الدولة من قبله أيضاً فجهز إليهما صمصام جيشاً فطردهما عن تلك النواحي التي قد أكثروا فيها الفساد وبطل ما كان في نفوس الناس منهما.

بداية النهاية لدولة القرامطة

حين دخل القرامطة الكوفة - سنة ٣٧٥هـ بقيادة اثنين من السادة هما إسحاق وجعفر اللذان دخلوها دخول الظافرين، إلا أنهم انهزموا بعد بضعة انتصارات ولم تقم لهم بعدها قائمة في العراق، وكتب ابن الأثير: (وزال من حينئذ ناموسهم).

بعد تلك الهزيمة يضعف أمر القرامطة وينشب خلاف داخلي بين جعفر وإسحاق (كل منهما يريد الاستئثار بالحكم) وينتهي نفوذهم في عمان أيضاً سنة ٣٧٥هـ وتتلاشى هيبتهم أمام الأعراب الذين لم يعودوا ينقادون لهم. كما تفقد دولة هجر المصادر المالية التي كانت تأتي عن طريق ضرائب الحج[1]

يبدو أن السنوات التي تلت وفاة حاكم القرامطة القوي الحسن الأعصم، وما جرّت عليه استهانة الدولة الفاطمية به قبيل وفاته بما عمل ضده من انقلابات داخلية كيدية، ثم مهاجمة السلاطين البويهيين له من جهة أخرى ووصلوا إلى عقر داره ومحاولتهم إضعاف منطقة نفوذهم، ما كانت كل هذه التحرشات وغيرها إلّا إثباتاً للشعوب المحيطة بأن القرامطة لم يعودوا كما كانوا في الماضي يشكلون أسطورة الجيش الذي لا يقهر أو أنهم في عصمة من الهزيمة، بل إن الهزائم المتلاحقة جعلت القبائل المحيطة تتمرد عليهم بمحاولة للاستئثار بالثروات المحلية. وهذا ما كان يتمناه زعماء البويهيين أنفسهم فجعلوا يدعمون ويشجعون رؤساء القبائل ويحرضونهم على الاستقلال، فكان من جراء ذلك النتائج التالية:

١- الأصفر التغلبي قاد تمرداً في المنطقة بالتحالف مع بني عقيل فتم إجلاء بني سليم لتدخل بطون منهم ضمن التغريبة الهلالية.

٢- آل مكرم استطاعوا الاستقلال بحكم عمان، وإنهاء سلطة القرامطة عليها في سنة ٣٧٥هـ.

٣- بقاء تغلبة وعقيل في المنطقة بعد أن طردوا سليماً منها.

٤- في سنة ٣٧٨هـ أوقع الأصفر التغلبي بإسحاق وجعفر وبقية القرامطة ومن يلوذ بهم وقتلهم جميعاً، واستطاع أن يؤسس دولة على أنقاض دولتهم

---

(١) المصدر نفسه ص٣٢١

٥- بعد أن عظم شأن بني ثعلبة وبعد أن ضاقو ذرعاً بني عقيل أثاروا ضدهم حرباً شعواء وطردوهم من المنطقة، فانتقلوا إلى العراق وأسسوا هناك دولة لهم بالكوفة والبلاد الفراتية.

٦- في سنة ٤١٠هـ مات الأصفر وفقاً لما يذكر ابن كثير.

٧- الأصفر - أو ابن الأصفر كما نرجح - طالت أيامه واتسعت دولته وقوي نفوذه واستطاع أن يلاحق بني عقيل ويحصل على أراضيهم بعين التمر، فقبض عليه أحد السلاطين السلاجقة وحبسه ثم عفا عنه وأطلقه ومات في سنة ٤٣٨هـ.

٨- ثم إن بني عقيل بعد استقرارهم لعدة عقود في العراق وتأسيسهم لدولتهم تأثروا بالمد السلجوقي الجارف على أراضيهم فعادوا في الأربعينات من الأربعمائة الهجرية أدراجهم إلى مواطنهم الأولى في البحرين، فوجدوا بني ثعلبة قد أصابهم الهرم والضعف فاستولوا على دولتهم وساعدوا في قيام الدولة القرمطية مرة أخرى، على الرغم من أن بعض المصادر تنص على أن بني ثعلبة هم أصلاً امتداد للقرامطة.

٩- وفيما بين سنة ٤٤٢هـ إلى ٤٤٣هـ كان هناك أمير عربي يحاصر الإحساء لمدة عام في محاولة منه للاستيلاء على قلعة هجر.

ومن التناقضات التاريخية التي نود الإشارة إليها ذكر أغلب المصادر إلى أن وفاة الأصفر أو الأصيفر المنتفق كانت في سنة ٤٣٨هـ، بينما يذكرها ابن كثير في حوادث سنة ٤١٠هـ.

استيلاء بني مكرم على عمان

في مخطوط عقد اللآل في تاريخ أوال لسعيد علي التاجر ((كان بأعمال البحرين خلق من العرب، وكان القرامطة يستجدونهم على أعدائهم، ويستعينون بهم في حروبهم، وربما يحاربونهم ويقاطعونهم في بعض الأوقات كان أعظم قبائلهم هناك كما قدمنا وأظهرهم في العزة والكثرة بنو ثعلبة، ولما فشلت دولة القرامطة بالبحرين وأحكمت العداوة بينهم وبين بني بويه بعد انقراض ملك بني الجنابي وعظم اختلافهم عند القائم بدعوة العباسية وكان خصمة للقرامطة ودعاه إلى ذهاب دولتهم فأجابه وداخل بني مكرم رؤساء عمان في مثل ذلك فأجابوه فاستولى بنو مكرم على عمان

الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي زعيم المنتفق ينهي حكم القرامطة في الإحساء

في سنة ٣٧٨هـ ((هجم القرامطة على البصرة فنهبوا منها الأنعام والمواشي فلمّا سمع الأصفر من بني المنتفق جمع عربه وعقب القرامطة فلم يلحق بهم إلا في مكان يقرب الإحساء وهجم عليهم وقتل منهم زهاء ألف وخمسمائة رجل وأخذ منهم الأنعام والأموال وعاد مظفراً))[1].

---

(١) ولاة البصرة ومتسلموها لابن غلاس ت١٣٣٣.

وكان هذا الهجوم المعاكس على القرامطة من قبل المنتفق وقع بتحريض من الفقيه الحنفي أبي بكر محمد بن محمد النيسابوري الذي اتصل بـ(الأصفر) أو (الأصغر) رئيس المنتفق وحثه على مهاجمة القرامطة في الإحساء، ورافقه في حصاره لها سنة ٣٧٨هـ وفي نفس الوقت كان هذا الفقيه ينصح المنتفقي بعدم التعاون مع حاكم مصر الملقب بـ(العزيز) حين حاول استمالته إليه وضمه إلى دعوته[١].

فعندما علم نزار العبيدي بأن الأصفر يحاصر القرامطة في الإحساء ويقتل من يخرج منهم أرسل إليه بهدايا كثيرة وأموال وسأله أن يرسل إليه ثقة له، فأرسل ابن أخته، فلاقى من نزار كل تكريم وتبجيل وأعطاه الأموال على أن يدعو خاله للدخول في دعوتهم على أن يقطعه البلدان العظيمة من أرض الشام، وهنا منعه الفقيه النيسابوري من متابعته وقال له: لا تغتر بما يظهر نزار من أنه من المسلمين وأنه يدعو إلى الإسلام وإلى الحق، فإنه شر من هؤلاء القرامطة الذين بالإحساء، فهم الأصل في الفساد الذي وقع في الإسلام، وخذ الأموال التي أعطوك فإنما هي هدية أهدوها لك، واستذلوك بها. فأرسل الأصفر إلى نزار في جواب الرسالة. إني لست أجيبك إلى قبول ما بذلت من الإقطاع من الشام إلى أن أفرغ من الإحساء وأهلها وأعرف ما عندي[٢].

وفي ساحل الذهب الأسود ذكر أن آل بويه ألبوا على القرامطة ((رجلاً قوي الشكيمة من قبيلة المنتفق يسمى الأصيفر حشد حشداً كثيراً وسار بهم إلى البحرين فخرج القرامطة لملاقاته وأسفرت عن قتل رئيسهم وقتله معظمهم وأسر عدد كبير منهم وفرار فلولهم حيث اعتصموا بالإحساء فحاصرها الأصيفر فلمّا يئس من فتحها زحف على القطيف فصادر جميع ما كان فيها للقرامطة من الأموال والمواشي والعبيد ثم عاد للبصرة)).

قال ابن فهد ((هنالك دولة للقرامطة انقرضت آخر المائة الرابعة، وتغلب عليهم العرب من بني سليم وبني عقيل))[٣]. وهذا القول هو نفسه قول ابن خلدون عن قرامطة البحرين. ((كانت لهم هنالك دولة انقرضت آخر المائة الرابعة، وتغلب عليهم العرب من بني سليم وبني عقيل))[٤].

أظن أن اتحاد سليم وعقيل هذا هو نفس ذلك الاتحاد الذي نصروا به الأخيضر في نصف القرن الثالث الهجري عند استيلائه على مكة واليمامة، فعله امتداد لنفس ذلك الاتحاد والذي سيستمر كما سنلاحظ.

قال ابن خلدون عن القرامطة: ((افترق أمرهم وتلاشت دعوتهم إلى أن استولى الأصفر بن أبي

---

(١) الإمارة العيونية للملا.

(٢) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٣٤٢، نقلاً عن كتاب تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد ص١٩١ للقاضي عبدالجبار الهمداني.

(٣) سمط النجوم العوالي للعاصمي ت١١١١هـ م٣ ص٥٤٠.

(٤) ٦٠٨ ابن خلدون المجلد الثالث.

الحسن الثعلبي سنة ٣٩٨هـ(*) عليهم، وملك الإحساء من أيديهم، وأذهب دولتهم وخطب للطائع واستقرت الدولة له ولبنيه))[1]. ((بنو ثعلبة كانوا أقوى شكيمة وأكثر عدداً فتحالفوا مع بني مكرم رؤساء عمان ضد القرامطة وذلك سنة ٣٩٨هـ))[2].

هجرة بني سليم إلى إفريقيا وتغريبة بني هلال

غص بنو ثعلبة بسليم واستعانوا عليهم ببني عقيل وطردوهم من البحرين فساروا إلى مصر ومنها كان دخولهم إلى إفريقية سنة ٣٧٨هـ[3]، ودخلت سليم ضمن تغريبة بني هلال التي ضمت معها بعض القبائل والبطون الأخرى.

ويقول ابن خلدون في تاريخه مجلد٦ الكتاب الثالث: ولهؤلاء الهلاليين في الحكاية عن دخولهم إلى إفريقية طرق في الخبر غريبة: يزعمون أن الشريف ابن هاشم كان صاحب الحجاز ويسمونه شكر بن أبي الفتوح، وأنه أصهر إلى الحسن بن سرحان في أخته الجازية فأنكحه إياها وولدت منه ولداً اسمه محمد. وأنه حدث بينهم وبين الشريف مغاضبة وفتنة، وأجمعوا الرحلة عن نجد إلى إفريقية. وتحيّلوا عليه في استرجاع هذه الجازية فطالبته في زيارة أبويها فأزارها إياهم، وخرج بها إلى حللهم فارتحلوا به وبها. وكتموا رحلتها عنه، وموّهوا عليه بأنهم يباكرون به للصيد والقنص ويروحون به إلى بيوتهم بعد بنائها فلم يشعر بالرحلة إلى أن فارق موضع ملكه، وصار إلى حيث لا يملك أمرها عليهم ففارقوه، فرجع إلى مكانه من مكة وبين جوانحه من حبها داء دخيل، وأنها من بعد ذلك كلفت به مثل كلفه إلى أن ماتت من حبه.

من شعر الشريف شكر في فراق الجازية أم محمد

قال ابن خلدون: لأهل المشرق وأمصاره لغة غير لغة أهل المغرب وأمصاره، وتخالفهما أيضاً لغة أهل الأندلس وأمصاره. وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر، ثم بعد ذلك يسبون فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات، نسبةً إلى الأصمعي، راوية العرب في أشعارهم، وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي والحوراني والقيسي، وربما يلحنون فيه ألحاناً بسيطةً، لا على طريقة الصناعة الموسيقية، ثم يغنون به، ويسمون الغناء به باسم الحوراني، نسبةً إلى حوران من أطراف العراق والشام، وهي من منازل العرب البادية ومساكنهم إلى هذا العهد. ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم يجيئون به معصباً على أربعة أجزاء يخالف آخرها الثلاثة في رويّه ويلتزمون

(*) التاريخ الذي ذكره ابن خلدون غير صحيح أو انه مصحف ومحرف لأن خلافة الطائع العباسي كانت ما بين سنة ٣٦٣هـ إلى سنة ٣٨١هـ والسنة المقصودة هي ٣٧٨هـ

(١) تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع.

(٢) ساحل الذهب الأسود. وتحالف بني الأصفر مع آل مكرم كان في سنة ٣٧٨هـ.

(٣) المصدر السابق.

القافية الرابعة في كل بيت إلى آخر القصيدة. فمن أشعارهم على لسان الشريف ابن هاشم يبكي الجازية بنت سرحان، ويذكر ظعنها مع قومها إلى المغرب:

قالَ الشَّرِيفُ ابْنُ هاشِمٍ عَلِي ... تَرَى كَبِدِي حَرَّى شَكَتْ مِنْ زَفِيرِها
يفز للأعلام أين ما رأت خاطري ... يرد علام البدو يَلْوِي عَصِيرها
وما ذا شكاةُ الرُّوحِ مِمَّا طَرَا لها ... صداة ورائع تلف الله خسيرها
يحسن أن قطاع عامر ضميرها ... طوى وهند جافي ذكيرها
وعادَتْ كما خوارة في يدِ غاسل ... على مثلِ شوك الطلح عقدوا يسيرها
تجابدوها اثنين والنزع بينهم ... على شوك لعه والمقايا جريرها
وباتَتْ دموعُ العينِ ذارفات لشانها ... شبيه دوار السواني يديرها
تدارك منها النجم حلراً وزادها ... مرون يجي متراكباً من صبيرها
يصب من القيعان من جانبٍ الصف ... عيونٌ ولجازُ البرقِ في غزيرها
هدا الغي حتى تسابيت غزوة ... ناصت من بغداد حتى فقيرها
ونادى المنادي بالرَّحيل وشدوا ... وعرج عاريها على مستميرها
وشدّ لها الأدهم ذياب بن غانم ... على أيدين ماضي وليد مقرب ميرها
وقال لهم حسن بن سرحان عربوا ... وسوقوا النجوع إن كان أنا هو غفيرها
ويركض وبيده شهامه بالتسامح ... وبالنيمين لا يجدوا في مسيرها
عذرني زيان السبيح من صَابَتْرُ ... وما كان يرضى زين حمير وميرها
غدرني وهو زعماً صديقي وصاحبي ... وأنا ليه ما من درقتي ما يديرها
ورجع يقولُ لهم بلال بن هاشم ... بحر البلاد العطشى ما يخيرها
حرام عليّ باب بغداد وأرضها ... داخل ولا عائد ركيره من نعيرها
تصدف روحي عن بلاد ابن هاشم ... على الشمس أو حول الغفا من هجيرها

يبدو أن حكاية الشريف شكر بن أبي الفتوح مع بني هلال وزواجه من الجازية أم محمد كانت في شبابه وقبل توليه شرافة مكة في سنة ٤٣٠هـ وهي السنة التي توفي فيها والده الشريف أبو الفتوح، علماً بأن شكراً هذا قد توفي في سنة ٤٥٣هـ.

لعلّنا الآن نتساءل متى كانت هذه الحادثة؟ هل هي مع تغريبة بني هلال التي ذكرناها؟ أم أنها بعدها بعدة سنوات؟

مشاهير بني هلال عند تغريبتهم

قال ابن خلدون وكان في هؤلاء العرب لعهد دخولهم إفريقية رجالات مذكورون وكان من أشرفهم حسن بن سرحان وأخوه بدر وفضل بن ناهض، وينسبون هؤلاء في دريد بن الأثبج.

وماضي بن مقرب وينسبونه في قرة.

وسلامة بن رزق في بني كثير من بطون كرفة بن الأثبج

وشبان بن الأحيمر وأخوه صليصل، وينسبونهم في بني عطية من كرفة

ودياب بن غانم وينسبونه في بني ثور.

وموسى بن يحيى وينسبونه في مرداس رياح لا مرداس سليم، فاحذر من الغلط في هذا، وهو من بني صنبر بطن من بطون مرداس رياح.

وزيد بن زيدان وينسبونه في الضحاك ومليحان بن عباس وينسبونه في حمير.

وزيد بن العجاج بن فاضل ويزعمون أنه مات بالحجاز قبيل دخولهم إلى إفريقية، وفارس بن أبي الغيث وعامر أخوه، والفضل بن أبي علي ونسبهم أهل الأخبار منهم في مرداس المقهى، كل هؤلاء يذكرون في أشعارهم[1].

ومن شعر أبي زيد الهلالي سلامة بن رزق ما ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان عند ذكره لموقع [ابراق] فقال جبل لبني نصر من هوازن بنجد (قال السيد علي وهو علوي حسني من بني وهاس) ابراق جبل في شرقي زحرحان وإياه عنى سلامة بن رزق الهلالي فقال

فَـإنْ تَـكُ عَـلْـيَـا يَـوْمَ إبـراقٍ صـارمي ... تَـكُـنْـنَـا وَعَـرَّتْـهَـا الـعَـذَارَى الـكَـوَاعِـبُ

وهنا نلاحظ أن اللَّهجة في البيت الشعري الذي أورده ياقوت الحموي فصحى بحتة، أما الشعر المنسوب لبني هلال والذي أورده ابن خلدون عندما خط تاريخه في سنة ٧٩٩هـ فتغلب عليه الصفة العامية البدوية، وهذا يدل على التحول والتغير في لهجات العرب خلال ثلاثة قرون وهي حقبة التغلب التركي، أي أن العناصر الأعجمية هي من صارت تحكم بلاد العرب في العراق والشام ومصر واليمن وأدت الثقافة الجديدة وانتشارها بين العرب إلى التغيير في نمطهم السلوكي واللغوي وغيرها

توجه بني عقيل إلى العراق

بعد أن تمكن بنو ثعلبة من طرد بني سليم من الإحساء، وجّهوا نظرهم نحو بني عُقيل بعد أن ضاقوا ذرعاً بهم. ((فأثاروا عليهم حرباً شعواء وقرروا إخراجهم من البحرين ليصفو لهم الجو وحدهم، فما زالوا

---

(١) راجع ابن خلدون المجلد ٦ القسم الأول.

يحاربونهم حتى طردوهم من البحرين إلى العراق. فملكوا الكوفة والبلاد الفراتية وتفرد بنو ثعلبة بالملك والسلطان ودانت لهم بلاد البحرين، وامتد ملكهم))[1].

اعتراض ابن الجراح الطائي لحجاج العراق

٣٧٨هـ ((اعترض الحاج – العراقي – عند عودهم من مكة الفرج بن دغفل المعروف بابن الجراح في واقصة وحاصرهم حتى صالحوه على مال دفعوه إليه))[2].

٣٧٩هـ خرج على الحاج عند عودهم ابن الجراح الطائي بين سميرا وفيد ونازلهم، فصالحوه على ثلاثمئة ألف درهم وشيء من الثياب، فأخذها وانصرف[3].

اعتراض الأصيفر لحجاج العراق

٣٨٠هـ ((حج العراقيون وحج بالناس أبوعبدالله، أحمد بن محمد – بن يحيى بن عبدالله العلوي واعترض الحاج الأصيفر محمد بن حسين بن حماد[4] ودفع القرمطي[5] عن طريق مكة وطلب من الحاج ما كان يأخذه القرمطي فاستطره أحمد بن محمد العلوي إلى حين عود الحجاج من مكة فانصرف وعاد ونزل الثعلبية إلى أن وافى الحاج واستوفى منهم المال وزال أمر القرامطة وكانت مدتهم (٥٣سنة من مقاطعتهم على أمراء الحاج) في أيام الراضي))[6].

قيام الإمارة العقيلية في الموصل ونهاية دولة بني حمدان

٣٨٠هـ قال ابن خلدون: كان بنو عقيل وبنو كلاب وبنو نمير وبنو خفاجة، وكلهم من عامر بن صعصعة وبنو طيئ من كهلان قد انتشروا ما بين الجزيرة والشام في عدوة الفرات، وكانوا كالرعايا لبني حمدان يؤدون إليهم الإتاوات[7] ويغزون معهم في الحروب، ثم استفحل أمرهم عند فشل دولة بني

---

(١) مخطوط عقد اللآل في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل١٩، وراجع تاريخ ابن خلدون

(٢) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٤٢٠.

(٣) درر الفرائد المنظمة ص٥٢٩.

(٤) في إتحاف الورى يذكر هذه الحادثة ويسمي صاحبها بـ((الأصيفر محمد بن حسين بن حماد)) راجع إتحاف الورى ج٢ ص٤٢١

(٥) نتساءل من هو هذا القرمطي الذي دُفِعَ عن الطريق؟ فلعله أحد الأميرين المتبقيين من القرامطة بعد أن قتل الأصيفر أو الأصفر أو الأصفر أحدهم في سنة ٣٧٨هـ

(٦) درر الفرائد المنظمة ص٥٢٩.

(٧) الإتاوة هي مبلغ غير محدد من المال يأتي به الضعيف للقوي، وهي تختلف عن الجزية التي يقدمها الذمي للحاكم المسلم، وتختلف عن الزكاة المفروضة على كل مسلم في ديار المسلمين يقدمها لبيت مال المسلمين. وهذه الإتاوة نرى أن قبائل عامر بن صعصعة وطيئ قدمتها لبني حمدان عندما كان بنو حمدان أقوى منهم، ولكن فيما بعد هذه =

حمدان وساروا إلى ملك البلاد. ولما انهزم أبو طاهر بن حمدان أمام أبي علي بن مروان بديار بكر كما قدمنا سنة ثمانين، ولحق بنصيبين، وقد استولى عليها أبو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن عمر بن مهند، أمير بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر، فقتل أبا طاهر وأصحابه، وسار إلى الموصل فملكها. وبعث إلى بهاء الدولة بن بويه المستبد على الخليفة في العراق في أن يبعث عاملاً من قبله والحكم راجع لأبي الدرداء. وأقام على ذلك سنتين. وبعث بهاء الدولة سنة ٨٢ عساكره إلى الموصل مع أبي جعفر الحجاج بن هرمز فغلب عليها أبا الدرداء وملكها. وزحف لحربه أبو الدرداء في قومه ومن اجتمع إليه من العرب فكانت بينهم حروب ووقائع وكان الظفر فيها للديلم[١].

وذكر ابن الأثير أن نهاية دولة بني حمدان كانت في سنة ٣٨١هـ وأنها سقطت في يد أبي الزواد[٢] محمد بن المسيب العقيلي عندما سار إلى الموصل فملكها. وقال ابن الوردي في حوادث سنة ٣٨١هـ: ((ملك أبو الذواد الموصل وهو محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر أمير بني عقيل وقتل أبا الطاهر بن ناصر الدولة بن حمدان وأولاده وعدة من قواده بعد قتال بينهم، واستقر أبو الذواد بالموصل)). مات محمد سنة ٣٨٧هـ وتولى أخوه المقلد[٣].

خلافة القادر بالله أبي العباس احمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر

٣٨١هـ ((بهاء الدولة أمسك الطائع واعتقله ونهبت دار الخلافة، ثم أشهد على الطائع بخلع نفسه من الخلافة وتسليمها إلى أبي العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر، وكان الخلع والإشهاد في شهر شعبان سنة ٣٨١هـ، وأقام مخلوعاً إلى أن توفي في ليلة عيد الفطر سنة ٣٩٣هـ))[٤].

٣٨١هـ انقطع ركب العراق[٥].

الأخيضر

الأمير محمد بن حسين بن حماد الذي تطلق عليه المصادر لقب المنتفقي والثعلبي والشيعي والأعرابي ما هذه الألقاب جميعها إلا صفات يمثلها بحق، وأما اسمه فقد وقع فيه الاختلاف وذُكر

= القبائل نجحت في الحفاظ على وجودها وتمكنت في النهاية من تكوين دول باسمها مثل الدولة العقيلية في الموصل والدولة الكلابية في حلب والدولة الخفاجية قرب الكوفة، وأما طيئ فقد تمت لها إمرة العرب لعدة قرون بعد ذلك. والإتاوة ليست مقصورة على القبائل فحسب، بل إن الدول تقدمها للدول، والأمثلة كثيرة.

(١) ابن خلدون في المجلد الرابع ص٥٤٧.

(٢) المصادر التاريخية مرة تسميه أبو الذواد ومرة أبو الزواد ومرة أبو الدرداء...

(٣) تاريخ ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر ت٧٤٩هـ.

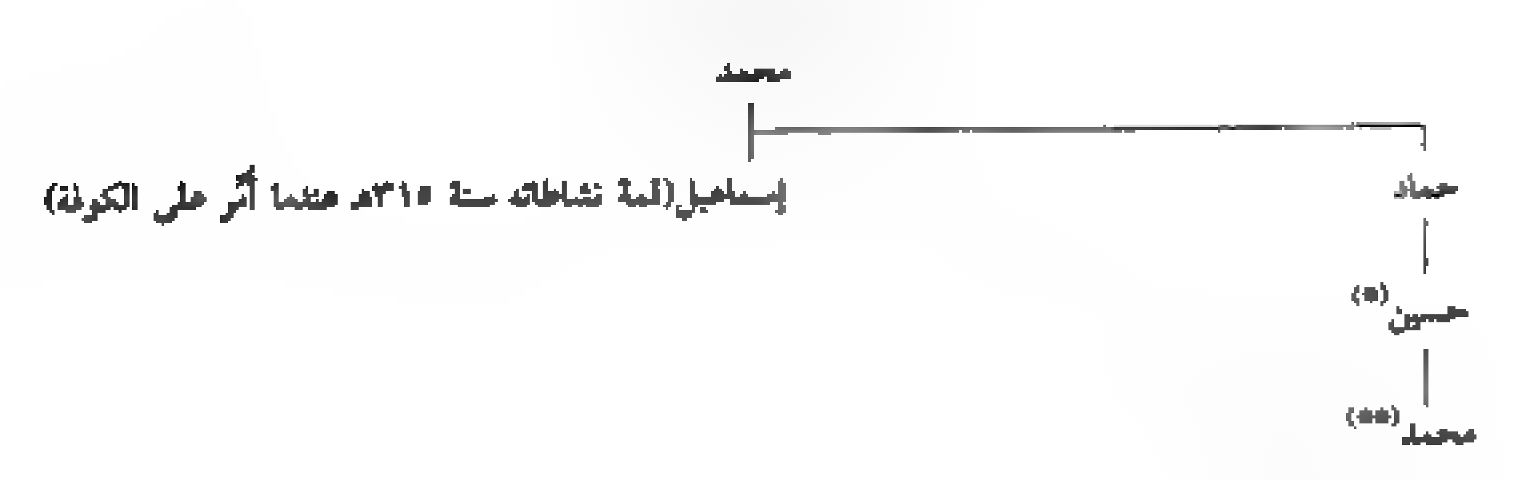
(٤) سمط النجوم العوالي م٣ ص٤٩٦.

(٥) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٤٢١.

بعدة صيغ، هي أصفر وأصيفر، وأحفر وأحيفر، وأصعر وأصيعر، ولكنها لم تسمّه ولو لمرة واحدة الأخيضر!!

حينما استولى أبو طاهر القرمطي على الكوفة في سنة ٣١٥هـ ولّى عليها إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف صاحب اليمامة المعروف بالأخيضر، فبنى للقرامطة حصناً بصحراء العراق للإشراف على جميع المنطقة المحيطة به، ولكي يكون ملجأً لهم عند إغارتهم على طريق الحجاج والقوافل، وهذا القصر معروف وموجود حتى الآن

يوسف الأخيضر



ونظن أن هناك تصحيفاً وقع في اسم هذا الأمير حوّلهُ من أخيضر إلى أصيفر، والتصحيف يقع كثيراً في الكتابات القديمة، وربما أن أحدهم نقل عن آخر موقع في نفس الخطأ دون تحقيق أو تمحيص، وعلى كل لن أُسمي هذا الرجل بالأخيضر، لأنني حتى الآن لم أقطع الشك باليقين

اعتراضات الأصيفر لطريق الحج

في ذي القعدة من سنة ٣٨١هـ ورد صاحب الأصيفر الأعرابي وبذل الخدمة في تسيير الحجاج إلى مكة وحراستهم صادرين وواردين وأعيد إقامة الخطبة للخليفة القادر من حد اليمامة والبحرين إلى الكوفة.

وفي سنة ٣٨٣هـ ((حج بالناس محمد بن الحسن بن يحيى العلوي واعترضه في مقصده إلى مكة الأصيفر فطالبه بالرسم في المال وأعطاه دنانير فرحة وحج وعاد إلى العراق وقد تبين للأصيفر فعله معه))[1]

٣٨٤هـ فيها ولي إمرة مكة أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى الحسني بعد موت أخيه عيسى.

(*) أريد وضع احتمالية أن يكون ابن أخ لإسماعيل بن يوسف أمير الكوفة، وأن يكون هو الذي خلفه في زعامة القبائل.

(**) هذا هو الأصيفر محمد الذي كان أول نشاطه العسكري في سنة ٣٧٨هـ وتوفي سنة ٤١٠هـ.

(١) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص٢٤٨.

وفيها ((لم يحج أهل الشام واليمن، وإنما حج أهل مصر والمغرب خاصة، وأما الركب العراقي فإنه خرج وبلغ الهبير بين زبالة(*) والثعلبية فاعترضهم الأصيفر الأعرابي[1] ومنعهم الجواز وحاربهم وقال: إن الدنانير التي أرسلها السلطان عام أول كانت مطلية وأريد العوض، فلا أفرج عن الطريق إلا إن أحدث رسم سنتين. وطالت المخاطبة والمراسلة إلى أن ضاق الوقت على الحاج ولم يكن لهم به طاقة فعادوا وكان أميرهم أبو الحسن محمد بن الحسن العلوي))[2].

٣٨٥هـ ((حج بالناس أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبدالله العلوي وبعث فيها أبو النجم بدر تسعة آلاف دينار يدفع للأصيفر عوضاً عما كان يأخذه من الحاج وجعل ذلك رسماً له من ماله، واستمر تجهيز ذلك إلى سنة ٤٠٣هـ واستقام أمر الطريق))[3].

وفيها (٣٨٥هـ): ((تحركت القرامطة إلى البصرة فجهز بهاء الدولة جيشاً فرجعوا عنها))[4].

وفيها ((بعث بدر بن حسنويه الكردي خمسة آلاف دينار إلى الأصيفر الأعرابي الذي يقطع الطريق على الحاج عوضاً عما يأخذه من الحاج، وجعل ذلك رسماً عليه في كل سنة من ماله))[5].

وفاة العزيز بالله العبيدي ومبايعة ابنه الحاكم بأمر الله

٣٨٦هـ قال أبو الفداء: وفي هذه السنة لليلتين بقيتا من رمضان توفي العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز معد بن المنصور إسماعيل العلوي الفاطمي صاحب مصر وعمره (٤٢) وأصاف: وبويع ابنه المنصور أبو علي الحاكم بأمر الله بعهد من أبيه مولي الخلافة وعمره (١١) وقام بتدبير ملكه خادم أبيه أرجوان وكان خصيًا أبيض

وفيها ((رغّب القادر من بغداد أميرَ مكة أبا الفتوح في حال العراق، فأجابه على أن الخطبة للحاكم في مصر، وخاطب الحاكم ابن جراح أمير طيِّئ، فاعترضهم ولاطفهم الشريف الرضي وأخوه المرتضى، فترك سبيلهم ثم منعهم بعدها، وحمل أبو النجم بدر بن حسنويه وكان أمير الجبل، خمسة آلاف دينار من وجوه القوافل من خراسان لتدفع إلى الأصيفر عوضاً عما كان يُجبى له من الحاج في كل سنة))[6]

(*) في الأصل وردت دبالة والصحيح زبالة وهي منطقة معروفة بين البوم، وقد أورد هذا الخبر أيضاً ابن فهد في إتحاف الورى ط١/ ج٢ ص٤٢٣ وسماه الأصيبر..

(١) ذكر ابن الأثير هذا الخبر وأطلق عليه اسم ((الأصيفر أمير العرب))

(٢) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص٢٤٨.

(٣) المصدر نفسه ص٢٤٨.

(٤) النجوم الزاهرة ج٤ ص١٦٩.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) درر الفرائد المنظمة ص٥٣١.

٣٨٨هـ في ذي الحجة قتل صمصام الدولة بن عضد الدولة، بسبب شغب الديلم عليه (عمره ٣٥ سنة وهو أعمى منذ سنة ٣٨٠هـ من حين سمل)[١].

٣٨٩هـ حج الشريفان الرضي والمرتضى، فاعتقلهما ابن الجراح الطائي، فأعطياه تسعة آلاف دينار من أموالهما[٢].

٣٩٠هـ- ٩٩٩م عين أبو محمد بن مكرم حاكماً على عمان[٣].

هجوم أشراف مكة على أشراف المدينة

وفيها: ((سار أبو الفتوح إلى المدينة وأزال عنها إمرة بني مهنا من بني الحسين لما بلغهم عنهم القدح في نسب الفاطميين...، ثم عاد أبو الفتوح إلى مكة وعاد بنو مهنا إلى المدينة))[٤]

٣٩١هـ قتل حسام الدولة المقلد بن المسيب بن رافع بن جعفر بن عمر بن مهنا بن يزيد بالتصغير ابن عبدالله بن زيد من ولد ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العقيلي[٥] اغتاله بعض غلمانه الترك فتولى الحكم ابنه الأكبر قرواش[٦].

٣٩٢هـ بطل الحج من المشرق لبعد السلطان منها واختلاف بين العرب[٧]

حال اللُّغة العربية في نهاية القرن الرابع

٣٩٢هـ توفي عالم اللُّغة الشهير عثمان بن جني النحوي الذي قال في الخصائص: لو فشا في أهل الوبر ما شاع في أهل الحضر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاض عادة الفصاحة لوجب رفض لغتها. وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا لأنا لا نكاد نرى بدويًا فصيحاً وإن نحن آنسنا منه فصاحة لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه وينال ويغض منه، وكانت وفاته في بغداد

دور بني زغب الهلاليين وَابنَ الجرَّاحَ وَالاصَيفر في طريق حج العراق

٣٩٣هـ رجع الركب العراقي خوفاً من ابن الجراح الطائي فدخلوا بغداد قبل العيد، وأما ركب البصرة فأجاره بنو زغب الهلاليون، وقال ابن الجوزي: إنهم أخذوا من الركب ما قيمته ألف دينار[٨]،

---

(١) تاريخ أبي الفدا

(٢) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ٤٢٦

(٣) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب.مايلز ط٨٣ ص١٢٦.

(٤) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص٢٤٩

(٥) المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفدا

(٦) العرب والعروبة.. لدروزة م١ ج١ ص٨٦.

(٧) إتحاف الورى لابن فهد ط١/ ج٢ ص٤٢٨

(٨) درر الفرائد المنظمة.

وقال ابن فهد. وأما ركب البصرة فأجاره بنو زُغب[1] الهلاليون[2] وذكر الفاسي استناداً إلى صاحب المرآة وغيره أنه في هذه السنة ((لم يحج من العراق أحد خوفاً من الأصفر الأعرابي))[3]. وقد ذكر هذا الخبر في حوادث سنة ٣٩٩ هـ أيضاً. راجع النجوم الزاهرة والعبر في خبر من غبر للذهبي.

تملك الأصيفر الثعلبي المنتفقي الأعرابي الشيعي للجزيرة

يبدو أن حجم الأصيفر السياسي قد بلغ قمته في سنة ٣٩٤هـ وذلك عندما استطاع اعتماداً على ما لديه من نفوذ وسط القبائل أن يملك الجزيرة العراقية التي تبدأ من البصرة شرقاً وتنتهي في حلب غرباً، فبعد سيطرته على هذه المنطقة الشاسعة واصل تعرضه لطريق الحج العراقي مما يدل على استهتاره بقوة الخلافة العباسية وتحديه لها.

قال ابن خلدون: ((اعترض حاج العراق سنة أربع وتسعين الأصيفر الثعلبي عندما ملك الجزيرة فوعظه قارئان كانا في الركب ثم اعترضهم في السنة بعدها أعراب خفاجة ونهبوهم))[4]. وعن هذه الحادثة قال ابن الأثير: ((خرج الأصيفر المنتفقي على الحجاج وحصرهم بالبطانية وعزم على أخذهم، وكان فيهم أبو الحسن الرفاء، وأبو عبدالله الدجاجي، وكانا يقرآن القرآن بأصوات لم يسمع مثلها، فحضرا عند الأصيفر وقرآ القرآن فترك الحجّاج وعاد، وقال لهما: قد تركت لكما ألف ألف دينار))[5] وعنها قال ابن تغري بردي: ((حج بالناس من العراق أبو الحارث محمد العلوي فاعترض الركب الأصيفر الشيعي الأعرابي وعول على نهبهم فقالوا: من يكلمه ويقرر له ما يأخذه من الحاج؟ فقدموا أبا الحسين بن الرفاء وأبا عبدالله بن الدجاجي...، فقال قد وهبت لكما الحاج وأموالهم فدعوا له وانصرفوا وفرح الناس))[6] وكذلك أورد هذا الخبر صاحب درر الفرائد المنظمة وقال: ((اعترضهم الأصيفر المنتفقي وحصرهم بالبطانية)).

وفيها ٣٩٦هـ ((طلب الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله إلى علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح الحضور إليه في القاهرة، فحضر في سابع عشر من شوال وخلع عليه وطوق بطوق من ذهب وكذلك خلع عليه قائد الخليفة، فضل بن صالح))[7].

(١) سيرد ذكر زغب في نفس هذا الموقع على طريق حاج البصرة في سنة ٨٥٨هـ في النهاية ثم تذكر أيضاً في اللصافة وثاج.

(٢) إتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهيم شلتوت جامعة أم القرى ط١/١٩٨٣ ج٢ ص٤٢٩.

(٣) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي ٧٧٥-٨٣٢هـ.

(٤) تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع.

(٥) الكامل في التاريخ م٩ ص١٨٢.

(٦) النجوم الزاهرة .

(٧) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط٢-٢٠٠٣ ص٣١.

٣٩٧هـ ((لم يحج الركب العراقي مع توجيههم، لأنهم رجعوا من الثعلبية – أو واقصة – إلى مدينة السلام، وكانت هبت على الحاج ريح سوداء بالثعلبية أظلمت لها الأرض.... وسبب رجوعهم منعهم ابن الجراح الطائي من المسير ليأخذ منهم مالاً، فضاق الوقت عليهم فعادوا إلى الكوفة ولم يحجوا))[1]

٣٩٨هـ ((حج بالناس أبو الحارث محمد بن يحيى العلوي، ولم يحج الركب العراقي فإنهم رجعوا من الطريق خوفاً من ابن الجراح الطائي، فدخلوا بغداد قبل العيد، وأما ركب البصرة فأجازه بنو زغب الهلاليون وكان حاج البصرة ستمائة رجل وأخذ منهم زيادة عن ألف ألف دينار))[2].

---

(١) إتحاف الورى ج٢ ص٤٣٣.

(٢) درر الفرائد المنظمة.

أحداث
القرن الخامس الهجري

٤٠١هـ ((توفي أبو عبدالله محمد بن مقن بن مقلد بن جعفر بن عمرو بن المهيا العُقيلي، وفي مقلد يجتمع آل المسيب وآل مقن، وكان عمره (١١٠سنين) وكان مخيلاً شديد البخل، وشهد مع القرامطة أخذ الحجر الأسود))[١]. وفيها: (٤٠١هـ) لم يحج أحد من العراق خوفاً من الأعراب[٢].

خروج أبي الفتوح من الحجاز إلى الشام طلباً للخلافة

٤٠١هـ[٣] قال ابن عنبة ((أبو الفتوح[٤] الحسن بن جعفر الشجاع الشاعر الفصيح ملك الحجاز بعد أخيه عيسى، وكان أبو الفتوح قد توجّه إلى الشام[٥] في ذي القعدة سنة إحدى وأربعمائة ودعا إلى نفسه، ويلقب (الراشد بالله) ووزر له أبو القاسم الحسن بن علي المغربي، وأخذ البيعة على بني الجراح بإمرة المؤمنين، وحسن له أبو القاسم المغربي أخذ ما في الكعبة من الذهب والفضة وسار به إلى الرملة وذلك في زمن الحاكم(*) الإسماعيلي أحد العبيديين الذين غلبوا مصر، فلمّا بلغ ذلك الحاكم قامت عليه القيامة وفتح خزائن الأموال، ووصل بني الجراح بما استمال به خواطرهم من الأموال العظيمة ووسعهم بلاداً كثيرة فخذلوا أبا الفتوح وظهر له ذلك منهم، وبلغه أن قوماً من بني عمه قد تغلبوا على مكة لما بعد عنها، فخاف على نفسه ورضي من الغنيمة بالإياب وهرب عنه أبو القاسم خوفاً منه. وكان ذلك في سنة ٤٠٢هـ. ثم إن أبا الفتوح واصل الاعتذار والتنصل إلى الحاكم وأحال بالذنب على المغربي، فصفح الحاكم عنه وبقي حاكماً على الحجاز إلى أن مات في سنة ٤٣٠هـ))[٦].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير د.صادر ج٩ ص٢٢٥

(٢) النجوم الزاهرة ج٤ ص٢٢٧.

(٣) يختلف في السنة التي خرج فيها أبو الفتوح لطلب الخلافة. ومنهم من قال إن خروجه كان في سنة ٣٩٥هـ.

(٤) أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد الثائر بن موسى الثاني ابن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى ﷺ.

(٥) خرج ثائراً على العبيديين الفاطميين بعد أن أرسلوا إليه سجلاً ينتقص فيه الصحابة وبعض أزواج النبي، وأمروه أن يأمر الخطيب بقراءته على المنبر في موسم الحج، فخلع طاعة الحاكم العبيدي وبايع الناس لنفسه وخرج من مكة يريد الشام فدانت له العرب من سليم وهلال وعوف وعامر وسموا عليه بالخلافة وخرج بهم إلى الشام.

(٦) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: المعروف بابن عنبة ت٨٢٨هـ ص١٥٨.

قال ابن شدقم في تحفة الأزهار: ((وذلك في سنة ٤٠١هـ وقيل ٤٠٢هـ، وقيل سنة ٤٨٣هـ، وقيل سنة ٣٨٦، وقيل سنة ٤٠٥هـ، في زمن العزيز بالله[1] بن المعز بالله، وكان معه بنو عمومته شيوخ بني حسن وألف عبد أسود، وسيف يزعم أنه ذو الفقار، وقضيب ذكر أنه قضيب رسول الله ﷺ، فلمّا قرب من الرملة برز إليه مفرج دغفل وابناه حسان ومحمود وجميع شيوخ طيّئ، وبنو الجحاح، وآل الجراح وكبار أعيان العربان وسائر أهل البلاد، فبايعوه بالخلافة ولقبوه بالراشد بالله، وخاطبوه بأمير المؤمنين. فأمر بقتل من في البلاد من عسكر الحاكم بأمر الله ....، فانزعج الحاكم بأمر الله واضطرب.. ولم يمكنه إلّا أنه ولى إمرة الحجاز إلى ابن عم أبي الفتوح[2]، ثم إنه أرسل إلى شيوخ طيّئ وآل الجراح وآل الجحاح بالهدايا والتحف الحسان وبذل الأموال والملاطفة المخادعة والاعتذار مما صدر من الملوك والجيوش، فمالوا إلى الرشوة... وحرضوا على الغدر والفتك .... ثم إنه قصد مفرج بن دغفل والد حسان وقال له: أيها الأمير قد أتيتك قاصداً وبك لائذاً لتفرج ما حل بي من شدة البلاء .. وقد علمت أن ذلك من وسوسة الشيطان أبي القاسم الحسن[3] .. وأنت أحق بالوفاء لعظم شأنك وعلو مرتبتك على جميع قومك . ....، وقد علمت بمصالحة ولدك حسان وعشيرته مع الملك الحاكم بأمر الله وأنا منه خائف وجل فلا أريد منك إلّا العودة إلى وطني سالماً ومن يلوذ بي....، فأجابه لسؤاله))[4] كان أبو الفتوح قبل خروجه بايعوه ((بنو سليم وبنو هلال وبنو عوف وبنو عامر ثم ما لبث أن شد رحاله في قوة عظيمة من عسكره يريد الشام))[5]

نظراً لكثرة تقلبات الأعراب وتغير ولاءاتهم بصورة سريعة يتبادر إلى ذهني أنهم أحد أمرين: إما أنهم انتهازيون يقتنصون الفرص، أو أنهم يكونون مع من يدفع لهم أكثر، أو أنهم سذج مساكين يصدقون الإعلام الموجه المحرك لعاطفتهم فيؤثر فيهم ويتأثرون به فيظنون أنهم على صواب، أو ربما أنهم دائماً مع الأقوى الذي يخشون بأسه وبطشه.

---

(١) ذكرنا أن العزيز بالله توفي سنة ٣٨٦هـ

(٢) قال ابن السويداء: اتخذ الخليفة الحاكم الفاطمي عدداً من التدابير لمواجهة أبي الفتوح كان من بينها إسناد إمارة مكة إلى أبي الطيب داود بن عبدالرحمن (السليماني ممن يقيمون بجازان) وقد ترك أبو الفتوح أحد أقاربه لينوب عنه في إمارة مكة، فأنفذ الحاكم إلى أبي الطيب مالاً وثياباً فسار أبو الطيب ومن انضوى إليه من بني عمه في جازان فنازل نائب أبي الفتوح بمكة واستولى عليها ونجح في صرف العرب عن طاعة أبي الفتوح والدخول في طاعة الحاكم بأمر الله الفاطمي. راجع: الـ١٠٠٠سنة الغامضة لابن السويداء ط١ ص١١٢.

(٣) يقصد بأبي القاسم الحسن (ابن علي المغربي) الذي هرب من مصر والتجأ إلى حسان بن مفرج بن دغفل أمير طيئ من مدينة الرملة وأصبح أبو القاسم هذا مستشاراً لآل الجراح وأخذ يحرضهم على الفاطميين وتعيين أمير مكة خليفة فإنه لا يطعن بنسبه فكان له ما أراد

ومن ثم ذهب أبو القاسم الحسين بن علي المغربي إلى مكة وبايع أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوي وبايعه بنو حسن ثم قدم في صفر سنة ٤٠٣هـ ١٠١٢م إلى الرملة ونزل بدار الإمارة وركب يوم الجمعة والمفرج وأولاده وسائر أمراء طيئ مشاة بين يديه حتى دخل المسجد وهناك تمت البيعة وسمي أمير المؤمنين ولقب ((الراشد لدين الله)) وضربت السكة باسمه. راجع: الـ١٠٠٠سنة الغامضة من تاريخ نجد لابن السويداء ص١١٠.

(٤) راجع: تحفة الأزهار لضامن بن شدقم تحقيق كامل الجبوري ج١ ص٤١٢.

(٥) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨ ص١٩٨

بدءُ الخلاف بين ابن الجراح والخليفة الفاطمي

((أرسل حسان بن مفرج بن دغفل آل الجراح إلى الخليفة الفاطمي في مصر يسأله تنفيذ ما وعد به فأجابه بالموافقة عليها جميعاً من إقطاع وتقرير وإمضاء وكتب له أماناً بخط يده، لكن الحاكم[1] نكث بالوعود التي قطعها على نفسه))[2].

((ونتج عن ذلك ثورة طيئ من جديد وتعديها على البلاد ومصادرتها للناس، وقد استمرت سيطرة طيئ هذه المرة مدة سنتين وخمسة أشهر، حتى أرسل الفاطميون جيشاً كبيراً لمحاربتهم، وعندما سمع أمراء طيئ بمقدم ذلك الجيش هربوا إلى البرية في بلاد الحليس))[3] ويذكر أن أمير طَيِّئ مفرج بن دغفل ابن الجراح قد مات في الرملة سنة ٤٠٣هـ وذلك يعني أنهم استمروا في أماكنهم بعد ثورتهم سنة ٤٠٢هـ وأعتقد أن حركة ثورة أبي الفتوح دامت على الأقل ستة أشهر، مما يعني أن مطالبة حسان بوعود وعهود الحاكم استمرت شهرين أو ثلاثة من نهاية ثورة أبي الفتوح وبما أن الحاكم الفاطمي لم يفِ بوعوده فقد ثارت طيِّئ قبل نهاية سنة ٤٠٢هـ ولجأت إلى البرية في الربيع الأول من سنة ٤٠٤هـ أو في منتصفها.

تعرض بني خفاجة لطريق الحج

٤٠٢هـ ((سارت خفاجة إلى واقصة، وطرحوا ماء الترمكي والزيان وألقوا فيهما الحنظل، ووصل الحجاج من مكة إلى العقبة، فلقيهم خفاجة ومنعوهم الماء، ثم قاتلوهم فلم يكن فيهم امتناع، فأكثروا القتل، وأخذوا الأموال، ولم يسلم من الحاج إلاّ اليسير، فسمع الخبر الوزير ببغداد فسير العساكر في أثرهم، وكتب إلى أبي الحسن عليّ بن مَزْيد يأمره بطلب العرب، والأخذ منهم بثأر الحاج، والانتقام، فسار خلفهم فلحقهم، وقد قاربوا البصرة، فأوقعوا بهم، فقتل منهم وأسر جمعاً كثيراً، وأخذ من أموال الحاج ما رآه، وكان الباقي قد أخذه العرب وتفرقوا، وأرسل الأسرى وما استرده من أمتعة الحاج إلى الوزير، فحسن موقعه منه))[4].

اعتراض الثائر الخويلدي لحجاج العراق

وفيها (٤٠٢هـ) ((حج بالناس أبو الحارث العلوي، وهاجت عليهم ريح سوداء عند حصول الحاج بزبالة وفقدوا الماء فهلك منهم خلق كثير وبلغت المزادة من الماء مائة درهم، واعترضهم من عودهم حماد بن عدي الخارجي الملقب بالثائر[5] وحبسهم بالعقبة ثلاثة أيام. وعفر المصانع وطرح في الآبار

---

(١) كان عمر الحاكم الفاطمي في سنة ٤٠١هـ ٢٦ عاماً، وفترة حكمه كانت ما بين ٣٨٦هـ إلى ٤١٠هـ..

(٢) الـ ١٠٠٠سنة الغامضة، لابن السويداء ط١ ص١١١.

(٣) المصدر نفسه..

(٤) الكامل في التاريخ م٩ ص٢٣٦.

(٥) حماد بن عدي الخارجي الملقب بالثائر هو الخويلدي الثائر الوارد ذكره في الخبر الذي بعده، والخارجي تصحيف للخفاجي، ففي طبعة أخرى من درر الفرائد المنظمة ص٥٣٨ تسمية الخفاجي بدلاً من الخارجي، وسيرد في سنة =

الحنظل وأحرق العلوفة وأقام على قتال الحاج ثلاثة أيام إلى أن عجزوا عنه وعطشوا فمات أكثرهم عطشاً ولم يسلم من الحاج إلّا اليسير. وعاد أبو الحارث متخفراً ببني خفاجة إلى الكوفة بأسوإ حال. وبلغ الوزير ببغداد فأرسل في طلب العرب فظفروا بهم قرب البصرة وقتلوا منهم خلقاً، وكذا أسروا وأخذوا ما وجدوا من أموال الحاج وأرسلوه مع الأسرى إلى الوزير فحسن موقعه منه))[1]

وبنو خويلد الذين منهم الثائر هم فرسان عُقيل، وذكر ابن سعيد الأندلسي أنهم في زمانه كانوا في جهة البحرين[2].

قيام دول وسقوط دول

شهدت السنة ٤٠٢هـ نهاية الدولة الحمدانية الثانية في حلب ونهاية دولة بني زياد الأموية في زبيد اليمن وكانت بداية الدولة الزيادية في سنة ٢٠٤هـ وقامت مكانها الدولة النجاحية ومؤسسها من موالي بني زياد.

وفي سنة ٤٠٣هـ قامت الدولة المزيدية في الحلة وهم من بني أسد بن خزيمة بن مدركة بطن كبير متسع ذو بطون، وبلادهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد وفي مجاورة طيّئ، ويقال إن بلاد طيّئ كانت لبني أسد، فلمّا خرجوا من اليمن غلبوهم على أجاء وسلمى، وجاءوا واصطلحوا وتجاوروا، وبعد اضمحلال بني أسد في الحلة ورثت خفاجة بلادهم في العراق.

٤٠٣هـ ((لم يحج أحد من خراسان والعراق بسبب رجل من القرامطة يعرف بأبي عيسى المنتفقي، والثائر الخويلدي وجماعة من العرب إلى ظاهر الكوفة حاصروها وانصرفوا وقد فات الحج فعادوا من الكوفة إلى بغداد))[3]

وفي نفس السنة (٤٠٣هـ) احتفل العسكر العراقي بزعيم خفاجة، حيث يقول ابن كثير: ((جيء بأمير بني خفاجة أبو فلبتة قبحه الله وجماعة من رؤوس قومه أسارى وكانوا قد اعترضوا للحجاج في السنة التي قبلها وهم راجعون وغوروا المناهل التي يردها الحجاج ووضعوا فيها الحنظل بحيث إنه مات من الحجاج من العطش نحو من خمسة عشر ألفاً وأخذوا بقيتهم فجعلوهم رعاة لدوابهم في أسوأ حال وأخذوا جميع ما كان معهم فحين حضروا عند دار الوزير سجنهم ومنعهم الماء ثم صلبهم يرون صفاء الماء ولا يقدرون على شيء منه حتى ماتوا عطشاً جزاء وفاقاً وقد أحسن في هذا الصنع اقتداء بحديث أنس في الصحيحين ثم

---

* ٤١٢هـ الحديث عن مقتله وأنه أحد بني نبهان. وعلى ما يتبين من الخبر أعلاه فإن القوم الذين خرجوا إلى الحجاج هم من القرامطة. كما أن الخبر يبين أن ديارهم قرب البصرة.

(١) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص٢٥١.

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ٦١٠هـ – ٦٨٥هـ، تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، الأردن، ط١/ ١٩٨٢م ص٥٠٦

(٣) نفس المصدر..

بعث إلى أولئك الذين اعتقلوا في بلاد بني خفاجة من الحجاج فجيء بهم وقد تزوجت نساؤهم وقسمت أموالهم فردوا إلى أهاليهم وأموالهم))[1].

وفي هذه السنة (٤٠٣هـ): مات أمير طيّئ معرج بن دغفل بن الجراح في ذي القعدة برملة بلد من فلسطين[2].

٤٠٨هـ من هذا العام إلى سنة ٤١٢هـ لم يحج أحد من العراق[3].

٤٠٩هـ ((خرج الحاج من بغداد فاعترضهم العرب فيما بين القصر[4] والحاجر والتمسوا منهم زيادة رسومهم، فرجعوا من القصر وبطل الحج في هذه السنة))[5].

موت الأُصَيْفِر المنتفقي

٤١٠هـ وفيها ((مات الأصيفر المنتفقي الذي كان يُؤذي الحاج في طريقهم))[6] وكان الشيخ أصفر كما يسميه النبهاني رئيساً للمنتفق حتى توفي في هذه السنة فجعلت الرئاسة تنتقل من شيخ إلى آخر[7].

مقتل حمّاد بن عدي

٤١٢هـ ((قصد الناس يمين الدولة محمود بن سبكتكين وقالوا له: الثواب في فتح طرق للحج أعظم. فقدم إلى قاضيه بالتأهب للحج وأطلق للعرب (٣٠ألف دينار) سلمها إلى النصاحي قاضيه فلمّا ملوا فيد حاصرتهم العرب فبذل لهم القاضي النصاحيّ (٥آلاف) فلم يقنعوا وصمموا على أخذ الحاج فركب رأسهم جماز بن عدي وقد انضم عليه ألف رجل من بني نبهان وأخذ بيده رمحاً وجال حول الحجاج فرماه غلام يعرف بابن عفان كان في السمرقنديين فقطعه فمات وهرب جمعه وعاد الحاج في سلامة))[8].

قال الجريري: ((كان مقدمهم رجلاً يقال له حماد بن عدي من بني نبهان وكان جاراً))[9].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط٢-٢٠٠٣ ص٣٣.

(٣) النجوم الزاهرة ج٤ ص٢٤٢.

(٤) أظن يقصد به قصر الأخيضر وبذلك تكون هذه الإشارة الأولى لقصر الأخيضر المبني بالقرب من النجف على مسافة سبعين كيلومتر تقريباً، والله أعلم

(٥) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجريري ص٢٥٢

(٦) الكامل في التاريخ م٩ ص٣١٣

(٧) التحفة النبهانية.

(٨) النجوم الزاهرة.

(٩) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجريري ص٢٥٣.

وفاة القادر بالله احمد وخلافة عبدالله القائم بأمر الله

٤٢٢هـ وفي ذي الحجة. توفي الخليفة القادر بالله أحمد لإحدى وأربعين سنة من خلافته، وكان مهيباً عند الديلم والأتراك ولما مات نصب جلال الدولة للخلافة ابنه القائم بأمر الله أبا جعفر عبد الله بعد أبيه ولقبه القائم.

ولي القائم الخلافة وعمره (٣١عاماً) و انتهت خلافته سنة ٤٦٧هـ وأمه أرمنية، اسمها قطر الندى، أدركت خلافته. وكانت بيعته بحضرة القضاة والأمراء والكبراء، فكان أول من بايعه الشريف الرضي الموسوي. وكان القائم بأمر الله أبيض، مليح الوجه، مشرباً بحمرة، ورعاً زاهداً عابداً مريداً لقضاء حوائج المسلمين[1].

٤٢٣هـ لم يحج أحد من العراق[2]

٤٢٣هـ خرج أهل البصرة بخفر، فغدروا بهم ونهبوهم وارتهنوهم[3]

٤٢٥هـ لم يحج العراقيون ولا المصريون خوفاً من البادية، وحج أهل البصرة مع من يخفرهم، فغدروا بهم ونهبوهم[4].

٤٢٦هـ ((اختل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد وعظم أمر العيارين وصاروا يأخذون أموال الناس ليلاً ونهاراً ولا مانع لهم، والسلطان جلال الدولة عاجز عنهم لعدم امتثال أمره، والخليفة أعجز منه وانتشرت العرب في البلاد فنهبوا النواحي وقطعوا الطريق))[5]

٤٢٦هـ قصدت خفاجة الكوفة فنهبوها.

وفيها وثب أبو الحسن بن أبي البركات بن ثمال الخفاجي على عمه فقتله، وأقام بإمارة بني خفاجة.

وفاة الظاهر لإعزاز دين الله وتولي ابنه المستنصر بالله بعده

٤٢٧هـ في منتصف شعبان توفي الظاهر لإعزاز دين الله العلوي وعمره (٣٣سنة) وكانت خلافته (١٥عاماً و٩ أشهر) وولي بعده ابنه أبو تميم معدّ المستنصر بالله ومولده سنة ٤٢٠هـ[6]

(١) سمط النجوم العوالي م٣ ص٤٩٨.
(٢) النجوم الزاهرة.
(٣) درر الفرائد المنظمة ص٥٤٥.
(٤) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام- محمد بن أحمد بن علي الفاسي ٧٧٥-٨٣٢هـ.
(٥) تاريخ أبي الفدا.
(٦) المصدر نفسه.

انقراض الدولة البويهية الديلمية وقيام دولة السلاجقة

٤٣٠هـ انقراض الدولة الديلمية دولة بني بويه وكانت مدتها (١٢٧سنة) وابتدأت دولة السلاطين السلجوقية[١].

وفاة حاكم مكة الشريف أبي الفتوح

٤٣٠هـ- ١٠٣٨م توفي أبو الفتوح ثم ولي مكة من بعده ابنه شكر الملقب بتاج المعالي[٢]. وقيل إن شكراً هو حفيد الحسن أبي الفتوح وليس ابنه، وإنه تولى الحكم بعد أبيه محمد بن الحسن أبي الفتوح، ذلك ما ذكر محمد بن إسماعيل الحسيني عندما قال: وأول من ولي مكة من أهل هذا البيت: جعفر بن الحسن، ثم ابنه عيسى ثم ابنه الآخر أبو الفتوح المذكور ثم محمد أبو الفتوح ثم ابنه شكر ثم وليها محمد ابن علي الصليحي، ثم أبو القاسم محمد بن عبدالله الحسني))[٣]

آخر اخبار الاصيفر ودولته

الأصفر الثعلبي طمع في ملك بني عقيل بالعراق فسار إليهم في سنة ٤٣٨هـ وحاربهم بعين التمر، واستولى على مناطق نفوذهم[٤] وغص بشأنه نصير الدولة بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر فقام له وجمع له الملوك من كل ناحية فهزمه واعتقله ثم أطلقه فمات سنة ٤٣٨هـ.

وقال الشيخ محمد العصفور: ((بقيت البحرين وما جاورها بتوارث الملك فيها بنو الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي نحو مائة سنة، فلمّا أسر الأصفر سنة ٤٣٨هـ ثم أطلق ومات خلفه بنوه، وحينئذ ضعفت دولتهم وشوكتهم ولم يبق لهم من الملك إلّا الإحساء والقطيف والبحرين وما قرب من هذه النواحي، وبدأت عوامل الاضمحلال تفعل في تقليص ظلها شيئاً فشيئاً وقد تتبعنا كثيراً علّنا نعثر على الأشخاص الذين تولوا الملك من بني الأصفر وأسمائهم وأيامهم فلم نجد في كتب التاريخ شيئاً من ذلك))[٥]. وهذا النصّ يدل على:

١ شساعة أراضيه، وأن دولة الأصيفر التي تقلصت حدودها بعد موته كانت لا تزال كبيرة إلى حدّ ما.

٢ ـ كما يدل هذا النص على أن أتباعه استمروا في الحكم حتى بعد وفاته في سنة ٤٣٨ هـ لسنوات أخرى لم يعرف عددها بدقة.

---

(١) سمط النجوم العوالي م٣ ص٤٩٨.

(٢) راجع تاريخ أبي الفدا.

(٣) مخطوط اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد بن إسماعيل الحسيني ص٣٣

(٤) صفحات من تاريخ الإحساء لعبدالله بن أحمد الشباط.

(٥) من مخطوط منتخبات من كتاب تاريخ البحرين للشيخ محمد علي العصفور، الفصل٣٥. من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٣٥٤

رجوع العرب إلى الحجاز مسلوبة من الملك

٤٤٠هـ قال ابن خلدون: طغرلبك بن ميكائيل من بني سلجوق، وغلب على بغداد من يد بني معز الدولة بن بويه المستبدين على الخليفة يومئذ المطيع، وحجره عن التصرف في أمور الخلافة والملك، ثم تجاوز إلى عراق العرب، فغلب على ملوكه، وأبادهم، ثم بلاد البحرين وعمان، ثم على الشام، وبلاد الروم، واستوعب ممالك الإسلام كلها، فأصارها في ملكه، وانقبضت العرب راجعة إلى الحجاز، مسلوبة من الملك، كأن لم يكن لهم فيه نصيب، وذلك أعوام الأربعين والأربعمائة.

من مشاهدات ناصر خسرو في الجزيرة العربية في سنة ٤٤٢هـ[١].

[جدة]

جدة مدينة كبيرة لها سور حصين، تقع على شاطئ البحر، وبها خمسة آلاف رجل..... ولها بوابتان إحداهما شرقية تؤدي إلى مكة، والثانية غربية تؤدي إلى البحر ....، وليس في جدة شجر ولا زرع وكل ما يلزمها يحضرونه إليها من القرى، وبينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً، وأمير جدة تابع لأمير مكة تاج المعالي بن أبي الفتوح الذي هو أمير المدينة أيضاً.

وفي يوم الجمعة بعد صلاة العصر قمت من جدة فبلغت باب الكعبة يوم الأحد سلخ جمادى الثانية، وكان قد حضر إلى مكة للعمرة خلق كثيرون من نواحي الحجاز واليمن في أول رجب، وهو موسم عظيم مثل عيد رمضان، وهم يحضرون وقت الحج، ولأن طريقهم قريب وسهل يأتون إلى مكة ثلاث مرات كل سنة.

[مكة]

تقع مكة بين جبال عالية ولا ترى من بعيد من أي جانب يقصدها السائر، وأقرب جبل منها هو جبل أبي قبيس، وهو مستدير كالقبة، لو رمي سهم من أسفله لبلغ قمته وهو شرقي مكة (الكعبة)، فترى الشمس من داخل المسجد الحرام وهي تشرق من فوقه في شهر (ديسمبر)، وقد نصب على قمته برج من الحجر يقال إن إبراهيم ﷺ رفعه عليه.

وتشغل هذه المدينة الوادي الذي بين الجبال والذي لا تزيد مساحته عن رمية سهمين في مثلها، والمسجد الحرام وسط هذا الوادي ومن حوله مكة والشوارع والأسواق، وحيثما وجدت ثغرة بين الجبال سدت بسور قوي وضعت عليه بوابة.

جبل أبي قبيس الذي تقع الصفا على سفحه، وتبدو على هذا السفح درجات كبيرة من الحجارة المستوية التي يصعد الحجاج عليها ويدعون ربهم، والمروة في نهاية السوق شمالي الجبل، وهي أقل ارتفاعاً في وسط مكة، وقد شيدت عليها منازل كثيرة وما يسمى السعي بين الصفا والمروة هو المسعى في هذه السوق من أولها لآخرها.

---

(١) مختصراً من كتاب رحلة ناصر خسرو من الصفحة ١٢٠ إلى الصفحة ١٥٠.

عندما ينزل الحاج من جبل المروة يجد سوقاً فيها عشرون دكاناً متقابلة، يشغلها جميعاً حجامون لحلق شعر الرأس.

وحين يتمّ الحاج شعائر العمرة ويخرج من المسجد الحرام يدخل السوق الكبيرة التي تقع ناحية الشرق والمسماة سوق العطارين وهي سوق جميلة البنايات وكلها عطارون.

وبمكة حمامان بلاطهما من الحجر الأخضر المسن، وقدرت أن سكانها القاطنين بها لا يزيدون على ألفين، والباقي ويقربون من الخمسمائة من الغرباء والمجاورين. وفي ذلك الوقت كان بمكة قحط، فكان الستة عشر منًّا من القمح بدينار مغربي وقد هجر منها كثيرون

وماء آبار مكة مالح لا يساغ شربه، ولكن بها كثير من الأحواض والمصانع الكبيرة بلغت تكاليف الواحد منها أكثر من عشرة آلاف دينار، وهي تملأ من ماء الأمطار الذي يتدفق من الأودية وكانت فارغة ونحن فيها.

هذه المرة الرابعة التي أزور فيها مكة، وقد مكثت فيها مجاوراً من غرة شهر رجب ٤٤٢هـ (١٠ نوفمبر ١٠٥٠م) إلى العشرين من ذي الحجة (٣مايو ١٠٥١م).

[نجران وبيشة وغيرها من ناحية الشرق]

(ملاحظة. يتكلم عنها خسرو ولكنه لم يزرها) بهذا القسم طوائف كثيرة لكل منها ملك أو رئيس، فليس له حاكم واحد، فإن سكانه عتاة وأغلبهم لصوص وسفاكو دماء وهم كثيرون ومن كل جنس، ومساحة هذا القسم مائتا فرسخ في مائة وخمسين.

ملاحظة خسرو عن مكة وعن أهل اليمن: وقد أحصيت الناس في وقت كانت الكعبة ممتلئة فيه، حتى لم يكن بها مكان لداخل فكانوا عشرين وسبعمائة رجل، وعامة حجاج اليمن يشبهون الهنود فكل منهم يتشح بفوطة وشعورهم متدلية ولحاهم مضفرة وفي وسط كل منهم حربة قطيفية كالتي يتمنطق بها الهنود، ويقال إن أصل الهنود من اليمن. (ص١٣٥)

[إلى الحسا عن طريق الطائف ومطار والثريا وجزع وسربا وفلج واليمامة]

بعد إتمام الحج استأجرت جملاً من أعرابي لأذهب إلى الحسا، وقيل إنهم يبلغونها من مكة في ثلاثة عشر يوماً. وقد ودعت بيت الله يوم الجمعة تسع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (٧ مايو ١٠٥١م).....، وكان الجو بارداً وقد سرنا ناحية المشرق.

بلغنا الطائف يوم الإثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة (١٠ مايو) وكان الجوّ بارداً في شهر خرداد (مايو – يونيو) حتى لزم الجلوس في الشمس.

وقصبة الطائف هذه مدينة صغيرة بها حصن محكم وسوق وجامع صغيران، وبها ماء جارٍ وأشجار رمان وتين كثيرة وبجوارها قبر عبدالله بن عباس ﷺ (ت٦٨هـ) وقد بنى خلفاء بغداد هناك مسجداً كبيراً يقع القبر في زاويته.....

سرنا من الطائف واجتزنا جبلاً وأراضي صخرية وكنا نجد حيثما سرنا قلاعاً محصنة وقرى. وقد أروني وسط الصخور قلعة خربة قيل إنها كانت بيت ليلى وقصتهم في هذا عجيبة.

ومن هناك بلغنا قلعة تسمى مطار، وبينها وبين الطائف إثنا عشر فرسخاً، ثم بلغنا ناحية الثريا بها نخيل كثير وتزرع أرضها بمياه الآبار والسواقي. قالوا: وليس لهذه الناحية حاكم أو سلطان، فإن على كل جهة رئيساً أو سيداً مستقلاً، ويعيش الناس على السرقة والقتل وهم في حرب دائمة بعضهم مع بعض ومن الطائف إلى هناك خمسة وعشرون فرسخاً، وبعد ذلك مررنا بقلعة تسمى جزع، وعلى مسافة نصف فرسخ منها أربع قلاع، نزلنا على أكبرها وتسمى حصن بني نسير (نمير) وبيت العربي الذي استأجرنا جمله في الجزع هذه.

ولبثت هناك – في الجزع – خمسة عشر يوماً إذ لم يكن معنا خفير يهدينا الطريق، ولكلّ قوم من عرب هذا المكان أرض محددة ترعى بها ماشيتهم، ولا يستطيع أجنبي أن يدخلها، فهم يمسكون كلّ من يدخل بغير خفير ويجردونه مما معه. فيلزم استصحاب خفير من كل جماعة حتى يتيسر المرور من أرضهم فهو وقاية للمسافر ويسمونه أيضاً مرشد الطريق (قلاوز). وقد اتفق أن جاء إلى الجزع رئيس الأعراب الذين كانوا في طريقنا وهم بنو سواد واسمه أبو غانم عبس بن البعير، فاتخذناه خفيراً وذهبنا معه. وقابلنا قومه فظنوا أنهم لقوا صيداً، إذ إن كلّ أجنبي يرونه يسمى صيداً، فلما رأوا رئيسهم أسقط في أيديهم ولولا ذلك لأهلكونا. وفي الجملة لبثنا معهم زمناً إذ لم يكن معنا خفير يصحبنا. ثم أخذنا هناك خفيرين أجر كلّ منهما عشرة دنانير ليسيرا بنا بين قوم آخرين.

وقد كان من هؤلاء العرب شيوخ في السبعين من عمرهم قالوا لي إنهم لم يذوقوا شيئاً غير لبن الإبل طوال حياتهم إذ ليس في هذه الصحراء غير علف فاسد تأكله الجمال وكانوا يظنون أن العالم هكذا وظللت أتحوّل من قوم إلى قوم وأجد في كل مكان خطراً وخوفاً إلّا أن الله تبارك وتعالى سلّمنا منها

وبلغنا مكاناً في وسط أرض ملؤها الصخور يسمى سَرُباً، رأيت به جبالاً كلّ منها كالقبة، لم أر مثلها في أي ولاية، وهي من الارتفاع بحيث لا يصل إليها السهم وملساء وصلبة بحيث لا يظهر عليها شق أو التواء، وقد سرنا من هناك، فكان زملاؤنا في الطريق كلما رأوا ضبًّا قتلوه وأكلوه، وكانوا يحلبون لبن الجمال حيث وُجد الأعراب. ولم أكن أستطيع أكل الضبّ أو شرب لبن الجمال. .. وبعد مشاقّ ومتاعب كثيرة بلغنا فلج[*] في الثالث والعشرين من صفر.

فلج: ومن مكة إليها ثمانون ومائة فرسخ، وتقع فلج هذه وسط الصحراء وهي ناحية كبيرة، ولكنها خربت بالتعصب، وكان العمران حين زرناها قاصراً على نصف فرسخ في ميل عرضاً، وفي هذه المسافة أربع عشرة قلعة للصوص والمفسدين والجهلة وهي مقسمة بين حزبين بينهما خصومة، وعداوة دائمة، وقد قالوا: نحن من أصحاب الرسيم (الرقيم) الذين ذكروا في القرآن الكريم. وهناك أربع قنوات يسقى منها النخيل، أما زرعهم ففي أرض عالية يرفع إليها معظم الماء من الآبار، وهم يستخدمون في زراعتهم

(*) فلج الأفلاج ذكرها ياقوت وقال عنها مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة..

الجمال لا الثيران. ولم أرها هناك، وزراعتهم قليلة، وأجر الرجل في اليوم عشرة سيرات من غلة يخبزها أرغفة ولا يأكلون إلا قليلاً من صلاة المغرب حتى صلاة المغرب التالية كما في رمضان. ويأكلون التمر أثناء النهار، وقد رأيت هناك تمراً طيباً جدًا أحسن مما في البصرة وغيرها والسكان هناك فقراء جدًا وبؤساء ومع فقرهم فإنهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء. وهناك تمر يسمُّونه (ميمون) تزن الواحدة منه عشرة دراهم.. ويقال إنه لا يفسد ولو بقي عشرين سنة ومعاملتهم بالذهب النيسابوري. وقد لبثت بفلج هذه أربعة أشهر في حالة ليس أصعب منها لم يكن معي من شؤون الحياة سوى سلَّتين من الكتب، والناس جياع وعراة وجهلاء ويلتزمون حمل الترس والسيف إذا ذهبوا للصلاة ولا يشترون الكتب. . .

فقد أتى وأنا هناك جيش من العرب وطلب منهم خمسمائة من التمر فلم يقبلوا وحاربوا وقتل من أهل القلعة عشرة رجال، وقلعت ألف نخلة ولم يعطوهم عشرة أمنان تمراً.

وأخيراً أتت قافلة من اليمامة لأخذ الأديم وحمله إلى الحسا، فإنه يحضر من اليمن إلى فلج حيث يباع للتجار. قال لي أعرابي: أنا أحملك إلى البصرة ولم يكن معي شيء قط لأعطيه أجراً، والمسافة مائتا فرسخ وأجرة الجمل دينار، ويباع الجمل العظيم هناك بدينارين أو ثلاثة، ولكني رحلت نسيئة إذ لم يكن معي نقود فقال لي الأعرابي: أنا أحملك إلى البصرة على أن تأجرني ثلاثين ديناراً فقبلت مضطرًا ولم أكن قد رأيت البصرة قط. فوضع هؤلاء الأعراب كتبي على جمل أركبوا عليه أخي وسرت أنا راجلاً، وتوجهنا في اتجاه مطلع بنات النعش (الدُّبّ الأكبر)

كان الطريق مستوياً لا جبال فيه ولا مرتفعات وكان ماء المطر متجمعاً حيثما كانت الأرض أشد صلابة، ومضت ليال وأيام ولم يبد في أي جهة أثر الطريق إلا أنهم كانوا يسيرون بالغريزة، ومن العجيب أنهم كانوا يبلغون فجأة بئر ماء مع عدم وجود أي علامة (ص١٣٩ - ١٤١)

الأخيضريون يحكمون اليمامة وهم على مذهب الزيدية

[اليمامة]:

وبالاختصار بلغنا اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام بلياليها، وباليمامة حصن كبير قديم، والمدينة والسوق، حيث صناع من كل نوع، يقعان خارج الحصن. وبها مسجد جميل، وأمراؤها علويون منذ القديم، ولم ينتزع أحد هذه الولاية منهم إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر، وهؤلاء العلويون ذوو شوكة، فلديهم ثلاثمائة أو أربعمائة فارس، ومذهبهم الزيدية، وهم يقولون في الإقامة (محمد وعلي خير البشر وحيَّ على خير العمل)، وقيل إن سكان هذه المدينة شريفية (خاضعون للأشراف).

وباليمامة (اليمامة) مياه جارية في قنوات وفيها نخيل وقيل إنه حين يكثر التمر يباع الألف منه بدينار، ومن اليمامة إلى الحسا أربعون فرسخاً. ولا يتيسر الذهاب إليها إلا في فصل الشتاء حين تتجمع مياه المطر فيشرب الناس منها ولا يكون ذلك في الصيف.

سلطان الإحساء أبو سعيد شريفاً ردهم عن الإسلام

[الإحساء]:

والحسا مدينة في الصحراء، ولبلوغها عن أي طريق ينبغي اجتياز صحراء واسعة، والبصرة أقرب البلاد الإسلامية التي بها سلطنة للحسا، وبينهما خمسون ومائة فرسخ. ولم يقصد سلطان من البصرة الحسا أبداً.[1]

والحسا مدينة وسواد أيضاً وبها قلعة، ويحيط بها أربعة أسوار قوية متعاقبة من اللبن المحكم البناء بين كل اثنين ما يقرب من فرسخ. وفي المدينة عيون ماء عظيمة، تكفي كل منها لإدارة خمس سواقٍ، ويستهلك كل هذا الماء بها فلا يخرج منها. ووسط القلعة مدينة جميلة بها كل وسائل الحياة التي في المدن الكبيرة وفيها أكثر من عشرين ألف محارب. وقيل إن سلطانهم كان شريفاً وقد ردهم عن الإسلام وقال: إني أعفيكم من الصلاة والصوم، ودعاهم إلى أن مرجعهم لا يكون إلا إليه واسمه أبو سعيد. وحين يسألون عن مذهبهم يقولون: إنا أبو سعيديون وهم لا يصلون ولا يصومون ولكنهم يقرون بمحمد المصطفى ﷺ وبرسالته.

وقد قال لهم أبو سعيد: إني أرجع إليكم، يعني بعد الوفاة. وقبره داخل المدينة وقد بنوا عليه قبراً جميلاً، وقد أوصى أبناءه قائلاً: (يرعى المُلك ويحافظ عليه ستة من أبنائي، يحكمون الناس بالعدل والقسطاس ولا يختلفون فيما بينهم حتى أعود)

ولهؤلاء الحكام الآن قصر منيف هو دار ملكهم، وبه تخت يجلسون هم الستة عليه ويصدرون أوامرهم بالاتفاق وكذلك يحكمون. ولهم ستة وزراء، فيجلس الملوك على تخت والوزراء على تخت آخر، ويتداولون في كل أمر. وكان لهم في ذلك الوقت ثلاثون ألف عبد زنجي وحبشي، يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين.

وهم لا يأخذون عشوراً من الرعية وإذا افتقر إنسان أو استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله، وإذا كان لأحدهم دين على آخر لا يطالبه بأكثر من رأس المال الذي له. وكل غريب ينزل في هذه المدينة وله صناعة يعطى ما يكفيه من المال حتى يشتري ما يلزم صناعته من عدد وآلات، ويرد إلى (الحكام) ما أخذه حين يشاء. وإذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك ولم تكن لديه القدرة على الإصلاح أمروا جماعة من عبيدهم بأن يذهبوا إليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون، ولا يطلبون من المالك شيئاً.

وفي الحسا مطاحن مملوكة للسلطان، تطحن الحبوب للرعية مجاناً، ويدفع فيها السلطان نفقات إصلاحها وأجور الطاحنين، وهؤلاء السلاطين الستة يسمون السادات،[2] ويسمى وزراؤهم الشائرة.

وليس في مدينة الحسا مسجد جمعة، ولا تقام بها صلاة أو خطبة، إلا أن رجلاً فارسيًّا اسمه علي ابن أحمد بنى مسجداً، وهو مسلم حاج غني كان يتعهد الحجاج الذين يبلغون الحسا.

---

(١) يدل هذا النص على أن بلاد الإحساء والبحرين كانت بمعزل عن سلطان البصرة الواقعة في ذلك الوقت تحت حكم ملك فارس.

(٢) يدل هذا النص على أن الإحساء كانت في وقت مرور خسرو عليها كانت تحكم من قبل ستة سلاطين من القرامطة

والبيع والشراء والعطاء والأخذ يتمّ هناك بواسطة رصاص في زنابيل يزن كل منها ستة آلاف درهم، فيدفع الثمن عدداً من الزنابيل، وهذه العملة لا تسري في الخارج.

وإذا صلى أحدهم فإنه لا يمنع، ولكنهم أنفسهم لا يصلّون ويجيب السلاطين من يحدثهم من الرعية برقة وتواضع، ولا يشربون مطلقاً وعلى باب قبر أبي سعيد حصان مهيّأ بعناية، عليه طوق ولجام، يقف بالنوبة ليلاً ونهاراً، يعنون بذلك أن أبا سعيد يركبه حين يرجع إلى الدنيا. ويقال إنه قال لأبنائه: ((حين أعود ولا تعرفوني، اضربوا رقبتي بسيفي، فإذا كنت أنا حييت في الحال)). وقد وضعت هذه الدلالة حتى لا يدعي أحد أنه أبو سعيد.

وفي الحسا تباع لحوم الحيوانات كلها من قطط وكلاب وحمير وبقر وخراف وغيرها، وتوضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ليعرف المشتري ماذا يشتري وهم يسمّون الكلاب هناك كما تعلف الخراف حتى لا تستطيع الحركة من سمنها ثم يذبحونها ويبيعون لحمها.

والبحر على مسافة سبعة فراسخ من الحسا ناحية الشرق، فإذا اجتازه المسافر وجد البحرين...... ويستخرجون من هذا البحر اللؤلؤ، ولسلاطين الحسا نصف ما يستخرجه الغواصون منه.

أمير عربي يرابط على أبواب الحسا مدة سنة[1] ويشن الغارات عليها

[القطيف]

وحين يسير المسافر من الحسا إلى الشمال سبعة فراسخ يبلغ جهة القطيف، وهي مدينة كبيرة بها نخل كثير وقد ذهب أمير عربي إلى أبواب الحسا ورابط هناك سنة واستولى على سور من أسوارها الأربعة وشنّ عليها غارات كثيرة ولكنه لم ينل من أهلها شيئاً، وقد سألني حين رآني عما تنبئ به النجوم، قال: أريد أن أستولي على الحسا فهل أستطيع أم لا فإن أهلها قوم لا دين لهم)). فأجبته بما فيه الخير له.[2]

وعندي أن كل البدو يشبهون أهل الحسا، فلا دين لهم، ومنهم أناس لم يمس الماء أيديهم مدة سنة. أقول هذا عن بصيرة، لا شيء فيه من الأراجيف، فقد عشت في وسطهم تسعة شهور دفعة واحدة لا فرقة بينها. ولم أكن أستطيع أن أشرب اللبن الذي كانوا يقدمونه إليّ كلما طلبت ماء لأشرب، فحين أرفضه وأطلب الماء يقولون: اطلبه حيثما تراه ولكن عند من تراه؟ . وهم لم يروا الحمامات أو الماء الجاري في حياتهم.

[البصرة]

بلغنا البصرة في العشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة (٢٨ ديسمبر ١٠٥١م). للبصرة

---

(١) حاكم القطيف هو الذي كان محاصراً للإحساء من ٤٤٢ إلى ٤٤٣هـ.

(٢) أرجح رؤية ناصر خسرو للأمير العربي المحاصر للإحساء كانت من شهر رجب ٤٤٣ هـ الموافق لشهر نوفمبر من عام ١٠٥١ م، حيث ذكر أنه كان في اليمامة من صفر / يوليو أنه لا يتيسر السفر إلى الإحساء إلاّ في فصل الشتاء عندما تكون هناك مستنقعات لمياه الأمطار

سور عظيم يحيط بها، ما عدا الجزء المطل على النهر، وهذا النهر هو شط العرب، ويلتقي دجلة والفرات عند حدود مدينة البصرة....

ويتفرع من شط العرب قناتان كبيرتان بين منبعهما مسافة فرسخ......، الشمالية الشرقية تسمى نهر معقل، والثانية وهي الغربية الجنوبية تسمى نهر الأبلة ومنهما تتكون جزيرة كبيرة مستطيلة، والبصرة على أقصر ضلع من هذا المستطيل، والجنوب الغربي للبصرة صحراء ليس بها عمران ولا ماء ولا شجر مطلقاً. وكان معظم البصرة خراباً وبحر هناك، والجهات العامرة متعددة جدًّا، من واحدة لأخرى نصف فرسخ من الخراب، ولكن بابها وسورها محكمان وقويان. وبها خلق كثير ودخل سلطانها كبير. كان أميرها في ذلك الوقت ابن أبي كاليجار الديلمي الذي كان ملك فارس وكان وزيره رجلاً فارسيًّا اسمه أبو منصور شاه مردان.

الأبلة التي تقع على النهر المسمى بها مدينة عامرة وقد رأيت قصورها وأسواقها ومساجدها وأربطتها وهي من الجمال بحيث لا يمكن حده أو وصفها. والمدينة الأصلية تقع على الجانب الشمالي للنهر، وعلى جانبه الجنوبي يوجد من الشوارع والمساجد والأربطة والأسواق والأبنية الكبيرة ما لا يوجد أحسن منه في العالم، وهذا الجانب الجنوبي يسمى شق عثمان. والشط الكبير الذي هو دجلة والفرات مجتمعين والمسمى شط العرب، يشق شرق الأبلة والمدينة في الجنوب. ويلتقي نهرا الأبلة ومعقل عند البصرة. (ص١٥٠)

الوحشة بين الخليفة والبساسيري

٤٤٦هـ ((حصلت الوحشة بين البساسيري والخليفة القائم. وفيه ثارت السنة في بغداد وقصدوا دار الخلافة، وطلبوا أن يؤذن لهم في أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فأذن لهم وزاد شرهم، ثم استأذنوا في نهب دور البساسيري وكان غائباً في واسط فأذن الخليفة لهم بذلك فقصدوا دور البساسيري ونهبوها وأحرقوها وأرسل الخليفة إلى الملك الرحيم يأمره بإبعاد البساسيري فأبعده وقدم الملك الرحيم من واسط إلى بغداد وسار البساسيري إلى جهة دبيس بن مرثد (مزيد) لمصاهرة بينهما))[1].

نهب خفاجة للجامعين وقمعها

٤٤٦هـ ((في رجب، قصد بنو خفاجة الجامعين، وأعمال نور الدولة دبيس، ونهبوا وفتكوا في أهل تلك الأعمال، وكان نور الدولة شرقي الفرات، وخفاجة غربيها، فأرسل نور الدولة إلى البساسيري يستنجده، فسار إليه، فلمّا وصل عبر الفرات من ساعته وأجلاهم عن الجامعين، فانهزموا منه ودخلوا البر، فلم يتبعهم وعاد عنهم، فرجعوا إلى الفساد، فاستعد لسلوك البر خلفهم أين قصدوا وعطف نحوهم قاصداً حربهم، فدخلوا البرّ أيضاً، فتبعهم ولحقهم بخفّان، وهو حصن بالبر، فأوقع بهم، وقتل منهم، ونهب أموالهم وجمالهم وعبيدهم وإماءهم وشرّدهم كلّ مشرّد، وحصر خفّان ففتحه وخرّبه، وأراد تخريب

---

(١) تاريخ أبي الفدا.

القائم به، وهو بناء من آجر وكلس، وصانع عنه صاحبه ربيعة بن مطاع بمال بدله، فتركه وعاد إلى البلاد. وهذا القائم قيل إنه كان علماً يهتدي به السفن، لما كن يجيء إلى النجف))[1].

تغلب بني عقيل على بني الأصفر الثعلبي في بلاد البحرين واستقلال ابن الزجاج بجزيرة البحرين

قال الشيخ محمد العصفور: ((قال العلامة ابن خلدون (٤-٩٣): وانقرضت دولة بني عقيل في الجزيرة وغلبهم عليها وعلى تلك البلاد أولياء الدولة السلجوقية فتحولوا عنها إلى البحرين مواطنهم الأولى فوجدوا بني ثعلب أدركهم الهرم فغلبوا عليهم))[2].

((وكان بنو ثعلب أخيراً قد ساءت سيرتهم وجرى الخلف بينهم فما زالوا في قتال ونضال حتى ضعفت شوكتهم وتفرّقت كلمتهم، وفي هذا الوقت عاد بعضٌ من بقايا القرامطة من بني عقيل المذكورين آنفاً إلى البحرين فوجدوا بني ثعلب قد أدركهم الهرم وضعف أمرهم، فاغتنموا هذه الفرصة فملكوا بعض القرى والبلاد ورئيسهم أحمد بن مسعر، والثعالبة لا تبدي ولا تعيد، قد سقطت هيبتهم وأضحوا عرضاً يرمى ولقمة سائغة لكل آكل، إذ قد كثرت القتائل النهابة في البحرين، وقد قاسى سكان المدن والقرى الأمرَّين، فاتحد القرامطة بعتيك وحدان وعولوا على استرجاع الملك المسلوب بتأسيس دولة قرمطية ثانية فأكثروا الغارات على السواد واستقل محمد بن يوسف الزجاج مع ولده العوام بإمارة جزيرة البحرين))[3].

وهكذا دلّتنا النصوص السابقة على أن بني الأصفر قد اشتعلت الفتنة بينهم وتقاتلوا فيما بينهم وتفرّقت كلمتهم فأضعفهم الصراع الداخلي ولم يستطيعوا على بلاد البحرين، وخرجت البلاد من أيديهم، مما أتاح الفرصة للعقيليين العائدين للتو من الأراضي العراقية لأن يستعيدوا السلطة على البلاد بقيادة أحمد بن مسعر باتّحادهم مع القبائل اليمانية التي يتزعمها عبدالله بن محمد الحداني المكنى بأبي سعيد القرمطي، وهو الذي تولّى إمامة أهل عُمان بعد الإمام عزان بن الهزبر المالكي الذي عزل، وقد عزل أهل عمان عبدالله بن محمد الحداني هو الآخر وولوا بعده الصلت بن القاسم، وقد استطاع عبدالله بن محمد الحداني أن يجمع شمل القرامطة التي فرت إلى عمان بعد معركة الأصفر الثعلبي وقد ساعده في ذلك أحمد بن مسعر أحد زعماء القرامطة الفارين، ودخل القائدان في حلف مع قبيلتين من قبائل اليمن وهما عتيك وحدان.[4]

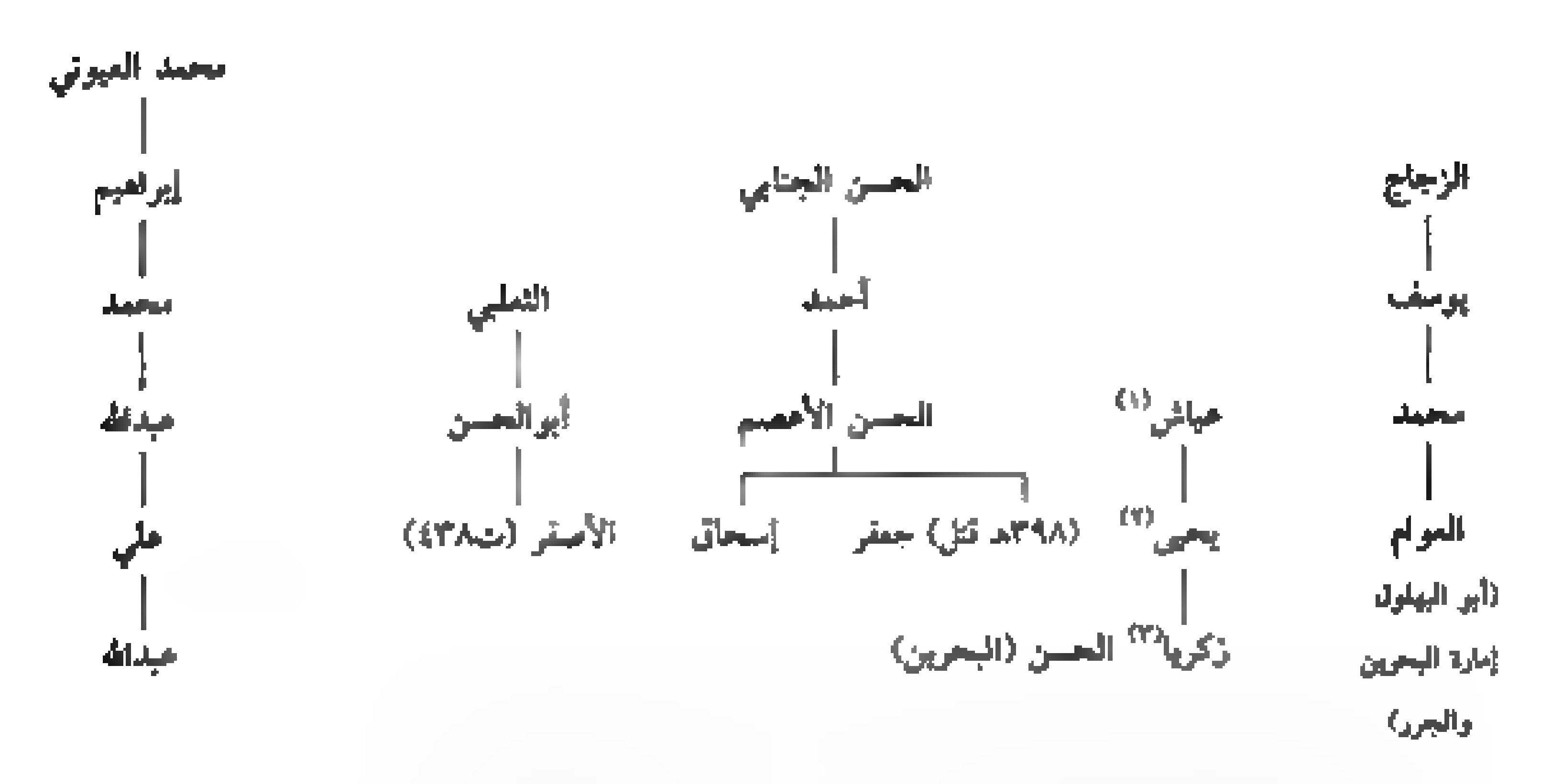
---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير د.صادر ج٩ ص٥٩٩

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٣٥٤ من مخطوط منتخبات من كتاب تاريخ البحرين للشيخ محمد علي العصفور الفصل٣٥

(٣) المصدر نفسه الفصل٣٧.

(٤) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية (٤٦٩- ٩٦٣هـ/ ١٠٧٦- ١٥٥٥م) للدكتور محمد محمود خليل مكتبة مدبولي القاهرة ط١/٢٠٠٦م ص٦٨.



٤٧٧هـ طغرلبك وجه ولاية البصرة إلى هزار أشب بن عياض(٤)

٤٤٨هـ قال أبو الفدا في تاريخه: تزوج الخليفة القائم بنت داود أخي طغرلبك. وقال: ولما أقام طغرلبك ببغداد ثقلت وطأة عسكره على الرعية إلى الغاية، فرحل عن بغداد ١٠ ذي القعدة ٤٤٨هـ وكان مقامه ببغداد ثلاثة عشر شهراً وأياماً لم يلق الخليفة فيها، وتوجه طغرلبك إلى نصيبين ثم سار منها إلى ديار بكر التي هي لابن مروان.

فتنة البساسيري في بغداد

٤٥٠هـ ((سار إبراهيم ينال بعد انفصاله عن الموصل إلى همدان وسار طغرلبك من بغداد في أثر أخيه أيضاً إلى همدان وتبعه من كان ببغداد من الأتراك، فقصد البساسيري بغداد ومعه قريش بن بدران العقيلي في مائتي فارس ووصل إليها يوم الأحد ٨ ذي القعدة ومعه أربعمائة غلام ونزل بمشرعة الزوايا. وخطب البساسيري بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي خليفة مصر وأمر فأذن بحيّ على خير العمل ثم عبر عسكره إلى الزاهر وخطب بالجمعة الأخرى من وصوله للمصري بجامع الرصافة أيضاً، وجرى بينه وبين مخالفيه حروب أثناء الأسبوع وجمع البساسيري جماعته ونهب الحريم ودخل الباب النوبي فركب الخليفة القائم لابساً للسواد وعلى كتفه البردة وبيده سيف وعلى رأسه اللواء، وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة، وسرى النهب إلى باب الفردوس من داره، فلمّا رأى القائم ذلك رجع إلى ورائه ثم صعد إلى المنظرة ومعه القائم ورئيس الرؤساء، وقال رئيس الرؤساء لقريش بن بدران: يا علم

---

(١) العياش بن سعيد رئيس بني محارب كان منزله بالحل المعروف بالشمال

(٢) غلب القرامطة على القطيف ثم انتزع البحرين من أبي البهلول

(٣) خلف أبوه على القطيف فطمع في ملك أخيه على البحرين وله وزير اسمه الحكروت.

(٤) التحفة النبهانية

الدين أمير المؤمنين يستذم بذمامك وذمام رسول الله ودمام العربية على نفسه وماله وأهله وأصحابه. فأعطى قريش بحضرته ذمماً فنزل القائم ورئيس الرؤساء إلى قريش من الباب المقابل لباب الحلبة وسارا معه، فأرسل البساسيري إلى قريش وقال له: أتخالف ما استقر بيننا وتنقض ما تعاهدنا عليه؟ وكانا تعاهدا على المشاركة وأن لا يستبد أحدهما دون الآخر، ثم اتفقا على أن يسلم رئيس الرؤساء البساسيري لأنه عدوه ويبقى الخليفة القائم عند قريش، وحمل قريش الخليفة إلى معسكره ببردته والقضيب ولوائه، ونهبت دار الخليفة وحريمها أياماً، ثم سلم قريش الخليفة إلى ابن عمه مهارس وسار به مهارس والخليفة في هودج إلى حديثة عانه، فنزل بها وسار أصحاب الخليفة إلى طغرلبك ..

ثم سار البساسيري من بغداد إلى واسط والبصرة فملكها، وأما طغرلبك فكان قد خرج عليه أخوه إبراهيم ينال وجرى بينه وبينه قتال، وآخره أن طغرلبك انتصر على أخيه إبراهيم وأسره وخنقه بوتر، وكان قد خرج عليه مراراً وطغرلبك يعفو عنه فلم يعف عنه في هذه المرة))[1].

انتهاء فتنة البساسيري

٤٥١هـ ((لما فرغ طغرلبك من أمر أخيه إبراهيم ينال وقتله سار إلى العراق لرد الخليفة إلى مقر ملكه وأرسل إلى البساسيري يقول: رد الخليفة إلى مكانه وأنا أرضى منك بالخطبة ولا أدخل العراق فلم يجب البساسيري إلى ذلك فسار طغرلبك فلما قارب بغداد انحدر منها البساسيري وأولاده في دجلة (سادس ذي القعدة) وكان دخوله لبغداد في سادس ذي القعدة أيضاً ووصل طغرلبك إلى بغداد وأرسل في طلب الخليفة القائم إلى مهارس[2] فسار مهارس والخليفة إلى بغداد في السنة المذكورة (٤٥١) في حادي عشر ذي القعدة وأرسل طغرلبك الخيام العظيمة والآلات لملتقى الخليفة القائم ووصل الخليفة إلى النهروان رابع وعشرين ذي القعدة وخرج طغرلبك للقيه واجتمع به واعتذر عن تأخره بعصيان أخيه

ثم أرسل طغرلبك جيشاً خلف البساسيري ثم سار طغرلبك في أثرهم واقتتل الجيش والبساسيري ثامن ذي الحجة فقتل البساسيري وانهزم أصحابه وحمل رأسه إلى طغرلبك وأخذت أموال البساسيري مع نسائه وأولاده))[3].

إرسال القرامطة جيشاً من ربيعة بن نزار للقضاء على ابن العياش

عندما قام أحد القادة البويهيين المدعو (بأبي الحارث البساسيري) بمهاجمة بغداد سنة ٤٥٠ هـ أثناء غياب السلطان السلجوقي في الشام وقبض على الخليفة وأودعه السجن، جدّ أنصار القرامطة في أول فرصة سانحة للتشفي من (ابن الزجاج) بيد أن ابن الزجاج عمد إلى مهادنة القرامطة واسترضائهم بالهدايا

(١) تاريخ أبي الفدا.

(٢) مهارس تصحيف لمهارش.

(٣) تاريخ أبي الفدا.

والتحف ليأس غائلتهم...، بيد أن القرامطة بعد فترة من الزمن طمعوا في مزيد من الرسوم والإتاوات من أهل أوال وكلفوا واليهم على الجزيرة (ابن عرهم) إنفاذ ذلك.

مجمع (أبو البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجاج) أنصاره وأتباعه وأقاربه ومن يثق بهم من الوجهاء والأعيان وأخبرهم بما ورد بصدد منعهم عن دفع الضريبة المفروضة عليهم، فاستقر الرأي على عدم الرضوخ، واتصل أبو البهلول بالوجهاء وفي مقدمتهم ابن أبي العريان لما له من كثرة الأتباع...

وأدى ذلك إلى هلاك خلق كثير من ربيعة كانت بعثتهم القرامطة إلى أوال لينزعوا الملك من أبي البهلول بعد أن غلب القرامطة على جزيرة أوال ودفع عمالهم عنها وخطب له فيها بالإمرة، فكانت الدائرة لأبي البهلول على العسكر الذي كان ركب البحر إليه وذلك أن جميعهم غرق بالمكان الذي بالبحر يسمى كسكوس أوال، وكان رئيس العسكر كله رجل يقال له بشر بن مفلح أحد العيونيين

كان أبو البهلول ضامناً خراج جزيرة (أوال) البحرين من القرامطة، وكان ذلك في دور ضعف أمر القرامطة كما سبق ذكره واشتغالهم بمحاربة العيونيين في الإحساء، حيث قاموا عليهم وابن عياش في القطيف والخليفة في العراق، فاغتنم أبو البهلول هذه الفرصة وطرد عمال القرامطة من جزيرة البحرين وخطب له فيها بالأمر (أي للخليفة)

فجهز عليه القرامطة جيشاً من عبد القيس فأطمعوهم في استرجاع جزيرة البحرين على أن يولوهم حكمها وأركبوهم البحر، فأتوا جميعاً إلى الموضع المعروف بكسكوس (جسجوس) وكان الرئيس على الجميع رجل يقال له بشر بن مفلح أحد العيونيين، فسار إليهم بجيشه والتقى بهم في الموضع الآنف الذكر وكانت الدائرة لأبي البهلول على جيش القرامطة المختلط وعلت قوته قوتهم فانهزموا راجعين عن جزيرة البحرين، واستقل أبو البهلول بها وعظم أمره وخطب له فيها بالإمارة - من قبل الخليفة - إلى أن غلبه عليها يحيى بن العياش.

وفاة حاكم مكة الشريف شكر بن أبي الفتوح

٤٥٣هـ توفي حاكم مكة الموسوي شكر بن أبي الفتوح دون أن يخلف ولداً ذكراً يتولى مقالد الإمارة فآلت الأمور إلى أحد عبيده، فانتهز بنو الطيب السليمانيون الفرصة وتوجهوا إليه بقيادة محمد بن أبي الطيب[1] حيث انتزع مكة ونصب نفسه حاكماً عليها. وقال ابن السويداء: بعد وفاة الشريف شكر: أصبح بنو هلال تحت وطأة آل مهنا أمراء المدينة لمناصرتهم الشريف شكر[2].

لكن ابن خلدون ينقل لنا خبراً عن الهلاليين غير ما ذكرنا حيث يقول في تاريخه بعد أن ذكر وفاة

---

(١) وبعد محمد بن أبي الطيب ملكها حمزة بن وهاس بن أبي الطيب ثم قامت الحرب بين الموسويين والسليمانيين قريباً من سبع سنوات، ثم خلصت للأمير محمد بن جعفر بن عبدالله بن أبي هاشم. راجع الـ ١٠٠٠سنة الغامضة، لابن السويداء ط١ ص١١٢.

(٢) الـ ١٠٠٠سنة الغامضة لابن السويداء ط١ ص٢٩٤ عن كتاب الحجاز واليمن في العهد الأيوبي للدكتور جميل حرب ص٧٩

الشريف شكر: ((وولي ابنه محمد الذي يزعم هؤلاء الهلاليون أنه من الجارية هذه، وقال ابن سعيد: هو من السليمانيين من ولد محمد بن سليمان بن داود بن حسن بن الحسين السبط، وأخبرني من أثق به من الهلاليين لهذا العهد ٧٩٩هـ أنه وقف على بلاد الشريف شكر، وأنها بقعة من أرض نجد مما يلي الفرات، وأن ولده بها لهذا العهد والله أعلم)).

٤٥٥هـ في هذه السنة دخل الصليحي مكة وكان شابٌ أشقر اللحية، أزرق العينين.. وكان متواضعاً.

استقلال ابن عياش بحكم القطيف

٤٥٨هـ في هذه السنة ثار يحيى بن عياش(*) رئيس بني محارب من عبد القيس في القطيف وأنهى سلطة القرامطة فيها. وكان يحيى بن عياش قد اغتنم فرصة انشغال القرامطة في محاربتهم الأخيرة مع العيونيين وأبي البهلول وابن أرتق قائد جيوش العراق وهم إذ ذاك في دور ضعف شامل فقام بدوره على القرامطة وحاربهم فعلهم على القطيف في سنة ٤٥٨هـ.

٤٥٨هـ في هذه السنة حكم السلاجقة إيران واستمروا إلى سنة ٥٤٣هـ، أي لمدة ٨٥ عاماً تقريباً[1]

اتحاد القرامطة بعتيك وحدان

في سنة ٤٥٩ هـ، أي قبل قيام الأمير عبدالله بن علي العيوني بثلاث سنوات أشركت قبائل من اليمن وهم عتيك وحدان من قبائل الأزد عند القرامطة بالأمر، وحلّ عندهم القصر رجال منهم، وسمي بعضهم بالأمير، وذلك عند ضعف القرامطة وسوء تدبيرهم وهلاك خلق كثير من ربيعة بن نزار سنة ٤٥٠ هـ كانت بعثتهم القرامطة إلى أوال برئاسة بشر بن مفلح العيوني، وقد أنهكت القرامطة الثورات والحروب منذ حوالي سنة ٤٤٩ هـ إلى سنة ٤٥٩ هـ

أول ظهور تاريخي للأمير عبدالله العيوني

في سنة ٤٦٢ هـ ظهر الأمير عبدالله بن علي العيوني على ساحة الأحداث في منطقة الإحساء، وهو من عبد القيس من ربيعة بن نزار.

خلافة المقتدي بالله بعد وفاة جده القائم بأمر الله

٤٦٧هـ في ليلة الخميس ١٣ شعبان، توفي القائم بأمر الله أمير المؤمنين، (واسمه عبدالله أبو جعفر ابن القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير إسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد.

(*) بعض المصادر تسميه يحيى بن عباس.

(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية (٤٦٩- ٩٦٣هـ / ١٠٧٦- ١٥٥٥م) للدكتور محمد محمود خليل مكتبة مدبولي القاهرة ط١/٢٠٠٦م ص١٣٤

وكان سبب موته أنه قد أصابه شرى، فافتصد ونام منفرداً فانفجر فصاده، وخرج منه دم كثير ولم يشعر، فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته، فأيقن بالموت، فأحضر ولي العهد ووصاه بوصايا، وأشهدهم على نفسه أنه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبدالله بن محمد بن القائم بأمر الله ولي عهده

وكان عمره يوم مات ٧٦سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام، وخلافته ٤٤سنة وثمانية أشهر وأياماً، وأمه أم ولد تسمى قطر الندى، أرمنية وقيل رومية أدركت خلافته وقيل اسمها علم، وكان القائم جميلاً، مليح الوجه، أبيض، مشرباً حمرة، حسن الجسم، ورعاً، ديناً، زاهداً، عالماً، قوي اليقين بالله تعالى، كثير الصبر، وله عناية بالأدب[1] ومدة حكم القائم ومدة حكم أبيه القادر قبله مجموعها (٨٥سنة) وذلك مقارب لمدة دولة بني أمية كلها[2].

استعانة يحيى بن عياش بالسلاجقة لانتزاع الإحساء

في سنة ٤٦٨هـ عندما أشغل الأمير عبدالله العيوني عن ملك الإحساء، قرر يحيى بن عياش القضاء على القرامطة في الإحساء وضمه إلى ملكه[3]، وكانت تعوزه القوة العسكرية المساندة، فيما كانت الدولة العباسية تطمح إلى فرض سيطرتها على بلاد البحرين، وتشاء الصدف أن يلتقي ابن الزراد الذي كان يعمل في خدمة كجكينا أحد حجاب ملكشاه السلجوقي برجال من أهل القطيف من أصحاب الأمير يحيى بن عياش أمير القطيف وجزيرة أوال في البصرة سنة ٤٦٨هـ، فجرى بينهم وبينه الحديث فقالوا: (لو أن السلطان يدفع إلى صاحبنا مائتي فارس من الترك لاستطاع بها وبمن معه من أخذ مدينة الإحساء فيخطب بها للسلطان ويحمل إليه من الأموال من أعمالها كل سنة حملاً كثيراً)، فقال لهم ابن الزراد: (أنا أفعل هذا وأقوم به)، واستعان برجل بدوي يقال له (غفيف) من أصحاب (ابن مهارش العقيلي) ومضى معهم إلى القطيف واجتمعوا مع (ابن عياش) وضمن لهم ذلك، وكان القرامطة آنذاك قد تم إقصائهم عن حكم أوال والقطيف وحصر حكمهم في الإحساء.

أنفذ (ابن الزراد) كتبه إلى السلطان (جلال الدين) وإلى (نظام الملك) ولم يزل يبذل المساعي في إقناعهم بأهمية الاستيلاء على تلك النواحي حتى أطمعهم.

وحصل ابن عياش على الرد بالإيجاب، وبعث السلطان السلجوقي ملك شاه (٤٦٥-٤٨٥هـ) حاجبه المعروف باسم (كجكينا) للقتال إلى جانب (يحيى بن عياش) في محاولة لانتزاع الإحساء من أيدي القرامطة.

وكما قلنا قبل قليل إنه في هذه الأثناء كان الأمير عبدالله بن علي العيوني يحاصر الإحساء في محاولة منه للاستيلاء عليه لصالحه، ومن المؤكد أن ابن عياش كان يعلم بذلك الحصار، وكأنه أراد الدخول معه على

---

(١) الكامل في التاريخ ج١٠ ص٩٤.

(٢) سمط النجوم العوالي م٣ ص٥٠٠.

(٣) ديوان ابن المقرب ج٢ ص٩٢٨.

خط المنافسة على امتلاك الإحساء، خاصة وأنه قد تمكن قبل وقت قريب من الاستيلاء على جزيرة أوال وأراد أن يوسع دائرة ملكه أيضاً لتشمل الإحساء، لأنه كان يرى في نفسه أنه هو الأحق والأجدر والأقوى.

تجميع القوات العباسية للمسير إلى الإحساء

شرع كجكينيا بالإعداد لهذه الحملة وكتب إلى بن الرر د يطلب منه التوجه إلى البصرة حيث يلتقي هناك بجماعة وضعوا بخدمته للمسير معه وأنه سيلحق به لإعداد الخطة، وانحدروا على أن يلحق بهم (سعد الدولة) لتسمع العرب بوجوده هناك فيهابوه وينخرطوا في عسكره، ووصلوا إلى واسط وجاءهم (غداف البدوي) بمكاتبة تقدمت منهم إليه واجتمعوا وتحالفوا وتعاهدوا على أن يكون المغنم مقسوماً على (١١سهماً): (١) للخليفة و(١) للسلطان و(١) لنظام الملك وسعد الكوهرائي و(٤) لكجكينيا و(٤) لأصحاب مهارش[1].

وأقاموا مدة فلمّا علموا بوصول (سعد الدولة) إلى واسط آخذاً الطريق إلى البصرة خرجوا منها بعد أن وقع بينهم وبين الأشراف من وجوه ربيعة نزاع. واستعدوا بأربعمئة فارس من العرب والعجم سوى أتباعهم والتقوا بغداف وجماعته وساروا قاصدين القطيف.

وصول القوات العباسية والمحلية إلى جبل سنام

يقول شارح ديوان ابن المقرب وساروا حتى وصلوا موضعاً يعرف بجبل سنام، وهم يتوقعون أن المنتفق يسيرون معهم، وكانوا راسلوهم فوعدوهم باللحاق بهم، فحين وصلوا جبل سنام قيل لهم: إن حلاً من العرب يعرف بقيس[2] وقباث[3] قد نزلوا على طريقهم[4]، طمعاً فيهم فتحقق عندهم الخوف منهم ومن غدر البدو الذين معهم.

وقعة القوات العباسية مع قيس وقباث

((وطال مقامهم بالطريق فغلت أسعار الأطعمة عليهم، وخافوا من قيس وقباث أن يباغتوهم

---

(١) أمير العرب محيي الدين أبو الحارث مهارش بن المجلي العقيلي صاحب الحديثة وهو الذي نزل عليه الإمام القائم في فتنة البساسيري سنة ٤٥٠هـ وبالغ في إكرامه وإجلاله والإحسان إليه وأقام عنده سنة. وكان مهارش كثير الصدقة والصلوات ملازماً الجمع والجماعات، ومات وقد نيف (٨٠سنة) وهو مهارش بن المجلي بن عليث بن قبان بن شعيب بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنا عبد الرحمن بن بريد بالتصغير ابن عبد الله بن زيد بن قيس بن جوثة ابن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العقيلي.

(٢) [قيس] يقول محقق ديوان ابن المقرب د. الخطيب لعله قيس بن عامر بن ليث بن بكر بن عبدمناة بن كنانة.

(٣) [قباث] في الجمهرة ١٨٠-١٨١ قباث بن أشيم بن عامر بن الملوح بن يعمر (الشداخ)، بطن من بني كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبدمناة بن كنانة وقال البلاذري قباث بن أشيم بن عامر بن الملوح الذي كان على إحدى المجنبتين يوم اليرموك سنة ١٥هـ مع أبي عبيدة راجع أنساب الأشراف ج١١ ص٨٧.

(٤) ديوان ابن المقرب طبعة البابطين ج٢ ص٩٢٦

فاجتمعوا وسروا ليلاً ومعهم الدليل فوصلوا بعد يومين إلى قباث وقيس فقاتلوهم طيلة يومهم فلم يظفروا بهم. فعملوا حيلة بأن يجعلوا مجنيقاتهم وثقلهم وراء تل[1] وأمروا بضرب الطبول وضرب البوقات ونشر الأعلام حتى كأنهم نجدة قد وصلت وهاجموا قيساً وقباثاً فغنموا أموالهم وحلتهم وأجار كجكيتيا النساء وسيرهن إلى أهلهن في ظعنهن وجمالهن فشكرت له قيس وقباث ذلك. وعرضت عليه الرغبة في خدمته والمسير معه وطلبت منه الخلع والهبات فبذل لهم ما التمسوه وشكر لهم ما قالوه. وتعاهدوا وتواثقوا وجاء متقدمهم في ثلاثمائة راكب على المطايا وفي أيديهم الحراب وخلعوا عليه وعلى عشرين ونيف من أصحابه وعلى صاحب (ابن مهارش) وعلى خمسة رجال كانوا معه وضمنوا لهم رد أموالهم بعد فراغهم من حرب القرامطة ورجوعهم إلى البصرة)).

وقوع القوات العباسية في ورطة مع ابن عياش

((وسارت قيس وقباث معهم يبيعون لهم التمر والذرة[2] بالثمن الذي يرجونه ويطلبونه من غير مقاولة. إلى أن صاروا على أربعة فراسخ من القطيف[3] وراسلوا (ابن عياش) يخبرونه بوصولهم، فوجدوه بخلاف ما قيل لهم فقد كان نافراً مما ذكروا فعلموا أن ابن عياش نافر من قدومهم وأرسل إليهم يقول إن الذي تمّ الاتفاق عليه من مع ابن الزراد هو أن يقوم السلطان بتزويدي بمائتي فارس من العجم يعملون تحت قيادتي وبأمري وأجريهم مجرى جندي، وأما أن يأتيني جيش مجهز بهذا الحجم فلا واعلم أيها الحاجب كجكيتيا أني لا آنس إلى محالفتك ومشاركتك والاجتماع معك، وبخاصة عندما فعلت بقبيلتي قيس وقباث ما فعلت فقد أفسدت بهذا العمل نياتِ العرب عليك وعليّ. وبالغ في تهديده وقال إنك في وصولك إلى هنا أصبحت كالسبع الذي في الأجمة وحولها الأعداء بحيث لا يمكنك المقام ولا العودة. فإن أنت سلمت إليّ بعض من معك من الجند رددتك إلى البصرة سليماً. وقصدت أنا الإحساء وأعمالها وأخذتها وأقمت الخطبة بها وجمعت أموالها وبعثت بها إلى السلطان. وإن أبيت وأردت أن تكون أنت المقدم فهذه البرية بين يديك فامض بها كيف شئت))[4].

---

(1) لعل الموضع الذي التقت القوات العباسية فيه مع قبيلتي قيس وقباث يقع في جنوب دولة الكويت، كالوفراء أو جبل وارة، حيث إن المؤلف يذكر أنهم سروا ليلاً من جبل سنام وهم يقصدون المسير باتجاه القطيف وهم يعلمون أن قيساً وقباثاً ينزلون على طريقهم ذلك فوصلوهم بعد يومين من مسيرهم الليلي، وأقصر المسافة أنها تكون قريبة من (١٢٠كم). وقال أيضاً ((فعملوا حيلة بأن يجعلوا مجنيقاتهم وثقلهم وراء تل)) وأظن بأنهم التقوا بالقرب من جبلي وارة وبرقان اللذين يقعان في منطقة الصبيحية المشهورة في وفرة مياهها، ولأن لا تل ولا ماء إلّا عندها أو عند ماء الوفراء الذي يقع بالقرب منه جبل وحية والاثيلي والفوارس.

(2) بيعهم للتمر والذرة يدل على أن الأرض التي يستقرون بها زراعية وأنهم يتعاطون الزراعة والمتاجرة وأن ملاذهم تقع فيما بين البصرة والقطيف

(3) عشرين كيلومتر تقريباً

(4) في ديوان ابن المقرب ج٢ ص٩٢٥-٩٢٧.

وقعة كجكينيا مع ابن عياش ونهب قيس وقباث لاحماله

((جرت بينهما مراسلات أدت إلى أن لبسوا السلاح وقصدوه وجرت بينه وبينهم حرب قُتل فيها أخوه وابنه وجماعة من هؤلاء وهؤلاء، وذلك في يوم الأربعاء، ورجعوا غانمين مستظهرين ذلك اليوم بعد أن أيقنوا بالهلاك، لكثرة من خرج من عساكر القطيف.

وباكروا القتال يوم الخميس، فوردت عليهم الرسائل بالرغائب والتلطف والمخادعة لهم ومخاتلة لم ينته علمهم إليها، وشرع ابن عباس[1] في الحديث مع قيس وقباث، ومنّاهم على أن يغدروا بهم ففعلوا ذلك بكرة يوم الجمعة، فأخذوا أحمالهم التي كانوا أخذوها منهم وقد حملوا عليها زادهم وأثقالهم، وأخذوا أيضاً جمالهم التي كانوا عليها من البصرة، وجميع ما عليها من زاد وقماش، فبلغ الأعاجم ذلك، فساروا وراءهم، فخرج أهل القطيف إلى معسكرهم فنهبوه، وأخذوه، ولم يظفروا هم بالعرب، ولا كان لهم من خوف ابن عباس مرجع)).

قدوم شبانة بن قديمة بن نباتة والتحاقه بكجكينيا

بينما كانت القوات العباسية في هذه الحال المزرية، ((أتاهم شبانة أبو الشبابات، فأقام معهم ولولاه ماتوا جوعاً وعطشاً، فمد رئيسهم كجكينيا فخلع على شبانة وأصحابه وطيب نفوسهم ووعدهم ومناهم وطلب منه ومن أصحابه إحضار الزاد ليشتروا منهم كيف اقترحوا، فأرسل شبانة ولده إلى أصحابه فاجتمعوا بهم، ويشترون منهم البعير بالفرس، فغنموا منهم غنائم كثيرة، وساروا على أقبح حال حتى بلغوا البصرة . وذلك في سنة ٤٦٨هـ والأمير عبدالله قد أشفى على ملك الإحساء))[2].

وفاة يحيى بن عياش ونجاح ابنه زكريا باحتلال اوال

توفي يحيى بن عياش، فخلفه ابنه زكريا، فجهز أسطولاً وأبحر به إلى جزيرة أوال واقتحمها بجيش عظيم وقتل أبا البهلول بعد قتال شديد وضم البحرين إلى مملكته، وصار حكمه عليها وعلى القطيف.

وقيل بعد موت يحيى بن عياش (خلفه على القطيف ابنه زكريا بن يحيى بن عياش وعلى جزيرة البحرين أخوه الحسن بن يحيى بن عياش، فطمع زكريا في جزيرة البحرين فاستولى عليها بعدما أن قتل أخاه الحسن).

نجاح عبدالله العيوني في طلب استقدام القوات العباسية

لما طالت الحرب بين عبدالله بن علي العيوني وبين القرامطة، واليمن وعامر ربيعة، بعث رسله إلى

(١) كما قلنا سابقاً تسميه بعض المصادر ابن عباس وأخرى ابن عياش

(٢) ديوان ابن المقرب ج٢ ص٩٢٨

الديوان، فصادف هذا الطلب هوى في نفس ملك شاه، لما عرف عنه من كراهيته للإسماعيليين ومن يدور في فلكهم. فهب لنجدته، وبعث السلطان إليه من الجند سبعة آلاف[1] فارس بخيولهم وعتادهم بإمرة القائد السلجوقي (إكسك سلار)، الملقب أرتق بك، وكان في نفسه يومئذ من القطيف وما جرى لكجكينيا، وتحدوه رغبة عارمة للانتقام من (ابن عياش)[2]

خسف القوات العباسية بالبصرة وهي في طريقها للإحساء

وسار بهم إكسك سلّار (في رجب ٤٦٩هـ) وكان مسيره عن طريق مقطع حلوان ونزل في طريقه بالبصرة. فخسف بها جنده نهبوا وأطلقوا مواشيهم ترعى زروعها فعمّ أهلها الخوف والهلع، فأقفلوا الأسواق وسدّوا الطرق وظلوا سجناء منازلهم. فقال (ما يمكنني المسير إلى الإحساء وتلك الأعمال إلا أن تعطوني على ما عندي ألف جمل وقدراً كبيراً من الدقيق ومثلها شعيراً ومثلها تمراً وعشرة آلاف دينار أفرقها في أصحابي) فأعطي من ذلك ما قنع به وتنازل عن الباقي[3].

فرار ابن عياش من وجه القوات العباسية

وقرر إكسك سلّار التوجه للقطيف أولاً للإيقاع بابن العياش، ولما وصلها فرّ زكريا بن يحيى ابن عياش من بين يديه إلى جزيرة أوال فولى وجهه شطر الإحساء ونهب ما ظفر به. ثم انضم إلى (عبدالله بن علي العيوني)، وانهزمت عامر ربيعة عندما سمعت بوصوله[4]، ولم تصطدم مع القوات العباسية فبقي القرامطة واليمن في جبهة القتال دون عامر ربيعة

محاصرة القرامطة في الإحساء ثم عودة جيش العجم

((فلمّا مضت له مدة على الحصار راسلته القرامطة وليمنن على مال كثير، أنهم يدفعونه إليه، فقبل ذلك منهم، وهم قد امتنعوا منه، وقلّ عليهم الزاد، وما بقوا يجدون غير التمر والسمك وهو غالب أقوات أهل البحرين، واللحم ارتفع عنهم، وفنيت البقر والحنطة في ذلك الوقت لانقطاع زرعها، ولذلك قبل المال على أنه يندفع عنهم، ويمهلهم مقدار شهر وأقل ليتفسحوا ويطمئنوا ويتشاغلوا بتقسيط المال على من له ضيعة، وملك ومعيشة، وسلموا إليه رهناً على ذلك ثلاثة عشر رجلاً منهم على ذلك. فرحل إكسك سلار يومئذ عنهم فخرجوا إلى أمكنة لهم كانوا يجعلون بها الطعام – لما خافوا، وما بقوا يقدرون على دفعه – من آبار ومغارات ومكانات خافية في بساتينهم، واحتملوها إلى البلد وتقووا بها

---

(١) عدد مبالغ فيه والصحيح ما ذكره الملا في تاريخ الإمارة العيونية من أنهم سبعمائة فارس فقط

(٢) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج٢ ص٩١٨، وراجع تاريخ الإمارة العيونية للملا من شرح ديوان ابن المقرب.

(٣) تاريخ الإمارة العيونية للملا.

(٤) المصدر نفسه

وعرف إكسك سلار ذلك منهم، فعلم أنهم قد مكروا به، فرجع إليهم، فوجدهم عادرين على أشد ما كانوا فيه من الخلاف، فقتل بعض الرهائن واحتبس بعضاً ممن رأى فيه رأياً منعه من قتله. وما فعلوا ذلك إلا أنهم عرفوا أن العجم قد قابلها وقت الحر[1]، ولا تقدر أن تقيم في تلك الأرض مع نفاد الزاد، وقلة المأكول، وعرف أيضاً إكسك سلار من نفسه وأصحابه ذلك، وأنه قد أخرب البلاد وأعمالها وسوادها، ولم يبق فيه من الزروع شيء، وأن أصحابه ما بقوا يحتملون المقام وطلبوا بيوتهم وقاسوا من الحر مقاساة عظيمة، فشاور عبدالله بن علي في أمره، فقال: تجعل عندي مائتي فارس وتمضي لشأنك، فنحن نقضي الحاجة إن شاء الله تعالى، ففعل وجعل مائتي فارس مع أخيه البقوش، وعاد بمن معه إلى البصرة، وقد أخذ في طريقه من العرب أموالاً كثيرة يقوى بها، وكل ذلك من عائذ وقباث والأجلاف ما سلموا إلا على خيولهم وكان سيرهم إلى الإحساء في سنة ٤٦٧هـ))[2].

العيوني يخطب للمستنصر الفاطمي على المنابر

يقول الدكتور محمد خليل: ((الذي لم تذكره المصادر المحلية هو وثيقة فاطمية ترجع إلى - ربيع الآخر من سنة ٤٦٩هـ ١٠٧٦م تحتوي على خطاب من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله موجّه إلى الملك الصليحي ملك اليمن، يخبره بأن الأمير عبدالله بن علي(*) أمير الإحساء قد أقام دولته في الإحساء وخطب للخليفة المستنصر على منابر الإحساء متخذاً مذهب الدولة الفاطمية مذهباً لدولته، عاملاً على نشر الدعوة العلوية في بلاد الإحساء وأنه واجه في ذلك العمل الكثير من الصعاب والمعارك الحربية التي خاضها ضد الأعداء)) إلى أن قال ((وهذا ما تؤيده النقود التي سكتها الدولة العيونية حيث تحتوي على عبارات تعكس بوضوح تشيّع الدولة العيونية))[3]، ثم يقول: ونحن نرى أن عبدالله بن علي العيوني عندما

(١) طالت مدة الحصار ودخل الصيف، وبدأ الملل يدب في نفوس جيش الخلافة وأصيب بعضهم بالحمى والملاريا، عندها قرر القائد السلجوقي الانسحاب والعودة إلى بغداد بعد أن اتفق مع العيوني أن يبقي لديه مائتي مقاتل بقيادة أخيه البقوش.

(٢) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج٢ ص٩١٨، وفي هامش ص٩١٩ في النسخة ب: ولذلك قيل العال على أنه للدولة العباسية، وذلك في سنة ٤٦٩هـ.

(*) على حسب ما ذكره الدكتور محمد خليل عن السجلات الفاطمية وهي وثائق كتبها المستنصر بالله إلى قواده ومن ضمنها المخطوطة رقم ٢٧١٥٥ من مكتبة الدراسات الشرقية بلندن أهداها دكتور حسين فيض الدين الهمداني للدكتور عبدالمنعم ماجد، فعمل الأخير على تحقيق ذلك العمل وأصدره عام ١٩٥٤م في دار الفكر العربي في القاهرة، وقد جاء في الوثيقة رقم ٥٤ تسمية الأمير عبدالله بعبدالله بن علي العلوي، فهل يقصد بهذا العلوي العيوني نفسه؟ أم أن هناك أميراً غيره في المنطقة علوي النسب؟! انظر تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٣٢٥.

(٣) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية (٤٦٩- ٩٦٣هـ / ١٠٧٦- ١٥٥٥م) للدكتور محمد محمود خليل مكتبة مدبولي القاهرة ط١/٢٠٠٦م ص١١٢، عن كتاب: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن لحسن بن فيض الهمداني مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٥م ص٢٢٢.

جاهر على منابر الإحساء بالدعوة العلوية ونقض التحالف السلجوقي وإسقاط الخطبة لبني العباس أغضب ذلك القوش وجنوده السلاجقة....

هذا ما نقله الدكتور محمد محمود خليل عن عبد الله الهمداني، ولدي شك في هذه الوثيقة الفاطمية حيث إنها ذكرت أن عبدالله العيوني جاهر بالدعوة الفاطمية على منابر مساجد الإحساء فور تملكه للبلد وهذا القول يتناقض مع قصيدة ابن المقرب التي تدل على أن الإحساء لا يوجد بها مساجد إلا بعد أن حكمها العيونيون، بدليل قول ابن المقرب بحق القرامطة.

وما بنوا مسجداً لله نعرفه بل كل ما أدركوه قائماً هدما[1]

لذا، فالذي أرجحه أن عبدالله بن علي العلوي هذا ما هو إلّا أمير من أمراء القرامطة المعروف ولاؤهم لخليفة مصر الفاطمي الإسماعيلي.

زكريا بن يحيى بن عياش يوجه نظره تجاه الإحساء

((بعد أن رحل القائد إكسلار وجنده هجم ابن عياش على القطيف واستولى عليها))، وكان لزكريا المذكور وزير من أهل جزيرة البحرين يسمى العكروت صاحب رأي وسياسة وحيل ودهاء وشجاعة وشدة بأس وحزم، فأغرى سيده زكريا بمحاربة العيونيين وأطمعه في الاستيلاء على ملكهم الإحساء فوافقه على ذلك، فكان كالباحث عن حتفه بظلفه وانقراض دولته.

معركة ناظرة واستيلاء العيوني على بلاد ابن عياش

قام زكريا بن عياش باستمالة القبائل وجهز جيشاً وقرر أن يهاجم عبدالله قبل أن يسترد أنفاسه من حروبه ويستفحل أمره فزحف بجنده نحو الإحساء ووصل إلى مشارفها عند قرية من سوادها تسمى ناظرة حل هناك، فأغارت خيله، فأتى الصريخ إلى عبد الله بن علي العيوني أمير الإحساء، فركب وخرج معه من أولاده وأولاد أولاده وأهل بيته وبني عمه وجنوده وأهل بلاده، فالتقوا بناظرة فجرت بينه وبين العيوني معركة فاصلة مني فيها زكريا بن يحيى بن عياش بهزيمة نكراء فانهزمت سرية زكريا بن يحيى، فتبعهم الأمير عبدالله العيوني حتى وصل القطيف وهو يستأصل الحيل شيئاً فشيئاً، فظن زكريا أن القطيف لا تمنعه، وتمكن عبدالله بن علي من دخول القطيف والاستيلاء عليها، فهرب منها زكريا بن عياش عبر الخليج إلى جزيرة أوال، فجهز عبدالله بن علي جيشاً بقيادة ابنه الأكبر الأمير الفضل الذي عبر إلى جزيرة أوال، وهناك دارت معركة بين الطرفين، انتهت بهزيمة جيش ابن عياش وقتل وزيره العكروت، واستولى فيها الفضل بن عبدالله على الجزيرة، وفتّ مقتل العكروت في عضد زكريا بن عياش فانهزم حينئذ وركب البحر إلى العقير واجتمع بقوم من البادية، واستنجد بهم، فأقام معهم أياماً حتى حشد حشداً كبيراً وجند جنوداً من العرب وأغاروا على القطيف، واشتبك مع عبدالله العيوني في معركة عنيفة أسفرت عن مصرع ابن عياش وضياع مملكته في سنة ٤٧٠هـ وانقرضت بقتله دولة بني عياش.

---

(١) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج٢ ص٩١٠

وَلَمْ يُنْجِ ابْنَ عَيَّاشٍ بِمُهْجَتِهِ ... يَمٌّ إذا ما يَرَاهُ النَّاظِرُ ارْتَسَمَ

أَتَى مُغِيراً فَوَافَى جَوَّ سَاطِرَةٍ ... سمايَسَ المَوْتَ مِنَّا دونَ ما زَعَمَا

فَرَاحَ يَطْرُدُ طَرْدَ الوَحْشِ لَيْسَ يَرَى ... حَبْلَ لِسَلَامَةٍ ألَّا السَّوْطَ وَالْقَدَمَا

فَانْصَاعَ نَحْوَ أُوالٍ يَبْتَغِي مِضَماً ... إذْ لَمْ يَجِدْ في نَوَاحِي الخَطِّ مُعْتَصَمَا

فَأَقْحَمَ البَحْرَ مِنَّا خَشْيَةً مَلِكٌ ... ما زالَ مُذْ كانَ لِلأَهْوَالِ مُقْتَحِمَا

فَحَازَ مُلْكَ أُوالٍ بَعْدَمَا تَرَكَ ... المكروت بالسيف للبوغاء ملتزما

فَصَارَ مُلْكُ ابْنِ عَيَّاشٍ وَمُلْكُ أبي ... البُهْلُولِ مَعْ مُلْكِنَا عِقْداً لنا نُظِمَا

وقوع معركة حاسمة بين العيونيين والقرامطة

((وطامع القرامطة والقبائل المؤيدة لهم في القضاء على عبدالله بن علي العيوني وبقية الجيش السلجوقي، فوقعت المعركة الحاسمة بين الفريقين، حيث حشد كل واحد منهما ما لديه من قوة واستعداد حيث دارت المعركة حول القصر الذي يسكنه القرمطي. فانتهت بانتصار الأمير عبدالله الذي تمكن أخيراً من بسط نفوذه على الإحساء))[1]

((ذكر أهل العلم ممن أدرك قيام الأمير عبدالله بن علي على القرامطة وقبائل اليمن الذين كانوا بالإحساء أن جميع القوم الذين قام بهم (٤٠٠رجل) وقابل بهم القرامطة وكانوا يومئذ (٨٠أميراً) من صلب أبي سعيد[2] يركبون في التحافيف (الذي يوضع على محمل من حديد وغيره) والسلاح التام وكانت جنودهم وأهل ديوانهم في خلق كثير وكانت اليمن (الأزد من العوث) قد شركت عندهم في الأمر وحل عندهم القصر رجال منهم، ويسمى بعضهم بالأمير، وذلك من قبل قيام الأمير عبدالله بن علي، أي منذ سنة ٤٥٩هـ تقريباً. وكان قيام عبدالله العيوني يحاربهم صبحاً ومساءً مدة سبع سنين حتى انتزع دولتهم وقد قال ابن المقرب[3].

---

(١) مجلة الواحة السعودية، بيروت عدد٣٤ سنة ٢٠٠٤ بقلم: سامي أحمد بوخمسين ص٨

(٢) نتساءل: هل الحكومة الأخيرة للقرامطة كانت في أيدي أولاد أبي سعيد؟ أم أنها كانت في أيدي أولاد الأصفر بن أبي الحسن كما كنا نتوقع؟! قال الشاعر محمد علي عن المعركة الأخيرة بين العيونيين والقرامطة وكان جيش الأمير عبدالله العيوني لم يتجاوز الثلاثمائة رجل ساعده الله على القرامطة ومن وازرهم ومن حلفهم على ملكهم من بني الأصفر. راجع عقد اللآل في تاريخ أوال الملحق بكتاب من سواد الكوفة إلى البحرين ص٢٢٧
ويقابل هذا القول الذي وضع الأصفريين في مقدمة الجيش القرمطي قول شارح ديوان ابن المقرب من أن الجيش يتصدره ثمانون أميراً من نسل أبي سعيد.

(٣) ذكره ابن الشعار الموصلي في كتابه (قلائد الجمان في شعراء الزمان) فقال: علي بن المقرب بن منصور بن المقرب ابن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبدالله بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد أبو عبدالله الربعي البحراني العيوني، هكذا أملى عليَّ نسبه من حفظه، وهو موضع بالبحرين يقال له العيون أخبرني أنه ولد به في سنة ٥٧٢هـ وتوفي به في أواخر المحرم سنة ٦٣٠هـ

فَمَنْ هَجَرٍ ذادوا القَرَامِطَ عَنْوَةً ... وقد شَرِكَتْ فِيهَا عَتِيكٌ وَحُدّانُ

سَارُوا إلى أرضِ القَطِيفِ فَلَمْ تَكُنْ ... لِتَمْنَعَهَا مِنْهُمْ حُصُونٌ وَحِيطَانُ

يقول شرح ديوان ابن المقرب عتيك وحدان قبيلتان، فأما (عتيك) فهو ابن الأزد بن عمران بن عمرو بن عامر مزيقيًا الكهلاني وأما (حدان) فهو بن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر ابن هزان[1].

استئصال بني عوف بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة

في سنة ٤٧٠هـ استأصل الأمير عبدالله العيوني عامر بن ربيعة في وقعة بقفور السهلة[2] بين النهرين نهر محلم ونهر سليسل[3] وكان عبدالله حين ملك أقرّ القرامطة واليمن بالبلد، ولم يخرجهم منها ولا قتل أحداً منهم فبعثت القرامطة واليمن إلى عامر ربيعة وأطمعوهم في البلد وأقبلوا في خلق كثير وحلّوا عليه، وأرسلوا إلى عبدالله بن علي يطلبون منه أن يعيد لهم ما كان لهم على عهد بقية القرامطة واليمن فامتنع من ذلك، فاجتمعوا ولبسوا السلاح وجحفوا الخيل وساقوا النعم قدامهم، وخرج إليهم عبدالله بن علي بمن معه، والتقوا بين النهرين مُحَلِّم وسُلَيسِل.

وقد قدمت عامر ربيعة الإبل، وأقبلت الفرسان والرجالة تسوقها من ورائها، ويحملونها على أصحاب عبدالله بن علي لتدوسهم، فلمّا أقبلت وصار أولها في نهر محلم أمر عبدالله بن علي بضرب الدبادب والطبول والبوقات، وأمر أهل الخيل أن يرخوا عليها، وأمر العجم أن يرشقوها بالنشاب، وأن يضربوا وجوه الإبل ففعلوا ذلك، فرجعت الإبل على عامر ربيعة فداستهم، فحمل عليهم عبدالله بن علي وأصحابه بالخيل والرجال من كل ناحية، فلم يفلت منهم صغير ولا كبير[4]

خرج عبدالله العيوني على بني عوف بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (وكانوا في ذلك الوقت خفر البحرين الذين لهم عليها المآكل) فأبدر عامر بن ربيعة غاية البوار، واستأصلهم جميعاً، ولم ينج من رجالهم إلا رئيسهم أحمد بن صغر وغيرّ أبي فراس بن الشماس ولم يكن أبو فراس منهم بل كان نازلاً فيهم هربا على فرسين لهما جوادين حتى بلغا البصرة على غاية الضرر) وأخذ جميع أموالهم وسبى حريمهم وذراريهم وبعد ذلك منّ على الحرم والذراري وسيرهم إلى أرض عمان؟[5] وفي قول آخر ((ومن

---

(١) ديوان ابن المقرب ج٢ ص١٠٣٤

(٢) يرى صاحب كتاب تحفة المستفيد أنه يوجد جنوبي قرية الجفر نخيل تعرف بالقفر بالقرب منها وتقع جنوب غرب قرية غامرة تسمى السهلة والمصرف إليها يسمى السهلاري فلعل الواقعة كانت هناك راجع. مجلة الواحة السعودية، بيروت عدد٣٤ ٢٠٠٤ بقلم: سامي أحمد بوخمسين ص١٠.

(٣) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج٢ ص٩٢٤

(٤) نفس المصدر ج٢ ص٩٢٣

(٥) نفس المصدر ج٢ ص٩١٠-٩١٢. هكذا وردت في المصدر، ولكن الذي يفهم من سياق الأحداث ومن المصدر نفسه أن القرامطة هم من نفوا إلى عمان ونرجح أن تكون القبائل اليمنية العمانية الأزدية عتيك والحدان والحرث

على الحرم والذراري وخلّى سبيلهم ولم يمكن العجم منهم)) وحصل له من غنائمهم أربعة آلاف ناقة فيها فحولها ورعاتها وأخذ من الخيل إرادته وترك بقية المغنم للعجم والعسكر وذلك في سنة٤٧٠هـ.

وقتل في هذه المعركة أبو سعيد عبدالله الحدابي القرمطي أحد رؤساء القرامطة[1]

نفي بقية القرامطة واليمن إلى عمان

((وبعد الفراغ من بني عامر استدار للبقية الباقية من القرامطة فقاتلهم في موقع شمال الإحساء بين (باب الأسفار) و(قصر الخندق) فأنزل بهم هزيمة منكرة، وقام على الفور بنفي من ظلّ منهم على قيد الحياة مع ذراريهم إلى عمان حيث تكرر منهم الغدر ونقض العهد)). وقال ابن المقرب:

لَكِنَّهُمْ أَثْبَتُوا أَسَاسَهَا وَنَفَوْا ... عَنْهَا حَمِي بنَ عُثْمَانَ وَحَدَانَا

حمي بن عثمان وحدان من قبائل الأزد بن قحطان كانوا قد طمعوا في الملك مع القرامطة عند انقضاء دولتهم.

وَكَمْ لَهُمْ مِثْلُهَا لَمْ تُبْقِ بَاقِيَةً ... إِلَّا الرِّهَائِفَ وَالأَطْفَالَ وَالحَرَمَا

فَسَلَّمَ الأَمْرَ أَهْلَ الأَمْرِ وَانْتَزَحُوا ... عَنْ سَوْرَةِ المُلْكِ لا زُهْداً ولا كَرَمَا

وأَصْبَحَتْ آلُ عَبْدِ القَيْسِ قد ثلجتْ ... صُدورُهُمْ فَتَرَى المَوْتُورَ مُبْتَسِمَا

كان عبدالله بن علي أعرابيًا بدويًا يعيش بين أعراب وبداة بدليل ما قاله الشاعر علي بن المقرب فيه وذكره لما حظي به من مكانة لدى الخليفة العباسي في بغداد، إذ قال:

وَقَالَ أَمِيرُ المؤمنِينَ يُوَدُّهُ ... إِلَيْهِ، وَسَمَّاهُ زَعِيمَ الأَعَارِبِ

وجاءت في ديوان ابن المقرب هذه القصيدة:

سَلِ القَرَامِطَ من شَظَّى جَمَاجِمَهُمْ ... فَلْقاً وَغَادَرَهُمْ مِنْ بَعْدِ العُلا خَدَمَا

مِنْ بَعْدِ أن جَلَّ بِالْبَحْرَيْنِ شَأْنُهُمُ ... وَأَرْجَفُوا الشَّامَ بِالْغَارَاتِ وَالْحَرَمَا

وَحَرَّقُوا عَبْدَقَيْسٍ في مَنَازِلِهَا ... وَصَيَّرُوا الغُرَّ مِنْ سَادَاتِهَا حُمَمَا

وَأَبْطَلُوا الصَّلَوَاتِ الخمْسَ وَانْتَهَكُوا ... شَهْرَ الصِّيامِ وَنَصَبُوا مِنْهُمُ صَنَمَا

وَمَا بَنَوْا مَسْجِداً لِلَّهِ نَعْرِفُهُ ... بَلْ كُلُّ مَا أَدْرَكُوهُ قَائِماً هُدِمَا

حَتَّى حَمَيْنا عَلَى الإِسْلامِ وَانْتَدَبَتْ ... مِنَّا فَوَارِسُ تَجْلُو الكَرْبَ وَالظُّلَمَا

وَطَالَبَتْنَا بَنُو الأَعْمَامِ عَادَتَنَا ... فَلَمْ تَجِدْ بَكَماً فِينَا ولا صَمَمَا

وَقَلَّدُوا الأَمْرَ مِنَّا مَاجِداً جَلِداً ... يَشْفِي وَيَكْفِي إذا ما حَادِثٌ دَهَمَا

فَسَارَ تَتْبَعُهُ غُرٌّ غَطَارِفَةٌ ... لَوْ زَاحَمَتْ سَدَّ ذِي القَرْنَيْنِ لانْثَلَمَا

(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية (٤٦٩- ٩٦٣هـ / ١٠٧٦- ١٥٥٥م) للدكتور محمد محمود خليل مكتبة مدبولي القاهرة ط١/٢٠٠٦م ص١٠٩.

فَأَقْبَلَتْ وَرِجَالُ الأَزْدِ تَقْدُمُهَا   كَالأُسْدِ قَدْ جَعَلَتْ سُمْرَ القَنَا أَجَمَا
فَاسْتَنْجَدَتْ عَامِراً مِنْ بَأْسِهَا فَأَتَتْ   مُغِذَّةً لا تَرَى فِي سَيْرِهَا يُتُمَا
ذُكُورُ خَيْلِهِمُ أَلْفٌ مُصَتَّمَةٌ   تَزْجُلُهُمْ بِفَمِ الوَادِي إِذَا زَحَمَا
وَجَمْعُنَا فِي مِئَتَيْنِ أَرْبَعٍ حُصِرَتْ   عَدًّا وَلَكِنَّهَا أَعْلَى الوَرَى قَدَمَا
بَزُّوا ثَمَانِينَ دِرْعاً عَن سَرَاتِهِمُ   فِي حَمْلَةٍ تَرَكَتْ هَامَاتِهِمْ رِمَمَا
وَكَمْ لَهُمْ مِثْلُهَا لَمْ تُبْقِ بَاقِيَةً   إِلَّا الرَّعَايِفَ وَالأَطْفَالَ وَالحُرَمَا
فَسَلَّمَ الأَمْرَ أَهْلُ الأَمْرِ وَانْتَزَحُوا   عَنْ سَوْرَةِ المُلْكِ لا زُهْداً ولا كَرَمَا
ثُمَّ انْتَحَيْنَا لِعَوْفٍ بَعْدَمَا وَرِمَتْ   أُنُوفُهَا فَفَشَشْنَا ذَلِكَ الوَرَمَا
دُسْنَاهُمُ دَوْسَةً مُرِّيَّةً جَمَعَتْ   أَشْلَاءَهُمْ وَضِبَاعَ الجَوِّ وَالرَّخَمَا
لَمْ يَنْجُ إِلَّا رَئِيسُ القَوْمِ تَحْمِلُهُ   خَبْفَانَةٌ كَظَلِيمٍ رِيحَ تَحْتَ سَمَا

يفسر شارح القصيدة في الديوان بعض ما جاء فيها فيقول.

عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكانوا في ذلك الوقت خفر البحرين الذين لهم عليها المآكل[1].

و(بزوا ثمانين درعاً): يشير بذلك إلى وقعة كانوا أوقعوها بالقرامطة ومن معهم، قتلوا منهم فيها مقتلة عظيمة ودفعوهم عن القتلى، فكان عدة المقتولين الشاكين في الدروع ثمانين قتيلاً، وكانت تلك الوقعة بين الشمال وبين باب يعرف - إلى وقت هذا - بباب الأصفر، وكانت القتلى من النهر المعروف بالخندق إلى الباب[2].

(ثم انتحينا لعوف): عوف قبيلة عامر ربيعة، وهو عوف بن عامر بن ربيعة، وكان أهل حمارة البحرين، (ورم فلان بأنفه توريماً) إذا شمخ وتجبر، وورم أنف فلان: أي امتلأ غيظاً[3].

البقوش الشركسي يعلن التمرد والعصيان

لم تكد الحرب بين الأمير عبدالله وبني عامر تضع أوزارها حتى قام ((البقوش)) بإعلان التمرد والعصيان ومحاولة انتزاع الملك من يد الأمير عبدالله. إلا أن الأمير عبدالله تمكن من إحباط محاولة البقوش بالقبض عليه وإيداعه السجن ثم قتله بيده.

محاصرة القوات العباسية لعبدالله العيوني

إلّا أن هذا التصرف أزعج بلاط الخلافة العباسية فقدم ركن الدولة من بغداد على رأس قوة قوامها

(1) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج٢ ص٩١٠.
(2) المصدر نفسه ج٢ ص٩١٥.
(3) المصدر نفسه ج٢ ص٩١٦.

ألفا فارس فطوق الإحساء بالحصار الذي دام عاماً تمكن خلاله من تأليب جميع القوى المناوئة واستمالة كثير من رجال البادية إلى جانبه حتى لم يبق مع الأمير عبدالله سوى أهل بيته والمقربين إليه حينئذٍ طلب ركن الدولة من الأمير عبدالله تسليم قاتل القوش في مقابل رفع الحصار، غير أنه أبى بشدة وأصر على بذل الدية فحسب.

وبعد أن ملَّ جنود السلاجقة من طول الحصار خرج لهم عبدالله بن علي ومؤيدوه الذين تمكنوا من إيقاع الهزيمة بهم، وبإبعادهم عن الإحساء، يقول ابن المقرب ذاكراً هذه الواقعة:

والشُّرْكَـيَّـةُ إذ جَـاءَتْ تُـطَـالِـبُـنـا ... دَمَ الـبَـقُـوشِ وبَـيـنَـا تُـقْـحِـمُ الـقَـسَـمَـا

لكن البعض يرى أن الحصار الذي دام سنة كاملة والذي تخلله الكثير من السجالات والمواجهات لم ينته إلّا بعد أن سلم لهم علي بن عبدالله نفسه خفية عن أبيه فأخذوه وسجنوه في مدينة كرمان حتى تمكن من التخلص منهم بعد ذلك، واستدلوا على ذلك بقول ابن المقرب:

مِنَّا الـذي جـادَ بـالـنَّـفْـسِ الـخَـطِـيـرَةِ فـي ... عِزِّ الـعَـشِـيـرَةِ حَـتَّـى اسْتَـرْحَـلَ الـعَـجَـمَـا

هلاك الأعاجم في الصحراء

أراد ملك من ملوك العجم وهو ركن الدين خمرتكين حاكم إقليم فارس التابع لدولة السلاجقة غزو الإحساء، فلمّا وصلت الجيوش مع الأمراء لم يجد الأمير عبدالله بن علي العيوني غير استقبالهم بإظهار الطاعة والتحمل في الأحوال والأعمال معهم، إلا أنه لم ينزلهم عنده في القصر، بل أقام لهم الأنزال أياماً وبعث إلى متقدمهم وأمرائهم وأشار عليهم بالمسير إلى عمان.

وفي سنة ٤٧٤هـ عندما زين عبدالله بن علي العيوني للأعاجم غزو عمان طلبوا منه من يرشدهم إليها فأرسل إلى قوم من خارجة المقيمة في رمال صحراء الربع الخالي وأوصاهم سرًّا ألا يدخروا وسعاً في العمل على هلاكهم جميعاً في الصحراء، فساروا معهم فحادوا بهم عن طريق عمان ولما توغلوا في الصحراء وأظلم الليل وناموا انسلوا عنهم وتركوهم يواجهون مصيرهم. ولم ينج منهم سوى رجل واحد عاد إلى الإحساء وهو لا يعرف إلى أين يتجه. بعث إلى قوم من بني الخارجية ممن يسكن الرمل الذي بين عمان والبحرين فجاؤوه[1]

ويبدو أن عبدالله العيوني أراد بهذه الحركة أن يتخلص من عدوين له في آن واحد عن طريق ضرب القرامطة الذين نفاهم إلى عمان، بالأعاجم السلجوقيين الذين زيّن لهم عُمان، فإما أن يتلاقيا فيها ويفني بعضهم بعضاً، أو أن يتوه الأعاجم في الصحراء ويهلكوا على حسب ما خطط له مسبقاً، وبذلك يكون قد تخلص منهم دون مجهود يبذل

(١) المصدر نفسه ج٢ ص٩٣٠

استمرار وجود نسل أبي سعيد الجنابي في البحرين

٤٧٩هـ في هذه السنة التي كتب فيها ابن حوقل كتابه صورة الأرض[١]، ذكر في أثناء حديثه عن البحرين قال. وأما البحرين ومدنها وهي هجر والإحساء والقطيف والعقير وبيشة والخرج وأوال وهي جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سيفيون بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم، وإلى وقتنا هذا هي لمخلفيهما ونسلهما ويكون نسل أبي سعيد لظهره بين امرأة ورجل نحو الأربعمائة مائة نسمة[٢]

مسير بني عامر من الإحساء للهجوم على البصرة

٤٨٣هـ جمادى الأولى (يوليو ١٠٩٠م تقريباً) سار بنو عامر من الإحساء ومعهم ما يزيد على ١٠آلاف وقصدوا البصرة ودخلوها ونهبوا ما فيها وقال النبهاني في تحفته عن سبب هذا المسير هو أنه ورد من بغداد في بعض السنين رجل أشقر من سودان مصر يدعي الأدب والنجوم ويسخر الناس فلقبه أهل بغداد (أبليا) وكان نازلاً في الثوى فسرق ثياباً من ابدباج وسار، فرآه الترك فأتوا به إلى رئيس الشرطة فأطلقه لحرمة العلم فسار خائفاً على البصريين وتوجه نحو الإحساء حتى نزل على رئيس بني عامر وأغراه بنهب البصرة وحسَّن له ذلك فجمع رئيس بني عامر من العشائر ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها العميد بن عصمة وليس معه من يجد إلا اليسير، فخرج إليهم في أصحابه وكافحهم وصد هجماتهم، ثم أتاه من أخبره بأن أهل البلدة يريدون أن يسلموها إلى العرب فخاف وانسحب نحو الجزيرة التي هي مكان القلعة بنهر معقل.

قال هذا الرجل الأشقر لأمير من أمراء بني عامر بلاده متاخمة للإحساء (أنت تملك الأرض، وقد فعل أجدادك بالحاج كذا وكذا وأفعالهم مشهورة مذكورة في التاريخ). وأشار عليه بنهب البصرة وأخذها[٣].

تعيين محمد بن الفضل أميراً على القطيف والبحرين من قبل جده

٤٨٤هـ وفي حدود هذا العام: ((فجع الأمير عبدالله بن علي العيوني بقتل ابنه الفضل على يد خدمه في جزيرة تاروت فحزن عليه حزناً بالغاً وعين ابنه الشاب أبا سنان محمد بن الفضل والياً على القطيف والبحرين من قبله))[٤]، وفي الفضل بن عبدالله يقول ابن المقرب.

هُمامٌ حَمَى البَحْرَيْنِ سبعَ ومثلها ... سنينَ وسارَتْ في الـقـيـافـي مَوَاكِبُهْ

---

(١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٢٢٧.

(٢) صورة الأرض لابن حوقل دار مكتبة الحياة بيروت١٩٩٢ ص٣٣

(٣) موسوعة البصرة الحضارية – وزارة التعليم العالي – جامعة البصرة

(٤) مجلة الوثيقة ع.الأول س.الأولى٨٢ دولة العيونيين، لعبدالله الخليفة ودكابا حسين ص٢١.

ولم يَرْعَ من (ثاج إلى الرمل) مصرم ... على عهده الا استبيحت حلائبُهْ
زمانَ يقولُ العامِرِيُّ لِمَنْ غدا ... يحدِّثُهُ عنه وذو الحُمْقِ غالِبُهْ
متى يستمر من (نار برد) محلُّه ... وآخرَ سودِيٌّ بعيدٌ مذاهبُهْ
فلم يَسْتَمِرَّ القَوْلُ حتَّى إذا بِهِ ... يُسَايِرُهُ وَالذُّعْرُ جَمٌّ عجائبُهْ

أي أن الفضل بن علي العيوني جعل هذه الحدود حمى لإبله لمدة أربعة عشر عاماً، فإذا قلنا إن بداية حكم العيونيين للإحساء وبداية الاستقرار السياسي للمنطقة كان في سنة ٤٧٠ تقريباً فإن هاجمة قتله تكون في ما بين سنة (٤٨٣هـ إلى ٤٨٥هـ).

وتدل الأبيات السابقة على أن أحد أفراد بني عامر قد انتهك حرمة هذه الحمى، ثم إن ذلك الرجل قال لمن جاءه يخوفه من عقاب الأمير الفضل له بسبب ما فعل: إن الفضل بعيد في محله ومنزله في نار برد – قرية في جزيرة البحرين – وإنما هي آخر السودة في ثاج على ماء الجابرية. وما علم أن محدثه هو الفضل بن علي. فعفا عنه وتركه بعد أن أرعدت فرائص العامري من الخوف.

هجوم قوة عباسية من التركمان على مكة المشرفة

٤٨٤هـ ((ظل العباسيون والفاطميون يتناوبون على استرضاء أبي هاشم أمير مكة بالهدايا والأموال عدة سنوات إلى أن كان عام ٤٨٤هـ حيث رأى العباسيون أن الفاطميين استطاعوا أن يستميلوه إليهم فقرروا أن يعاملوه بالعنف فأرسلوا قوة من التركمان لقتال مكة فقاتلها أبو هاشم قتالاً عنيفاً، ثم يئس من النصر ففرَّ إلى بغداد، ولعله أراد بذلك أن يسترضي العباسيين))[1]

مهاجمة بني صخر للحجاج

وفيها (٤٨٤هـ). ((أخبروا الحجاج بهمَّة الأمير وشهامته، وأنه لما وصل إلى العلا في الرابع كان النجابون الذين له قد أخذوا الجمال حتى يرعوها بعض عربهم بنو صخر[2] وعربان معهم وأخذوا الجمال وكان عنده شيخ بني صخر، قد خلع عليه وأعطاه المدا الذي جرت به عادتهم فقال: أنا رايح أجيبهم فلمّا راح قال الأمراء: الساعة يروح يرحلهم ويقول (ما لحقتهم). فركب الأمير وجماعة من العسكر فوجدوه

---

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٠٤

(٢) عن [بني صخر] قال ياقوت وهو يتحدث عن (العردة) بضم العين من مياه بني صخر من طيئ وهو بين العلا وتيماء وبجفر عنزة في أرض ذات رمل وجبال مقطعة. وقال الهمداني: من الحجر إلى تيماء موضع السموأل في دهناء ثلاث مراحل بطنان ويسكن ما بين ذلك من طيئ بنو صخر وإخوتها بنو عمرو وبطن من بحتر وقرار تيماء اليوم لطيئ ثم لبني رزيق وبني مرداس وبني جوين والمثاة وهم موال (صفة جزيرة العرب للهمداني تحقيق الأكوع ص٢٤٥).

وقال ابن شدقم: بنو صخر عقب صخر بن سالم بن عبدالله بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن محمد الرومي بن داود ((يقال لولده بنو داود، أمه محبوبة ست مراحم الكلابي)) ابن موسى الأبرش بن عبدالله الرضا بن موسى الجون. راجع. تحفة الأزهار لضامن بن شدقم تحقيق كامل الجبوري ج١ ص٤٠٤

قد رحلهم وهم على ظهر يرون الهرب فأخذ منهم أربعين جملاً عوض عشرين جملاً أخذوها وأحضر معه شيخهم فأمر بتسميره فسمروه وطافوا به في الركب وكانت لموقعة الأحد))[1].

اضمحلال دول العرب في الموصل والشام

٤٨٦هـ ((من جملة مكارم ابن مزيد أمير الحلة أن تاج الدولة تتش لما أوقع ببني عقيل بالجزيرة في بعض سني بضع وثمانين، وقتل إبراهيم بن قريش ومقبل بن بدران وجماعة من أمراء آل المسيب. وأجلى عقيلاً وكلاباً ونميراً وغيرها من قبائل عامر بن صعصعة عن ديارهم بالجزيرة والشامين. وغيرهم لم يبق أحد منهم إلّا انتجع ندى سيف الدولة، فنزلوا بأهلهم وأصائلهم وفيهم العدة الكثيرة من أمراء آل المسيب. وغيرهم من أمراء عبدة وأمراء كلاب. كالشبل بن جامع وابنه المبارك بن الشبل وجماعتهما، ومحمد بن زائدة وغيره من آل زائدة وأمراء بني نمير فأنعم عليهم بالصلات والخلع والجوائز على أقدارهم ومراتبهم وتلك الأحياء كلها صغيرهم وكبيرهم حتى لم يعلم أن أحداً منهم ابتاع حمل راحلة من غلة العراق))[2] وتذكر المصادر التاريخية أنه في سنة ٤٨٩هـ انتهت الدولة العقيلية بالموصل وذلك ذكر في سنة ٤٩٣هـ أن مبارك بن شبل أمير بني كلاب وصل ((في جمع كثير من العرب فخالف الملك رضوان وزرعوا زرع المعرة وكفرطاب وحماة وشيزر والجسر وغير ذلك وحلت البلاد ووقع الغلاء في بلد حلب ولم يزرع شيء في بلدها وسلط الله الوباء على العرب فمات شبل ومبارك ولده واضمحلت دولة العرب))[3]

وفاة أمير مكة أبي هاشم وولاية ابنه قاسم

٤٨٧هـ ((توفي أمير مكة المشرفة أبو هاشم محمد بن جعفر، وتولى بعده ابنه قاسم بن محمد الذي استمر بالحكم مدة ٣٥ سنة تقريباً متوفي عام ٥١٨هـ))[4]. قال الإدريسي: يسكن صاحب مكة في قصر له بالجهة الغربية بموضع يعرف بالمربعة على ثلاثة أميال من مكة، وهو قصر مبني من الحجارة وتجاوره حديقة قريبة العهد فيها نخيلات وكثير من البقل وبها جملة شجر منقولة إليها، وليس للهاشمي صاحب مكة عسكر خيل، إنما عسكره رجالة لا خيل عندهم، وتسمى رجالته بالحرابة ولباسه البياض والعمايم البيض ويركب الخيل، وسياسته حسنة وحكمه عدل ونصفه ظاهر وإحسانه عرف على قدر إمكانه... والغالب على صعفاء أهلها الجوع وسوء الحال، فإذ خرج أحد عن مكة في كل جهة تلقاه اودية هناك جارية وعيون مطردة وآبار غدقة وحوايط كثيرة ومزارع متصلة[5].

---

(١) تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه - المعروف بتاريخ الجزري ت٧٣٨هـ ج١.

(٢) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية تأليف لشيخ الرئيس أبي البقاء هبة الله الحلّي. صفحة ٥٠٣

(٣) تاريخ حلب لابن العديم.

(٤) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٠٤-٢٠٦.

(٥) جزيرة العرب من نزهة المشتاق للشريف الإدريسي (٤٩٣-٥٦٠هـ) تحقيق د.إبراهيم شوكة ص٢٢

خلافة المستظهر بالله احمد بن المقتدي بن القائم بن القادر

٤٨٧هـ في منتصف محرم من هذه السنة توفي المقتدي عن عمر يناهز ٣٨ عاماً، وكان بركيارق قد قدم بغداد بعد هزيمة عمه تتش فخطب له وحملت إليه الخلع فلبسها، وعرض التقليد على المقتدي فقرأه وتدبره وعمل فيه، وتوفي فجأة وبويع لابنه المستظهر بالخلافة فأرسل الخلع والتقليد إلى بركيارق، وأخذت عليه البيعة للمستظهر[1].

مهاجمة ربيعة والمنتفق وغيرهم للبصرة

٤٩٩هـ- ١١٠٥م اجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضمّ إليهم من العرب وقصدوا البصرة فقاتلهم التونتاش أحد مماليك الأمير صدقة بن مزيد الأسدي صاحب الحلّة فأسروه وانهزم أصحابه وأقاموا ينهبون ويحرقون (٣٢يوما) وبلغ الأمير صدقة الخبر فأرسل عسكراً فوصلوا وقد فارقها العرب.

وفاة مؤسس الدولة العيونية الأمير عبدالله بن علي

تتضارب التواريخ في تحديد السنة التي توفي فيها الأمير عبدالله العيوني، ولكن على الأرجح أنه توفي في حدود سنة ٥٠٠هـ بعد أن حكم ما يقرب من ستين عاماً، وكان له من البنين ثمانية ومن البنات ست، وخلفه ابنه الفضل الذي تعقّب المفسدين وقطّع الطرق حتى استتبّ الأمن في عهده وشرع الحمى لإبله.. من ثاج شمالاً إلى يبرين جنوباً

ويعتقد أن الفضل تولى الأمر بعد والده لمدة تقارب عقدين من الزمان على أقل تقدير وتولّى الحكم بعد وفاة الفضل بن عبدالله ابنه أبو سنان محمد[2] ولكن بعض المصادر تذكر أن الفضل بن عبدالله قد توفي في حياة والده، وبعض المصادر تذكر أنه هو الذي خلف والده في الحكم؟ فبذلك نفسر هذا التضارب بأن يكون الفضل قد تنازل له والده عن الحكم وهو ما زال حيًّا وتوفي قبل أن يتوفى والده عبدالله.

تجدد أطماع بني عامر وقباث في البحرين

وكان عبدالله بن علي العيوني بعد أن تقدمت به السنّ ومات عدد من أنصاره تجددت أطماع بني عامر وقباث في بسط نفوذهم على البحرين والقيام بحفارتها فصاروا يشنّون الغارات على أطراف البحرين في مواسم نضج الثمار في القيظ واستمروا على ذلك ستّ سنوات وفي السنة السابعة تصدّى لهم أبو فضل

---

(١) تاريخ ابن خلدون المجلد الخامس القسم الأول

(٢) مجلة الواحة السعودية الصادرة في بيروت لعدد٣٤ سنة ٢٠٠٤م بقلم. سامي أحمد بوحسين ص١١.

محمد بن حواري بن فضل أحد كبار آل إبراهيم في ((قصور السهلة)) ودارت بين الفريقين معركة طاحنة انتهت بهزيمة أهل الإحساء بعد سقوط قائدهم ابن حواري صريعاً إثر طعنة غادرة بيد رجل من قناث. وفي اليوم الثاني شنّ الغزاة هجوماً على الإحساء وطردوا الأهالي من نخيلهم ودخلوا معهم في صراع انتهى بصلح يدفع بموجبه أهل الإحساء لبني عامر سهماً من ثلاثة أسهم من الثمار[١]

---

(١) تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية لعبدالرحمن بن عثمان الملا.

أحداث
القرن السادس الهجري



اول ظهور تاريخي للامير فضل بن ربيعة المشهور

٥٠٠هـ قام الأمير فضل بن ربيعة بمصانعة الإفرنج، فطرده أتابك دمشق فرحل بعربه إلى جوار الموصل واتصل بصاحبها قرواش بن شرف الدولة مسلم بن قريش حوالي سنة ٥٠٠هـ وزار بغداد فنزل في دار الأمير صدقة بن مزيد[1]، الذي قتل في سنة ٥٠١هـ على يد السلطان محمد السلجوقي خشيةً من اتساع سلطته وخطره فبدأ نفوذ المزيديين بالاضمحلال التدريجي[2].

وقد توفي الأمير فضل في سنة ٥٣٠هـ[3]، وقال عنه ابن خلدون في تاريخه: ((أبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائي، وكان آباؤه أصحاب البلقاء وبيت المقدس، ومنهم حسان بن مفرج، وطرده كمرتكين أتابك دمشق لما كان عليه من الأجلاب تارةً مع الإفرنج وتارةً مع أهل مصر، فلجأ إلى صدقة وقبله وأكرمه وأجزل له العطاء سبعة آلاف دينار، لما كانت هذه الحادثة رغب عن صدقة وسار في طلائعه فهرب إلى السلطان فخلع عليه وعلى أصحابه، وسوغه دار صدقة عن الهروب، وأذن له فعبر من الأنبار، وكان آخر العهد به)).

خلافة المسترشد بالله الفضل بن المستظهر بن المقتدي

٥١٢هـ توفي المستظهر بالله أبو العبّاس أحمد بن المقتدي بالله أبي القاسم عَبْدالله بن القائم بالله في منتصف ربيع الآخر لـ٢٤سنة و٣ أشهر من خلافته، وبويع بعده ابنه المسترشد بالله الفضل، وكان ولي عهده منذ ٢٣ سنة، وبايعه أخوه أبو عَبْدالله محمد وهو المقتدي، وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدي وغيرهم من الأمراء والقضاة والأئمة والأعيان[4]. وكان المسترشد شجاعاً ديناً، مشتغلاً بالعبادة،

---

(١) الأعلام للزركلي ج٥ ص٣٥٣ نقلاً عن ابن خلدون ج٥ ص٤٣٦

(٢) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص١٨٤

(٣) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط٢-٢٠٠٣ ص١١٢.

(٤) ابن خلدون المجلد الثالث القسم الخامس.

لم يل الخلافة بعد المعتضد أشهم منه، أمه أم ولد اسمها لبانة، كان شديد الهيبة، ذا رأي ويقظة وهمّة عالية، ضبط الأمور، وأحيا مجد بني العباس وجاهد غير مرة[1].

هجوم المنتفق ودبيس بن صدقة على البصرة ونهبها

٥١٧هـ في هذه السنة وقعت حرب بين الخليفة المسترشد بالله ودبيس بن صدقة فانهزم الأخير لقوة جيش الخليفة ونجا بنفسه وذهب دبيس وحمي أثره وقصد ((غزية من عرب نجد)) فطلب منهم أن يحالفوه فامتنعوا إيثاراً لرضا المسترشد والسلطان فسار إلى المشقر من البحرين إلى (المنتفق) واتفق معهم على قصد البصرة فدخلوها ونهبوا أهلها وأحلوهم وقتلوا أميرها وتطورت الأمور وتقدم المسترشد للبرسقي بالانحدار إليه بعد أن عنفه على غفلته عنه، وسمع دبيس ففارق دبيس البصرة إلى البر ثم إلى قلعة جعبر قال ابن العديم: فأكرمه نجم الدولة مالك- ابن سالم بن مالك بن بدران - وأضافه والتحق بالإفرنج ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد

وفاة شريف مكة المكرمة

وفيها (٥١٧هـ) توفي أمير مكة أبو محمد قاسم بن أبي هاشم محمد بن جعفر بن أبي هاشم الحسني في اليوم السابع عشر من صفر وولي بعده ابنه فليتة وقيل أبو فليتة فأحسن السيرة[2]. ودامت ولاية فليتة بن القاسم في طمأنينة واستقرار إلى أن توفي سنة ٥٢٧هـ[3].

٥٢٣هـ ((عاود دبيس العصيان على السلطان والخليفة وترددت بينهم الرسل فلم يحصل الصلح فسار السلطان محمود إلى بغداد وجهز جيشاً كثيفاً في أمر دبيس فعبر دبيس البرية بعد أن نهب البصرة وأموال الخليفة والسلطان))[4].

القرامطة يقطعون الطريق بين اليمن والبصرة والكوفة

٥٢٤هـ فيها انقطعت الطريق من اليمن إلى البصرة والكوفة عن مرور التجارة والقوافل الكبار. وكانوا يسافرون في كل عام مرتين على طريق اليمامة الحسا وسبب انقطاعها ضعف الدولة العباسية في العراق وظهور القرامطة الفساق ولم يسلكها بعد ذلك إلا أهل الجهات النجدية برفقة من ساكني تلك الأطراف وكانوا يخرجون من نجران إلى بلاد الدواسر ثم البديع ثم الحسا في اثني عشر يوماً. وأما طريق الرمل من الجوف إلى البصرة فانقطعت بمرة، وقد يسلكه نادراً جماعة من البدو على الإبل المضمرة يجعلون على أيديها وأرجلها الأدم لكثرة الحشرات ولعقارب الناهشات. وهي طريق قريبة يقطعونها في سبعة أيام إلى البصرة.

---

(١) سمط النجوم العوالي م٣ ص٥٠٣

(٢) إتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهيم شلتوت جامعة أم القرى ط١/ ١٩٨٣ ج٢ ص٤٩٩

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/ ١٩٩٩م ص٢٠٦-٢٠٧

(٤) تاريخ أبي الفدا.

٥٢٧هـ توفي أمير مكة فليتة بن القاسم وتولى بعده ابنه هاشم بن فليتة واستمر في الحكم نحو ١٨ سنة وتوفي في ٥٤٥هـ[١].

٥٢٨هـ في هذه السنة توفي الأمير سليمان بن مهارش أمير بني عقيل وتم تولية الإمارة لأولاده مع صغر سنهم وأقيم حفل تنصيب وتكريم لهم في بغداد رعاية لحق جدهم الذي أخذ الخليفة القائم إلى بلده وحماه من البساسيري. ويدل الخبر على أن أبناء مهارش صاروا الأبرز في الإمارة العقيلية. وبلد مهارش هي حديثة عانة[٢].

مقتل الخليفة المسترشد

٥٢٩هـ وفيها كانت الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود وسببه أن جماعة من عسكر مسعود فارقوه مغاضبين واتصلوا بالخليفة المسترشد وهونوا عليه قتال السلطان مسعود فاغتر بكلامهم، وصار من بغداد إلى قتال السلطان مسعود وسار مسعود إليه واتفقوا عاشر رمضان من هذه السنة فصار غالب عسكر الخليفة مع مسعود وانهزم الباقون، وأخذ الخليفة المسترشد أسيراً ونهب عسكره وأسروا وبقي المسترشد مع مسعود أسيراً ثم سار به مسعود من همدان إلى مراغة في شوال لقتال ابن أخيه داود بن محمود فنزل فرسخين من مراغة والمسترشد معه في خيمة مفردة، وكان قد اتفق مسعود مع الخليفة على مال يحمله الخليفة إليه وأن لا يعود يخرج من بغداد و تفق وصول رسول السلطان سنجر إلى مسعود فركب مسعود والعساكر لملتقاه فوثبت الباطنية على المسترشد وهو في تلك الخيمة فقتلوه ومثّلوا به وقد قتل يوم الأحد ١٧ ذي القعدة وكان عمره ٤٣ وخلافته ١٧ سنة ونصف وأمه أم ولد.

مقتل دبيس الأسدي أمير العرب على يد السلطان مسعود

ولما قتل المسترشد اتهم السلطان مسعود أن دبيس بن صدقة ممّن أولئك النفر عليه فأمر بقتله، وقصده غلام أرمني فوقف على رأسه عند باب خيمته، وهو ينكت الأرض بإصبعه فضرب رقبته فأطار رأسه وهو لا يشعر. وبلغ الخبر إلى ابنه صدقة وهو بالحلّة فاجتمعت إليه عساكر أبيه ومماليكه، واستأمن إليه الأمير قطلغ تكين، وأمر السلطان مسعود الشحنة بك أبه بمعاجلته، وأخذ الحلّة من يده، إلى أن قدم السلطان بغداد سنة ٥٣١هـ فقصده صدقة وأصلح حاله معه ولزم بابه[٣]

خلافة المقتفي محمد بن المستظهر بن المقتدي

٥٣٠هـ ((بويع له يوم خلع ابن أخيه الراشد الذي لم يتجاوز سنة في خلافته. قال العلامة ابن الجوزي: من أيام المقتفي هذا عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء ولم يبق لهم منازع، وقبل ذلك من دولة المقتدر إلى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك، وليس للخليفة معهم إلّا الاسم فقط))[٤].

---

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٠٨

(٢) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي لـ محمد عزة دروزة م١ ج١ ص١٠٧.

(٣) راجع تاريخ ابن خلدون وتاريخ أبي الفداء.

(٤) سمط النجوم العوالي م٣ ص٥٠٥.

ولاية الشيخ معروف على البصرة

٥٣٢هـ أحيلت ولاية البصرة إلى الشيخ معروف رئيس المنتفق، وذلك بعد صدور أمر من الخليفة ببغداد[1].

تقليد حديثة بن عقبة إمرة العرب بشكل رسمي

في زمن الملك العادل الأيوبي الأول زنكي، أصبحت الإمرة رسمية، فقد أعطي (إمرة العرب) للأمير حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة، فقد ذكر لنا ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار أنه ((لم يصرح لأحد من هذا البيت - آل فضل - بإمرة على العرب بتقليد من السلطان إلا أيام العادل... أمر منهم حديثة بن عقبة))[2].

تأسيس دولة الزنجيين بفارس بعد نهاية السلجوقية فيها

٥٤٣هـ ((تأسست دولة الزنجيين في فارس، بعد نهاية الدولة السلجوقية، وهم يعدون من الطبقة الثالثة من ملوك الفرس أولهم (منقور بن مودود) واشتهر منهم (أبو بكر بن سعيد) واسمه (سعد) الذي انتهت الدولة في عهده، إذ كان قد صعد نجم آل عصفور في هذه الفترة وتمكنوا من الاستيلاء على الإحساء والبحرين من الزنجيين))[3].

((يذكر أن أبا بكر بن سعد الزنجي حمل على العرب في جزيرة قيس واحتلها ثم عبر إلى البحرين فأخذها واستولى بعدها على الإحساء والقطيف وغيرها من البلدان واستمر حكم الزنجيين حتى بعد ظهور جنكيزخان))[4]

مقتل أبي سنان محمد في معركة بينه وبين غفيلة بن شبانة

٥٤٣هـ ((في حوالي هذه السنة بدأت الأمور تسوء بين الأمير أبي سنان وبين عمه أبي المنصور علي ابن عبدالله وأبي علي الحسن بن عبدالله بسبب ذلك أن رئيس قبيلة بني عامر غفيلة بن شبانة أراد أن ينزل في وقت الصيف على القطيف))[5] وكان الأمير محمد بن الفضل فيها. فبعث إليه بألا يحل على القطيف وأرسل إليه (إن حللت بالقطيف قاتلتك). فنزل رغم معارضة أبي سنان فحمل عليه حملة هائلة فهزم غفيلة واستولى على حلته وقطع أطناب بيته ورمى بها على الأرض فعطف غفيلة من بعد هزيمته على قوم أبي سنان وقت اشتغالهم بالنهب فانكسر أصحاب أبي سنان ولم يثبت غيره وقاوم واستطاع الوصول إلى بلده

---

(١) التحفة النبهانية.

(٢) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط٢-٢٠٠٣ ص٨٦

(٣) المصدر السابق.

(٤) معالم تاريخ الجزيرة العربية للأستاذ سعيد عوض باوزير منشورات مؤسسة الصبان وشركاه عدن ص١٥٤.

(٥) م.الوثيقة ع الأول س٨٢٠ دولة العيونيين، لعبدالله الخليفة ودايا حسين ص٢٢.

ورجع عقيلة إلى الإحساء في كنف الأميرين علي والحسن عمّي أبي سنان كما حظي بالترحيب من أميرها أبي مقدم شكر مما يوحي بوشوك تحرك عسكري منسق يعتزم القيام به بنو عامر ضد الأمير محمد فسار الأمير محمد على رأس جيش كثيف من أهل القطيف قاصداً الإحساء فدارت بين الطرفين معركة طاحنة انتهت بهزيمته وقتله. وقد رثاه الشاعر العراقي الثعلبي بقصيدة جميلة عندما خرج لزيارة قبره: ((فحين صار من القبر مد البصر نزل عن فرسه ومشى راجلاً حتى بلغ القبر فانكبَّ عليه يبكي وقال:

عـزيـزاً أن أعـاتـب فـيـك دهـرْ ... قـلـيـلاً هَـمُّـه بِـمُـعَـنِّـفِـيـهِ
وَأَنْ آتِـي الـمـلـوكَ وَلـسـتَ فـيـهـمْ ... وَأَنْ أطـأ الـثُّـرات وأنـتَ فـيـه

ولعقيلة بن شبانة ابن اسمه سنان مذكور في كتب التاريخ، وقد قال ابن المقرب في مدح أحد الأمراء العيونيين.

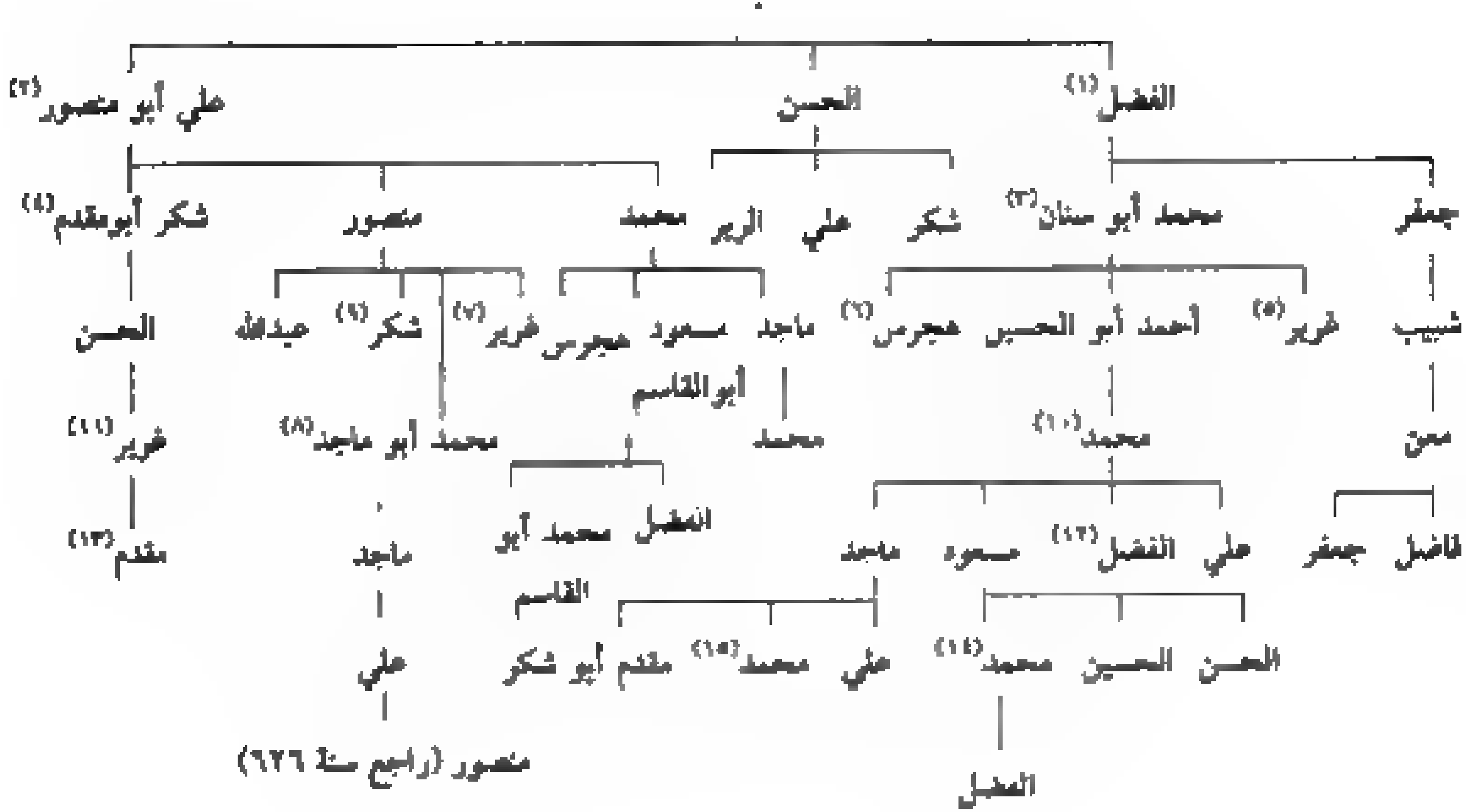
وَخَـيْـرُ قَـيْـسٍ بـنـي عَـيْـلانَ خُـؤولـتـه ... فَمَنْ بَغَى الفخرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِمِثْلِهِمِ
قَـوْمٌ أبـوهُـمْ سـنـانٌ خـيرُ مـا حَـمَـلَـتْ ... أُنْثَى وَمَا قَدُّها تختالُ في اللُّجُمِ

مقتل الأمير علي بن عبدالله العيوني على يد غرير

٥٤٥هـ الأمير ((أبو المنصور علي بن عبدالله كان وثب على الإحساء في زمن أخيه الفضل إلا أنه بعد مقتل أبي سنان - محمد - أصبح ملك الإحساء دون منازع فنقد أبناء أبي سنان لأخيهم غرير بن محمد الذي استقل بالقطيف وأوال وقام بقتل عم أبيه علي بمعركة كبيرة ومعه مالك بن بطال سنة ٥٤٥هـ إلا أنه لم يستمر بالحكم طويلاً حيث قتل على يد ابن عمه هجرس بن محمد))[1].

فيما يلي مشجر عائلي لأمراء الدولة العيونية أولاد الأمير عبدالله بن علي بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن محمد آل أبي الحسين من بني مرة من عبدالقيس من تغلب بن وائل.

(١) هجرس بن محمد بن عبدالله (حكم سنة) قتل على يد ابن عمه شكر سنة ٥٤٧هـ.



(١) قتل في عهد أبيه٤٨٢.

(٢) قتل سنة ٥٤٥هـ.

(٣) قتل سنة ٥٢٥هـ.

(٤) ٥٤٦-٥٥٦هـ.

(٥) استقل بالحكم سنة ٥٤٥هـ

(٦) ت٥٥٦هـ.

(٧) تسلم حكم القطيف بعد أبي فراس سنة ٥٤٩هـ

(٨) حكم بعد مقتل عمه شكر أبو مقدم سنة ٥٥٦هـ وتوفي سنة٥٨٠هـ.

(٩) إلى ٥٨٧هـ

(١٠) ٥٨٣- قتل٦٠٣ على يد راشد وغرير.

(١١) في عام ٦٠٣هـ شارك بمؤامرة أودت بحياة الأمير محمد بن أبي الحسين. وقد قتله الفضل سنة٦٠٤هـ.

(١٢) في سنة ٦٠٦هـ عقد تصالح مع ملك قيس.

(١٣) كان مع ابن جروان سنة ٦١٨هـ.

(١٤) أبو القاسم عماد الدين في سنة ٦٢٣هـ استوى على حكم الإحساء ثم مد نفوذه إلى القطيف وأوال

(١٥) قتله محمد بن مسعود.

اعتراض زعب للحجاج بين مكة والمدينة

٥٤٥هـ لمّا وصل الحاج العراقي إلى مضيق بين مكة والمدينة خرج عليهم العرب من بني زعب[١] بعد العصر ١٤ محرم، فاستولوا على الحاج وأخذوا من الجمال والثياب ما لا يحصى[٢] وكثرت العرب وظهر عجز قيماز، فطلب لنفسه أماناً، وأخذوا من الدنانير ألوفاً كثيرة. وذكر هذا الخبر الحافظ الذهبي في أحداث سنة ٥٤٥هـ إذ قال وفيها أخذت العرب ركب العراق، وراح للخاتون أخت السلطان مسعود ما قيمته ألف دينار، وتمزق الناس ومات خلق جوعاً وعطشاً[٣] وتذكره أيضاً مصادر أخرى بأن هذا الحدث وقع في ١٤ محرم سنة ٥٤٥هـ وتقول: ((خرج العرب زعب ومن انضم إليها على الحجاج بالغرابي بين مكة والمدينة فأخذوهم ولم يسلم منهم إلا قليل)).

قال ابن الأثير: إن الله تعالى اقتص للحجاج من زعب فلم يزالوا في نقص ولقد رأيت شاباً منهم بالمدينة سنة (٥٦٧) وجرى بيني وبينه مفاوضة قلت له فيها: إنني والله كنت أميل إليك حتى سمعت أنك من زعب فنفرت وخفت شرك. فقال: لِمَ؟. فقلت: بسبب أخذكم للحجاج. فقال لي: أنا لم أدرك ذلك الوقت وكيف رأيت الله صنع بنا والله ما أفلحنا ولا نجحنا قل العدد وطمع العدو فينا.

وقال ابن الأثير: رأيت بالمدينة إنساناً يصلي الجمعة فلمّا فرغ ترحم على جمال الدين - الجواد الأصفهاني وزير الموصل – ودعا له فسألناه عن سبب ذلك فقال: يجب على كل مسلم بالمدينة أن يدعو له لأننا كنا في ضر وضيق ونكد عيش مع العرب، لا يتركون لأحدنا ما يواريه ويشبع جوعه، فبنى علينا سوراً احتمينا به ممن يريدنا بسوء فاستغنينا[٤].

قال ابن سعيد المغربي عن زعب بن مالك بن بهثة بن سليم بن منصور: إن ابن ماكولا ضبطهم بكسر الزاي وإهمال العين، ثم قال: وسألت عنهم بين الحرمين، فلم أجد منهم إلا قليلاً في جوار بني عليٍّ وغيرهم[٥].

٥٤٥هـ توفي أمير مكة هاشم بن فليتة وبوفاته تولى الأمر بعده ابنه القاسم[٦].

---

(١) قال ابن خلكان في الأنساب ما مثاله قلت الزعبي بكسر الزاي وسكون العين المهملة وآخره باء موحدة نسبة إلى زعب بن مالك بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بطن مشهور من سليم وهذه زعب هي التي أخذت الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة فهلك منهم خلق كثير قتلاً وجوعاً وعطشاً ثم إن الله تعالى رمى زعباً بالقلة. راجع: وفيات الأعيان لابن خلكان ج٨.

(٢) درر الفرائد المنظمة للحج للجزيري.

(٣) العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي ت٧٤٨هـ

(٤) وفاء الوفا للسمهودي ت٩١١ ص٧٦٨

(٥) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ٦١٠هـ - ٦٨٥هـ، تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، الأردن، ط١/١٩٨٢م ص٥٢٣

(٦) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٠٨.

٥٤٦هـ في أول رجب توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمدان ومولده سنة (٥٠٢) في ذي القعدة[1].

ولاية شكر ابي مقدم على الإحساء وذكر حربه مع حماد النائلي

وفي هذه السنة (٥٤٦هـ) تولى أبو مقدم شكر بن أبي الحسن علي بن عبدالله بن علي العيوني حكم الإحساء عقب والده.

وعلى زمن شكر بن علي بن عبدالله ((جتمعت عرب الإحساء على رجل يقال له حماد النائلي من بني نائل من الأحلاف وقالوا أنت الثائر الذي يملك البحرين ونحن نحارب عندك حتى تخرج أهلها منها ويكون لك ملكها. وأجمعوا على حرب الإحساء وجاؤوا من كل جهة وما كان في البلد من أهلها غير القليل، لأن أكثرهم كان حالاً في القرى والسواد من جهة القيظ وجمع الثمرة، وأمنهم ذلك الزمان، فأمسكوهم في منازلهم التي بالسواد، ولم يمكّوهم من النزول إلى البلاد تضعيفاً للبلد ومن فيها. وكان ملك البلد يومئذٍ لأبي سنان وكان نازلاً بالقطيف ومولاها الأمير أبو مقدم شكر بن علي فاجتمعت عامر كلها وجميع من يحل على الإحساء من العرب وأغاروا على الإحساء مع الحماد النائلي ولم يزالوا يباكرونها بالغارات ويراوحونها ويزاحمون أهلها القتال ثلاثين يوماً. وفي اليوم الثلاثين، جمعوا أنفسهم ولم يبقوا من يحمل السيف وباكروا القتال من كل باب للبلد ودخلوها من نواحيها بعد قتل كثير (وقد تسلق بعض أعرابه الأسوار فاقتحموها ودخلوا المدينة) وكان الأمير أبو مقدم قد ركب ووقف بالرحل وضم إليه بني عمه وكل من يحمل السلاح من وجوه عشيرته وجنده وضمهم إليه. فلمّا اشتعلت الحرب حمل عليهم بنفسه وبمن معه حملة صادقة قتل فيها خلقاً كثيراً فهربوا من بين يديه فتبعهم يطردهم حتى أخرجهم عن جرعاء المردي وقتل فيهم خلقاً لا يحصى. . ردهم على أعقابهم بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة وبعد تلك الوقعة يئسوا من ملك البلاد ومن نهبها فبعثوا في الحال يطلبون الصلح، فصالحهم...، وكانت العرب في ذلك اليوم قد جمعوا جمعاً عظيماً وباكروا البلد للقتال، فزاحموا أهلها، فحمل عليهم الأمير أبو مقدم، فقتل السبع بن غفيلة فهزمهم))[2].

تعيين الشريف قتادة شيخاً على قبيلة جهينة

٥٤٨هـ عندما أصبح عمر الشريف قتادة ٢١ سنة عيّن شيخاً على قبيلة جهينة[3]. وقد ذكر ابن معية أن الشريف قتادة ولد في سنة ٥٢٧هـ. ((واشتهر قتادة في سن مبكرة بأنه الفارس الذي انتصر على الأشراف من بني حيراب؟ وانتزع منهم ينبع والصفرا وهي نقطة اتصال بين الشمال والجنوب وبني علي

---

(١) تاريخ أبي الفدا

(٢) ديوان ابن المقرب ج٢ ص٩٥٠.

(٣) حكام مكة لجيرالد دوغوري ط١/ ص٧٠

وبني أحمد وبني إبراهيم، وقد يكون السبب المباشر لشهرته أنه هزم الصليبيين الذين رسوا بالقرب من منزله في ينبع وكانوا في طريقهم إلى المدينة))[1]

مهاجمة حاكم جزيرة قيس لأوال والاستيلاء عليها ثم انسحابه

٥٤٩هـ يقول الملا: ((بعد وفاة أبي فراس تسلم مقاليد الحكم في القطيف غرير بن منصور بن علي ابن عبدالله العيوني وكان يلقب بـ (قوام الدين) وكان كريماً شهماً وتميز بحب العلم وأهله. ومن أهم الأحداث في عهده قيام حاكم جزيرة قيس في ١٣جمادى الأولى ٥٤٩هـ (٢٦ يوليو ١١٥٤م تقريباً) بمهاجمة جزيرة أوال والاستيلاء عليها ونهبها ثم الانسحاب منها. وبعد مضي سبع سنين أمضاها (غرير) في حكم القطيف وجزيرة أوال، تلاه ابن عمه هجرس بن محمد بن الفضل))[2].

ويذكر الدكتور محمد محمود خليل استناداً إلى قول شارح ديوان ابن المقرب سنة الهجرة ٤٦٤ أن هذه الحملة وجهت من قبل ملك قيس باكررار بجيش كثيف تحت قيادة أخيه نامسار، وكانت بلاد العيونيين جميعها تحت حكم الحسن بن عبدالله العيوني، الذي وجّه ابن أخيه أبي مقدم شكر حاكم الإحساء من طرفه بتجهيز قوة من الإحساء أيضاً ودخلت القطيف والإحساء تحت إمرة الأمير أبي مقدم شكر الذي توجّه بهم نحو جزيرة ستره ودارت هناك معركة أسفرت عن انتصار العيونيين وهزيمة الجيش القيسي وأسر قائده نامسار الذي أحسنت معاملته وتم تكريمه ثم إعادته إلى أخيه الملك باكررار[3].

وفاة الحسن بن عبدالله وولاية غرير بن مقلد

وفي أواخر سنة ٥٤٩هـ توفي الحسن بن عبدالله العيوني بعد عشر سنوات لحكمه جميع بلاد البحرين محدثاً فراغاً سياسياً لم يستطع أبناؤه الثلاثة (شكر وعلي والزير) ملأه لصغر سنهم[4]، لذا تمكن الأمير غرير بن مقلد من انتزاع الحكم في القطيف وأوال واستمر سبع سنوات[5].

٥٥٣هـ فيها: دخلت هذيل إلى مكة ونهبوا[6].

خلافة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي

٥٥٥هـ توفي المقتفي لأمر الله في ربيع الأول لـ ٢٤سنة من خلافته وعمره (٦٧سنة)، وقد استبدّ في

---

(١) المصدر السابق ص٨٦

(٢) تاريخ الإمارة العيونية.

(٣) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمّى بإقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية (٤٦٩- ٩٦٣هـ / ١٠٧٦- ١٥٥٥م) للدكتور محمد محمود خليل مكتبة مدبولي القاهرة ط١/٢٠٠٦م ص١٨٢.

(٤) المصدر السابق ص١٨٣.

(٥) المصدر السابق ص١٨٤.

(٦) إتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهيم شلتوت جامعة أم القرى ط١/١٩٨٣ ج٢ ص٥٢١.

خلافته وخرج من حجر السلجوقية عند افتراق أمرهم بعد السلطان مسعود، ولمّا توفي بويع بعده بالخلافة ابنه المستنجد فجرى على سنن أبيه في الاستبداد، واستولى على بلاد الماهلي ونزل اللحف وولّى عليها من قبله كما كانت لأبيه[1]. والمستنجد بالله أمه أمة حبشية اسمها طاوس، وكان أسمر طويل اللحية، توفي سنة ٥٦٦هـ وعمره (٤٧سنة)، وكان المستنجد شاعراً، ومن شعره القصيدة المشهورة:

عَـيَّـرَتْـنِـي بِـالـشَّـيْـبِ وَهْـوَ وَقَـارُ لَـيْـتَـهَـا عَـيَّـرَتْ بِـمَـا هُـوَ عَـارُ
إِنْ تَـكُـنْ شَـابَـتِ الـذَّوَائِـبُ مِـنِّـي فَـالـلَّـيَـالِـي تَـزِيـنُـهَـا الأَقْـمَـارُ[2]

اضطراب موسم الحج في مكة بسبب شغب أمير الحج العراقي

٥٥٥هـ لمّا علم القاسم بن هاشم بن فليتة أمير مكة ((أن الحج العراقي برئاسة أمير أرغش استعد لقتاله، فلمّا أحس اقترابه ترك مكة هارباً، ومن ثم كانت الفتنة بين أهل مكة والحج العراقي بمنى وقتل جماعة من أهل مكة، ولحق المدفون بأهلهم مجمعوهم وأعادوا الكرة بهم فسلبوا نحو ألف جمل من الحاج، فنادى أمير الحج العراقي في جنده ووقع القتال فقتل جماعة من الفريقين وشاع النهب ورأى أمير الحج العراقي أن يغادر منى لا إلى مكة لإتمام نسكه ولا إلى الزاهر حيث تقوم منازله بل إلى الطريق الذي يعود به إلى بلاده دون أن يكمل حجّه وقد عاد كثير من الحجاج ولم يستطيعوا إكمال حجهم خوف الفتنة))[3].

ولاية هجرس بن محمد بن فضل على أوال والقطيف

٥٥٦هـ فيها قتل (عرير) حاكم القطيف وأوال على يد ابن عمه (هجرس بن محمد بن فضل العيوني) الذي لم يتمتع بالحكم سوى سنة واحدة، حيث وافاه الأجل

ولاية محمد بن منصور على الإحساء

وفيها (٥٥٦هـ) توفي أبو مقدم شكر بن أبي الحسن علي بن عبدالله بن علي العيوني، الذي أعقب والده في حكم الإحساء سنة ٥٤٦هـ، وولي الحكم بعده ابن أخيه أبو ماجد محمد بن منصور بن علي بن عبدالله العيوني، وكان أبو ماجد هذا على جانب من القوة والحزم، فأوقف تعديات عشائر البدو فأوغر ذلك صدورهم عليه. وعقدوا العزم على إعادة نفوذهم من خلال القيام ببعض الأعمال الإرهابية.

فقد جاء في شرح ديوان ابن المقرب ((أن جميع العرب المناوئين للإحساء اجتمعوا وقصدوا شبانة ابن غفيلة، وهو يومئذٍ أمير عرب البحرين من عقيل وغيرهم. وشكوا إليه قلة إنصاف الأمير (أبي منصور) لهم وجرأة أهل البلد عليهم في ذلك الزمان. فقال (نحاربهم حرباً نذلهم بها ونقل أذاهم ونذيقهم بأساً يقع

---

(١) تاريخ ابن خلدون المجلد الخامس القسم الأول
(٢) سمط النجوم العوالي م٣ ص٥٠٧.
(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٠٨

في قلوبهم)، وأرادوا رأي شبانة في ذلك فقال لهم (لا تعجلوا فأنا أنظر وأنتم تنظرون)، فضرب لهم ميعاداً يراجعونه فيه. فاجتمعوا في الميعاد وقصدوا شبانة ولم يتخلف أحد من ذوي الرأي. فقال لهم شبانة حين رأى ميلهم للحرب (عدّوا لي كم في الإحساء من فارس يعد عن كثير من الفرسان)، فعدوا أربعين فارساً. فقال شبانة: (وأبو ماجد عن أربعين فرس مما عددتم من عساكر أبي منصور، لا نطمع أن نقف بين أيديهم ولا نقاتلهم فاصبروا). وطول مدة أبي ماجد ما حاربوا الإحساء...، لذلهم عن حربه)). وقد توفي محمد سنة٥٨٠هـ، أما أبو منصور فهو جد أبي ماجد وهو علي بن عبدالله بن علي العيوني.

ولاية الشريف عيسى بن فليتة على مكة

وفيها (٥٥٦هـ) ثار عيسى بن فليتة على ابن أخيه القاسم بن هاشم بن فليتة ((فأجلاه عن مكة وتولى إمارتها في عام ٥٥٦هـ، ولم يكد يستقر الأمر لعيسى حتى استأنف القاسم هجومه عليه وأجلاه عن مكة في شهر رمضان سنة ٥٥٧هـ فلم يبعد عيسى إلّا أياماً ثم عاود الهجوم على القاسم فقتله واستولى على مكة في السنة نفسها))[1]

٥٥٧هـ وفي هذه السنة ((عدا مالك بن فليتة ومعه هذيل فخرج إليهم عسكر عيسى بن فليتة فانهزموا ودخل مالك جدة ونهب التجار))[2].

محاولة الوصول إلى الحجرة النبوية الشريفة

٥٥٧هـ في هذه السنة وصل السلطان نورالدين محمود بن زنكي بن أقسنقر إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها[3]. قال السمهودي. السلطان الملك العادل نور الدين- ((كان له تهجد يأتي به بالليل وأوراد يأتي بها، فنام عقب تهجده، فرأى النبي ﷺ في نومه وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول. أنجدني أنقذني من هذين، فاستيقظ فزعاً ثم توضأ وصلى ونام فرأى المنام بعينه، فاستيقظ وصلى ونام فرآه مرة ثالثة فاستيقظ وقال. لم يبق نوم، وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلي فأرسل خلفه ليلاً وحكى جميع ما اتفق له فقال له وما قعودك؟ اخرج الآن إلى المدينة النبوية واكتم ما رأيت، فتجهّز في بقية ليلته وخرج على رواحل خفيفة في عشرين نفراً وصحبه الوزير المذكور ومال كثير فقدم المدينة في ستة عشر يوماً فاغتسل خارجها ودخل فصلى في الروضة وزار ثم جلس لا يدري ماذا يصنع فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد إن السلطان قصد زيارة النبي ﷺ وأحضر معه أموالاً للصدقة فاكتبوا من عندكم، فكتبوا أهل المدينة كلهم وأمر السلطان بحضورهم، وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التي أراها النبي ﷺ فلا يجد تلك الصفة، فيعطيه ويأمره بالانصراف، إلى أن انقضت الناس، فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ شيئاً من الصدقة؟ قالوا: لا، فقال: تفكروا

(١) المصدر نفسه.

(٢) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص٢١.

(٣) وفاء الوفا للسمهودي ت٩١١ ص٦٥٠.

وتأملوا، فقالوا: لم يبق إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئاً، وهم صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويج، فانشرح صدره وقال: علي بهما، فأتي بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبي ﷺ إليهما بقوله: أنجدني، أنقذني من هذين، فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: من بلاد المغرب، جئنا حاجين فاخترنا المجاورة في هذا العام عند رسول الله ﷺ، فقال: أصدقاني، فصمما على ذلك، فقال: أين منزلهما؟ فأخبر بأنهما في رباط بقرب الحجرة الشريفة، فأمسكهما وحضر إلى منزلهما، فرأى فيه مالاً كثيراً وختمتين وكتباً في الرقائق ولم ير فيه غير ذلك فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير وقالوا: إنهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات في الروضة الشريفة وزيارة النبي ﷺ وزيارة البقيع كل يوم بكرة وزيارة قباء كل سبت ولا يردان سائلاً قط بحيث سد خلة أهل المدينة في هذا العام المجدب، فقال السلطان: سبحان الله! ولم يظهر شيئاً مما رآه، وبقي السلطان يطوف في البيت بنفسه، فرفع حصيراً في البيت فرأى سرداباً محفوراً ينتهي إلى صوب الحجرة الشريفة فارتاعت الناس لذلك وقال السلطان عند ذلك: أصدقاني حالكما وضربهما ضرباً شديداً. فاعترفا بأنهما نصرانيان بعثهما النصارى في زي حجاج المغاربة وأمالوهما بأموال عظيمة وأمروهما بالتحيل في شيء عظيم خيلته لهم أنفسهم وتوهموا أن يمكنهم الله منه وهو الوصول إلى الجناب الشريف ويفعلوا به ما زينه لهم إبليس في النقل وما يترتب عليه فنزلا في أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة، وفعلا ما تقدم وصارا يحفران ليلاً ولكل منهما محفظة جلد على زي المغاربة والذي يجتمع من التراب يجعله كل منهما في محفظته ويخرجان لإظهار زيارة البقيع فيلقيانه بين القبور وأقاموا على ذلك مدة فلمّا قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجيف عظيم..... فلمّا اعترفا وظهر حالهما على يديه ورأى تأهيل الله له لذلك دون غيره بكى بكاءً شديداً وأمر بضرب رقابهما، فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة وهو مما يلي البقيع ثم أمر بإحضار رصاص عظيم وحفر خندقاً عظيماً إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها وأذيب ذلك الرصاص وملئ به الخندق. ثم عاد إلى ملكه وأمر بإضعاف النصارى وأمر أن لا يستعمل كافر في عمل من الأعمال وأمر مع ذلك بقطع المكوس كلها))(١)

وقال ابن الأثير: طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وما فيه إلى يومنا هذا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبدالعزيز ملكاً أحسن سيرة من الملك العادل نورالدين. انتهى(٢)

بناء سور جديد لحماية المدينة المنورة من تسلط البادية

٥٥٨هـ ((انتهز أصحاب البيوت التي في خارج السور - عن المدينة المنورة - الفرصة - في وجود الشهيد نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر - وقدموا طلباً يفيد لجملة ما يأتي: يا أيها الملك! لم تبق لنا طاقة لتحمل غارات أشقياء العربان، إذ يغيرون علينا من حين لآخر ويستولون على حيواناتنا ويأسرون أولادنا وعيالنا، نرجو أن تنقذنا من شرور هؤلاء بأن تصدر أمرك ببناء سور يحيط بمنازلنا. وما كان من الملك إلا أن أسعف رجاء الأهالي وأمر بهدم السور القديم (٤٥٠) الذي آل للسقوط والخراب وأسس

---

(١) المصدر نفسه ص٦٥٠

(٢) المصدر نفسه ص٦٥٢.

سوراً جديداً يحيط بالمنازل والمحال التي بنيت فيما بعد... وهكذا أنقذ أصحاب المحلات الجديدة والبيوت من تسلط عربان الصحراء وإضرارهم وذلك في سنة ٥٥٨هـ))[1]. وقد أمن سور المدينة الطيبة الذي بناه الشهيد نور الدين السكان من تسلط العربان وحافظ عليهم ما يقرب من مائة وخمسين عاماً[2].

٥٦٤هـ استولى نور الدين زنكي على السلطة في الرقة من أيدي العقيليين، وبعد انقراض دولتهم في الجزيرة وحوض الفرات هاجروا إلى بلاد البحرين.

تسلط الفرنج على مصر وطلب الفاطميين المساعدة من الأيوبيين

٥٦٤هـ ((طغت الفرنج بالديار المصرية وتحكموا في إيوانها وسكنها أكثر شجعانهم ولم يبق شيء يستحوذوا عليه ويخرجوا منها أهلها المسلمين ... طمعوا في أخذها بالأصالة فركبت أمدادهم من كل ناحية وساروا، فأول ما أخذوا مدينة بلبيس فقتلوا خلقاً وأسروا آخرين فأمر الوزير شاور بإحراق مصر وأن ينتقل الناس إلى ((القاهرة)) فنهبت البلد.

وبقيت النار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوماً، فعند ذلك أرسل الخليفة العاضد لدين الله إلى الملك نور الدين الشهيد محمود بن زنكي يستغيث به وبعث إليه بشعور نسائه يقول له: (أنقذني واستنقذ نسائي من يد الفرنج) والتزم له بثلث خراج مصر، على أن يكون أسد الدين شيركوه مقيماً عندهم بمصر...، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش إلى الديار المصرية

فلمّا استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين أرسل إلى ملك الإفرنج يقول: (قد عرفت محبتي ومودتي ولكن العاضد والمسلمين لا يوافقوني على تسليم البلد) واستدعى نور الدين الشهيد الأمير أسد الدين شيركوه فقدمه على العساكر التي جهزها إلى الديار المصرية وأضاف إليه جملة من الأمراء والأعيان وكان من جملتهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي وأضاف إليه ستة آلاف من التركمان، فلمّا وصلت الجيوش النورية إلى الديار المصرية وجدوا الفرنج قد انشمروا عن مصر بالصفقة الخاسرة))[3].

ثبات قدم صلاح الدين الأيوبي في مصر وضعف أمر العاضد

((توفي أسد الدين شيركوه آخر جمادى الآخرة من سنة ٥٦٤هـ لشهرين من وزارته، ولما احتضر أوصى أحد حواشيه بهاء الدين قراقوش فقال له: «الحمد لله الذي بلغنا من هذه الديار ما أردنا، وصار أهلها راضين عنا فلا تفارقوا سور القاهرة، ولا تفرطوا في الأسطول». ولما توفي تشوف الأمراء الذين معه إلى رتبة الوزارة مكانه مثل عز الدولة الياروقي، وشرف الدين المشطوب الهكاري، وقطب الدين ينال بن حسان المنبجي وشهاب الدين الحارمي، وهو خال صلاح الدين، وجمع كل لمغالبة صاحبه، وكان أهل

---

(١) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج٣ ص١٨

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص١٩.

(٣) سمط النجوم العوالي للعاصمي م٤



رسم تخيلي لصلاح الدين

القصر وخواص الدولة قد تشاوروا فأشار جوهر بإخلاء رتبة الوزارة، واصطفاء ثلاثة آلاف من معسكر الغز يقودهم قراقوش، ويعطي لهم الشرقية إقطاعاً ينزلون بها حشداً دون الإفرنج من يستبد على الخليفة بل يقيم واسطة بينه وبين الناس على العدة، وأشار آخرون بإقامة صلاح الدين مقام عمه والناس تبع له، ومال القاضي لذلك حياه من صلاح الدين وجنوحاً إلى صغر سنه، وأنه لا يتوهم فيه من الاستبداد ما يتوهم في غيره من أصحابه، وأنهم في سعة من رأيهم مع ولايته فاستدعاه وخلع عليه، ولقبه الملك الناصر، واختلف عليه أصحابه فلم يطيعوه وكان عيسى الهكاري شيعة له، واستمالهم إليه إلا الباروقي فإنه امتنع وعاد إلى نور الدين بالشام وثبتت قدم صلاح الدين في مصر، وكان نائباً عن نور الدين ونور الدين يكاتبه بالأمير الأسفهسلار، ويجمعه في الخطاب مع كافة الأمراء بالديار المصرية، وما زال صلاح الدين يحسن المباشرة ويستميل الناس، ويفيض العطاء حتى غلب على أفئدة الناس، وضعف أمر العاضد، ثم أرسل يطلب إخوته وأهله من نور الدين فبعث بهم إليه من الشام، واستقامت أموره واطردت سعادته، والله تعالى ولي التوفيق))[1].

خلافة المستضيء بنور الله بن المستنجد

٥٦٦هـ في ٩ ربيع الآخر توفي المستنجد بالله بن المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله وتولى المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله

نهاية الدولة الفاطمية وبداية الدولة الأيوبية

٥٦٧هـ انتهاء الدولة الفاطمية التي استمرت ٢٠٩ سنوات، وبدء الدولة الأيوبية بقيادة صلاح الدين وقد استمرت ٨١ سنة ويذكر أن الأيوبيين يعتزون بالانتساب إلى بني مروان وفي رواية إلى هوازن ورواية أخرى الأزد، لكن الثابت أنهم من الجنس الكردي

قال أبو الفدا: في هذه السنة ثاني جمعة من محرم قطعت خطبة العاضد لدين الله أبي محمد عبدالله ابن الأمير يوسف ابن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبدالمجيد بن أبي القاسم محمد ..، وكان سبب الخطبة العباسية بمصر أنه لما تمكن صلاح الدين من مصر وحكم على القصر وأقام فيه قراقوش الأسدي وكان خصيًا أبيض وبلغ نور الدين ذلك أرسل إلى صلاح الدين يأمره حتماً جزماً بقطع الخطبة العلوية

(١) تاريخ ابن خلدون–المجلد الخامس

وإقامة الخطبة العباسية فراجعه صلاح الدين في ذلك خوف الفتنة فلم يلتفت نور الدين إلى ذلك وأصر عليه وكان العاضد قد مرض فأمر صلاح الدين الخطباء أن يخطبوا للمستضيء ويقطعوا خطبة العاضد فامتثلوا ولم ينتطح فيها عنزان وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أحد من أهله بقطع خطبته فتوفي العاضد يوم عاشوراء ولم يعلم بقطع خطبته

٥٦٧هـ ((في هذا العام عاد النزاع بين عيسى بن فليتة ومالك بن فليتة: فهاجم مالك مكة بجيش من هذيل فهزمه عيسى ففر إلى جدة وسطا على بيوتها التجارية فنهبها))[1]

تنافس بني كعب وبني حزن من خفاجة على تولي حماية سواد العراق

٥٦٨هـ على ما ذكر ابن الأثير في حوادث هذه السنة قال. ((كانت الحماية على سواد العراق.. لبني حزن من خفاجة وإن والي الكوفة وبخلة أخذها منهم وجعلها لبني كعب بن خفاجة نفسها. وإن ذلك أحنق بني حزن فأخذوا يغيرون على السواد ويعيثون فيه فساداً فسار الوالي إليهم ومعه العصيان أمير بني كعب وفي الطريق أصاب الغضبان سهم أرداه فعادت العساكر من حيث أتت وأعيدت الحماية لبني حزن ثانية))[2].

٥٦٨هـ مات أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب بن نجم الدين الملقب بـ (الملك الأفضل) أبي سعيد الكردي أخو شيركوه أسد الدين.



(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/ ١٩٩٩م ص٢٢١.

(٢) العرب والعروبة.. م٢ ج٦ ص٤٢.

فتح توارنشاه لليمن

وفي سنة ٥٦٩هـ توارنشاه بن أيوب أخو صلاح الدين افتتح اليمن وأعادها لصلاح الدين وكان معه عمر بن علي بن رسول كوزير له و ستحلفه على المناصحة وكان معه آخرون من آل رسول.

وفاة الملك العادل نور الدين محمود

٥٦٩هـ ((توفي الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن أقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة وغير ذلك يوم الأربعاء ١١ شوال بعلة الخوانيق بقلعة دمشق المحروسة وكان نور الدين قد شرع للدخول إلى مصر لأخذها من صلاح الدين..

وكان نور الدين أسمر طويل القامة ليس له لحية إلّا في حنكه حسن الصورة وكان قد اتسع ملكه جدًا وخطب له بالحرمين واليمن لما ملكها توران شاه بن أيوب وكذلك كان يخطب له بمصر وكان مولده سنة ٥١١هـ وطبق ذكره الأرض بحسن سيرته وعدله وكان من الزهد والعبادة على قدر عظيم وكان يصلي كثيراً من الليل، وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة وليس عنده فيه تعصب وهو الذي بنى أسوار مدن دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها لمّا تهدمت بالزلازل وبنى المدارس الكثيرة الحنفية والشافعية...

ولمّا توفي قام ابنه الملك الصالح إسماعيل بعده وعمره (١١سنة) وحلف له العسكر بدمشق وأقام بها وأطاعه صلاح الدين بمصر وخطب له بها وضربت السكة باسمه وكان المتولي لتدبير الملك الصالح وتدبير دولته الأمير شمس الدين محمد بن عبدالملك المعروف بابن المقدم. ولما مات نور الدين وتملك ابنه سار من الموصل سيف الدين غازي بن قطب الدين وملك جميع البلاد الجزرية))[1]

٥٧٠هـ في نهاية ربيع الأول ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب مدينة دمشق وحمص وحماة[2]

ولاية مكثر بن عيسى بن فليتة على مكة المكرمة

مات عيسى بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم الحسني رحمه الله وعهد إلى ابنه داود بالإمارة، فلم يدم حكمه أكثر من نصف يوم ثم هاجمه بإيعاز من العباسيين بعض الخارجين عليه هجوماً عنيفاً حتى أجلوه عن مكة ونادوا بأخيه مكثر وذلك في العام نفسه ٥٧١هـ[3]

وما كاد يتولى الأمر مكثر حتى ((شمر عن ساعده إلى تثبيت مركزه ليتحاشى استبداد بغداد به، كما فعلت بأخيه بالأمس فعمد إلى شراء الأسلحة وتجنيد بعض الرجال وبنى على أبي قبيس قلعة لتكون له حصناً إذا فكر أمير الحاج العراقي في مناوشته أو عزله وظل مع ذلك يخطب للعباسيين والأيوبيين.

---

(١) تاريخ أبي الفدا.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ص٢٢٢.

وعلمت بغداد بتحصيناته، فاعتبرت ذلك منه تحدِّياً، فكلف أمير الحج طاشتكين أخا صلاح الدين الأيوبي بأن يجلي مكثراً عن مكة وأن يهدم حصنه. واستعمل المقاتلون في هذه الوقعة سلاحاً جديداً لا عهد لمكة به من قبل، فقد رئي رجل سهم يرمي داراً من دور مكة بقارورة مملوءة نفطاً فأحرقت الدار، وكانت لبعض أيتام مكة. ولجأ مكثر إلى حصنه الذي بناه على أبي قبيس فحصروه به ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع سلم أمير مكة الحصن لأمير الحج فهدمه بعد ذلك.

وأضاف طاشتكين إمارة مكة إلى أمير المدينة إذ ذاك القاسم بن مهنا بأمر الخليفة العباسي، فما لبث القاسم أن رأى نفسه بعد ثلاثة أيام عاجزاً عن إدارة الأمور والقيام بأعباء مكة، فأعاد طاشتكين داود ابن عيسى المغضوب عليه سابقاً إلى الإمارة وهو أخو مكثر وذلك في السنة نفسها ٥٧١هـ، ثم ما لبث أن أعيد إليها مكثر))[1].

خلافة الناصر لدين الله احمد بن المستضيء الحسن

٥٧٥هـ ((كان مرض المستضيء بالحمى ابتدأ يوم عيد الفطر فلمّا كان يوم السبت سلخ شوال سنة ٥٧٥هـ توفي إلى رحمة الله تعالى، وكانت مدة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوماً، وقيل تسع سنين وثلاثة أشهر وعمره (٣٧).

وتولى الخلافة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء حسن بن المستنجد يوسف بن المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر بن المقتدي. كانت فيه شهامة وصرامة وإقدام وعقل ودهاء وكان مستقلاً بأمور الملك بالعراق، متمكناً، طالت أيامه، وكانت له دسائس وعيون عند كل أحد من الأمراء والعظماء والسلاطين والحكام من الأجناس المختلفة، حتى كان يظن أن له اطلاعاً على المغيبات

بويع بالخلافة بعد موت والده وعمره (٢٣سنة) فبسط العدل وأمر بإراقة الخمور، وكسر الملاهي، وإزالة المكوس والضرائب، فعمر البلاد، وبسط الأرزاق وقصدت الناس بغداد وتبركوا به))[2]. يقول العاصمي. كانت الكعبة الشريفة تكسى الديباج الأبيض زمن المأمون، إلى آخر أيام الناصر هذا، فكساها الديباج الأسود، واستمر إلى زماننا هذا

يوم صفواء

٥٧٧هـ في هذه السنة تولى الحسن بن شكر بن الحسن بن عبدالله حكم القطيف بعد أربعة حكام في السنة المذكورة نفسها، كانوا قد تركوا الحكم لعدم الرغبة فيه لما يتهددهم من خطر الاغتيالات والخوف من الفشل في فرض السيطرة.

وذكر شارح ديوان ابن المقرب، يوم صفواء، فقال: ((لما ملك الأمير الحسن بن شكر بن الحسن ابن عبدالله - القطيف - بعد خروج محمد بن أبي الحسين منها وتركه لها، ومضت له مدة مديدة، رجع

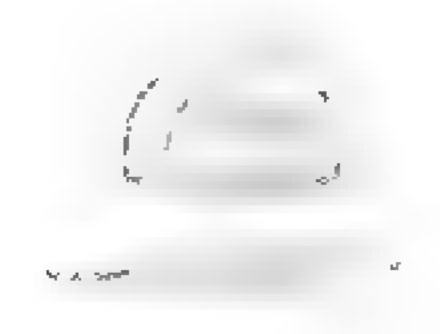
---

(١) المصدر السابق ص٢٢٢.

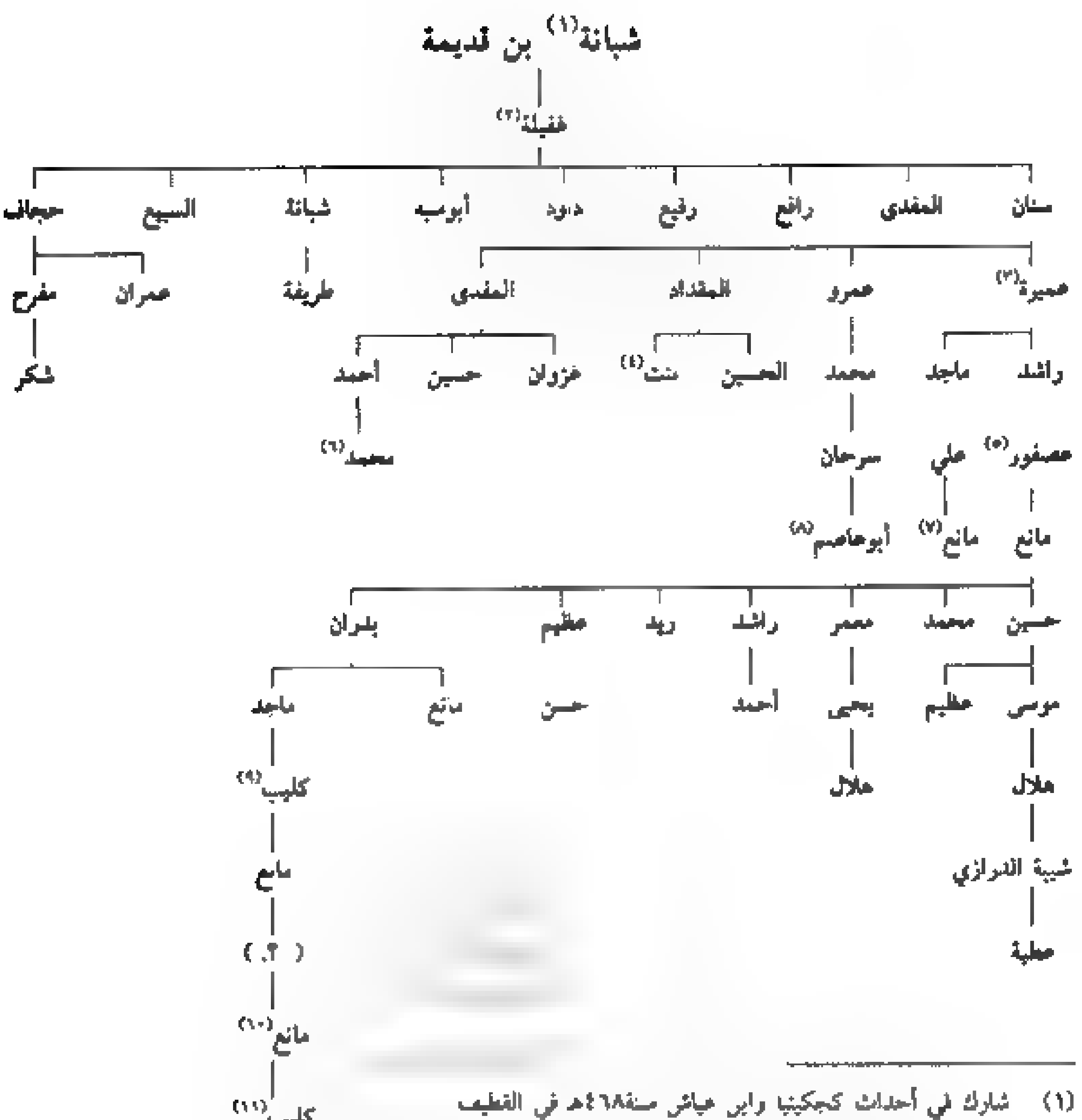
(٢) سمط النجوم العوالي م٣ ص٥١٠.

الأمير محمد بن أبي الحسين يحل عليها في القيظ وعنده عميرة بن سنان، وأولاد شبانة بن عقيلة، وأولاد حجاف بن عقيلة، وأمه يومئذٍ طريفة بنت شبانة. فلشبانات أخواله، وانضاف إليهم عمران بن حجاف، وهو يومئذٍ شيخ الحجاجفة، وهو فارس مشهور، وكان عنده يومئذٍ والدة الأمير طريفة بنت شبانة، وتحته الحجاجفة، وقد أمكنهم الأمير الحسن بن شكر من البلد، وأقطعهم أكثر أملاكها، وحين نزل الأمير محمد بن أبي الحسين وعميرة بن سنان ومن معهما على صفواء أنكر ذلك خوفاً منه، وأنكرت أولاد شبانة وأولاد حجاف، فجمع الأمير الحسن بن شكر عسكر القطيف وفرسانها ورجالها وعجمها، وأظهر العدد والسلاح واستنفرت آل شبانة وآل حجاف جميع من يتبعهم من القديمات ومن ينزل عليهم من جار ونزيل وخادم وأقبلوا ليدفعوا محمد بن أبي الحسين وعميرة بن سنان عن صفواء.

فلمّا بلغوا صفواء خرج إليهم عميرة بجميع ما عنده، وقد أخرجت الشبانات والحجاجفة جملاً جعلت عليه قبة وجعلوا فيها طريفة بنت شبانة فجرى بينهم طراد وشيء من القتال والأمير محمد بن أبي الحسين موثوق عن القتال في الحلة، فلم يكن لأصحاب محمد بن أبي الحسين وأصحاب عميرة بما أتاهم طاقة فولوا منهزمين حتى خرجوا من الحلة، ووردت أهل القطيف ومن معهم أول الحلة وصار فيها نهب، فلمّا رآهم الأمير محمد قد بلغوا الحلة قال للذين تكفلوا بلزومه اتركوني، فتركوه، فاعتزى فامتثل وصاح صيحة هائلة وحمل عليهم حملة لم يثبت منه غير أولاد شبانة ولم يزل الأمير يطردهم حتى دفعهم عن الجمل الذي كان عليه الهودج وأخذه وفيه المرأة ودفعه إلى أصحابه وقد تراجع إليه بعض منهم))[1].



(١) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج٢ ص١٠٨٦.



(١) شارك في أحداث كجكينا وابن عياش سنة٤٦٨هـ في القطيف

(٢) أبو العيلات نفترض أن سنة ٤٧٥هـ هي سنة ميلاده

(٣) عميرة: في سنة ٥٨٨هـ هاجم البصرة متزعماً بني عامر. قال ابن لعبون: ومن أولاد عقيلة بن شبانة، عميرة جد العماير وهو أبو راشد شيخ عقيل خزانة التواريخ ج١ تاريخ ابن لعبون ص٦٣.

(٤) تزوجها محمد بن أبي الحسين في عهد راشد بن عميرة

(٥) مقدم أسرة العميلات٦٤٠ - جد لأمه الأميرمحمد بن أحمد العيوني.

(٦) ٦٥٨وفد على الظاهر بيبرس بمصر.

(٧) ذكره وصاف الحضرة كرئيس لبني عميرة مع عصفور بن راشد بن (عمير) في سنة ٦٥٤هـ.

(٨) ورد اسمه في تاريخ وصاف ص١٠٥ لوصاف الحضرة بالصيغة التالية، أبو عاصم بن سرحان بن محمد بن عمرو بن سنان. ويسميه عباس إقبال في كتابه مطالعاتي درباب بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس ص٣٥ أبو عاصم بن أبي سرحان

(٩) أو كلبي: زار مصر سنة ٧٣٢هـ ذكره العمري ومعه هلال بن أبي الحسن

(١٠) أظنه حاكم البصرة المذكور في سنة ٧٩٥هـ والله أعلم

(١١) ابن مانع كبير القديمات وأمير المنتفق معاصر لمحمد بن بركات(٨٥٧-٩٠٣) ولعجل بن عدفا اللامي المذكور =

انقراض دولة آل سبكتكين

٥٧٨هـ وفيها: انقرضت دولة آل سبكتكين وكان ابتداؤها سنة٣٦٦هـ فملكوا ٢١٣سنة أولهم محمود ابن سبكتكين وآخرهم خسروشاه بن بهرام بن شاه مسعود بن مسعود بن إبراهيم بن محمود بن سبكتكين وقام بعدهم الغورية وأولهم عزالدين حسن صاحب بلاد الغور.

صاحب البحرين يقدم التهاني لسلطان اليمن

في سنة ٥٧٨هـ ((لما افتتح السلطان - سلطان اليمن - رحمة الله عليه مدينة ظفار وقتل سالم بن إدريس ارتعدت الأقطار القصية هيبة للسلطان و امتلأت من خوفه قلوب ملوك فارس وأصحاب الهند والصين لما رأوا من علو همته وعظيم نقمته فأرسل صاحب عمان بهدية فرسين ورمحين إلى الأمير شمس الدين أزدمر وهو يومئذ في ظفار ووصلت هدايا صاحب الصين ووصل صاحب البحرين إلى زبيد ورتب الأمير شمس الدين أزدمر نائباً وهو سيف الدين سنقر الترنجلي وحمل الحسام التوريزي معه وعدة من مشايخ العرب ومقدمي الرجل وعاد إلى اليمن))[1]

ولاية شكر بن منصور على الإحساء واستيلائه على القطيف وأوال

٥٨٠هـ ((توفي أبو ماجد محمد بن منصور بن علي بن عبدالله وتسلم الأمير شكر بن منصور بن علي بن عبدالله العيوني عرش الإحساء وقد امتدت فترة حكمه إلى سنة ٥٨٧هـ وكان شكر عالي الهمة بعيد الطموح، آلمه تمزق الدولة العيونية فعقد العزم على توحيدها فكلف أخاه وعضده الأيمن عبدالله بهذه المهمة فأعد جيشاً سار به عبدالله إلى القطيف وأوال فاستولى عليها وبعد أن قتل أميرها (الحسن بن شكر أبن الحسن بن عبدالله العيوني) وتذكر بعض المصادر أنه لم يتورع في حملته هذه عن الاستعانة بعساكر جزيرة قيس. ومهما يكن من أمر فقد استطاع توحيد جميع أقاليم البحرين))[2].

صناعة البندقية لأول مرة

وفيها كانت الحرب الصليبية الثالثة، ثم استيلاؤهم على قبرص، وفي هذا الزمن تقريباً صنعت أول بندقية ((أم فتيلة))، واستعملت في الحرب أول مرة سنة ٧١٣هـ في اليمن.

= سنة ٩٠١ ووضعت تسلسله النسبي هكذا اجتهاداً مني

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية للشيخ علي بن الحسن الخزرجي تحقيق الشيخ محمد بسيوني عسل ج١ ص٢١٣.

(٢) تاريخ الإمارة العيونية للملا

استيلاء محمد بن أحمد بن محمد بن فضل على القطيف والإحساء

٥٨٣هـ حكم الأمير محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد بن الفضل وقد ضم إلى حكمه البحرين والإحساء ونجداً وقد قتل سنة ٦٠٣هـ، وفي عهده عظم أمر العيونيين فامتد نفوذهم إلى نجد وبوادي الشام لكن هذا لم يعمر طويلاً إذ اغتاله أصهره من قبيلة العماير.

ففي العام الذي بدأ فيه الأمير محمد حكمه (٥٨٣هـ). ((هاجم القطيف وأخرج منها عبدالله بن منصور، وذهب إلى أخيه شكر في الإحساء. وقد زال حكم شكر وأخيه عبدالله عن الإحساء باستيلاء الأمير محمد عليها حوالي سنة ٥٨٤هـ- ١١٧٩م وكانت مدة حكم شكر بن منصور على الإحساء سبع سنوات تقريباً[1].

ولاية سالم بن قاسم بن جماز على المدينة المنورة

٥٨٣هـ قاسم بن جماز بن قاسم بن مهنى، ولاه المستضيء فأقام (٢٥ سنة) ومات سنة ٥٨٣هـ، وولي ابنه سالم بن قاسم[2]

توحيد جميع اليمن تحت سلطة الدولة الايوبية

٥٨٦هـ وفيها ((سار السلطان طغتكين إلى صعدة على طريق الجوف وأقام فيها أياماً ثم رتبها ثلاثمائة فارس وتوجه إلى جبال الأهنوم فاستولى عليها ثم سار إلى بلاد تهم من أعمال حجور فاستولى عليها وعلى بلاد الشرف وسائر جبال اليمن ومدنه وحصونه ومخاليفه من صعدة إلى عدن. وزالت دولة آل الصليحي وآل حاتم الإسماعيليين عن قطر اليمن من ذلك الزمن بعد أن ملكوا حياصيه ودان لهم مطيعه وعاصيه))[3].

توقع هجرة قبائل وعوائل من القطر اليمني

بعد السنة التي توحدت فيها جميع أراضي إقليم اليمن تحت سلطة الدولة الكردية (٥٦٧-٦٤٨هـ) نتوقع حدوث هجراتٍ لكثيرٍ من قبائل المنطقة إلى داخل الجزيرة العربية. ربما، لأنفتها من حكم المماليك عليها، هذا عدا أن نفوسها لا تطيق الخضوع للسيطرة القوية المطلقة، ولكي لا يتم استخدامهم في حروب لا شأن لهم بها.

الجدير بالذكر أن هذه أول سلطة غير محلية تحكم اليمن في ذلك العصر، حيث إن هذه الحكومة قدمت من الشام، وقد توفي السلطان طغتكين بن أيوب بالمنصورة من بلاد تعز سنة ٥٩٠ هـ.

(١) مجلة الوثيقة عدد ١ سنة أولى ص ٢٨

(٢) تاريخ ابن خلدون.

(٣) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني-يحيى بن الحسين ت١١٠٠ تحقيق سعيد عاشور ص٣٣٥

مهاجمة بني عامر واميرهم عميرة للبصرة

٥٨٨هـ في هذه السنة في صفر ((اجتمع بنو عامر في خلق كثير وأميرهم اسمه عميرة، وقصدوا البصرة وكان الأمير بها محمد بن إسماعيل ينوب عن مقطعها الأمير طغرل، مملوك الخليفة الناصر لدين الله، فوصلوا إليها يوم السبت السادس من صفر، فخرج إليهم الأمير محمد فيمن معه من الجند فوقعت الحرب بينهم بدرب الميدان بجانب الحربية ودام القتال إلى آخر النهار. فلمّا جاء الليل ثلم العرب في السور عدة ثلم ودخلوا البلد من الغد فقاتلهم أهل البلد فقتل بينهم قتلى كثيرة من الفريقين، ونهبت العرب الخانات بالشاطئ وبعض محال البصرة، وعبر أهله إلى شاطئ الملاحين، وفارق العرب البلد في يومهم وعاد أهله إليه.

وكان سبب سرعة العرب في مفارقة البلد أنهم بلغهم أن خفاجة والمنتفق قد قاربوهم فساروا إليهم وقاتلوهم أشد قتال، فظفرت عامر وغنمت أموال خفاجة والمنتفق، وعادوا إلى البصرة بكرة الإثنين، وكان الأمير قد جمع من أهل البصرة والسواد جمعاً كثيراً فلمّا عادت عامر قاتلهم أهل البصرة ومن اجتمع معهم فلم يقوموا للعرب وانهزموا ودخل العرب البصرة ونهبوها وفارق البصرة أهلها ونهبت أموالهم وجرت أمور عظيمة ونهبت القسامل وغيرها يومين، وفارقها العرب وعاد أهلها إليها وقد رأيت هذه القصة بعينها في سنة ٥٩٣هـ والله أعلم))[١]

مهاجمة أمير مكة لاوضاخ

وفيها (٥٨٩هـ) حاول أمير مكة مكثر بن عيسى بن فليتة (٥٨١ - ٦٠١هـ) الاستيلاء على نجد فهاجم مدينة أوضاخ بقبائل عنزة بن أسد وحرب بن سعد وهوازن وبني سليم بعد أن حرض (بني لام وطيء) على مالك بن سنان ومن معه في أوضاخ[٢].

وفيها مات الأمير داود بن عيسى بن محمد بن أبي هاشم، أمير مكة، وما زالت إمارة مكة تكون له تارة، ولأخيه مكثر تارة إلى أن مات[٣]

تعرض المدينة المنورة لهجوم زعب وعدة قبائل

٥٩٠هـ قال ابن الأثير ((وفيها في جمادى الآخرة، اجتمعت زعب وغيرها من العرب وقصدوا مدينة النبي ﷺ، فخرج إليهم هاشم بن قاسم أخو أمير المدينة فقاتلهم فقتل هاشم، وكان أمير المدينة قد توجه إلى الشام فلهذا طمعت العرب فيه))[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج١٢ ص٨٠

(٢) الـ١٠٠٠سنة الغامضة لابن السويداء ط١ ص١١٣.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج١٢ ص١٠٤.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج١٢ ص١١٠

ازدياد نفوذ الخليفة الناصر

٥٩٠هـ ((استطاع الخليفة الناصر لدين الله العباسي إنهاء السيطرة السلجوقية سنة ٥٩٠هـ- ١١٩٤م ونجح في توسيع نفوذ الخلافة العباسية وجمع حوله العديد من أمراء الأطراف عن طريق التنظيم الذي ابتدعه (الفتوة). ولكن الخلفاء الذين جاؤوا بعده كانوا ضعفاء معزولين تسيطر عليهم حفنة من الحاشية في البلاط ولذلك كانوا دون مستوى الأحداث))[١].

٥٩٧هـ الحملة الصليبية الرابعة.

إمارة الأشراف القتاديين على مكة المكرمة

٥٩٧هـ- ١٢٠١م في هذه السنة كانت بداية دولة بني قتادة في مكة، على يد مؤسسها الشريف الأمير أبو عزيز[٢] قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن السلمية، الذي ملك الحجاز سيماً، وطرد الهواشم عنها في هذا العام وقتل الأمير محمد بن مكثر بن فليتة[٣]، وأرسل قتادة ابنه حنظلة على رأس مجموعة من الفرسان لاستلام مكة[٤]

قال ابن معية. ((السبب الموجب لذلك أن الهواشم ولاة مكة قد انهمكوا في الغي واللهو والظلم والجور على العباد....، فاتفق أن بعض التجار الواردين من مكة المشرفة نهبوا ماله....، فقصد الأمير قتادة بينبع داخلاً عليه .....، ثم إن قتادة جمع قومه وعشيرته فقال لهم. قد علمتم بعتوّ الهواشم..... فهذا دليل على انقضاء مدة دولتهم فخطر ببالي أن أركب عليهم وآخذ ولاية مكة منهم فماذا تقولون؟ قالوا ذلك ما كنا نبغي ... فأخرجهم منها أذلة صاغرين وإلى اليمن منهزمين بعد أن قتل محمد بن مكثر.....، فبلغ ذلك الخليفة الناصر لدين الله أو أباه المستضيء بالله العباسي، فاستدعاه إلى بغداد فتوجه إليه ممتثلاً، فلمّا انتهى الوصول إلى علو النجف الأشرف، خرجت جميع الناس لاستقباله وكان مع أحدهم أسد مجتزر فتطير منه فرجع منحرفاً وهو يقول: لا أدخل بلاداً تذلّ فيها الأسود، وكتب للخليفة هذه الأبيات.

بِلادِي وَلَوْ جَارَتْ عَلَيَّ عَزِيزَةٌ ... وَلَوْ أَنَّنِي أَعْرَى بِهَا وَأَجُوعُ

وَلِي كَفُّ ضِرْغَامٍ إِذَا مَا بَسَطْتُهَا ... بِهَا أَشْتَرِي يَوْمَ الوَغَى وَأَبِيعُ

مُعَوَّدةٌ لَثْمَ المُلُوكِ لِظَهْرِهَا ... وَفِي بَطْنِهَا لِلْمُجْدِبِينَ رَبِيعُ

أَأَتْرُكُهَا تَحْتَ الرِّهَانِ وَأَبْتَغِي ... لَهَا مَخْرَجاً إِنِّي إِذاً لَرَقِيعُ

وَأَنَا كَالمِسْكِ فِي وَسْطِ أَرْضِهِ ... أَضُوعُ وَأَمَّا عِنْدَكُمْ فَأَضِيعُ

---

(١) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص١٧٠

(٢) مولده بينبع سنة ٥٢٧هـ وبها منشؤه، فصار بها أميراً.

(٣) عمدة الطالب...: المعروف بابن عنبة ت٨٢٨ ص١٦٦

(٤) حكام مكة لجيرالد دوغوري ط١/ ص٧٠.

فلمّا قرأ الخليفة الأبيات اغتاظ غيظاً شديداً، فأمر عبده بتسيار جيش كثيف فبلغه خبره، فأرسل إلى بني حسين في المدينة المنورة يستنجدهم مستفزعاً بهم))[1].

هلاك بني عنزة بين الحجاز واليمن بوباء عظيم

وفيها (٥٩٧هـ): وقع في بني عنزة بأرض الشراة بين الحجاز واليمن وباء عظيم وكانوا يسكنون في (٢٠قرية) فوقع الوباء في (١٨قرية) فلم يبق منهم أحد، وكان الإنسان إذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقربها، فتحاماها الناس، وبقيت أغنامهم وإبلهم لا مانع لها، وأما القريتان الأخريان فلم يمت فيها أحد، ولا أحسوا بشيء مما كان فيه أولئك))[2].

وقعة بين ربيعة بن حارثة وطيئ ضد عقيل بظاهر الكوفة وقيل في لينة

٥٩٧هـ قال شارح ديوان ابن المقرب. ((سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك أمراء بني ربيعة، جمعوا قبائل طي وزبيد والخيط وجميع عرب الشام واجتمع إليهم دهمش بن سند بن غُزَيّة وساروا يريدون أرض بني عقيل وهم عامر وعائذ وخفاجة، قبائل قيس وربيعة

وكان محمد بن أبي الحسين يومئذ قد رأس على قبائل العرب الذين بالمشرق، وعلى قبائل عرب العراق وغيرها، وكانت له مملكة البحرين، فلمّا سمعت خفاجة وعبادة ومن يليها من قبائل قيس بتجهيز الأمير تلك السرايا وطلبهم أرض بني عقيل، بعثوا إلى الأمير محمد بن أبي الحسين وهو يومئذ بالإحساء من يخبره الخبر ويستنهضه ودخلهم من ذلك رعب عظيم، وانحازوا لهم عن الطريق

وكان قد أفسد دهمش وقومه في الحاج وطلبوا منهم ما لم تجر به عادة وخافوه، وقبحوا غاية التقبيح، فشكا الحاج إلى الخليفة الناصر لدين الله فبعث الخليفة يومئذٍ رسولاً إلى الأمير محمد بن أبي الحسين يخبره بذلك ويتقدم إليه بالنهوض إلى دهمش وقومه والتنكيل بهم والنكاية فيهم بحسب ما يقدر عليه.

فنهض يومئذٍ واستنهض جميع العرب الذين بالبحرين ومن يليهم من هائل وجميع جنوده حتى لحق بالعراق وانضمت إليه الأعلم والمنتفق ولحق بعبدة وخفاجة وقد أجفلوا عن أرضهم، فثبتهم حتى استكمل جيوشه وسار حتى لقي جموع الأمراء من بني ربيعة، وجميع من حشدت من طيّئ وزبيد وعرب الشام وكان ذلك بظهر الكوفة فالتقوا وقتلوا غير كثير فحمل عليهم الأمير محمد وحملت أولاده لحملته وحملت جميع جيوشه فانهزمت جموع طيّئ ومن معها حتى بلغوا رحالهم.

ثم إن الأمراء من بني ربيعة أرسلوا إلى الأمير يناشدونه النسب والقرابة ويذكرونه الحمية لأنهم

---

(١) راجع: تحفة الأزهار لضامن بن شدقم تحقيق كامل الجبوري ج١ ص٤٤٢.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج١٢ ص١٧٢) انظر سنة ٥٩٩هـ.

يقولون إن أمراء بني ربيعة من ربيعة بن نزار[1]، فرقَّ لهم وعطف عليهم فأجارهم وأجار أهلهم وأموالهم وامتنع من جوار دهمش لما كان تقدم من أمر الخليفة فيه فهرب دهمش وسبق حتى دخل مشهد علي (كرم الله وجهه) وتحرم به، فأقام مستجيراً بقبره، فأقام الأمير محمد بن أبي الحسين الحراس بباب المشهد يحفظونه لأن لا يهرب

وبعث إلى الخليفة الناصر لدين الله رسولاً يخبره بذلك...، فبعث الخليفة رجالاً من الديوان ليقبضوا على دهمش بغير إزعاج ولا تشديد في القبض لأجل سبقه إلى القبر واستجارته به. ووردوا به إلى بغداد مع غلمان الأمير محمد بن أبي الحسين.

فلمّا صار في قبضة الديوان بعث الخليفة إليه فاستتابه حينئذٍ الخليفة عن الفساد وعن إدخال الضرر على الحاج فتاب وخلع عليه، وخلى سبيله فلم يعاود دهمش إلى شيء يدخل على الحاج ضرراً حتى مات))[2]. ثم قرر الأمير محمد العيوني أن يتعقب البوادي حتى وجدهم على ماء يسمى الدجاني[3] غرب الدهناء فقضى على أكثرهم وهرب الباقون الذين لاقوا حتفهم عطشاً في الصحراء

ومن شعر ابن المقرب في مدح الأمير محمد:

وفي لِبنةٍ[4] أردى شغاميمَ طيِّئٍ ... جهاراً وَلَونُ النقْعِ بالجَوِّ حائلُ
عَشيَّةَ لا يَلْوي جَبانٌ جَوادَهُ ... جَحى والعذارى دأبُهنَّ التَّغاوُلُ

---

(1) يقول شارح الديوان: بنو الجراح هم الأمراء الذين يعرفون بنبي ربيعة، رهط سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك بن السميط، ودهمش: هو دهمش بن بندر بن أجود سيد غزية. راجع ديوان ابن المقرب ج٢ ص٩٥٢، ولكن هذا الخبر يؤكد حقيقة جهل البادية في أنسابهم، لأن شتان ما بين العيونيين الذين هم من عبدالقيس من تغلب بن وائل ومن ثم من ربيعة بن نزار كما هو واضح في الشرح، وبين أمراء بني الجراح الذين هم من ربيعة ابن حارثة من طيّئ ومن ثم من قحطان

(2) ديوان ابن المقرب ط البابطين٢٠٠٢م ج٢ ص٩٥٣

(3) البوادي الذين تم تعقبهم هم بنو مالك من طيّئ الذين سيذكر خبر وقعتهم في الدجاني في سنة ٦٠١هـ. [الدجاني] على طريق الحاج للخارج من البصرة؛ حيث قال أيوب صبري ما معناه، بعد أن يصل الحاج إلى حفر الباطن يمر (ماوية) ثم يمر (عالج الصغير) ومن هناك إلى صحراء الدجاني ذات المياه الوفيرة، ومنه إلى (سدير) ثم (الوشم) ثم (السر)... إلخ. وأظن أن عالج الصغير وعالج الكبير هو الأرطاوية التي تخترق العرق في الوقت الحالي من عندها وهي نفس الصفة التي تطلق على هذا المكان في السابق حيث قال أيوب صبري: وتترك قوافل الشتاء من عالج الصغير إلى عالج الكبير وهنا يتفرع الطريق إلى فرعين أحدهما طريق الصيف والآخر طريق الشتاء. ومن الشرح السابق يمكننا القول بأن ماء الدجاني هو بعد الأرطاوية وقبل سدير التي بدايتها المجمعة.

(4) أميل إلى القول بأن الوقعة التي جرت بين الأمير محمد العيوني مع قبائل طيّئ بقيادة سعيد بن فضل كانت في لبنة كما هو واضح من القصيدة وليس في الدجاني كما يقول شارح الديوان. وأن الوقعة التي جرت في الدجاني هي التي كانت مع بني مالك بعد الوقعة الأولى بأكثر من عام.

[حجي] من فرسان عزية من بني أجود

وجاءت زبيد[1] كالجراد وَطَيِّئٌ ... وكُلٌّ يُمَنِّي نَفْسَهُ ما يُحَاوِلُ

وَكانُوا يظنُّون الأميرَ بدارِهِ ... مُقِيماً وَقَدْ جاءتْ بذاكَ الرسائلُ

فضاقَتْ على أرجاءِ قيسٍ[2] رِحابُها ... من الخوفِ وانْسَدَّتْ عليها المَناهِلُ

فسارَ من الإحساء تطوي به الملا ... عتاقُ المَذاكي والمَطِيُّ الرَّوامِلُ

فمرَّتْ بقصرِ العنبريِّ ولم يَكُنْ ... لَهُ سوى دارِ الأعادي تَشاغُلُ

فما شَعَرُوا حتى تَداعَتْ عَلَيْهِمُ ... كما يَتَداعى صَيِّبٌ مُتَوَابِلُ

إلى أنْ تسدَّتْ من آلِ فضلٍ عِصابةٌ ... قَصِيرٌ لَدَيْهَا البَاذِحُ المُتَطاوِلُ

فقُلْ لمقبلٍ عنها وشبيبها ... إذا جَمَعَتْهُ في النُّجُوعِ المَحَافِلُ

وقال في مدح محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل أيضاً

أعزَّ عقيلاً عِزَّةٌ فَتَذَاتلَتْ ... وَمِنْ قَبْلُ أعْيَا مَنْ سِوَاهُ الدمالُها

كَفَاها وَأغْنَاها سائِلٍ كَفُّهُ ... وسالَ عداها فاعْتَدَتْ وَهْوَ مالُها

وَأنْزَلَها دارَ الأعادي بسيْفِهِ ... فأضحَتْ حقاميثاً لديها حِلالُها

أقامَ عهوداً بَيْنَ عَمْرٍ وعامرٍ ... غُبِّبا على أيْدي الرجال انْحِلالُها

فعِشْ أبداً يا أبا عليٍّ بِسِيرَةٍ ... يريدُ عَلَى مدى الأيَّامِ جَلالُها

وجُدْ وَاجْتَهِدْ في آلِ جروانَ إنَّهُمْ ... سُيُوفٌ تُفَرِّي حاسديكَ بِصَالُها

هُمُ بَذَلُوا فيما يَسُرُّكَ أنفُسَاً ... كِراماً ونارُ الحَرْبِ يَعْلُو اشْتِعالُها

وذادوا الأعادي عن حِماكَ وَقَدْ لَقُوا ... جَماجِمَ لَمْ يَبْرَحْ قديماً ضَلالُها

وَأُوصِيكَ خَيْراً بالعَشِيرَةِ كُلِّها ... فإنَّكَ من بَعْدِ الإلهِ مآلُها

وقال فيه أيضاً:

تُهَنِّيكَ ذا المُلْكَ الَّذِي عَمَّ يُمْنُهُ ... عقيلاً وَأحْيَا عِنْدَ قَيْسٍ وَزَايِلا

وقعة سعيد بن فضل مع عائذ

كان للأمير سعيد بن فضل المذكور في أحداث سنة ٥٩٧هـ وقعة مع قبيلة عائذ[3]، ولكن غير

(١) [زبيد] قبيلة من سعد العشيرة

(٢) [قيس] يقصد قيس عيلان.

(٣) عائذ: ممن روى عنهم أبو علي الهجري العائذي من ربيعة عقيل. راجع: أبو علي الهجري مؤلف النوادر سنة ٣١٦هـ بقلم حمد الجاسر دار اليمامة ص٥٤

معلومة السنة التي غزاهم فيها، فرأينا أن نضعها بالترتيب عقب الوقعة السابقة، لأن سعيد بن فضل فقد فيها حياته على يد عائذ.

يقول ابن لعبون في تاريخه عائذ من ربيعة من عقيل، وكان سعيد بن فضل غزاهم في ١٥٠٠ فارس من طيّئ، فوافاهم خلوفاً قد غزوا ربيعة الفرس، فمضوا حتى كانوا على البلد، ثم لحقهم غلام من الحي فأخبرهم أن طيئاً قد ساقت أموالهم، فساروا يومهم وليلتهم حتى أدركوهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل سعيد، وانفضت جموع طيئ، وقتلوا قتلاً ذريعاً وأسر ولده، فافتدى نفسه بمال عظيم، وأخذ منهم ألف قليعة. وذكر السيد أحمد بن عبدالله بن حمزة في شرح ذات الفروع

وعائذُ الشُّمُّ الَّذينَ إليهِمُ ... مِنَ المَجْدِ غاياتُ العُلا تَتَأوَّبُ
وَقائعُهُمْ مَشْهورةٌ قَتَلُوا بِها ... سَعِيدَ بْنَ فَضْلٍ والذينَ تَألَّبُوا
شَماطِيطُ شَتَّى مِنْ قَبائِلِ طيِّئٍ ... أتى لَهُمْ بالنَّحْسِ يومٌ عَصَبْصَبُ[1]

عائذ ابني سعيد[2]

قال العمري نقلاً عن الحمداني ((دارهم من حرمة إلى جلاجل، والتويت ووادي القرى وليس الوادي المقارب للمدينة الشريفة النبوية زادها الله شرفاً وتعرف بالعارض ورماح والحفر.

قلت وحدثني أحمد بن عبدالله الواصلي أن بلادهم بلاد خير ذات زرع وماشية بقُرى عامرة، وعيون جارية، ونخل بارعة، ولأرضهم بذلك الوادي منعة وحصانة، قال: وقد كان المظفر بيبرس الجاشنكير اهتم بقصده واللحاق به والمقام فيه وأن يكون كوخير من أهله مرترقاً من سوائم الإبل والشاء، ثم انثنى رأيه عن ذلك آخر وقت، ولو وجه إليه لوجهه كن أحمد لمنتجعه وأدنى لعوده إلى صلاح الحال ومرتجعه))[3].

ثم يضيف: ((وأما العائذ فكثير[4] في العرب، والمشهور منها بمصر عائذ جذام، وبالحجاز عائذ ربيعة، وأما عائذ قرير[5]، فلمّا تنافرت ثعلبة وجذام ادعوا في ثعلبة))[6].

وقال ((ويأتيهم من عرب البرية من يذكر: فمن غزية. غالب، وآل أجود، والبطنين، وساعدة.

---

(١) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج١ تاريخ ابن لعبون ص٦٦.

(٢) لا أعرف عائذ هذا ممن؟ ولكن على حسب كلام العمري فإن عائذاً في العرب كثير وبما أن العمري ذكر عائذاً بابن سعيد، فهناك عائذ بن سعيد بن جندب بن جابر بن زيد بن عبد بن الحارث بن بغيض، وفد على النبي ﷺ ولعل عائذ بني سعيد هؤلاء من نسله. راجع: أنساب الأشراف للبلاذري ج١٣ ص٢٨٩.

(٣) مسالك الأبصار للعمري ت٧٤٩هـ السفر٤ ص٣٥٣.

(٤) قال ابن عيسى: عائذ كثير [جهينة - الظفير - قحطان - الأزد - جنب - محروم من قريش].

(٥) قُرير بن عُثَين. راجع: أنساب الأشراف للبلاذري ج١٣ ص٢٢٩.

(٦) مسالك الأبصار للعمري ت٧٤٩هـ س٤ ص٣٨٥.

ومن بني خالد: آل جباح، والصبيات من مياس، والجبور، والدغم، والقرشة[1]، وآل ميخر وآل بيوت، والمعامرة والعلجات وهؤلاء من خالد.

وفرقة من عائذ وهم آل يزيد وشيخهم ابن معامس، والمزايدة[2] وشيخهم كليب بن أبي محمد، وبنو سعيد وشيخهم محمد العليمي، والدواسر[3] وشيخهم رواه بن بدران))

بنو يزيد: دارهم ملهم وبيبان وحجر ومنفوحة وصُباح (ماء بقرب المدينة) والبرة والعويند وحو[4].
والمزايدة: دارها البخراء وحرمة.. وسمحة الدبل والحنوة والهُريم و لريك ونعام والحرج[5].

وقال العمري ((ويأتيهم من عرب البرية: آل طُفَير، والمفارجة، وآل سلطان، وآل غُزي، وآل برجس، والخرسان وآل المغيرة، وآل بني نعيس، والزراق، وبنو حسين الشرفاء، ومُطير، وخثعم، وعدوان، وعُنَزة))[6]

قال ابن لعبون: منازل العائذيين بين العيينة و سدرعية وفيها آل يزيد وأهلكهم آل درع والموالفة، أما المزايدة فديارهم الحرج، أما الدواسر فديارهم واديهم الذي هم فيه، ولم نعلم لعائذ بادية مستقلة تنسبها إلا الدواسر (وهم ليسوا منهم).

وجود بني الأخيضر مع عائذ نجد

قال ابن عنبة[7] نقلاً عن الشيخ العلامة محمد بن معية الحسني المتوفى في(ت٧٧٦هـ) أن إبراهيم ابن شعيب اليوسفي حدثه أن بني يوسف الأخيضر مع عامر وعايذ نحو من ألف فارس يحفظون شرفهم ولا يدخلون فيهم غيرهم، ولكنهم يجهلون أنسابهم ويقال لهم بنو يوسف - آخر ولد يوسف الأخيضر وهم آخر ولد إبراهيم ابن الجون والله أعلم[8].

---

(١) صحتها القرشة، وفي قول الشيخ إبراهيم بن عيسى في مخطوطاته: أن آل حميد والمهاشير يقال لهم القرشة

(٢) تصحيف للمزايدة.

(٣) في الأصل الدراشر والصحيح ما أثبتناه.

(٤) مسالك الأبصار للعمري ت٧٤٩هـ ج٤ ص٣٥٤

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه ج٤ ص٣٣٧.

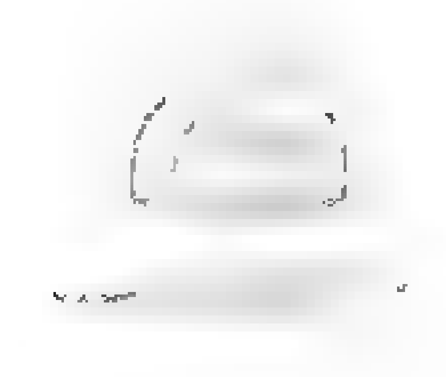
(٧) ولد في حدود سنة ٧٤٨هـ

(٨) عمدة الطالب لابن عنبة، في الرسائل الكمالية ص٢١٦.

وقال ضامن بن شدقم الحسيني: ((قال في العمدة. حدثنا السيد الجليل العلامة.... محمد بن معية الحسني قال: حدثني إبراهيم بن شعيب.. قال: إن بني يوسف يوفون على ألف فارس عارفين بعلو مراتبهم على غيرهم من الأعراب، محافظين على شرف ذاتهم ومنهاج آبائهم وأسلافهم الأطياب، فمنها عدم مناكحة نسائهم برجال الأعراب، إلا أنهم همج رعاع لافرق بينهم وبين العوام، لا يعلمون باتصال نسبهم بأسلافهم الكرام فهذا غير مناف باتصال نسبهم بالدوحة العلوية، ولا يقصر عن الزهراء البتول الفاطمية، ويقال لولده بنو الأخيضر))[1].

طاعون الطائف

٥٩٩هـ ((من أول رجب إلى رمضان حل الوباء بالطائف حتى ما بقي فيها ساكن وكان الطاعون الذي نزل بهم إذا ظهرت علاماته في أبدانهم لا يتجاوزون خمسة أيام، ومن يتجاوز خمسة أيام لم يهلك، وامتلأت مكة بأهل الطائف، وبقيت دورهم مفتحة وأمتعتهم مطروحة، ودوابهم في مراعيها، وكان الغريب في تلك المدة إذا مرّ أحد بأرضهم فتناول شيئاً من أموالهم ودوابهم وطعامهم أصابه الطاعون من ساعته، وإذا مر ولم يأخذ شيئاً سلم من ذلك فحمى الله أموالهم في تلك المدة لمن بقي منهم ولمن ورثهم وتابوا إلى الله وسكنت الفتن التي كانت بينهم في تلك السنة))[2]



(١) تحفة الأزهار لضامن بن شدقم تحقيق كامل الجبوري ج١ ص٣٨٠

(٢) إتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهيم شلتوت جامعة أم القرى ط١/١٩٨٣ ج٢ ص٥٦٩.



أحداث
القرن السابع الهجري


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إيقاع محمد بن أبي الحسين ببني مالك على الدجاني

٦٠١هـ يقول شاعر العيونيين جمال الدين أبو عبد الله بن المقرب هذه الأبيات التي نقتطفها من قصيدة طويلة وهي مدح للأمير محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل الذي كانت له الوقعة المشهورة بالدجاني شرق الأرطاوية مع بني مالك.

سَلُوا تُخْبَرُوا مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ بِقِصَّةٍ ... بَنِي مَالِكٍ فَالْخُبْرُ لِلْحَقِّ قَائِلُ

أَلَمْ يَجْلِبِ الْجُرْدَ الْعِتَاقَ شَوَازِباً ... مِنَ الْخَطِّ تَتْلُوهَا الْمَطَايَا الْمَرَاسِلُ

إِلى أَنْ أَنَاخَتْ بِالدَّجَانِيِّ بَعْدَمَا ... بَرَاهَا السُّرَى وَالأَيْنُ فَهْيَ نَوَاحِلُ

فَصَبَّحَ حَيّاً لَمْ تُصَبَّحْ حِلالُهُ ... قَدِيماً ولا رَامَتْ لِقَاهُ الْجَحَافِلُ

فَكَمْ غَادَرَتْ مِنْ قَرْمِ قَوْمٍ مُجَدَّلاً ... تَمُصُّ شَوَاهُ الحَائِمَاتُ الْمَوَابِلُ

وَكَمْ عَاتِقٍ لَمْ تَتْرُكِ الخِدْرَ سَاعَةً ... تُقَلِّبُ كَفَّيْهَا لَهُ وَهْيَ ذَاهِلُ

تَقُولُ ودمعُ العَيْنِ مِنْهَا كَأَنَّهُ ... جُمَانٌ هَوَى مِنْ سِلْكِهِ مُتَزَايِلُ

حَنَانَيْكَ يا ابْنَ الأَكْرَمِينَ فَلَمْ تَدَعْ ... لَنَا أَمَلاً تُلْوَى عَلَيْهِ الأَنَامِلُ

قال شارح ديوان ابن المقرب: بني سلمان ولبيد من بني مالك من طيّئ: كان قد غزاهم - الأمير محمد بن أحمد في الدجاني - فاجتاح الأموال وملك الحريم والبيوت وأخرجهم منها ثم إنه ترك النساء[1]

أحفاد أبي سعيد ما زالوا موجودين ويسمون السادة

يروي الجوبري في كتاب كشف الأسرار الذي كتبه في مطلع القرن السابع أنه رأى في الإحساء عقباً لأبي سعيد يعرفون بـ ((السادة))[2].

(1) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج٢ ص١٠٨٨.

(2) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٢٣٢ عن ثلاثية الحلم القرمطي للاذقي ص٤٧

وقعة المصارع ببدر بين الشريف قتادة والشريف سالم

٦٠١هـ زحف أبو عُزيز قتادة من مكة، وحصر صاحب المدينة سالم بن هاشم بن القاسم بن مهنا الأعرج الحسيني، فألحّ في حصاره، ثم إن سالماً قصد الحجرة النبوية فصلّى عندها ودعا وسار ملقيه، فانهزم قتادة، وجاء المدد لسالم من بني لام[1].

حرب بني عامر على الأمير محمد بن أحمد

٦٠٢هـ قال علي بن المقرب قصيدة في الأمير محمد بن أحمد وذلك حين تحالفت عامر على حربه وهي يومئذ برئاسة بني كعب الحجاجية

فَمَنْ مبلغٌ عنّي عَقِيلَ وقومَها	وإنْ بَعُدَتْ دارٌ وشَطَّ مَزارُ
رُوَيْداً بني كَعْبٍ أَبقُوا وَرَاجِعوا	حُلُومَكُمُ مِنْ قَبْلِ تُضْرَمَ نارُ
وأُقْسِمُ إن نَبَّهْتُمُ الحَرْبَ ساعَةً	وَصَمَّمْتُمُ نحوَ الأميرِ مغارُ
لَيَصْطَبِحَنْ كأساً عَلَيْكُمْ مَريرَةً	يَطُولُ لَكُمْ سُكْرٌ بِها وَخُمارُ
بِها شَرِبَتْ مِنْ قَبْلُ عَوْفُ بنُ عامِرٍ[2]	غَداةَ دَعَتْهَا نَزْعَةٌ ونِفارُ
بِكَفِّ أبِيهِ لا بِكَفِّ أبِيكُمُ	فَرَاحَتْ وَفِيهَا ذِلَّةٌ وصَغارُ
وإنَّ أبا الجَرَّاحِ فيكُمْ وَقَوْمَهُ	كما كانَ في حَيِّ ثمودَ قُدارُ[3]

مقتل محمد بن أحمد بمؤامرة غرير بن حسن وراشد بن عميرة

٦٠٣هـ أسهم (غرير بن حسن بن شكر بن علي بن عبد الله العيوني) مع (راشد بن عميرة بن سنان بن عقيلة) وهو يومئذٍ شيخ عقيل بالبحرين صهر الأمير (محمد) في نسج مؤامرة ضد الأمير محمد، حيث اتفقا على الفتك به والتخلص منه وتسليم السلطة لغرير في مقابل حصول راشد على جميع الأموال الخاصة بالأمير محمد وما زال ابن عميرة يتحين الفرص المؤاتية – ومعه غرير بن الحسن – لوضع خطة المؤامرة حيز التنفيذ حتى تمكن من اغتيال الأمير محمد وهو في طريقه بين صفوى والآجام في قلة من رجاله فانتقل الحكم بالقطيف إلى (غرير) وكان لمحمد من الأولاد ثلاثة هم (فضل) و(علي) و(ماجد). ووفى غرير بن حسن لراشد بجميع ذلك ولم يبق للسلطان في جميع بساتين القطيف وأرضها قليل ولا كثير.

---

(١) الضوء اللامع للسخاوي، وراجع تحفة الأزهار لضامن بن شدقم تحقيق كامل الجبوري ج١ ص٤٤٤، قال ابن خلدون: ((وجاء المدد إلى سالم من بني لام إحدى بطون همدان))

(٢) [عوف بن عامر] يعني عامر ربيعة

(٣) [قدار] هو الذي عقر ناقة ثمود.

محمد بن ماجد في الإحساء وغرير بن الحسن في القطيف

وبعد مقتل الأمير محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبدالله، استولى غرير بن الحسن بن شكر بن علي على مقاليد الحكم في القطيف كما استطاع الأمير محمد بن ماجد بن محمد بن أبي منصور علي بن عبدالله العيوني أن يستولي على الإحساء، واستقل بحكمها وذلك كله كان في سنة ٦٠٣هـ.

وقد أمر غرير بن الحسن بسجن الشاعر علي بن مقرب العيوني ومصادرة أمواله متهماً إياه بموالاة آل الفضل بن عبدالله العيوني وبعد فترة أفرج عنه فرحل الشاعر إلى البصرة وعاد سنة ٦٠٥هـ- ١٢٠٨م إلى الإحساء فامتدحه بقصيدته التي مطلعها. (حدو، عن يمين المنحنى أيها الركب لنسأل لذاك الحي ما صنع السرب). وأمل أن يرجع عليه ماله فلم يفعل فرحل إلى العراق ثانية

حرب الشريف قتادة لهوازن وثقيف

٦٠٣هـ في هذه السنة ذهب الشريف قتادة إلى الطائف لتأديب قبائل ثقيف وهوازن واستطاع إيقاع الهزيمة بهم[1].

كرم الخليفة الناصر واحتفاؤه بالضيوف والفقراء

٦٠٤هـ في شهر رمضان: ((أمر الخليفة ببناء دور في المحال في بغداد ليفطر فيها الفقراء، وسميت دور الضيافة، يطبخ فيها اللحم الضأن، والخبز الجيد، عمل في جانبي بغداد وجعل في كل دار من يوثق بأمانته، وكان يعطي كل إنسان قدحاً مملوءاً من الطبيخ واللحم، ومناً من الخبز فكان يفطر في كل ليلة على طعامه خلق لا يحصون كثرة))[2].

عودة الشاعر ابن المقرب من العراق

٦٠٤هـ في هذه السنة كانت ((رحلة علي بن المقرب إلى العراق وكان محمد بن ماجد بن محمد بن علي بن عبدالله ملك الإحساء قد قبض عليه وجعله في مطمورة تحت الأرض وكان ذلك في عهد الأمير أبي القاسم مسعود بن محمد بن علي حين ملك الإحساء وبعد أن خرج من سجنه كان أكثر ثورة وحدة لتغيير واقعه وحين أحس أن الجميع تنكر له دفعته مرارة الاغتراب داخل وطنه إلى الرحلة خارجه إلى العراق.

فذهب إلى مدينة السلام وبعد أشهر معدودة عاد من تلك الناحية إلى البحرين بعد أن عمل في الأمير محمد بن ماجد القصيدة التي أولها (حدوا عن يمين المحنى أيها الركب) وذلك سنة٦٠٥هـ وطمع

(١) بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف للدكتور سليمان عبدالغني مالكي الرياض ص٦٧.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج١٢ ص٢٧٨.

أن يرد عليه بستاناً من بساتينه فلمّا أنشده القصيدة وعده وعداً جميلاً، لذلك قال القصيدة التي أولها:

(أمـن دمـنـة بـيـن الـلـوى والـدكـادك).

وقعة بين العقيلات والأمير مسعود بن محمد ملك الإحساء

أشار شارح ديوان ابن المقرب، ولم يحدد تاريخ السنة إلى قصيدة قالها ابن المقرب في مدح أبي القاسم مسعود بن محمد بن علي بن عبدالله:

((له في الحرب التي جرت بين البدو وبين أهل الإحساء في زمان أبي القاسم - مسعود بن محمد ابن علي - يحض الأمير أبي القاسم وأولاده وجميع قبائل أهل الإحساء براريها وقحطانيها على الحرب ويرغبهم في الصبر ويقبح عليهم الخضوع للعدو. وكان أهل الإحساء قد قتلوا رجلاً من البدو من العقيلات[1]، يقال له شكر بن مفرج بن جحاف بن عميلة وكان قد أكثر التلصص والفساد والتعرض للمساكين من الأكارين والضعفة فإن لحق عند أحد منهم حمارٌ عقره، أو رأى عليه ثوباً سلبه أو شيئاً مقدار نصف الحبة والذرة أخذه منه. ففي بعض تلصصه وتعرضه طلعت عليه خيل أهل البلد فقتلوه فقامت أهله وقامت عامر معهم على الأمير أبي القاسم وطلبوه بديته، فلان لهم في ذلك فأنكرت أهل الإحساء عليه ذلك وقالوا هذا الشيء لا نقرّه ولا نصبر عليه فحينئذٍ قامت الحرب على ساقها وتسهل من الأسباب الحسنة أن أقواماً من أهل البلد دبروا للبدو تدبيراً قواهم على البلد وأعانهم على أهله))[2].

ومما يلي القصيدة التي قالها شاعرنا في هذه المناسبة وسأختار منها بعض الأبيات

٢- أمَا حانَ يا فرْعَيْ ربيعةَ[3] أنْ أرَىٰ	بناتِ الوَغَى يعلو الرَّوابي قَتامُها
١٠- سَلُوا عَنْ مُلوكٍ منكمُ هلْ أقادَها	قُعُودُ عقيلٍ بعدَها أو قيامُها
١١- وَهَلْ دَفَعَتْ عن ماجِدِ بنِ مُحَمَّدٍ	وفَدَركانُ منهُ جِلْهَا وَحَرَامُهَا
١٢- وَهَلْ طَلَبَتْ ثَأْرَ ابْنِ شُكْرٍ وَهَلْ حَمَى	أبا ماجدٍ خَطِّيُّها وَحُسَامُها
١٣ وَهَلْ عَنْ عزيزٍ طاعنتْ وهو اختَوَتْ	مُناها وبالبحرَيْنِ جازَ احتِكامُها

((كل هؤلاء ملوك البحرين من نسل عبدالله بن علي وهم أكثر من مال إلى البدو وأمكنهم من البلاد وأعطاهم أملاك خزائن ملوكها وأملاك أهلها ودفع إليهم قوتها من فرس ودرع ومغفر وسيف اعتماداً عليهم وركوناً إليهم فلم يكن سبب هلاك دولتهم غيرهم)).

---

(١) يقصد أن العقيلات هم بنو عميلة، أو ربما أن عميلة تصحيف لعقيلة، وهم من بني (عقيل بن عامر) بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ومنهم مانع بن عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان بن عميلة بن شبانة بن قديمة هذا بن (عامر). وبين عامر بن بنانة وبين عقيل بن عامر مقدار سبعة آباء تقريباً والله أعلم

(٢) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج٢ ص٧٧١

(٣) فرعا ربيعة. وائل وعبد القيس. وبنات الوغى: الخيل

انتزاع الفضل بن محمد القطيف بدعم الخليفة وبعض القبائل

٦٠٦هـ في هذه السنة تمكن الأمير فضل من الانتقام لأبيه المقتول في سنة ٦٠٣هـ واسترد حكم والده على القطيف، فقد قام بمكاتبة الخليفة الناصر العباسي(٥٧٢-٦٢٢هـ) فأمده بالمال والذخيرة والمجنيقات وبالرجال المدربين على الأسلحة المتنوعة بينهم قوم يرمون بالسهام وآخرون يزرقون بالنفط.

الأمير فضل يعقد صلحاً مع صاحب جزيرة قيس

وفي سبيل إنجاح خطته فقد اتصل الفضل بن محمد بن أحمد بن الفضل بحاكم جزيرة قيس من أجل مده بالرجال والعون لعلمه أنه على صلة وثيقة بأمير المؤمنين في بغداد الذي بارك لهما تعاونهما واتفاقهما، وقد نصّت الاتفاقية على أن يكون لحاكم جزيرة قيس الأمير غياث الدين ابن الأمير تاج الدين جمشيد كل من[1].

١- جزيرة أكل (ويقال لها كاوان) ومقاسمها وبرها وبحرها وخراجها وما يتعلّق بها.

٢- جزيرة الجارم وما يتعلق بها (والجارم جبل أسود قريب من أوال يقيم به الغواصون الشهر).

٣- جزيرة الطيور وهي قوارة وقتن (وهما جزيرتان تسميان في الوقت الحالي بالرنض).

٤- أدم المدينة ما خلا مائتي جذع.

٥- ما في ظهر الحورة وظهر سماهيج (جزيرة بين البحرين وعمان) من مساكر السمك إلى المروران (ساحل بني مروان).

٦- خمسمائة دينار في كل سنة لملك قيس.

٧- أن يكون الخراج والمقاسم والنخيل والخاصة والحلقة وطراز العاصة والطير والطيارات (أي المظلات التي تقام في أماكن معروفة للبيع والشراء ولعلها الدخل الذي تصطاد به الطيور العابرة)، والعشور بين ملك قيس وملك العرب نصفين.

٨- أن يكون لقيس من مقاسم تاروت الحسيني والحساسي ومقسم القصر.

٩- من مقاسم القطيف بستان القصير وبستان العمشري ودالية الدار والدار والعايدية ونصف طراز العاصة الذين هم ليسوا من أهل القطيف وخمسة وثلاثون بهاراً من الخراج لملك قيس زيادة على النصف عوضاً عن بستان المصفاة التي في الإحساء.

وكانت اتفاقية الصلح التي عقدها الفضل مع حاكم جزيرة قيس سنة ٦٠٦هـ مجحفة ولم يرد بها أهل الإحساء.

ثم انحدر الفضل من بغداد وسار إلى القطيف وسار معه خاله (الحسين بن مقداد بن سنان بن عقيلة

---

(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٣٠٥

ابن شبانة بن قديمة) ممن تبعه من عامر وغيرها، فعمد إلى استمالة القبائل حتى كثر أتباعه فزحف على مدينة القطيف فحالفه قوم من أهلها فمكنهم بعد حرب دامت أشهراً، وقتل غريراً الذي لم يتمتع بالحكم سوى سنة واحدة وتتبع قتلة أبيه فأعدم أكثرهم.

وكان للشاعر علي بن المقرب مساهمة في نقل المؤن من بغداد إبان تلك الحملة، ففي سنة ٦٠٦هـ انحدر ابن المقرب من العراق ومعه الخزانة التي كان أعدها بها الخليفة الناصر لدين الله الأمير فضل بن محمد بن أبي الحسين على حرب القطيف، وكان قد أتاه إلى بغداد يستمده. وعند وصول ابن المقرب إلى أرض من أرض القطيف بالبحرين تسمى دان، ويقال دان وأوان بلغهُ خبر قتل ابن عمه مذكور بن عبدالله بن منصور وكان قد قتله رجل من الحريش سنة ٦٠٦هـ[1] وقد قال علي بن المقرب وهو في العراق سنة ٦٠٥هـ:

وَلَـوْلا بَـنـاتُ الـعـامِـرِيَّـةِ لَـمْ أَكُـنْ	لأُلْـوِي إِلـى دارِ الـمَـذَلَّـةِ جـانِـبـا
وَلٰـكِـنَّـنِـي أَخْـشَـى عَـلَـيْـهِـنَّ أَنْ أَرَى	بِـهِـنَّ عَـدُوّاً مـالَـهُ كـانَ طـالِـبـا

كأني بالشاعر علي بن مقرب قد حضر للديوان الخليفة العباسي، عندما كان الأمير فضل موجوداً في حضرة الخليفة الناصر وربما كان له دور ما في إقناع الخليفة العباسي بقضية الأمير فضل العادلة وطلب المساعدة ومد يد العون له لاستعادة عرش والده الذي سلب منه غدراً، هذا إن لم يكن طلبه مشفوعاً بقصيدة شعرية غير خالية من أغراض المدح والحماسة وأن التاريخ فقدها فلم تصلنا، والله أعلم.

٦٠٧هـ وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوة، ويلبسوا له سراويلها، وأن ينتسبوا إليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم[2]

شدائد جرت على الحجاج في مكة المكرمة

٦٠٨هـ ((وفي هذه السنة نهب الحاج في منى وسبب ذلك أن باطنيًا وثب على بعض أهل الأمير قتادة صاحب مكة فقتله بمنى ظنًا منه أنه قتادة، فلمّا سمع قتادة ذلك جمع الأشراف، والعرب والعبيد وأهل مكة وقصدوا الحاج ونزلوا عليهم من الجبل ورموهم بالحجارة والنبل وغير ذلك، وكان أمير الحاج ولد الأمير ياقوت المقدم ذكره وهو صبي لا يعرف كيف يفعل فخاف وتحير وتمكن أمير مكة من نهب الحاج فنهبوا منهم من كان في الأطراف وأقاموا على حالهم إلى الليل

فاضطرب الحاج وباتوا بأسوأ حال من شدة الخوف من القتل والنهب. فقال بعض الناس لأمير الحاج لينتقل بالحجاج إلى منزلة حجاج الشام، فأمر بالرحيل فرفعوا أثقالهم على الجمال واشتغل الناس بذلك فطمع العدو فيهم وتمكن من النهب كيفما أراد فكانت الجمال تؤخذ بأحمالها والتحق من سلم بحجاج الشام فاجتمعوا بهم، ثم رحلوا إلى الزاهر ومنعوا من دخول مكة ثم أذن لهم في ذلك، فدخلوا

(١) ديوان ابن المقرب ط.م.البابطين ج٢ ص١٠٤١.

(٢) تاريخ أبي الفدا

وتمموا حجهم وعادوا. ثم أرسل قتادة ولده وجماعة من أصحابه إلى بغداد فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والأكفان فقبلوا العتبة واعتذروا مما جرى على الحجاج))[1].

طلب الخليفة الناصر حضور الشريف قتادة ثم إرساله جيشاً لمكة

٦٠٩هـ وفيها: أرسل الخليفة الناصر لدين الله في بغداد إلى قتادة مالاً وخلعاً وطلب إليه الشخوص إلى بغداد، فتوقع الشر قتادة وأبى أن يستجيب دعوة الخليفة وكتب إليه يقول في قصيدة طويلة:

وَلِي كَفُّ ضِرغَامٍ أُذِلُّ بِبَسْطِهَا وَأَشْرِي بِهَا عِزَّ الوَرَى وَأَبِيعُ

الأبيات المعروفة...

فغضب الخليفة وكتب إليه: (أما بعد فإذا نزع الشتاء جلبابه ولبس الربيع أثوابه قابلناكم بجنود لا قبل لكم بها، ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون) ولما تسلم قتادة إنذاره أعد نفسه لمواجهة الشدائد وكتب إلى بني عمه آل المهنا في المدينة يحثهم على مناصرته ويذكرهم بجامعة القربى، ومما كتبه:

بَنِي عَمِّنَا مِنْ آلِ مُوسَى وَجَعْفَرٍ وَآلِ حُسَيْنٍ كَيْفَ صَبْرُكُمُ عَنَّا

بَنِي عَمِّنَا إِنَّا كَأَفْنَانِ دَوْحَةٍ فَلا تَتْرُكُونَا يَجْتَنِي القَنَا مِنَّا

إِذَا مَا أَخٌ خَلَّى أَخَاهُ لآكِلٍ!! بَدَا بِأَخِيهِ الأَكْلَ ثُمَّ بِهِ ثَنَّى

وفي عام ٦١٠هـ أنجزت بغداد وعيدها فأرسلت جيوشها إلى المدينة وكان آل المهنا عند ظن قتادة بهم فقد قاوموا المهاجمين وكسروهم فما لبثت بغداد أن قنعت بما حدث واقتنعت بقوة قتادة واستأنف الخليفة معه العلاقات الودية وأقطعه قرى متعددة[2].

مسير الشريف قتادة إلى المدينة المنورة وانهزامه

٦١٢هـ ((زحف قتادة إلى المدينة وحاصرها وأفسد كثيراً من نخلها وكان سالم بن المهنا لا يزال في صحبة صاحب حلب - الملك عيسى بن العادل الأيوبي - في رجوعه إلى الشام فدافع أصحابه عن المدينة حتى هزموا قتادة إلى وادي الصفراء - في طريق المدينة من ينبع - ثم انتهت الأخبار إلى أمير المدينة بالشام فغادرها مسرعاً إلى المدينة وبهذه المناسبة أبدى صاحب حلب ما أسرّه لقتادة فقد جهز جيشاً عظيماً من التركمان وأرسله بصحبة أمير المدينة ليعينه على قتال قتادة وقد اتصل جيش سالم بوادي الصفراء فهزم قتادة هزيمة نكراء وغنم من أمواله وسلاحه شيئاً كثيراً وأسر من جيشه عدداً كبيراً سيره إلى دمشق وكان في الأسرى كثير من الأشراف الحسينيين ومثلهم من الحسنيين وقد دفعوا إلى بعض أشراف دمشق ليكفلوهم ويشاركوهم في حصصهم من أوقاف الأشراف))[3].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج١٢ ص٢٩٧.

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٢٦-٢٢٧.

(٣) المصدر السابق ص٢٢٨.

وحصل لحميد بن راجب من الغنيمة - التي كسبوها من هزيمة الشريف قتادة - ما يزيد على مائة فرس وهو واحد من جماعة كثيرة من العرب الطائيين[1].

إيقاع الشريف قتادة بقبيلة ثقيف بالطائف

٦١٣هـ في جمادى الأولى صعد الشريف قتادة صاحب مكة للطائف لحرب ثقيف فظهر قتادة على ثقيف، فقتل جماعة من مشايخ ثقيف بدار بني يسار من قرى الطائف ونهب الجيش البلاد ففقد كتاب النبي ﷺ لأهل الطائف وكان عند شيخهم حمدان الثقفي العوفي. وفر من ثقيف طائفة وتحصنوا في حصونهم فأرسل إليهم قتادة يستدعيهم للحضور إليه ويؤمنهم، وتوعدهم بالقتل إن لم يحضروا، فتشاورت ثقيف في ذلك ومال أكثرهم إلى الحضور عنده.

٦١٥هـ ((ملك جزيرة قيس)) فرّ على نفسه نصف دخل جزيرة قيس للخليفة في بغداد، وكان في الجزيرة عامل للخليفة وعامل لصاحب كيش[2].

رحيل المنتفق من بلاد العراق إلى الإحساء والقطيف وعودتها

قال النبهاني: وظلت عشائر المنتفق في البطائح إلى سنة ٦١٦هـ- ١٢١٨م حيث حصل منهم ما كدر صفاء الأمن والراحة، فوجه الخليفة الناصر لدين الله نحوهم جنوده تحت قيادة الشريف معد المتولي على بلاد واسط يومئذ فسار لقتالهم .. حتى التقى بهم في موضع يعرف بالمقير وهو تل كبير بالبطيحة قرب الغراف على مسافة ١٠أميال جنوب الناصرية.

وكان رئيس المنتفق يومئذ معلى بن معروف وجرت بينهما معركة أسفرت عن انكسار عشائر المنتفق، وطعنهم من أماكنهم واضطرارهم إلى الجلاء عن البطائح فذهبوا نحو الإحساء والقطيف ليستوطنوا فيهما فما تمكنوا من البقاء لكثرة أضداد هم هناك. فعادوا نحو البصرة وطلبوا من متسلمها بأن يكاتب وزارة بغداد بالعفو عنهم ليعودوا هادئين، فكتب لهم بذلك وسيرهم مع أصحابه إلى بغداد ليعرضوا الخضوع...، فلمّا قربوا واسط لقيهم قاصد من الوزارة يقود سرية ومعه الأوامر بمقاتلتهم وعدم الإذن لهم بالدخول إلى العراق فتحاربوا معه حتى تفوقوا عليه وغنموا منه بعض الأسلحة فتمكنوا بها من احتلال البطيحة وذلك عام ٦١٧هـ وقيل ٦١٨هـ وعاد جميع بني معروف وقوي أمرهم فيها[3].

---

(١) إتحاف الورى بأخبار أم القرى لنجم عمر بن فهد تحقيق فهيم شلتوت جامعة أم القرى ط١/١٩٨٣ ج٣ ص٢١

(٢) صفة بلاد اليمن لابن المجاور ص٢٢٧

(٣) التحفة النبهانية. ويروي ابن الأثير أن الخليفة الناصر لدين الله في شهر ذي القعدة سنة ٦١٦هـ أصدر أوامره إلى الشريف (معد) متولي بلاد واسط بأن يتوجه إلى قتال بني معروف فاستعد لذلك بعدما جمع الجيوش من تكريت وهيت والحديثة والأنبار والحلة والكوفة وواسط والبصرة. وكان عددهم كبيراً، وكان على رأس بني معروف - وهم قوم من ربيعة - زعيمهم المعلى بن معروف. انظر: موسوعة البصرة الحضارية جامعة البصرة

وقعة ربيعة بن نزار مع المنتفق

في حدود هذه السنة (٦١٦هـ) كانت هناك وقعة بين المنتفق والعيونيين عندما حلوا في أرضهم لاجئين. فمما ذكر في شرح ديوان ابن المقرب، أنه لما أطال أمير الإحساء محمد بن ماجد على ابن المقرب المطل في إعادة حقوقه المصادرة، وخاف على نفسه خرج إلى القطيف، وواليها فضل بن محمد، وامتدحه بقصيدتين فلم يحظ منه بطائل، وقد تضمنت إحدى هاتين القصيدتين ذكر وقعة لربيعة مع المنتفق بقيادة رئيسهم المعلى بن معروف فأوردناها لتوثيق هذه الوقعة، فهو يقول

مِنْ بَعْدِ ما جَمَعَتْ عقيلٌ كَيْدَهَا ... بالرَّأْيِ مِنْ عُقَّالِها وَغُوَاتِهَا

وَدَعَتْ بأَهْلِ السيبِ فانْتَدَبَتْ لَهَا ... مِنْ شَطِّ دِجْلَتِها وَشَطِّ فُرَاتِهَا

تَتْلُو المُعَلَّا حيثُ سارَ وإنَّهُ ... لَلْفَارِسُ الوَلَّاجُ في غَمَرَاتِهَا

فَتَكَنَّفَتْ أَهْلَ القَطيفِ بِخَيْلِها ... وَرِجَالِهَا وَقِسِيِّهَا وَرُمَاتِهَا

تَسْمُو لِيَوْمِكَ مِنْ ربيعةَ عُصْبَةٌ ... تَخْشَى الأُسُودُ الغُلْبُ مِنْ سَطَوَاتِهَا

تَرَكَتْ نِسَاءَ السَّيبِ تَبْكِي حَسْرَةً ... لِوُلاتِهِ وَتُطِيلُ مِنْ وَيْلاتِهَا

وفي هذا الخصوص يقول ابن المقرب في قصيدة أخرى:

٢٨- سَلِ الحائِنَ الجِذْني معروف هَلْ رَأى ... بِهَا خَوَراً والحَرْبُ تَهْفُو عِقابُها

٢٩- أَتَى مِنْ بلادِ السَّيبِ يُزْجِي كَتَائِباً ... تَضِيقُ بِهَا مِنْ كُلِّ أَرْضٍ رِحَابُهَا

قيل إن بني معروف قوم من ربيعة وشيخهم معروف المتمني، وأما بلاد السيب فهي نهر بحوارزم والبصرة وآخر في ذنابة الفرات.

الإطاحة بالأمير فضل بن محمد وتنامي قوة بني عامر

قام علي بن ماجد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل سنة ٦١٦هـ ثائراً على الأوضاع السيئة التي انتهت إليها الدولة، وأطاح بمساعدة العماير بعمه الفضل بن محمد الذي لم يوفق في انتهاج سياسة والده الحازمة تجاه مراكز القوى على الصعيدين الداخلي والخارجي. ففي المجال الداخلي أفسح المجال لقوة بني عامر بالتنامي ولتعودهم بالاتساع لما كان يتبعه معهم من سياسة متسامحة وكرم عظيم فأصبح زعماؤهم في جملة الصفوة المقربين إليه حتى أصبح طوع بنانهم لايرد لهم طلباً ولا يمنعهم من أمر فأغدق لهم الهبات وأجزل لهم العطايا كما أقطعهم الأراضي الشاسعة والعيون الجارية وكذلك المراكب التجارية. يقول ابن المقرب عن أراضي بني عامر التي استولوا عليها وسطوا عليها بنفوذهم

أخذوا من الإحساء الكثيب، إلى محاديث ... العبور إلى نقا حلوان

والخط من صفواء حاروها فما ... أبقوا بها شبراً إلى الظهران

والبحر فاستولوا على ما فيه من	صيدٍ إلى درٍّ إلى مرجانِ
وأصغرُ شيءٍ للمغلوبِ قطائعٌ	بالمحرورانِ لهم وكركانِ

وبعد عشرة أعوام من حكم العصل قام (بنو عقيل) بإرغامه على التنازل عن الحكم والخروج من القطيف وأوال وأقاموا مكانه في حكمها أبا شكر مقدم بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين أحمد من عام ٦١٦هـ إلى سنة ٦٢٠هـ، ولاقت هذه الثورة صدًى طيباً عند ابن المقرب فقال مادحاً الأمير علي بن ماجد حاكم الإحساء:

يَفْديكَ يا خَيْرَ المُلُوكِ مَعاشِرٌ	طَهُرُوا .وَلٰكِنْ عِنْدَمَا ظَهَرُوا غَبُوا
إنْ يُمْدَحُوا غَصِبُوا عَلى مُدّاحِهِمْ	خَوْفَ الجَراءِ وإنْ يُهْجَوا لَمْ يَغْضَبُوا

وفاة الشريف قتادة واستيلاء ابنه حسن على الإمارة

٦١٧هـ ((الشريف قتادة سير جيشاً إلى المدينة على رأسه أخوه وابنه حسن، فلمّا كان الجيش في بعض الطريق بوادي الفرع اجتمع أخو قتادة برؤساء الجيش وأخبرهم بأن قتادة مريض وطلب إليهم أن يعاهدوه على الإمرة فلمّا بلغ ذلك حسن بن قتادة دخل على عمه فقتله، فلمّا اتصلت الأخبار بقتادة عزم على قتل ابنه قوداً في أخيه، فعلم حسن بذلك فعاد إلى مكة ودخل بيت أبيه سرًّا وهو مريض فقضى عليه خنقاً ثم أذاع موته ونادى بنفسه أميراً على البلاد وذلك في سنة ٦١٧هـ))[1]

تنصيب مقدم بن غرير أميراً بعد هروب علي بن ماجد

٦١٨هـ في هذه السنة تم تنصيب الأمير مقدم بن غرير بن الحسين بن شكر بن علي بن عبدالله بن علي حاكماً على الإحساء بمساعدة إبراهيم بن عبدالله بن أبي جروان أحد رؤساء بني عبدالقيس، فعند وصول ابن المقرب إلى مدينة القطيف بعث بقصيدة إلى ابن أبي جروان بالإحساء يندد فيها بأعمالهم فلقد ساءه ما قام به ابن أبي جروان بمؤامرته في محاولة القبض على الأمير علي بن ماجد الذي اضطر للهرب من البلاد:

أَرِجالَ عَبْدِالقَيْسِ كَمْ أدْعُوكُمُ	في كُلِّ حِينٍ لِلْعُلا وَأوانِ
ذَرُوا التَّحاسُدَ والتَّنافُسَ بَيْنَكُمْ	فَكِلاهُمَا نَزْغٌ مِنَ الشَّيْطانِ
لَمْ يَبْقَ مالٌ تَتَّقُونَ بِهِ العِدَى	لِرَبِيعَةٍ فِيهَا وَلا قَحْطانِ
أَخَذُوا مِنَ الإحْسا الكَثِيبَ إلى	مَحَاديثِ العُيُونِ إلى نَقَا حلوانِ
وَالخَطَّ مِنْ صَفْواءَ حادوها فَمَا	أبْقَوْا بِهَا شِبْراً إلى الظُّهْرانِ
وَالبَحْرَ فاسْتَوْلَوْا عَلى مَا فِيهِ مِنْ	صَيْدٍ إلى دُرٍّ وَمَرْجانِ

---

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٣٠ عن: إفادة الأنام مخطوط

أتُراكَ تَرضَى أنْ يُحَدِّثَ جَاهِلٌ أو عالِمٌ من نازحٍ أو داني

فيقولُ كانَ خرابُ دارِ ربيعةٍ بمحمدِ المعمارِ بنو أبي جروانِ

يأبى لكَ الطَّبْعُ الكريمُ ونخوةٌ عربيَّةٌ شهدَتْ لها الثقلانِ

لما تولى الحكم الأمير مقدم لم يمتدحه الشاعر ابن المقرب ((لرداءة طرائقه)) وخرج عن قرب قاصداً العراق وقد كان وروده الموصل سنة ٦١٨هـ وقال:

وَكَيْفَ مُقَامِي بَيْنَ أوباشِ قَرْيَةٍ أرَى الرَّأسَ فِيهَا مَنْ كَانَ أسْفَلَا

بَنِي عَمِّ مَنْ أمْسَى كَثِيراً سَوَامُهُ وإنْ كانَ أدْنَى مِنْ هُتَيْمٍ وأرْذَلَا

وَأعْدَاهُ مَنْ غَالَتْ يَدُ الدَّهْرِ مَالَهُ وَإنْ كانَ أسْرَى مِنْ قُرَيْشٍ وأنْبَلَا

ويبدو أن مقدم بن عزيز العيوني قدّم أقواماً وأخّر آخرين، ومن بين الذين قدمهم وأطمعهم قبيلة هتيم التي كان ابن المقرب يحتقرها في شعره حيث يقول:

فَلا تُطْمِعِ الأوباشَ فِينَا فإنَّنَا وَحَاشَا وَمَا الأوباشُ غَيْرُ ثُفَالِ

فَإنَّ هُتَيْماً لَوْ حَوَتْ مَالَ حَاتِمٍ... هتيمٌ...فلا يَغْرُرْكَ طَيْفُ خَيَالِ

مُسْتَرْجِعٌ ما عودت مِنْ خَمِيرِهَا وَمِنْ خَرْقِ أشْنَانٍ وَخَصْفِ نِعَالِ

يذكر أن الأمير مقدم بن عزيز قد نشأ نشأة بدوية جاهلاً بشؤون السياسة حيث استغله رؤساء العشائر فأطلق لأيديهم العنان يتحكمون في مقدرات الشعب.

إمارة ابني معن بن شبيب على القطيف وأوال

٦٢٠هـ في هذا العام توفي أبو شكر مقدم بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين أحمد. وبعد وفاته تولى مكانه في ملك القطيف وجزيرة أوال الأمير فاضل وجعفر ابنا معن بن شديد بن جعفر بن الفضل بن عبدالله بن علي العيوني[1].

وقيل: قتل مقدم بن عزيز بن أحمد وتولى الحكم فاضل بن معن بن شبيب بن جعفر بن الفضل ودام حكمه ثلاث سنوات أي إلى سنة ٦٢١هـ وتولى من بعده أخوه جعفر بن معن.

وفاة الخليفة الناصر العباسي وخلافة ابنه الظاهر بأمر الله

٦٢٢هـ قال أبو الفدا في تاريخه: في أول شوال من هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله وكانت مدة خلافته (٤٧سنة) وعمي في آخر عمره.، وهو (الإمام الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء حسن...)، وكان عمر الإمام الناصر نحو سبعين سنة وكان قبيح السيرة في رعيته ظالماً لهم خرب في أيامه

(١) تاريخ الإمارة العيونية للملا.

العراق وتفرق أهله في البلاد وكان يتشيع وكان مصرف الهمة إلى رمي البندق والطيور المناسيب ويلبس سراويلات الفتوة ومنع رمي البندق إلا من ينتسب إليه فأجابه الناس إلى ذلك إلا إنساناً واحداً يقال له ابن السفت وهرب من بغداد إلى الشام...، ((وتولى ابنه الظاهر بأمر الله محمد فأظهر العدل وأزال المكوس وأخرج المحبوسين ومدته تسعة أشهر)).

اتهام الناصر في أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد

قال ابن الأثير بحق الخليفة الناصر ((كان قبيح السيرة في رعيته، ظالماً، مخرّب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أملاكهم وأموالهم، وكان يفعل الشيء وضده..... وكان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد، وراسلهم في ذلك، فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم))[1].

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج١٢ ص٤٤٠.



(١) وكان مولده بالحميمة في جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ (يكون سنه ٢٨ سنة) فكانت خلافته عشر سنين وخمسة =

وفاة الخليفة العباسي الظاهر بأمر الله وخلافة ابنه المستنصر بالله

٦٢٣هـ في ١٤ رجب. توفي الإمام الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله، فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً، ولما توفي بويع بالخلافة ابنه الأكبر أبو جعفر المنصور ولقب المستنصر بالله (٥٨٨هـ ٦٤٠هـ)، وسلك في الخير والإحسان إلى الناس سيرة أبيه، وأمر فنودي ببغداد بإفاضة العدل وإن من كان له حاجة أو مظلمة يطالع بها، تقضى حاجته، وتكشف مظلمته[١].

ولاية محمد بن مسعود بن أحمد ومقتل محمد بن ماجد بن محمد بن أحمد

٦٢٣هـ ((تولى الحكم الأمير عماد الدين أبو علي محمد بن مسعود بن أبي الحسين (أحمد) بن أبي سنان (محمد) بن الفضل بن عبدالله العيوني ولعل الفضل في اختياره يرجع إلى أخواله من (بني عقيل) وأخويه (الحسن والحسين) الذين لابد أنهم أدركوا مدى تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية في الإحساء. وما إن تسلم سلطة البلاد حتى تطلعت نفسه إلى توحيدها. فسار على رأس جيش كثيف إلى القطيف، واحتلها ورجع إلى جزيرة أوال وبسط نفوذه عليها سنة ٦٢٣هـ))[٢]

قال ابن المقرب يمدح الأمير أبا علي محمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد ويستعطفه ويذكره الأرحام والقرابات التي بينه وبينه، ويبرأ إليه من أمور كانت أقوام من اليمن قد كذبوها ونقلوها عليه يريدون به هلاكه ومحو آثاره ويذكره ما كان جرى عليه وما كان في سبب محنته لآل فضل وميله إليهم من السجن ونهب الدار واستهلاك الأموال من راسية وماشية وصامت وناطق

١- صُعُودُ العُلا إلّا عَلَيْكَ حرَامُ ... وَعَيْشٌ سِوَى ما أنْتَ فِيهِ حُمَامُ

٦٩ أَلَيْسَ أَبِي في الانتِسَابِ أبُوكُمُ ... عَلَى أنَّنِي عِنْدِي لَكُمْ وَعُلامُ

---

* وأربعين يوماً وكان أسمر طويلاً معتدل الخلق جعد الشعر بعينه اليمنى نكتة بياض، وتزوج ريطة بنت السفاح وأولدها عليًّا وعبدالله ، وكان يتاع الجواري وأول من حظي منهن عنده رحيم ونبت له العباسة، ثم الخيزران فولدت له موسى وهارون.

(٢) ٢٤٧هـ قتل جماعة الخليفة العاشر المتوكل على الله بدليل على يد الأتراك بالاتفاق مع ابنه المنتصر بالله وبغا الصغير الشرابي.

وقتل في مجلس شرابه وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان، وعمره نحو أربعين سنة وكان أسمر خفيف العارضين

(٣) ولد٢٢٢ بويع٢٤٧ ت٢٤٨هـ.

(٤) ت٦٢٢هـ، وأم الناصر أم ولد تركية اسمها زمرد وكانت خلافته (٤٦سنة و١٠ أشهر.) وكان عمره (٧٠تقريباً).

(٥) أول الخلفاء العباسيين في مصر.

(٦) ولد ٥٨٨ وبويع ٦٢٣ ت ٦٤٠هـ

(٧) آخر الخلفاء العباسيين في بغداد، قتله التتار سنة ٦٥٨

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج١٢ ص٤٥٦.

(٢) تاريخ الإمارة العيونية للملا.

٧٠- أمَا الجَنِيحَ مالِي في هَوَاكُمْ وأشهرتْ ‏ ‏ بِدا السِّجْنِ عَيْنِي وَالعُيونُ نِيامُ

٧١- فَرَاغُوا وما بِي قَدْرَ ظَنِّي فَكُلُّتْ ‏ ‏ صَدَى عَنْ قَرِيبٍ فِي التُّرابِ وَهَامُ

٧٢- فَلَمْ يَبْقَ إلّا أنْ تُرَمَّ رَكائِبِي ‏ ‏ ويُصْبِحَ كِبْدٌ بَيْنَنا وَسَنامُ

٧٣- فَخَيْرٌ مِنَ الاحْسَاءِ إنْ دامَ عَتْبُكُمْ ‏ ‏ أُشَيٌّ وواوي مَلْهَمٍ وَنَعامُ

وأخبر شارح الديوان أن كبد وسنام: موضعان قريبان من البصرة، وأن أُشَيّ وملهم ونعام: من قرى اليمامة ثم قال: و((هي في وقتنا هذا خراب غير مسكونة)).

إغارة غزية البطنين على بلد حمص

٦٢٤هـ في شهر جمادى الآخرة. ((أغارت العرب وهم غزية البطنين[1] وغيرهم على بلد حمص وأخذوا حتى غنم أهل البلد. ووقع الصوت وركب العسكر وتبعوا العربان إلى معظم الطريق، وكان فيهم قوة ومنعة لكثرتهم فعاد عنهم بمراسلة جادت بينهم ودنت توفيقاً من الله))[2]

استيلاء ملك هرمز على جزيرة قيس

في يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الآخرة ٦٢٦هـ قتل الملك سلطان قوّام الدين بن قيصر آخر ملوك جزيرة قيس من بني قيصر على يد حاكم جزيرة هرمز سيف الدين نابصر نصمّها إلى ممتلكاته، وكان ذلك بتحريض من حاكم فارس الأتابك سعد بن زنكي بعد أن أمدّه بالمساعدات العسكرية والمالية، ثم قام سيف الدين حاكم هرمز والوريث الشرعي لجزيرة قيس بإرسال عماله إلى العيونيين لتحصيل عوائد بلاد البحرين بأنفسهم[3].

استيلاء الأمير منصور على القطيف وأوال بعد الأمير محمد بن مسعود

٦٢٦هـ هب الأمير (منصور بن علي بن ماجد) من سلالة الأمير (علي بن عبدالله العيوني) لمحاربة مسعود وإخوته وانتزعوا القطيف وأوال من يدهم حينذاك اقتصرت سلطة الأمير محمد بن مسعود على الإحساء فقط، وكان ذلك سنة ٦٢٦هـ[4] وقيل تم ذلك في سنة ٦٢٧هـ فقد انتزع منصور بن علي بن ماجد السلطة في القطيف وأوال من قبضة محمد بن مسعود بعد أن تمكن من قتل أخويه ((الحسن والحسين)) وذلك في أوائل سنة ٦٢٧هـ ولم يتمتع بحكمه سوى بضعة أشهر حيث نجح محمد بن محمد بن ماجد في إخراجه من القطيف والاستيلاء عليها، وظل الأمير منصور بن علي بن ماجد يحكم إلى سنة ٦٣٠هـ.

---

(١) في صبح الأعشى نقلاً عن الحمداني غزية بن أفلت بن ثعل بن عمرو بن سلامان بن ثعل بن الغوث بن طيئ منهم البطنين وأفخاذهم آل دعيج وآل روق وآل رفيع.

(٢) من التاريخ المنصوري. تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان تأليف أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الأموي الملقب بالأصيل ط١٩٨١.

(٣) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٣٠٨.

(٤) تاريخ الإمارة العيونية لعبدالرحمن الملا.

دخول الأمير محمد بن محمد بن ماجد للقطيف والنداء به ملكاً

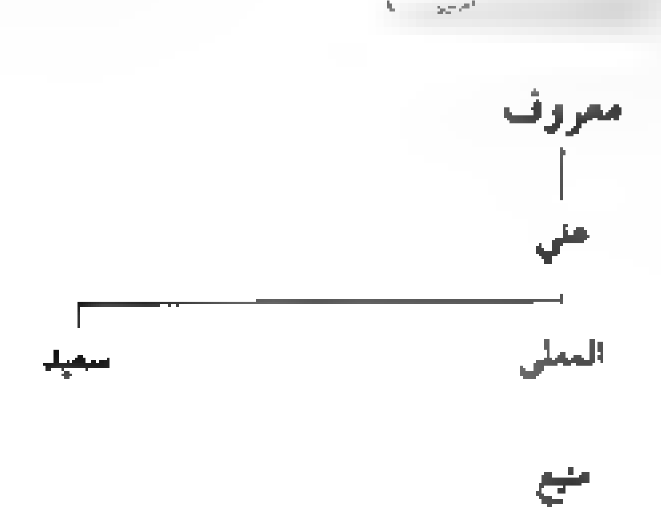
نجح الأمير محمد بن محمد بن ماجد العيوني بإعداد جيش كثيف من رجال البادية بمساعدة أخواله من آل الممدى وعلى رأسهم (عروان وحسين) فتحرك من الموضع المعروف بالشواجن شمالي الإحساء آخذاً الطريق إلى القطيف فدخلها في الضحى ونودي به عصراً ملكاً بعد الأمير منصور.

لجوء اثنين من رؤساء آل معروف إلى عامرٍ بالبحرين

قال ابن المقرب يمدح الأمير شمس الدين بتكين أمير البصرة (في سنة ٦٢٧هـ) وذلك عند قتاله لبني معروف ونصره عليهم:

(سلوا عن مواضيه منيعاً وعمهُ.. فقد خبراها بعدما اختبراها)[1]

وفي الشرح قال: ((يعني منيع بن المعلى بن معروف، وعمه، يعني سعيد بن علي بن معروف.... وذلك أن الأمير شمس الدين بتكين كان سار إلى القوم الذين يسكنون السيب، وأولاد معروف هم أمراؤهم وأهل الرئاسة فيهم، وكانوا قد عتوا وتمردوا وقطعوا الطريق وأخربوا كثيراً من سواد واسط وغيرها، وأكثروا القتل والنهب في السواد، فبعث الديوان لهم عسكراً بعد عسكر فيه الأمراء والجند، فيهزمونه ويقتلون فيه خلقاً كثيراً، فلم يشعروا به حتى بلغهم في أرضهم، فقتلهم قتلاً ذريعاً، وسبى النساء والذراري، واجتاح الأموال، ولم يفلت منهم إلا القليل، وكان فيمن أفلت سعيد بن معروف، وابن أخيه منيع بن المعلى في نفر قليل، والتجؤوا إلى عامرٍ، ونزلوا عليهم بالبحرين مدة يسيرة، ثم إنه ما زال يعمل في تحصيلهم حتى حصلهم غير منيع بن المعلى، وقتلهم في ساعة واحدة في طريق واسط وكان قد تقدم إليه الديوان يريد أن يسيرهم إلى بغداد))



(١) ديوان ابن المقرب ط الناشر ٢٠٠٢م ج٢ ص١١٦٢

خضوع جزيرة قيس لأتابك فارس أبي بكر الزنجي

في محرم ٦٢٨ هـ/ يناير ١٢٣٠م استطاع أتابك فارس الأمير أبو بكر بن سعد بن زنكي بن سنقر بن مودود السلغري انتزاع جزيرة قيس من أمير هرمز، لدي فرّ منها، وبعد ذلك سعى ((أبو بكر)) ليبسط نفوذه على كافة المناطق التي كان لبني قيس نفوذ عليها فقام بإرسال عماله إلى جزيرة أوال، وعلى رأسهم شهاب الدين خسرو النعسي القيسي عاملاً لجباية الضرائب ونجيب الدين عثمان مشرفاً ومتابعاً له، يطالبون حاكمها العيوني بأن يدفع إليه مثل ما كان يدفعه إلى بني قيصر سابقاً وإلى أمير هرمز لاحقاً ولكن الأموال التي تجبى في هذه المرة كانت تتم باسم حقوق الخلافة العباسية في بغداد، وأن أبا بكر نائباً عنه.[1]

وفاة الشاعر المؤرخ ابن المقرب

٦٢٨هـ (١٢٣٠م) في هذه السنة توفي الشاعر العيوني ابن المقرب بالإحساء وهو. علي بن المقرب ابن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبدالله بن علي العيوني، من بني مرة بن عامر بن أنمار بن عمرو بن وديعة لكيز بن أفصى بن عبدالقيس بن دعمي بن جديلة بن أسد، أمه عبيدية، منسوبة إلى عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعل بن الدئل بن حبيعة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهو من مواليد سنة ٥٧٢هـ.

النزاع بين الشريف حسن بن علي وعمه الشريف راجح بن قتادة

٦٢٩هـ في حدود هذه السنة أو قبلها بقليل ؛ ((راجح بن قتادة في بعض حروبه مع ابن أخيه أبي سعد – حسن بن علي – استنجد بأخواله من بني حسين فخرجوا لمدده في سبعمائة فارس ورئيسهم الأمير عيسى الملقب بالحرون فارس بني حسين في زمانه، وسمع بخروجهم أبوسعد وابنه أبو نمي بينبع فأرسل إليه يطلبه وعمر أبو نمي يومئذٍ سبع عشرة سنة[2] أو أزيد بقليل، فخرج من ينبع قاصداً مكة فصادف القوم سائرين إليها فلمّا صادفهم حمل عليهم وهم سائرون فهزمهم ورجعوا إلى المدينة مغلوبين))[3]

---

(١) تاريخ الإمارة العيونية لعبدالرحمن الملا.

(٢) راجع سنة ٦٤٧هـ، سيرد فيها أن سن الشريف أبي نمي فيها ١٧ عاماً، وهذا يعني أن أحد المصدرين على خطأ.

(٣) عمدة الطالب لابن عنبة – ولد ٧٧٦هـ في الرسائل الكمالية ص٢٤١

صدُّ الأمير محمد بن محمد لحملة السلغري على أوال

في جمادي الآخرة من سنة ٦٣٠هـ / (١٢٣٢م) عبر الأمير محمد بن محمد العيوني إلى جزيرة أوال وترك حكم القطيف لأحد شيوخ بني عامر وهو الشيخ أبو عاصم بن سرحان بن محمد بن (عمرو) عميرة ابن سنان واستطاع بعد عدة مناوشات من قتل الأمير منصور بن علي[1]، وبذلك تطلعت نفس (الأتابك أبي بكر السلغري) إلى السيطرة المباشرة على جزيرة أوال وربما كان قد حصل على تأييد وتشجيع في خطته من الأمير (عصفور بن راشد) فأرسل ضده حملتين بحريتين إحداهما سنة ٦٣٠هـ والثانية ٦٣٣هـ إلا أن الأمير محمد بن محمد بن أبي ماجد(*) الذي خلف منصور بن علي استطاع ببسالة صدّ هاتين الحملتين))[2].

سقوط الدولة العيونية في بلاد البحرين

في ذي الحجة من سنة ٦٣٣هـ تولى على جزيرة البحرين (أوال) أبو بكر بن سعد بن أتابك بن مودود الزنجي، وهم المتغلبون على فارس في سنة ٥٤٣هـ[3]، وقال في صورة الأرض مقتل آخر أمراء الدولة العيونية الأمير محمد بن محمد بن ماجد حيث جاء إلى أوال عسكر لسلطان المنصور خلد الله دولته والتقوا من ناحية الغرب وكان الظفر لعسكر المنصور وعسكر السلطان فقتلوا محمداً وملك السلطان الأعظم خلد الله ملكه في ذي الحجة سنة ٦٣٣هـ / أغسطس ١٢٣٦م[4]

قال الأستاذ يوسف جعفر سعادة يرى البعض أن قوة فارسية تسمى الزنجيين احتلت القطيف والإحساء، فسقطت دولة العيونيين في كافة أنحاء البحرين سنة ٦٣٦هـ[5]

تنافس المصريين واليمنيين على مكة المشرفة

في سنة ٦٣٧هـ أمر ملك مصر المنصور بالله أيوب ابن الملك الكامل بالإمارة لجمار بن شيحة وجهزه بألف فارس ليأخذ مكة من الشريف راجح بن قتادة النابغة الحسني الأمير بها من قبل ملك اليمن المنصور[6]، فتجهز الشريف شيحة بن أبي أحمد هاشم بن أبي هبنة القاسم شمس الدين الحسيني عامل بني أيوب على المدينة المنورة بألف فارس إلى مكة المشرفة فخرج عنها عامل نور الدين[7] فاستولى

---

(1) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٢٨١، ٢٨٢، ٣٥٧

(*) يسميه عباس بقال في كتابه مطالعاتي درباب بحرين ص٣٥ (محمد بن أحمد بن أبي ماجد)

(٢) تاريخ الإمارة العيونية لعبدالرحمن الملا

(٣) التحفة النبهانية لمحمد بن خليفة.

(٤) صورة من الصفحة الأخيرة لنسخة مشهد وهي بخط محمد بن علي .. بن داود الجارالحساوي سنة ٩٦٣هـ التي جاءت في كتاب ديوان ابن المقرب ص٣٢ تحقيق الدكتور أحمد الخطيب، مؤسسة البابطين للإبداع الشعري

(٥) القوى السياسية في كوت الإحساء ط٩٧ ص٢١٧

(٦) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٥٠

(٧) اللطائف السَّنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد بن إسماعيل الحسيني ص٦٦ مخطوط.

عليها من غير قتال إلا أنه نهب جميع الأموال وقبض على ابن التمري[1]. فلمّا بلغ السلطان نور الدين خروج عامله بعث إلى مكة ابن النصيري لشريف راجح بن قتادة في جيش جرار فانهزم الشريف شيحة إلى الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل مجهز في صحبته علم الدين الكبير في جيش جرار فدخلا مكة وحجّا بالناس[2].

وفاة الخليفة المستنصر بن الناصر

وفيها ((توفي الخليفة المستنصر بالله بكرة يوم الجمعة عاشر جمادي الآخرة وله من العمر (٥١سنة) وأربعة أشهر وسبعة أيام وكتم ولده المستعصم بالله موته حتى كان الدعاء له على المنابر ذلك اليوم وكانت مدة ولايته (٢٦سنة و١٠أشهر و٢٧يوماً) ودفن بدار الخلافة ثم نقل إلى الترب من الرصافة وكان جميل الصورة حسن السريرة ..، كان جده الناصر قد جمع ما يتحصل من الذهب في بركة في دار الخلافة فكان يقف على حافتها ويقول أترى أعيش حتى أملأها وكان المستنصر يقف على حافتها ويقول أترى أعيش حتى أنفقها كلها فكان يبني الربط والخانات والقناطر في الطرقات من سائر الجهات وقد عمل بكل محلة من محال بغداد دار ضيافة للفقراء لا سيما في شهر رمضان وكان يتقصد الجواري اللاتي قد بلغن الأربعين فيشترين له فيعتقهن ويجهزهن ويزوجهن وفي كل وقت يبرز صلاته ألوف متعددة من الذهب تفرق في المحال ببغداد على ذوي الحاجات والأرامل والأيتام وغيرهم تقبل الله تعالى منه وجزاه خيراً، وقد وضع ببغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة وجعل فيها دار حديث وحماماً ودار طب وجعل لمستحقيها من الجوامك والأطعمة والحلويات والفاكهة ما يحتاجون إليه في أوقاته ووقف عليها أوقافاً عظيمة حتى قيل إن ثمن التبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها ووقف فيها كتباً نفيسة ليس في الدنيا لها نظير فكانت هذه المدرسة جمالاً لبغداد وسائر البلاد وكان المستنصر رحمه الله كريماً حليماً رئيساً متودداً إلى الناس وكان جميل الصورة حسن الأخلاق بهي المنظر عليه نور بيت النبوة ﷺ وأرضاه. وقد خلف من الأولاد ثلاثة اثنان شقيقان وهما أمير المؤمنين المستعصم بالله الذي ولي الخلافة بعده وأبو أحمد عبد الله والأمير أبو القاسم عبدالعزيز وأختهما من أم أخرى كريمة صان الله حجابها، وقد رثاه الناس بأشعار كثيرة أورد منها ابن الساعي قطعة صالحة ولم يستوزر أحداً بل أقر أبا الحسن محمد بن محمد القمي على نيابة الوزارة ثم كان بعده نصر الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد الناقد الذي كان أستاذ دار الخلافة والله تعالى أعلم بالصواب))[3].

خلافة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين في بغداد

((بويع المستعصم بالخلافة وله من العمر يومئذ (٣٠سنة) وشهور وقد أتقن في شبيبته تلاوة القرآن

---

(١) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٥٠.

(٢) اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد بن إسماعيل الحسيني ص٦٦.

(٣) المصدر السابق

حفظاً وتجويداً وأتقن العربية والخط الحسن وغير ذلك من الفضائل...، وكان المستعصم على ما ذكر كثير التلاوة حسن الأداء طيب الصوت يظهر عليه خشوع وإنابة وقد نظر في شيء من التفسير وحل المشكلات، وكان مشهوراً بالخير مشكوراً مقتدياً بأبيه المستنصر جهده وطاقته وقد مشت الأمور في أيامه على السداد والاستقامة بحمد الله، وكان القائم بهذه البيعة المستعصمية شرف الدين أبو الفضائل إقبال المستنصري فبايعه أولاً بنو عمه وأهله من بني العباس ثم أعيان الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والفقهاء ومن بعدهم من أولي الحل والعقد والعامة وغيرهم وكان يوماً مشهوداً ومجمعاً محموداً ورأياً سعيداً وأمراً حميداً وجاءت البيعة من سائر الجهات والأقطار والبلدان والأمصار وخطب له في سائر البلدان))[1].

سقوط القطيف بيد السلغريين بعد استيلائهم على البحرين وسقوط الحكومة العصفورية الجديدة

٦٤٠هـ في حدود هذه السنة استولى رئيس بني عامر بن عقيل، مقدم أسرة العميلات الأمير عصفور ابن راشد[2] على الإحساء وتم طرد الفضل بن أبي القاسم محمد بن مسعود العيوني الذي قام إبراهيم بن عبدالله بن جروان بالقبض عليه ونودي باسم عصفور ملكاً على البلاد. ولكن ما إن أتى شهر ربيع الأول من سنة ٦٤١هـ إلا وقتل أكبر شيوخ بني عامر (أبو عاصم بن سرحان) في القطيف الذي كان حاكماً عليها وذلك على يد الأتابك أبي بكر بن سعد السلغري[3] الذي عبر إليه من جزيرة البحرين واحتل بلدة القطيف، ثم زحف بجنوده نحو الإحساء فانتزعها من أهلها[4].

وزارة العلقمي المشؤوم

٦٤٢هـ قال ابن كثير ((استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد العلقمي المشؤوم على نفسه وعلى أهل بغداد الذي لم يعصم المستعصم في وزارته، فإنه لم يكن وزير صدق ولا مرضي الطريقة فإنه هو الذي أعان على المسلمين في قضية هولاكو وجنوده قبحه الله وإياهم))[5]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) هو: عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة بن شبانة بن قديمة بن بانة بن عامر، من بني عامر بن عقيل بن عامر بن عوف بن مالك بن عوف - بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة إخوة بني المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب وهم ساكنون بجهات البصرة، وقد ملكوا البحرين بعد بني أبي الحسن بن ثعلب

(٣) تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف لعلي الدرورة.

(٤) التحفة النبهانية لمحمد بن خليفة

(٥) البداية والنهاية لابن كثير.

عساكر بغداد تهزم التتر شر هزيمة

٦٤٢هـ قال أبو الفداء في تاريخه: في هذه السنة قصدت التتر بغداد وخرجت عساكر بغداد للقائهم ولم يكن للتتر بهم طاقة فولى التتر منهزمين على أعقابهم تحت الليل.

وقال ابن كثير: وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار لعنهم الله فكسرهم المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم وهزموا من بين أيديهم فلم يلحقوهم ولم يتبعوهم خوفاً من غائلة مكرهم وعملاً بقوله (اتركوا الترك ما تركوكم).

٦٤٥هـ وفيها: حج ابن حذيفة معرب من جهة الشام[١].

استيلاء أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة على مكة المكرمة

٦٤٧هـ ((استبد محمد بن المسيب آخر ولاة اليمنيين بأمره في مكة واستولى على بعض الصدقات الخاصة بالأهالي ومنع الجند نفقتهم وأعاد الجبايات والمكوس، فاقترح بعض كبار العرب على أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة استخلاص إمارة مكة لنفسه وحسنوا له ذلك وكان يقيم في ينبع فسار في مقاتلته إلى مكة فحاصرها ثم حمل على أصحاب اليمن حملة موفقة استولى فيها على مكة في يوم الجمعة ٩ ذي القعدة سنة ٦٤٧هـ بعد أن قبض على ابن المسيب وصادر خيله وسلاحه وأمواله ثم أطلقه.

وباستيلائه على مكة انطلق عمه راجح بن قتادة إلى المدينة يستنجد أميرها من أولاد المهنا بني حسين وهم أخواله فأنجدوه بنحو (٧٠٠ فارس) ليجلي بها الحسن بن علي بن قتادة.

وعندما شعر الحسن بن علي بن قتادة في مكة بحركة راجح في المدينة وعلم أنه سيهاجمه بقوة من المدينة، كتب إلى ابنه أبي نمي في ينبع أن يقطع الطريق على المهاجمين وكان سن أبي نمي[٢] في هذا العهد لا يتجاوز السابعة أو الثامنة عشرة، إلا أنه كان موفور النشاط معروفاً بالشجاعة وقد استطاع أن يخرج عليهم بأربعين من قومه ليقطع طريقهم ويهزمهم))[٣].

نهاية الدولة الأيوبية في مصر وبداية دولة المماليك الأتراك

٦٤٨هـ في هذه السنة كان انتهاء الدولة الأيوبية في مصر وبداية دولة المماليك التركمان وأولهم أيبك[٤] الذي خلع شجرة الدر نفسها وتسلطن يوم السبت آخر ربيع الأول ٤٨ وأجمع عليه الأمراء من غير كره.

---

(١) إتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهيم شلتوت جامعة أم القرى ط١/١٩٨٣ ج٣ ص٦٥.

(٢) أبو نمي كانت بشرته سمراء. راجع: حكام مكة لجيرالد دوغوري ط١/ ص١٠١.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٣٧ عن إفادة الأنام. مخطوط.

(٤) [أيبك] من مماليك الملك الصالح الأيوبي اشتراه في حياة والده الملك الكامل وجعله جاشنكير - أي الذي يتحدث في أمر السماط ويتذوق الشراب قبل السلطان في الولائم والأسمطة خوفاً عليه من السم. راجع: سمط النجوم العوالي للعاصمي م٤ ص٢١.

انقلاب إخوة عيسى بن شيحة عليه في المدينة المنورة

٦٤٩هـ في هذه السنة حصل بين عيسى[١] بن شيحة الحسيني وإخوته منيف وجماز منافرة فأخرجهما من المدينة فكاتبا وزيره فأدخلهما الحصن القديم ليلاً فقبضا عليه وقيداه في الحديد وتولى الإمارة منيف فخطب ونادى بالأمان.

انتزاع آل عصفور بن راشد حكم اليمامة من بني كلاب

قد ذكرنا أنه في سنة ٦٤٠هـ كان سقوط آخر أمير من أمراء الدولة العيونية على يد بني عقيل بقيادة عصفور بن راشد، ثم ذكرنا أن هذه الحكومة الجديدة سقطت هي الأخرى في يد أبي بكر السلغري في سنة ٦٤١هـ ثم تذكر المصادر التاريخية أنه في سنة ٦٥٠هـ أو قبلها استولى بنو عصفور على اليمامة من بني كلاب، وهذا يدل على أن العامريين استطاعوا سترجاع السلطة في المنطقة من جديد إما من خلال الاعتراف بسلطة الزنجيين عليهم أو بعد رفع يد التسلط الزنجي عن إقليمهم بتحرير بلادهم.

ويذكر ابن سعيد أن العيونيين بني أبي الحسين من تغلب صاروا فلاّحين تحت يد بني عامر[٢]

يقول ابن خلدون نقلاً عن ابن سعيد المغربي أن بني عصفور ملكوا أرض اليمامة من بني كلاب[٣]، وكان ملكهم لعهد الخمسين من المائة السابعة عصفور وبنوه.

وقال ابن سعيد المغربي في سنة ٦٥١هـ سألت عرب البحرين وبعض مذحج لمن اليمامة اليوم؟ فقالوا لعرب من قيس عيلان، وليس لبني حنيفة بها ذكر ويقول أيضاً سألت أهل البحرين في عام ٦٥١هـ حين لقيتهم بالمدينة المنورة عن البحرين فقالوا الملك فيها لبني عامر بن عوف بن عامر بن عقيل، وبنو تغلب من جملة رعاياهم، وبنو عصفور منهم وهم أصحاب الدار والإحساء ملكهم.

ولم تأت سنة ٦٥٤هـ إلا وقد اضطر الأتابك أبو بكر سعد إلى تسليم السلطة في القطيف والمناطق التابعة لها لشيوخ بني عصفور وذلك للتخلص من أعبائها شريطة أن يكون انسحاب إدارته من القطيف مقابل مبلغ من المال يدفعه زعماء آل عصفور كل عام إلى خزينة الأتابكية السلغرية في فارس، فتم

---

(١) قال ابن شدقم: الأمير عيسى الحرون خلف أحد عشر ابناً (قلت) ومنهم شبانة ودمح وشداد وحسن ...إلخ
ودمح يقال لولده الدموخ، فدمح خلف متروكاً، ويقال لولده المتاريث منازلهم بني حسين البادية
وشداد خلف عصفوراً، ثم عصفور خلف ثلاثة بنين: ديان ويرجس وعميرة.
وحسن مات مفترصاً وعقبهم ثلاثة أشبال شبل الأول علي، كان فارساً بطلاً شجاعاً مقداماً قتل في حرب مع بني حسين البادية، فعلي خلف ثلاثة بنين صقر وصقير ومبارك راجع تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٦٥.

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ٦١٠هـ - ٦٨٥هـ، تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، الأردن، ط١/ ١٩٨٢م ص٦٣٩

(٣) وقال الحموي: إن في ملهم بطون من أبي بكر بن كلاب وأنه كان لكلاب دولة في الإسلام في اليمامة)). يقصد دولة ابن المهاجر التي سقطت في آخر أيام الخلافة الأموية

الاتفاق بين الطرفين وسلمت القطيف لعصفور بن راشد ولمانع بن علي بن ماجد بن عميرة، واكتفى الأتابك بإبدال السيطرة الفعلية الإدارية والعسكرية بسيطرة اسمية وولاء من قبل العصفوريين للسلغريين[1].

إمارة مكة واقتتال بين الأشراف

٦٥١هـ ((لم يدم أمر الحسن[2] بن علي بن قتادة في مكة طويلاً، فقد هاجمه في رمضان عام ٦٥١هـ ابن عمه جماز بن الحسن بن قتادة في عسكر كثير صحبة الركب الشامي فتغلب عليه وقتله واستولى على حكم مكة

ومع هذا فلم يبق في إمارتها إلّا شهراً واحداً ذلك لأن راجح بن قتادة ظفر بإجلاء جماز وإن عاد إلى الحكم في ذي الحجة من السنة نفسها ٦٥١هـ واستمر بها إلى ربيع الأول سنة ٦٥٢هـ))[3].

استيلاء غانم على ولاية مكة ووفاة والده الشريف راجح (أبي ذراع)

٦٥٢هـ في هذه السنة انتزع غانم بن راجح إمارة مكة من أبيه بعد أن تغلب عليه بدون قتال يذكر، فاستكان راجحاً في داره حتى وافاه الموت بعد سنتين من اعتزال الإمارة تقريباً ويقول الدحلان في ((خلاصة الكلام)) عن الشريف راجح بن قتادة الذي أضافه إلى قائمة الشجعان (كان من طوال الرجال إذا قام وصلت يداه إلى ركبتيه[4] وإنه كان عظيم الشأن قوي الشكيمة)

ولم يدم غانم طويلاً في حكمه بعد غدره بأبيه وانتزاع الإمارة منه فقد ثار عليه بعد أشهر جماعة من بني عمومته آل قتادة وعلى رأسهم إدريس وابن عمه أبو نمي الأول[5].

---

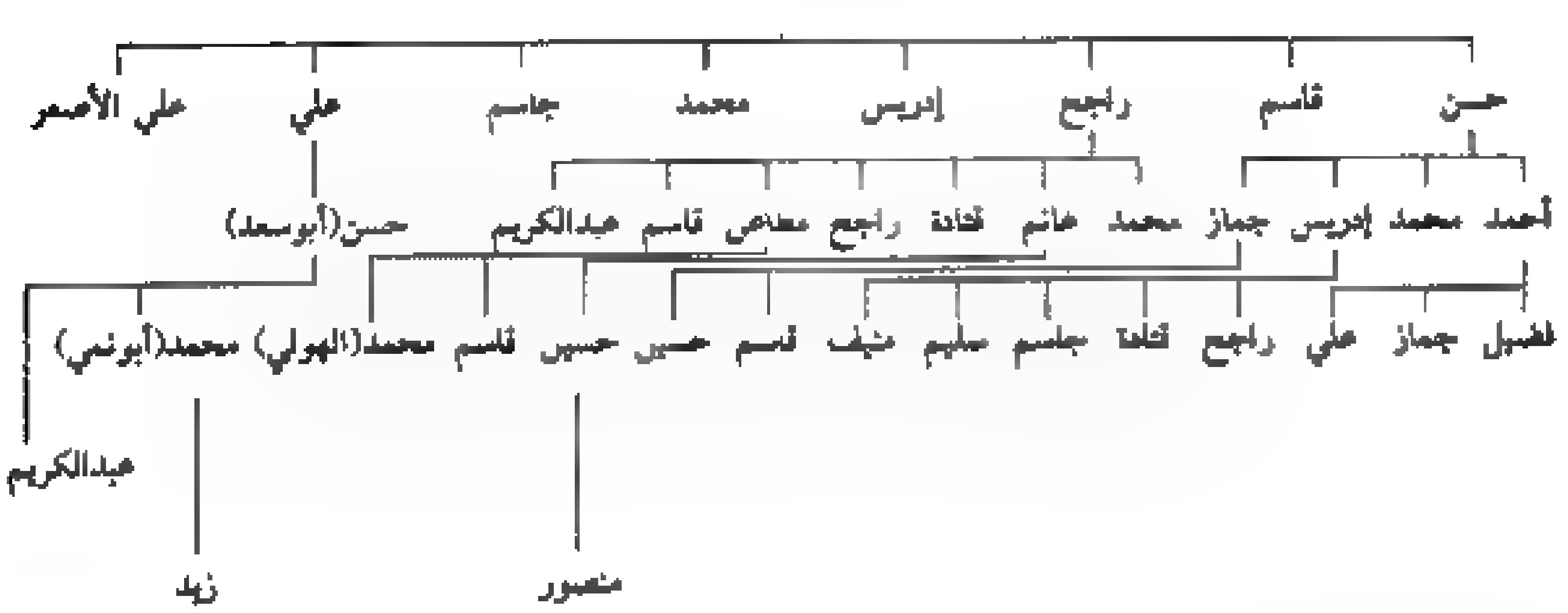
(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٣٦٦، ٣٦٨.

(٢) توفي الأمير أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة في سنة ٦٥١هـ وقد قتله ابن عمه. ((كان شجاعاً بطلاً وأمه أم ولد حبشية فيحكى أن أبا سعد في بعض حروبه للغزو ولغيرهم - وأمرهم لا أتحققه الآن إلا أن غالب ظني أن تلك الحرب كانت مع الغزو - وأتوه بجمع كثير هائل عما تراءى لعشان جاءته أمه على بعير في هودج وأمرت من استدعاه لها فلما أجابها قالت له: إنك قد وقفت موقفاً إن صبرت فيه أو قتلت قال الناس ظفر ابن رسول الله أو قتل ابن رسول الله، وإن هربت قال الناس هرب ابن السوداء فانظر أي الأمرين تحب أن يقال لك. فقال جزاك الله خيراً فلقد نصحت وأبلغت ثم ردعا فقاتل قتالاً لم يسمع بمثله حتى ظفر وملك مكة بعد أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، ابنه نجم الدين محمد أبو نمي بن أبي سعد وفي ولده الإمرة إلى الآن عمدة الطالب لابن عنبة -ولد٧٧٦- في الرسائل الكمالية ص٢٤٠.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٣٩-٢٤٠.

(٤) تميز الشريف غانم بن راجح بطول اليد والذراع وانتقلت هذه الصفة بالوراثة إلى أولاده وأحفاده من بعده، فهو على ما تذكر مخطوطة (الجوهر الحسان لصفي الإسلام) جد عائلة أبي ذراع من قبيلة الظفير وكان أولهم: منصور بن حسن بن غانم بن راجح بن قتادة.

(٥) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٤٠.



عودة أبي نمي إلى حكم مكة المكرمة

٦٥٢هـ ((تغلب الثائران إدريس بن قتادة وأبو نمي الأول على غانم بن راجح وانتزعا منه الأمر في شوال من السنة نفسها عام ٦٥٢هـ واصطلح الاثنان بالحكم في مكة مشتركين وبذلك عاد أبو نمي إلى الحكم بالشراكة))[1].

استيلاء ابن برطاس عامل ابن رسول على مكة

٦٥٢هـ ((اتصل الخبر بصاحب اليمن الملك المظفر عمر بن رسول وجاءته رسله بأن الأمر في مكة قد خرج من حليف اليمن راجح بن قتادة إلى ابنه ثم إلى الثائرين فجهز جيشاً إلى مكة بقيادة ابن برطاس، وقد انتهى الجيش إلى مكة والتحم في قتال شديد في قوز المكسنة بأسفل مكة ثم دخلها واستولى عليها في ذي القعدة من السنة نفسها ٦٥٢هـ))[2]

٦٥٣هـ ((جمع أشراف مكة جمعاً كثيراً وأخرجوا (المبارز بن برطاس) عامل (...) المظفر على مكة، وقتلوا من أصحابه كثيراً، وقبضوا عليه فافتدى نفسه بمال من اليمن. ووقعت الحرب بين أهل مكة وأهل العراق فأصلح بينهم أمير حاج الشام))[3].

٦٥٣هـ ((كان موكب الحاج بحراسة أحمد بن حجي بن بريد آل مرا وقد انضم إلى القافلة الملك

(١) المصدر السابق ص٢٤١

(٢) المصدر السابق ص٢٤١

(٣) اللطائف السنية لـ محمد بن إسماعيل الحسيني ص٧١

الناصر داود الذي ترك دمشق مضطرًا بعد أن نزعت عنه السلطة وسولت له نفسه الاعتداء على ركب الخليفة المرافق للحجاج إلا أن الأمير أحمد حذره من سوء عاقبة تعديه على ركب الخليفة))[1].

مقتل المعز أيبك على يد شجرة الدر

٦٥٥هـ في هذه السنة شجرة الدر قتلت المعز أيبك التركماني لما بلغها أنه يريد التزوج عليها، فواطأت على قتله جماعة من المماليك، ثم قتلتهم جميعاً وكان قتلها له يوم الثلاثاء عاشر ربيع الأول[2].

مكاتبة الوزير ابن العلقمي للتتار وتحريضهم على قصد بغداد

٦٥٥هـ ((وفيها كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة، فنهب الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمي، وكان ذلك من أقوى الأسباب في ممالأته للتتار))[3]

الزحف المغولي على بغداد والدور الذي لعبه ابن العلقمي

٦٥٦هـ / ١٢٥٨م قال الذهبي في العبر في خبر من غبر (كان المؤيد بن العلقمي قد كاتب التتار وحرضهم على قصد بغداد لأجل ما جرى على إخوانه الرافضة من النهب والخزي. وظن المخذول أن الأمر تم، وأنه يقيم خليفة علويًا فأرسل أخاه ومملوكه إلى هولاكو وسهل عليه أخذ بغداد. وطلب أن يكون نائباً لهم عليها، فوعده بالأماني. وساروا فأخذ لؤلؤ صاحب الموصل يهيئ للتتار الإقامات ويكاتب الخليفة سرًا. فكان ابن العلقمي قبحه الله لا يدع تلك المكاتبات تصل إلى الخليفة مع أنها لو وصلت لما أجدت لأن الخليفة كان يرد الأمر إليه. فلمّا تحقق الأمر بعث ولد محيي الدين بن الجوزي رسولاً إلى هولاكو يعده بالأموال فركب هولاكو في خلق من التتار والكرج ومدد من صاحب الموصل مع ولده الصالح إسماعيل فخرج ركن الدين الدويدار فالتقى باجو آنوين وكان على مقدمة هولاكو فانكسر المسلمون، ثم سار باجو فنزل غربي بغداد ونزل هلاكو من شرقيها. فأشار ابن العلقمي على المستعصم بالله أني أخرج إليهم في تقرير الصلح فخرج الخبيث وتوثق لنفسه ورجع. فقال: إن الملك قد رغب في أن يزوج بنته بابنك الأمير أبي بكر، وأن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع الملوك السلجوقية ثم يترحل. فخرج إليه المستعصم في أعيان الدولة. ثم استدعى الوزير العلماء والرؤساء ليحضروا العقد بزعمه فخرجوا فضربت رقاب الجميع. وصار كذلك تخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم حتى بقيت الرعية بلا راع). انتهى

---

(١) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط٢-٢٠٠٣ ص١٢٦.

(٢) سمط النجوم العوالي للعاصمي م٤ ص٢١.

(٣) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط١/١٩٦٦م ج١٣ ص١٩٦.

مصير ابن العلقمي

وقال الإمام الذهبي عن ابن العلقمي بعد أن وصفه بالوزير المبير: كان ذا حقد على أهل السّنة فرر مع التتار أموراً انعكست عليه، وأكل يده ندماً، وبقي بعد تلك الرتبة الرفيعة يركب إكديشاً فصاحت امرأة: يا ابن العلقمي أهكذا كنت تركب في أيام أمير المؤمنين؟ ولي وزارة التتار على بغداد مشاركاً لغيره ثم مرض بعد قليل ومات غمًّا وغبناً....

مصير العباسيين المتبقين

قال ابن خلدون نقلاً عن فضل الله العمري عن شمس الدين الأصفهاني: لم يبق هلاكو من يحقق نسبه لكثرة ما وقع فيهم من القتل غيرة على الملك، ومن نجا طلب الاختفاء بشخصه مخفي نسبه.

وفاة الملك الشاعر

٦٥٨هـ في ليلة السبت ٢٦ جمادى الأولى توفي الملك الناصر دواد ابن المعظم عيسى ابن العادل أبي بكر بظاهر دمشق وعمره نحو ٥٣ سنة ومن شعره:

عُيُونٌ عَنِ السِّحْرِ المُبِينِ تُبِينُ ... لَهَا عِنْدَ تَحْرِيكِ القُلُوبِ سُكُونُ

تَصُولُ بِبِيضٍ وَهْيَ سُودٌ فِرِنْدُهَا ... ذُبُولٌ فُتُورٍ وَالجُفُونُ جُفُونُ

إذا ما رَأَتْ قَلْباً خَلِيًّا مِنَ الهَوَى ... تَقُولُ لَهُ كُنْ مُغْرَماً فَيَكُونُ

سيف الدين قطز سلطان مصر الملك المظفر

٦٥٧هـ ((وفيها قبض الأمير سيف الدين قطز على ابن أستاذه نور الدين علي الملقب بالمنصور وذلك في غيبة أكثر الأمراء من مماليك أبيه وغيرهم في الصيد فلمّا مسكه سيره مع أمه وابنيه وإخوته إلى بلاد الأشكري، وتسلطن هو وسمى نفسه بالملك المظفر وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين فإن الله جعل على يديه كسر التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى وبان عذره الذي اعتذر به إلى الفقهاء والقضاة وإلى ابن العديم فإنه قال لا بد للناس من سلطان قاهر يقاتل عن المسلمين عدوّهم وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة))[1].

سقوط حلب في يد التتار

٦٥٨هـ ((في يوم الأحد تاسع صفر كان استيلاء التتر على حلب وسببه أن هولاكو عبر الفرات بمجموعه ونازل حلب وأرسل هولاكو إلى الملك المعظم توارانشاه بن صلاح الدين نائب السلطنة بحلب يقول له: إنكم تضعفون عن لقاء المغل ونحن قصدنا الملك الناصر والعساكر فاجعلوا لنا عندكم بحلب

(١) المصدر السابق.

شحنة وبالقلعة شحنة ونتوجه نحن إلى العسكر فإن كانت الكسرة على عسكر الإسلام كانت البلاد لنا وإن كانت الكسرة علينا كنتم مخيرين في الشحنتين إن شئتم طردتموهما وإن شئتم قتلتموهما فلم يجب الملك المعظم إلى ذلك وقال ليس عندنا إلا السيف...، وأحاط التتر بحلب ثاني صفر))(١).

سقوط دمشق

((وأما دمشق فإنهم لما ملكوا المدينة بالأمان لم يتعرضوا إلى قتل ولا نهب وعصت قلعة دمشق عليهم فحاصرها التتر وجرى على أهل دمشق بسبب عصيان القلعة شدة عظيمة وضايقوا القلعة وأقاموا عليها المجانيق ثم تسلموها بالأمان في منتصف جمادى الأولى))(٢).

موقف نصارى دمشق ومسير المصريين للقاء التتار

٦٥٨هـ ((وأما المصريون فتأهبوا وشرعوا في المسير من نصف شعبان. وثارت النصارى بدمشق ورفعت رؤوسها، ورفعوا الصليب ومروا به، وألزموا الناس بالقيام له من حوانيتهم في (٢٢رمضان) ووصل جيش الإسلام عليهم الملك المظفر وعلى مقدمتهم ركن الدين البندقداري فالتقى الجمعان على (عين جالوت) غربي بيسان))(٣).

معركة عين جالوت المشهورة

قال أبو الفدا: في يوم الجمعة (٢٥رمضان ٦٥٨هـ) هزيمة التتر على (عين جالوت) وكان من حديثها أنه لما اجتمعت العساكر الإسلامية بمصر عزم الملك المظفر قطز مملوك المعز أيبك على الخروج إلى الشام لقتال التتر وسار من مصر بالعساكر الإسلامية وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه الملك الأفضل علي وكان مسيره من الديار المصرية في أوائل رمضان من هذه السنة ولما بلغ كتبغا وهو نائب هولاكو على الشام ومقدم التتر مسير العساكر الإسلامية إليه...، جمع من في الشام من التتر وسار إلى لقاء المسلمين...، والتقوا يوم الجمعة المذكور فانهزمت التتر هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتلوا مقدمهم كتبغا ...، وجرد قطز ركن الدين بيبرس(*) البندقداري في أثرهم فتبعتهم المسلمون إلى أطراف البلاد الشرقية...، ولما انقضى أمر المصاف أحسن المظفر قطز إلى الملك المنصور صاحب حماه وأقره على حماه وبارين وأعاد إليه المعرة وكانت في أيدي الحلبيين من حين استولوا عليها في سنة (٦٣٥) وأخذ سلمية منه وأعطاها أمير العرب.

---

(١) تاريخ أبي الفدا.

(٢) المصدر السابق.

(٣) العبر في خبر من غبر للذهبي.

(*) بيبرس كان عبداً مملوكاً أحضر من القرابق وهو صبي ربيع في البداية في الشام بمبلغ ثمانمائة قطعة فضية وقد رده الذي اشتراه في البداية لعيب في إحدى عينيه الزرقاوين. وكانت بشرته داكنة طويل القامة وصوته جهوري شجاع نشيط لا يكل عن الحركة مغرم بالترحال.

اغتيال قطز بانقلاب على يد الظاهر بيبرس

وقال أبو الفدا: في (١٧ ذي القعدة): لما قرر الملك المظفر قطز المعزي أمر الشام سار من دمشق إلى جهة البلاد المصرية وكان قد اتفق بيبرس البندقداري الصالحي مع أنص ملوك نجم الدين الرومي الصالحي والهاروني وعلم الدين صغن أغلي على قتل المظفر قطز وساروا معه يتوقعون الفرصة فلمّا وصل قطز إلى القصير بطرف الرمل وبينه وبين الصالحية مرحلة وقد سبق الدهليز والعسكر إلى الصالحية فبينا قطز يسير إذ قامت أرنب بين يديه فساق عليها وساق هؤلاء المذكورون معه فلمّا بعدوا تقدم إليه أنص وشفع عند الملك المظفر قطز في إنسان فأجابه إلى ذلك فأهوى لتقبيل يده وقبض عليها فحمل عليه بيبرس حينئذٍ وضربه بالسيف واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه ثم قتلوه بالنشاب (في التاريخ المذكور) وساق بيبرس وأولئك المذكورون بعد مقتله حتى وصلوا إلى الدهليز بالصالحية ..، فلمّا وصل بيبرس مع الجماعة الذين قتلوا قطز إلى الدهليز سألهم أقطاي المستعرب وقال من قتله منكم فقال له بيبرس أنا قال له أقطاي يا خوند اجلس في مرتبة السلطنة فجلس واستدعيت العساكر للتحليف فحلفوا له في اليوم الذي قتل فيه قطز.

وفد الدولة العصفورية إلى الظاهر بيبرس في مصر

٦٥٨هـ في هذه السنة قامت الإمارة العصفورية بإرسال وفد رفيع المستوى إلى الظاهر بيبرس برئاسة (مقدمهم محمد بن أحمد بن العقدي بن سنان بن عقيلة بن شبانة بن قُديمة بن نُباتة بن عامر العامري، وعوملوا بأتم الإكرام)[١].

وقال الأستاذ خالد الفرج مصححاً الاسم الذي نقل لنا عن العمري في المسالك: الخلل الحاصل في عبارة: مقدمهم محمد بن أحمد العقدي ابن سنان بن عقيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة! والصحيح حسب تحقيق ديوان ابن المقرب هو: ((محمد بن أحمد بن المعدي بن سنان بن عقيلة بن شبانة بن قديمة ابن نباتة))[٢].

قال العمري: وكانت الإمرة فيهم في أولاد مانع إلى بقية أمراء فيهم وكبراء لهم، وديارهم الإحساء والقطيف ومُلَيْحٌ وأبطاع والقرعاء واللهابة وجودة ومُتالع[٣].

نسبهم: قال في العبر: بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر إخوة بني المنتفق وسكنهم بجهة البصرة وقد ملكوا البحرين بعد بني أبي الحسن، غلبوا عليها تغلب. وفي العبر أيضاً: ومن بني عقيل هؤلاء: بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر. ولم يرد في رفع نسبهم عن هذا.

تفرعاتهم: قال الحمداني: ومنهم: القديمات، والمغائم، وقيان، وفيص، وثعل، وحرثان، وبنو مطرف.

---

(١) مسالك الأبصار للعمري ت٧٤٩هـ س٤ ص٣٥٥

(٢) مجلة الواحة السعودية الصادرة ببيروت ع٣٥ س٢٠٠٤ ص٨٣

(٣) المصدر السابق ص٨٣

المستنصر بالله أول الخلفاء العباسيين في مصر

تمت البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبي القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر ((كان معتقلاً ببغداد فأطلق، وكان مع جماعة الأعراب بأرض بالعراق، فقدم مصر صحبة جماعة من أمراء الأعراب عشرة، منهم الأمير ناصر الدين مهنا في ٨ رجب، فخرج السلطان ومعه الوزير والشهود والمؤذنون فتلقوه، وكان يوماً مشهوداً، وخرج أهل التوراة بتوراتهم والنصارى بإنجيلهم، ودخل من باب النصر في أبهة عظيمة، فلمّا كان يوم الإثنين ١٣ رجب جلس السلطان والخليفة بالإيوان بقلعة الجبل، والوزير والقاضي والأمراء على طبقتهم، وأثبت نسب الخليفة المذكور على الحاكم تاج الدين بن الأعز، وهذا الخليفة هو أخو المستنصر باني المستنصرية...... هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس بينه وبين العباس أربعة وعشرون أباً........ وخطب له على المنابر وضرب اسمه على السكة ....، وكان أسمر وسيماً شديد القوى عالي الهمة له شجاعة وإقدام وقد لقبوه بالمستنصر كما كان أخوه باني المدرسة، وهذا أمر لم يسبق إليه أن خليفتين أخوين يلقب كل منهما بالآخر.

وكانت مدة خلافته إلى أن فقد كما سيأتي خمسة أشهر وعشرين يوماً أقصر مدة من جميع خلفاء بني العباس، وأما بنو أمية فكانت مدة خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً وإبراهيم بن يزيد الناقص سبعين يوماً، وأخوه يزيد بن الوليد خمسة أشهر وكانت مدة خلافة الحسن بن علي بعد أبيه ستة أشهر وأحد عشر يوماً، وكانت مدة مروان بن الحكم تسعة أشهر وعشرة أيام. وكان في خلفاء بني العباس من لم يستكمل سنة منهم المنتصر بن المتوكل ستة أشهر، والمهتدي بن الواثق أحد عشر شهراً وأياماً وقد أنزل الخليفة هذا بقلعة الجبل في برج هو وحشمه فلمّا كان يوم ٧ رجب ركب في السواد وجاء إلى الجامع بالقلعة فصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس ثم استفتح فقرأ صدراً من سورة الأنعام ثم صلى على النبي ﷺ ثم ترضى عن الصحابة ودعا للسلطان الظاهر ثم نزل فصلى بالناس فاستحسنوا ذلك منه وكان وقتاً حسناً ويوماً مشهوداً))[1]

خروج المستنصر بالله العباسي من مصر لقتال التتار وقتله في العراق

٦٦٠هـ ((في أوائل هذه السنة في ثالث المحرم قتل الخليفة المستنصر بالله الذي بويع له في رجب في السنة الماضية بمصر وكان قتله بأرض العراق بعدما هزم من كان معه من الجنود فإنا لله وإنا إليه راجعون، واستقل الملك الظاهر بجميع الشام ومصر وصفت له الأمور، ولم يبق له منازع سوى التركي فإنه ذهب إلى المنيرة فاستحوذ عليها وعصى عليه هنالك))[2].

وفود خفاجة وعبادة إلى الظاهر بيبرس في مصر

قال العمري: قال الحمداني عن خفاجة وعبادة: ((وفدوا على الدولة الظاهرية بعيد كسرة الخليفة

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط١/١٩٦٦م ج١٣ ص٢٣١.

(٢) المصدر السابق ص٢٣٣.

المستنصر المجهز من مصر لاستفتاح العراق، وكان كبير جماعتهم حصر[1] بن مُقْلد بن سلمان بن مهارش العبّادي، وشَهْري بن أحمد الخفاجي في أشياخ منهم مقبل بن سالم وعيش بن حُديثة ووشاح وغيرهم، فأنعم الملك الظاهر عليهم ومنّاهم وكانوا عيناً له على التتار وأعواناً له للانتصار))[2].

الحاكم بأمر الله الخليفة العباسي الثاني في مصر

٦٦٠هـ ((في ٢٧ من ربيع الآخر دخل الخليفة أبو العباس الحاكم بأمر الله أحمد ابن الأمير أبي علي القبي ابن الأمير علي ابن الأمير أبي بكر ابن الإمام المسترشد بالله بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد من بلاد الشرق وصحبته جماعة من رؤوس تلك البلاد وقد شهد الوقعة صحبة المستنصر وهرب هو في جماعة من المعركة فسلم فلمّا كان يوم دخوله تلقاه السلطان الظاهر وأظهر السرور له والاحتفال به وأنزله في البرج الكبير من قلعة الجبل وأجريت عليه الأرزاق الدارة والإحسان))[3]

حب بركه خان المغولي للإسلام وكرمه لهولاكو

٦٦١هـ ((وفيها قدمت رسل بركه خان إلى الظاهر يقول له قد علمت محبتي للإسلام وعلمت ما فعل هولاكو بالمسلمين فاركب أنت من ناحية حتى آتيه أنا من ناحية حتى نصطلمه أو نخرجه من البلاد وأعطيك جميع ما كان بيده من البلاد فاستصوب الظاهر هذا الرأي وشكره وخلع على رسله وأكرمهم))[4].

هزيمة هولاكو على يد بركه خان

((وفيها التقى بركه خان وهولاكو ومع كل واحد جيوش كثيرة فاقتتلوا فهزم الله هولاكو هزيمة فظيعة وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقي وهرب هو في شرذمة يسيرة ولله الحمد ولما نظر بركه خان كثرة القتلى قال: يعز علي أن يقتل المغول بعضهم بعضاً ولكن كيف الحيلة فيمن غيّر سنة جنكيزخان. ثم أغار بركه خان على بلاد القسطنطينية فصانعه صاحبها وأرسل الظاهر هدايا عظيمة إلى بركه خان وقد أقام التركي بحلب خليفة آخر لقبه بالحاكم فلمّا اجتاز به المستنصر سار معه إلى العراق واتفقا على المصلحة وإنفاذ الحاكم المستنصر لكونه أكبر منه ولله الحمد ولكن خرج عليهما طائفة من التتار ففرقوا شملهما وقتلوا خلقاً ممن كان معهما وعدم المستنصر وهرب الحاكم مع الأعراب وقد كان المستنصر هذا فتح بلداناً كثيرة في مسيره من الشام إلى العراق ولما قدته بهادر علي شحنة بغداد كسره المستنصر وقتل أكثر

---

(١) الصحيح أن اسمه. خضر بن بدران بن مقلد بن سليمان بن مهارش إلى آخر الاسم، والتصحيح من صبح الأعشى أما تغييرنا من سلمان إلى سليمان فلأن أكثر المصادر ذكرته باسم سليمان وهناك أمثلة كثيرة ومنها ما نقله القلقشندي عن الحمداني عن وفادة خفاجة

(٢) مسالك الأبصار للعمري ت٧٤٩هـ س٤ ص٣٥١

(٣) البداية والنهاية لابن كثير.

(٤) المصدر السابق.

أصحابه ولكن خرج كمين من التتار نجدة فهرب العربان والأكراد الذين كانوا مع المستنصر وثبت هو في طائفة ممن كان معه من الترك فقتل أكثرهم وفقد هو من بينهم ونجا الحاكم في طائفة وكانت الوقعة في أول المحرم من سنة ستين وستمائة وهذا هو الذي أشبه الحسين بن علي في توغله في أرض العراق مع كثرة جنودها وكان الأولى له أن يستقر في بلاد الشام حتى تتمهد له الأمور ويصفو الحال ولكن قدر الله وما شاء فعل وجهز السلطان جيشاً آخر من دمشق إلى بلاد الفرنج فأغاروا وقتلوا وسبوا ورجعوا سالمين وطلبت الفرنج منه المصالحة فصالحهم مدة لاشتغاله بحلب وأعمالها))[١].

هزيمة أمير نجد والإحساء على يد والي عمان

٦٦١هـ تذكر بعض المصادر التاريخية تعرّض أمير نجد والإحساء محمد بن أحمد العامري العقيلي[٢] في هذه السنة للهزيمة على يد محمد بن سعد بن علي بن أحمد بن حبيب بن محمد بن إبراهيم الشرقي، أخوه راشد، والي عمان للأمير حسان اليزيدي.

علاقة أمراء العرب آل الجراح مع ملوك مصر

٦٦٣هـ في هذه السنة أو التي بعدها أمسك الملك الظاهر بيبرس زامل بن علي أمير العرب بمكاتبة عيسى بن مهنا في حقه[٣] وذكر فرحان أحمد سعيد في كتابه آل ربيعة الطائيون أنه قدم مهنا وأخوه في أيام تحكم بيبرس وسلار في الدولة فسألا أن يقطعا ضيعة من بلاد حلب ويترلا عما بأيديهما عوضاً عنها، فغضب الأمير سلار من ذلك وقال (يا عرب! وصلتم إلى أن تأخذوا ضياع القلاع والأجناد، وتعملوها لكم إقطاعاً؟)[٤].

ولما قدم السلطان الظاهر بيبرس إلى حلب صار مانع أبو مهنا الأمير قلاوون أن يكون لابنه مهنا أرض على سبيل الرزقة، ويقوم عليها أربعة أفراس وعشرة جمال، فلمّا تحدث قلاوون في ذلك مع السلطان بيبرس لم يجبه بشيء حتى حضر مانع في الخدمة مع الأمراء فقال له: (ويلك يا بدوي نحس!

(١) المصدر السابق.

(٢) تسمية بعض المصادر لمحمد بن أحمد العامري العقيلي بأمير نجد والإحساء يوحي لي بأنه قد قام بانقلاب على الدولة العصفورية وحولها إلى مسمى أكبر وأشمل ليكون اسمها الإمارة العامرية العقيلية، فالأمير محمد هو: محمد ابن أحمد بن المعدى بن سنان بن عميلة بن شبانة، وهو وعصفور يلتقيان في سنان بن عميلة: (عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان). يذكر أن محمد بن أحمد العامري كتب في مقدمة وفد بني عامر إلى الظاهر بيبرس في سنة ٦٥٨هـ هذا إذا لم يكن هو فعلاً رئيس القوم وأمير ديارهم في حينها، لكن سيرد عند ذكرنا للسنة ٧٠٠هـ وهي السنة التي استولى فيها سعيد بن مغامس على حكم الإحساء نص تاريخي لابن خلدون يفيد أن الحكم استمر إلى سنة ٧٠٠هـ في يد أولاد مانع بن عصفور! فهل ابن خلدون نصوصه دائماً دقيقة؟.

(٣) تاريخ أبي الفدا.

(٤) آل ربيعة الطائيون ط٢-٢٠٠٣ ص٢٣٩

وصلت أن تطلب زيادة على إقطاع ولدك، وتبرطل لسعدن على ملكه، والله لئن سمعت عنكم شيئاً من هذا لأخرجنكم من البلاد خروجاً نحساً). فما زال به قلاوون والأمراء حتى سكن غيظه[1].

جماز بن شيحة ينتزع مكة المشرفة من أبي نمي بن حسن

٦٦٣هـ ((الأمير جماز بن شيحة أمره وجهزه لملك المظفر ابن الملك المنصور بمائتي فارس مقدمهم علي بن الحسين بن برطاش ليأخذ مكة المشرفة من الشريف أبي نمي محمد نجم الدين بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة النابغة الحسني لأمير بها من قبل صاحب اليمن. فأقام بالمدينة أبا هاشم مالك ابن أخيه سيف نائباً عنه .. فأخذها بعد محاصرة وقتل من قومه ثلاثة رجال وأقام بها إلى سنة ٦٦٣هـ فاستغابه مالك وخطب لنفسه ولم يعرج على اسم عمه جماز))[2].

وفاة هولاكو وذكر الأقاليم التي خلفها لولده إبغا

٦٦٣هـ قال أبو الفدا في تاريخه. في ١٩ ربيع الآخر مات هولاكو ملك التتر لعنه الله تعالى وهو هولاكو بن طلو بن جنكزخان.....، ولما مات جلس في الملك بعده ولده أبغا بن هولاكو، واستقرت له البلاد التي كانت بيد والده حال وفاته وهي إقليم خراسان وكرسيه نيسابور وإقليم عراق العجم وهو الذي يعرف ببلاد الجبل وكرسيه أصبهان وإقليم عراق العرب وكرسيه بغداد وإقليم أذربيجان وكرسيه تبريز وإقليم خوزستان وكرسيه تستر التي تسميها العامة تشتر وإقليم فارس وكرسيه شيراز وإقليم ديار بكر وكرسيه الموصل وإقليم الروم وكرسيه قونية وغير ذلك من البلاد التي ليست في الشهرة مثل هذه الأقاليم العظيمة

وفاة السلطان بركه خان

٦٦٥هـ فيها توفي السلطان بركه خان بن تولي بن جنكيز خان ((وهو ابن عم هولاكو وقد أسلم بركه خان هذا، وكان يحب العلماء والصالحين ومن أكبر حسناته كسره لهولاكو وتفريق جنوده، وكان يناصح الملك الظاهر ويعظمه ويكرم رسله إليه، ويطلق لهم شيئاً كثيراً، وقد قام في الملك بعده بعض أهل بيته وهو منكوتمر بن طغان بن بابو بن تولي بن جنكيزخان))[3].

تأدية عنزة زكاة أموالها إلى السلطات المصرية

٦٦٦هـ- ١٢٦٧م ((أبدت قبيلة عنزة للسلطات استعدادها لدفع الضرائب إلى القاهرة، لتتخلص ربما من الإتاوات[4] التي كانت تؤديها إلى حكام آخرين شرفاء مكة))[5].

---

(١) المصدر السابق ص٢٤٠ (٢) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٧١.

(٣) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط١/١٩٦٦م ج١٣ ص٢٤٩.

(٤) الحكومة الإسلامية تجبي من القبائل التابعة لها الزكاة وليست إتاوة أو ضريبة كما يتوهم المستشرقون، بل أحياناً يطلقون عليها اسم الجزية وهذا خطأ أيضاً. لأن الجزية هي التي يدفعها أهل الكتاب للحاكم المسلم في الجزيرة العربية.

(٥) البدو ج١ ط٢/٢٠٠٧م تأليف أوبنهايم ومساعديه تحقيق ماجد شبر - الوراق لندن ص١٢٦.

اول ركب للحجاج من العراق منذ الغزو المغولي لبغداد

٦٦٦هـ حج العراقي من بغداد، وهي أول حجة حجوا فيها بعد غلبة التتار على بغداد في سنة خمس وخمسين[1].

ثورة اشراف مكة على الامير جماز في مكة المشرفة

٦٦٧هـ ((رحل جماز عن مكة فاستغفله أبو نمي محمد فدخلها ومعه ابن عمه إدريس بن حسن بن قتادة، فركب جماز عليهما، فقاتلوه قتالاً عظيماً حتى سالت الدماء بالمسجد الحرام والحجر والمقام...، وانهزم جماز إلى المدينة))[2].

صراع جماز بن شيحة وغانم بن إدريس لابي نمي

٦٧٠هـ ((في آخر صفر وصل الأمير جمّاز بن شيحة صاحب المدينة، وغانم بن إدريس بن حسن بن قتادة وأخذا مكة، وخرج الشريف أبو نمي، ثم بعد أربعين يوماً في ربيع الآخر رجع أبو نمي إلى مكة وهزم جمّاز بن شيحة ومن معه وملك مكة))[3].

٦٧١هـ ((كان بمكة غلاء عظيم، بلغت الموتى في بعض الأيام اثنتين وعشرين جنازة وفي بعضها خمسين، وعد أهل مكة ما بين العمرتين من أول رجب إلى السابع والعشرين منه ألف جنازة))[4].

مهاجمة الشريف جماز بن شيحة لمكة المشرفة وفيها أبو نمي

٦٧٣هـ ((في شعبان جاء جمّاز بن شيحة الحسيني لإخراج أبي نمي، فأعطاه أبو نمي، فرجع وحلى بينه وبين قتلة ابنه أبي سعيد وهم أولاد حسن بن قتادة ومنهم إدريس))[5]

انتصار الشريف أبي نمي على الشريف شيحة

٦٧٥هـ ((في ١٩ ربيع الآخر كانت وقعة بمر الظهران بين أبي نمي صاحب مكة وبين جمّاز بن شيحة صاحب المدينة، وبين صاحب ينبع إدريس بن حسن بن قتادة، فظهر عليهما أبو نمي، وأسر إدريس، وهرب جماز. وكان عدد من مع أبي نمي مائتي فارس ومائة وثمانين راجلاً، ومن مع إدريس وجماز مائتين وخمسة عشر فارساً وستمائة راجل))[6].

---

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج١ ص٦٠١

(٢) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٧١.

(٣) إتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهيم شلتوت جامعة أم القرى ط١/١٩٨٣ ج٣ ص١٠١.

(٤) المصدر السابق ص١٠٢.

(٥) المصدر السابق ص١٠٤.

(٦) المصدر السابق ص١٠٥.

مكاتبة الظاهر بيبرس للشريف أبي نمي يعاتبه ويهدده

٦٧٥هـ وفي آخرها وصل كتاب من الملك الظاهر بيبرس إلى صاحب مكة المشرفة ونسخة الكتاب:

من بيبرس سلطان مصر إلى الشريف الحسيب النسيب أبي نمي محمد بن أبي سعد. أما بعد، فإن الحسنة في نفسها حسنة، وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أسوأ، وقد بلغنا عنك أيها السيد أنك أبدلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة، وعملت ما يحمر به الوجه، وتسود به الصحيفة، ومن القبيح كيف تفعلون لقبيح وجدكم الحسن، وتقتتلون في الحرم حتى تكون العبر، هذا وأنت من أهل الكرم وسكان الحرم!! فكيف آويت مجرم، واستحللت دم المحرم ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ فإن لم تقف عند حدك أغمدنا فيك سيف جدك والسلام

فكتب إليه أبو نمي:

من محمد بن أبي سعد إلى بيبرس سلطان مصر، أما بعد. فإن المملوك معترف بذنبه تائب إلى ربه، فإن تأخذ فيدك الأقوى، وإن تعف فهو أقرب للتقوى والسلام(١)

وفاة أحمد البدوي صاحب الشهرة في الديار المصرية

٦٧٥هـ/١٢٧٦م توفي أحمد البدوي صاحب الشهرة في الديار المصرية، أصله من المغرب، ولد بفاس وطاف البلاد، وأقام بمكة والمدينة ودخل مصر أيام الملك الظاهر بيبرس، فخرج لاستقباله هو وعسكره وأنزله في دار ضيافته، وزار سورية والعراق سنة ٦٣٤هـ وعظم شأنه في بلاد مصر فانتسب إلى طريقته جمهور كبير بينهم الملك الظاهر، وتوفي ودفن في طنطا حيث تقام في كل عام سوق عظيمة يفد إليها الناس من جميع أنحاء القطر المصري احتفالا بمولده.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه ولد بفاس عام ٥٩٦هـ ولقب بالبدوي لأنه كان يلبس اللثام على عادة بدو إفريقية...، اعتزل الناس وعاش في صمت وأصبحت تغشاه حالة ((الوله)) في كثير من الأحيان، زار العراق في شوال ٦٣٣هـ فزار قبور الجيلاني والرفاعي والحلاج وغيرهم ثم عاد إلى مصر فكان يمكث الأربعين يوماً وأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، كان يلبس بشتاً من الصوف الأحمر(٢)

وقال الصيادي عن نسب أحمد البدوي إن كل بري من البطون الهاشمية الفاطمية، وهم بادية بديار الشام وحلب، وهم قبيلة مولانا القطب الجليل السيد أحمد البدوي. وينتهي نسبهم إلى الإمام علي بن موسى الرضا الحسيني(٣).

---

(١) المصدر السابق ص١٠٦.

(٢) الروض البسام لأبي الهدى الصيادي طبعة الإسكندرية ١٨٩٢م تحقيق أحمد شوحان ط١/١٩٩٣م ص٥٩.

(٣) المصدر السابق ص٥٨.

وفاة ملك مصر الظاهر بيبرس وتولي ابنه بركة الملك السعيد

٦٧٦هـ في ٢٥ محرم ((توفي السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي بدمشق وقت الزوال رحمه الله تعالى عقب وصوله من بلاد الروم إلى دمشق، وقد اختلف في سبب موته، وكان الملك الظاهر قد خلف العسكر لولده بركة بن بيبرس ولقبه الملك السعيد وكان - بيبرس - أسمر أزرق العينين جهوري الصوت))[١].

تسلطن سيف الدين قلاوون الألفي بمصر

٦٧٨هـ ((تسلطن في مصر الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي بعد الملك العادل سيف الدين سلامش بن بيبرس البالغ من العمر سبع سنين وكانت مدته مائة يوم وليس له إلّا مجرد الاسم. أما الملك المنصور فكانت مدة سلطنته إحدى عشرة سنة وشهرين ونصفاً وتوفي سنة ٦٨٩هـ))[٢].

وقوع الاقتتال في كل الممالك

٦٧٨هـ ((وقد اتفق في هذه السنة أمور عجيبة وذلك أنه وقع الخلاف بين الممالك كلها.

اختلفت التتار فيما بينهم واقتتلوا فقتل منهم خلق كثير.

واختلفت الفرنج في السواحل وصال بعضهم على بعض وقتل بعضهم بعضاً.

وكذلك الفرنج الذين في داخل البحور وجزائرها، فاختلفوا واقتتلوا

وقتلت قبائل الأعراب بعضها في بعض قتالاً شديداً.

وكذلك وقع الخلاف بين العشير من الحوارنة وقامت الحرب بينهم على ساق

وكذلك وقع الخلاف بين الأمراء الظاهرية بسبب أن السلطان الملك السعيد بن الظاهر لما بعث الجيش إلى سيس أقام بعده بدمشق وأخذ في اللهو واللعب والانبساط مع الخاصكية وتمكنوا من الأمور وبعد عنه الأمراء الكبار فغضبت طائفة منهم ونابذوه وفارقوه وأقاموا بطريق العساكر الذين توجهوا إلى سيس وغيرهم فرجعت العساكر إليهم فلمّا اجتمعوا شحنوا قلوبهم على الملك السعيد ووحشوا خواطر الجيش عليه وقالوا: الملك لا ينبغي له أن يلعب ويلهو وإنما همة الملوك في العدل ومصالح المسلمين والذب عن حوزتهم كما كان أبوه. وصدقوا فيما قالوا، فإن لعب الملوك والأمراء وغيرهم دليل على زوال النعم وخراب الملك، وفساد الرعية.....

ثم اتفق الحال بعد ذلك مع الأمير سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي وهو المشار إليه حينئذٍ أن يترك الملك السعيد الملك وتعوض بالكرك والشوبك ويكون في صحبته أخوه نجم الدين خضر وتكون المملكة إلى أخيه الصغير بدر الدين سلامش ويكون الأمير سيف الدين قلاوون أتابكه))[٣].

---

(١) تاريخ أبي الفدا.

(٢) سمط النجوم العوالي للعاصمي م٤ ص٢٥.

(٣) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط١/١٩٦٦م ج١٣ ص٢٨٧.

وفاة أبي ريشة عيسى بن مهنا أمير العرب

٦٨٠هـ في هذه السنة مات عيسى بن مهنا ودفن في جبانة الشيخ فرج الشمالي بسلمية وأعقب عدة أولاد هم: مهنا وفضل وسليمان وحارثة وموسى ومحمد، وقد ولي الملك المنصور الإمرة الكبيرة حلماً لعيسى بن مهنا ولقب بحسام الدين وصار كبير آل عيسى النازلين في براري سلمية وحماه وتدمر بل أمير الشام كلها[1].

ويقول الأستاذ زكريا في قبائل الشام: ((وأكبر ظني أن عيسى هذا هو الذي قال عنه كاتب شلبي في كتاب جغرافيته (جهان نما) أنه كان في هذه المعركة (وقعته مع التتر بحمص ٦٨٠) حاملاً ريشته على رأسه فلقب بأبي ريشة، وبقي هذا اللقب في أعقابه إلى يومنا وأنه هو الذي نال من الملك المنصور عطاءً عظيماً فاشترى به عبيداً ومماليك أعتقوا بعد حين ودعوا بالموالي وبقيت أعقابهم إلى يومنا هذا ملتفة حول الأمراء آل أبي ريشة))[2].

المصالحة بين سلطان العراق وسلطان مصر

٦٨١هـ وفيها ((أرسل ملك التتار أحمد إلى الملك المنصور يطلب منه المصالحة وحقن الدماء فيما بينهم وجاء في الرسلية الشيخ قطب الدين الشيرازي أحد تلامذة نصير الطوسي فأجاب المنصور إلى ذلك))[3].

تحليف أبي نمي على الإخلاص

٦٨١هـ يذكر الفاسي ((أن الملك المنصور قلاوون الألفي كتب إلى أبي نمي في عام ٦٨١هـ يستحلفه بأن يخلص طويته ولا يضمر للمماليك عدواً ولا يلتفت إلى جهة غير جهتهم!! ولا يقدم غيرهم عليهم، وأن يبيح زيارة البيت للعاكف والبادي وأن يؤمن سيرهم وأن يفرد الخطبة والنقود باسمهم وأن لا ينقض ذلك. وقد حلف أبو نمي صيغة اليمين التي طلبوها منه))[4]

وفاة أحمد بن حجي أمير آل مرا

٦٨٢هـ توفي الأمير شهاب الدين أحمد بن حجي أمير آل مرا ببصرى، وكان من فرسان العرب المشهورين كانت سراياه تغير إلى أقصى نجد وبلاد الحجاز ويؤدون له الخفر، وكذلك صاحب المدينة الشريفة، وكانت له المنزلة العالية عند الملوك. وخلفه في الإمرة ولده سجاد إلى أن توفي سنة ٧١٥هـ واستقر بعده ثابت بن عساف بن أحمد بن حجي، وبقي ثابت وتوبة بن سليمان بن أحمد بن حجي يتنازعان الإمرة.

---

(١) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي لمحمد عزة دروزة م١ ج١ ص١٢٨

(٢) قبائل الشام م١ ج١ ص١٢٨، وراجع: آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط٢-٢٠٠٣ ص١٨٥

(٣) البداية والنهاية لابن كثير.

(٤) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/ ١٩٩٩م ص٢٥٧.

وفاة عيسى بن مهنا أمير آل فضل

٦٨٣هـ في ربيع الأول من هذه السنة توفي عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة ملك العرب بالشام، ورئيس آل فضل، وله المنزلة العالية عند السلطان، فقام بعده ولده الأمير حسام الدين مهنا صاحب تدمر[١].

٦٨٤هـ قام آل فضل وآل مرا بمهاجمة بني عامر وقتلوا من زعمائهم علي بن ماجد.

سكّان ذي الحليفة وينبع

عندما مر المؤرخ محمد بن عمر بن رشيد الفهري حاجًا، في ذي الحجة من عام ٦٨٤هـ بذي الحليفة قال: هي الآن يعرفها الناس ببئر علي، وهي من مياه بني جشم وكان بينهم وبين خفاجة العقيليين.

وذكر عندما مرّ بينبع أن العامّة تسميها ينبوع، وأنها بليدة حسنة كثيرة المياه والخضر والبساتين، ويسكنها الأنصار وجهينة وليث[٢].

صولة بني لام وبني نبهان بين المدينة والعراق

قال علي بن موسى بن سعيد المتوفى عام ٦٨٥ هـ أشهر الحجازيين الآن بنو لام وبنو نبهان والصولة بالحجاز لبني لام بين المدينة والعراق

اضطرابات في مكة بسبب أمير الحج الشامي أمير بني عقبة

٦٨٩هـ ((كان أمير الحاج الفارقاني، وقال ابن الجوزي: إنّ الذي حج بالناس منجر الباشقردي، وكانت فيها فتنة بين أهل مكة والحجاج، وجماعة من المكيين فاقتتلوا عند درب الشبيكة وانتهى الأمر أن شهر بالمسجد الحرام من السيوف نحو من عشرة آلاف سيف، وقتل من الفريقين جمع كثير. يقال: فوق أربعين نفساً، وجرح خلق كثير، ونهبت أموال، ولو أراد الشريف أبو نمي أخذ الجميع لأخذهم ولكنه تثبت، وقال ابن الجوزي: كان حج مع أمير الشام الأمير عيبة أمير بني عقبة، وكان بينه وبين صاحب مكة معاداة فتخيل منه، فوقعت الفتنة بسببه، ثم إنهم راسلوا صاحب مكة، ودخلوا فطافوا، وقضوا حجهم))[٣].

---

(١) العبر في خبر من غبر للحافظ الذهبي المتوفى سنة٧٤٨هـ

(٢) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، لمحمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي (ت ٧٢١هـ بفاس) تقديم وتحقيق د. محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط١/ ١٩٨٨م ج٥ ص٧١، ٢٧٨.

(٣) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/ دار اليمامة بالرياض ج١ ص٦٠٩

٦٩١هـ أبو نمي شريف مكة: ألغى الدعاء للملك الأشرف خليل في مصر، وأثبت اسم المظفر ملك الرسوليين في اليمن مكانه ابتداءً من آخر يوم في ربيع الأول سنة ٦٩١هـ[1]

٦٩٢هـ ((وفي المحرم منها حكم القاضي حسام الدين الرازي الحنفي بالتشريك بين العلويين والجعفريين في الدباغة التي كانوا يتنازعونها من مدة مائتي سنة وكان ذلك يوم الثلاثاء ٢٦ المحرم بدار العدل ولم يوافقه ابن الخويي ولا غيره وحكم للأعاكيين بصحة نسبهم إلى جعفر الطيار. وفيها رسم الأشرف بتخريب قلعة الشويك فهدمت وكانت من أحصن القلاع وأمنها وأنفعها وإنما خربها عن رأي عتبة العقبي، ولم ينصح للسلطان فيها ولا للمسلمين، لأنها كانت شجًى في حلوق الأعراب الذين هناك))[2].

وفيها (٦٩٢هـ) في شهر رجب ((أمسك السلطان الملك الأشرف خليل، الأمير مهنا وإخوته وسجنهم بقلعة القاهرة، وأعطى الإمرة لابن عمهم محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة أمير آل علي))[3].

٦٩٣هـ في هذه السنة اتفق خروج السلطان من مصر ((فوقفت له جماعة كبيرة من التجار وعرفوه أن عرب مهنا تعرضت لهم في الطريق وأخذوا منهم شيئاً كثيراً وشكوا أمرهم إلى مهنا فقال لهم: ما هم عربي ولكن هؤلاء من بني كلاب، فردهم السلطان للتجار إلى دمشق))[4]

وفاة سلطان المغول
وحكم عائلة الطيبي لجزيرة قيس وما حولها

في ٦ جمادى الأولى ٦٩٤هـ قبض بايدو أحد حفدة هولاكو على سلطان المغول والعراق وإيران إيلخان كيخاتو والذي كان قد توصّل إلى الحكم في يوم الأحد ٢٣ رجب ٦٩٠هـ بعد وفاة أخيه أرغون خان

وخلال فترة حكمه التي استمرت أكثر من ثلاث سنوات وتسعة أشهر وهب لجمال الدين إبراهيم بن محمد الطيبي الملقّب بابن السواملي تاجر اللؤلؤ والخيول العراقي الذي كان يملك أسطولاً تجاريًا من السفن تجاوز المائة سفينة حكم إقليم فارس وسواحل الخليج بما فيه من جزر مثل قيس والبحرين وخارك.

فلقّب الطيبي بملك الإسلام وخطبت الخطبة باسم الملك المعظم فخر الدين أحمد بن إبراهيم الطيبي، كما ضربت السكة باسمه أيضاً، ثم استطاع جمال الدين الطيبي ضم العراق العربي والبصرة وواسط وشبنكارة وشيراز إلى ملكه أيضاً بعد موافقة السلطان المغولي غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ)[5].

---

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٥٩

(٢) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط١/١٩٦٦م ج١٣ ص٣٣٢.

(٣) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط٢-٢٠٠٣ ص١٢٠

(٤) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان للعيني ج٣

(٥) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٣٩٥.

انتشار الإسلام في التتار بإسلام ملكهم

وفيها جلس على تخت الملك غازان محمود بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن تولي بن جنكز خان. حسن له نائبه نوروز الإسلام فأسلم في سنة ٦٩٤هـ وفشا بذلك الإسلام في التتار. وكان يتكلم بالفارسية مع خواصه ويفهم أكثر ما يقال له باللسان العربي، وكان غازان أشقر وبه خفيف العارضين غليظ الرقبة كبير الوجه وكان وفاته في ١٢ شعبان ٧٠٣هـ بقزوين[1].

مقتل عساف بن احمد بن حجي

٦٩٤هـ ((الأمير عساف ابن الأمير أحمد بن حجي، أكبر عربان آل برمك وآل مرى. مات في هذه السنة مقتولاً قتله جماز بن سليمان ابن أخيه، بالقرب من مدينة النبي ﷺ وكان قصد الغارة على أهل المدينة وغار على بعضهم فركب جماز ومعه جمعة والتقوا معه فقتله جماز وتباشرت الناس بقتله وكان كثير الفتن وسفك الدماء وكان شجاعاً مقداماً وانتشر له صيت في البلاد وكان يدَّعي أنه من نسل البرامكة فكان القاضي شمس الدين ابن خلكان يصدقه وكان يقوم معه عند الملوك إذا اشتد به أمر، وآخره في الدولة المنصورية))[2].

قال الجزري: ((وكان أبوه شهاب الدين أحمد أكبر عربان آل برمك وآل مرى وبني حرثة وغيرهم، من الجهة القبلية، وكان يدعي أنه من نسل البرامكة من أخت هارون الرشيد، وادعى أنها كانت زوجة جعفر بن يحيى البرمكي، وأنه رزق منها أولاداً، فلمّا جرى على البرامكة ما جرى هربت إلى البادية فأخذهم جده.

قلت وفي هذا نظر. وكان الأمير أحمد كثيراً ما يغشى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ويقول له أنت ابن عمي. وكذلك ابن خلكان يقول له بمثل قوله ويفرح كل واحد منهما بهذا القول. وبينهما مهاداة ومكارمة، وانتفع به ابن خلكان زمن الملك الظاهر وكذلك زمن الملك المنصور))[3]

سبب الفتن بين آل جماز والشريف ابي نمي

٦٩٦هـ يقول الشريف تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني. ((وسمعت وكنت يومئذ بالحلة وذلك في شعبان من سنة ٦٩٦هـ أن امرأة حسينية بنت رجل من أعيان بني حسين سميت لي فكرهت أن أذكر اسمها هنا فيبقى لها ها هنا ذكراً وحيماً، عمد لها رجل فنازعها قرطاً معلقاً بأذنها فتعسر عليه تناوله فقطع شحمة أذنها وأخذ القرط بها. فنسبت الفعلة فعدة الشريف، ولما انتهى ذلك إلى جماز شيخ بني

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن حجر ت٨٥٢هـ دار الجيل بيروت السفر الثالث ص٢١٤.

(٢) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني - ت٨٥٥هـ ج٣

(٣) تاريخ حوادث الزمن وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه - المعروف بتاريخ الجزري ت٧٣٨هـ ج١

حسن وأميرهم بالحجاز أمير المدينة جرت بينه وبين أبي نمي فتن وبين بنيه وبنيه شرٌّ باقٍ إلى يومنا هذا ثم إن عضد الدين - بن أبي نمي - أقام بمكة))[1].

٦٩٩هـ لم يحج من الشام أحد في هذه السنة ولا في السنة التي بعدها[2].

أول سلاطين بني عثمان

٦٩٩هـ لما توفي السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان بلاد قرمان في هذه السنة اجتمع أكثر الغزاة عند عثمان بن أرطغرل، فتسلطن عثمان الغازي[3].

---

(١) غاية الاختصار للشريف تاج الدين الحسيني نقيب حلب، ص٣٤.

(٢) إتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهيم شلتوت جامعة أم القرى ط١/١٩٨٣ ج٣ ص١٣١، ١٣٢.

(٣) سمط النجوم العوالي للعاصمي م٤ ص٧١

أحداث
القرن الثامن الهجري



حكم ابن مغامس القرمطي على الإحساء

٧٠٠هـ في حدود هذه السنة سيطر زعيم القرامطة المحلي سعد أو سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة[1] على شرق البلاد، الذي من المحتمل أن يكون تابعاً لأمراء جزيرة قيس[2]، والتي كانت تحت سيطرة العائلة العنية (عائلة الطيبي) وكانت قيس آنذاك تابعة للإيلخانيين المغول.

ويقول الدكتور عبداللطيف الحميدان: إن الشقاق والنزاع الذي كان سائداً بين أمراء - بني عصفور - منذ القرن الثامن نتج عنه تجزئة إمارتهم وتعدد ظهور الزعامات المتناحرة مما أدى في النهاية إلى زوال إمارتهم على يد سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة الذي لم تطل فترة حكمه، إذ سقط على يد الزعيم الإحسائي جروان المالكي[3].

وهذا ما ذكره ابن خلدون من أن الملك دام لأولاد مانع بن عصفور إلى سنة ٧٠٠هـ وهي السنة التي استولى فيها سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة على الحكم في الإحساء ((إلا أن ملكه لم يدم أكثر من خمس سنوات حيث تغلب عليه جروان بن ناصر أحد بني مالك بن عامر)).

ويذكر الباحث السعودي القديح أن سعيد بن مغامس كان من عُقيل من بني عامر العقيليين الذين حكموا المنطقة بعد العيونيين مباشرة، وأن سعيداً هذا ذكره ابن فضل الله العمري في كتابه «التعريف

---

(1) الشعر النبطي لعبدالله الصويان، وقال القيسراني الذي توفي سنة ٥٠٧هـ في كتابه الأنساب المتفقة في الصفحة ١٨١ فيمن نسبه القرمطي:

الأول: منسوب إلى المذهب المذموم من أهل هجر والبحرين

الثاني: لقب عامر بن ربيعة جد محمد بن عبدالله العدوي، قال أبو القاسم الطبراني: إنما نسبوا إلى القرامطة لأن النبي ﷺ رأى عامراً جدهم يمشي فقال: إنه ليقرمط في مشيته

(2) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٣٢٧، ٣٣٠.

(3) مجلة كلية الآداب - البصرة، التاريخ السياسي لإمارة الجبور ع١٦ السنة الرابعة عشرة ص٣٣.

بالمصطلح الشريف، في جملة أمراء المرتبة الثالثة[1] من أمراء البحرين من بني عامر العُقيليين الذين كانوا يراسلون من قبل الحضرة بمصر)).

استمرار الوجود العصفوري العامري رغم ذهاب دولتهم

ويقول الدكتور عبداللطيف الحميدان الذي يبدو أنه لا زال مقتنعاً بالفرق بين ابن مغامس وبين بني عامر، أي أن ابن مغامس في نظره ليس عامريًا: ((على أن بني عصفور خاصة وبني عامر عامة ظلوا يحتفظون في كل من نجد وشرق الجزيرة العربية بنفوذهم الاقتصادي الواسع، ولعل أوضح دليل على ذلك أن قوافل الحجاج القادمة من جنوب إيران وجنوب العراق وسواحل الخليج العربي كان يتولى قيادتها وحراستها بنو عامر وكثيراً ما أطلق على هذه القافلة اسم قافلة عقيل))[2].

وفاة الشريف أبي نمي وتنافس اولاده على الحكم

٧٠١هـ في هذه السنة توفي محمد أبي نمي بن أبي سعد بن حسن بن علي بن قتادة صاحب مكة منذ ٤٠ عاماً، وقد ترك أبو نمي نحو ثلاثين ولداً بين ذكر وأنثى كان يعتد بأكثرهم في ما مر به من شدائد. وقال العامي: ذكره أبو عبدالله الذهبي فأثنى عليه وقال: لولا المذهب لصلح للخلافة فقد كان زيديًا[*]

---

(١) جاء في صبح الأعشى ٧: ٣٧١ عن العمري ت٧٤٩هـ ما يلي: قال القلقشندي ت٨٢١هـ: واعلم أنه في «التثقيف» قد جمع بين عرب البحرين والبصرة وما إلى ذلك وجعل المكتبة إليهم على ثلاث مراتب

المرتبة الأولى:

من يكتب إليه (السامي) بالياء والعلامةُ الاسم، (وذكر أن بها) يكاتب أميرهم، وسماه حنيًّا (صدقة بن إبراهيم بن أبي دلف) وأن تعريفه ملاذ بن ملان. وذكر في رتبة في المكاتبة يومئذٍ محمد بن مانع وأخوه حسين بن مانع وعلي بن منصور.

المرتبة الثانية:

من يكتب إليه (السامي) بغير ياء والعلامة الاسم. وذكر منهم بدران بن مانع: رومي بن أبي دلف - زين بن قاسم - يوسف بن قاسم - سعيد بن مَعْدي - راشد بن مانع - عيسى بن عرفة - ظالم بن مجاشع - إسماعيل بن صواري - كلبي بن ماجد بن بدران - مانع بن علي - مانع بن بدران

المرتبة الثالثة:

من يكتب إليه ((مجلس الأمير)) والعلامة الاسم. وعد منهم جماعة، وهم عظيم بن حسن بن مانع: موسى بن أبي الحسن - سعد بن مُغَامس - زيد بن مانع - هلال بن يحيى - معمر بن مانع - محمد بن خليفة.

قلت - الكلام للقلقشندي -: وحاصل ما ذكره في التعريف والتثقيف أن جملة المكاتبة إليهم لا تجاوز المراتب الثلاث المذكورة، والكاتب يستخبر أخبارهم في المقدار، وينزل كل واحد منهم على قدر مرتبته من ذلك كما في الأسماء المتقدمة الذكر

(٢) م.كلية الآداب-البصرة،ع١٦ السنة الرابعة عشر ص٣٤.

(*) الزيديون: هم أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، وهم يقولون بإمامة أولاد علي ويجوزون إمامة المفضول على الأفضل للمصلحة العامة، وكانت الشيعة ترفض هذا المبدأ.

كأهل بيته[1]، واستولى على مكة ابناء حميضة ورميثة ثم قبض عليهما أمير الحج المصري وجهزهما إلى مصر وولى أخويهما أبا الغيث وعطيفة. ثم استبد بالإمرة أبو الغيث سنة ٧٠٣هـ[2].

٧٠١هـ في هذه السنة البصرة خربت بالطواعين[3].

من البدع التي كانت متفشية في مكة المشرفة

٧٠٢هـ ((في المحرم وصل الشريفان حميضة ورميثة إلى القاهرة في الحديد صحبة الأمير بيبرس الجاشنكير وسجنا.

وفيه سعى الأمير بيبرس الجاشنكير عند الملك الناصر صاحب مصر بأن بمكة المشرفة جملة من البدع، منها الأذان بحي على خير العمل، ومنها إمام زيدي بالمسجد الحرام ومنها بعض الفجرة جاؤوا إلى موضع عال من جدار الكعبة المقابل لباب البيت فسموه بالعروة الوثقى، وأوقعوا في نفوس العامة أن من ناله بيده لقد استمسك بالعروة الوثقى.

فكتب صاحب مصر صحبة أمير الركب يأمر الأشراف أبا الغيث وعطيفة أمراء مكة ألا يمكنوا من الأذان بحي على خير العمل ولا يتقدم في الحرم إمام زيدي وألاّ يهبط الحاج حتى يقلعوا ما كان في الكعبة مما سموه العروة الوثقى، ولا يمكن أحداً من مس المسمار الذي في الكعبة الذي يقال له سرة الدنيا وكان يحصل من التعلق بالعروة الوثقى ومن التسلق إلى المسمار مفاسد قبيحة، فترك ذلك كله))[4].

٧٠٤هـ ((رحل جماز بن شيحة من مكة إلى المدينة وكان قد تزوج من السيدة حزيمة أخت أبي نمي محمد نجم الدين فسقته هجرس أمَةٌ لحزيمة سمًّا فرحل ز ثراً معلولاً وعند ذلك أمر بالإمارة إلى ابنه أبي عامر منصور وتوفي في شهر صفر سنة ٧٠٤هـ))[5].

مقتل ابن مغامس على يد العماير

٧٠٥هـ فيها حدثت معركة الرقيقة، وهي المعركة التي ((نازع العماير فيها ابن زويمل على السلطة فقتل سعيد بن مغامس على يد سنان بن مانع بن إبراهيم العميري))[6].

---

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٦٢.

(٢) راجع: مخطوط السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشلي باعلوي ص٨٠١.

(٣) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد إبراهيم صبغة الله الحيدري ط١/ ص١٥٨.

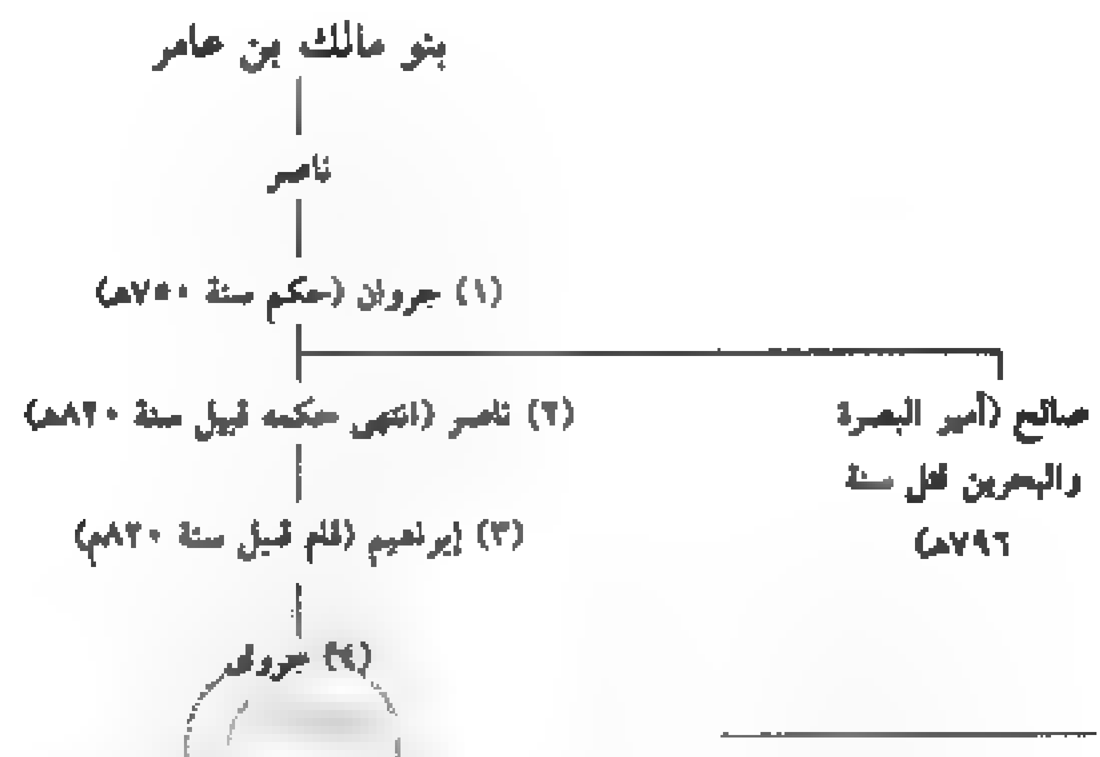
(٤) إتحاف الورى بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهيم شلتوت جامعة أم القرى ط١/١٩٨٣ ج٣ ص٣٦.

(٥) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٧١.

(٦) الـ١٠٠٠سنة الغامضة من تاريخ نجد٣ عبدالرحمن السويداء ط١/٢٠٠٠م ص٢٨٨ عن تاريخ عسير للحفظي ص٥١.

جروان ينتزع الحكم في القطيف من ابن مغامس

وفيها (٧٠٥هـ) هزم سعيد بن مغامس زعيم القرامطة في القطيف بالبدوي جروان المالكي مِنْ قبيلة قريش[١]. وحكمَ بنو جروان بلاد البحرين كلها لمدة قرن ونصْف تقريباً[٢]. وابتدأ الجروانيّون منذ عام ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م بدفع الرسوم إلى حكام هرمز وأعطوا حرية الفكر والعقيدة للعلماء الإماميين وذلك رغم أنهم آنذاك كانوا ما يزالون مجموعة صغيرة، ((وتجدد بذلك العهد الشيعي في المنطقة مرة أخرى ووصلت القوة الشيعية إلى السلطة المباشرة. وبعد وفاة جروان تولى القيادة ابنه ناصر وتلاه ابنه إبراهيم الذي كان ما يزال حيًّا في سنة ١٤١٧م. وقد ذكر السخاوي بأن الجروانيين يعتبرون بقايا من القرامطة وهم إسماعليون))[٣].



---

(١) توصل الباحث السعودي القديح إلى قناعة مفادها أنّ كلمة (قريش) الواردة في نص ابن حجر في (الدرر الكامنة ج١، ٧٥) ماهي إلا تصحيف في الأصل أو المطبوع عن (قيس) ويقول. ويكون صحيحا حاكم القطيف هو إبراهيم ابن ناصر بن جروان المالكي من بني قيس الذين هم بطنٌ من بني عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ثم قال: وكونه من بني مالك من قيس فهو يعني أنه من بطن متأخر يُعرفون ببني مالك، وأغلب الظنّ أنهم هم البطن الذي تحدّر منهم آل جبر حكام المنطقة في القرنين التاسع والعاشر، كما أنّ أصدق الظنّ أنهم بنو قيس بن جوثة بن طهفة بن حَزْن بن عُبادة بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الذين ذكر ابن العديم في تاريخ حلب أنهم كان منهم بنو قرمطي بن جعفر بن عمرو بن المهيأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة الذين نُسب القرامطة لهم على أحد الأقوال. انتهى كلام القديح وأنا لا أستبعد صحة كلام القديح لأني لا أظن في الإحساء بادية معروفة لقريش، والله أعلم والنص الأصلي لأحمد بن حجر العسقلاني يقول. (إبراهيم بن ناصر بن جروان المالكي من بني مالك بطن من قريش صاحب القطيف، انتزع جده جروان الملك من سعيد بن مغامس بن سليمان ابن رميثة القرمطي في سنة ٧٠٥هـ وحكم بلاد البحرين كلها، ثم لما مات قام ولده ناصر مقامه، ثم قام إبراهيم مقام أبيه وكان موجوداً في العشرين وثماني مائة وهم من كبار الروافض) راجع الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن حجر ت٨٥٢هـ دار الجيل بيروت ج١/ ٧٤.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص٣٣٧.

(٣) المصدر السابق ص٣٣٠، ٣٣١.

الغريب في الموضوع أننا نجد من يقول إنّ العصفوريين استمرت إمارتهم قرناً ونصف القرن[1]، وإذا قلنا إن بداية الدولة العصفورية كانت في سنة ٦٤٠هـ تقريباً، فهذا يعني أنها استمرت إلى سنة ٧٩٠هـ تقريباً! فهل هذا يعني أن ابن محامس وجروان المالكي جميعهما من نفس الأسرة العصفورية؟

كما أننا نكون أمام مأزق ثانٍ بسبب ما أورده المقريزي[2] من أن جروان بدأ حكمه في سنة ٧٥٠هـ وليس ٧٠٥هـ كما يشير بذلك مؤرخون نقل آخرهم من أولهم

خلاصة ما توصلت إليه قناعتي أنَّ حكم ابن محامس بدأ في سنة ٧٠٥هـ وانتهى في سنة ٧٥٠هـ على يد جروان مؤسس الدولة الجروانية التي انتهت دولة حفيده إبراهيم على يد آل جبر في سنة ٨٤٣هـ وليس ٨٢٠هـ كما يذكر بعض المؤرخين. ويذكر العسقلاني الذي توفي في سنة ٨٥٢هـ وقد أدرك دولة بني جبر قبل وفاته وأرخ لها: أن ((ما بين إمارة آل عصفور وآل جبر إمارة ثالثة لبني محامس)).

انتزاع مقبل بن جماز إمارة المدينة من منصور بن جماز

٧٠٩هـ ((منصور بن جماز بن شيحة ولد سنة ٦٥٥هـ...، وفي ضمن مدة إمارته انفرد عنه إخوته وقدموا عليهم أخاهم مقبل بن جماز وشيّعوه على أنفسهم وحاصروا منصوراً فلم يقدروا عليه، فأظهر مقبل السفر إلى الشام لمصالح له فصنع سلماً مفصلاً يركب بعضه على بعض فلمّا جن الليل لسبت ١٨ من شهر(**)... سنة ٧٠٩هـ نصبه على الحصن ودخل مع إخوته على منصور فأكما أمره إلى الصباح ولم يشعر به أحد، فظن أهل المدينة أنهم لا يحاربونه، معلم بهم كبش بن منصور فاستخرج بأهل المدينة فأجابوه وقاتلوا معه فقتل مقبل وقاسم وجوش ابنا أخيه قاسم فعظمت العصبية على منصور وقدم عليهم أخوهم أبو مزروع ودي بن جماز وقاموا بطلب الثأر فاستحكم بينهم الفساد))[3].

---

(١) يقول الدكتور فاروق عمر: ((استمرت إمارة العصفوريين العامرية أكثر من قرن ونصف القرن من الزمان إلّا أن مظاهر الانهيار بدأت بالظهور منذ حوالي النصف الأول من القرن الثامن الهجري حيث استفحلت الخصومات حول السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة نفسها. وقد جرَّ هذا التنافس بين الأمراء إلى لجوء الأمير الحاكم إلى المرتزقة والعبيد لحمايته بدلاً من اعتماده على أفراد قبيلته لأنه بات يخشى ضروع بطون وأفخاذ قبيلته في مؤامرات ضده. (تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص٢١٥) في الهامش: د. الحميدان، إمارة العصفوريين، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، عدد ١٥، ص١١٨

(٢) قال المقريزي في كتاب درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة أثناء ترجمته لابن جروان: ((ابن جروان ملك الإحساء إبراهيم بن ناصر بن جروان المالكي من بني مالك القرشي الشيعي ملك الإحساء. ورث الملك عن آبائه وأول دولتهم في سنة ٧٥٠هـ أخذها جده جروان من سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة القرمطي، وجميع أهل الإحساء والقطيف والبحرين وتاروت رفضة. وقام بعد جروان بالإحساء ابنه ناصر ثم قام إبراهيم بعد أبيه ناصر قبيل سنة عشرين وثمانمائة)).

(٣) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٨١.

ولاية أمير المدينة المنورة على نصف نجد

٧٠٩هـ ((ذكر المقريزي في كتابه (السلوك في معرفة دول الملوك) أن الملك المظفر قد ولّى الشريف مقبل بن جماز بن شيحة أمير المدينة المنورة عند مقدمه إلى القاهرة سنة ٧٠٩هـ نصف إمرة نجد. ويرجح منير العجلاني (تاريخ البلاد السعودية) عند مناقشته لتلك الحادثة أن النصف الآخر من إمرة نجد كان في يد أخيه منصور، ويبدو من ذلك أن هذه التبعية كانت اسمية على الأقل وأن مصر كانت تنظر إلى نجد في تلك الفترة على أنها إحدى ممتلكاتها))[١].

مقتل مقبل بن جماز

٧٠٩هـ ((مقبل بن جماز بن شيحة... قريب أمير المدينة وولد مستوليها طرقها من شعبان سنة ٧٠٩هـ فتخيفل معه كبيش بن منصور بن جماز وهو ابن أخيه وكان إذ ذاك يحلف أباه على الإمرة فدهمهم مقبلاً ليلاً ونصب سلماً خشبيًا كان معه مقطعاً وصعد منه إلى السور فاستيقظ كبيش وتقاتلا إلى أن قتل مقبل وقتل معه من أقاربه قاسم بن قاسم بن جماز واستمروا حزبين))[٢].

مقتل الشريف جماز بن منصور

٧١٢هـ ((مات جماز بن منصور وخواصه... قيل إنه قتل في حرب بينه وبين...[٣]، وقيل بل غالوهما بادية مطير وهم نيام)[٤].

بعض بني لام يقطعون الطريق فيما بين مكة وتبوك

٧١٣هـ. قال أبو الفدا في تاريخه: اجتمع جماعة من عربان بني لام من عربان الحجاز وقصدوا قطع الطريق على سوقة الركب الذين يلاقونهم من البلاد إلى تبوك عند عود الحاج وساروا إلى ذات حج واتفقوا مع السوقية تقدير عشرين نفساً وأكثر ثم انتصروا على بني لام وهزموهم وأخذوا منهم تقدير ثمانين هجيناً وعادت بنو لام بخفي حنين.

قبائل طريق الحج المصري في عهد العمري

قال العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ الذي وضع كتابه في سنة ٧٣٨هـ:

فأما طريق الركب المصري ممن القاهرة إلى عقبة أَيْلَة لعائذ. (يقول المحقق في الهامش: عائذ جذام)

---

(١) بنو خالد وعلاقتهم بنجد للوهبي

(٢) الدرر الكامنة ٥-١٢٥) (تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٧٥ من الهامش أسفل الصفحة.

(٣) فراغ في الأصل.

(٤) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٤١٠.

ومن العقبة إلى الدأماء ما دون عيون القصب لبني عقبة. (يقول المحقق في الهامش: عُقبة بن محرية بن حرام من جذام)

ومن الدأماء إلى أكدى وهي فم الصيقة لبلي.

ومن أكدى إلى نما وهي آخر الوعرات لجهينة.

ومن نما إلى نهاية بدر على المرعه وإلى نهاية الصفراء (قرية فوق ينبع) على نقب علي لبني حسن أصحاب ينبع. (قلت: قوم الشريف قتادة) ويليهم من أقاربهم من بني حسن أصحاب بدر إلى رملة عالج في طرف قاع البزواء.

ومن الصفراء إلى الجُحفة ورابغ لزبيد الحجاز.

ومن الجحفة على قديد (قرب مكة) وما حولها إلى الثنية المعروفة بعقبة السويق (على مسافة نصف يوم من خليص) لسليم.

ومن الثنية على خليص إلى الثنية المشرفة على عُسفان للشريف جسار من بني حسن.

ومن الثنية المشرفة على عُسفان إلى الفج، وهو المسمى بالمحاطب لبني جابر وهم في طاعة صاحب مكة المعظمة.

ومن المحاطب إلى مكة لصاحب مكة المعظمة وبني حسن[1].

٧١٥هـ (قال أبو الفدا) وفيها: توفي محمد بن أحمد بن حجي بن يزيد بن شبل أمير آل مراد، وكانت وفاته في أواخر هذه السنة واستقر بعده في إمرة آل مراد ثابت بن عساف بن أحمد بن حجي المذكور وبقي ثابت المذكور وتوبة بن سليمان بن أحمد يتنازعان على الإمرة.

فرار الشريف حميضة إلى العراق وتجهيزه إلى مكة

٧١٥هـ- ١٣١٦م في هذه السنة فرّ حميضة بن أبي نمي شريف مكة إلى السلطان التتري أولجايتو بن أرغون فأكرمه إكراماً عظيماً، فطلب منه العون لأخذ مكة ووعده أن يخطب له بها فبذل له عسكراً يذهب به إلى مكة ومنها إلى الشام، أو إلى الشام أوّلاً لأنه وعده أن يملكه له وأحس أولجايتو منه شجاعة عظيمة وهمّة عالية فعين له عشرة آلاف فارس من مغول وعرب (عقيل وخفاجة) وعرب البصرة وأمّر عليهم الأمير طالب الدرفندي الأفطسي نائب السلطنة بالبصرة وجهز معه خزانة ليسير بالعسكر مع حميضة ويقاتل عسكر المسلمين الواصلين إلى الحج، ويملك حميضة بدل أخيه رميثة، وساروا بعد منتصف سنة ٧١٦هـ تقريباً - وليس تاريخ مسيرهم معروفاً - من البصرة إلى القطيف متوجهين إلى أطراف الشام وأرسل الشريف حميضة إلى أمراء العرب من كل قوم فأجابوه، وأهم ذلك أهل الشام فالتجأوا إلى أمراء طيّئ وقومهم وهم عرب كثيرون ليس في العرب مثلهم كثرة وتمولاً، وأمراؤهم آل فضل أمراء العرب. ولما جاوزوا البصرة بلغهم موت السلطان خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو (في ٢٧ رمضان ٧١٦هـ،

---

(١) مسالك الأبصار للعمري ت٧٤٩هـ تحقيق الدكتور حمزة أحمد عباس ج٤ ص٣٩٥.

وكاتب الوزير رشيد الدين الطبيب ذلك العسكر أن يتفرقوا لمداراة كانت له مع السيد طالب، فتفرق ذلك العسكر ولم يبق مع الدرفندي غير ثلاثمائة من التتر وأربعمائة من عقيل عرب البصرة، وكان قد استولى على البصرة ابن السوايكي وثارت به الأعراب الذين جمعهم السيد حميضة مع أعراب طيئ فهزموهم، وحارب السيد حميضة في ذلك اليوم حرباً لم يسمع بمثله فيحكى عن السيد طالب الدلقندي أنه قال: ((ما زلت أسمع بحملات علي بن أبي طالب ﷺ حتى رأيتها من السيد حميضة معاينة)) فقد سار محمد بن عيسى بن مهنا بعربه من خفاجة وعرب إخوته وأولاد إخوته إلى الدرفندي فأحرز له بالقرب من البصرة وأتقع معه في العشر الأخير من ذي الحجة فانهزم الدرفندي في بضع وثلاثين نفساً من الزامة وكبس عسكر حميضة ليلاً فوضع فيهم السيف وهو يصيح باسم الملك الناصر. وانهزم حميضة برقبته وأخذ حريم حميضة وما كان معه من الأموال وكذلك الخيم والأثقال والجمال وكان ذلك شيئاً عظيماً[1].

وصول حميضة إلى مكة على فرس واحد

٧١٧هـ فيها: ((قدم الأمير حميضة من بلاد العراق، على فرس واحد، مسافة عشرين ليلة ومعه اثنان من أعيان التتار هما روقيدي وملك شاه، ومعه ثلاثة وعشرون راحلة فصلت من العسكر الذين خرجوا صحبته من أبي سعيد بن خربنده ملك التتار، وساعده الرافضة لنصرة حميضة وغزو مكة، ونبش قبري الشيخين من جوار النبي ﷺ.

فحاربهم الأمير محمد بن عيسى أخو مهنا، وكان ببلاد التتار قد خرج عن طاعة السلطان لما بلغه الخبر، فكسرهم ونهبهم، فأقاموا بوادي نخلة بعد أن لقوا في طريقهم شدة، واستأذن أخاه رميثة في دخول مكة فمنعه من ذلك، إلا بعد إذن من السلطان فأرسل له يخبره بذلك، فكتب السلطان إلى حميضة ومن معه من روقيدي وملك شاه يطلبهم بالحضور بين يديه بالأمان وجهز لهم عسكراً صحبة الأمير سيف الدين إيتمش المحمدي، وسيف الدين بهادر العبدي أمير علم فوصلوا إلى مكة، وأرسل الأميران إلى حميضة في معاودة الطاعة والتوجه معهما إلى الأبواب السلطانية فاعتذر من قلة النفقة، فأعطياه مالاً، فلمّا قبضه تغيب وعاد الأميران إلى القاهرة))[2].

٧١٧هـ وفيها حج الأمير حسام الدين مهنا وولده سليمان في ستة آلاف وأخوه محمد بن عيسى في أربعة آلاف ولم يجتمع مهنا بأحد من المصريين ولا الشاميين[3].

استيلاء الشريف حميضة على مكة المكرمة

٧١٧هـ ((وفيها أو في التي بعدها. بعد عود الحاج من مكة وثب الأمير عز الدين حميضة على أخيه أسد الدين رميثة بموافقة العبيد وأخرجاه من مكة، فتوجه رميثة إلى نخلة واستولى حميضة على مكة،

---

(١) تاريخ أبي الفداء، وراجع عمدة الطالب لابن عنبة صفحة ١٦٨-١٦٩، وراجع الرسائل الكمالية ص٢٤٢.

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد حمد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج١ ص٦٢٢.

(٣) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط١/١٩٦٦م ج١٣ ص٩٥.

وقطع الخطبة السلطانية، وخطب لملك العراقين أبي سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو وأخذ أموال التجار))[1].

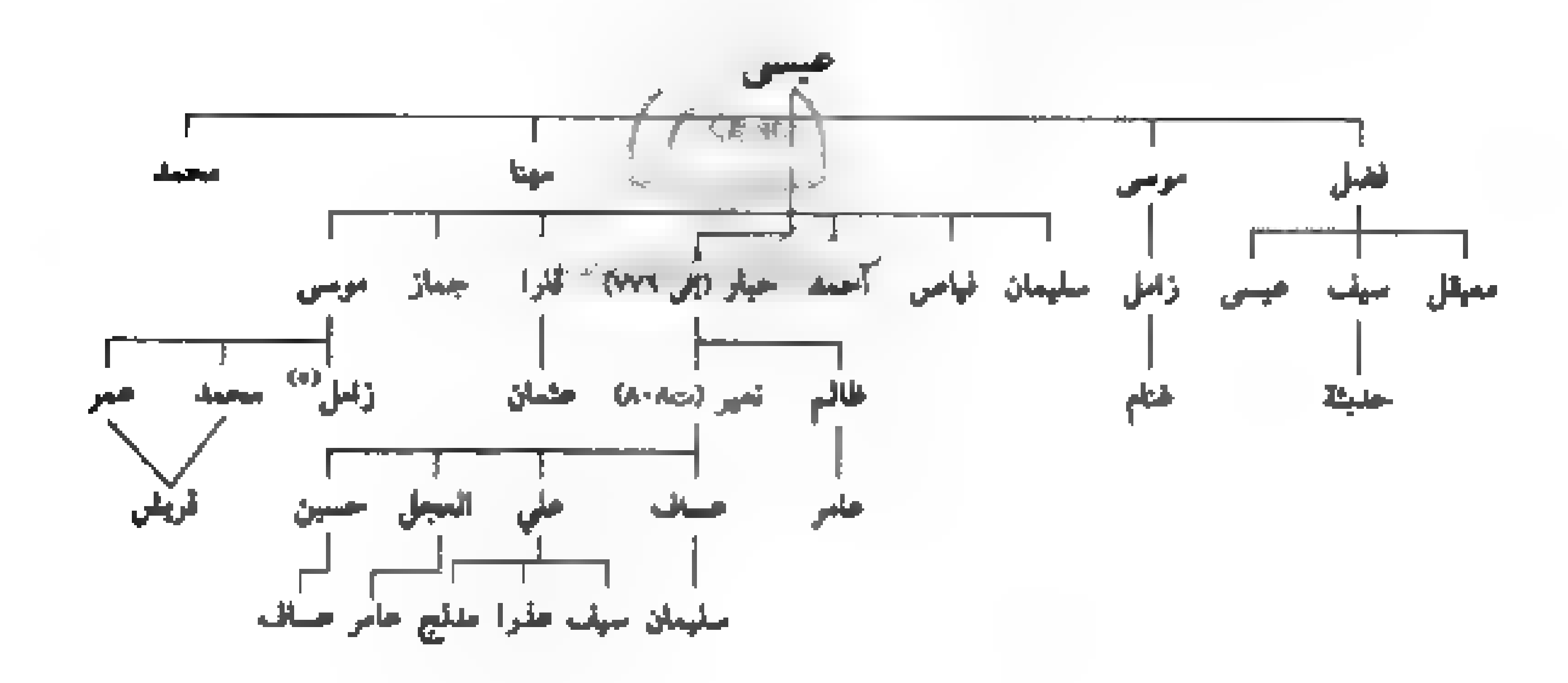
التتار يقومون بإعطاء البصرة لفضل بن عيسى

٧١٨هـ ((في أوائل هذه السنة سار فضل بن عيسى إلى ابن خربندار وجوبان إلى بغداد واجتمع بهما وأحضر لهما تقدمة من الخيول العربية فأقبل جوبان عليه وأعطى فضل المذكور البصرة واستمرت له إقطاعاته التي كانت له بالشام بيده مع البصرة، وأقام فضل عندهم فترة واجتمع بقراسنقر هناك ثم عاد إلى بيوته وبعد مسير فضل عنهما سار جوبان وابن خربندار عن بغداد إلى قنغرلان وهي المدينة الجديدة المسماة بالسلطانية))[2].

حلف عقيل مع غيرهم لطرد فضل بن عيسى من البصرة

٧١٨هـ ((حالفت عقيل عرب الإحساء والقطيف على مهنا بن عيسى وطردوا أخاه فضلاً عن البصرة، فجمع مهنا العرب وقصد عقيلاً، والتقى الجمعان وافترقا على غير قتال ولا طية بعد أن أخذت عقيل أباعر كثيرة تزيد على عشرة آلاف من عرب مهنا المذكور، وعاد كل من الجمعين إلى أماكنهما وكانت هذه البرية وغالب بلاد الإسلام مجدبة لقلة الأمطار وهلك العرب وضرب دواب تموت الحصر))[3].

٧١٩هـ حج الركب العراقي فخرجت عليه العرب ونهبوه[4].



---

(١) إتحاف الورى لابن فهد ط١ ج٣ ص١٥٨.

(٢) تاريخ أبي الفدا.

(٣) المصدر السابق.

(٤) (٧٧٠- ٧٨١هـ).

(٥) درر الفرائد المنظمة للجزيري ج١ ص٦٢٤.

شيخ آل حرب يقبض على الشريف رميثة

٧١٩هـ ((يقال إن السلطان لما علم بهروب رميثة بن أبي نمي من سجنه في مصر كتب إلى شيخ آل حرب[١] يقول له: هذا هرب على بلادك معتمداً عليك ولا أعرفه إلا منك، فركب شيخ آل حرب بالهجين السبق وسار خلفه مجدًّا فأدركه نائماً تحت عقبة إيلة فجلس عند رأسه وقال: اجلس يا أسود الوجه. فانتبه رميثة وقال: صدقت، والله لو لم أكن أسود الوجه لما نمت هذه النومة المشؤومة حتى أدركتني. فقبض عليه وحمله إلى حضرة السلطان فألقاه في السجن وضيق عليه فرجع في السجن ورمى الدم))[٢].

ولاية عطيفة مكة ونزوح حميضة إلى اليمن

٧١٩هـ ((في المحرم ولى السلطان الناصر عطيفة بن أبي نمي إمرة مكة وجهز عسكره مع أميرين.... وتوجهوا من القاهرة في المحرم فلمّا وصل العسكر إلى مكة أجلسوا بها عطيفة... وكتب الشريف عطيفة إلى السلطان: إن القواد في طاعته وإن حميضة نزح إلى اليمن وفارقه بنو شعبة[٣] وغيرهم وكثر بمكة الأمن والعدل ورخصت الأسعار...))[٤]

مهاجمة حميضة مكة مرة أخرى

٧٢٠هـ ((في جمادى الآخرة قصد حميضة مكة بجيش يريد أخذها، وقتل جماعة من أهل مكة والمجاورين بها، فخرج إليه أخوه عطيفة وأخوه عطاف وآخر من إخوتهما بعسكر ضعيف فنصرهم الله عليه وكسروه، وهرب من مماليك الأمراء ثلاثة ولجؤوا إلى حميضة))[٥] وقام أحد المماليك الثلاثة الذين لجؤوا إلى الشريف حميضة قرب نخلة واستغل استهتار حميضة باغتيال حميضة وهو نائم وعاد ليخبر بفعلته[٦].

زوجة أمير المدينة تحذره من فتك الناصر وبني خالد وبني لام

٧٢٠هـ ((أمر الأمير منصور الخدام والمجاورين بالرحيل عن المدينة وقال: من تخلف بعد ثلاثة

(١) لا أعرف هل يقصد بآل حرب القبيلة التي تعود بنسبها إلى بني أمية في نواحي الشام أم حرب القبيلة المعروفة في الحجاز أم حرب أخرى؟

(٢) إتحاف الورى لابن فهد ط١ ج٣ ص١٦٣

(٣) ينسبون إلى المهلهل المعروف بسالم الزير أخي كليب أحد جبابرة العرب وفرسانهم الشجعان وهم من ربيعة بن نزار. وقيل في نسب بني شعبة غير ذلك، ومنهم من ينسبهم إلى كنانة المضرية، قال ابن سعيد المغربي عن بني شعبة: لم يبق في البادية ممن ينسب لتغلب ولهم قائمة غيرهم. انظر نشوة الطرب ج٢ ص٦٤٠.

(٤) إتحاف الورى لابن فهد ط١ ج٣ ص١٦٣

(٥) المصدر السابق ص١٦٧.

(٦) المصدر نفسه ص١٦٨.

أيام انتقمتُ منه لمكاتبتكم للناصر فيّ بالقبض والاعتقال، فقال شيخ الخدام الحريري: لايهمكم قوله، فمن ذو كفاية فهو على ذاته ومن لم يكن فكل ما تحتاجون إليه فهو على الله ﷻ وعليّ، فأنا أحملكم على رأسي إلى مأمنكم وأنا الذي أعرف الملك الناصر، ثم أرسل إلى بني سالم وغيرهم من العرب ليأتوه بالعيس، وشرع في الزهاب والذهاب إلى الناصر.

وكان لمنصور زوجة صالحة ذات رأي سديد حذرته من فتك الناصر به، وبنو خالد إخوان المدينة، وبنو لام، فأرسل إليهم معتذراً منهم وعاهدهم على الأمن والاستمرار. والتمس منهم أن لا يكاتبوا الناصر فيه إلا بالإحسان. وفي زمن إمارته انتقل أمر القضاء من بني حسين إلى أهل السنة، فأولهم عمر بن[1]... الدمنهوري. قتل منصور سنة ٧٢٨هـ))[2].

شراء كشب ومران والحفر من قبيلة زعب

يذكر ابن شدقم عند ذكره لعقب الأمير منصور بن جماز أمير المدينة المنورة أن أحدهم يدعى: ((زيان وأمه كثيرية وهو أكبر إخوته)). ويقول ابن شدقم عمن روى منهم. ((رأى من والده الجفا والاختصاص بإخوته عنه، فلم يزل محتملاً وبالصبر متجرعاً، فرحل عنه إلى قبيلة زعب فأقام مدة طويلة على عز وكرم وإجلال وإعظام... هم قدموا واستفرغوا به على أعدائهم واقتدوا بالسابة فاقتدت به العشائر، ومالت إليه ذوو العرف والحماير، فاشترى من زعب جميع كشب ومران والحفر بحصان أعور)).

وقال. ((الحفر. بالفتح ثم السكون من مياه بملى ببطن مهروز، ووادي الحفر موضع آخر، والحفر اليوم منزل الأشراف من آل زيان بن منصور، والحفير مصغر بين ذي الحليفة وملل وهو المسمى في حدود الحرم بالحفيرة يصل إليه ماء من الحفر، عليه نخيل بالدهنا[3] لبني سعيد، وموضع آخر بين مكة والمدينة ثم منعهم من المنزل به وشرب مائه، فرحلوا عنه فصار كل من يرد مياهه يمسكهم من كل عير بعير ومن كل غنم شاة، إلا المتاريك[4] وهم طائفة من زعب لم يمسكهم، وهم باقون مع نسله إلى غايتنا هذه سنة ١٠٧٨هـ لم يمسكوهم بل على معزّة وكرامة وقد غار بهم على أبيه وإخوته فنهبهم وبدد شملهم مراراً متعددة. قال جدي حسن طاب ثراه: فزيان خلف سليمان، أمه عامية خالدية، ثم سليمان خلف أربعة بنين: إبراهيم الشعشاع، وسرداح، وزاهراً وزهيراً))[5].

---

(١) فراغ في الأصل.

(٢) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٧٥.

(٣) الدهنا: اسم موضع قرب ينبع.

(٤) بالنسبة للمتاريك، راجع سنة ٦٤٩هـ، فهم من نسل أمير المدينة عيسى بن شيحة الحسيني، فالأمير عيسى خلف أحد عشر ابناً، ومنهم: دمخ ودمج يقال لولده الدموح، ودمج خلف متروكاً، ويقال لولده المتاريك متازلين بني حسين البادية.

(٥) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٨٢.

عناية ملك العراق بالحج العراقي وهجوم قبائل البحرين عليه

٧٢٠هـ ((اعتنى أبو سعيد بن خربندا بأمر حاج العراق عناية تامة وغشّى المحمل بالحرير ورصّعه بالذهب، وباللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر...، فلمّا مرّ ركب العراق بقرب البحرين خرج عليهم ألف فارس يريدون أخذهم، فتوسط الناس بينهم على أن يأخذوا من أمير الركب ثلاثة آلاف دينار، فلمّا قيل لهم: إنما جئنا من العراق بأمر الملك الناصر صاحب مصر، وكتابه إلينا بالمسير أعادوا المال، وقالوا: لأجل السلطان الملك الناصر نخفركم بلا شيء، ومكنوهم من المسير، فبلغ ذلك السلطان فسر به، وبالغ في الإنعام على العربان، ودعي لأبي سعيد بعد الدعاء للسلطان بمكة، وكان السلطان قد بعث إلى أمراء المحمل وأعيانهم الخلع..))[1].

٧٢١هـ ((في أولها خلف بنو حسن لرميثة، وأظهر رميثة مذهب الزيدية، وكتب عطيفة أمير مكة ومملوك كان معه لنائب السلطان، يذكران للسلطان ذلك فوصلت الكتب للسلطان في ربيع الآخر أو في جمادى الأولى فانزعج السلطان من هذا الأمر واشتد غضبه على رميثة))[2].

نموذج شعري لغانم بن عبيد الصخري

٧٢٣هـ في هذه السنة قابل ابن فضل الله العمري غانم بن عبيد الصخري من بادية الشام على طريق الحج الشامي بالقرب من العلا، وقال عنه: ((هو شاب كما انفك من عمده وأول ما برز كريم بنده قد علا شرفاً وتلثم بعمامة مد منها طرفاً فأنشدني من شعره من قصيدة:

حيف الله في صَبٍّ أصيبت بمطرة ... فؤاد لـه أعشاره لا تشعث
وإنِّيَ بالحي الخلوف لمُزنَّح ... فؤاد لم يكن في الحيّ أهلٌ ومرحبُ[3]

هذا النموذج الشعري لأحد رجال البادية في القرن الثامن الهجري، يعرّفنا بحق على اللهجة السائدة في ذلك الوقت، ويلاحظ التطوّر الذي طرأ عليها وصولاً إلى زمننا الحالي، وسيرد في الكتاب نماذج أخرى لتكون رسماً بيانياً يرصد تغيّر اللهجة، وتغيّر الأسلوب الشعري.

حصن فيد وذكرُ ابني مهنا بن عيسى

في ذي الحجة / نوفمبر ١٣٢٦م وصل ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) صباحاً إلى حصن فيد وذكر أنه حصن كبير في بسيط من الأرض يدور به سور. وقال إنه في نصف الطريق من مكة إلى بغداد، وأن منه إلى الكوفة مسيرة اثني عشر يوماً في طريق سهل به المياه في المصانع. وذكر التقاءه بأميري العرب فياض وحيار بكسر الحاء ابني مهنا بن عيسى آل فضل ومعهما من خيل العرب ورجالهم ما لا يحصون[4].

---

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج١ ص٦٢٦.

(٢) إتحاف الورى لابن فهد ط١ ج٣ ص١٧٣.

(٣) الدرر الكامنة لابن حجر السفر الثالث ص٢١٧

(٤) رحلة ابن بطوطة محمد بن إبراهيم اللواتي، تقديم وتحقيق عبدالهادي التازي ط/١٩٩٧م المغرب م١ ص٤١٣.

دور خفاجة في طريق البصرة

قال ابن بطوطة: سافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة، وهم أهل تلك البلاد، ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد، ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلا في صحبتهم، فاكتريت جملاً على يد أمير تلك القافلة شامر بن دراج الخفاجي[1].

ووصف ابن بطوطة البصرة بقوله. إنها ثلاث محلات إحداها (محلة هُذيل) وكبيرها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الأثير، هو من الكرماء الفضلاء وقد استضاف ابن بطوطة وبعث له بثياب ودراهم، والمحلة الثانية (محلة بني حرام) وكبيرها السيد الشريف مجد الدين موسى الحسني وهو ذو مكارم وفواضل وقد فعل لابن بطوطة مثل ما فعله ابن الأثير من الضيافة والكرم، أما المحلة الثالثة فهي (محلة العجم) ومتنفذها جمال الدين بن اللوكي[2].

وذكر أيضاً أن أهل البصرة على مذهب السنة والجماعة، ومن المشاهد التي شاهدها في البصرة مشهد طلحة بن عبيدالله أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومشهد الزبير بن العوام حواريّ الرسول ﷺ وهو بخارج البصرة ولا قبة عليه، وقبر حليمة السعدية ﷺ وعليه قبة، وعلى ستة أميال منها بقرب وادي السباع قبر أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وبها سوى ذلك الجم الغفير من الصحابة والتابعين من أصحاب يوم الجمل، وكان أمير البصرة حين وورد ابن بطوطة إليها ركن الدين العجمي التوريزي[3].

حكم بني نبهان الازديين لعمان وتبعيتهم لهرمز

وورد في رحلة ابن بطوطة أن أمير ظفار في وقت وروده هو السلطان الملك المغيث ابن الملك الفائز ابن عم ملك اليمن - المجاهد نور الدين علي بن السلطان المؤيد هزبّر الدين داود بن السلطان المظفر يوسف بن علي بن رسول - وكان أبوه أميراً على ظفار من قبل صاحب اليمن وله عليه هدية يبعثها في كل سنة[4].

وزار أيضاً مدينة قلهات العمانية وقال عن أهلها: ((وكلامهم ليس بالفصيح مع أنهم عرب، وكل كلمة يتكلمونها يصلونها بلا، فيقولون مثلا تأكل لا؟ تمشي لا؟))، وأما عن مذهبهم فقد قال. ((وأكثرهم خوارج لكنهم لا يقدرون على إظهار مذهبهم لأنهم تحت طاعة السلطان قطب الدين تهتمن ملك هرمز وهو من أهل السنة))[5].

---

(١) المصدر السابق ج٢ ص٧.

(٢) رحلة ابن بطوطة محمد بن إبراهيم اللواتي، تقديم كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٤م ص١٨٦.

(٣) المصدر السابق ص١٨٨.

(٤) المصدر السابق ص٢٦٥.

(٥) رحلة ابن بطوطة محمد بن إبراهيم اللواتي، تقديم وتحقيق عبدالهادي التازي ط/١٩٩٧م المغرب م٢ ص١٣٥.

وأما عن عمان فذكر أن عاصمتها هي مدينة نزوة وأن سلطانها هو أبو محمد بن نبهان من الأزد بن الغوث، (وأبو محمد) لقب لكل أمير يتولى أمور عمان ويذكر أن أهلها إباضية[1]

مرور ابن بطوطة بالقطيف والإحساء

ومر بالقطيف [وقال] عنها. ((مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثير، يسكنها طوائف العرب، وهم رافضية غلاة يظهرون الرفض جهاراً لا يتقون أحداً)) ثم سافر إلى هجر وقال إنها صارت تسمى الحسا، وذكر كثرة نخلها وذكر أن أهلها عرب أكثرهم من عبدالقيس بن أفصى[2].

اليمامة سكانها بنو حنيفة واميرها طفيل بن غانم

ويقول ابن بطوطة عن رحلته من الإحساء إلى اليمامة: ثم سافرنا منها - أي الإحساء - إلى مدينة اليمامة، وتسمى أيضاً بحجر مدينة حسنة خصبة، ذات أنهار وأشجار، يسكنها طوائف من العرب وأكثرهم من بني حنيفة وهي بلدهم قديماً وأميرهم طفيل بن غانم، ثم سافرت منها في صحبة هذا الأمير برسم الحج وذلك في سنة ٧٣٢هـ إلى مكة شرفها الله تعالى ولما انقضى الحج توجهت إلى جدة[3].

ذكر امير المدينة كبش الحسيني ومسير الأمير حمزة العقيلي إليه

٧٢٥هـ في هذه السنة وقيل في سنة ٧٢٧هـ تولى السيد كبش بن منصور بن شيحة بن هاشم بن قاسم ابن مهنا الشريف الحسيني إمارة المدينة بعد أن قتل والده في شهر رمضان، وفي سنة ٧٢٩ ثار أولاد مقبل بن جماز على كبش وقتلوه فأمر ملك مصر بالإمارة لأخيه طفيل[4]

ففي سنوات حكم السيد كبش بن منصور على المدينة (من ٧٢٥هـ إلى ٧٢٩هـ) قدم الأمير حمزة العقيلي بالرحيل إليه منطلقاً من جهة العيينة في قسم نجد ومدحه بقصيدة جميلة وكان كمن يستجدي السحاب ونترككم مع القصة برواية السيد ضامن بن شدقم، فهو يقول: ومما حكي ونقل لي عن الأمير كبش وكرمه: أن الأمير حمزة بن ..[5] العقيلي كان سخيًا كريماً مفرطاً وكانت زوجته تمنعه عن ذلك، فلطمها ذات يوم لتعرضها له، فهجرته لقلة ما في يده، فرحل قاصداً الأمير كبش بهذه الأبيات، وكانت ركابه التي كان رحل عليها سبعة عشر بعيراً وقد ذكرها في هذه القصيدة قال:

١- زارَ الخيالُ قاصي المنزلِ	وهناً وقد خفق السماك المنزلِ
٢- متهوداً صاق الهروج وقد هدى	خالي الحشا في نومه واستثقلِ

---

(١) المصدر السابق ص١٤٠

(٢) المصدر السابق ص١٥١

(٣) المصدر السابق ص١٥٣

(٤) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٣ ص٤٠٤.

(٥) بياض في الأصل.

٣- واحبه من طارش لو أنه   لو انجلى طيب الكرى لم ينجلي
٤- حييته فأصدُّ عني معرضاً   بالنوم واليقظ كذلك يفعلي
٥- متدللاً تيهاً على كماله   حبه بقلبي قط ما هو ينجلي
٦- يا نافل بالزين كل مقنع   لم يخط سهم مقلتيك المقتلي
٧- أسقمتني عمداً بغير جنية   فإلى متى عني صدودك ينجلي
٨- إن كان يعجبك الصدود فإنني   راضي عدلت بحكمك أو لم تعدل
٩- أرفق عليَّ فإنني بك راضي   من عشقٍ لا يأنف ولا يتزعل
١٠- من عشق مثلك درة مصيونة   مثل الغزال الزيجان الأكحل
١٤- أنت الحلي وأنا المصاب المبتلى   ليس المصاب المبتلى مثل الحلي
١٥- وأنا أسأل الله حيث بليتني   ببلية أن يبتليك المبتلي
١٧- ما واجباً منك تهين مكرماً   في قومه سمح الوجوه المبجلي
١٨- المصطلين من الحروب لهيبها   الضاربين غليظ وسط الجحفل
٢٠- لا هايبين ولا ضعاف عزايم   لو داسهم غير الزمان وكلكل
٢٢- وتقول خلني أميمة من بعدما   سطرت سواي سيرة المترحل
٢٣- جداً على مثلي المزاح بغيظها   عمري وإيسار اللئام البخّل
٢٤- انتم غبركم القراح وغبركم   يتمصّلُ من لبن البكار الحفل
٢٥- فوكمتها لما سمعت حديثها   خُطْلاً وقلت لها: رويدك اعقلي
٢٦- لا تكرهي عدم الكريم من الغنى   والسيل حربٌ بالمكان المعتلي
٢٧- يهفي عن الرعن الطويل تمامه   ويحل بالخفظ العميق الأسفل
٢٨- فإن كان قبل اليوم ما ملكت يدي   فالدن أحياناً يفيض ويمتلي
٢٩- ظل البكا ينهلّ من مطروفها   غرقاً وظل العيض ماهاً جدول
٣٢- أمشت إلي بناشد قد أبصرت   لنظاير دمن السوام وتمقل
٣٣- من ذا تريد ومن تزور ولم تكن   دوماً بزوّار ولا مستفحل
٣٤- قلت الشريف ابن الشريف أزوره   ابن الرسول ابن البتول ابن الولي
٣٥- فانحيت من حول العيينة ضمرا   يرقلن إرقال النعام الجفل
٣٦- متهمات من مصدن عوامداً   وعسى بعد ورودهن لا تحمل
٣٧- كبش بن منصور بن جماز الذي   حاز الثنا وعذاره لم يكمل
٤٠- أنت الحجا نعم الحجا لمن التجا   وأنت الربيع لذي الزمان الممحل

٤٣- مانا بأوّل سيّدٍ وسحت به   لنظا إلى ملك نبيل وبجزل

٤٨- ثم الصلاة على النبيّ محمدٍ   ما لاحَ برقٌ في السحابِ المهطلِ

قال الصويان في الشعر النبطي. وقد أفدت من مخطوطة الذكير في التعرف على اسم أبي حمزة الذي تقول المخطوطة إنه شفيع. وهذا سمه أيضاً عند سليمان الدخيل.، واسم ابنه غانم. وفيما يلي أبيات شعرية مختارة من كتاب الشعر النبطي للصويان من قصيد شفيع أبي حمزة العامري.

٤٣- لا تكرهي عدمَ الكريم من الملا   فالسيل حرب للمكان المعتلي

٤٤- يهفي عن الرعن الطويل بماية   ويقرّ بالغمض الوطي الأسفلي

٤٥- وإن كان قل اليوم ما ملكت يدي   فالدلو أحياناً يغيض ويمتلي

٤٦- وتيقني إني وكل ذخيرة   ما سذخر إلا للزمان المعضلي

وقال أيضاً:

٥٧- قومي شبانة ذو المفاخر والعلى   والعود ينبت في مكانه عودا

٥٨- المركبين الضد كل كريهة   النازلين المنزل المحمودا

٥٩- السالمين من العيوب وبالقنا   عيد الصيوف إلى غدا الماجودا

٦٠- قوم تزيدهم الحروب شجاعة   والخير منهم للحروب بسيدا

٦١- ما يشتكي منا الصديق شكيّة   يوم ولا رزت عليه بنودا

٦٢- نبدي بحاجاته على حاجاتنا   يمم العدا وبمبتغى المقصودا

وفي كتاب البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم لسليمان الدخيل[1] توجد قصيدة لأبي حمزة شفيع العامري وسوف أذكر بعض أبياتها وذلك لأن القصد دائماً بالاختصار.

فانشد سراة بني سنان بأنهم   بيض الوجوه ربايب النعماء

عن سبهم عرضي وعن تشتيمهم   قبل محال سبهم آبائي

هل كيف بات الذم أبلج لم يكن   طول الحياة معتر وحية الأنواء

أرى أخاك أبا منيف قائلاً   صف لي بيوت مذمة وهجاء

وإلا فحل ربيعة من مقدّم   مروي الغليلة صاحب الغراء

لما لحقته بالمضيق فقال لي   قدم وخر إن بغيت جزائي

فعدلت رأس الرمح ثم ركزته   في صاحب المعلولة الشقراء

فبقين من بعد الورود صوادر   كمين كميت قطيعها بدماء

والضعن ياما ذدتكم عن قربه   دود الظماما عن زلال الماء

---

(١) البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم، لسليمان الدخيل ط١ س٢٠٠٣ ص٥٢.

وحبستكم بالكره عن فرسانكم	عند احتراج الظعن بالصمداء
ما تذكرون البيض يوم تركتها	بيض الوجوه ربايب النعماء
إن كنت يابن العم أكثر عزوة	لا بأس يابن العم بأخذ الشاء
إن الدجاج كثيرة أفراخها	إن الصقور قليلة الأضناء
وإلا فسل عنا الصبي مغامس	راعي القبله والمهرة الحمراء
في محفل يندب شبابه جدهم	لم يغض لي جفن على الأقذاء
الثابتين إذا القلوب تراجفت	الصامدين صليبة الصهباء
بيض الثياب نقية أعراضهم	عما يذم مغارس الهيجاء
أما تميركم علي بشعركم	سمهاً بقدر شجنكم وضفاء
وتيقنوا كل اليقين بأنني	تركي قضاكم عفة وحياء
منكم وإلا فالقريض أنا به	فطن ويوجع بالكبود قضاء
حنا حماة المنجنيق على العدا	حنا شراب الدم وحنا الداء
حنا كما روض خليفة نبته	يصعب وطئه بغير حذاء
نصبر ولو حلق القصير خيارنا	من خوفتي تشمت بنا الأعداء
وتأبى عن الطمع الزهيد نفوسنا	وفروجنا تأبى عن الفحشاء
ثم الصلاة على النبيّ محمد	ما غردت جنح الدجا الورقاء

وفاة أحمد بن تيمية

٧٢٨هـ قال ابن كثير: في ذي القعدة منه (سبتمبر ١٣٢٨م) كانت وفاة شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه.

دخول قوات هرمز إلى البحرين

٧٣١هـ- ١٣٣٠م: في هذه السنة دخلت قوات هرمز إلى البحرين في عهد قطب الدين تهماتن الذي كان يحكم هرمز منذ بداية القرن الرابع عشر[1].

٧٣٢هـ في هذه السنة توفي أبو الفداء الذي يصف مدينة الإحساء القديمة بأنها بليدة غير مسورة. ويعلق الأستاذ عبدالرحمن بن عثمان آل ملا على ذلك فيقول. هذا دليل على أن المدينة لم تعد على ما كانت عليه من الأهمية.

---

(١) مقالة مترجمة عن الإنجليزية نشرت في مجلة دراسات الشرق الأوسط ع١٢ بتاريخ ١٩٨٧ بقلم Juan R.I Cole بكتاب من سواد الكوفة إلى البحرين ص٣٢٩.

وفادة عدد من امراء بني عُقيل إلى مصر

وفيها (٧٣٢هـ) وفد عدد من أمراء بني عقيل إلى مصر وذلك حسب ما ذكر ابن فضل الله العمري وكان من بينهم: هلال بن أبي الحسن العامري العقيلي وكبي بن ماجد العامري العقيلي وكانت الإمرة فيهم في أولاد مانع بن عصفور.

نموذج شعري لـ كلبي بن ماجد من امراء البحرين

في الدرر الكامنة للعسقلاني قال: كبي بن ماجد العامري العقيلي من أمراء البحرين ذكره الشهاب ابن فضل الله وقال: كان شيخ ذو وقار وإجلال وكان يفد على السلطان ويأتي بالخيل العربية [المشهورة] في سرعة السير، وكان السلطان يكرم وفادته فيرجع مسروراً. قال وأنشدني لنفسه سنة ٧٣٢ من قصيدة:

لَعَمرُ سُلَيمَى إنها يومَ وَدَّعَتْ ... نعيمُ نفوسٍ في الوَرَى وعذابُها

لقد أصبحتُ من خَلْفِ رَمْلَةِ عالجٍ ... فَهَلْ بعدَ هذا البُعْدِ يَدْنُو اقترابُها؟

وللامير هلال بن ابي الحسين العامري

قال ابن حجر العسقلاني: هلال بن أبي الحسين العامري ثم العقيلي ذكره الشهاب ابن فضل الله وقال: كان من كبار قومه وله وفادات على الناصر ويهدي إليه الخيل الكرام قال وأنشدني لنفسه:

وديمومةٍ تيهاء كلفتُ حاجبي ... سُرَى الليل فيها واجتناب المحارم

قطعتُ بها الظلماء في كل وجهةٍ ... أشقّ الدجى فيها إلى أمّ سالم

داجٍ براها الله للعين فتنةً ... ألا هكذا أفعال عزّ المعاصم

٧٣٦هـ في هذا العام وصل إلى الديار المصرية وفد من الدولة العصفورية العامرية إلى مصر وقابلوا السلطان الناصر قلاوون وكانت الإمرة فيهم في أولاد مانع بن عصفور، وكانوا يصلون إليها وصول التجار.

انتقال قبيلة مالك بن عقيل إلى جهات البصرة

وفي القرن الثامن الهجري: صارت قبيلة مالك بن عقيل التي كانت في أرض تيماء من نجد إلى جهات البصرة، بينها وبين الكوفة في الآجام المعروفة بالبطائح والإمارة منهم في بني معروف، وتقول المصادر التاريخية إنه بعد موت ملك التتار سنة ٧٣٦هـ (تغلبت بعض قبائل العرب على البصرة). وربما أن قبيلة بني مالك هذه هي القبيلة التي في قبيلة المنتفق الآن.

الدولة الجلائرية (٧٣٧-٨٣٥هـ) في العراق

بعد وفاة خربندا التتري توصل إلى حكم العراق أسرة مغولية عرفت دولتها بالتاريخ بالدولة

الجلائرية وأصل هذه الأسرة من قبيلة جلاير المغولية فهي إحدى القبائل المغولية الأربع: أرلات، جلاير، قاجين، بارلاس[1].

قال ابن كثير ((جاءت الأخبار بموت ملك التتار أبي سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولي بن جنكزخان في يوم الخميس ١٢ربيع الآخر ٧٣٦هـ بدار السلطنة بقراباغ وهي منزلهم في الشتاء ثم نقل إلى تربته بمدينته التي أنشأها قريباً من السلطانية مدينة أبيه وقد كان من خيار ملوك التتار وأحسنهم طريقة وأثبتهم على السنة وأقومهم بها وقد عز أهل السنة بزمانه، وذلت الرافضة بخلاف دولة أبيه، ثم من بعده لم يقم للتتار قائمة، بل اختلفوا فتفرقوا شذر مذر إلى زماننا هذا وكان القائم من بعده بالأمر أرتكاوون من ذرية أبغا، ولم يستمر له الأمر إلا قليلاً))

وبعد أن وقع الخلاف بين التركمان التتريين، تفرقت كلمتهم وانقسمت المملكة بين أمرائهم وتغلب على بعض البلاد العراقية المماليك (ملوك مصر والشام) وتغلبت بعض قبائل العرب على البصرة والسماوة والكوفة وعلى جميع البلاد الواقعة على حافة البادية وحافة سواد العراق وخرجت السلطنة من العائلة الجنكيزية، بعد أن دخلت جيوش حسن الكبير الجلائري الذي كان يحكم سيطرته على آسيا الصغرى إلى العراق في سنة ٧٣٨هـ، وامتدت سيطرته على البصرة أيضا[2].

ما جرى للشريف احمد بن رميثة في العراق

يقول ابن عنبة ... ((وعاد – الشريف أحمد بن رميثة – إلى السلطان مصاحباً للقافلة العراقية، فأعظمه السلطان أبو سعيد إعظاماً عظيماً، وأحله مقاماً كريماً وفوض إليه أمر الأعراب بالعراق، فأكثر فيهم الغارة والقتل وكثر أتباعه وعرض جاهه وأقام بالحلة فامتد الأمر عريض الجاه كثير الأعوان إلى أن توفي السلطان أبو سعيد (ت٧٣٦هـ)، فأخرج الشريف أحمد الحاكم الذي بالحلة، وهو الأمير علي ابن الأمير طالب الدلقندي الحسيني الأفطسي، وتغلب على البلد وأعماله ونواحيه وجبى الأموال وكثر في زمانه الظلم والتغلب، علمًا تمكن الشيخ حسن ابن الأمير حسين أقبوقا الجلايري – (٧٣٨) – من بغداد وجه إليه العساكر مراراً فأعجزه لمراوغته مرة ومقاومته أخرى، ثم إن الشيخ حسن توجه إليه بنفسه في عسكر ضخم وعبر الفرات من الأنبار، وأحاط بالحلة، فتحصن الشريف أحمد بها فغدر به أهل المحلة التي كان اعتمد عليها، وخذله الأعراب الذين جاء بهم مدداً وتفرق عنه الناس حتى بقي وحده، وملك عليه البلد فقاتل عند باب داره في الميدان قتالاً لم يسمع بمثله وقتل معه أحمد بن فليتة الفارس الشجاع وأبوه فليتة، ولم يثبت من بني حسن غيرهما، وابتليا وقاتلا حتى قتلا. ولما ضاق به الأمر توجه إلى محلة الأكراد وقد نهبها مراراً وقتل جماعة من رجالها إلا أنهم لما رأوه قد خذل أظهروا له الوقاء، وواعدوه النصر، وتعاهدوا له أن يحاربوا دونه في مضايق درب البلد حتى يدخل الليل، ثم يتوجه حيث شاء. وكان الحزم فيما أشاروا لكنه خالفهم وذهب إلى دار النقيب (قوام الدين بن طاوس الحسني) وهو يومئذ نقيب

---

(١) راجع: تاريخ الغياثي: الهامش تحقيق د.طارق الحمداني ص٨١.

(٢) موسوعة البصرة الحضارية-جامعة البصرة

الأشراف. فلمّا سمع الشيخ حسن بذلك أرسل إليه شيخ الإسلام بدر الدين المعروف بابن شيخ المشايخ الشيباني وكان مصاهراً للنقيب قوام الدين بن طاوس فآمنه الشريف وحلف له وأعطاه خاتم الأمان وأرسل به إلى الأمير الشيخ حسن ......، فضرب عنق الشريف بسبع ضربات.....، وانقطعت قافلة العراق عن الحج مدة حياة الشريف رميثة -(ت٧٤٦)-))[1]

ويقول ابن عنبة: ((فلمّا توفي - الشريف رميثة - وملك ابنه عزالدين أبو سريع عجلان... تكلما في الصلح فأجابهما السيد عجلان (ت٧٨٨). وكان للشريف أحمد بن رميثة ابنان هما أحمد ومحمود فقرر - الشيخ حسن الجلايري - لهما من مال الحلة في كل سنة مبلغ عشرين ألف دينار تحمل إليهما في كل سنة إلى الحجاز، ولم تزل مستمرة يأخذها محمود وأحمد ... أما أحمد بن أحمد بن رميثة فدرج، وأما محمود ابن الشريف أحمد بن رميثة فولد محمداً رأيته بمكة شرفها الله تعالى سنة ٧٣٦هـ شاباً.... وأعقب محمد بن محمود بن أحمد غلاماً طفلاً مات عنه وهو صغير.. وليس لمحمد ولد غيره)).

وفي كتاب الأنساب لركن الدين الحسيني يقول: قتل الشريف أحمد سنة ٧٤٢هـ وهو الذي قدم الحلة من مكة وحكمها وحاربه الشيخ حسن أبو السلطان أويس سبع سنين إلى أن قتله في رمضان من هذا العام.

٧٣٧هـ ((فيها اصطلح الشريفان رميثة وعطيفة على المشاركة في الإمرة، وأقاما مدة ثم توجها إلى ناحية اليمن بالواديين، وترك عطيفة ولده مباركاً بمكة، وترك رميثة ولده مغامساً بالجديد، وحصل بين مبارك ومغامس منافرة، فركب مبارك إلى الجديد لقتال مغامس في يوم السبت ٢٧ رجب، وكان مع مبارك أصهاره الأعراب المعروفون ببني عُمير أصحاب الخيف المعروف بخيف بني عُمير بوادي نخلة، وجماعة من أهل مكة. فالتقى عسكره وعسكر ابن عمه فقتل من أصحاب مبارك خمسة أنفار ومن أصحاب مغامس نفر واحد، وأخذت لأصحاب مغامس خيول وهرب مغامس إلى الخيف))[2].

نفي العباسيين إلى قوص ونفي العبيديين إلى الفيوم

٧٣٧هـ قال ابن كثير: ((وفيها نفى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليفة وأهله وذويه وكانوا قريباً من مائة نفس إلى بلاد قوص ورتب لهم هناك ما يقوم بمصالحهم فإنا لله وإنا إليه راجعون. وفي ثالث ربيع الأول من سنة ٧٣٨هـ رسم السلطان بتسفير علي ومحمد ابني داود بن سليمان بن داود بن العاضد آخر خلفاء الفاطميين إلى الفيوم يقيمون به)).

نموذج شعري لأحد بني لام من بادية الحجاز

٧٣٨هـ قال العسقلاني: شريك بن نجام الطائي اللامي من بني لام قبيلة من طيِّئ يكنى أبا الصهباء من بادية الحجاز قال ابن فضل الله لقيته سنة ٧٣٨ فأنشدني لنفسه قصائد قالها في وقعة كانت بينهم وبين بني مري.

---

(١) عمدة الطالب. لابن عنبة ت٨٢٨ ص١٧١-١٧٢.

(٢) إتحاف الورى لابن فهد ط١ ج٣ ص٢٠٧.

تُواسِلُ لِلِّقاءِ إذا اجْتَمَعْنا … عَشِيَّتَنا مِثْلَ أقمار السَّماءِ

ولَمَّا انْ أتَوْا قُمْنا إليْهِمْ … مَقامَ الأُسْدِ تَقْدُمُ لِلِّقاءِ

وقَدْ جاؤوا بِجُنْدٍ لا يُبارَى … يُمَدُّ بِبَعْضِهِ رَحْبُ الفَضاءِ

فَلَوْلا أنَّنا كُنَّا رِجالاً … تَعَوَّدَ طِفْلُنا وَلْغَ الدِّماءِ

لَما سَقَتْهُمْ مِنَّا رِجالاً … كُؤوسَ المَوْتِ تُحْسَى كالطِّلاءِ

وَلَكِنَّا لآباءٍ أقاموا … عَلَى الصَّهَوَاتِ شامِخَةَ البِناءِ

بنو جعفر الطيار

يقول ابن عنبة (ت٨٢٨هـ) نقلاً عن ابن مهنة الحسني النسابة (ت ٧٧٦هـ) عن رجل من بني الطيار ورد الحلة أيام حكم الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى أمير طيّئ[1] بها بأنه قال: ((نحن بنو جعفر الطيار[2] بادية مع آل مهنا نحو من أربعة آلاف فارس نحفظ أنسابنا ونكح في أعراب طيّئ ولا ننكحهم. لكن أكثرهم يجهلون أنسابهم ولا يعرفون اتصالهم ويكتفون أنهم من ولد جعفر الطيار وهم يعرفون بعضهم بعضاً ويفرقون بينهم وبين من لا ينتمي إليهم))[3].

وقال الإصطخري وهو يتحدث عن جبل رضوى: ((ويقربه فيما بينه وبين ديار جهينة وبلي وساحل البحر ديار للحسنيين، حررت بيوت الشعر التي يسكنونها نحواً من سبعمائة بيت وهم بادية مثل الأعراب يتنقلون في المراعي والمياه انتقال الأعراب لا تميز بينهم في خلق ولا خلق وتتصل ديارهم مما يلي المشرق بودان، وودان هذه من الجحفة على مرحلة وبينها وبين الأبواء التي هي على طريق الحاج في غربها ستة أميال، وبها كان في أيام مقامي بها رئيس الجعفريين أعني أولاد جعفر بن أبي طالب، ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة وعشيرة وأتباع وبينهم وبين الحسنيين حروب ودماء حتى استولت طائفة من اليمن يعرفون ببني حرب على ضياعهم فصاروا حرباً لهم فضعفوا))[4].

قال ابن خلدون: وقال ابن الحصين في ذيله على الطبري: (دخلت المائة الرابعة والخطبة بالمدينة للمقتدر). ثم قال: ((وترددت ولاية بني العبّاس فيها والرياسة فيها بين بني حسين وبني جعفر إلى أن أخرجهم بنو حسين، فسكنوا بين مكّة والمدينة. ثم أجلاهم بنو حرب من زبيد إلى القرى والحصون،

---

(١) عزل عن الإمرة سنة ٧٤٣هـ.

(٢) هناك زعامات تدعي الأرومة في جعفر فلعلها تعود لجعفر الطيار. وقال السمهودي: ذكر أبو اليقظان أن عبدالله بن جعفر الجواد - الطيار - كان أجود العرب وأنه توفي بالمدينة وقد كبر، وقال غيره: توفي بالأبواء سنة تسعين، ويقال: إنه كان ابن عشر سنين حين قبض رسول الله ﷺ. راجع: وفاء الوفا للسمهودي ص٩١١).

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: لابن عنبة ت٨٢٨هـ ص٧٧.

(٤) مسالك الممالك للإصطخري ص٢٢

وأجازوهم إلى الصعيد فهم هنالك إلى اليوم، وبقي بنو حسين بالمدينة إلى أن جاءهم طاهر بن مسلم من مصر فملّكوه عليهم)).

٧٤٤هـ مات عيسى بن فضل الله بن عيسى بن مهنا، وكان ولي الإمرة بعد وفاة موسى بن مهنا، كان من خيار أهل بيته[1].

ولاية الشريف عجلان بن رميثة على مكة المكرمة

٧٤٤هـ فيها ((اشترى عجلان وثقبة البلاد من أبيهما رميثة بستين ألف درهم، لأنه ضعف وعجز، ثم قبض السلطان ثقبة ورد الأمر لرميثة، ثم ولي السلطان عجلان سنة ٧٤٦هـ، وفيها مات رميثة. ثم ولي ثقبة مكة وهرب عجلان، ثم ولاه أمير الحج، ثم شترك في الولاية، ثم ولي محمد بن عطيفة وسند بن رميثة، ثم حصلت فتنة في مكة فقصد محمد بن عطيفة مصر فمات بها سنة ٧٦٣هـ ثم ولي عجلان واستمر إلى أن مات سنة ٧٨٨هـ))[2].

علاقة البحرين والقطيف بسلاطين هرمز

في سنة ٧٤٥هـ استطاع نظام الدين كيقبد القيام بانقلاب أقصى به أخاه الملك قطب الدين تهتمن الثاني عن حكم هرمز وأعلن نفسه سلطاناً عليها، وقد حاول تهتمن استعادة ملكه إلا أنه فشل في جميع محاولاته.

ولم يدم حكم نظام الدين طويلاً ففي سنة ٧٤٦هـ توفي، وكان يقول لولديه شادي وشنبا وهو يحتضر يجب إرجاع حكم البلاد لحاكمها الشرعي أي أخاه تهتمن إلا أن ولديه لم ينفذا وصيته، وشاءت مشيئة الله أن يقوم الأهالي بمساعدة السلطان قطب الدين تهتمن في إنزال قواته على ساحل كرمان، ومن ثم الانتصار على أولاد أخيه واستعادة حكم جزيرة هرمز ثم قيس ولم يبق في يد شادي سوى جزر البحرين والتي استأثر بحكمها الأمير شادي إثر خلافه مع أخيه شبا وهروبه إلى منطقة قال التابعة لهرمز.

وقد توفي السلطان تهتمن الثاني في سنة ٧٤٧هـ فتولى الحكم بعده ابنه تورانشاه إلى سنة ٧٧٩هـ[3].

وفي عهد تورانشاه حصلت تغيرات كبرى في جزيرة البحرين ومنها أنه لما توفي الأمير شادي الذي استقل في حكم جزر البحرين تولى بعده ابنه فولان، فلمّا علم شنبا بوفاة أخيه شادي عبر إلى جزيرة البحرين وقتل ابن أخيه وصار حاكماً للجزيرة، إلا أن حكمه لم يدم بسبب ظلمه وسوء سياسته فقام الأهلون بقيادة مير عجب والشيخ محمد البهلوان والشيخ أحمد بن راشد بن مانع بن عصفور بالثورة ضده واستطاع المير عجب قتله فأصبح الأخير هو حاكم الجزيرة.

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

(٢) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشلي باعلوي ص٨٠٢.

(٣) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٤١٦-٤٢٠.

وعندما طلب المير عجب من الشيخين محمد البهلوان وأحمد بن راشد الاعتراف به حاكماً مستقلاً للبحرين رفضا وأصرّا على عودة البحرين إلى وضعها الصحيح بأن تعود تبعيتها لإقليم بلاد البحرين فأسرعا بالاتصال بحاكم القطيف الشيخ ماجد العصفوري وطلبا منه العون والمساعدة لتخليصهم من المير عجب بضم البحرين إلى حكمه في القطيف، فما كان منه إلا أنه شك في نواياهما فاعتقلهما وأرسلهما إلى توارنشاه وذلك إمعان منه في تبعيته لهرمز حتى ولو كانت مجرد تبعية اسمية أو لمجرد الخوف من بأسه، فقدم توارنشاه على رأس قوة ضخمة ويرافقه الشيخين أحمد بن راشد ومحمد البهلوان الذي أمر بإطلاقهما وإكرامهما وأعدم المير عجب. ثم أكمل توارنشاه زيارته للقطيف ووجد الشيخ ماجد العصفوري باستقباله مقدماً فروض الولاء والطاعة[1].

إكمال خنق المدينة لحمايتها من هجمات أعراب البادية

٧٥٢هـ ((الأمير فضل أخو الأمير جماز بن هاشم ابن الأمير سالم، ولي الإمارة بعد موت سعد بن ثابت بن جماز ١٢ربيع الأول سنة ٧٥٢ فأطاعه آل جماز وحالفوه وخطبوا له ثم وجهوا مانع بن علي بن أبي مرروع وودي بن جماز بن شيحة إلى السلطان...[2] ملتمسين منه الاستمرار فأجابهم لذلك ولم يزل بها أميراً إلى أن مات ١٦ ذي القعدة سنة ٧٠٤ ودفن في قبة الأئمة ثم ولي بعده مانع بن علي بن مسعود ابن جماز بن شيحة....

وفي زمن الأمير فضل أكمل عمارة الخندق حول المدينة التي بناها... وزير الملك العادل نور الدين محمود....، قبل هذه العمارة كان أهل المدينة في أشد ضيق وتعب وضرر عظيم من أعراب البادية خصوصاً آل ظفير[3]، لا يتركون لهم ما يوارون به أنفسهم من جليل ولا حقير سواء ما يأخذون من الإتاوة حمل بعير، فلمّا كملت عمارته كثرت بالمدينة الواردون واتخذوها مسكناً ومقطناً))[4]

أخذ عرب البحرين للبصرة والاستعانة بأمير طيئ لردهم

٧٥٥هـ في هذه السنة قام عرب البحرين بالهجوم على البصرة بهدف الاستيلاء عليها، فتصدّت لهم قوات اسمعول وعجزت عن دفعهم خارج المدينة فما كان من حاكم العراق حسن الجلائري إلا أن استنجد بعواز بن مها الطائي من آل فضل واستطاع الاثنان أن يوقعوا هزيمة فادحة بعرب البحرين وإجبارهم على الخروج من البصرة بعد أن خسر الفريقان عدداً كبيراً من الجنود[5].

---

(١) المصدر السابق ص٤٢٠-٤٢٤.

(٢) فراغ في الأصل.

(٣) قال العمري: آل (شمر ولام) من عرب الحجاز وديارهم جبلا طيّئ وسُلمى. و(ظفير) من بني لام، ومنزلهم الظعن قبالة المدينة. مسالك الأبصار للعمري س٤ ص٣٥٦.

(٤) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٤٤.

(٥) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٤٠٩، نقلاً عن الحسيني في كتابه ذيول العبر ص٣٠٢.

٧٥٦هـ وفيها: ((أفرج السلطان عن ثقبة وأخويه سند ومغامس وابن عمهم بشفاعة الأمير فياض بن مهنا فأقاموا بالقاهرة ثم فروا منها بخمسة أفراس))[١].

٧٥٦هـ ((في جمادى الآخرة وصل الخبر إلى مكة بعزل الشريفين ثقبة وعجلان عن إمرة مكة، وتوليتها لأخيهما سند بن رميثة ومحمد بن عطيفة، وكان سند مع أخويه في ناحية اليمن، وابن عطيفة بمصر))[٢].

ولاية الشريف مانع بن علي على المدينة المنورة

٧٥٦هـ ((مانع بن علي بن مسعود بن جماز بن شيحة، قد اجتمع آل جماز فقدموه عليهم رئيساً وولوه أميراً، بعد موت الأمير فضل بن هاشم بن سالم وذلك لسادس عشرين من شهر ذي القعدة سنة ٧٥٦هـ، ثم وجهوا أخاه مقبل بن جماز ومحمد بن مبارك إلى السلطان...، ملتمسين منه العقد والاستمرار فأجابهم بالخلع والمراسيم لذلك، فكان مانع عديم الرأي والتدبير فكثرت الفتن.. وترايدت به المصيبات من آل منصور بن جماز فاستحان بيني لام وأهل المدينة والمجاورين والخدام فمدوه بالنصر والقيام لما بذل لهم من الأموال ثم جار عليهم جوراً عظيماً فبلغ ذلك السلطان فصرفه بالأمير جماز بن منصور فوصلت إليه الخلع والمراسيم لحادي عشر ربيع الأول سنة ٧٥٩هـ لأن إخوته قدموه عليهم بعد موت أخيهم طفيل))[٣].

٧٦١هـ وفيها توفي أورخان الغازي بن عثمان الغازي بن طغرل، وكانت ولادته سنة ٦٨١هـ، وتولى الحكم سنة ٧٢٧هـ ومدة حكمه ٣١ سنة وبلغ من العمر ٨١ سنة، وبعد وفاته جلس بمكانه ابنه الغازي السلطان مراد خان الخداوند كار ومشى على سيرة أبيه[٤].

٧٦٦هـ فتح تركيا للصرب والبلغار.

٧٧٥هـ فتح مصر لأرمينيا.

٧٧٧هـ توفي السلطان أويس، وكان له ثلاثة من الأولاد ((السلطان حسين والسلطان أحمد وشهزادة شيخ علي. وكانت له بنت واحدة تزوجها شاه شجاع وأولدت منه ولداً أسماه زين العابدين . جلس السلطان حسين بتبريز سنة ٧٧٧هـ. استمر شهزادة شيخ علي ببغداد. كما كان في زمان أبيه ومعه الأمير إسماعيل))[٥].

---

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج١ ص٦٥٦.

(٢) إتحاف الورى لابن فهد ط١ ج٣ ص٢٧٦

(٣) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٧٣.

(٤) گلشن خلف لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص١٩٢.

(٥) تاريخ العياثي ص٩٨

٧٧٩هـ- ١٣٧٧م تولى بهمنشاه حكم مملكة هرمز بعد وفاة والده تورانشاه واستمر إلى سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م، وفي عهده استمرت تبعية البحرين والقطيف وباقي جزر الخليج لمملكة هرمز، وكانت هرمز تؤدي الخراج إلى المظفريين حكام فارس في شيراز[١]

٧٨١هـ ((استقر زامل بن موسى ومعيض بن فضل والداعي بن مانع في إمرة العرب عوضاً عن الأمير قار بن مهنا بعد موته))[٢].

٧٨٢هـ ((وصل الموكب إلى الأزلم فلم ترد به الإقامة على العادة، فوقع بينهم الغلاء الشديد، وكان السبب في تأخيرها تخوف العرب الذين يحملونها من عرب بليّ، فإنه بلغهم أنهم أرادوا أن ينهبوا الإقامة، فتأخروا بمغارة شعيب، فوصل الحاج إلى المويلح وإلى عيون القصب ولم يجدوا شيئاً، فغلا السعر))[٣].

استيلاء العرب على البصرة

٧٨٤هـ وفيها: قتل حسين بن أويس، اغتاله أخوه أحمد بن أويس سلطان بغداد وكان استنابه على البصرة[٤]. واستولى العرب على البصرة في عهد إمارة أحمد بن أويس، ويذكر أن البصرة عندما دخل إليها الجيش التتري في سنة ٨٩٥هـ كانت في يد صاحب البحرين الشيخ صالح وتمكنوا من قتله في سنة ٨٩٦هـ.

بداية عهد المماليك الشراكسة في مصر

٧٨٥هـ في مصر نجحت ثورة قادها أبو سعيد برقوق الشركسي الذي أعلن نفسه ملكاً إثر انتصاراته في هذا العام، ولقب نفسه بالظاهر برقوق[٥].

نهب حاج شيراز والبصرة في الحسا على يد قريش النووي

وفيها (٧٨٥هـ) نهب حاج شيراز والبصرة في الحسا، وخرج عليهم قريش ابن أخي زامل[٦] في (ثمانية آلاف نفس) فأخذ ما معهم من اللؤلؤ وغيره، وكان مبلغاً عظيماً، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ورجع

---

(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٢٧٤

(٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي ط١/١٩٧٤م تحقيق وتقديم محمد مصطفى الجزء الأول القسم الثاني ص٢٤٢.

(٣) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، اعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج١ ص٦٦٨

(٤) الغمر بأنباء العمر للعسقلاني

(٥) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٨٤.

(٦) قال ابن حجر العسقلاني عندما تكلم عن حوادث هذه السنة فقال: ((وفيها خرج زامل النووي...)) وهنا يتضح أنه ينتسب إلى نوى وهي القرية التي ينسب إليها الإمام النووي وهي قرية من قرى حوران في سورية

من بقي منهم ماشياً عارياً، وقدم بعضهم إلى مكة صحبة حاج بغداد، وجبى قريش ركب العراقي، أخذ منهم (٢٠ألف دينار) عن أخيه حساباً عن كل جمل دنانير حتى مكنهم من الحج[١].

يقول الدكتور عبداللطيف الحميدان: إن المصادر لم تذكر اسم والد قريش بل اكتفت بذكر اسم عمه زامل بن موسى بن مهنا بن عيسى نظراً لشهرته الواسعة، إذ تولى زامل إمرة عرب بادية الشام مرتين الأولى سنة ٧٧٠هـ والثانية سنة ٧٨١هـ ولزامل هذا أخوان هما عمر ومحمد، ولا ندري أي هذين هو والد قريش[٢]. ويقول أيضاً: ونحن نعرف بأن آل فضل في البصرة كانوا على عداء مع إمارة العصفوريين في بلاد البحرين، لذا بقي أن نتساءل عما إذا كان قريش هذا قد اتخذ من جهات البصرة قاعدة لهجومه على قوافل الحجاج هذه؟[٣]

ويذكر أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري أن الملك في المنطقة الشرقية عاد لآل جبر من بني عقيل قبيل عام ٧٨٥هـ[٤]، ولا أعلم على ماذا استند في رأيه هذا؟! ونحن نرى أن الإمارة الجروانية لا زالت مستمرة في المنطقة في هذه السنة وإلى ما بعد سنة ٨٢٠هـ

٧٨٨هـ ((توفي عجلان، وولي المملكة ولده محمد ثم قتل عند تقبيله لخف جمل المحمل. ثم ولي عنان بن مغامس بن رميثة، ثم عزل وولي علي بن عجلان، ثم قتل سنة ٧٩٧هـ وولي حسن بن عجلان))[٥].

٧٨٩هـ وفيها: قتل الشريف كبيش بن عجلان أثناء معركة له مع الشريف عنان بن مغامس[٦]

٧٩١هـ في هذه السنة ابتدأ عهد حكم محمد شاه بن تهمتنشاه بن توارنشاه على هرمز واستمر إلى سنة ٨٠٢هـ، وفي عهده وبالتحديد في سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م كان يدفع الخراج إلى السلطان تيمورلنك الذي أحكم سيطرته على جنوب فارس وأصبح هو السلطة المهيمنة على تلك المنطقة، وبالرغم من ذلك فقد هاجم الجيش التيموري هرمز العتيقة أي هرمز الساحل ودمّر كثيراً من حصونها، ولكنه فشل في الهجوم على جزيرة (جرون) بسبب عدم توافر السفن اللازمة، وقيل إن سبب الهجوم التيموري على مملكة هرمز أن السلطان محمد شاه لم يؤدِّ الخراج خلال أربع سنوات قبل سنة ٧٩٦هـ[٧].

---

(١) درر الفرائد المنظمة للحاج للجزيري ص٣١٣ وراجع: بدائع الزهور لابن إياس.

(٢) م.كلية الآداب - البصرة،ع١٦ السنة الرابعة عشر التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د. الحميدان ص٣٥.

(٣) المصدر السابق ص٣٦

(٤) مسائل من تاريخ الجزيرة العربية لأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري ص٢١٥.

(٥) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشلي باعلوي ص٨٠٢

(٦) إتحاف الورى لابن فهد ط١ ج٣ ص٣٦٥.

(٧) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٤٢٨.

٧٩٢هـ استشهد الملك الثالث من رؤساء دولة بني عثمان وهو مراد خان الغازي بن أورخان، وعمره أربع وثلاثون سنة، ووليّ ولده يلدرم (الصاعقة) بايزيد خان[١].



السلطان يلدرم بايزيد

مهاجمة ثامر بن قشعم لأملاك آل فضل في البصرة

٧٩٥هـ وفيها أوعز السلطان المملوكي الظاهر إلى زعيم قبيلة عربية، ثامر بن قشعم، الذي يقيم عادة قرب المشهدين، (كربلاء والنجف) بمهاجمة أملاك آل فضل في البصرة، فقام بالاستيلاء على أملاكهم ونهبها[٢].

إرسال جيش تيموري لمهاجمة صاحب البصرة والبحرين

وفيها: زحف تيمورلنك[٣] على العراق وطرد السلطان أحمد عن العراق[٤]، وفي العام نفسه (٧٩٥هـ) ((جهز اللنك ولده بعسكر حاص إلى صالح بن جيلان[٥] (صاحب البصرة والبحرين) فقاتلوه فهزمهم وأسر ولد تيمورلنك وخرج في إحصاره عز الدين أزدمر وجهز السلطان إليه ثلاثمائة ألف درهم فضة برسم النفقة فبعث إليه عسكراً آخر فظفر بهم))[٦]. وذكر الحميدان نقلاً عن ظفرنامه لشرف الدين

(١) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشلي باعلوي ص١٤٠

(٢) م.كلية الآداب، البصرة، ع١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور د.عبداللطيف الحميدان ص٣٦٠ عن ابن الفرات جلد٩ ق٢ - بيروت١٩٣٨م.

(٣) معنى تيمور لنك اللنك في اللغة الفارسية الأعرج، لأنه كان به عرج، وكان أول أمره راعياً للغنم.

(٤) التحفة النبهانية.

(٥) هناك اضطراب في المصادر في بيان الاسم الصحيح لوالد صالح أمير البحرين والبصرة، ابن حجر يسميه جيلان والحميدان يسميه جولان أو جولان، وابن خلدون يسميه جبلان، وربما يكون اسمه جروان. قال ابن خلدون عن بني عبادة بن عقيل وهم لهذا العهد (يقصد سنة ٧٩٩هـ) بالعراق مع بني المنتفق وهي البطائح التي بين البصرة والكوفة وواسط الإمارة فيهم على ما يبلغ لرجل اسمه فيان بن صالح، وهو في عدد ومنعة. ولا ندري أهو من بني معروف أمراء البطائح بني المنتفق أو من عبادة الأخائل راجع. تاريخ اليمامة لابن خميس ج٣ ص٢٥٨.

(٦) أنباء الغمر لابن حجر ص١٧١

يزدي أن هذا الهجوم وقع في سنة ٧٩٦هـ- ١٣٩٣م وأن قائد الجيش هو حفيد تيمورلنك (أمير زاده ميرانشاه) وليس ابنه، وأنه قد طلب منه (التنكيل بالعرب الذين كانوا يقطعون طرق قوافل الحجاج)[١].

ويشير الدكتور عبد اللطيف الحميدان إلى الحادثة التي وقعت في سنة ٧٨٥هـ من تعرض قريش ابن أخي زامل لحجاج شيراز والبصرة والحسا بقوله. ((يمكن أن نقول بأن هذه الواقعة قد مهدت السبيل لصالح ابن حولان (جولان) لأن يبسط نفوذه السياسي على البحرين إضافة إلى البصرة لينتهي هذا النفوذ بهجوم تيمورلنك على البصرة سنة ٧٩٥هـ، والذي نتج عنه مقتل صالح))[٢]، وكأن الدكتور الحميدان في قوله هذا لم يُبيّن بشكل قطعي ما إذا كانت إمرة صالح الأصلية البحرين أم البصرة، وإن كان في التعبير ما يشير إلى أنه استولى على البحرين بعد البصرة، وهنا أختلف مع أستاذي وأرجح بأن صالح احتل البصرة احتلالاً، بينما بلاد البحرين هي دولته الأصلية والله أعلم.

انتزاع مانع العقيلي البصرة من احمد بن اويس

بعد مقتل صالح أمير البصرة والبحرين انتزع مانع أمير العرب البصرة من السلطان أحمد بن أويس ملك الدولة الجلايرية المغولية (٧٨٥-٨١٣) بعد تاريخ ٧٩٦هـ[٣]

ويذكر الدكتور الحميدان أن القبائل العربية على الحدود الشمالية لبلاد البحرين استطاعت بقيادة الشيخ مانع بن شبيب انتزاع البصرة من الدولة الجلائرية، وذلك في مطلع القرن التاسع ليحكمها هو وأولاده من بعده[٤]

قصة الشريف ناهش الحسيني وولده مناع

قال ضامن بن شدقم: ناهش بن هريش بن حذيفة بن كرير بن منصور بن جمار بن شبحة.....، أجحمت به الدنيا فعنَّ له السفر إلى البصرة بولده مناع فأقاما بها برهة من الزمن متخفيين في شدة كرب ومحن لا يقتاتان إلا من كدّ يديه، فأتى ذات يوم بجيش كثيف قاصداً بها حاكمها مانع بن...[٥] العقيلي، فوقع بينهما حرب شديد حتى كاد ينكسر فيه مانع وكان ناهش واقفاً على الفريقين من بعد فرا[٦]... الصانع أحد خدام مانع يلوذ على فرسه بآخر الجمع فقال له أعطني فرسك، ولأمة حربك، وهذا مناع ولدي فيها رهينك وكلما أصبته فهو بيني وبينك مناصفة، فنزل عنها وخلع لأمة حربه ودفعها إليه فلبسها وركب الفرس وأغار على القوم حتى دخل في وسطهم فقلب الميمنة إلى الميسرة ثم أعاد عليهم وخرج عن آخرهم، ثم

---

(١) م.كلية الآداب،البصرة،ع١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور أ.د عبداللطيف الحميدان ص٣٦.

(٢) المصدر السابق ص٣٦.

(٣) العرب والعروبة.. م٢ ج٦ ص٨٠.

(٤) م.كلية الآداب،البصرة،ع١٦ إمارة الجبور أ.د. الحميدان ص٤٠

(٥) فراغ في الأصل.

(٦) غير مكتملة في الأصل ومن سياق الحديث كأنها فرأى

عاد عليهم مرة أخرى فانكسروا عن آخرهم وأصاب من خيولهم وغنم من أموالهم فكل من رآه اعتقد أنه الصانع، فعرّفوا ماتعاً بخبره، فسأله عما بلغه فقال نعم، لو لم يتبعها غيرها لقلت نعم هو أنا ولكن ليس خافياً عليك صدور هذا الفعل مني بلا حساب ذوي المروات .لأنجاب لا تخفى على ذوي الألباب فالقصة ما هي كيت وكيت، فأمره بإحضار ذهش فمضى إليه فامتنع عن المواجهة مراراً حتى أرسل إليه بخلع وجواد ما في الخيل أصعب منه فركب ومضى إليه متلقاه بالإعزاز والإجلال والإكرام وأنعم عليه بنعم جزيلة، فأخذ قبل وصوله إليها فرجع إلى مانع فأجاد عليه فمضى فأخذ ثانياً، فعاد النعم عليه ثالثاً، ثم توجه إلى المدينة فقال فيه هذه الأبيات مخاطباً بها ابنه متاع:

١- يقول الحسيني الذي ساقه إلينا(البيا)	بأقدرا في قاصي الدنيا عن معارفهْ
٢- يروعك يا مَتَّاعُ تكديرُ عيشَةٍ	وَمَنْ ذاقَ لين (لين) عقبَ جوع يوالِفهْ
٤- ودار لنا فيما مضى يابن هاشم	وضمن جميل الذي في عين شايفه
٥- فنحنُ حِمَى طيبة وسكان دارها	وأهل جديد المدح منها وسالفه
٨- وَقُولُوا جَزَى الله المقيلي مانع	من الخير ما تذري له الريح عاصفة
١١- حوى عنوان الجود والناس عقبه	يفوز بما خلى المقيلي عايفه[١]

عودة الجلائري بعد عام من خضوع العراق لتيمورلنك

بعد أن عاد تيمورلنك إلى سمرقند أسرع السلطان أحمد بن أويس الجلائري بالعودة إلى بغداد، وحين سمع خواجة مسعود بتوجهه رحل عنها[٢] فدخلها الجلائري مرة أخرى بمساعدة بدو الشام وزعيم تركمان القره قويلو قرة يوسف الذي اعترف بتبعيته لسلاطين مصر[٣]، وكان خروجه من دمشق يوم الإثنين أول شعبان سنة ٧٩٦هـ فخلع عليه سلطان مصر وكتب له تقليداً بسلطنة بغداد وجهزه بما يحتاج إليه[٤].

ومن هذا الخبر نتعرف على شيء مهم، ألا وهو: أن الحاكم المصري في تلك الفترة كان يمثل رأس الدولة الإسلامية، وليس ذلك بمستغرب إذا ما عرفنا أن الخليفة العباسي مقيم في القاهرة وتستمد منه سلاطين مصر المماليك الصفة الشرعية. وبما أن حاكم بغداد يخضع لسلطان مصر، فإن ذلك يعني أن جميع الأراضي الإسلامية تستمد سلطتها منه لا سيما الجزيرة العربية بأكملها التي هي موضع البحث.

---

(١) تحفة الأزهار لضامن بن شدقم المجلد الثاني ص٤٠١.

(٢) تاريخ الغياثي ص١١٨.

(٣) ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ج٢ للكسندر أداموف القنصل الروسي في البصرة عام١٩١٢م ترجمة د.صالح التكريتي١٩٨٢ ص٥٥.

(٤) هامش: تاريخ الغياثي ص١١٨- تاريخ ابن الفرات م٩ ج٢ ص٣٨٣، السلوك، النجوم الزاهرة.

عودة تيمورلنك نحو العراق ولجوء رؤسائها للعثمانيين

١٣٩٧م ((تيمور لم يمنح أحمد بن أويس أكثر من أربع سنوات من الهدوء – أي منذ ١٣٩٣م – فقد تحرك مرة أخرى نحو بغداد وأجبر الأليكان وحليفه قرة يوسف على الهرب ملجأ الاثنان إلى بايزيد سلطان الأتراك العثمانيين الذين كان شأنهم حتى ذلك الوقت قد أخذ بالارتفاع. وقد ظهر أن الوالي الذي تركه أحمد بن أويس لحكم بغداد شخص يتميز بشجاعة فائقة، لذا فإنه رفض أن يسمح للتفصيل الذي أرسله تيمور لإعادة احتلال عاصمة العباسيين السابقة بدخول المدينة

وقد أغضبت هذه الفلتة الجريئة زعيم المغول المخيف فقدم بنفسه إلى بغداد وظهر تحت أسوارها مع قواته الأساسية لكن ذلك لم يرهب الوالي الشجاع فواصل صد هجمات العدو لمدة أربعين يوماً، إلى أن استطاع تيمور في النهاية دخول المدينة عنوة في ٢٢ تموز ١٤٠١م، وقد خرب المغول المدينة تخريباً شديداً عقاباً لها على المقاومة......، بلغ عدد الذين قتلوا من سكانها ما يقرب من التسعين ألف شخص. وفي الوقت نفسه تميز دخول أبي بكر ميرزا حفيد تيمور إلى البصرة وكان قد عين لإدارتها بقسوة لا تقل عن قسوة جده الأعرج))[1].

ملخص ما سبق من النصوص أن تيمورلنك هاجم بغداد فهرب حاكمها في ذي القعدة ٧٩٥هـ / سبتمبر ١٣٩٣م ولجأ إلى الحكومة المصرية وفي نفس الوقت هاجم ابنه البصرة في بداية سنة ٧٩٦هـ وقتلوا صاحبها العربي صالح بن جولان صاحب البصرة والبحرين

ثم إن السلطان أحمد بن أويس طلب الإذن من الحاكم المصري بالخروج إلى بغداد فكان خروجه من الشام في أول شعبان ٧٩٦هـ فما إن سمع خواجة مسعود بذلك إلا ورحل فدخلها أحمد بسلام.

كما أن البصرة وردت الأخبار بأنها صارت تحت حُكم أمير العرب مانع العقيلي في ذلك الوقت.

واستمروا على هذا الحال نحو أربع سنوات ثم استأنف تيمورلنك هجومه من جديد في سنة ١٣٩٧م الموافق (٨٠٠هـ تقريباً) فكان ما كان في الخبر أعلاه.

٧٩٧هـ نهبت عرب هذيل الحاج في ليلة عرفة بطريق عرفة عند المأزمين [المضيق].

٧٩٧هـ قتل علي بن عجلان، وولي حسن بن عجلان على مكة، وتوفي سنة ٨٢٩هـ.

٧٩٩هـ كانت المدينة بيد ثابت بن جماز بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود بن القاسم بن عبدالله بن طاهر بن يحيى الفقيه من ولد الحسن من ولد جعفر من ولد عبدالله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين.

---

(١) ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ج٢ للكسندر أداموف القنصل الروسي في البصرة عام١٩١٢م ترجمة د.صالح التركيتي١٩٨٢ ص٥٥-٥٦.

أحداث
القرن التاسع الهجري



هجوم الشريف حسن بن عجلان على البقوم وعلى الحمدة

٨٠١هـ ((في رمضان غزا السيد حسن بن عجلان عرباً يقال لهم البقوم فغنم منهم (١٠٠ ناقة وبقر وغنم) وعاد بذلك وكان البقر والغنم قد وكل حفظه إلى بعض غلمانه ممن ليس فيه كبير قوة، فاستنقذ ذلك منهم المنهوبون، وقتلوا من غلمانه جارالله بن أبي سليمان وتركيًا وفاتهم الإبل))[1].

وفيها: ((في أول شوال توجه السيد حسن إلى وادي الطائف، لأن الحِمَدة[2] أهل الجبل حشموه في جيرته أهل الطائف، فاسترضاه الحمدة بثمانين ألف درهم وحلي عن جرمهم. ونال مثل ذلك من بني موسى أهل لية، واستدعى آل أبي النمر للحضور إليه فترعوا فبذل له الحمدة أربعين ألفاً على أن يسير معهم إلى آل بني النمر، فسار معهم وهدم حصن آل بني النمر، وحصل فيه نهب كثير وقتل بعضهم وقتل من جماعته مملوكان وعاد إلى مكة في سادس شوال))[3].

٨٠٢هـ في هذه السنة توفي السلطان محمد شاه ملك هرمز وخلفه نجله قطب الدين فيروز الذي اتصف بالتقوى والورع[4].

٨٠٢هـ في ذي الحجة: توجه عبدالرحمن المهتار إلى الكرك...، وطلب من منجد بن خاطر أمير بني عقبة ٤٠٠بعير[5].

٨٠٤هـ محرم: ((وفيه جاء الخبر بأن عرب بني سالم خرجوا على الحجاج فتحارب معهم أمير الحاج وكسرهم وقبض على شيخهم منجد بن خاطر وأحضره في الحديد إلى مصر))[6].

---

(١) إتحاف الورى لابن فهد ط١ ج٣ ص٤١٣.
(٢) قال العاصمي: الحمدة من ثقيف. راجع سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٤٨٨
(٣) إتحاف الورى لابن فهد ط١ ج٣ ص٤١٣.
(٤) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٤٢٩.
(٥) درر الفرائد المنظمة للحج.
(٦) المصدر السابق

وفاة السلطان بايزيد في حبس تيمور

٨٠٥هـ مات السلطان العثماني بايزيد في حبس تيمورلنك بعد أن أمسك به في الحروب التي بينهما، وكان بايزيد قد حارب تيمورلنك الذي خرّب البلاد وأكثر الفساد، وبعد موته حل بين أولاده نزاع واستقل بالولاية محمد خان سنة ٨١٦هـ.

وفاة تيمورلنك المغولي

٨٠٨هـ ((توفي تيمورلنك في ١٣شعبان، وملك عامة بلاد العراق وخراسان وسمرقند والهند وديار بكر وبلاد الروم وحلب ودمشق وخرب مدن الشام وحرقها وهدم بغداد وأزال نعم الناس وكان قاطع طريق وأول ظهوره ٧٧٣هـ))[1].

رجوع الجلائريين والتركمان إلى عروشهم

((كان موت تيمور في ١٤٠٥م (٨٠٨هـ) سبب رجوع الجلائريين والتركمان إلى عروشهم بصدف تعد نادرة حتى في الشرق. فنُظم العراق من جديد وأعيد تحصين بغداد بأسوار بقيت واقية سلام حتى القرن التاسع عشر بعد أن جرت بعدد غير قليل من الحصارات. غير أن تملك تبريز التي كان يحتاج إليها الجلائريون وتركمان القرة قويونلي (الخروف الأسود) على سواء كان من الدواعي العديدة التي أدت إلى التحاسد أولاً، ثم إلى الحرب بين الطرفين. فأضاع السلطان أحمد حياته وإمبراطوريته بعد أن انهزم في حرب شعواء وبذلك خمد الاسم الجلائري ولم تقم له قائمة. فدخل ابن قرة يوسف إلى بغداد))[2]

إطلاق سراح الشريف حسن بن عجلان وتوليته على مكة

٨٠٩هـ ((الشراكسة في مصر أطلقوا سراح أميرهم حسن بن عجلان وكتبوا مرسوماً بولايته على مكة، فشدّ رحاله إلى مكة وتسلم زمامها من أخيه في ٢٤ من ربيع الآخرة سنة ٨٠٩هـ بدون قتال))[3].

إخماد ثورة الشريف جماز في المدينة المنورة

٨١١هـ سيّر الشريف حسن ابنه أحمد في جيش بلغت عدته (٢٦٠) ما بين فارس وراجل و(٢٢ مملوكاً) كما سير عجلان بن نعير الذي أمره على المدينة في جيش آخر لإخماد الثورة – التي قام بها جماز بن هبة في المدينة – وقد نجح الجيشان في طرد الثوار وإقرار الأمر في المدينة لعجلان بن نعير (نعير).

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الأمور لابن إياس

(٢) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لونكريك، للعربية جعفر خياط ط٦/ ١٩٨٥ البرهان بغداد طبعه لونكريك أول مرة ١٩٢٥م ص٢٨.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/ ١٩٩٩م ص٢٩١

المقامات الأربعة في الحرم الشريف

٨١١هـ في هذه السنة بني المقام الحنفي من أجل أئمة لمذهب الحنفي، وقد تم بناء أربع مقامات خاصة بأئمة المذاهب الأربعة وهي من جملة لمستحدثات التي لا محل لها في الشريعة الإسلامية، وقد أنشئت في سنة ٨١٥هـ حينما كان يحكم مصر فرج بن برقوق بن أنس من ملوك الشراكسة. وأراد شاه إيران نادر شاه أن يزيد المقامات إلى خمسة بإنشاء مقام خاص للمذهب الجعفري إلا أنه لم ينل مطلبه[1]، وذكر اللواء محمد صادق باشا أن المقامات الأربعة وحدت في سنة ٩٧٣هـ في زمن السلطان سليمان عند بناء أربعة مدارس بجوار الحرم للأربعة مذاهب[2]، ولا شك أن قول محمد صادق باشا في تحديد سنة إنشاء هذه المقامات الأربعة مختلف عمّا ذكرناه قبله من قول أيوب صبري باشا.

٨١٢هـ ((وُشي بحسن بن عجلان عند الناصر فرج بن الظاهر برقوق صاحب مصر بوشايات ذكر فيها أن حسناً انحرف عن علاقته بالناصر، فأسرَّ الناصر عزله عن مكة وأوعز إلى أمير الحج بأن يمدَّ عدَّته من السلاح والجيش والمدافع وأن يعلن أن غرضه من حركته هو اليمن وقد فعل.

لكن الشريف حسن لم يخف عليه الأمر وقرر الدفاع عن إمارته فاستنفر القبائل العربية والأشراف حتى اجتمع له منهم في الطائف، ولية، وجبل الحجاز أربعة آلاف واجتمع له في مكة ألفان، كما اجتمع له نحو ستمائة فرس. وبينما كان قائد الجيش المصري في طريقه إلى مكة أرسل الشريف حسن يبلغه: ((إني على استعداد لملاقاتك ولكني أرى أن تحرص ألا يصيب الحجاج شيء فإما أن تتقدم أو تتأخر عنهم)). وقبل أن تبارح الرسالة مكة وافى رسول مستعجل من الملك الناصر يعلن عن عدوله عن الحركة وتأييده من جديد لإمارة الشريف حسن))[3].

يقول النجم عمر بن فهد: وقد وقفت على أرجوزة بخط خالي الفقيه محيي الدين يحيى بن عبدالرحمن بن أبي الخير محمد بن فهد الهاشمي من نظمه تتضمن هذه القصة وفيها زيادة ونقصان فذكرها لما فيها الفائدة:

قلت سأختصرها وهي (٨٤ بيت):

٢٥- حَتَّى أتى الشَّريفَ مَنْ قَدْ أَخْبَرا ... عن المنادي وبكلِّ ما جَرَى

٢٦- فَجَمَّعَ الجموعَ والخيولا ... من كلِّ فجٍّ قد أتوا سُيُولا

٢٨- وعدة الخيلِ التي قد جمعا ... ثلاثة من المئينَ إذ دعا

٢٩- وبعدَها ستُّون مِن سِوَى الَّتي ... لم تأتِ من موسى ومن كنانة

٣٠- فخيلُ تَغْبِهِ ثلاثونَ جواد ... ومائة يا صاح كلها جياد

---

(١) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج٢ ص٧٤٠.

(٢) الرحلات الحجازية للواء محمد صادق باشا، إعداد وتحرير محمد همام فكري، بدر للنشر والتوزيع بيروت ط١/ ١٩٩٩م ص٣٢١.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٩٢.

٣١- وعـدة الـرجـال مـن الأصـنـاف — اثـنـان مـع ثـلاثـةِ الآلافِ

٣٢- مـنـهـم قـريـشٌ وكـذا الجـحـادلـة — كـذا بـنـو شيـبـة معـهـم صـاهـلـة[1]

٣٣- أمـا هـذيـل صـرحـهـم يـا صـاح — ألـف مـكـمـلـون بـالـسّـلاح

٣٤- كـذا بـنـو خـالـدٍ مـع سـوادَةْ — وغـيـرهـم مـن عـربِ الـسـعـادة

٣٥- أمـا مـطـيـرٌ مـع عـدوان فَـقَـدْ — جاؤوا كـمـثلِ السَّيْلِ يـرمي بـالزَّبَدْ

٣٦- كـذا خُـزَاعَـةُ ولـحـيـانَ أتَـوْ — يَـبْـغُـونَ قَـوْماً قد طَـغَـوْا وَقَـدْ عَـتَـوْا[2]

٨١٣هـ لم يحج أحد من العراق لأن فيها على ما يقال: قتل صاحب بغداد أحمد بن أويس، واستولى على بغداد التركماني[3].

٨١٤هـ فيها لم يحج العراقيون بركب وحج منهم ناس قليل من شيراز وغيرها من طريق الحسا والقطيف، مع الحاج العُقيلي[4].

٨١٥هـ وفيها لم يحج ركب العراق وحج جماعة مع الركب العقيلي كالحالية[5]، ووقعت فتنة بمعرفة بين العرب بين آل جميل وبين عنزة قتل فيها جماعة من آل جميل فركب السيد حسن وجماعة الحاج وبنو حسن وفرقوا بينهم فانكسر آل جميل وخُشي على الحاج فسلمهم الله[6].

انتزاع دوندي بنت السلطان حسين البصرة من مانع العقيلي

٨٢٠هـ في هذه السنة ملكت دوندي البصرة وانتزعتها من مانع أمير العرب بعد حروب وكان استيلاء العرب عليها في عهد الجلايرية في إمارة أحمد بن أويس، وقوي أمر دوندي وانضم إليها جيش أحمد بأجمعه ثم ملكت واسطاً[7]، وهكذا فقد انتزعت الأميرة دوندي وابنها أويس الجلايري الحكم في البصرة من أمراء المنتفق بعد انقراضهم.

---

(١) صاهلة: قبيلة هذيلية قديمة كانت تشغل حيزاً كبيراً من الطور الذي يشرف على أودية ضيم ودفاق وإدام، ثم تناقصت ولعلها تفرقت، والباقي منهم اليوم حي قليل جدًا يجاور بني فهم في سفوح السراة العربية جنوب شرقي مكة في حدود يلملم وهم أهل زراعة وهم بنو صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن أسعد بن هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر، منهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة وأخوه عتبة ﷺ. معجم قبائل الحجاز للمقدم عاتق البلادي ط٢/١٩٨٣م دار مكة ص٢٦٠

(٢) إتحاف الورى لابن فهد ط١ ج٣ ص٤٧٣.

(٣) المصدر السابق ص٤٨٧.

(٤) درر الفرائد المنظمة للحج للجزيري

(٥) المصدر السابق.

(٦) خلاصة الكلام لدحلان ص٣٨.

(٧) تاريخ الجنابي.

تنازل ملك هرمز والبحرين والحسا والقطيف عن الحكم لابنه

٨٢٠هـ / ١٤١٧م كان قطب الدين فيروز شاه الذي حكم حتى عام ٨٢٠هـ يلقب بملك هرمز والبحرين والحسا والقطيف[١]، وفي هذه السنة أجبره ابنه البكر سيف الدين مهار على التنازل عن عرش البلاد كما أجبره على الإقامة الجبرية في جزيرة قشم[٢].

انتفاض البدو ما بين البحرين والحجاز

قال الحميدان. ((في صيف ٨٢٠هـ قام سيف الدين مهار بالتمرد على أبيه تهمتن الثالث فيروز شاه وأرغمه على التنازل عن العرش. فولد هذا التعيير توتراً واسعاً في مملكة هرموز. ويبدو أن هذا الوضع له انعكاسات في بلاد البحرين، فالمؤرخ الهرموزي الهمتي نيمديهي يذكر لنا بأن البدو في بلاد البحرين قد انتفضوا عام ٨٢٠هـ بحيث أصبح من المتعذر على القوافل سلوك الطريق ما بين البحرين والحجاز))[٣].

استقلال الإحساء عن حكم سيف الدين مهار وبقاء البحرين والقطيف وعمان وقلهات وهرمز تحت نفوذه

ويقول الحميدان: ((ذكرت كلّ من البحرين والقطيف وعمان وقلهات وهرموز وغيرها ضمن المناطق الخاضعة لنفوذ ملك هرموز سيف الدين مهار الذي بداية حكمه ٨٢٠ بينما لم يرد ذكر للإحساء ضمن ذلك، في حين أن اسم الإحساء كان يذكر ضمن المناطق الخاضعة لنفوذ والده قطب الدين فيروز، وهذه النقطة تحملنا في الأخرى على الافتراض بأن الإحساء كانت قد خرجت قبيل عام ٨٢٠هـ عن دائرة التبعية لملوك هرموز مثلما خرجت من أيدي بني جروان)) وأما ما ذكره المقريزي فإنه قبيل سنة ٨٢٠هـ قام في حكم الإحساء إبراهيم بن ناصر بن جروان بعد أبيه.

في رمضان ٨٢١هـ / أكتوبر ١٤١٨م: وُلد أجود بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري العقيلي نسبة إلى عقيل بن كعب بن ربيعة في بادية الإحساء.

خروج السيد زهير الحسيني على حاج عقيل

٨٢٨هـ ((خرج السيد زهير - ابن سليمان بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة - الحسيني على حاج عقيل ونهبهم وسلبهم وأخذ أموالهم وجمالهم وأحمالهم وممن كان مع القفل ونهب قاضي مكة سراج الدين الحنبلي وعمر بن عبدالمجيد، وكانا وصلا من بلاد العجم))[٤].

---

(١) مجلة كلية الآداب البصرة، ع١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د.عبداللطيف الحميدان ص٣٩.

(٢) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٤٢٩.

(٣) مجلة كلية الآداب البصرة، ع١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د.عبداللطيف الحميدان ص٣٩.

(٤) إتحاف الورى لابن فهد ط١ ج٣ ص٦٢٤.

وفيها في ليلة ١٩ذي الحجة: خرج قطاع الطريق من صاهلة وهذيل ودعد والدويين على الحاج بمضيق منى[1].

وفاة الشريف حسن بن عجلان

٨٢٩هـ وفيه توفي حسن بن عجلان بالقاهرة، وولي ولده بركات، ثم عزل، وولي علي بن حسن، ثم قبض، وولي أخوهما أبو القاسم معزل، ورد بركات ثم طلب من السلطان أن يولي ولده محمداً لأنه كبر وضعف، ومات سنة ٨٥٧هـ. واستمر محمد إلى أن مات ٩٠٣هـ[2].

٨٢٩هـ / ١٤٢٦م ((أرسل السلطان برسباي ثلاث حملات بحرية لفتح قبرص ردًّا على هجمات الصليبيين وساعده في ذلك سلطان تونس الحفصي، وانتهى الأمر باحتلال قبرص سنة ١٤٢٦م وقد نتج عنه: انهيار قواعد الصليبيين في شرقي البحر المتوسط وظلت قبرص تابعة للمماليك حتى سنة ١٥١٧م حيث أصبحت تابعة للعثمانيين))[3].

٨٣٠هـ ((وفيها نهب قفل عقيل وفيهم سلطان لار[4] فانهزم ورجع إلى بلاده وكان مع القفل الشريف أحمد بن حسن بن عجلان وأخوه علي وكان لهما مدة بالعراق وصحبتهما مال جزيل نهب جميعه وأموال كثيرة للحجاج))[5].

٨٣١هـ أخذ آل مغيرة قافلة كبيرة لأهل نجد خارجة من الإحساء على ماء أبي جفان[6]

٨٣٤هـ- ١٤٣٩م وردت مراسيم سلطانية بإعفاء الشريف من تقبيل خف الجمل إمعاناً بالخضوع!! الذي يأتي بالمحمل في عهد الشريف بركات بن محمد.

٨٣٧هـ ((في ١٨ جمادى الآخرة أرسل السيد بركات جيشاً مقدمه ابن عمه السيد رميثة - ابن محمد ابن عجلان - نحو بلاد الشرق، فغاروا في يوم الأربعاء سادس رجب على شهران وعرب كثيرة فانكسر جماعة الشريف وقتل السيد رميثة مقدم العسكر و لقائد جماز بن مقبل العمري والقائد محمد بن جسار بن علي الحميضي وعدة من العبيد والمولدين ينيفون عن العشرين))[7].

---

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج١ ص٧١٢هـ، ودعد والدويين من بني جميل من هذيل. راجع. (معجم قبائل الحجاز للمقدم عاتق البلادي ط٢/١٩٨٣م دار مكة ص٩٢

(٢) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشلي باعلوي ص٨٠٢.

(٣) الممتاز في تاريخ العرب الحديث إعداد صبحي أبوصبيح ج١ ص٥.

(٤) من جزر الخليج العربي.

(٥) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة ج١ ص٧١٧.

(٦) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٣ ص٢٧٣.

(٧) إتحاف الورى للنجم عمر بن فهد ط١ ج٤ ص٧٠

٨٣٨هـ ((توفي الشريف زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني في محاربة كانت بينه وبين أمير المدينة النبوية مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة في شهر رجب وقتل معه عدة من بني حسين. وكان زهير المذكور من أقبح الأشراف سيرة كان خارجاً عن الطاعة ويخيف السبيل ويقطع الطريق ببلاد نجد والعراق وأرض الحجاز في جمع كبير فيه نحو الثلاثمائة فارس وعدة رماة بالسهام وأعيا الناس أمره إلى أن أخذه الله وأراح الناس منه))[1]. وفيها: ((توفي الشريف مانع ابن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني أمير المدينة النبوية وقد خرج للصيد خارج المدينة في عاشر جمادى الآخرة وثب عليه الشريف حيدر بن دوغان بن جعفر بن هبة الله بن جماز بن منصور بن شيحة وقتله بدم أخيه خشرم بن دوغان أمير المدينة))[2] وبعد موت مانع بن علي بن عطية تنازع العجل بن عجلان وعلي بن مانع في الإمرة ثم استقرت الإمرة لأميان بن مانع عوض أبيه، وكان قتله في جمادى الآخرة[3].

وفاة ملك هرمز والبحرين والحسا والقطيف

٨٣٩هـ ذكر ابن حجر العسقلاني فيمن توفوا في هذه السنة: فيروز قطب الدين فيروز شاه بن تهمتم بن جردن شاه بن طغلق ابن طبق شاه صاحب هرمز والبحرين والحسا والقطيف. وقال الحميدان: ((سيف الدين مهار الذي حكم حتى عام ٨٣٩هـ- ١٤٣٥م قد وصف بأنه صاحب هرموز والبحرين، وبأنه كان يبعث بالحكام من قبله إلى كل من القطيف والبحرين))[4].

محاربة الشريف بركات لبطن بشر من قبيلة حرب

٨٣٩هـ ((بعث السيد بركات بعثاً لمحاربة بشر من بطون حرب إحدى قبائل مذحج ومنازلهم حول عسفان نزلوها في سنة ٨١٠هـ وقد أخرجهم بنو لام من أعمال المدينة المنورة فكثر عبثهم وجعل هذا البعث أخا السيد علي بن حسن بن عجلان ومعه من بني حسن السيد ميلب بن علي بن ميلب بن رميثة وغيره والوزير شكر في عدة من وجوه أهل مكة...، فنزلوا عسفان يوم الخميس رابع عشر رجب وقطعوا الثنية التي تعرف اليوم بمدرج علي حتى أتوا القوم، وقد أنذروا بهم فتنحوا عن الأرض وتركوا بها إبلاً مع خمسة رجال.

فأول ما بدؤوا به أن قتلوا الرجال الخمسة وامرأة حاملاً كانت معهم واستاقوا الإبل حتى كانوا في النصف من الثنية المذكورة ركب عليهم القوم الجبل يرمونهم بالحراب والحجارة، فانهزم الأمير أرنبغا في عدة من المماليك، وقد قتل منهم ثمانية ومن أهل مكة ومن غيرهم زيادة عن أربعين رجلاً وجرح كثير

---

(١) النجوم الزاهرة.
(٢) المصدر السابق.
(٣) أنباء الغمر ج٣ ص٦٢٨.
(٤) م.كلية الآداب،البصرة،ع١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور د.عبداللطيف الحميدان ص٣٩.

ممن بقي وغنم القوم منهم اثنين وثلاثين فرساً وعشرين درعاً ومن السيوف والرماح والتجافيف ونحو ذلك من الأسلحة ومن الأسلاب والأمتعة ما قيل إنه بلغ قيمته خمسة آلاف دينار أو أكثر))[1].

خروج بلي على الحجاج

٨٤١هـ ((نزل بركب العزاوي ومن تضم إليهم من أهل الرملة والقدس وبلاد الساحل وأهل ينبع لما نزلوا في عودهم من مكة بوادي عنتر قريب من الأزلم بلاء عظيم خرج عليهم من عرب بلي نحو من ٤٠ فارساً و١٤٠ راجلاً يطلبون منهم مالاً))[2].

٨٤٣هـ ((وقع بالطائف ووج ولية وعامة بلاد الحجاز وباء عظيم هلك فيه من ثقيف وغيرهم من العربان عالم لا يحصيهم إلا الله))[3].

انتصار تورانشاه حاكم قلهات على اخيه سيف الدين ملك هرمز

٨٤٣هـ: يقول الدكتور الحميدان ((في عام ٨٣٩ ثار الأمير فخر الدين تورانشاه الثاني حاكم ميناء قلهات العماني ضد أخيه سيف الدين مهار ملك هرموز، وكانت ثورته بتحريض ومساندة فعالة من العرب، وكان لبلاد البحرين دور فعال في هذه المساندة إذ زود منها بالسفن، كما أمدته الإحساء بالخيول وأقرضه تجار تلك البلاد الأموال اللازمة لتغطية تكاليف حملته إلا أن الحرب انتهت بين الأخوين بعد أربع سنوات أي سنة ٨٤٣هـ لصالح فخرالدين تورانشاه وفاز بكرسي المملكة))[4]

استيلاء البدو على القطيف

ويقول الحميدان إن الذي يهمنا من ثورة فخر الدين تورانشاه هي أنها قد أدت إلى تعزيز الدور الذي أخذ يلعبه عرب السواحل الشرقية للخليج العربي في الحياة السياسية لمملكة هرموز، كما أنها كانت فرصة للزعماء الطموحين لاستغلال هذه الاضطرابات لتتحرك لتحقيق طموحاتهم، ويبدو أن الجبور كانوا من ضمن المتهزين لهذه الظروف. فإن أوبين ينقل لنا عن المؤرخ الفارسي جعفري المعاصر للأحداث والقريب من موقع حدوثها قوله بأنه في سنة ٨٤٣هـ قام البدو بالاستيلاء على القطيف ونهبها[5]. ويضيف الحميدان: إننا نميل بشدة إلى أن المقصود بهم هم بنو عامر بزعامة آل جبر، إن معلوماتنا تشير إلى أنه في حدود هذه الفترة كان بنو عامر يشكلون القوة القبلية الرئيسية والنشطة في بلاد البحرين.

---

(١) إتحاف الورى للنجم عمر بن فهد ط١ ج٤ ص٩٠، وقد ذكر هذا الخبر أيضاً الجزيري في درر الفرائد المنظمة ج١ ص٧٢٤.

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج١ ص٧٢٥.

(٣) إتحاف الورى للنجم عمر بن فهد ط١ ج٤ ص١٤٠

(٤) م.كلية الآداب، البصرة، ع١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور أ.د.عبد اللطيف الحميدان ص٤١

(٥) المصدر السابق.

انتصار تورانشاه لابد أن يكون فرصة مناسبة ومشجعة للمعارضين للملك المهزوم سيف الدين مهار للانقضاض على أعوانه والحكام التابعين له في كل مكان وطردهم من مواقعهم

سقوط الدولة الجروانية وقيام الجبرية

٨٤٣هـ- ١٤٣٩م في هذه السنة تقريباً تمكن زامل بن حسين بن ناصر بن جبر من السيطرة على الزعامة في واحتي الحسا والقطيف[١]، بعد أن انتزعها من بني جروان، ويعود أصل آل جبر إلى قبيلة من قبائل نجد نزحت إلى الإحساء، والذي ذكره السخاوي هو أن سيف بن زامل أخو أجود ((قام على آخر ولاة الجراونة بقايا القرامطة حين رام قتله وكان الظفر لسيف بحيث قتله وانتزع البلاد المشار إليها وملكها وسار فيها بالعدل، فدان له أهلها ولما مات خلفه أخوه هذا - أجود - بل اتسعت له مملكته بحيث ملك البحرين وعمان ثم قام حتى انتزع مملكة هرموز ابن أخ لصرغل كان استقر فيها بعد موت أبيه وضيق على الابن المشار إليه وصار صرغل يبذل له ما كان يبذله له أخوه أو أزيد وصار رئيس نجد ذا أتباع يزيدون على الوصف مع فروسية، تعددت في بدنه جراحات كثيرة بسببها وله إلمام ببعض فروع المالكية واعتناء بتحصيل كتبهم، بل استقر في قضائه ببعض أهل السنة منهم بعد أن كانوا شيعة وأقاموا الجمعة والجماعات وأكثر من الحج..))[٢]. وقال عبدالله الصويان وجد الجروانيون أنفسهم نتيجة لضعفهم مضطرين إلى الاستعانة بشيخ الجبور زامل بن حسين ناصر الجبري العامري العقيلي الجلدي وأن يمنحوه بعض الامتيازات المالية وذلك مثلما فعل قبلهم العيونيون مع العصفوريين[٣]. ثم حاول آخر أمراء آل جروان وهو إبراهيم بن ناصر القبض على سيف بن زامل إلا أن الأخير ابتدره بالهجوم وقتله وانتزع ملك الإحساء منه.

اختلاف حاكم الجزائر مع إخوته وقيام الدولة المشعشعية

٨٤٤هـ نشب خلاف بين الأمير فضل بن علبان التميمي الطائي حاكم الجزائر التي هي قسم من الأهواز وبين إخوته، فصارت بينهم ثغرة ساعدت على نجاح الحركة - المشعشعية - حيث ارتحل هذا من الحويزة عاصمة الجزائر فاغتنم محمد المشعشع وابنه علي الفرصة وتمكنا من الاستحواذ عليها في سنة ٨٤٤هـ فكان ذلك تدشيناً رسميًّا لقيام الدولة التي صارت الحويزة عاصمة لها[٤].

وكان من أولى المواجهات مجيء السيد محمد المشعشع من (لدوب) بعد أن قل عليه وعلى من معه الزاد وتوجه إلى قلعة (الكحلاء) من أرض واسط التي هي تحت حكم الأمير محمد بن شاه الله،

---

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص٦٨.

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي الشافعي المذهب ولد في القاهرة سنة ٨٣١هـ وتوفي سنة ٩٠٢هـ دار مكتبة الحياة بيروت المجلد١ ص١٩٠.

(٣) الشعر النبطي الصويان صفحة٢٨٧.

(٤) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي لمحمد عزة دروزة م٢ ج٦ ص٤٦.

فتصادم مع أعراب (عبادة)، فهربت (حطمة) ولم تثبت أمام المشعشعين وقتل منهم السيد محمد أربعين رجلاً ثم نزلت المشعشعة في بيوت الأعراب واستولت على غلاتهم وأموالهم[1].

وفي سنة ٨٤٥هـ وصل القائد (أسبان) إلى الحويزة ودخل (المشعشع) الدوب وهو موضع ذو قصب ومياه لا يقدر عليه وجمعت أكابر الحويزة إلى أسبان مفاتيح البلد فدخل أسبان المدينة وأخذ مال الأمان ومن أهلها حتى لم يبق شيئاً من المال عند أحد ورحل عنها وجميع أهلها معه.

وعبر شط العرب وحط على الركبة من البصرة، ثم قبضوا على شخص أرسله المشعشع إلى البصرة وفي يده مكتوب إلى (غانم بن يحيى حاكم البصرة)[*]. (أنت من ذلك الطرف وأنا من هذا الطرف نأخذ أسبان في الوسط ونقتله في الحال). لم يكذب أسبان خبر وقتل ذلك القاصد ورحل على طريق مشهد علي وكان طريقاً صعباً ووقع فيهم الجوع وقلة الطعام فمات من الجوع والعطش خلق كثير من أهل الحويزة[2].



أخذ الشريف بركات لبني سعد ثم أخذه لمطير

٨٤٨هـ في ليلة السبت ١٥ ربيع الآخر قدم السيد بركات بن حسن بن عجلان ومعه من الخيل سبعون ملبسين ومعه جماعة من ذوي حميضة وغيرهم، نحو ثلاثين فارساً، من ثنية كداء من أعلى مكة وانحدر بالأبطح، وسار نحو الشرق، فوجد بمكان يقال له البرباة، عرباً من بني سعد يقال لهم يَمَن. فأخذ لهم خمسين بعيراً وعدة من الغنم.

فلمّا كان صباح يوم الثلاثاء أغار على عرب مطير، وأخذ منهم عدة من الإبل نحو سبعمائة وأربعة

---

(1) تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم لجاسم حسن شبر م.الآداب النجف ص٤٣.

(*) يذكر الدكتور طارق الحمداني محقق تاريخ الغياثي أنه في مصدر أخرى كتانصد سالة حورستان ص٢٧ يذكر باسم يحيى بن محمد الأعمى، وقد قتل على يد السيد محسن المشعشع. وكان لحاكم البصرة ولد اسمه طلحة التقى في سنة ٨٥٣هـ مع السيد علي بن محمد المشعشع على أبواب البصرة فكانت الغلبة للأخير. انظر. تاريخ المشعشعين لجاسم شبر ص٤٨.

(2) تاريخ الغياثي ص٢٧٦.

أفراس طلائع، وقتل ثلاثة أنفس من عرب مطير، فولت مطير الدبر عن أموالهم وبيوتهم، فأغار السيد بركات على الحلة وقسم الغنيمة على رفقته. وجعل لمراكب مائتين ولكل اثنين من الرجالة ناقة، وأخذ لنفسه المتبقي من ذلك، وهو خمسمائة، فاشترى بها خيلاً وركاباً ودروعاً بالشرق

فوصل العلم بذلك إلى أمير مكة السيد أبي القاسم فأرسل إلى أخيه بعض الأعراب بأوراق مضمونها أن عرب مطير في ذمتي فرُدَّ الجواب. إني تجهزت من العُد والعلم معك، فلم يأتني منك خير عنهم ولا عن غيرهم والفرض بيني وبينك))[1]

خروج مطير على محمل الحج العراقي عند ركبة

٨٥٠هـ ((حج محمل بغداد في هيئة عظيمة أرسله أحمد شاه بن يوسف من أولاد قرة يوسف صاحب توريز لاستيلائه على بغداد وصحبته في الركب نحو ألف راملة، وأميرهم شخص من شبان المغل يسمى جعفراً وكانوا لما وصلوا ركبة خرج عليهم عرب يسمون مطيراً في مائة وخمسين فارساً ونحو ألفي راجل، وأرادوا أخذ الحاج فجاولهم الأمير في نحو خمسمائة قواس كانوا في الركب فظهرت من الأمير شجاعة عظيمة تبين فيها أنه من فرسان الإسلام فنصره الله تعالى على العرب ورد كيدهم في نحرهم وكان قاضي الركب قاضي توريز مجد الدين بن برهان الدين الأبجي))[2].

قدوم مانع المريدي من القطيف إلى الدرعية

٨٥٠هـ في هذه السنة قدم مانع المريدي من مسكنه بلد الدروع من نواحي القطيف إلى اليمامة بعد مراسلة مع رئيس دروع حجر اليمامة بني عم دروع القطيف لما بينهم من المراحمة، فاستخرج مانعاً من القطيف، فأتاه في حجر وأعطاه المليد وغصيبة، فاستقر بها هو وبنوه، وكان ما عرق غصيبة لآل يزيد الحنفيين إلى دون الجبيلة، ومن الجبيلة إلى الأبكين إلى موضع حريملاء لحسن بن طوق جد آل معمر، ثم ولد لمانع المذكور ربيعة وصار له شهرة واتسع ملكه وحارب آل يزيد[3].

والجدير بالذكر أنه لم يحارب أحد آل يزيد وآل مزيد كمثل محاربة الدولة الجبرية لهم، بدليل قول الشاعر جعيثن في مدح مقرن بن زامل (٩١٧-٩٢٨هـ)، وهو بيته الذي يشرح فيه أن سادات حجر اليمامة وهم آل يزيد ومزيد تم إخضاعهم خضوعاً تاماً، ولعل ذلك تم بتعاون المردة والموالفة مع السلطان مقرن، وقد ذكر ابن بسام وغيره غزوات سلاطين الدولة الجبرية على عائذ والدواسر في الخرج والوادي.

نسب المردة

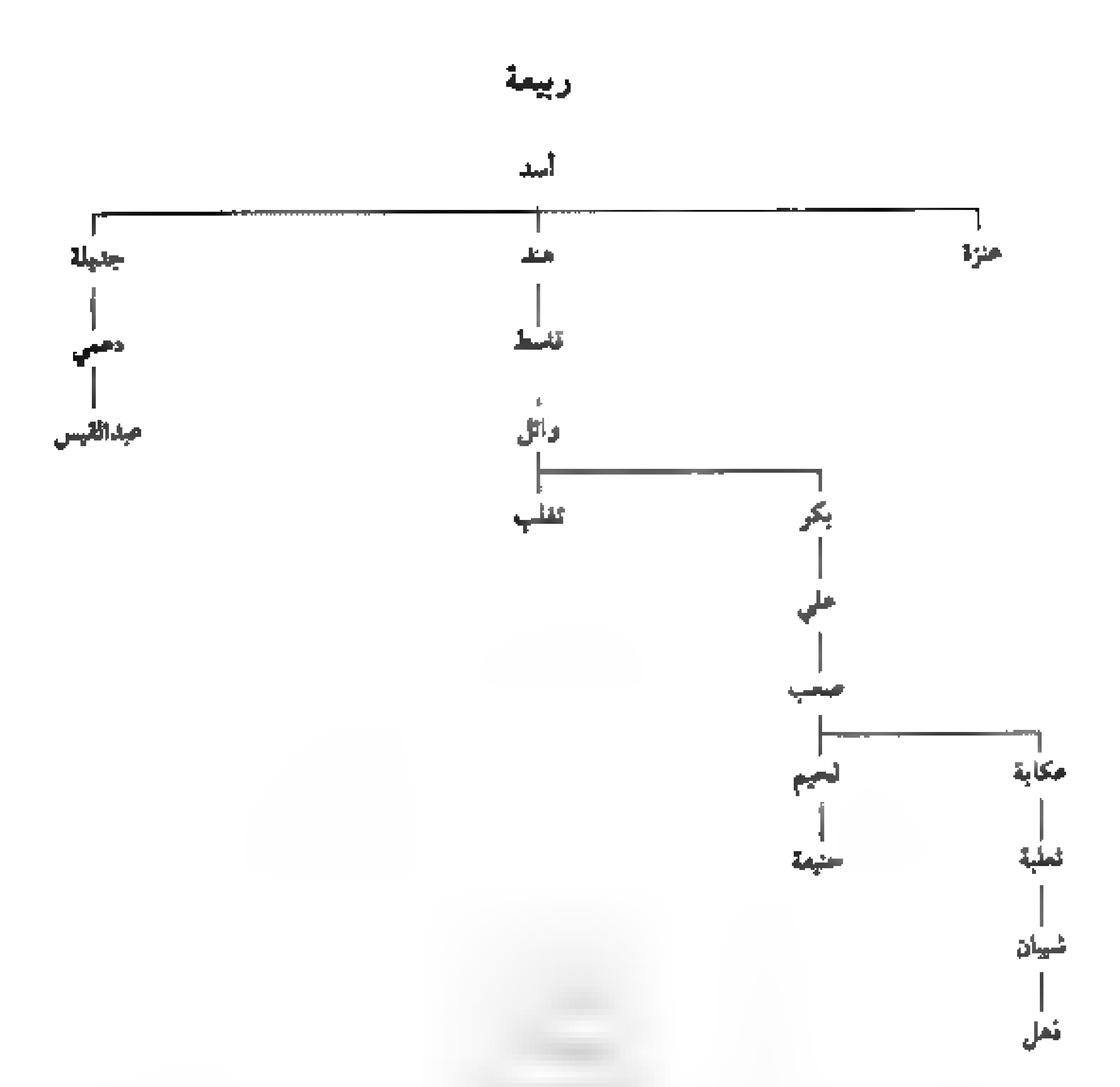
يقول الشيخ المؤرخ عبدالله بن خميس: أما ما ورد عن سليمان الدخيل صاحب جريدة الرياض التي

---

(١) إتحاف الورى للنجم عمر بن فهد ط١ ج٤ تحقيق د.عبدالكريم علي باز ص٢٢٧

(٢) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص٣٣٠.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ت١٢٨٨هـ م.الرياض الحديثة ص١٦.



كانت تصدر بالبصرة، وكذا عن أمين التميمي في شجرته لنسب آل سعود من انتسابهم إلى ذهل بن شيبان فليس في كلام الرجلين ما يؤيده من نقل أو واقع.

وأضاف: يقول المستشرق الإنكليزي (دوتي) إن بني حنيفة في وادٍ يحمل اسمهم منذ زمن الرسول ﷺ وهم عرب قدامى من عنزة وجدهم المشترك هو وائل. فهو يدخل حنيفة كلها في عنزة مطلقاً هذا الاسم على كل من كان من ولد وائل.

ثم يقول ويقول العجلاني المؤرخون وإن اختلفوا، متفقون في كثرتهم على أن آل سعود من وائل من ربيعة من عدنان[1].

ويقول أوبنهايم: تقول الأنساب الأصلية التي نشرتها جريدة أم القرى المكية الرسمية يوم ١٥ يونيو ١٩٢٨م العدد ١٨٢ بمناسبة وفاة الإمام عبدالرحمن، إن آل سعود ينتمون إلى ربيعة فعلاً، لكنهم ليسوا من عنزة، بل من ذهل بن شيبان من بكر بن وائل[2].

(١) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٦ ص ٥٨.

(٢) البدو ج١ ط٢/٢٠٠٧م تأليف أوبنهايم ومساعديه تحقيق ماجد شبر - الوراق لندن ص١٩٣.

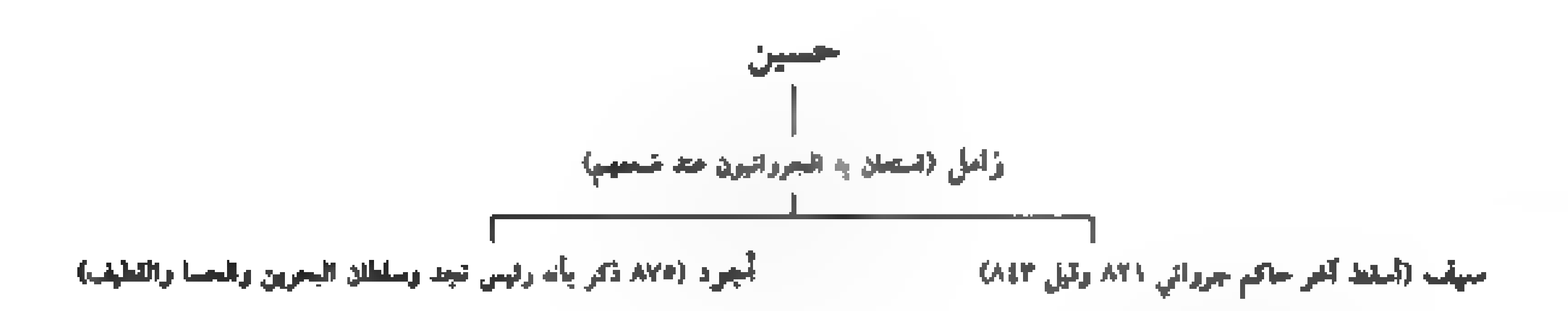
وبشكل عام فإن القول بنسب آل سعود إلى عنزة أو إلى آل حنيفة ليس بعيداً بالفعل عن الحقيقة، لأن المشهور الآن من قبائل ربيعة بن نزار عنزة، وأما مسميات حنيفة وعبدالقيس وبكر وتغلب فإنها بحسب علمي قد اندثرت، ولقد وجدت ما يؤيد وجهة نظر هذه ويؤكدها وهو ما جاء عن أبي سعيد المغربي أثناء زيارته لبلاد المشرق العربي في منتصف القرن السابع حيث قال: ((لم أجد فيها - أي الجزيرة الفراتية - من يركب فرساً من تغلب ولا بكر، ولا لهم قائمة. وصارت دولة العرب هنالك لزبيد من طيئ، ولعبادة من المصرية، وتغلب وبكر دخلوا في الملاحين وامُحي عنهم اسم العرب. ودَخَلْتُ جزيرة العرب، فسألت: هل بقي في أقطارها أحد من ربيعة؟ فقالوا: لم يبق من يركب الخيل وفيه عربية وحلٍّ وترحال غير عَنَزَة، وهم بجهات خيبر، وبني شعبة المشهورين بقطع الطرقات وهتك الأستار في أطراف الحجاز مما يلي اليمن والبحر، وبني عنزة في جهة تبالة، وغير ذلك لا نعلمه في المشرق ولا في المغرب))[1].

تعرض بني سعد لهجوم الاتراك وملاحقة الشريف

٨٥١هـ ((في ضحى يوم عرفة كانت جفلة سببها أن الأتراك تعدّوا على غنم بني سعد وأخذوها فحصل بينهم قتال، فسمع الشريف بركات فجاءهم ومعه عسكر من العرب ونهب الغوغاء كثيراً من إبلهم وغنمهم وأثاثهم وسكن الأمر ونودي بالأمان والبيع والشراء فأمن الحجاج))[2].

غزو زامل بن جبر الجبري للدواسر وعائذ على الخرج

٨٥١هـ ١٤٤٧م ((غزا زامل بن جبر الجبري العقيلي العامري ملك الإحساء والقطيف ومعه جنود عظيمة من البادية والحاضرة وقصد الخرج وصبح الدواسر وعائذ على الخرج وحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدة رجال من الفريقين ثم صارت الهزيمة على الدواسر وعائذ واستولى زامل على محلتهم وأغنامهم وبعض إبلهم، وأقام في الخرج نحو عشرين يوماً ثم قفل راجعاً إلى وطنه))[3].



---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ٦١٠هـ - ٦٨٥هـ، تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، الأردن، ط١/ ١٩٨٢م ص٦٠٣.

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/ دار اليمامة بالرياض ج١ ص٧٣٥.

(٣) تحفة المشتاق لابن بسام ت١٢٤٦هـ تحقيق إبرهيم الخالدي ص٣٤.

غزو زامل بن جبر للدواسر

٨٥٢هـ ((في هذه السنة ظهر إلى نجد زامل بن جبر العقيلي العامري من الإحساء ومعه جنود كثيرة من البادية والحاضرة وقصد الدواسر في واديهم وكانوا قد أكثروا الغارات على بوادي الإحساء، فأوغروا صدره فدهمهم في منازلهم ثم إنهم صالحوه على أن يكفّوا الغارات عمن تحت يده من العربان وأعطوه من الخيل والركاب ما أرضاه فرجع إلى وطنه))[1].

تدخل الشريف بركات في حادثة تعرض حاج عقيل لنهب العرب

٨٥٣هـ ((في عصر يوم الجمعة ١٨ جمادى الآخرة توجه السيد بركات نحو الشرق لغزو حرب نهبوا حاج عقيل في السنة التي قبل هذه، ثم وصل العلم إلى مكة المشرفة في عصر يوم السبت ٢٦ الشهر بأنه ظفر بهم وغنم أموالهم))[2].

تناوخ عنزة والظفير على (نفي)

٨٥٣هـ ((تناوخ[*] عنزة والظفير على (نفي) وأقاموا في منحهم نحو عشرين يوماً يغادون القتال ويراوحونه طراداً على الخيل، وكان رئيس عنزة جاسر الطيار ورئيس الظفير مانع بن سويط وكان ابن سويط قد أرسل إلى سالم بن مضيان[3] من شيوخ حرب يطلب منه النجدة فأقبل سالم ومن معه من بوادي حرب ونزلوا على الظفير، ثم مشى بعضهم على بعض وحصل قتال شديد. وصارت الهزيمة على عنزة وانهزموا بإبلهم ولم يتركوا منها إلا القليل وتركوا محلهم وأغنامهم، ومن مشاهير القتلى في هذه الوقعة من عنزة: جاسر الطيار ولاحم بن حصن، ومن الظفير: حمود بن سالم وجمعان بن دوحي، ومن حرب: خلف بن سالم بن مضيان))[4]

تناوخ عنزة والظفير على (الصلفعة)

٨٥٤هـ (١٤٥٠م) ((تناوخ عنزة والظفير على (الصلفعة) المعروفة في ناحية القصيم. واجتمعت قبائل عنزة ورؤساؤهم حينئذ: مصلط بن وضيحان وفهد بن جاسر الطيار وصيخم بن شعلان وصنيتان بن بكر، ورؤساء الظفير مانع بن سويط ونايف أبو ذراع، ومع الظفير من حرب سالم بن مضيان ومناحي الفرم. وأقاموا في مناخهم أكثر من أربعة وثلاثين يوماً حتى أكلت الإبل أوبارها من الجوع من طول

---

(١) المصدر السابق ص٣٦

(٢) إتحاف الورى للنجم عمر بن فهد مج١ ج٤ ص٢٨٥.

(*) المناوخ طريقة تقليدية في حروب البادية وهي أن المتحاربين يبركون جمالهم قبالة بعضهم البعض.

(٣) يرجع نسب ابن مضيان الظاهري إلى المراوحة من بني سالم من حرب وقد برزت رئاستها في قبيلة حرب ابتداء من القرن العاشر الهجري كبديل لأسرة آل رومي الربيعيين المسروحيين (ابن مضيان الظاهري وعلاقته بالحملات المصرية لفايز البدراني ١٩٩٤م ص١٥.

(٤) تحفة المشتاق لابن بسام ت١٢٤٦هـ تحقيق إبراهيم الخالدي ص٣٦

المناح وكانوا في مناخهم ذلك يغادون القتال ويراوحونه طراداً على الخيل ثم إنهم مشى بعضهم على بعض وصارت الهزيمة على الظفير واستولت عنزة على محلهم وأغنامهم وأخذت كثيراً من إبلهم وقتل من الفريقين خلق كثير، ومن مشاهير القتلى من عنزة. صبيعم بن شعلان، ونايف بن وضيحان، وقتل من مشاهير الظفير: مانع بن صويط، وماجد بن كنعان ودوحي بن حمود، ومن حرب: سالم بن مضيان، وشافي بن رومي، وخلف بن جاسر، وسرور بن فاضل)).

مهاجمة الفضول على(حفر العتك) ثم آل مغيرة على (القزيز)

٨٥٥هـ ((غزا زامل بن جبر رئيس الإحساء والقطيف وصبح الفضول على حفر العتك وأخذهم، ثم غزا على آل مغيرة وهم على القزيز فأنذروا عنه وانهزموا فرجع إلى وطنه))[1]

فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ

٨٥٦هـ في هذه السنة أُجلِسَ مراد خان الثاني ولده محمد خان على التخت فافتتح القسطنطينية الكبرى سنة ٨٥٧هـ، ومات سنة٨٨٦هـ، ثم وَلِّيَ بعده السلطان بايزيد خان[2].

عدة وقعات بين عنزة والفضول

٨٥٦هـ أخذ الفضول قافلة كبيرة في العارض لعنزة، وفيها أغار آل المغيرة على عنزة في مايض وأخذوا إبلاً كثيرة، فلحقهم أمراء عنزة، واستنقذوا إبلهم، وقتلوا رئيس المغيرة لاحم بن مدلج الحياري وعدة من أصحابه[3].

٨٥٧هـ غزت عنزة آل غزي من الفضول على تبراك بمحلة المراجمية، وأخذوا منهم إبلاً كثيرة، فلمّا كان بعد أيام أمر جاسر بن سالم آل غزي على قومه بالمرور على عنزة، فساروا إليهم وعنزة على جو أشيقر[4].

مهاجمة زامل بن جبر لبوادي زغب والعوازم[5]

٨٥٨هـ (١٤٥٤م) ((وفيها غزا زامل بن جبر العقيلي العامري من الإحساء ومعه جنود كثيرة من

---

(١) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٢ تاريخ ابن عيسى ص٣٤.

(٢) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشلي باعلوي ص١٤١.

(٣) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج٢ ص٤٦٣.

(٤) المصدر السابق ج٢ ص٤٦٣.

(٥) حسب ما اطلعت عليه يكون أول ذكر لقبيلة العوازم في سنة ٥٣٠ هـ في الجريب بجهة جبل شمر الأعلى في المخلاف السليماني الواقع في إقليم تهامة، وكانت آنذاك ضمن القبائل الهمدانية، والجريب يبعد عن نجران حوالي مائتي كيلو متر. راجع ديوان السلطانين ط/ ١٩٦٤م تحقيق وتعليق الأستاذ محمد بن أحمد بن عيسى العقيلي

الحاضرة والبادية وقصدوا بوادي زغب[1] والعوازم وهم على (اللبا نعيه)[2] فصبحهم وأخذهم وقتل منهم عدة رجال ثم رجع إلى وطنه))[3].

وفاة الشريف بركات وتفويض الأمر لابنه محمد أبي نمي

٨٥٩هـ ((في ١٩ شعبان توفي الشريف بركات بن حسن بن عجلان رحمه الله، بأرض خالد من وادي مر وحمل على أعناق الرجال إلى مكة وغسل وصلي عليه وطيف به سبعاً على عادة أشراف مكة ودفن بالمعلى وبني عليه قبة ورثاه الشعراء.

وجاء جواب عرضه ثاني يوم دفنه وفيه تفويض مكة للشريف محمد بن بركات وكان غائباً باليمن لقبض بعض أموال والده . وكان مولد الشريف محمد بن بركات في رمضان سنة ٨٤٠هـ بمكة))[4]

مقتل شيخ عدوان[5]

قال ابن شدقم عند ذكره لإبراهيم الشعشاع: ((إبراهيم الشعشاع بن سليمان بن زبان[6] بن منصور، يقال لولده آل إبراهيم وآل الشعشاع وكان شيخاً مقدماً مهاباً ....، جماه إخوته وبنوهم وكان لأخيه زهير بنت ذات حسن وجمال وقد واعتدال محطها سلطان مكة المشرفة أبو نمي، فامتنع بنو مرعي ونجيم وأبو زيد بنو عمها إبراهيم فتألم أبو نمي فأمر بعض خواصه من عدوان بقتل الممتنع فظفروا به في القنص وذبحوه وهو نائم فركب عليهم إبراهيم الشعشاع - وقتل منهم مقتلة عظيمة، وانفرد أصغر أولاده بشيخ عدوان وأتى به إلى والده مربوطاً فأمر بقتله وقال في ذلك هذه الأبيات:

سقود صلايل مع جحفل خطارق وفي رؤوسهن بوارق

---

(١) في المخطوطة الأصلية لتحفة المشتاق بخط صاحبها ذكرت باسم رعب، وكذلك في النسخة المخطوطة لتحفة المشتاق بيد نور الدين شربية (١٣٧٥هـ ١٩٥٦م) ولكن في كتاب تحفة المشتاق الذي حققه الأستاذ إبراهيم الخالدي ص٤٠ وردت باسم زعب والمؤرخون ذكروا لنا زعب هلالية، وزعب سلمية. فيما يخص زغب الهلالية راجع سنة ٣٩٣هـ و٣٩٨هـ و٣٩٩هـ من هذا الكتاب، وأما زعب السلمية فراجع سنة ٤٤٥هـ و٥٤٤هـ و٥٩٠هـ و١٠١٢هـ و١١٠٠هـ.

(٢) جاءت بهذا الشكل بخط ابن بسام وقد رسمها رسماً، وذكرها إبراهيم الخالدي في تحقيقه للمخطوطة بأنها اللهابة.

(٣) تحفة المشتاق، صوره عن المخطوطة الأصلية بيد صاحبها ابن بسام ت١٣٤٦هـ تقريباً، الموجودة في مكتبة ابن قتيبة - حولي، الكويت.

(٤) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص٤٣

(٥) حادثة مقتل شيخ عدوان غير معلومة التاريخ ولكن ذكرناها في بداية ولاية الشريف أبي نمي لأنه أحد أطراف الحادثة والله أعلم.

(٦) ذُكر الشريف زبان بن منصور باسم زيان أكثر من ثلاث مرات في الصفحة ٣٩٤ من تحفة الأزهار. (راجع سنة ٩٠١هـ).

ولا تحسبنا من مطير ولا الذي — أهل الحجاز تأتي إليك لفايق

بل نحن من ذويك وإنشا — نعدي الفتى عن شوهق وعواشق

قال ابن شدقم: قال جدي: فإبراهيم الشمشاع حمف خمسة بنين: محمد وحمود ومرعي وتجيم وأبا زيد.

أخذ الدواسر قافلة لأهل الإحساء قرب حرض

٨٥٩هـ ((أخذ الدواسر قافلة كبيرة لأهل الخرج خارجة من الإحساء ومعهم من الأموال والأمتعة شيء كثير وذلك بالقرب من حرض))(١).

٨٦٠هـ ((وفي هذه السنة تناوخت عنزة والظفير على وضاخ ورؤساء عنزة إذ ذاك: مصلط بن وضيحان، ومناحي بن صيغم بن شعلان، وصنيتان بن بكر، ورئيس الظفير حينئذٍ صقر بن راشد بن صويط، ومع الظفير بنو حسين، ..... وكان ابن صويط قد أرسل إلى بوادي حرب يستنجدهم فأتى إليه عبدالله بن سالم بن مضيان ومناحي الفرم ومن تبعهما من بوادي حرب، فلمّا علمت بذلك عنزة خافت من الهزيمة، فقدموا إبلهم وأغنامهم مع الرعاة أول الليل فلمّا أصبحوا مشى بعضهم على بعض واقتتلوا فصارت الهزيمة على عنزة وتركوا ما ثقل من بيوتهم وأمتعتهم فغنمها الظفير وأتباعهم))(٢).

وقعة بين عنزة والظفير في السر

٨٦١هـ ((حشدت قبائل عنزة ومعهم مريبع بن طامي بن مريبع شيخ آل كثير، وتناوخوا هم والظفير ومن معهم من بني حسن؟ وحرب في السر، وصارت الهزيمة على الظفير وأتباعهم، وقتل من الفريقين عدة رجال ومن مشاهير القتلى من عنزة: صنيتان بن بكر ونايف الدبداب وحصن بن قاعد، ومن مشاهير قتلى الظفير وأتباعهم: خلف بن مانع بن صويط وصالح بن كنعان ورجاء بن جاسر، ومن حرب: مناحي الفرم وسرحان بن مضيان ونقا بن ذهول وراجح بن مضرم))(٣).

٨٦٢هـ- ١٤٥٨م في هذه السنة أوقع الله سبحانه وتعالى وباء عظيماً في الإحساء والقطيف وفي البوادي وفي الوشم(٤) وسدير هلك فيه خلائق كثيرة وقيل إنه وقع سنة ٨٦٤هـ والله أعلم.

غزوة للشريف محمد بن بركات على البقوم

٨٦٣هـ ((في عصر يوم الإثنين ٦ شوال توجه السيد محمد بن بركات إلى الشرق غازياً عرب البقوم

---

(١) تحفة المشتاق لابن بسام تحقيق إبراهيم الخالدي ص٤٠.

(٢) المصدر السابق ص٤١

(٣) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٢ تاريخ ابن عيسى ص٣٥

(٤) قال العمري في كتابه سنة ٧٣٩هـ نقلاً عن (الحمداني ت٧٠٠هـ) بشأن عرب الوشم (ثرمد وشقر وأشيقر): والعارض وراء الوشم، والوشم هو الذي ينتهي إليه آل فضل إذ توسعوا في البر، وهم بنو زياد والجميلة. وعرب الخرج وهم المفقان والبرجان ومن بلادهم البريد والنعام... مسالك الأبصار س٤ ص٣٥٢.

فصبحهم في يوم الخميس تاسع الشهر وأغار عليهم وغنم منهم أموالاً كثيرة وقتل منهم جماعة. ولم يقتل من جماعة الشريف إلا عبد من عبيده ورجل آخر من العرب يقال له لهيب))[1].

٨٦٤هـ ((في يوم الإثنين ٢٠ رجب توجه السيد محمد بن بركات في جماعة من الأشراف والقواد ووزيره القائد بديد بن شكر من مكة إلى الشرق وعادوا في ليلة الأحد ثامن شوال))[2].

٨٦٥هـ ((توجه السيد محمد بن بركات في يومه صوب الشرق[3] غازياً ثم عاد إلى مكة المشرفة في يوم الخميس ثاني شهر رمضان))[4].

وفاة حسن بن طوق رئيس العيينة

٨٦٥هـ وفيها توفي حسن بن طوق جد المعامرة أهل العيينة. و حسن بن طوق هذا هو الذي اشترى العيينة من آل يزيد من بني حنيفة في سنة ٨٥٠هـ[5].

زامل بن جبر يغزو آل مغيرة وسبيع في حاير سبيع

٨٦٦هـ ((غزا زامل بن جبر ملك الإحساء والقطيف ومعه جنود كثيرة من الحاضرة والبادية وتوجه إلى نجد، وصبح[*] آل مغيرة[6] وسبيع في حاير سبيع وأخذهم وكان آل المغيرة قد أكثروا الغارات على بوادي الإحساء والقطيف، ثم توجه إلى الخرج وأقام فيها نحو عشرة أيام ثم رجع إلى وطنه))[7]

وفي هذا العام توفي زامل آل جبر.

٨٦٦هـ ((نهب الحجاج الشاميين في عودتهم عرب حرب بالموقد بالقرب من وادي مر فلمّا سمع السيد محمد بن بركات ذلك جهز مئة فارس فحضر كثيراً من أموال التجار))[8]

---

(١) إتحاف الورى للنجم عمر بن فهد ط١ ج٤ تحقيق د.عبد الكريم علي باز ص٣٩٦

(٢) المصدر السابق ص٤٠٢.

(٣) في المصدر هذا الذي ننقل منه هذا الخبر أتت أخبار كثيرة عن غزوات الشريف محمد بن بركات للشرق دون ذكر الوجهة المقصودة، أو المقصودين بها، لذلك توقفنا عن نقلها لكثرة خروجه دون ذكر تفاصيل.

(٤) المصدر السابق ص٤١٩.

(٥) تحفة المشتاق ص٤٣

(*) من المبادىء التي يحافظ عليها أهل الجزيرة منذ القدم في حروبهم ألاّ يهاجموا حيًّا من أحياء العرب إلاّ صباحاً وبعد إطلاق طلقة تحذيرية خشية على الأطفال والنساء التي في البيوت أو في البلدة، وإذا كانت هذه هي القاعدة فإن لها شواذ، فمنهم من يخترق العادات والنظام عن طريق ابيات الليل وهذه نادرة الحدوث.

(٦) آل مدلج الحياري هم رؤساء آل المغيرة في ذلك الوقت ولعل شيخهم في هذه الفترة وطبان الحياري المذكور في تحفة المشتاق سنة ٨٧٠هـ مقتولاً على يد قبيلة عنزة.

(٧) تحفة المشتاق ص٤٣.

(٨) درر الفرائد المنظمة للجزيري

وفاة السيد محمد بن فلاح المشعشع وإمارة ابنه محسن

٨٦٦هـ ((كانت وفاة السيد محمد بن فلاح يوم الأربعاء ٧ شعبان سنة ٨٦٦هـ، فخلفه في إمارته ابنه المولى محسن (٨٦٦-٩١٤هـ) .، ولقب بالملك المحسن وأوصاه والده بالتجنب عما ارتكبه أخوه وامتد ملكه إلى الجزائر وما وراءها إلى حدود سور بغداد من جهاته الأربع والبصرة وشط بني تميم وعبادان إلى الحسا والقطيف ثم الدورق والسواحل إلى بندر عباس وجميع البنادر إلى حدود فارس واستولى على كوه قيلويه ودهدشت ورامهرمز وشوشتر والبختيارية وأكراد لرستان الفيلية وبيات ودزفول والباحلذانية وبشت كوه وكرمنشاه وسميرا وبهبهان))[1].

انتشار الأمراض والأوبئة والقحط

٨٦٧هـ كثر الجدري والحصبة في نجد وهلكت خلائق لا يحصيها إلا الله واشتد القحط إلى عام ٨٧٠هـ.

٨٦٨هـ- ١٤٦٣م اشتد الغلاء والقحط في نجد وأكلت الميتات وجلا كثير من أهلها للبصرة والإحساء.

٨٦٩هـ ارتحل من نجد خلائق كثيرة إلى الإحساء والزبير وهلك في نجد خلائق لا تحصى.

٨٧١هـ أغارت عنزة على آل كثير وسبيع في سدير[2].

غزو الشريف أبي نمي لزبيد وللبقوم ولبعض عتيبة ومصالحته لبني سعد

٨٧٣هـ ((غزا الشريف محمد بن بركات قبيلة زبيد بين حديص ورابغ وقتل شيخهم رومي وأخاه مالكاً ونحو سبعين رجلاً وغنم نحو ثلاثين ألفاً من المواشي))[3].

٨٧٤هـ ((في عشرين محرم غزا السيد الشريف محمد بن بركات جماعة من العرب وهم عرب البقوم من بني لام، وقيل إنهم قريب الثلاثين، وغنم منهم إبلاً وغنماً كثيراً.

وفي آخر شهر صفر توجه السيد الشريف ومعه عسكره من وادي مر إلى جهة الشرق لغزو بعض عرب عتيبة. فإنهم قطعوا المجود الذي بينهم وبينه وأرسل إلى مكة أن يرسلوا له آلة الحرب من دروع وتجفاف[4] وغير ذلك، فأرسلوا له ذلك، فلمّا قرب من العرب أنذروا به قبل وصوله بيوم فحملوا كلهم ورحل بعضهم ولحق الباقين قبل سيرهم صبح يوم الثلاثاء ٢٧ صفر فقتل منهم نحو خمسين رجلاً وفر الباقون فغنم منهم نعماً وشيئاً كثيراً))[5].

---

(١) تاريخ المشعشعيين لجاسم شبر م.الآداب النجف ص٧٦.

(٢) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج٢ ص٤٦٧.

(٣) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص٤٤

(٤) التجفاف: الجمع تجافيف لباس أو آلة للحرب توضع على الفرس تقيه كالدرع ونحوه، وذهبوا فيه إلى معنى الصلابة.

(٥) إتحاف الورى للنجم عمر بن فهد ط١ ج٤ تحقيق د.عبدالكريم علي باز ص٥٠٤.

٨٧٥هـ ((سافر الشريف - محمد بن بركات - وعياله وعسكره إلى الشرق، وسُمع أن نيته يصالح حرب بني سعد، وغاب ببلاد الشرق نحو ثلاثة أشهر وعاد بالسلامة))[1].

وفيها (٨٧٥هـ) ((انقطع أناس بعقبة أيلة، وقطع عليهم بنو عطية[2] الطريق بنخل))[3]

وفيها: توفي توارنشاه ملك هرمز[4].

ذكر أجود بن زامل بلقب رئيس البحرين والحسا والقطيف

وفيها (٨٧٥هـ): ((لُقِّبَ أجود بن زامل الجبري (٨٧٥-٩٠٢هـ/ ١٤٧١-١٤٩٧م) برئيس نجد وسلطان البحرين والحسا والقطيف))[5]

٨٧٦هـ حجت بنو جبر في خلق كثير[6].

٨٧٦هـ في هذه السنة غادر القاضي جمال الدين عبدالله بن فارس التاري مصر، وذهب إلى مكة حيث أقام فيها فترة يسيرة ثم توجه إلى بلاد البحرين برفقة سلطانها أجود بن زامل ومكث في خدمته هناك خمسة عشر عاماً، كانت نهايتها عام ٨٩٣هـ إذ حضر في ذلك العام موسم الحج بصحبة السلطان أجود ومات بعد موسم الحج بقليل، محرم ٨٩٤هـ كانون أول ١٤٨٨م))[7].

٨٧٧هـ صاح الدواسر وآل مغيرة في الخرج وصارت الهزيمة على آل مغيرة[8]

خضوع سواحل الخليج لثلاثة حكام من آل جبر

٨٧٨هـ ((يذكر ماربارو سفير البندقية إلى السلطان أوزون حسن في إيران عام ٨٧٨-٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م

---

(١) المصدر السابق ص٥٢٣

(٢) ذكر الجزيري خبراً عن بني عطية وأضاف إليهم لقب الحويطات بقوله (فاستولى بنو عطية الحويطات..) إلى آخر الخبر (درر الفرائد المنظمة ط/دار اليمامة بالرياض ج٢ ص١١٨٦) وقال الجزيري أيضاً (وإنما لقبوا بذلك لما بنوه من الحيطان على النخل) (درر الفرائد المنظمة ص١٣٣٦). وذكرت قبيلة باسم بني عطية من بني ملاص، من قبائل بني عوذ، بنو بلاص وعوذ بن غالب من بني عبس أنساب الأشراف للبلاذري ج١٣ ص٢١٠.

(٣) درر الفرائد المنظمة للجزيري.

(٤) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٤٣٢.

(٥) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص٦٨.

(٦) درر الفرائد المنظمة لعبد القادر الجزيري ص٣٢٧.

(٧) م.كلية الآداب، البصرة، ع١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور أ.د.عبداللطيف الحميدان ص٦٢ راجع الضوء اللامع للسخاوي ٥-٤٥،٤٠.

(٨) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج٢ ص٤٦٧

أن السواحل العربية للخليج العربي كانت تحكم من قبل ثلاثة من الأمراء المسلمين، ومن المحتمل أنه يشير بذلك إلى حكومة أجود الذي يساعده ولداه في إدارة الإمارة وهما سيف ورامل))[1].

اخذُ آل كثير والعوازم وزغب قافلة لأهل نجد على اللصافة

٨٧٩هـ ((في هذه السنة أخذ آل كثير والعوازم وزغب قافلة كبيرة لأهل نجد على اللصافة وهي خارجة من البصرة، وفيها من الأموال والأمتعة شيء كثير))[2].

دعم الجبور لسلغور بقوات في صراعه مع إخوته في جزيرة هرمز

٨٨٠هـ- ١٤٧٥م ((إثر وفاة ملك هرمز فخر الدين تورانشاه استغل الجبور نشوب الصراع بين أبنائه على خلافته في تأكيد سيادتهم على بقية المنطقة حين قاموا بالتدخل في ذلك الصراع لصالح سلغور أحد أبناء تورانشاه، حيث تم دعمه بقوات جبرية تم إنزالها في جزيرة هرمز مقابل تنازله للجبور عن مطالب هرمز السيادية على البحرين والقطيف، ولكن سلغور بعد أن استقرت له السلطة شرع في المطالبة بالبحرين والقطيف ودخل في صراع مع الجبور من أجل ذلك كانت محصلة ذلك بقاء البحرين والقطيف في أيدي الجبور مقابل موافقتهم على دفع مبلغ سنوي محدد لهرمز))[3]

يقول أحمد بن ماجد النجدي يصف جزيرة جرون أثناء خطه لكتابه ما بين سنة ٨٩٥ إلى٨٩٦هـ: ((لأجود بن زامل بن حصين العامري أعطاه إياها هي والقطيف السلطان سلغور بن تورانشاه على أن يقوم بنصرته على إخوته ويملكه جزيرة جرون هرموز المتقدم ذكرها وكتب بها عليه حججاً واشترى بعض بساتينها ففعل له ذلك وقام بنصرته وملكه جرون وأخذ القطيف والبحرين في عام ٨٨٠هـ وقد أخذ ولد سيف بن زامل عمان بن شهاب بالسيف على سليمان بن سليمان بن نبهان في عام ٨٩٣هـ وولّى عليها إمام كبير الإباضية يدفع له محاصيلها وقد نصره أهلها فهدم جميع حصونها وأمر عليهم عمر بن الخطاب الإباضي))[4].

٨٨٣هـ تناوخ سبيع وآل كثير على ضرمى، وصارت الغلبة لسبيع[5].

---

(١) م.كلية الآداب،البصرة،ع١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور د.عبداللطيف الحميدان ص٧٤.

(٢) تحفة المشتاق، مخطوطة بيد صاحبها ابن بسام ت١٣٤٦هـ تقريباً

(٣) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص٧٤.

(٤) هذا النص نقلناه كما قرأناه عن صورة لمخطوطة أحمد بن ماجد، وهي منشورة في أكثر من مجلة ومن هذه المجلات: الوثيقة البحرينية العدد الأول.

(٥) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج٢ ص٤٦٨.

استيلاء محسن المشعشي على البصرة بعد قتل يحيى بن محمد بن مانع

٨٨٤هـ في هذه السنة قتل يحيى بن محمد بن مبع على يد السلطان محسن المشعشعي[1]، وظلت البصرة تحت حكم المشعشعين إلى أن أخذها منهم محمد بن مغامس بن صقر بن يحيى واستعاد حكم آبائه وأجداده وذلك سنة ٩١٥ هـ واستمر في حكم البصرة حتى وفاته سنة ٩٣٤هـ، ثم أتى بعده أخوه راشد ابن مغامس بن صقر واستطاع أن يضم كلاً من الإحساء والقطيف إلى حكمه.

٨٨٥هـ أخذ آل كثير قافلة لعنزة من الوشم كما أخذ آل مغيرة قافلة للدواسر خارجة من الإحساء[2].

وفاة السلطان محمد خان الثاني وتولي ابنه السلطان بايزيد خان الثاني

في سنة ٨٨٦هـ انتقل محمد الثاني أو محمد الفاتح إلى رحمة الله وكانت ولادته سنة ٨٣٣هـ وارتقى العرش ٨٥٥هـ ومدة سلطنته ٣٦ سنة وتوفي عن عمر بلغ ٥٣ سنة[3].

غزوة اجود بن زامل للفضول على تبراك

٨٨٧هـ ((في هذه السنة غزا أجود بن زامل العقيلي العامري من الإحساء ومعه جنود كثيرة من البادية والحاضرة وتوجه إلى نجد، وصبح الفضول على تبراك وغنم منهم غنائم كثيرة وكانوا قد أكثروا الغارات على بوادي الإحساء وقتل منهم عدة رجال))[4].

توجه الشريف بركات لغزو مطير

٨٨٧هـ- ١٤٨٢م ((في يوم الثلاثاء ٢٥ الشهر وصل السيد الشريف بركات ابن السيد الشريف بركات ابن السيد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان من الفريق وهم ناحية اليمن وأخبر

---

(١) في أيام السيد محسن(٨٦٦-٩١٤هـ) الذي امتد ملكه إلى الجزائر وبغداد والحسا والقطيف تغلب يحيى بن محمد الأعمى على البصرة. قال الأستاذ جاسم حسن شبر ((فركب المولى محسن بعساكره وأرسل إليه أن المطلوب من العسكرين أنا وأنت فابرز إليّ ولا نسفك دماء العباد، فقبل وتبارزا فابتدره يحيى بطعنة انحاز عنها المولى محسن المشعشعي ثم بادره محسن بضربة قوية أردته صريعاً إلى الأرض، فأتاه والده محمد البصير راكباً حماراً تقوده جاريته فدخل على السلطان محسن وطالبه بدية ولده فأعطاه ألف تومان وعين له راتباً يومياً يكفيه ويزيد، وأعطى لولد المقتول وكان طفلاً جواده الخاص والدرع الذي كان لابسه)) تاريخ المشعشعين وتراجم أعلامهم لجاسم حسن شبر م.الآداب النجف ص٨٢ ويقول الأستاذ شبر في هامش الصفحة: ينتمي يحيى بن محمد إلى قبيلة آل غزي في المنتفق، ونقل العياشي وتاريخ رستم باشا أن حاكم البصرة اسمه قاسم بن يحيى.

(٢) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٣ ص٢٧٤.

(٣) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص١٩٦.

(٤) تحفة المشتاق لابن بسام تحقيق إبراهيم الخالدي

بمراكب عدة واصلة من الهند وأنها دخلت من باب المندب، ثم توجه في هذا اليوم لناحية المشرق لغزو عرب مطير مع أنه هو وإياهم صلح، لكن قيل إنه طمع في مالهم لكثرته ثم لم يجدوهم كأنهم أنذروا بغيرهم ففروا والحمدلله ثم رجع ووصل إلى مكة يوم السبت تاسع عشر الشهر))[1].

٨٨٨هـ ((سافرت قافلة بجيلة من منى وعرفة وكرا، فلمّا وصلوا قرب كرا خرج عليهم عرب هذيل وهم فرقة من عرب النصفوص[*] أهل البادية ونهبوا القافلة جميعها وقتلوا جملة من الرجال وجرحوا بعضهم، ويقال إن الذي أخذوه غير الجمال يجيء بأربعة آلاف دينار ثم إن العرب أرسلوا.. في الصلح وهم يردوا جميع ذلك لأربابه))[2].

وفيها (٨٨٨هـ): ((سافر الشريف محمد بن بركت إلى أهله بطريق جدة واستصرخ العربان على هذيل بأن يأخذوا عليهم الطرقات حتى يأمرهم بالزحف عليهم والطلوع عليهم بجبالهم وواعدهم على اليوم الخامس من الشهر))[3].

وفيها (٨٨٨هـ) في رجب: ((في يوم الحادي عشر منه حصل تنازع بين عرب عدوان وبين خزاعة عند السقي من بركة الماجن فوقع بينهما حرب حصل الغلب على خزاعة لقلتهم وكثرة أولئك))[4].

وفيها (٨٨٨هـ) في رمضان: ((في يوم الأحد ثاني الشهر وصل الخبر إلى مكة بأن السيد بركات - ابن محمد بن بركات - غزا الذين توجه إليهم - في المشرق - وأخذ منهم خمسة وعشرين قطيعاً وهربوا، وادّعى بعض أهل المشرق المواجهين أن لهم مالاً عند هؤلاء ودبهة فجاؤوا فأعطوهم المدعى وبقي الباقي))[5]

وفيها (٨٨٨هـ) في ذي القعدة ((وصول أجود بن زامل المشهور بابن جبر إلى المدينة الشريفة.. في بعض جماعته))[6]. وفيها ((كان الحاج عشيق ولم يحصل لأحد تشويش مع كثرته، خصوصاً بنو جبر، فإنهم كانوا نحو عشرين ألف زاملة))[7].

٨٩٠هـ غزا أجود بن زامل شيخ الإحساء والقطيف وصبح الدواسر على الخرج[8].

---

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد مكتبة الشاطئ ص١٠ نسخة مخطوطة.

(٢) المصدر السابق ص١٦

(٣) المصدر السابق ص١٦.

(٤) المصدر السابق ص١٦.

(٥) المصدر السابق ص١٨.

(٦) المصدر السابق ص٢٠.

(٧) درر الفرائد المنظمة.

(٨) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج٢ ص٤٧١

٨٩٠هـ ((وصلت قافلة من المدينة الشريفة.....، وفي خروجهم من المدينة خرج عليهم بالفريش عرب لعلهم من بلي أخذوا جميع ثيابهم وأمتعتهم وأحمالهم))[١]

٨٩٢هـ في جمادى الأولى: ((جاءت الأخبار من عند الأمير أقبردي الدوادار بأنه قد انتصر على العرب الأحامدة، وكان متوجهاً إلى الوجه القبلي بسبب ذلك، فقتل منهم ما لا يحصى وأسر نساءهم وأولادهم، وبعث بهم إلى مصر، فباعوهم كما يباع الرقيق من الزنج...، وقد مهد بلاد الصعيد منهم وكانوا أظهروا الفساد بها جدًا))[٢].

٨٩٣هـ ((سافر - السيد الشريف بركات بن محمد - هو وأولاده وعسكره إلى جهة الشرق للغزو، فإنه يقال إن بعض بني لام خرب بعض حصون في شامان))[٣].

تعمير يوسف بن أحمد أبي ريشة الطائي لموقع حريملاء

يقول الأستاذ صالح الطعيس: حريملاء ذكرت كروضة ترعى فيها الحيوانات وتتبع أمير ملهم المعروف بابن عطا وهنالك بعض الآثار (مثل الرجوم، وأطلال قصره الحجري وبعض القصص المثيرة) الدالة على هذا الحاكم منها في حريملاء رجم العطيان المنتصب فوق ضلع المرقب شرقي حريملاء. وقال الطعيس: وفي كتاب العقدين الأخيرين من القرن التسع الهجري نعثر على رواية تاريخية ما تزال متداولة إلى وقتنا هذا يرويها الشيخ محمد بن ناصر العمري عن أبيه عن جده فيقول: إن أول من عمر حريملاء كقرية مبنية محاطة بسور وحفر فيها الآبار وشق قنوات شخص يدعى ((يوسف أبو ريشة)) قدم من بلاد الشام تنفيذاً لأوامر أبيه الذي كان رئيساً لإحدى القبائل البدوية هناك إذ بعد حروب استمرت في بلاده. إما مع قبيلة أخرى، أو قتال في ذات القبيلة، فكر أحمد أبو ريشة أن يترك بلاده وينكس إلى موطنهم الأول وسط نجد، فأمر ابنه يوسف أن يرحل إلى نجد ويختار مكاناً صالحاً لإقامة قبيلته...

ثم يقول: وعندما بدت بوادر ازدهار حريملاء زراعيًا بعد أن تحلى تقدمها عمرانيًا حاول ابن معمر أمير بلدة العيينة الاستيلاء عليها بالقوة ولكنه لم يتمكن من ذلك لمناعة تحصينها واستبسال قاطنيها في الدفاع عنها...

في الوقت ذاته ضاق أحمد أبو ريشة ذرعاً بمطالب ابنه المتزايدة عبر سبع سنوات وتطلع إلى معرفة ما وصلت إليه هذه البلدة من تقدم زراعي، - كتب إلى ابنه طالباً منه تعريفه بأسماء نباتات مهجره وأن يرسل له شيئاً من ثمرها فأجابه ابنه بأنه لا يزال منهمكاً في الأعمال الإنشائية وأن النبات السائد طبيعي وهو الحرمل. فاستشرى غضب الوالد وأمر ابنه بالعودة إلى بلاد الشام قائلاً عبارته المشهورة التي ذهبت مثلاً.

---

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد ص٢٨

(٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن إياس

(٣) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد مكتبة الشاطئ ص٤١

((خل حريملا في كبد أهلها)). فهجر يوسف أبو ريشة ومعظم الوافدين معه حريملاء إلى موطنهم بلاد الشام وذلك في السنة ٨٩٣هـ[١].

استحواذ ابن عطا أمير ملهم على حريملاء

وقال الأستاذ الطعيس: وفي خلال هذه الحقبة من الزمن كان ابن عطاء أمير ملهم قد قويت شوكته وأصبح منافساً عتيداً لابن معمر رئيس العيينة، مما اضطره إلى أن يغض النظر عن استحواذ العطيان على حريملاء أو ضمها إلى ملكهم بعيد نزوح يوسف أبو ريشة عنها

نسب العطيان إلى وائل وعامر

قال ابن لعبون في المخطوط الذي صنفه في سنة ١٢٥٥هـ: ((لعامر قربى نسب ودار بالعطيان سكان ملهم القدماء، وقال: أما بنو وائل ساكنو ملهم فالظاهر أنها لم تخلُ منهم جيلاً بعد جيل وقد جاورهم فيها غيرهم وآخر من ذكر من رؤسائهم ابن عطا المنتسبون إلى وائل وعامر ولم يذكر ممن)).

وقال الكلبي في جمهرته (ت٢٠٤هـ). عائذ بن صعصعة بن معاوية وإخوته من أمه وأبيه هم عامر ومرة ومازن ووائل، وأمهم وائلة بها يعرفون أي الوائليون

وقال الجاسر في مجلة العرب: قبيلة عائذ من قبائل بني عقيل بن عامر بن صعصعة وقد انتسب العائذيون إلى قبيلة قحطان الآن حالهم حال عبيدة في المريين من قشير من بني عامر وحال الشثور وآل حيان من آل زياد من بني عامر.

مسير الشريف محمد بن بركات إلى بني لام

٨٩٣هـ / ١٤٨٨م في هذه السنة سار الشريف محمد إلى منازل بني لام.

عجل بن غدفا وكليب بن مانع

في نسخة مصورة من مخطوط الجواهر الحسان لصفي الإسلام أحمد بن مفيزل بن أبي بكر الأسدي البلاع[٢] وجدنا أخباراً مهمة ذات علاقة بأحداث المنطقة في ذلك الوقت وخاصة فيما يتعلق بحروب السيد محمد بن بركات مع بني لام ومطاردته لهم ومحاولته القبض على رئيسهم عجل بن غدفا، وجاء فيها ذكر لجوء الشريف حسين إلى سليمان بن أحمد شيخ الغري من بني لام هارباً من محمد بن بركات، ويعطي هذا المخطوط تفاصيل مهمة عن طوائف بني لام المتعددة، وقد ذكر أن شيخ المنتفق في ذلك الوقت هو كليب بن مانع الذي ستأتي له أخبار أخرى في هذا الكتاب.

---

(١) مدينة حريملاء لصالح الطعيس ج١ سنة١٩٧٩م

(٢) حاولت قراءتها بدقة رغم أن الخط غير واضح، وللأسف لم يصلني من هذه المخطوطة إلا ثلاث ورقات، وأصل هذه المخطوطة محفوظ في مكتبة جامع صنعاء من اليمن.

اجود بن زامل يهاجم الدواسر على الحرملية

٨٩٣هـ ((في هذه السنة غزا أجود بن زامل بجنود كثيرة من الحاضرة والبادية وتوجه إلى نجد وصبح الدواسر هم وسبيع على الحرملية وأخذهم وكانوا قد أكثروا الغارات على بواديه، وقتل منهم عدة رجال من الفريقين))[1].

وفيها (٨٩٣هـ). حج الأمير أجود بن زامل في نحو (١٥ألف من الرجال) ونزل بالمنحنى قرب حراء[2]، وذكر أنه نزل خلف بستان ابن مرنة إلى جهة سبيل جاني بك[3]

استيلاء سيف بن اجود على عُمان

وفيها (٨٩٣هـ) استولى سيف بن أجود بن زامل على عمان، وولّى عليها إمام كبير الإباضية يدفع له محاصيلها وقد نصره أهلها فهدم جميع حصونها وأمر عليهم عمر بن الخطاب الإباضي

وكان قد اشتد الصراع النبهاني الإباضي وتعقد مما أدى إلى استنجاد الإمام الإباضي عمر بن الخطاب الخروصي بأمير الجبور أجود بن زامل الذي لم يتردد في إرسال جيش سنة ٨٩٣هـ- ١٤٨٧م لنجدة الإباضية رغم اختلافه وإياهم في المذهب وقد نجح قائد الجيش سيف بن زامل في طرد النبهانية...

وظلت الحرب سجالاً بين الإباضية والنبهانية مما سهل استمرار نفوذ الجبور في عمان باسم حماية الإمامة الإباضية. . وكان الإباضية مقابل ذلك يؤدون رسوم حماية للجبور على شكل مواد عينية من الحاصلات الزراعية العمانية[4]

وقعة لينة بين كليب بن مانع شيخ المنتفق واجود بن زامل

وردت في كتاب الشعر النبطي للصويان مساجلات شعرية بين شعراء الدولة الجبرية وشعراء المنتفق لحروب وقعت بينهم، ومنها قصيدة قالها ابن زيد وجهها لكليب بن مانع شيخ المنتفق، وهو ممن قاوم نفوذ أجود، وناقشه، فحدثت بينهم وقعة على مورد لينة هزم فيها أجود كليباً وأصحابه وأراحهم عن ديارهم، يقول ابن زيد:

١- يقول ابن زيد قول راعي مثايل	مقال على كل الرواة مكاد
٤- فحصوا بتسليمي كليب بن مانع	ومن لذوي دانيه غزا وعماد

---

(١) المصدر السابق ص٥٣.

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج١ ص٧٦٢.

(٣) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى لعبد العزيز بن فهد ص٤٣

(٤) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص٢١٨، وفي الهامش: راجع الأزكوي، كشف الغمة (الجزء المحقق) ص٧٥ افتح المبين (المخطوط) ورقة ٩٤-٩٦ السالمي، تحفة الأعيان من صفحة ٨٤ فما بعد

٥- قولوا إن الذم ماهوب واجب   والاعلام[1] يحيا ذكرها ويعاد

٧- إن كان سيف حان أو جاه يومه   ومهند في بطن الثرى بمهاد

٨- ما مات إلا عنك في كل لقوة   لكم عند زومات العدو سناد

١٠- طمعت وقلت القوم لاش خلافة   وكل على ماضي قديمة عاد

١١- ومنيت من يمطيك ميراث جده   وذا ظن من لا يختشي بغداد

١٢- نحن غصة في كبد الأعدا مطيلة   إلى قلت بسرا غليلها زاد

١٣- تعوض بقعا في بساتين مرغم   والأوطان في سوق العراق بلاد

١٤- عداك ابن جبر يا كليب وعادته   لشرواك عن عادي مقامه عاد

١٦- فخذ حذر لو ماكمت راعي عداوة   مبين فعذري في عداتك باد

١٧- كما أنك منكار ولا فيك طيب   وأنت في البشر الردي ستاد

١٩- فزادت لك المهلا علينا حماقة   وظليت مع راعي الحماقة غاد

٢١- أسألك بآيات القران وفضلها   وأم القرى والمرسلات وصاد

٢٣- من المبتدي منا بالإحسان أول   و من له مبدأ بالثنا ومعاد

٢٤- فذا ذكرها قد جالكم بآل مانع   والأجواد ما تدع الجميل زهاد

٢٦- ترى إن كانت الميعاد لينة[2] بيننا   بلا نرتضي من دونها بسداد

٢٨- وخليتها كره وخليت حولها   بنبكت على روس الرفاع تشاد

٢٩- قسمناكم أثلاث فثلثين عندنا   وثلث ابن غزي[3] فراح بسداد

٣٠- وجمع ابن صلال قبيل ابن قشعم   عداوعن أسباب الملامة عاد

٣١- وخانوا بنا ابنا وثال[4] قصورنا   والأدناس تدعي الخاينين رماد

٣٢- فقل لآل عيسى[5] عيدبالله خيلهم   فهن مطاويع وهن جياد

٤٠- أبا سند زين المشاليق أجرد   إلى غدى المستأخرين غواد

---

(١) الأعلام تعني الأخبار، وتستخدم في الشعر النبطي في وقتنا بصيغة العلوم.

(٢) وقعة لينة يبدو أنها وقعة كبيرة شاركت فيها عدة أطراف، ولكن الغريب أن التواريخ النجدية لم تذكرها مما يجعلنا نضع هذه المصادر في محل الشك والريبة.

(٣) ابن غزي، شيخ الفضول من بني لام، وشيخهم في ذلك الوقت هو سليمان بن أحمد

(٤) ابنا وثال زعماء الأجود من المنتفق.

(٥) آل عيسى من القديمات، والقديمات أبناء قديمة بن بياتة، وهم إخوة المنتفق، ويبدو أنه عندما استولى العصفوريون على حكم البلاد انقادت لهم جميع القبائل بما فيهم إخوتهم المنتفيون وسادوهم وعلى حسب فهمي للبيت فإنه يقصد أن خيل آل عيسى طاوعتهم على الفرار، وهي كناية عن الجبن

قرة ابن حماد شاعر القديمات.

١- يقول ابن حماد ومن لا يكوده ... مثايل ترثي بالهجا ونعاد

٦- سرها وتلفي من عزانا جماعة ... أهل مقفلات بالعدو جياد

٧- فعمهم بالتسليم مني وقل لهم ... الأعلام فيها كاذب وركاد

٨- لفاني بلا جهل كتاب مؤرخ ... بقلم وعسندي كاغد ومداد

٩- يقول ابن زيد عيذ بالله حبلنا ... فهن مطاويع وهن جياد

١٠- فأطوع منها خيلكم يوم دبرت ... وهن من أطراف الرماح شراد

١٣- فيا مطلع جاني سلامي عساكر ... كما أنه من روس الملوك وعاد

١٤- يقول بيوت الشعر يبغي تعلق ... إلى معر سادوا عليه وباد

١٥- وهو كان مثل النار في دار عامر[1] ... وصبورها بعد الشقوب رماد

١٦- فقد طحت في أيدي القديمات وابتلوا ... زمامك ولا مدت عليك أياد

١٧- من يهجي القوم الذي يحفرونه ... عن الذبح معزي بغير قواد

١٨- وقولك سيف مات منا وهو لنا ... الى شد للحرب العوان شداد

١٩- فلا مات إلا عنك وآزيت عقبه ... كما ثمد ما عاد فيه معاد

٢٠- وقد كان بأطراف الرماح على أجود ... وسلم ولا من عقب ذيك يعاد

٢١- وهو عقب ما داس فيكم جنت به ... جواده ولا عرجت عليه جواد

٢٦- فسايلك بآيات القرآن جميلها ... كما سلتني بالمرسلات وصاد

٢٨- من المبتدي فيما ذكرت وهو بقي ... بمفخاصي بصو فالمزال يعاد

٢٩- و(يوم شراك التمر)[2] باغ طلوعه ... ولا عادت الإحساء لكم ببلاد

٣٠- عداكم عنها كليب بن مانع[3] ... وصار لهزمتكم هنا ونفاد

٣١- وجيتوا كما جابوا زياد لواهج ... وغيره من حر الوقيعة حاد

٣٢- جزيتوا كما جاز كليب بن وايل ... فشر بشر قبل ذاك فساد

٣٣- وأشركت في الأعلام شيخان عامر ... تبادا وهم عما تقول براد

---

(١) دار عامر تسمى اليوم ديرة عامر، وهي معروفة إلى اليوم، وبالتحديد هي السودة، وبشكل عام هي ما بين الإحساء إلى البصرة، وقال عجل بن حيثم في حرب له ضد بني عامر ((صبحنا على الوعرا داوير عامر وغدى مالهم للطامعين أقسام)).

(٢) يوم شراك التمر وقعة لم يؤرخها المؤرخون.

(٣) هنا يقصد الشاعر أن كليب بن مانع شيخ المنتفق أزاح آل جبر عن الإحساء

٣٦- ومن قبله المطلاع[١] فيكم وقيعة   لجا غلها بأقصى ضميرك زاد

٣٩- قتلوا مشاكيل القديمات عليه   بلا سبب يا عايلين عناد

٤١- قتلنا لكم خمس وعشرين سابق   وتسعين قلع والعجاج ركاد

٤٢- مع خمسة منكم وعشرين خليو،   لطير الملا والضاريات معاد

٤٤- قضا في عليان وفي قتل مانع   والأقلاد تدعي الخاينين رماد

٤٥- وقولك بقماً في بساتين مرغم   والأوطان في سوق العراق بلاد

٤٦- نبايع فيها يابن زيد ونشتري   من أموالكم ماهي لنا بتلاد

٤٧- نجيها مع فجاج الملا وأنت غافل   على ضمر من مالكم وجياد

٤٨- على رأي شيخ بالحروب مسلط   بخلي قراشيع الحميم بداد

كليب زبن الجاذيات ابن مانع[٢]   ومن له مبدأ بالثنا ومعاد

وفيما يلي قصيدة لابن زيد في مدح ناصر بن قشعم:

٩- فيا نشر إن قابلت سرل ابن قشعم   صليل وصرتاح حداه زعوق

١٠- وقابلت سلك شرف الله وجهه   جزيل العطا واف الذمام صدوق

١٢- وهذا وكيد تتقي الخيل ناصر   سها الحيل عن روس الرماح دروق

١٣- جزيل العطا واف الذمام ابن قشعم   طوال العلابي[٣] من عطاه وفوق

١٤- شميمي الاوزا قشعمي مجرب   كما السيف من بطن الجفير دلوق

وهذه أبيات يحذر فيها ابن زيد شخصاً اسمه سليمان من مناوأة أجود ويذكره بفضل أجود عليه

٢- فقل أيها الركب الذي قد تقللوا   على ضمر من عيدهيات قودها

٣- فردوا سلامي يم قوم تجمعوا   كما جمعت عجمان سند لبودها

٤- حذاري حذاري يا سليمان لاتكن   فراشة نار حين جاها وقودها

٥- ولا تنس جزيلات العطايا من أجود   إذا نسي جزلات العطايا جحودها

---

(١) المطلاع قرب الجهراء في الكويت، وحدثت عليه وقعة بين المنتفق وبين آل جبر، وهو يومٌ قتل فيه عدد من شجعان القديمات.

(٢) على حسب ما ورد في مخطوط الجواهر الحسان لأحمد بن مغيزل الأسدي البلاع فإن كليب بن مانع هو شيخ المنتفق. كما أن القصيدة توضح أنه شيخ القديمات والقديمات نسبة إلى قديمة بن نباتة بن عامر كما ذكر في قلائد الجمان، ومنهم مانع بن عصفور الذي حكم الإحساء هو وأولاده لمدة قرن ونصف القرن بدءاً من سنة ٦٥١هـ، واسمه هكذا: مانع بن عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة [العميلات] بن شبانة [الشبانات] بن قديمة [القديمات] بن نباتة بن عامر العقيلي.

(٣) طوال العلابي هي الخيل.

٦- فياويل كل الويل من حارب أجود ... الى جر من روس البوادي جنودها
٧- ونادى المنادي للرحيل ودميت ... بليهية مثل البنايا حيودها

يقول ابن زيد في وصف مسيرة حياة أجود بن زامل الشخصية وكيف يمارس حياته:

٨- لوا شارع الصمان في حبل مشرف ... سقاها بهتان الزبانا صدوقها
٩- مقتلة الغزلان صادقة الحيا ... يشق الدجى نور السنا من بروقها
١٠- من الشعشميات الذي تحجز اللوى ... إلى الزرق واليتم المغاني حقوقها
١١- عددت لها من يوم هجراني أهلها ... ثمان وتغيير الليالي خلوقها
١٣- لها معدن في قرب حروى[1] ومسكن ... عن القيض في سرد الثرى من عروقها
١٩- تبين عنها يا نبيط بن ثابت ... فلا عقب صحباك المعادي تذوقها
٢٠- فهي دار من يقري ويذري وينتخي ... ويدي عليها بالهوادي حقوقها
٢١- أبا سند حرج الجراد ابن زامل ... إلي جذبوا شرثاتها من لحوقها
٢٢- وافي الذرى ما خان يوم عميله ... والأعلام تلقي غربها من شروقها
٢٣- ولا طاوع البوقات في مال جاره ... والأقلاد ما تلقي إلى من يبوقها
٢٦- يحل بها الدهنا إلى جاده الحيا ... والإحسا إلى طاب الجنا من عذوقها

في سنة ٨٩٤هـ الموافق ١٤٨٩م اكتشف البرتغالي فاسكو دي جاما رأس الرجاء الصالح وتمكن من الوصول إلى كلكتا بالهند

حرب مكة مع آل جميل

٨٩٤هـ ((القايد مفتاح البوقير من كبار عبيد السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات. ((خرج يريد عرب آل جميل وهم بجبلهم المقيمين به مايقرب من عرفة ومن الحجاز، وأرسل إلى العربان بأن يسيروا معهم ومن لا يسير فهو من الشريف في عنقا، فأبى كثير من العربان المسير، وانتمى إلى جميل عرب هذيل وغيرهم، فلمّا وصل البوقيري إلى تحت جبلهم ترك الذين أخذهم من مكة وبعض العربان ومعهم خباكان هما عثمان بن قبيد أخو مسعود وعلي بن رشيد وتوجه هو والخيالة وكثير من العسكر إلى الحجاز ليأخذ أهل الحجاز ليسيروا معه عليهم من أعلى الجبل أو ليقطع كرماً لهم بأعجار وكذا دوراً لهم فلمّا سمع آل جميل بأنه فعل ذلك نزلوا على الذين تحت الجبل وقتلوا منهم مقتلة كبيرة ونهبوهم وتبعوهم للسبي إلى أن أوصلوهم لعله إلى قرب عرفة ومسكوا جماعة منهم الخباكان وأطلقوهما كرامة للشريف وكان ممن قتل حسين بن ماجد .، وتسمى هذه العروة ((مراوة)) وجاء الخبر إلى مكة ثامن الشهر -

(١) حروى تقع ما بين وادي ميهل وجبل التريبي والجرارة (الرفيمة)، وباختصار حروى بين الدهنا والصمان من الجهة الشمالية الشرقية.

محرم - فحصل الضجيج والبكا من نواحي مكة على المقتولين ثم حضر المقتولون وكانوا ثلاثة وأربعين، فبلغ الشريف جمال الدين محمد بن بركات ذلك فأمر بخمسين فارساً ملبسة من خيله وثلاثمائة راجل وجميع عريب الدار لقريش وخزاعة وبني أسلم وهديل أن يرحلوا بأهلهم وعروشهم إلى تحت حلهم ويقيموا هنا إلى أن ينزلوا على حكمهم أو أن يقاتلوا أو يفني أرودتهم وينزلوا للقتال أو غيره ويكون مفتاح البوقيري مع من معه في طريقهم في جهة الحجاز.....

وفي أوائل النصف الثاني من الشهر - محرم - توجه عسكر من مكة من عسكر الشريف إلى عرب آل جميل فأقاموا بعرفات وأرسلوا لجمع من العرب يصبون إليهم..))[1].

٨٩٤هـ ((في يوم السبت تاسع الشهر - ربيع الأول - اجتمع عرب العلويين عن الجمال (..) للصلح مع الشريف كأنهم كانوا باحوا مع عرب آل جميل فوقع الاتفق معهم على أن لا يعينوهم ولا يسيروا عليهم وحلفوا على ذلك عند الحجر الأسود))[2].

٨٩٤هـ ((في يوم السبت رابع الشهر - شعبان - نودي بأن يخرج جميع العربان إلى عرفة بحلتهم لغزو آل جميل، وسمعت بأن الشريف اتهم جماعة من العربان بممالأة آل جميل منهم الندويون فنقم عليهم والله يلطف بالمسلمين، وفي توجههم لبلادهم أخذوا إبلاً ..))[3].

((وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر سمعنا بمكة أن علي بن سالم أخا زيد بن سالم شيخ آل جميل وصل إلى السيد بركات فأمر به فطوق في رقبته الحديد ويقال إنه أخو الشريف محمد من الرضاعة...

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر - شعبان - دخل السيد بركات وعسكره إلى مكة المشرفة ومعه نحو عشرة من العربان ومنهم علي بن سالم وابنه وابن أخيه زيد بن سالم واثنان من الطلحات - من آل جميل - واثنان من الندويين بسبب الإبل التي أخذها أهل خزاعة وأمر السيد بركات جميع العربان بالرحيل ونادى لآل جميل في العربان أنهم في وجه السيد بركات))[4].

غزو الشريف بركات للروقة

٨٩٤هـ ذو القعدة: ((ليلة سابع الشهر سرى الشريف زين الدين بركات ابن صاحب مكة السيد الشريف محمد بن بركات إلى جهة الشرق لغزو عرب من بني لام الروقة فإنهم منافرون ومعه جماعة من العسكر وراية.... ويقال إنهم لم يجدوا العرب الذين طلبوهم وإنما وجدوا عرباً من ناصرة أو عرب سبيع فغنموا منهم إبلاً كثيراً يقال إنها ألف..))[5].

---

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد ص٤٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص٤٧.

(٤) المصدر السابق ص٤٨.

(٥) المصدر السابق ص٤٩.

٨٩٦هـ في هذه السنة: ((لم يحج في هذا العام ركب العراقيين ولا الأروام ولا المغاربة ولا بني جبر ولا عقيل ومع كثرة الحاج كانت الأسعار رخيصة))[١].

٨٩٧هـ خرج عرب الأندلس بعد حربهم مع الأسبان مدة اثني عشر عاماً.

٨٩٧هـ في هذه السنة ((لما صعد الركب الأول إلى سطح العقبة خرج عليهم بنو لام ونهبوهم))[٢].

٨٩٨هـ وفيها: ((لم يحج حج العراق ولا حج بني جبر ولا زيلع والسرو وغيرهم))[٣].

---

(١) درر الفرائد المنظمة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة ج١ ص٧٦٦.

أحداث

القرن العاشر الهجري

غزوة السلطان أجود لزغب والعوازم ومتيم ثم الدواسر

٩٠٠هـ فيها ((غزا أجود بن زامل من الإحساء بجنود كثيرة من الحاضرة والبادية وصبح بوادي زغب والعوازم ومتيم على ثاج وغنم منهم شيئاً كثيراً وقتل عدة رجال من الفريقين، ثم توجه إلى نجد وصبح الدواسر على الرويضة وقتل منهم عدة رجال))(١).

بنو لام يقطعون طريق الحاج

٩٠٠هـ ((وفي هذه السنة اتفق أن الحاج المصري خرج عليه العرب فأخذوا غالبه وكذلك العزاوي خرجوا عليه ولكن لم يظفرهم الله به، وكذلك الحاج الشامي خرجوا عليه وأخذوه أجمع وأسروا بعض التجار، وكل ذلك فعل بني لام المفسدين))(٢)

أخبار بني لام وشيخهم عجلان وأخبار بني حسين وعدوان

٩٠٠هـ شعبان. ((في ليلة الثلاثاء حادي عشر الشهر وصل إلى مكة المشرفة صاحبها السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وعسكره بقصد التوجه إلى الشرق لأجل غزو عرب من بني لام بلادهم عجلة وقصدوا أن يربعوا ببلاد الشريف اسم شيخهم عجلان بينه وبين جماعة له (...)(٣) الفتنة فأجلوه أيضاً إلى هنا في نحو أربعمائة فارس أو أكثر. وأرسل ولديه إلى الشريف ليستأذناه في ذلك فبلغه أن يصلا إليه، فأرسل ملحم بن مفتاح المغربي في جماعة إليهما ليقتلوهما قبل أن يصلا إليه فوجدوهما قبل أن يدخلا مكة فقتلاهما في يوم الإثنين عاشر الشهر وخرج الشريف وجماعته من مكة في ليلته فتوافى هو ومن واعده من بني حسين غير عدوان الذين دخلوا في وجوههم فصبحوهم صبيحة الأربعاء بالقرب من السيل

(١) تحفة المشتاق، صورة عن المخطوطة الأصلية بيد صاحبها ابن بسام ت١٣٤٦هـ تقريباً.

(٢) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٢٩٣

(٣) بياض في الأصل.

فوجدوهم قد أنذروا في تلك الليلة أو في ذلك الوقت فانهزم الرجال على جبلهم وتركوا عيالهم وغالب مالهمْ فاشتغل العسكر بالغنيمة ففاتهم الرجال))[1].

((وغنم شيئاً كثيراً من الإبل والغنم والبقر والحمير والسمن وبعض الخيل ولم يقتلوا النساء ولا الصبيان ويقال إن الشريف كتب إلى قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبي السعود بأنه غنم منهم شيئاً كثيراً لم يغنمه قط لا هو ولا آباؤه. ويقال إن السمن عندهم لو أهريق لسال))[2]...

قَتْلُ الشامانيين ابن عجل بن غدفا اللامي وغيره

٩٠١هـ ((في يوم الإثنين ٢٦ رجب تحقق الخبر الذي أشيع من أيام وهو أن عجل بن غدفا اللامي (بعدا وسحقا)[3] إلى بلاد صاحب مكة بالشرق فارتفع عرب شامان في الحرة، وأغرى جماعة من عرب عجل فظفر بهم الشامانيون فيما يقال وقتلوا ابناً له وغيره وأخذوا له ثمانية وعشرين فرساً، وهو جالس هناك في كثيرة، ويقال إن في نية الشريف التوجه إليه))[4].

٩٠١هـ ٢٧رجب. وصل إلى مكة الشريف بركات بن محمد ومعه العسكر، وفي ثاني يوم وصل أبوه السيد محمد وفرق العسكر معه لأجل غزو اللامي المذكور ((عجل بن غدفا))[5].

من أخبار المدينة المنورة وأمرائها

٩٠١هـ ((أمير المدينة حسن بن الزبير بن المنصور قام في سنة ٩٠١هـ ضد شريف مكة محمد بن بركات وأخذ بعض المجرمين المسلحين في السادس من ربيع الأول من نفس السنة، وفي وقت الظهر دخل الحرم الشريف وقد أعد أدوات الحفر مثل الفأس والمجرفة وكسر باب خزانة حجرة السعادة ونهب جميع تلك الأشياء الثمينة، كما أخذ مبلغ (١٢٠٠٠) المحفوظ في الخزانة لصرفه على لوازم مسجد السعادة وانسحب إلى قلعته التي تسمى حصن الأمير ومعه تلك الأموال وأحضر الصياغ من السوق وأذاب جميع القناديل المصنوعة من الذهب والفضة.

وأدخل حسن بن الزبير كثيراً من أراذل الناس في الحرم الشريف لينهبوا الخزانة النبوية وحملهم ما اغتصبه من القناديل، كما حمل حصانين وبغلاً بما اغتصب، ولما كان قد بقي تسعة أجولة من الفضة جاء بالحمالين من السوق وحملهم بها، هذا ما يروون))[6].

٩٠١هـ في ٢٦ رجب: وصل فارس بن شامان بن زهير بن سليمان بن ريان بن منصور بن جماز بن

---

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد ص٨٢.

(٢) المصدر السابق ص٨٣

(٣) غير واضحة، وقد رسمتها رسماً

(٤) المصدر السابق ص٨٩.

(٥) المصدر السابق ص٨٩.

(٦) مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، أيوب صبري ج٣ ص٣٥٣

شيحة الحسيني إلى المدينة متولياً من قبل صاحب مكة[1]، وهو أول من تولى المدينة الشريفة من آل زيان بعد الأمير حسن بن زبيري النعيري فأحسن السيرة، ثم صرف بنات بن ضيغم النعيري سنة ٩٠٣هـ[2].

وفاة الشريف محمد بن بركات وولاية ابنه بركات

٩٠٣هـ توفي الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان في ١١محرم... وكانت مدته (٤٣سنة)... وتولى بعده ابنه الشريف بركات بن محمد ومولده سنة ٨٦١هـ بمكة وجاء التأييد له من سلطان مصر، وأشرك معه أخاه هزاعاً ثم خالفه أخوه هزاع ومعه أخوه أحمد الملقب بـ الجازاني. وتداخلا مع أمراء الحاج فسعوا في ولاية مكة[3]، والشريف محمد بن بركات هو الذي صاهر الجبريين فقد تزوج بنت محمد بن أجود

تأسيس الدولة الفارسية الصفوية

٩٠٥هـ (١٥٠٠م تقريباً): في هذه السنة تأسست دولة الصفويين في إيران بزعامة الشاه إسماعيل ابن حيدر ((الذي كان محاطاً بهالة من القداسة استمدها من أجداده أصحاب الطريقة الصفوية «الصوفية» في أردبيل وعلى رأسهم الشيخ صفي الدين، وكان أتباعه يتألفون من سبع وحدات قتالية، بعضها قبائل وبعضها تجمعات إقليمية، جميعهم من أصل تركي ومعظمهم جاء من الأناضول))[4].

وقد قام إسماعيل الصفوي بعدة أعمال أهمها أنه وحّد إيران وجعلها شيعية، وجعل التشيع مذهباً رسميًا للدولة، واتخذ من تبريز عاصمة له، وفي سنة ١٥٠٨م تمكن من ضم العراق[5].

غزوة مطير على زبيد بموافقة الشريف بركات

٩٠٦هـ ((صَبّح بعض عرب مطير وقد كانوا نازلين بالجعرانة بإذن السيد الشريف زين الدين بركات ابن محمد بن حسن بن عجلان بعض زبيد وهم بنو أحمد وهم نازلون من البير عمل زبيد وقتلوا منهم اثنين واثنين بهم جراحة فزعجه واستاقوا لهم إبلاً نحو ثمانين. وجاء الخبر إلى مكة فتوجه الوالي على فرسه، وصبيانه على بعض جمال إلى الجعرانة فوجد مطيراً فقالوا: إننا غالطين في مهدنا وما غرنا إلا زبيد))[6].

---

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد.

(٢) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٩٤

(٣) تحفة المشتاق لابن بسام تحقيق إبراهيم الخالدي.

(٤) البدو ج٤ ط٢ تأليف أوبنهايم ومساعديه تحقيق ماجد شبر ص١٨

(٥) الممتاز في تاريخ العرب الحديث إعداد صبحي أبوصيبح ج١ ص٣.

(٦) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد ص١١٦.

غزوة الشريف بركات لمطير وبني لام

٩٠٦هـ شوال: ((توجه السيد الزيني بركات إلى عرو مطير بجهة الشرق ومعه إخوته وعسكره... وفي يوم الأربعاء ٨ شوال دخل السيد بركات بن محمد صاحب الحجاز ومكة من عزوة لعرب مطير بجهة الشرق ظفر بهم وكسب منهم جملة من المال ووجد بعضهم مصالحين فردّ على المصالحين مالهم))(1).
وورد في المصادر التاريخية أن الشريف بركات تمكن أخيراً من السيطرة على قبيلة بني لام الذين يسكنون بنواحي المدينة بعد إلحاق الهزائم بهم في هذه السنة.

تنافس الشريف بركات مع الشريف هزاع على ولاية مكة

٩٠٦هـ ((تسلطن الملك قانصوه الغوري بتخت مصر، فجهز للشريف هزاع بن محمد خلعة سنية بإمرة مكة المشرفة صحبة أمير الحاج فلاقاه عند ينبع ولبس التشاريف السلطانية وسق إلى مكة لتمهيد البلاد وتطمين العباد، فلاقاه الشريف بركات خارج مكة فاقتتلا قتالاً شديداً فانكسر هزاع، ولحق بأمراء الحاج فأعانوه، وأقبلوا بجموعهم من العساكر والحجاج على الشريف بركات، فولى عن محاربتهم إلى جدة وما يليها ونهب بعض عساكره كل ما مروا به))(2).

وفي ذي القعدة ((استعدّ السيد بركات وجمع الجموع ونزل بأرض حسان وجاءه خيل كثير من الشرق بنو حسين وعدوان وبنو سعد فلمّا كان يوم الأربعاء تاسع عشري الشهر نزل السيد بركات هو وجميع عسكره عند رأس عين الجموم وهم مستعدون باللّبس الكامل))(3)

وفاة الشريف هزاع وولاية الشريف جازان

٩٠٧هـ الخامس من رجب توفي الشريف هزاع رحمه الله، فتولى الإمرة بعده أخوه الشريف جازان.

عمارة سور جدة

٩٠٨هـ سبب عمارة سور جدة كان لما حصل بمكة المشرفة وجدة من نهب وقتل وسفك دماء من بعض عربانها، وهم بنو إبراهيم من أهل ينبع، وزبيد ومن تبعهم، ((ونهبوا مكة وجدة ومعهم طائفة من عصبة الشراكسة يسمون العادلية، وصل فارس منهم من العادلية إلى جدة، ولم يكن عليها حينئذٍ سور، خرج الخواجة محمد بن يوسف القدري من بيته وحمله على فرسه ووصل به إلى بلاد زبيد طائفة مالك بن رومي، ولم يفكروا إلا بجُملة من المال

---

(1) المصدر السابق ص١١٩.
(2) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٣١٣.
(3) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد ص١٢٠

وبلغ ذلك السلطان الغوري وأنه لم يكن بها حينئذٍ سور، فبعث الأمير قيت الرجبي في طائفة من العسكر نحو ألف فارس غير الرماة والمشاة وذلك في عام ثمان وتسعمائة لقتال العربان المذكورين، وهم حينئذٍ بينبع متحصنون بها وأميرهم المرحوم السيد هزاع بن محمد بن بركات، ولما بلغ المذكورين وصول الأمير قيت الرجبي بعسكره خرجوا من ينبع هاربين))[1].

مقتل السيد جازان صاحب مكة وولاية الشريف حميضة

٩٠٩هـ((في صبح يوم الجمعة تاسع رجب قتل صاحب مكة السيد جازان بن محمد بن بركات عند باب الكعبة وهو يطوف، قتله الترك المقيمون بمكة لما لم يروا ما يعجبهم، وخافوا على أنفسهم منه فتواطؤوا على قتله وحمل إلى المعلاة ودفن على أخيه هزاع بإشارة أخيه حميضة، وبعد فراغ دفنه ألبس الأمير الباش السيد حميضة بن محمد الخلعة وأقامه على الحجاز حتى يأتي أمر السلطان من مصر، وكانت ولايته للحجاز يوم مات أخوه هزاع خامس رجب سنة ٩٠٧هـ.

.. ثم جاء الشريف بركات ودخل مكة في شعبان وخرج منها جازان، ثم جمع جازان عسكراً وقصد مكة، ولما سمع به بركات خرج إلى جهة اليمن ودخل جازان مكة وحصل بها الغلاء والخوف وصودر جماعة.. ونهبت العربان من جبل أبي قبيس ثم قصد بركات مكة وصادمه جازان والتقوا بالمنحنى فهزم بركات ونهبوا أمواله وجماله، وقصد بركات الأشراف آل أبي نمي الذين باليمن وساعدوه وهاجم بهم حلة جازان فنهبها ودخل مكة وحفر خندقاً على مكة ولما جاء جازان لم يجد وصولاً إلى مكة فانهزم.

ثم في رابع شوال هاجم مكة على غفلة، وانهزم بركات، واستولى جازان على مكة وقتلوا خلقاً كثيراً ونهبوا البيوت وسبوا الأرقاء وأمهات الأولاد وكثيراً من أولاد الناس، وتوجهوا إلى ينبع، واستفك جماعة أولادهم بمال كثير. وفي ذي القعدة وصلت التجريدة من مصر وجعلوا لكبيرهم مالاً في تولية جازان وقبض بركات فلما وصلوا حلفوا على بركات، ولما وصلوا المدرسة قبضوا على السيد بركات وجماعة، وطلبوا إخوانه فلم يجدوهم، ونهبوا دار الشريف بركات ودور أصحابه وأخذوا إبله وأرسلوا للسيد جازان فألبسوه الخلع والتزم للسلطان ستين ألف دينار، واستمر بمكة إلى أن قتل في التاريخ المذكور رحمه الله وإيانا))[2].

فرار الشريف بركات من مصر

وفيها فرّ بركات من منزله الذي خصه به الغوري في مصر على أثر وصوله مأسوراً في ركب الحج المصري، وفي ينبع علم بأخبار قتل أخيه أحمد الملقب بجازان، الذي قتل في المطاف في صباح يوم الجمعة ١٠ رجب ٩٠٩هـ وعلم أيضاً باستيلاء أخيه الثاني حميضة على مكة، فقرر الارتحال إلى بعض الجهات شرقي مكة ليعمل على انتهاز الفرصة لاستخلاص مكة من أخيه حميضة. فسار الشريف بركات

---

(١) السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة لعبدالقادر بن أحمد بن فرج الشافعي خطيب جدة. تحقيق د.محمد عيسى صالحية ط١/١٩٨٣م ص٥٠.

(٢) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشلي باعلوي ص٦٩.

من ينبع إلى المدينة ثم منها إلى الشرق فنزل على السيد حميدان بن شامان الحسيني ببعض القبائل وكان بعض الأشراف من بني حسين خطب ابنته الشريفة عيشة بنت حميدان فقبله، وفي الحي زير يضرب، وقد تهيؤوا للزواج ولم يبق إلا العقد فسأل الشريف بركات من العريس أن يسمح له بهذه الست فيتزوجها، وكان عمر الشريف بركات وقتها ٤٨ سنه هجرية، فسمح له بها فعقدوا بها على الشريف بركات، فدخل بها الشريف بركات فحملت منه بالشريف أبي نمي بن بركات[1].. ولم يدم انتظاره إلا بضعة أشهر وقد استطاع أثناء ذلك أن يستنفر بعض القبائل من بني عقبة وبني لام وغيرهم حتى اجتمع لديه عدد وافر استطاع أن يهاجم به مكة يوم التروية[2].

٩٠٩هـ في عقيب ذي القعدة: قبض أقدي الكشف على شخص من العربان المفسدين يقال له ابن بهيج.

هجوم الشريف بركات على مكة

قال العاصمي: ((ووصل إلى مكة سابع ذي الحجة - ٩٠٩ - معه جيش عظيم من بني لام وأهل الشرق وسائر المفسدين، فمنع الناس من الوقوف يوم الخميس حتى صالحه أمراء الحاج على أربعة آلاف أشرفي يسلمونها ويخلي بينهم وبين الوقوف يوم الجمعة فعمل.. وهرب حميضة ودخل بركات مكة..))[3]. وكان هجوم الشريف بركات بن محمد بن بركات على مكة في يوم التروية ومعه من العرب عتيبة وغيرهم وشرعت العرب بالنهب[4].

هجوم بني خالد على الشريف إبراهيم والقبض على شيخ لهم

٩١٠هـ جمادى الأولى ((في أوله وصل الخبر إلى مكة بأن جماعة من عرب بني خالد بيتوا الشريف إبراهيم بن بركات بن حسن عم السيد بركات وقايتباي وأخذوا جميع ما معه من خيل ونقد ويقال إنه ألفا دينار وغير ذلك، ولم ينج إلا بنفسه وبلغ الشريف قيتباي ذلك وكان عنده موسى بن أبي مكران الذي كان (...)[5] عند جازان فقبض عليه و(...)[5] (....)[5] رقبته الزنجير) وأرسل به إلى القنفذة حتى يعود ما أخذه جماعته))[6].

غزوة الشريف بركات لعتيبة وبلاغه بفعلة بني خالد

((وفي يوم الجمعة ثاني الشهر - جمادى الأولى - وصل الخبر إلى مكة بأن الشريف بركات غزا

---

(١) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص٤٨

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣١٤ وراجع خلاصة الكلام للدحلان ص٤٩.

(٣) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٣٠٢

(٤) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص٤٩، وراجع تحفة المشتاق لابن بسام.

(٥) ما بين أقواس كلمات لم أتمكن من قراءتها.

(٦) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد ص١٤٦.

عتيبة وقتل منهم أزيد من أربعين نفساً وأسر ثلاثة من أولاد مشايخهم فأرادوا فداهم فامتنع وشنقهم، وكان قبض على جماعة منهم قبل ذلك وهم مربوطون عنده، ولما بلغه فعل بني خالد توجه إلى مكة، فوصل إلى بير البرود بالقرب من الجعرانة في ليلة الأحد رابع الشهر وتوجهت إليه زوجته أم الكامل ولم تواجهه قبل ذلك بعد مجيئها من مصر، وتوجه الناس للسلام عليه..))[1].

جمع عدد من الأشراف لجمع من بني إبراهيم وزبيد للهجوم على مكة

٩١٠هـ رجب: ((بلغ أهل مكة وأهل جدة بأن السيد الشريف حميضة وعياف - ابن محمد بن علي - وملحم ومالك بن رومي وظاهر بن قماز تحركوا وطلبوا السفر إلى مكة المشرفة وجدة وجمعوا جمعاً من بني إبراهيم ومن زبيد وغير ذلك ومن جملتهم ملعب بن بدال وزايد بن حريص وإبراهيم بن بسام، وجمع كثير نحو المائة فارس وألف راجل وأكثر وتجهزوا للسفر فمنعهم السيد الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع و(السعيد) من ذلك، وأشار عليهم بعدم التوجه فلم يرجعوا لقوله وزادوا في طغيانهم، فلمّا علم منهم المخالفة كتب للجناب العالي الخواجكي الشمس القادري عظم الله شأنه كتاباً يعرفه وصولهم إلى مكة وجدة ويحذرهم منهم، فإن قصدهم النهب والفساد فعند ذلك اجتهد الخواجا شمس الدين القادري المشار إليه وجماعة التجار المقيمين بجدة وحملوا ما خافوا عليه في الجلاب وعز عليهم والسنابيك، وساروا عن جدة، فبلغ الشريف حميضة وجماعته المذكورين فعل التجار ذلك وتحرزهم فقصدوا جهة مكة فلمّا وصلوا إلى حليص جهزوا قاصداً يسمى الشريف أبا سعد المحلش إلى مكة المشرفة للمقر الأشرف السيفي بكباي باش المماليك السلطانية بمكة المشرفة أعز الله أنصاره ليعرفه أن الشريف حميضة المذكور بيده مرسوم شريف اتفقوا عليه وتعهدوا على ما فيه، فوصل القاصد المذكور وأخبره بذلك، فلمّا سمع ذلك جهز المقر المشار إليه جوابه على لسان الفقير إلى الله تعالى الشيخ الصالح الورع الزاهد العارف بالله تعالى سيدي عبدالكبير نفعنا الله ببركته والمسلمين، وصحبته مملوكان وعرفه أن يذكر لهم أنهم لا يمكنون من الدخول لمكة المشرفة إلاّ بمرسوم الشريف، توجه السيد عبدالكبير المذكور ومن معه إلى الشريف حميضة المذكور وأخبره بذلك فذكر أن إقامتهم بمكة المشرفة ثلاثة أيام ليتجهز للسفر لجهة اليمن لمحاربة أخيه الشريف بركات..))[2].

خبر غريب عن عرب ابن جبر

٩١٠هـ على الرغم من أن الجزيري ذكر في درر الفرائد المنظمة أنه ((في هذه السنة حج أجود بن زامل صاحب الإحساء في جمع كبير.. يقال إنهم ٣٠ ألفاً فأكثر))، إلا أن الغريب ما قاله ابن فهد في بلوغ القرى حيث يقول: ((حج الأمير محمد بن علي بن جبير المتقدم عن أبيه في مملكته والمشار إليه ولم يفعل من المعروف شيئاً مما كان يفعله أبوه وتأخر بمكة إلى سفر المصري وكانت عادته النفر من منى

---

(١) المصدر السابق ص١٤٦

(٢) المصدر السابق ص١٥٠.

وجاء لمكة من المدينة الشريفة مع الشامي، وأراد ريد نهب الشامي محمد مجيئه معهم، بل قال إنهم استأذنوا ابن جبر أن لا يدخل بينهم فامتنع وقال: هذا ما يكون، ثم ما سلم الشامي منه فإنه سافر أخذ له مقطراً كبيراً في النسة عند خليص ليلاً والآخذون جماعة (...(*)) ولم يتبعهم أحد ولو تبعهم أحد لرد ما أخذ وعاد الراكبون من الرجال والنساء ويقال في ذلك مال كبير))[1].

أولاً: هذا النص توجد به بعض كلمات لم نتمكن من قراءتها بسبب عدم وضوحها فوضعناها بفراغ.

ثانياً: نلاحظ في هذا النص أن ابن جبر يذكر بصيغة التصغير (جبير) ولاحظت هذا الشيء في أكثر من نص لمؤلفين آخرين.

ثالثاً: الغريب في هذا النص أنه المعروض في هذه السنة أن يكون سلطان آل جبر أجود بن زامل الذي يخلفه ابنه محمد إلى سنة ٩١٢هـ ولكن من أين جاء اسم الأمير محمد ابن السلطان علي؟

يفهم من مذكّرات القائد البرتغالي أفونسو دلبوكيرك أن مسقط كانت في وقت دخولهم لمياه الخليج جزءاً من مملكة هرمز، وأما المناطق الداخلية من عُمان فقد كانت تتبع شيخ آل جبر، الذي كان له أخوان آخران يقتسم معهما جميع البلاد الجبرية الممتدة حتى عدن، والممتدة شمالاً حتى ساحل البحر العربي الممتد حتى قرب مكة، ويحكم البلاد الجبرية جميعها الأخ الأكبر الذي يقرّ له أخواه بالملك والتبعية. ولابن جبر السيادة على بلاد قريات وصحار وقلهات ومسقط وتمتد حدوده لتصل إلى بلاد شيخ عدن، أما الأخوان الآخران فاستقرّا على ساحل بحر فارس أخذ أحدهما من ملك هرمز جزيرة البحرين حيث مغاصات اللؤلؤ، كما أخذ منه القطيف[2]، وكان لأجود من الأولاد زامل ومقرن وسيف وسند.

رابعاً: يشير هذا النص إلى وجود شخص اسمه ريد كان ممن يقطع طريق الحاج عند خليص ولكن لم يبين هويته.

الحجة الأخيرة لأجود بن زامل

٩١١هـ أبدى الحميدان شكه في صحة الخبر الذي نقله العاصمي من أن: ((في هذه السنة: حج أجود بن زامل في جمع عظيم يقال إنهم يربدون على ثلاثين ألفاً))[3]. حيث يقول الحميدان: لا يعقل أن يقود السلطان أجود حملة الحج وعمره يبلغ التسعين وهي سن كبيرة إضافة إلى أن حج تلك السنة كان في فصل الصيف. ثم يقول: إن العاصمي بعيد جداً عن تاريخ آل جبر ولم يورد عنهم إلا النزر القليل، ويدل على عدم درايته بتاريخهم أنه كان يسمي والد أجود بن زامل مزيد. لذلك فالحميدان كان يستبعد أن يكون أجود حيًّا إلى هذه السنة أو أن يكون على رأس السلطة[4]. وبمراجعة سنة ٩١٠هـ يتضح أن شك الدكتور الحميدان كان في محله، حيث يذكر الخبر أن أمير آل جبر هو الأمير علي.

---

(١) المصدر السابق ص١٥٣.

(٢) السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك المجلد الأول ص١٨٤.

(٣) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٣١٧.

(٤) م.كلية الآداب، البصرة، ع١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور د. عبدالطيف الحميدان ص٦٥.

وصول جماعة ابن (جبر) وفيهم اثنان من أولاد مقرن بن أجود

٩١١هـ ذو الحجة: ((في يوم الأربعاء خامس الشهر وصل جماعة ابن جبير وفيهم ولد ولد أجود مقرن ووصولهم من المدينة الشريفة، جاؤوا من غير الطريق الجادة خوفاً من اجتماع بني إبراهيم وربيد بالطريق، فجاؤوا إلى الصفرا ثم أخذوا غير طريق بدر وما طلعوا إلّا بين عسفان ووادي مر .))[١].

مهاجمة الشريف إبراهيم بن بركات لبني خالد

٩١١هـ محرم: ((في هذا الشهر أرسل الشريف محمد بن بركات بن علي وعمه إبراهيم بن بركات في سرية إلى بني خالد عرب بناحية اليمن فصبحوهم فقتلوا شيخهم وغيره ومسكوا (أخاشيهم)[٢] فاضل فشنق بأمر الشريف ونهبوا مالهم وتركوا بقية الحلة وهؤلاء غرماء إبراهيم بن بركات الذين نهبوا وسبوا حريمه كما تقدم ثم أرسل لأخيهم المحبوس بالجزيرة المسماة بالقنفذة فأمر بشنقه فشنق ثم غرق وشنق أخاهم الربيط ويقال إن المقتول نحو العشرة والمأخوذ من خيلهم مثلاً ومن الإبل كثيراً))[٣].

أخذ عتيبة لإبل عريب الدار قريش ومن خزاعة ولحيان

وفي أواخر هذا الشهر - محرم - أيضاً أخذ عرب عتيبة (المتاقون(*)) إبلاً لجماعة من عريب الدار لقريش من جهة عرفة ومن خزاعة ولحيان برأس العين قريب مكة ففزع بعض العربان وراءهم . ففاتوهم))[٤].

إغارة شيخ عتيبة علي بن سالم على إبل قريش قرب عرفة

٩١١هـ شوال: ((في صبح يوم الخميس ثامن عشري الشهر أغار خمسة عشر خيالاً من عرب عتيبة وفيهم شيخهم علي بن سالم على إبل قريش (بالأوراك(*)) قرب عرفة وغيرهم فاستاقوا إبلاً هرب منها الإبل (الاوارك(*)) وذهبوا بالباقين فجاء المنذر بمكة فاهتم الباش لذلك في خيل كثير من الأتراك والموالي وأحمد بن حسن وتوجهوا خلفهم الزيمة بعد أن انقطعت الخيل والرجال ومات من الخيل ستة بالطريق فاتهم القوم لكنهم وجدوا هذيلاً أهل سولة والزيمة انتزعوا من القوم الإبل وهي نحو أربعين وثلاثة من خيلهم أعيوا ودلوا على رجلين في الجبل من القوم فطلعوا لهم وأخذوهم فوجدوا أحدهما من أولاد مشايخهم الكبار وتوجهوا من الزيمة إلى سولة بعد أن أضافهم شيخ الزيمة وأقاموا بسولة يوم الجمعة

---

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد ص١٦٤

(٢) الكلمة التي بين قوسين أظنها (أخا شيخهم)، والمعروف من الأخبار السابقة أن الشريف قيتباي قبض على أحد مشايخ بني خالد وربطه وهو موسى بن أبي مكران وبهذا يتضح أنهم ثلاثة إخوة: فاضل وهو الوارد ذكره في هذا الخبر، وموسى المقبوض عليه في مكة عند الشريف قيتباي، والثالث المحبوس بالقنفذة

(٣) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى لعبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد ص١٥٤.

(٤) المصدر السابق ص١٥٤.

وأصابهم شيخها وعادوا لمكة آخر ليلة السبت ومعهم الأسيران وأما الإبل فإنها بمبلهم توجهت إلى أهلها))[1].

في جمادى الثانية من سنة ٩١٢هـ خرج كافل المملكة الحلبية هو وعسكره والمقاتلة لبني لام وغيرهم من العرب المفارجة وغيرهم من المفسدين وقتلوا منهم مقتلة كبيرة وسبوا نساءهم وأولادهم[2].

وذكر ابن فهد أنه في رمضان ٩١٢هـ ((تجريدة قصدت بني إبراهيم إلى محلهم وهم لا يشعرون بمحلهم واقتتلوا فانكسر بنو إبراهيم (...) مقتلة كبيرة منهم وهرب الباقون ولولا الليل حجز بينهم لما نجا منهم أحد...، واشتركوا على جميع ما لهم من نسء وأولاد ورقيق ومال وأثاث ومأكول، ويقال إن المقتول منهم أكثر من ثلاثمائة ونرجو من الله أن يسمعنا عن باقيهم ما يسر وهذا المرجو من فضل الله، وبيع المنهوب برخص حتى رأيت في بعض الأوراق أن البيت بيع بثلاثة عشر محلق وجهز روس جماعة من العربان سلخت وحشيت تبناً إلى السلطان بحرٍ...، ولم يقتل من التجريدة غير مملوكين . وقواس أو قواسين .))[3]، وكان مع بني إبراهيم يحيى بن سبع وولده وملحم وابن أخيه عبدالله بن محمد بن مسعود، فهربوا إلّا عبدالله فقتل.

انتصار العساكر على يحيى بن سبع

٩١٢هـ ((في مستهل ذي القعدة حضر عدة هجانة من مكة وأخبروا بأن العسكر المتوجه إلى يحيى ابن سبع قد انتصر عليه نصرة ثانية، وكان من ملخص أخبار هذه النصرة أن العسكر لما تواقع مع يحيى بن سبع وانكسر أولاً متوجه إلى طائفة من العربان يقال لهم العنزة وهم من بني لام فالتجأ إليهم واستمر مقيماً في مكان بالقرب من الينبع))[4]

إشارة إلى وجود حلف كبير باسم بني لام

في الخبر السابق ذكر ابن إياس أن عنزة من بني لام وقد ذكر مؤرخون آخرون أن القوم من بني لام وأن الروقة من بني لام وسبيع من بني لام ومطير من بني لام بالإضافة إلى الظفير وشمر وبني خالد وغيرهم. وهذا ما يجعلنا نضع احتمالية وجود حلف كبير قائم بين هذه القبائل تحت قيادة بني لام، وإن كان بعضهم من بني لام أصلاً، والله أعلم.

ويقابل هذا الحلف حلف شابة، وحلف خندف في الحجاز.

---

(١) المصدر السابق ص١٦٣.

(٢) المصدر السابق ص١٦٨.

(٣) المصدر السابق ١٦٩

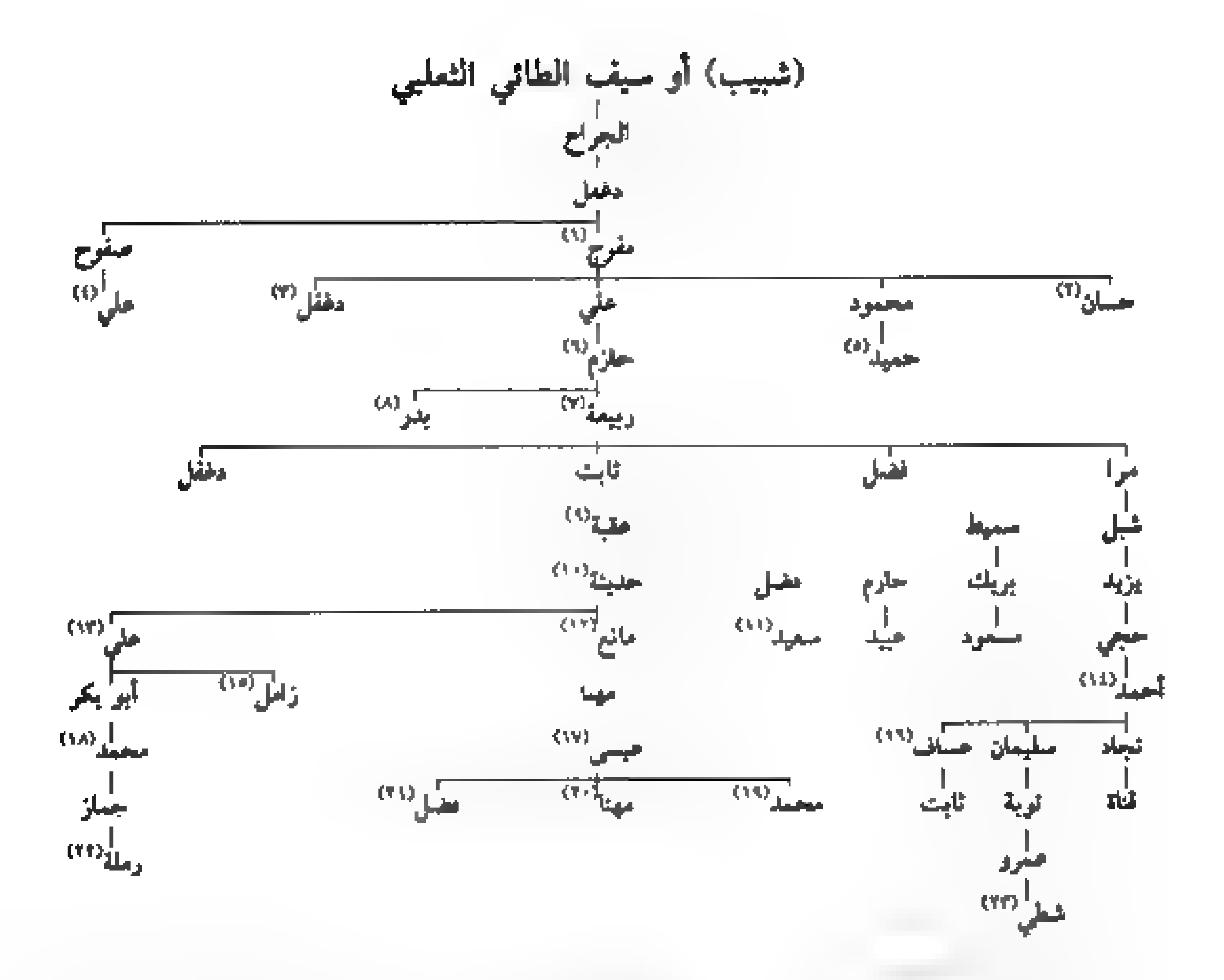
(٤) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي ط١٩٧٤/١م تحقيق وتقديم محمد مصطفى الجزء الرابع ص١٠٦.



(١) غزية بن أبي بن غنم بن حارثة بن ثوب بن معن بن عنود بن حارثة بن لام.

(٢) كانوا مع جرم بالشام.

(٣) منهم طائفة بالطائف.



(٤) بالشام والعراق والحجاز وفيما بين العراق والحجاز. قال في العبر: وفيهم الإمارة في العراق إلى الآن، فمن بطونهم البطين وأصحادهم آل دعيج وآل روق، ومن بطونهم الأجود وأفخادهم آل مبع وآل سند وآل منال

(٥) زبيد الأحلاف سنحار، في صبح الأعشى: ومن بطون سعد العشيرة بن مذحج زبيد، وهم بنو منبه بن صعب بن سعد العشيرة. وتعرف زبيد هؤلاء بزبيد الأكبر، زبيد الحجاز

(٦) قال الحمداني: ويقال: إن بني الحجاج من بني خماس

(٧) ذكر الحمداني بني لام وذكر أن ديارهم أجأ وسلمى، وقال: وظفير من لام ومنازلهم الظعن قبالة المدينة، وهناك لام بن أفلت بن ثعل

(٨) ٣٦٠ عينه القرامطة أميراً على الرملة

(١) ٣٦٩ كان أمير بني طيّئ وسائر العرب بفلسطين، ت٤٠٣هـ.

(٢) ٣٩٥ استماله الفاطميون ت٤٣٣هـ

(٣) ٣٦٠ عينه القرامطة على الرملة بفلسطين.

(٤) ٣٩٦ استدعاه خليفة مصر وأكرمه وكذلك فعل القائد فضل بن صالح.

(٥) ٤٥٩ أفرج عنه الفاطميون.

(٦) ٤٥٩ أفرج عنه الفاطميون

(٧) ٤٦٨ ظهر على مسرح الأحداث.

(٨) ٤٦٨ ساند الجيش الفاطمي.

(٩) في مصادر أخرى يرد اسم هكذا: عقبة بن حازم بن فضل بن ربيعة.

استنجاد الشريف بركات بمحمد بن أجود

ذو الحجة ٩١٢هـ / أبريل ١٥٠٧م: ((في يوم الثلاثاء سبع الشهر أو في ثانيه (يوم الأربعاء) وصل الشيخ محمد بن أجود بن زامل وولده وابن أخيه مقرن بن زامل وابن عم أبيهم صالح[١] وغيرهم من أهلهم وجماعتهم وهم فيما يقال نحو الثلاثين ألفاً أو خمسين أو ستين أو مائة والله أعلم من جهة المدينة))[٢].

وذكر ابن فرج أن وصول محمد بن أجود بن جبر الذي أسماه سلطان البحرين والبرين والحسا والقطيف إلى مكة كان بعسكرٍ عددهم خمسين ألفاً، وأنهم جاؤوا بمكاتبة من السيد بركات بن محمد لقتال قبائل غالبهم حينئذٍ زُبيد الذين في ينبع ووصفهم بأنهم (من أهل الفساد والزيغ والعناد) وعندما وصلوا وجدوا العساكر المصرية جاءت مدداً من الغوري ثم قال: ((فدمروهم بعون الله تعالى الكبير المتعال وكفى الله المؤمنين القتال، وطافوا بالبيت وتحللوا من الإحرام، ورجعوا إلى بلادهم من غير ضرر لأحد من الأنام بعد أن ألبسوا باش العسكر خلعة سنية، وحصل لهم ثواب ما جاؤوا لأجله ببركة وصدق النية))[٣].

دخول البرتغاليين إلى الخليج العربي وتصدي آل جبر لهم

٩١٣هـ- ١٥٠٧م في هذه السنة دخل البرتغاليون الخليج العربي ونهبوا عدداً من مدن الساحل

---

(١٠) في زمن الملك العادل أعطي إمرة العرب

(١١) ت٦٣٠هـ.

(١٢) ٥٩٨ هاجم بني عقيل هو وسعيد بن فضل ومسعود بن بريك.

(١٣) ٦٣٨-٦٦٣هـ.

(١٤) ت٦٨٢هـ وكانت سراياه تصل نجداً والحجاز.

(١٥) عزل ليجعل بدله عيسى بن مهنا.

(١٦) ٦٩٤ قتل كبير آل برمك وآل مرا وبني حارثة

(١٧) ت٦٨٣هـ

(١٨) ٦٩٢ أعطي إمرة العرب.

(١٩) ت٧٢٤ تجاوز السبعين. كان أميراً على خفاجة.

(٢٠) ت٧٣٥هـ، في سنة ٧١١ أعان نائب حلب وفي سنة ٧١٢هـ أقطع السلطان حدابنه الحلة لمهنا أمير طيّئ، وفي سنة ٧١٣ طلب السلطان حضور مهنا إلى مصر فامتنع فاستدعى فضل بن عيسى وأعاد إليه الإمرة.

(٢١) ٧١٦ استقر أميراً موضع أخيه مهنا، وفي سنة ٧١٦. تحدثت ضده قبائل عقيل وطردته من البصرة

(٢٢) ٧٦١هـ عين في هذه السنة.

(٢٣) ٧٤٨ ابن عيبة أمير آل عقبة عرب البلقاء إلى الحجاز.

(١) صالح بن سيف بن زامل، هو الذي تولى الحكم بعد وفاة السلطان محمد بن أجود

(٢) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى لعبدالعزيز بن فهد ص١٧١

(٣) السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة لعبدالقادر بن أحمد بن فرج الشافعي خطيب جدة ١٠١٠هـ تحقيق د.محمد عيسى صالحية ط١/١٩٨٣م ص٥٦.

العماني كقلهات والقريات ومسقط وخورفكان، كما استولوا على هرمز لفترة قصيرة. ويذكر الأميرال البوكرك بأنه عندما وصل أمام صحار، كانت وصلت إلى المدينة نجدات تتألف من (٧٠٠٠رجل) يقودهم ابن جبر وكان الجبريين قد أرسلوا بقواتهم عام ١٥٠٧م أيضاً لنجدة ميناء مسقط الذي يحاصره الأسطول البرتغالي[1]

حديث المصادر البرتغالية عن سعة نفوذ آل جبر

عند دخول البرتغاليين لمنطقة الخليج العربي تحدثوا عن سعة نفوذ الجبريين في عمان فقد ذكر البوكرك أن عمان الداخل كانت خاضعة لملك الجبور الذي وصفه بأنه يحكم أيضاً جميع جزيرة العرب[2]. ويفهم من تقارير البرتغاليين التي كتبت عند أول دخولهم للخليج، أن الشيخ أجود بن زامل قد فارق الحياة وأن البلاد التي تضم كلاً من ظفار وعمان وبلاد البحرين ونجد كانت تحكم من قبل ثلاثة إخوة أكبرهم كان يقيم في عمان أما أخواه الآخران اللذان يعترفان بزعامته الكبرى على الجبريين فيقيمان على سواحل الخليج العربي، وأن أحدهم كان يحكم جزيرة البحرين والقطيف[3].

إعداد حملة هرمزية تستهدف الجبريين تأخرت اربع سنين

٩١٣هـ- ١٥٠٧م في جمادى الأولى (سبتمبر تقريباً) ((أصدر خواجة عطار بياناً وزع في كافة أنحاء مملكة هرموز أعلن فيه بأنه لما كان في النية شن حرب ضد الجبور فعلى كافة السكان إلقاء القبض على من يجدونه من البرتغاليين في منطقة الخليج وتسليمهم أحياء إلى السلطات من أجل زجهم في هذه الحرب وأن أي شخص يتساهل في ذلك سوف يكون جزاءه الموت))[4]، ويقول د.الحميدان ((مهما يكن من أمر فإن خواجة عطار لم يقم بحملة ضد الجبور إلا بعد مرور أربع سنوات على بيانه هذا)).

مقتل مالك بن رومي الزبيدي وأولاده الثلاثة وبعض قومه

٩١٣هـ جمادى الثانية: ((في ظهر يوم الثلاثاء سابع عشري الشهر جاء قاصد من الشريف بركات بأوراق منه ومن ولده السيد علي وغيرهما إلى مكة يخبر فيها بقتل مالك بن رومي الزبيدي وأولاده الثلاثة مقرص وقادم وداغر ومشهون بن رومي وولده جازان و(دين[*]) بن مشهون رومي وعلي بن خريص وولده (قمله[*]) ابن عم مالك بن رومي ومحمد بن مقبل وشوفان و(...[*]) ثلاثتهم من ذوي زوايا وشادي من ذوي (جماع[*]) وكان القتل يوم السبت رابع عشري الشهر بخيل قريب الروحا والمدينة فإن الشريف

---

(١) م.كلية الآداب،البصرة،ع١٦ إمارة الجبور لـ الحميدان ص٧١.

(٢) يرى الدكتور الحميدان أن مسألة حكم آل جبر لجميع لجزيرة العربية هي مسألة مبالغ فيها.

(٣) م.كلية الآداب،البصرة،ع١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د.عبداللطيف الحميدان ص٦٥، ٥٨.

(٤) المصدر السابق ص٥٢ -AUBIN , ibid 126-27

وجماعته تبعوهم وظفروا بحلتهم فغنموها ثم سافروا في أثرهم إلى أبيار علي عند المدينة ثم انقلبوا راجعين فتبعوهم إلى أن ظفروا بهم وقتلوهم ولم يسلم منهم ,لا ولد لمقرص طفل))[1].

استيلاء الشاه إسماعيل على البصرة ورجوعها لحكم آل مغامس

في الوقت الذي دخلت الأساطيل البرتغالية إلى منطقة الخليج العربي، وفي الوقت الذي فكرت هرمز بإعداد حملة تطال منطقة الجبريين، امتدت يد الدولة الصفوية لتستولي على البصرة التي كانت آنذاك تتبع دولة الآق قوينلي التركمان وتدار من قبل أسرة آل المشعشع.

ففي سنة ١٥٠٨م (٩١٤هـ تقريباً) سقطت البصرة في يد الشاه إسماعيل الصفوي على أثر مقتل زعيمي المشعشعين علي وأيوب ابني السيد محسن بن محمد سنة ٩١٤هـ- ١٥٠٨م على يد الصفويين. ولكن هؤلاء الأخيرين لم يحكموها حكماً مطلقاً حيث ينقل فاضل بيات عن الباحث التركي صالح أوزبران أن المنطقة وقعت تحت سيطرة بعض الأمراء والحكام والقبائل العربية، ويذكر الوهبي أنه في هذه السنة المذكورة تمكنت قبيلة المنتفق العامرية بزعامة محمد بن مغامس بن صقر الفضلي من السيطرة على منطقة البصرة والاستفراد بحكمها مستعيدين زعامتهم السابقة عليها من المشعشعين[2]

من الأسباب التي جعلت إسماعيل الصفوي يهم بالاستيلاء على البصرة سنة ١٥٠٨م: اضطراب الأحوال السياسية فيها، ووضعها الاقتصادي والتجاري الممتاز، وأهمية العراق كمركز للتشيع حيث يضم تراث الشيعة ومزاراتهم، ولنشر المذهب الشيعي في العراق الذي باحتلاله أصبحت الدولة الصفوية الشيعية ملاصقة للدولة العثمانية السنية مما ساعد على وقوع الصدام بين الدولتين.

حروب المماليك والملك إياس ضد البرتغاليين

في ١٥ أغسطس ١٥٠٨م الموافق (١٧ ربيع الثاني ٩١٤هـتقريباً) أبحر البكويرك من سقطرة عائداً إلى هرمز، وأثناء عودته هاجم قلهات، وأخضعها انتقاماً من أهلها للمساعدات التي قدموها لحاكم هرمز، ولنقضهم للاتفاقية التي وقعوها معه أثناء الحرب[3].

٩١٤هـ جمادى الأولى، قال ابن فهد: ((وصل إلى مكة أو جدة من المماليك الذين توجهوا إلى الهند مع الأمير حسين - الكردي - من جهة بلاد ابن جبر برًّا وأخبر أنهم انتصروا على الفرنج و(تفرقوا)[4] وأخذوا من الفرنج مركبات وسمعنا قبل ذلك أنهم قتلوا من الكفار نحو خمسمائة، وكان المركب الذي أخذوه من ملكهم وابن أخيه وأنه غرق أو قتل نفسه وأن الكفار قتلوا من المسلمين نحو

---

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى لعبدالعزيز بن فهد ص١٧٤.

(٢) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني لفاضل بيات ص٣٩ وراجع- العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص٦٩.

(٣) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب.مايلز ط٣ ص١٦٠.

(٤) الكلمة غير واضحة وبدون نقط وكتبناها هكذا ولعلها، تفرقوا والله أعلم.

ثلاثمائة وأخذوا منهم ثلاثة أغربة وأن الملك إياس وجماعته لم يقاتلوا لأن مراكبهم صغار وبعد أن هرب الكفار عاد الأمير حسين والملك إياس إلى بلده على نية حمل مراكب كبار والعودة إليهم، فالله يبلغهم مقاصدهم))[1]. وبشكل عام فإن المصادر التاريخية تشير إلى أن حملة المماليك ١٥٠٨م فشلت مما أدى إلى ازدياد ثقة البرتغاليين في أنفسهم ودفعهم إلى الاقتراب من السواحل العربية والسعي إلى مواجهة مكشوفة، فيما شعر المماليك بعدم جدوى المقاومة[2].

التعاون الإيراني البرتغالي ضد العثمانيين والعرب

يقول الدكتور الحميدان: ((الشاه إسماعيل كان قد اتصل بالبرتغاليين في هرموز من أجل إقامة جبهة مشتركة ضد العثمانيين وقدم لهم بعض المطالب بهذا الخصوص من خلال سفيره إلى البوكرك وكان أحد هذه المطالب أن يقوم البرتغاليون بتأمين السفن اللازمة من أجل نقل رعاياه ما بين هرموز والبحرين والقطيف. وقد قبل البوكرك من حيث المبدأ هذا الطلب لكنه اشترط على الشاه إسماعيل أن لا يؤدي ذلك إلى أي عمل يضر بأراضي مملكة هرموز أو بجزيرة البحرين.

ثم قال: ومما يثير الأسف حقاً أن المؤرخ الإيراني عباس إقبال قد حرف هذه النقطة بالذات وادّعى أن الشاه إسماعيل قد طلب من البوكرك أن تقوم سفن برتغالية بنقل قوة عسكرية إيرانية لاحتلال البحرين والقطيف وأن البوكرك قد وافق على هذا الطلب.

وقال: إن التدقيق في النص الإنجليزي لمذكرات البوكرك هي المصدر الوحيد للمفاوضات التي جرت، ويثبت أن عباس إقبال قد لجأ مع الأسف الشديد إلى التزوير والتحريف عند ترجمة معنى هذا النص إلى الفارسية وغرضه واضح وهو أن يظهر أن الادعاءات الإيرانية في جزر البحرين كانت قديمة، ترجع إلى عهد الشاه إسماعيل، وأن إسماعيل حينما طالب بذلك لابد أنه كان يستند على حق تاريخي في ذلك وأن حفيده عباس قد حقق هذه الأمنية..))[3]

قام سفير الشاه إسماعيل بمقابلة أفونسو دلبوكيرك في الهند وعبّر عن رغبة الشاه إسماعيل في توثيق عرى الصداقة مع ملك البرتغال وبشكره على كرم الضيافة التي يتمتع بها سفراؤه من البرتغاليين في الهند، وعندما انتهت المقابلة طرح السفير أمامه أربع مسائل منصوص عليها في التعليمات الموجهة إلى السفير:

المسألة الأولى: أن العوائد المالية المفروضة على البضائع القادمة من فارس إلى هرمز إنما هي من حق الشاه إسماعيل.

---

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى لعبدالعزيز بن فهد ص١٨٠

(٢) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص١٠٦

(٣) م.كلية الآداب،البصرة،ع١٦، التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د.عبداللطيف الحميدان ص٧٢، عباس إقبال - مطالعاتي درباب بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس The Commentaries,IV,153-4.

المسألة الثانية: أن المنطقة الساحلية الواقعة بين البحرين والقطيف يجب أن تكون مخصصة لسفنه العابرة إلى سواحل شبه الجزيرة العربية[1].

ووردت الإشارة إلى أن البوكيرك أرسل مبعوثاً يدعى روي جوميز إلى الشاه إسماعيل يعرض عليه تقديم المساعدة ضد المماليك والعثمانيين ((إني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ كل ما يريد))[2].

ضرب الاقتصاد الجبري في مياه الخليج

((لجأ البرتغاليون إلى الضغط على الجبور عن طريق ضرب تجارة بلاد البحرين، فقد قاموا عام ٩١٥هـ بنهب سفينة في مياه الخليج العربي كانت قادمة من جزيرة البحرين وعلى ظهرها حمولة ثمينة جداً من لؤلؤ البحرين))[3]

الدعم العثماني لمماليك مصر

٩١٧هـ- ١٥١١م ((وفي هذه السنة أرسل العثمانيون مساعدات أخرى إلى المماليك ضمت ٤٠٠ مدفع و٤٠ قنطار بارود، كما تفصح وثائق طوب قابي باستانبول عن إرسال العثمانيين عدداً من النجارة إلى السويس في سنة ٩١٨هـ- ١٥١٢م لإنشاء السفن، وفضلاً عن هذا كانت مصر تعتمد على العثمانيين في الحصول على المواد الداخلة في صناعة السفن. ويذكر الباحث التركي خليل إينالجيك أن أنظار العالم العربي إزاء تهديدات البرتغاليين المتمثلة بقطع الموارد الجبائية في المحيط الهندي والاستيلاء على الحرمين الشريفين - وإخراج عظام الرسول ﷺ من قبره - لم تكن متجهة نحو قانصوه الغوري فقط، بل كذلك إلى السلطان العثماني))[4].

انتهاء الاحتلال الهرمزي المؤقت لجزر البحرين

٩١٧هـ- ١٥١١هـ في هذا العام ((قام خواجة عطار شخصياً بقيادة حملة بحرية كبيرة ضد جزر البحرين نجحت في احتلالها، إلا أن هذا الاحتلال كان لفترة قصيرة إذ قام الجبور باستغلال قوتهم البرية الضاربة في عمان ودفعوا إليها بقوات أخرى وحركوها نحو سواحل عمان وهددوا خواجة عطار باكتساح ممتلكات هرمز في الساحل العماني والاستيلاء على موانئها فيما إذا لم ينسحب من البحرين. أدرك

(١) السجل الكامل لأعمال آفونسو دلبوكيرك المجلد الأول ص٦١٥.

(٢) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص١١٥

(٣) م.كلية الآداب، البصرة،ع١٦ إمارة الجبور لـ الحميدان ص٧١ Sousa , Op.

(٤) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د فاضل مهدي بيات ٢٠٠٣ بيروت ص٥٩.

خواجة عطار قوة موقف الجبور في مواجهة خصمه، ثم النتائج الخطيرة التي قد تتسبب في تهديد مملكة هرموز فيما لو نفذ الجبور تهديداتهم هذه والتي سوف يكون من نتائجها الواضحة إغلاق الخليج العربي في وجه السفن التجارية المتجهة إلى هرموز وهذا يعني دماراً حقيقيًا لها، فما كان من خواجة عطار إلا أن انصاع بسرعة لهذه التهديدات وانسحب من البحرين تركاً حكمها لإمارة الجبور))[1] وكانت القوات الجبرية في وقتها تحت قيادة مقرن بن زامل الذي تصدى لتلك الهجمات التي استهدفت البحرين ببطولة[2]، وكان السبب الداعي للهجمات الهرمزية على الجبريين، أنه عندما احتل البرتغاليون في عام ١٥٠٧م مرفأ هرمز المهم للتجارة الدولية والواقع في جزيرة عند مخرج الخليج العربي، وأصبح ملك هرمز خاضعاً للبرتغاليين، أوقف أمير بني جبر الذي كان يحكم في الإحساء دفع الرسوم التي كان مديناً بها لملك هرمز لقاء ميناء القطيف، أكبر ميناء في شرقي الجزيرة العربية وجزر البحرين، المركز الرئيسي لصيد اللؤلؤ، نتيجة لذلك أصبح ملك هرمز يتأخر بدوره عن دفع ضرائبه للبرتغاليين، مما دعا البرتغاليين في النهاية إلى التدخل بأنفسهم في هذه القضية[3].

انتصار الشريف بركات على بني عقبة والمفارجة

٩١٧هـ ربيع الثاني ((وفي هذا الشهر وآخر الذي بعده جاءت أوراق من الشريف بركات بن محمد ابن بركات بن حسن بن عجلان ..(*) أخبار مع القصاد ومضمون ذلك أن الشريف بركات انتصر على عرب بني عقبة والمفارجة الذين عندهم (بن سبع)[4] وأن بعض المفارجة كان مع السيد بركات وغنم بعض أولاد يحيى ويرجونه خوفاً من أن يأخذه .(*) منهم ثم طلبه منهم ولم يسمع بأخذه منهم وأنه ألجاهم إلى شعب مدة فضاقوا وطلبوا منه الأمان على أن ..(*) أراد إلا جماعة يحيى فإنه طلبهم فقالوا لا يمكن ثم أعطوه جميع ما طلب غير ذلك وجاء عرار بالمراسيم السلطانية...(*) وفيها طلب الصلح بينه وبين يحيى بن سبع والرضا عن أخويه راجح وملحم...))[5]

مقتل السمرقندي على يد قبيلة عنزة

٩١٧هـ جمادى الأولى قال ابن فهد ((سمعنا أن عبدالبرهان السمرقندي وصل إلى السيد بركات مع الشريف عرار ومعه مراسيم وأوراق للناس ثم أراد أن يسبق بالمجيء إلى مكة فمنعه الشريف فما سمع، وتقدم فلاقاه جماعة من عنزة مرحلين فقاتلهم وقتل منهم وقتلوه وواحداً من أصحابه، ونجا اثنان فيما يقال، وأخذ ما معه والمراسيم والأوراق))[6].

---

(١) م.كلية الآداب،البصرة،ع١٦،التاريخ السياسي لإمارة الجبور د.عبداللطيف الحميدان ص٥٣.

(٢) م.الوثيقة العدد١ سنة٨٢ ص١٣٢

(٣) البدو ج٤ ط٢ تأليف أوبنهايم ومساعديه ص٢٠٤، راجع سنة ٩٢٧هـ

(٤) ذكر ابن فهد في سنة ٩١٢هـ لجوء يحيى بن سبع إلى عنزة.

(٥) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى لعبدالعزيز بن فهد ص١٩٨.

(٦) المصدر السابق ص١٩٨

مكافأة الشريف بركات للقبائل التي ناصرته في حملته على ينبع

٩١٧هـ جمادى الأولى: ((الشريف بركات: .. أعطى للعربان الذين جاؤوا معه إلى ينبع من بني عقبة وبني لام وغيرهم خيلاً كثيراً وخلعاً وأحسن إليهم))(١).

الشريف قيتباي يغزو ربيعة من قبائل الشرق

٩١٧هـ جمادى الأولى ((توجه في أواخر هذا الشهر السيد قيتباي بعسكر وخيل كثير لغزو عرب في الشرق يقال اسمهم ربيعة))(٢).

وفاة سلطان مكة الشريف قيتباي

٩١٨هـ ((في يوم الأحد حادي عشر ربيع الأول توفي سلطان مكة الشريف قيتباي محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، وكانت ولايته ٣ صفر ٩١٠هـ برضا أخيه بركات وكان له الدعاء وملاقاة الحاج والمعول على بركات في جميع الأمور))(٣).

وفاة السلطان بايزيد وحكم السلطان سليم الأول

٩١٨هـ توفي السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد خان بن مراد خان بن يلدرم بايزيد خان ابن مراد خان الغازي ابن أورخان ابن السلطان عثمان الغازي. وجدهم الأعلى عثمان أصله من التراكمة الرحالة النازلة من طائفة التتار، وهو أول من ولي منهم سلطنة في بلاد الروم سنة ٦٦٩هـ وهو ابن أخ أرطغرل بن سليمان، مات سنة ٧٢٥هـ(٤).

لجوء بني السفر إلى بني جابر من مطارديهم الحربيين

٩١٩هـ في ربيع الثاني الموافق (يونيو ١٥١٣م تقريباً): ((.. اتفق أن بعض حرب تبعوا أعداءً لهم من بني السفر فلجؤوا إلى جماعة من بني جابر فمنعوهم منهم فشكا حرب بني جابر إلى الشريف بركات فغضب على بني جابر وأمر حرباً كل بلادهم فلجأ بنو جابر إلى الشريف وأعطوه ألف دينار فقال ما يأخذ ولا عشرة بل تملى بينهم وإلى الآن لم ينفصلوا والله أعلم ثم جمعوا جماعة في خيل وجاؤوا إلى البلاد وجدوا تمرهم أخضر واستاقوا إبلهم فلاقاهم ناس قليل من بني جابر فناوشوهم فقتل شخص من حرب

---

(١) المصدر السابق ص١٩٩.

(٢) المصدر السابق ص١٩٩.

(٣) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشلي اليمني ص١٤٣.

(٤) المصدر السابق ص١٤٣.

وكون من الفريقين جماعة ثم حافوا وهرب بنو جابر فسمع الشريف بذلك فدخلوا عليه بجماعة فعفا عنهم وأمر لحرب أن ترد لهم إبلهم))[1].

سرور سلطان مصر من الصراع الدائر بين العثمانيين والصفويين

يرى الباحث التركي إسماعيل أورون جرشيلي: ((أن السلطان المملوكي قانصوه الغوري كان مسروراً بالصراع الدائر بين الدولتين العثمانية والصفوية إذ إن هذا الصراع يحمي دولته من المخاطر المحدقة بها))[2].

في يناير ١٥١٤م وصل ميجويل فيريرا إلى تبريز ومن ثم للشاه إسماعيل الذي استقبله استقبالاً طيّباً وحمّله هدايا ثمينة لأفونسو دلبوكيرك، وحمل هذا المبعوث البرتغالي انطباعاً طيباً عن بلاط الشاه إسماعيل[3].

الشاه الإيراني يحذر السلطان المملوكي من العثمانيين

يبدو أن الأحوال السياسية قد انقلبت في المنطقة من جراء الإرادة العثمانية بالتدخل لفك التحالف الفارسي البرتغالي في السيطرة على مياه الخليج العربي وجميع موانئه، مما تسبب في إرعاب الشاه إسماعيل الذي طالت يده العراق والتصقت حدوده بحدود الدولة العثمانية، لهذا السبب وغيره ((أرسل الشاه إسماعيل الصفوي رسالة إلى السلطان المملوكي يدعوه إلى التحالف محذراً إياه بأن السلطان سليم إذا ما أقدم على حملة ثانية إلى إيران فإنه يتمكن من الاستيلاء عليها، ولن يكتفي بذلك بل سيتوجه نحو البلاد العربية للسيطرة عليها ويقضي على الدولة المملوكية))[4].

الانتصار الساحق لتركيا على إيران في معركة جالديران

٩٢٠هـ في ٦ رجب الموافق (٢٧ أغسطس ١٥١٤م تقريباً) ((وقعت بين سليم شاه بن عثمان وبين الشاه إسماعيل الصفوي وقعة مهولة تشيب منها النواصي بالقرب من تبريز وقتل من عسكر ابن عثمان ٣٠ ألفاً وقيل ٦٠ ألفاً وقتل مثل ذلك من عسكر الصوفي وكانت الكسرة أولاً على ابن عثمان وآخر الأمر أن الصوفي انكسر كسرةً قوية وقتل غالب عسكره وانهزم الباقون وقد ملك السلطان سليم غالب بلاد الصفوي من ممالك الشرق)).

---

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى لعبدالعزيز بن فهد ص٢١٣.

(٢) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د فاضل مهدي بيات ٢٠٠٣بيروت ص٦٠.

(٣) السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك المجلد الأول ص٤٣٦.

(٤) تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د فاضل ص٦٠- هامشه: عن شكري – سليمنامة: جلال زادة.

القيادة البرتغالية في الخليج ترى سهولة مهاجمة مكة

٩٢١هـ في خطاب من أفونسو دلبوكيرك القائد البرتغالي الذي قاد الحملة على منطقة الخليج العربي إلى قيادته السياسية في لشبونة سنة ٩٢١هـ- ١٥١٥م تطرق أثناء حديثه عن أهمية البحرين، وبقية ممتلكات الجبور إلى سهولة مهاجمة مكة المكرمة انطلاقاً من الحسا ((لأنها لا تبعد عن البحرين والقطيف إلا بست عشرة مرحلة في حالة الاعتماد على الجمال وتلك المسافة قصيرة جداً))[1].

إعداد حملة بحرية مصرية لمهاجمة البرتغاليين

٩٢١هـ قال ابن إياس: في يوم الإثنين ١٠رجب جلس السلطان في الميدان وعرض العسكر المعين إلى جهة الهند، فعرضهم وهم باللبس الكامل.. وكان مجموع هذا العسكر المتوجه إلى الهند نحو ستة آلاف إنسان وقد أمدهم بالطبول والزمور ومكاحل النفط والبندقيات وكان عدة المراكب التي أنشأها السلطان بالسويس عشرين مركباً وقد شحنها بالمكاحل والمدافع والبارود وغير ذلك[2].

سعي الجبريين لإقامة علاقات ودية مع البرتغاليين والهرمزيين

٩٢١هـ- ١٥١٥م قال الوهبي. ((سعت الزعامة الجبرية في الحسا إدراكاً منها لميزان القوى القائم إلى إقامة علاقة ودية مع البرتغاليين وأتباعهم الهرمزيين تجنباً لأية مواجهة معهم وذلك بإيفاد رسول من قبلها سنة ٩٢١هـ إلى البوكيرك في هرمز ومعه عدد من الخيول العربية، ويبدو أن هذا المسعى قد حقق قدراً من النجاح))، ويلاحظ أن هذا التحرك الدبلوماسي الذكي من قبل الجبريين جاء في وقت كانت الكفة تميل فيه إلى صالحهم شيئاً فشيئاً بسبب الانتصار الأخير للعثمانيين ضد الدولة الحليفة الأولى للبرتغاليين المتمثلة في الدولة الفارسية، وكانوا على يقين أن المحافظة على سلامة أراضيهم ولو بإظهار بعض اللين سيكون في صالحهم في النهاية.

معركة مرج دابق وسقوط دولة المماليك

بلغ السلطان سليم بن يزيد ظلم الغوري في مصر، وكان يُعِدُّ لحملة عسكرية جديدة، وبعد أن انتشرت أخبار استعداداته لحملته الجديدة أشاع بأن هذه الحملة تستهدف إيران فقط للقضاء على الدولة الصفوية، وأرسل رسالة إلى وزيره الأعظم سنان باشا الخادم على رأس (٤٠ألف) من الجنود إلى أطراف الفرات، إلا أن قانصوه الغوري كان يرتاب من نوايا سليم غير السليمة ضده، فاتخذ تدابير احترازية، وكأنه صدّق تحذير الشاه إسماعيل له عندما حذره في السابق، فقطع الغوري الشك باليقين وسار بجيشه إلى حلب تحسباً لأي طارئ قد يحدث.

---

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص١١٤.

(٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي ط١/ ١٩٧٤م تحقيق وتقديم محمد مصطفى ج٤ ص٤٦٦.

وأبلغ سنان باشا الوضع إلى السلطان، ويرى الباحث إسماعيل أوزون جارشيلي أن وصول السلطان الغوري إلى حلب كان مبنياً على تفاق مع الشاه أو أن السلطان سليم فسره على هذا النحو.

فاستغل الاتفاق الدائر بين الصفويين والمماليك واعتبره وسيلة – لإصدار فتوى بشرعية الحرب ضد المماليك – فاستشار علماء الدين في مشروعية إعلان الحرب على حاكم مسلم تصدى له في حملته على الملحدين (أي الصفويين)، فأفتوا ضد هذا الحكم وكان من ادعاءات السلطان سليم أن المماليك غير قادرين على القضاء على التهديد العربي المسيحي. وأن العرب في هذه المناطق رفعوا شكواهم من ظلم المماليك إلى العثمانيين.

وتقابل الجيشان العثماني والمملوكي في يوم ٢٥ رجب ٩٢٢هـ / الموافق ٢٤ أغسطس ١٥١٦م على بعد أربعة فراسخ من حلب في ((مرج دابق)) وكان الغوري متوهماً من أمير الأمراء خير بيك وجان بردي بيك الغزالي فأمرهما أن يتقدما إلى القتال، وكانا أرسلا إلى السلطان سليم وطلبا منه الأمان وتوثقا منه بما يطيب خواطرهم فلمّا التقى العسكران فر أحدهما من الميمنة، والآخر من الميسرة ودامت الحرب من أول النهار إلى قريب العصر، وكان الجيش العثماني يتفوق على الجيش المملوكي في المعدات الحربية وبخاصة امتلاك المدافع، وانهزم عسكر الغوري ولقي السلطان قانصوه الغوري حتفه في المعركة، والسلطان قانصوه هو ((قانصوه أبو النصر سيف الدين الظاهري الأشرفي فالغوري نسبة إلى طبقة الغور، والظاهري نسبة إلى الظاهر خشقدم، والأشرفي نسبة إلى الأشرف قيتباي))[1].

السلطان سليم أقر الأمير مدلج آل أبي ريشة على إمرة العرب

ذكر ابن إياس أن السلطان سليماً[2] العثماني حينما استولى على بلاد الشام عام ٩٢٢هـ بعد تغلبه على قانصوه الغوري في مرج دابق أقر الأمير مدلج بن ظاهر الحياري من فخذ أبي ريشة على إمرة العرب في جملة من أقرهم من حكام العرب على الإقطاعيين في هذه البلاد

استقبال السلطان سليم بعد عودته من مصر لشيوخ القبائل العربية

يبدو أن السلطان سليماً لم يتمكن خلال حملته إلى بلاد الشام من استقبال جميع شيوخ القبائل العربية وتلقي ولاءهم، ولكن بعد عودته من مصر تحقق له هذا الأمر، إذ تلقى ولاء العشائر البدوية العربية في بلاد الشام كبني إبراهيم، وبني سالم، وبني عطا وبني عطية وبني سعد.

---

(١) تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د فاضل بيات ص٦١-٦٢) وراجع السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشلي اليمني ص١٨٩-١٩١.

(٢) كان السلطان سليم يارز (الفاجع) يلبس النظارات كما كان تيمورلنك يلبسها. وهو أول من شرف بلبسها. راجع: تاريخ الدولة العثمانية لـ يلماز أوزتونا – جريدة الرأي العام بتاريخ ٢٤ أغسطس ٢٠٠٥ بقلم مها حمد المهنا ص١٤.

وتحتفظ مكتبة طوب قابي سرايي باستانبول برسالة مقدمة من قبل بعض العشائر العربية وبصمنهم ابن حرفوش، وابن سعد وعشائر بني إبراهيم وبني صايم وبني عطا وشيوخ صفد والغزة وأعيان حلب[1].

تنازل الخليفة عن الخلافة ونقله إلى استانبول

أمر السلطان سليم بنقل بعض السلاطين المماليك والخليفة وأقربائه والعلماء المتنفذين والشيوخ والأمراء الذين يشكلون خطراً على الدولة العثمانية إلى استانبول ، وكتباً قيمة من بعض المكتبات المصرية[2].

مقرن بن أجود ينتزع الإمارة من صالح بن سيف

٩٢٢هـ- ١٥١٦م في هذه السنة ثار مقرن بن أجود بن ز مل على خاله وابن عم أبيه صالح بن سيف وانتزع منه الإمارة وظل الصراع قائماً بين الاثنين حتى استشهد مقرن. أثناء وجود صالح في بلاد الشام[3]، ولا تتيح المصادر التي بين أيدينا معرفة السبب الذي أدى إلى قيام الأمير مقرن بالانقلاب على خاله صالح، إلا أني رأيت من سياق الأحداث أن صالحاً كان مهادناً للبرتغاليين بينما كان مقرن مقاوماً لوجودهم مما أدى إلى مصرعه في النهاية، ولذا أظن أن وصول مقرن للحكم هو بناء على معارضته لسياسة خاله تجاه البرتغاليين، وإذا صدق هذا فإني لا أشك بأنه سيجد له تأييداً شعبيًا ساحقاً.

ومقرن هذا هو الذي امتدحه الشاعر جميش اليريدي عندما قال:

١١- فيا ناق من وادي نعامٍ تقللي	وأرجي لك التوفيق ضد الشدايد
١٦- لعل خلاف السير يا ناق والسرى	وتقطع الفيافي والديار البمايد
١٧- تزورين بي سمح النبا ابن زامل	مقرن منتي لشيك ضيم الشدايد
١٨- ولاقيت عقب السير يا ناق مقرن	وقابلت وجه فيه للمجد شاهد
١٩- نشأ بين سيف والعريري رامل	فيالك من عمٍ كريم ووالد
٢٠- وبين (أجود سلطان قيس) وركنها	عن الضيم أو في المعضلات الشدايد
٢١- حمى بالقنا هجر إلى ضاحي اللوى	إلى العارض المنقاد نابي الفرايد
٢٢- ونجد رعى ربعي زاهي فلاتها	على الرغم من سادات لام وخالد
٢٣- وسادات حجرٍ من يزيدٍ ومزيد	اقتادهم قود الفلا بالقلايد[4]

---

(١) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د فاضل مهدي بيات ٢٠٠٣بيروت ص٦٨.

(٢) المصدر السابق ص٨٤.

(٣) الشعر النبطي للصويان.

(٤) المصدر السابق، وأما الفلا فهو جمع فلوة وهي المهرة الصغيرة، والقلايد هي أرسان الخيل، والمعنى أنه يقودهم من أنوفهم كما تقاد المهار بأرسانها.

وهذه القصيدة توضح أن نفوذ السلطان مقرن القيسي كان ممتداً من الإحساء إلى عمان إلى نجد، وأن أنعامهم كانت تصل برعيها حتى نجد التي كان يتسيدها بنو لام وبنو خالد، وأن نفوذهم امتد إلى حجر اليمامة والتي كان متسيداً عليها بنو يزيد ومزيد من عنزة وهنا تتذكر كثرة غارات السلطان أجود إلى نجد والخرج[1].

خوف شريف مكة من البرتغاليين

((ذكر سليمان ريس في تقريره إلى السلطان العثماني سليم ياوز عام ٩٢٣هـ- ١٥١٧م من أن شريف مكة كان خائفاً من البرتغاليين إلى درجة أنه قد قرر اللجوء هو وعائلته إلى الجبال للاحتماء بها منهم))[2].

استقبال السلطان سليم لأبي نمي بالتبجيل والإكرام

٩٢٣هـ وفيها ((قدم على السلطان سليم السيد الشريف أبو نمي محمد ابن ملك الحجاز بركات بن محمد، أرسله والده وعمره يومئذ ١٢سنة، فقوبل بالتبجيل والإكرام وأعطاه جميع ما طلب ورام، وكان معه السيد عرار بن عجل النمري وعاد إلى والده معززاً مكرماً ومعه أحكام بجميع ما طلبه، وأرسل مع السيد عرار أمراً بقتل الأمير حسين، وهو الذي استخرجه لعداوة كانت بينهما، فأخذ، وأرسل مقيداً إلى جدة، وغرقوه في البحر، وكان كرديًا دخيلاً في طائفة الجراكسة لا يعتبرونه بينهم))[3]

تعرض جغيمان بالمفارجة وعنزة للركب الشامي أثناء عودته في العلا

٩٢٤هـ فيها جاءت ((أخبار شنيعة بأخذ الحاج الشامي بالقرب من العلا وذلك أن بعض شيوخ بني لام يقال له جغيمان جمع لهم عرب المفارجة وعنزة(*) وجلس لهم في الطريق فلمّا حاذوه خرج عليهم فقاتلهم عند محفة زوجة نائب الشام المقر الكافلي . فقتل من الشاميين نحو سبعين نفساً وأخذ العرب منهم ألفاً وثمانمائة حمل... وصالح الحلبيون والأروام عن أنفسهم بخمسة عشر ألف دينار حتى سلموا من النهب وأعطوا العرب رهائن منهم حتى يجبوا لهم المال، فقدر أنهم جبوا لهم ثمانية آلاف، واستفدى بعض الشاميين حمولهم وحريمهم بنقد غير ذلك منهم القاضي تقي الدين القاري الناظر على أوقاف الحرمين.. اشترى زوجته وولده بثلاثين ديناراً ثم بلغ العرب وصول نجدة من الشام لهم نحو خمسمائة رام بالقوس والنفط على رواحل مردفة وورائهم غير ذلك، فهربوا عنهم بما أخذوه ولم يستكملوا المال))[4].

---

(١) انظر سنة ٨٥١هـ.

(٢) مجلة كلية الآداب،ع١٦الحميدان ص١٠٨.

(٣) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشلي اليمني ص٢١٩.

(٤) نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى لجارالله بن فهد المكي ص١١٦

قتال بين السلطان مقرن بن زامل واحد اقربائه

٩٢٥هـ قال ابن فهد. ((وذكروا أن بدوهم - أي الجبريين - وقع فيها قتال بين سلطانهم مقرن بن زامل وبين قريبه في قرية قريبة منه وكان دعي له في بعض البلدان، فغيب الشيخ مقرن على القاضي محمد ابن فرق فخشي وفر إلى بلدة أخرى من أعمال بلاده فالله تعالى يحميه))[1].

تعرض شيخ المفارجة (جغيمان) للطريق

٩٢٦هـ تعرض للركب في تلك السنة سلامة بن فواز شيخ بني لام المفارجة، عرف بجغيمان ومعه لفيف من العربان نحو عشرة آلاف نفر.

ومن تلك السنة أيضاً: قرر لسلامة بن فواز المذكور في كل سنة من الخزائن السلطانية ألف دينار راتباً له ولأولاده من بعده ليكف عن الركب المصري ودربه وليكن من حراسه وضمنه فيما يأتي منه صهره الشيخ عمرو بن عامر بن داود أمير بني عقبة ((المتاريث)) العوامرة والمزايدة وجعله وكيلاً عنه في قبض ذلك[2].

وفاة السلطان سليم

في ليلة السبت لسبع مضين من شوال ٩٢٦هـ توفي السلطان سليم خان بن بايزيد، وكانت ولادته سنة ٨٧٢هـ وجلس على تخت العرش سنة ثماني عشرة وتسعمائة، وعمره يومئذ (٤٦)، وكان سلطاناً قاهراً ملكاً جباراً كثير السفك عظيم الفتك، وكان كثير الفحص عن أخبار الناس والتجسس عن أخبار الممالك، وعارفاً بمسالك الطرق، وكان كثير المطالعة للتواريخ متمرساً في اللغة الفارسية والرومية وله فيها نظم فائق وشعر رائق وكان عارفاً باللغة العربية[3].

هجوم برتغالي هرمزي على جزر البحرين

٩٢٦هـ في هذا العام: ((اتفق البرتغاليون مع ملك هرموز على القيام بغزو لجزر البحرين، فحشدوا لهذا الغرض قوات كبيرة في جزيرة هرموز جلبت من سواحل الخليج العربي يدعمها الأسطول البرتغالي. وقد وقع هذا الهجوم أثناء تغيب السلطان مقرن بن زامل في الحجاز لحضور موسم الحج، لذا فقد تولى مقاومة هذا الهجوم حاكم البحرين والقطيف الشيخ حميد(*) بن أخت السلطان مقرن، وبسبب المقاومة الشديدة التي أبداها الجبور وسكان البحرين إضافة إلى معاكسة الرياح الشديدة لسفن الحملة تم إحباط

---

(١) المصدر السابق ص٢٠٥.

(٢) درر الفرائد المنظمة.

(٣) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشلي اليمني ص٢٣٥.

(*) نرى خطأ بعض المصادر عندما تظن أن الشيخ حميداً هذا هو جد آل حميد شيوخ بني خالد، لأن آل حميد في تلك السنين كانت طائفة كبيرة معروفة وليست محصورة بشخص، وسيأتي بيان ذلك في الصفحات القادمة.

هذا الهجوم. وعلى أثر ذلك سارع السلطان مقرن ماعودة من الحجاز وتوجه إلى جرر البحرين ليشرف بنفسه على الاستعدادات الضرورية لمواجهة هجومٍ ثانٍ مرتقب))[1].

الاحتلال البرتغالي للبحرين الذي استمر مدة طويلة

في سنة ١٥٢١م أرسلت قوة كبيرة من هرمز بقيادة أنتونيو كورسا إلى البحرين، وقيل كان ذلك في مايو وقيل في يوليو وكلا الشهرين من أشهر الصيف الحارة والأرجح أن الهجوم كان في ١٠شعبان ٩٢٧هـ ١٧ يوليو ١٥٢١م.

ويقول الحميدان: ((وقد ذكرت المصادر البرتغالية أن هذه القوات كانت تتألف من قسمين، قسم قد أعده ملك هرموز وهي تتألف من (٣آلاف رجل) من المرتزقة من فرس وعرب تحملهم (٢٠٠سفينة) ويقودهم وزير ملك هرموز ريس شرف الدين. أما القوة البرتغالية فتتألف من (٤٠٠رجل) تحملهم (٧سفن كبيرة) مزودة بمدافع ضخمة بقيادة أنطونيو كورسا تصدى الجبور لهذا الهجوم يقودهم السلطان مقرن شخصيًا وجرت المعارك الحامية في هجير الصيف، وكانت المعارك تتوقف بسبب شدة الحر ثم يعاود الطرفان الهجوم على بعضهم البعض، وكان مقرن على رأس قواته يحث الجنود على الصمود والاستبسال إلى أن جرح جرحاً بليغاً بسلاح ناري في فخذه نقل على أثره إلى أحد المساجد حيث توفي فيه بعد ستة أيام متأثراً بجراحه. لم تتوقف المعارك بعد إصابة مقرن فقد كان يتولى القيادة الشيخ حميد إلى أن استشهد مقرن، فانهارت معنويات قواته، وكثرت القتلى والجرحى، فأمر الشيخ حميد قوات الجبور بالانسحاب إلى القطيف فوراً ونقل جثمان خاله مقرن ليدفن في الإحساء. وتذكر المصادر البرتغالية بأن الوزير ريس شرف الدين قائد القوات الهرمزية قد أمر قواته بضرورة انتزاع جثة السلطان مقرن من أيدي القوات المنسحبة فتم له ما أراد وقام بقطع رأس السلطان مقرن وحمله معه إلى هرمز))[2]

وكان قد تعزز التحالف الفارسي البرتغالي - الحبشي إثر الغزو البرتغالي.

وفي العام نفسه الذي تم فيه احتلالهم للبحرين توجهوا لاحتلال القطيف وفي العام نفسه هجمت السفن البرتغالية على مينه جدة. وبقيت البحرين منذ ذلك الوقت تحت حكم البرتغال لفترة طويلة من الوقت[3].

كان الهجوم البرتغالي على قلعة البحرين في يوم ٢٧ يوليو ١٥٢١م ومعها القوات الهرمزية المتحالفة معها، وفي تاريخ ٢ أغسطس ١٥٢١م انتهت المعركة مسفرة عن النصر الساحق للمتحالفين ومقتل السلطان مقرن وانسحاب بقية القوات العربية بقيادة الشيخ حميد ابن أخت السلطان مقرن، وتم تنصيب حاكم عربي يدعى بكراً أو بشيراً يتبع البرتغاليين[4].

---

(١) مجلة كلية الآداب، ع١٦ الحميدان ص٧٩، وراجع الدرر ج٤ ط٢ تأليف أوبنهايم ومساعديه ص٢٠٤

(٢) المصدر السابق ص٨٠ - Sousa,256.

(٣) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب.مايلز ط٨٣ ص١٦٢.

(٤) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٥٣٢-٥٤٢

رواية مختلفة عن كيفية استشهاد السلطان مقرن

المؤرخ المصري ابن إياس يشير إلى أنه في المحرم من عام ٩٢٨هـ وصلت إلى مصر شائعة تفيد بمصرع الشيخ مقرن فيقول:

((وأشيع قتل الأمير مقرن أمير عربان بني جبر متملك جزيرة بين البحرين إلى بلاد هرمز الأعلى، وكان أميراً جليل القدر معظماً مبجلاً في سعة من المال، وكان مالكي المذهب، سيد عربان الشرق على الاطلاق، وكان أتى إلى مكة وحج في العام الماضي، وكان يجلب إلى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة...، قيل إنه لما دخل مكة والمدينة تصدق على أهلها بنحو خمسين ألف دينار، فلمّا حج ورجع إلى بلاده لاقته الفرنج في الطريق وتحاربت معه، فانكسر الأمير مقرن منهم وقبضوا عليه باليد وأسروه، فسألهم أن يشتري نفسه منهم بألف ألف دينار فأبى الفرنج ذلك وقتلوه بين أيديهم، ولم يغن عنه ماله شيئاً، وملكوا منه جزيرة بين البحرين، وملكوا قلعتها التي هناك، واستولوا على أموال الأمير مقرن وبلاده، وكان ذلك من أشد الحوادث في الإسلام وأعظمها، وقد تزايد شر الفرنج على سواحل البحر الهندي والأمر لله تعالى))[1].

أصبحنا الآن أمام روايتين مختلفتين من حيث تحديد الوقت الذي قتل فيه سلطان البحرين، فالأولى تقول إنه قتل في صيف ١٥٢١م (شعبان ٩٢٧هـ) والثانية تقول إنه حج في موسم سنة ٩٢٧هـ أي في شهر ذي الحجة (الموافق لشهر نوفمبر ١٥٢١هـ).

وفاة السلطان صالح بن سيف الجبري

في سنة ٩٢٨هـ توفي ((السلطان صالح ابن السلطان سيف متملك بلاد بني جبر، كان من بيت السلطنة هو وأبوه وجده وهو خال السلطان مقرن وقد وقع بينهما وقعة عظيمة تشهد لصالح بالشجاعة التي لا توصف، فإنه كر على مقرن وعسكره وكانوا جمًّا غفيراً بنفسه، وكان خارجاً لصلاة الجمعة لا أهبة معه ولا سلاح فكسرهم، ثم كان الحرب بينهما سجالاً، وقدم دمشق في سنة سبع وعشرين وتسعمائة فأخذ عن علمائها وأجازه منهم الرضا الغزي وولده البدر وكان في قدمته متستراً مختفياً غير منتسب إلى سلطنة وسمى نفسه إذ ذاك عبدالرحيم ثم حج وعاد إلى بلاده[2] وكان مالكي المذهب فقيهاً متبحراً في الفقه والحديث وله مشاركة جيدة في الأصول والنحو وكان محبًّا للعلماء والصلحاء شجاعاً مقداماً عادلاً في ملكه صالحاً كاسمه توفي ببلاده قاله في الكواكب))[3].

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي ط١/١٩٧٤م تحقيق وتقديم محمد مصطفى ج٥ ص٤٣١.

(٢) وهنا يتضح أن السلطان صالح بن سيف حج أيضاً في موسم سنة ٩٢٧هـ وهو العام نفسه الذي ذكر ابن إياس أنه العام الذي حج فيه مقرن بن زامل.

(٣) شذرات الذهب ج٨.

إمارة الجبور بعد استشهاد السلطان مقرن

يذكر جار الله بن فهد في نيل المنى، أنه بعد استشهاد السلطان مقرن حكم عمه علي بن أجود الذي لم تطل إمارته أكثر من شهرين وأعقبه ابن أخيه ناصر بن محمد بن أجود لمدة ثلاث سنوات أعطى بعدها الإمارة بيعاً لقطن بن علي بن هلال بن زامل.

في ١٢ ربيع الآخر ٩٢٨هـ تحركت قوات برتغالية وجبرية إلى صحار العمانية، وحاصرت القوات البرتغالية بقيادة (دون لوبز) سواحل صحار بسفنها الضخمة ذات المدافع الثقيلة، وحاصرت قوات الجبريين المكونة من أربعة آلاف وخمسمائة جندي أسوار المدينة من ناحية البر، فاتصل الأهالي بالجبريين وطلبوا حمايتهم خشية من البرتغاليين وقد وافق الأمير حسين بن سعيد على ذلك العرض بعد أن سمح للحامية الهرمزية بالخروج من المدينة وصار هو رئيساً لها واعترف بالسيادة البرتغالية على صحار[1].

احتلال آل جبر لصحار بمساعدة البرتغاليين

٩٢٩هـ / ١٥٢٢م انتهز شيخ آل جبر حسين بن سعيد فرصة اندلاع ثورة قامت في هرمز فترأس ٣٠٠ فارس و٤٠٠٠ من المشاة وتحالف مع البرتغاليين واحتل صحار[2].

شراء قطن بن علي بن هلال الإمارة من ناصر بن محمد بن أجود

٩٣١هـ في حدود هذه السنة اشترى قطن بن علي بن هلال إمارة الجبور من ناصر بن محمد بن أجود، ولم تزد مدة حكم قطن بن علي أكثر من سنة، ثم خلفه أحد أولاده الذي تنازل بدوره عن الحكم بعد فترة وجيزة وسلم السلطة لابن عم والده غصيب بن زامل بن هلال بن زامل الجبري.

وفاة الشاه إسماعيل الصفوي

٩٣٠هـ ((توفي الشاه إسماعيل بن حيدر الصفوي وكان مولده في سنة ٨٩٢هـ وكان ظهوره سنة ٩٠٥هـ..، وهو الذي غيّر اعتقاد أهل بلاد فارس، وفي سنة ٩١٥هـ ظهر من أتباعه شخص في بلاد الروم يقال له شيطان قولي أهلك الحرث والنسل وهم بالفساد والقتل وتبعه غواة لا تحصى وقويت شوكته وعظمت به البلوى فأرسل السلطان بايزيد وزيره الأعظم علي باشا بعسكر كبير فاستشهد علي باشا وانكسر

---

(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٥٤٤، عن كتاب: العرب والبرتغال في التاريخ لفالح حنظل ص٣١٦

(٢) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٤٦٥، نقلاً عن جان أوبين وكامكيل عن باروس، وعن كتاب سيرة الإمام العادل ناصر بن مرشد لمؤلف مجهول، مخطوطة في المتحف البريطاني ورقة ٢٢، وكتاب: سلطنة هرمز العربية لأحمد جلال التدمري ج٢ ص٧٥

شيطان قولي وقتل أكثر جماعته ولم يزل شاه إسمعيل يردد حتى ملك خراسان والعراقين وغيرها من البلاد، فهب السلطان سليم خان لقتاله والتقى العسكران ونصر الله السلطان سليم خان))[١].

الذعر الإيراني من شائعة الاستعدادات العثمانية

٩٣١هـ/١٥٢٥م ذعر البلاط الإيراني في شتاء العام المذكور عند سماعه بالاستعدادات الواسعة النطاق التي كانت تجري في استانبول وكان السلطان قد استعمل عبارات الوعيد في أخريات رسائله التي بعث بها لتهنئة الشاه طهماسب الصبي(ت٩٨٤هـ) يومذاك. فاتصل المشاورون الصفويون بملك هنغارية وإمبراطورها ليعاونهم على العدو المشترك. فرد سليمان على ذلك بإعدام نفوس الأسرى الإيرانيين الذين كانوا معتقلين في غاليبولي حينذاك. فبات في حكم المقرر عنده توجيه حملة قوية على إيران، غير أن السلاح التركي قد حُول ضد هنغارية بدلاً من ذلك[٢].

دخول هنغاريا تحت الدولة العثمانية

في عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م حدثت ((معركة موهاج)) بين الجيش العثماني بقيادة سليمان القانوني والجيش المجري وقد انتصر فيها المسلمون ومن نتائجه أن دخلت المجر (هنغاريا) تحت لواء الدولة العثمانية ودخول السلطان إلى بودابست عاصمتها في أول أيام عيد الأضحى وكان السلطان سليمان قد صلى صلاة عيد الفطر في بلغراد عاصمة يوغسلافيا[٣].



السلطان سليم الثاني
١٥٢٤/ ١٥٧٤

السلطان سليمان القانوني
١٤٩٥/ ١٨٦٦

---

(١) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشلي اليمني ص٢٨٦.

(٢) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. لونكريك، للعربية جعفر خياط ط٦/ ١٩٨٥ ليرهان بغداد طبعه لونكريك أول مرة ١٩٢٥م ص٣٥.

(٣) تاريخ الدولة العثمانية لـ يلماز أوزتونا – جريدة الرأي العام بتاريخ ٢٤أغسطس٢٠٠٥م بقلم مهنا حمد المهنا ص١٤.

انتزاع راشد بن مغامس للبصرة من يد الفرس

٩٣١هـ وفيها كانت ولاية راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل للشرق وكان في البصرة بعدما انتزعها من الفرس[١].

نهاية دولة آل جبر باستيلاء راشد بن مغامس على بلادهم

٩٣٢هـ بحدود هذا العام استعان بعض أمراء آل جبر لضعفهم بسلطان الشرق راشد بن مغامس فقدم من البصرة وتحارب مع عصيب بن زامل بن هلال مستولى على ما بيده وأقام بالإحساء والقطيف وولى البصرة لأخيه محمد[٢].

وتذكر المصادر أن آل جبر بعد مقتل السلطان مقرن بن زامل تحالف على السلطنة عدة أمراء منهم، أي أن الخلاف دبّ بينهم واستحكمت العداوة، فلجأ بعضهم إلى سلطان البصرة ليستعين به على أبناء عمومته فكان كما تقول المصادر (كالمستجير من الرمضاء بالنار)، فما إن أتيحت الفرصة لراشد بن مغامس للتدخل إلا وقد أزاح أمراء آل جبر من طريقه وتفرد في حكم البلاد. ومن المؤشرات التي تدل على شدة النزاع والخلاف بين الجبريين إلى درجة أنهم بعد ذلك ضعفوا وذهبت ريحهم قول حميش اليزيدي الذي مدح مقرن بن زامل آخر حكام آل جبر الأقوياء.

١- يقول وهذا للفتى من مبارك ... ولا يدرك العليا من الناس غادر

٣- فل الله لي من قوت لاما قبيلة ... سعى بينها الواشي بحسن المساير

٤- عصاة على الداعي مطاويع للعدا ... [كما عن المعروف عمي البصائر]

٥- سعت بينهم الأعدا بالأشوار فأصبحوا ... بالأقدار صرعى في لحود المقابر

ومن قصيدة لأبي زيد وهو شاعر من شعراء الدولة الجبرية، يرثي الحالة التي وصلت إليها قبيلة آل جبر وتفرقهم، يبدؤها بالشكوى والتحسر على فراق القبيلة والديار، ويقول الدكتور الصويان ((هذه النغمة السائدة في شعره)).

١- إلى الله أشكو فوت لاما قبيلة ... قمين بها بت القوي من خصيمها

٢- وهجران من غير اختياري صارن ... أبى القلب ينسى ما مضى من قديمها

٣- مني وخلاني بزوراً من الصبا ... صروم شطا لام الأخلا وخيمها

٤- بل العزا مقسوم الآلاف كلهم ... تلا قسمة لقى العبا من قسيمها

---

(١) نيل المنى بذيل بلوغ القرى جار الله بن فهد ٤٣١.

(٢) المصدر السابق.

وصول سلطان الشرق الجديد راشد بن مغامس إلى مكة المكرمة

٩٣٣هـ (١٥٢٥م) ((في يوم الأربعاء ٢ ذي الحجة: تتابع حاج الشرق وفيهم سلطانهم الجديد وهو الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل سلطان البصرة والحسا والقطيف ورفقته نحو خمسة آلاف نفس على رواحل وبركوا في الأبطح على عادتهم. وكانت ولاية سلطانهم للشرق في سنة ٩٣١هـ. وكان بالبصرة فاستعان به الباقي من بني جبر لضعف حالهم وقوي عليهم وأخذ منهم الحسا والقطيف وأعمالها، وذلك لما استولى الفرنج المخذولون على بلدهم وقتلوا سلطانهم الشيخ مقرن بن زامل بن أجود بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري في سنة ٩٢٧هـ.

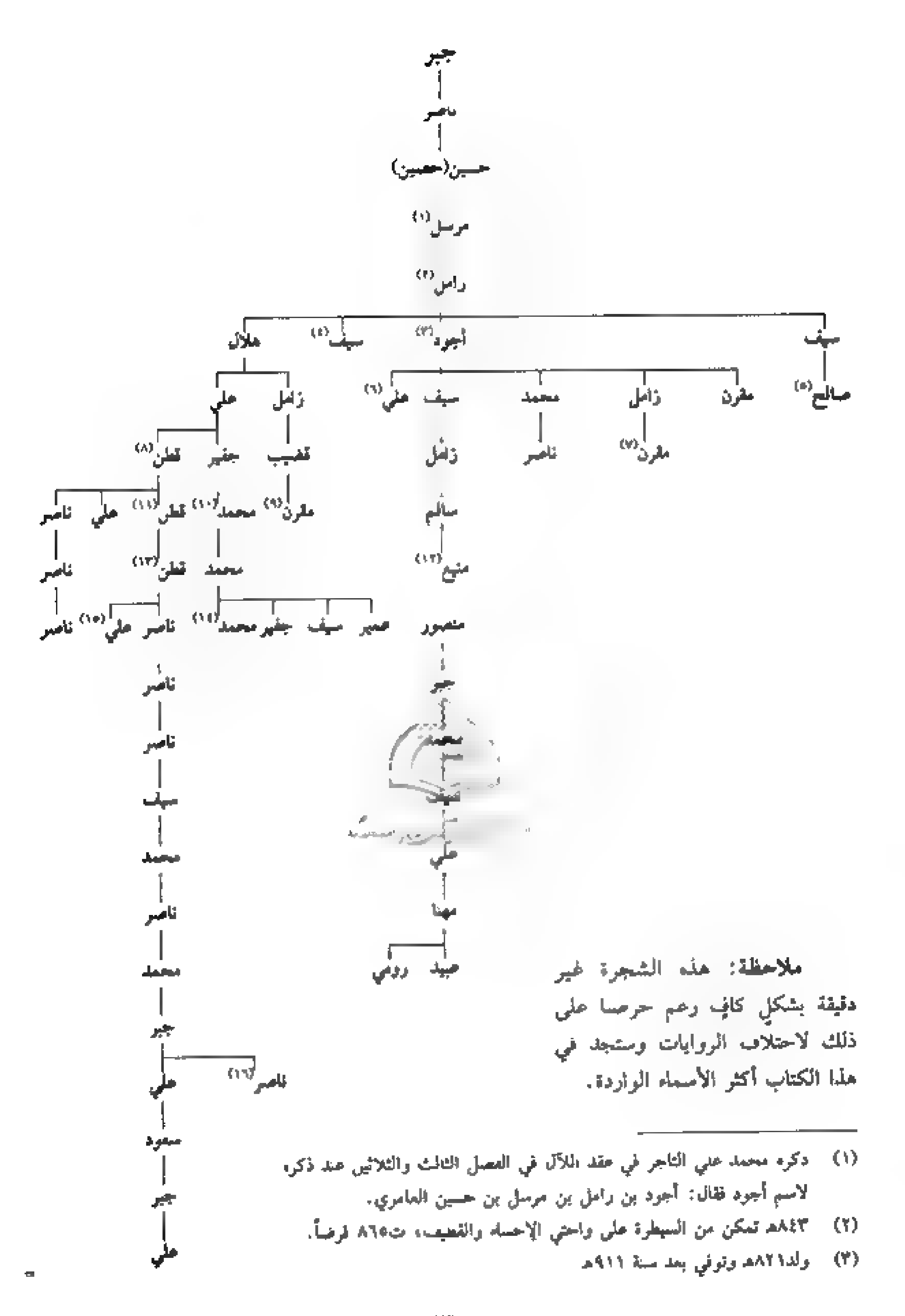
ثم وليها بعده عمه علي بن أجود نحو شهرين فأخذها منه ابن أخيه ناصر بن محمد بن أجود فأقام بها ثلاث سنين، وأعطاها بيماً قطن بن علي بن زامل فأقام فيها نحو سنة، ثم مات فحلفه ولده، ثم عجز عنها ودفعها لمغيب بن زامل بن هلال، وأقام بها نحو سبعة أشهر فأخذها منه بالحرب الشيخ راشد بن مغامس المذكور وولّى البصرة لأخيه محمد، وأقام هو بالحسا والقطيف. وخرج الحج منها صحبة الشيخ يحيى ابن أخيه محمد والشيخ مها وقاضيهم العلامة جمال الدين محمد بن عبد العزيز الشهير برفرق المكي البصري الشافعي وغيرهم من أكابرهم ولحقهم الشيخ راشد في الطريق بعد نصف شهر[1].

ونفر الحاج من منى في اليوم الثالث يوم الاثنين ثاني عشر الشهر. وسافر سلطان الشرق إلى جهة المدينة الشريفة لزيارة القبر الشريف))[2].

وفي أُخريات عام ٩٣٣هـ عاد الشيخ راشد إلى البصرة بعد الحج مع قافلة حجاج البصرة وتولى الحكم فعلاً بعد وفاة أخيه محمد السلطان كما يرويه الحريري.

(١) ٩٣٣هـ حج هذه السنة كان في ولاية الأمير تمم بن مغلبي.

(٢) نيل المنى بذيل بلوغ القرى، جار الله بن فهد ٤٢١.



ملاحظة: هذه الشجرة غير دقيقة بشكلٍ كافٍ رغم حرصنا على ذلك لاختلاف الروايات وستجد في هذا الكتاب أكثر الأسماء الواردة.

---

(١) ذكره محمد علي التاجر في عقد اللآل في الفصل الثالث والثلاثين عند ذكره لاسم أجود فقال: أجود بن زامل بن مرسل بن حسين العامري.

(٢) ٨٤٣هـ تمكن من السيطرة على واحتي الإحساء والقطيف، ت٨٦٥ تقريباً.

(٣) ولد٨٢١هـ وتوفي بعد سنة ٩١١هـ

ومن أجداد آل جبر الذين يذكرون في قصائد مدحهم غرير ومقدم والمضا أو أبو المضا أو ماضي، ففي كتاب خيار ما يلتقط من الشعر النبط للحاتم[1] نجد بيتاً في مدح مجرن ولد عضيب، يقول: ((إلى صبيحي من أولاد المضا، راعي عطايا ما يمن أجزلها))، وقال عامر السمين في مدح قطن بن سيف:

قيسٌ خيار عقيل جملاً كلهم	العامري من قيس أوفى مقسما
وإلي تفاخرت الأصول بعامرٍ	فخيرها وأعزها المستقدما
وإلى المقدّم أصلهم آل المضا	وإلى المضا من قيس أوفى مقسما

انتصار الشريف ابي نمي على عرب سبيع في جهة الشرق

٩٣٥هـ ((في يوم الجمعة ١٧ محرم[2] جاء الخبر إلى مكة بنصرة الشريف أبي نمي على عرب سبيع قبيلة من بني لام[3] في جهة الشرق وأنه واجههم في يوم الثلاثاء وكاد لهم فقُتل له مملوك وبعض جماعته وجرح آخرون وقتل من العرب نحو العشرين نفساً وقيل خمسون واضطرب الناس في الخبر وتحققت النصرة وترادفت الأخبار بها))[4].

---

(٤) حاول إبراهيم بن ناصر بن جروان القبض عليه، إلا أنه انتصره بالهجوم وقتله وانتزع الإحساء منه. وفي سنة ٨٥٠هـ كانت البلد بيده

(٥) ٩١٦-٩٢٢هـ.

(٦) حكم لمدة شهرين.

(٧) ت٩٢٧هـ - ١٥٢١م.

(٨) حكم لمدة سنة.

(٩) حكم سنة٩٦٣هـ.

(١٠) ورد ذكر محمد بن جفير بن علي بن هلال في [illegible]

(١١) عجز عنها.

(١٢) ذكرت بعض المصادر تسلسله هكذا كأحد أحمد السلطان أجود، إلا أن شعره الحلاوي كان يلقبه بالسيّار، ويسميه المنيعي، ويسمّي قومه المنيعية، وهنا تقع نقطة الاختلاف، ففي أسماء سلاطين آل جبر لم تجد مثل هذه الأسماء (المنيعي والسيّار)!! وأما نقطة الاتفاق بينهم هو أنهم جميعهم يحملون لقب سلطان عقيل.

(١٣) ذكر في سنة ١٠١٧هـ.

(١٤) ذكر في سنة ١٠١٧هـ.

(١٥) ذكر في سنة ١٠٢٦هـ.

(١٦) أمير الإحساء ١٢٨٧هـ.

(١) خيار ما يلتقط من الشعر النبط للحاتم في ط٣/١٩٨١م ج١ ص٥٦.

(٢) يوافق ١ أكتوبر ١٥٢٨م تقريباً.

(٣) راجع سنة ٩١٢هـ ولاحظ قولنا عن التحالف اللامي.

(٤) بيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى لجار الله بن فهد المكي ص٤٣٨.

التهديد البرتغالي والتهدئة المغامسية

في أول سنة ٩٣٥هـ أواخر صيف ١٥٢٨م بادر القبطان مندوزا (قبطان هرمز) بإرسال رسالة تهديد إلى السلطان راشد بن مغامس مطالباً إياه بتسليم ما بحوزته من سفن وأسلحة نارية إضافة إلى الجنود الروم (الأتراك)، الذين كان يستخدمهم فحاول السلطان تهدئة مخاوف البرتغاليين وكسب ثقتهم، ولكنه فشل أمام إصرارهم وغطرستهم، الأمر الذي أدى إلى إثارة النزاع بينهم استمر بضع سنوات.

إجلاء البرتغاليين من الإحساء بقيادة احد شيوخ آل جبر

في سنة ١٥٢٩م التي تبدأ بـ ٢٠ ربيع الثاني ٩٣٥هـ تقريباً تمكنت ثورة شعبية في الإحساء من إنهاء النفوذ البرتغالي بقيادة حسين بن سعيد شيخ بني جبر[١].

تنصل راشد بن مغامس من دعوة حاكم جزيرة هرمز

بعد وصول راشد بن مغامس إلى سدة الحكم حدثت ثورة في المنطقة ضد الوجود البرتغالي فما كان من راشد إلا أن وقف إلى جانب البرتغاليين وأعلن تحالفه معهم، وكان الرئيس شريف في هرمز يكره راشداً ويحاول سعي حثيث منذ الاضطرابات الأخيرة للانتقام منه وإخضاعه لسلطته، وقد استدعاه إلى هرمز أكثر من مرة بحجة مناقشته في بعض الشؤون المتعلقة بكشوف الحسابات وادّعى بأنه لايزال في ذمته للملك نحو ٢٠،٠٠٠ أشرفي لم يسددها لخزينة الدولة، غير أن راشداً كان يدرك الهدف من وراء تلك المناورة فرفض التوجه إلى هرمز، وعندما وصل القائد دوم نونو داكونها نائب الملك على الهند إلى مسقط بتاريخ ١٩ مايو ١٥٢٩م الموافق ١١ رمضان ٩٣٥هـ تقريباً حضر الشيخ راشد لاستقباله وشرح له ملابسات تلك القضية وأبدى استعداده للذهاب إلى هرمز شرط أن يكون في حماية السلطات البرتغالية الحليفة، فوافق القائد على اقتراحه[٢].

البرتغاليون يوجهون ضربة عسكرية لحليفهم

وفي هذه السنة (١٥٢٩م - ٩٣٥هـ) دخل أسطول تركي للخليج فلم يقابل مقابلة ودية لأن حاكم البصرة كان محالفاً للبرتغاليين في مقابل معونتهم له ضد زعيم مجاور له في بلاد ما بين النهرين، وكان حاكم البصرة قد تعهد بأن يأخذ على عاتقه منع الأتراك من الاتّجار هناك إذا عاونه البرتغاليون، فقدم القائد ميلشيور تافارز دي سوسا بحملة لمساعدته، فزار البصرة وتوغل شمالاً في دجلة والفرات، على أن حاكم البصرة رفض أن يفي بوعوده بإعاقة التجارة التركية، وأبى حسب المعتاد القيام بتنفيذ مساومته فانتقم دي سوسا منه بحرق مدينتين عند مغادرته، وقيل بل أحرق عدة من القرى القصبية ثم انسحب[٣].

---

(١) القوى السياسية في كوت الإحساء-يوسف جعفر سعادة ط٩٧ ص٢٤٧.

(٢) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب.مايلز ط٨٣ ص١٧٠.

(٣) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لونكريك، تعريب جعفر خياط ط٣/ ١٩٦٢ ص٤٠ وراجع السجل التاريخي =

قيام البرتغاليين بهجوم ثانٍ على البحرين

وفي نوفمبر ١٥٢٩م الموافق ربيع الأول ٩٣٦هـ تقريباً قام البرتغاليون بهجومهم الثاني على البحرين بـ (٤٥٥ محارباً) و١٣ مركباً مختلفة الأحجام.

خضوع القطيف للسيادة الهرمزية الخاضعة للسيادة البرتغالية

يبدو أن الإرادة الهرمزية والبرتغالية أبت إلا أن يكون الخليج العربي بأكمله خاضعاً لسيطرتهم ولم تكتف ببعض الرسوم التي يقدمها الحاكم بل إن القطيف سقطت في أيديهم، فوفق ما تشير إحدى الوثائق المحلية، فإن القطيف كانت في ١٩ربيع الأول ٩٣٧هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٥٣٠م تحت سيادة ملك هرمز محمود شاه الخاضع للسلطة البرتغالية، وقد استمر حكم مملكة هرمز للقطيف حتى سنة ٩٤٦هـ- ١٥٣٩م تقريباً حيث تشير الرواية البرتغالية إلى أن ملك الحسا مانع بن راشد، قد تمكن من إنهاء الحكم البرتغالي الهرمزي للقطيف[1].

سيطرة العثمانيين على كل العراق

٩٤٠هـ/ ١٥٣٤م في هذه السنة خضع العراق كله للحكم العثماني بعد انتصار سليمان القانوني على الصفويين في بغداد، وكان السلطان سليم الأول قد استولى على شمال العراق منذ أن انتصر على الصفويين في معركة جالديران أغسطس سنة ١٥١٤م رجب ٩٢٠هـ[2]

يذكر القائد البرتغالي أفونسو دلبوكيرك أن مدينة بغداد كانت في العادة تابعة لحكّام أرمينيا إلى أن استولى عليها الشاه إسماعيل منهم، ثم صارت تابعة للعثمانيين[3].

وصول حاج كبير من الشرق فيهم ابن سلطانهم

٩٤٠هـ في صبح يوم ٣ ذي الحجة الموافق ١٥ يونيو ١٥٣٤م تقريباً ((وصل لمكة حاج كبير من الشرق فيهم الشيخ مبارك محمد ابن سلطانها الشيخ مبارك راشد المسقطي[4] ويقال عدد من معه فوق عشرة آلاف نفس..، ورخص القماش الهندي بوصوله صحبتهم))[5].

- للخليج القسم التاريخي المجلد الأول لوريمر ت١٩١٤م طبعة جامعة قابوس ص٦.

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص٨٤

(٢) الممتاز في تاريخ العرب الحديث إعداد صبحي أبوصبيح ج١ ص١٣.

(٣) السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك المجلد الأول ص٦٥٣.

(٤) يتضح اضطراب الاسم في هذه الفقرة وكأن فيه شيئاً من الغموض ولكن الذي نعلمه أن سلطان الشرق في ذلك الوقت هو راشد بن مغامس المنتفقي والله أعلم.

(٥) جار الله بن فهد نيل المنى بذيل بلوغ القرى ٢/٥٧٦.

وصول سلطان البصرة راشد بن مغامس المنتفقي لمكة

٩٤٢هـ وفيها: ((وصل لمكة، حاج كبير من البحر شاماً ويمناً وكذا من الشرق ومنهم سلطان البصرة راشد بن مغامس المنتمي[١] بجمع كبير يقدل نحو عشرين ألف نفس وكان دخولهم لمكة في ٧ ذي الحجة[٢] ونزلوا عند جبل حراء))[٣].

مسير الشريف أبي نمي لمحاربة عرب سبيع وشيخهم الرويبي

٩٤٤هـ قال ابن فهد: ((سافر صاحب مكة السيد أبو نمي محمد بن بركات الحسني إلى جهة الشرق على نية محاربة عرب سبيع وشيخهم الرويبي وأخفى طلبه لذلك، فأنذر خصمه به ففر منه ولم يلحقه..))

جغيمان شيخ مطير وسعي شيخ بني حرب بن علي

ثم قال: ((متوجه الشريف أبو نمي محمد من عيطه بحراً بخيله ورواحله إلى جهة عرب مطير وبني حرب بن علي وشيخ أولهما جغيمان[٤] والثاني سعي فكبس فريقهم وأخذهم بغتة فكسب مالهم من الخيل والإبل والغنم شيئاً كثيراً فمن الخيل يقدل نحو المائة ومن الإبل والغنم بالآلاف. ثم إن شيخ بني حرب أظهر له الصلح وأنه طائعه فرد عليه تعلقه وغنم الثاني ودخل به مكة وباعه بها))[٥]

إعلان حاكم البصرة الولاء للعثمانيين

في سنة ٩٤٥هـ الموافق ١٥٣٨م أظهرت عشائر المنتفق الطاعة والانقياد لسلطنة آل عثمان، وذلك بعد أربع سنين من دخول العثمانيين إلى بغداد، وكان حاكم البصرة آنئذٍ وأميرها ورئيس أمراء عشائر تلك

---

(١) يلاحظ أن في الخبرين السابقين ورد اللقب العائلي لسلطان المشرق مرة بالمنتفقي ومرة المنتمي، والصواب هو المنتفقي.

(٢) الموافق ٢٨ مايو ١٥٣٦م تقريباً

(٣) نيل المنى لابن فهد ٢/٦٣٣، وراجع قوافل الحج المارة بالعارض لراشد بن عساكر ط١/٢٠٠٥ الرياض دارة التاج ص٢٧.

(٤) المعروف في النصوص السابقة أن جغيمان هو سلامة بن فوار شيخ المفارجة من بني لام، وكونه هنا أصبح أميراً على قبيلة مطير فهذا الشيء يجعلنا أمام عدة احتمالات.
الأول: إما أن قبيلة مطير لامية وجغيمان هو أميرها والمفارجة منهم.
الثاني: أن شيخ بني لام يقود عدة قبائل ومن لعمهم قبيلة مطير.
الثالث: أن جغيمان هذا اسم لشيخ آخر من مطير وليس بالضروري أن يكون جغيمان اللامي.

(٥) نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى لجار الله بن فهد المكي ص(٧٢٨).

الأنحاء كافة، راشد[1] بك ولد مغامس. وقد جاء في (تاريخ النخبة) أنه في هذه السنة قام بتسليم مفاتيح قلعة البصرة وسائر القلاع إلى وزير السلطان الملقب بمير محمد[2].

فقد أرسل راشد بن مغامس وفداً برئاسة ابنه مانع وضم وزيره وقائد جنده مع هدايا كثيرة إلى السلطان وسلمه مفاتيح مدينة البصرة وأعلن - أو أعاد إعلان - خضوعه للدولة العثمانية، فكان ذلك مدعاة لسروره[3]، وعلى أثر هذا عهد السلطان إليه بالبصرة على أن يقوم بضرب النقود وقراءة الخطبة باسم السلطان[4].

ويرى الأستاذ فاضل بيات في كتابه (دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني) أنه ربما أراد الشيخ راشد من إعلان ولائه للسلطان العثماني جر الدولة العثمانية باعتبارها أعظم قوة برية يومذاك إلى رأس الخليج لتقوم بدور إقصاء النفوذ البرتغالي وكسر الطوق المعروض على تجارة المشرق العربي.

ثم قال: ((تكمن أهمية إعلان شيخ البصرة ولاءه للسلطان العثماني في أن ذلك يقف دليلاً مُهِمًّا على استياء القوى المحلية من الظروف القائمة عموماً بما فيها التحالف القائم بين البرتغاليين والفرس.... ويلاحظ أن قوى محلية قد حذت حذو شيخ البصرة وأرسلت تطلب حماية العثمانيين. وقد حصل كذلك مع شيخي القطيف[5] والبحرين ووالي الحويزة مبارك بن مطلب))[6].

أما الأستاذ علي الشرقي فكان له رأيٌ مغايرٌ حيث يذكر أن راشد بن مغامس بتسليمه مفاتيح البصرة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني متظاهراً بتسليم البلاد ((ما كان إلّا مخادعاً، فبدهائه جعل البصرة كرة تدحرجها الحوادث بين الصفويين ومركزهم في شيراز، وبين العثمانيين المتكمشين في بغداد. والشيخ راشد يلعب على الحبلين. أما كرة لعبه فلم تكن إلّا مدينة البصرة وكردلان[7] والمناوي فقط. وبقية النواحي كانت بيد المتغلبة من العشائر))[8].

---

(1) كان المؤرخ النبهاني وابن خلاص في ذكرهم لهذه الأحداث يسمّون والي البصرة مغامس بن مانع واسم ابنه راشد والظاهر أن أحدهما ينقل من الآخر، لذلك استبعدت روايتهم لما فيها من التعارض والتناقض مع المصادر الأخرى التي هي أكثر دقة ووضوحاً ومنطقاً، وقد دعت الأمانة العلمية إلى الإشارة إلى اختلاف روايتهم.

(2) تاريخ المنتفق ص١٢.

(3) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي تم طبع هذا الكتاب سنة ١١٤٣هـ نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص١٩٩

(4) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د فاضل مهدي بيات ٢٠٠٣ بيروت ص٤٠.

(5) كان الشيخ المحلي للقطيف في ذلك الوقت من آل جبر

(6) م.دراسات الخليج ع٤ س: الرابعة ٧٨ -الدور التاريخي للبصرة .عماد الجواهري ص ٨٦.

(7) كردلان مرة ترد بصيغة قردلان ومرة بصيغة سقردلان ومرة جيرديلان وفي سنة ٧١٨هـ ورد ذكر مدينة قنعرلان وهي المدينة الجديدة المسماة بالسلطانية.

(8) تاريخ المنتفق لعلي الشرقي ص٧٦

سيطرة العثمانيين على قطر والقطيف والإحساء

٩٤٥هـ- ١٥٣٨م في هذا العام وصلت بعض من قوات حملة سليمان الخادم بعد عودتها من الهند إلى منطقة الخليج العربي وتم استيلاؤها على قطر ثم زحفت منها برًا إلى القطيف والإحساء[١] وذكر بعض المؤرخين أن راشد بن مغامس انتزع القطيف من الإدارة الهرمزية في هذه السنة المذكورة مما يدل على وجود تنسيق مسبق بينه وبين القوات العثمانية القادمة من الهند بأمر من السلطان، فقد زحف السلطان راشد من البصرة باتجاه القطيف في أواخر هذه السنة وهو يقود جيشاً كبيراً ضم في صفوفه نحو ألفين من رماة البنادق من عرب وأتراك فوجد ترحيباً من سكانها وعلى رأسهم وزيرها الذي هو من أمراء الجبور ففتحت له الأبواب ودخلها دون أدنى مقاومة واستحق لقب سلطان البصرة والإحساء والقطيف.

انسحاب راشد من أمام أمير بادية القطيف

يقول الدرورة: لقد تفجر صراع دام مفاجئ بين السلطان راشد وزعيم بني خالد[٢] أمير بادية القطيف في أثناء حصار البحرين دون أن تعرف أسبابه

وأضاف الدرورة: ويضيف الحميدان: اضطر السلطان راشد[٣] أخيراً إلى طي راياته والتوجه جريح النفس صوب البصرة حاضرة مملكته ولعله يحس بدنو أجله تاركاً وراءه ولده مانعاً لمعالجة أوضاع الإحساء والقطيف.

ويقول الدرورة: يرجح الحميدان: أن السلطان راشداً كان موته نتيجة لسقوطه قتيلاً في إحدى معاركه مع بني خالد.

بداية حكم السلطان مانع بن راشد بن مغامس

٩٤٦هـ ١٥٣٩م يمكن اعتبار هذه السنة هي بداية حكم السلطان مانع ملك الإحساء، بعد احتجاب اسم والده عن مسرح الأحداث، والذي يرى البعض احتمالية وفاته في هذه السنة، وقد استطاع مانع بن راشد الاستيلاء على القطيف.

---

(١) كتاب بنو خالد وعلاقتهم بنجد للوهبي ص ١٢٠ ساحل الذهب الأسود١٤٦، الخليج العربي في ماضيه وحاضره لخالد العزي بغداد.

(٢) كما قلنا قبل قليل أمير القطيف كان أحد أمراء آل جبر، ولكن هل زعيم بادية القطيف مختلف عن المدينة نفسها؟

(٣) يشير بعض المؤرخين إلى احتمالية وفاة السلطان راشد بن مغامس في هذه الأثناء والذي بموته قام التنافس والصراع على السلطة بين أمراء الدولة المغامسية من آل راشد بن مغامس وآل محمد بن مغامس مما سبب تصدع وتجزؤ الإمارة وأضعفها، وآذن بدنو أجلها، ويعتبر هذا النوع من التنافس من أكبر الأسباب التي تنهي البيوتات الحاكمة في كل زمان ومكان.

. الشريف أبو نمي يعلن الجهاد على البرتغاليين في جدة

٩٤٨هـ في هذه السنة توالت هجمات البرتغاليين على شواطئ العرب، ((وقد استطاعوا أن يتصلوا بجدة التي سوَّرها حسين الكردي في عهد الشراكسة، وأن ينزلوا في مرسى كان معروفاً بأبي الدوائر بالقرب من جدة وكانوا في (٨٥ مركباً) مشحوناً بالرجال والسلاح فتحمس أبو نمي – محمد بن بركات – للقائهم ونادى في أسواق مكة وبين القبائل بالجهاد العام فتطوع الأهلون كما تطوعت البادية فأعطاهم من السلاح ما يكفيهم وخرجوا في جيش جرار إلى جدة حيث قابلوا العدو المغير وصدوه بقوة السلاح عن ميناتهم وكان أبو نمي في الصفوف الأولى للمدافعين وقد رئي لابساً درعه شاكي السلاح يتقدم المجاهدين))[1].

توجه مانع للقطيف لمحاربة البحرين

توجه ((مانع بن راشد)) ملك الإحساء إلى القطيف لمحاربة ملك البحرين محمد العالي فتوسط بينهما سعد بن عبدالله من سكان الإحساء فأمضيا هدنة.

إلا أن ملك الإحساء جمع عدداً كبيراً من المحاربين وعاد للاستقرار بالقطيف وعندما علم بعض أصحابه إن بيته محاربة مسلمي البحرين فروا بأنفسهم وأولادهم وعائلاتهم وكان أول هؤلاء محمد بن رحال وذويه، توجه للبحرين وكذلك محمد بن مسلمة وصحبه وقومه رغم أنه من الإحساء.

تعرض مانع لهجوم في أطراف البصرة وعودته للإحساء

ولما رأى السلطان مانع بن راشد تلك المعارضة من أصحابه عندما أراد الحرب ضد البحرين وحاكمها الهرمزي محمد العالي، انتقل إلى البصرة التي كان يحكمها في ذلك الوقت ابن عمه عثمان بن محمد بن مغامس، وبينما هو مخيم في جوانبها هجمت عليه أعداد كثيرة من سكانها وهزموه وقتلوا عدداً كبيراً من قواته، بينما تمكن هو من الفرار على ظهر فرسه وذلك بعد أن تعرض لجروح بليغة وعاد للإحساء.

وفاة الشيخ عثمان بن محمد وتنصيب ابنه الصبي محمد

وبعد أن عاد السلطان مانع إلى الإحساء مهزوماً، واستطاع جمع عدد كبير من الرجال ضمنهم أعراباً كثيرين، حينئذٍ وصله خبر موت ملك البصرة الذي كان أحد أقاربه (بدين للأتراك) أي أن أحد أقارب ملك البصرة يدين للأتراك، وخلفه صبي صغير فتوجه مانع للبصرة يريد استخلاصها لنفسه من يد الصبي محمد ابن عثمان[2].

---

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣٤٧ ورجع خلاصة الكلام ٥٢.

(٢) محمد بن عثمان بن مغامس سيرد ذكره في محكال.

استيلاء الشيخ مانع بن راشد على البصرة

وفي أواخر سنة ٩٤٩هـ الموافق لمارس ١٥٤٣م تقريباً وافت الأخبار الشيخ مانعاً بوفاة الشيخ عثمان بن محمد الفضلي حاكم البصرة وتنصيب ابنه محمد خلفاً له رغم صغر سنه فما كان من مانع إلا أن انتفض مجدداً ونسي كل ما عاناه من نكسات وأخذ في حشد أتباعه وتنظيم صفوفهم بصورة أفضل.. ولما وصل إلى البصرة فتح له أعيان المدينة الأبواب.

تواطؤ خصوم الإمارة المغامسية مع حاكم البحرين الهرمزي

توحد الإمارة المغامسية أثار حسد خصومهم في الداخل والخارج فوضعوا كل إمكاناتهم تحت تصرف حاكم البحرين محمود الفالي لكي يلحق الأذى بالشيخ مانع فقام بهجوم مباغت استهدف السفن الراسية بالقطيف مما أثار الشيخ مانعاً فأمر بالاستيلاء فوراً على سفن أهل البحرين الراسية بالبصرة وشط العرب ومصادرة حمولتها، فاستغل حاكم البحرين محمد أو محمود ذلك وهاجم القطيف بحيث أحرق ١٥٠ مركباً له، وفي نهاية المطاف قام أعيان المدينة بعد أن استاؤوا من تصرفات الشيخ مانع بحق تجار البحرين وطردوه من مدينتهم وهو لم يكمل عامه الأول، وعينوا عوضاً عنه أحد أقاربه المسمى الشيخ يحيى بن محمد بن مغامس وأرغم السلطان مانعاً أن يقبل اقتسام المملكة مع أبناء عمه حيث تكون الإحساء والقطيف من نصيبه والبصرة من نصيب ابن عمه يحيى بن محمد الذي بادر إلى إعادة سفن البحريتين المصادرة إلى أصحابها وعوضهم عما فقدوه من مال وأضرار[1].

يذكر الدكتور فاضل بيات: أن مانع بن راشد ((اضطر إلى التنازل عن موقعه - في حكم البصرة - ليحيى شيخ بني أمان Aman. وقد رفض هذا الأخير الخضوع للعثمانيين فأعلن تمرده إلا أن حركته قمعت من قبل العثمانيين))[2].

المساعدة في استرجاع البصرة مقابل تسليم القطيف

٩٥١هـ في هذه السنة اتصل مانع بن راشد بن مغامس بالقائد البرتغالي في هرمز لويس يطلب منه المساعدة على قتال العثمانيين فوافق شريطة تخليه عن القطيف لهم وهناك لم تجد الدولة العثمانية بُدًا من أن تحكم المنطقة حكماً مباشراً، وهذا ما سيحركها في سنة ٩٥٣هـ

في شعبان ٩٥١هـ الموافق نوفمبر١٥٤٤م بعث الشيخ مانع برسالة إلى لويس فلكاو بريرا قبطان هرمز الجديد يعبر فيها عن رغبته في صداقة ملك البرتغال وحرصه على توثيقها واستعداده لتسليم القطيف إليه على أنه يأمل في المقابل أن يمده ملك البرتغال بالدعم العسكري المؤثر لكي يستطيع استرجاع عرشه الذي اغتصب منه بالبصرة.

---

(١) راجع تاريخ الاحتلال البرتغالي للإحساء لعلي الدرورة

(٢) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د فاضل مهدي بيات ٢٠٠٣بيروت ص٤٠.

فقام القبطان بإرسال مبعوث برتغالي إلى الشيخ مانع حاملاً إليه رد القبطان إضافة إلى تكليفه بجمع المعلومات العسكرية عن المنطقة وقابل الشيخ مانعاً وعرض عليه الشروط التي يراها القبطان لدعمه عسكرياً من استعادة عرشه وكانت الشروط تتلخص في فقرتين:

أولهما: ضرورة تسليم القطيف قبل الشروع بتقديم الدعم العسكري المطلوب.

ثانيهما: أن يتعهد الشيخ مانع بدفع مبلغ معين من المال في كل عام إلى خزانة مملكة هرمز بعد استعادة عرشه[1].

وهذه مقتطفة من رسالة القبطان إلى ملك هرمز مؤرخة في ذي القعدة ٩٥١هـ الموافق فبراير ١٥٤٥م تقريباً: ((وصلتني قبل بضعة أيام رسالة من ملك الإحساء الشيخ مانع يعبر عن رغبته في صداقة مولاي ويبين أنه لم يقم بالاستيلاء على القطيف إلا من أجل تسليمها إليكم ويطلب الدعم والمساعدة ضد البصرة لأنه مَلِكها الشرعي...)).

سقوط القطيف امام حملة برتغالية هرمزية

في آخر رسالة قرأناها من القبطان البرتغالي إلى قيادته في هرمز قبل نحو ثمانية أشهر كانت توضح أن العلاقات بين البرتغاليين وبين مانع بن راشد منسجمة للوصول إلى هدف مشترك يتمثل في أن يسلم لهم مانع القطيف، ثم يقومون هم بمساعدته في إخضاع البصرة وإعادتها لحكمه، ولكن يبدو أن هناك ثمة تطورات جرت لم تكن في صالح هذا التحالف الوليد

فبعد ثمانية أشهر تقريباً من آخر رسالة، أي في رجب ٩٥٢هـ الموافق سبتمبر ١٥٤٥م: أعدت حملة مشتركة لغزو القطيف ضمت (٣٠٠ برتغالي و٧٠٠٠ من الفرس والعرب) بقيادة سوزا والرئيس نور الدين ابن شرف الدين المالي، وبناء على ما ورد في وثيقة برتغالية بتاريخ ٢٠/١١/١٥٤٥م (منتصف رمضان ٩٥٢هـ) جاء خبر قيام الحملة المشتركة بقيادة برنالدو دو سوزا كاتب الوثيقة وحوالي ستة أو سبعة آلاف فارسي وعربي تحت رئاسة نور الدين بن شرف التابع لملك هرمز، وغادرت الحملة من هرمز وتوقفت في البحرين قليلاً لجمع قطع الأسطول ولاستكمال معدات الحصار. ثم توجهوا لمياه القطيف ورست عند شاطئه ليلاً لمواجهتها القوة المرابطة هناك (٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ مقاتل كانوا في المدينة)، قتلوا حوالي ثلاثين أو أربعين فارسياً من فرقة كاتب الوثيقة ((سوزا)) وجنديين برتغاليين ويذكر أن خسائر المدافعين كانت أكبر مما اضطرهم إلى الانسحاب بعد قتال شديد وصهك استغرق أربعة أيام ومعهم أهالي المدينة. وبعد قصف متواصل للقلعة تم اقتحامها على وجه السرعة لورود أخبار عن مقدم مانع بن راشد من الإحساء على رأس قوات ضخمة قوامها ١٤٠٠٠ أو ١٥٠٠٠ مقاتل وعدد كبير من الفرسان وحاملي الأسلحة النارية إضافة إلى الهجمات الخاطفة التي كانت تشنها القوات المدافعة المنسحبة من المدينة.

أما الشيخ مانع بن راشد ما إن علم بالأمر حتى حشد قواته على جناح السرعة وسارع يحث الخطى نحو القطيف وحينما علمت القوة البرتغالية باقتراب الشيخ مانع من القطيف سارعت بالانسحاب مخلفة

(١) تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف لعلي الدرورة.

وراءها القوة الهرمزية بقيادة الرئيس نور لدين العدلي وما إن وصل الشيخ مانع بن راشد إلى مشارف القطيف حتى علم بسقوطها بأيدي الغزاة البرتغاليين والهرمزيين ومن ثم كر راجعاً من حيث أتى.

اختفاء اسم السلطان مانع بن راشد من ساحة الأحداث

بعد أن فقد مانع القطيف في سنة ٩٥٢هـ- ١٥٤٥م عاد أدراجه إلى الإحساء وهو محتفظ بقوته وبحكم الإحساء وفي خلده أنه ربما يسترجع القطيف من جديد بعد أن تنسحب الحملة البرتغالية. ولكن مع هذا اختفت أخبار مانع بعد ذلك من الإحساء و لبصرة، وورد ذكر زعيم آخر من آل مغامس بعد تلك الفترة بخمس سنوات يتحالف مع البرتغاليين ويشترك في حملتهم على القطيف سنة ٩٥٧هـ- ١٥٥٠م ثم ينقطع أي ذكر لآل مغامس في منطقة الإحساء مؤقتاً

سقوط آخر أمراء آل مغامس في البصرة يحيى بن محمد

بعد أن سقط حكم آل مغامس عن القطيف في سنة ١٥٤٥م سقط حكمهم عن البصرة أيضاً في سنة ١٥٤٦م حيث تذكر المصادر التاريخية أن السلطان سليمان القانوني طالب الشيخ يحيى حاكم البصرة بإعادة بعض الأشخاص المطلوبين من قبل العثمانيين والذين فرّوا إلى البصرة إلّا أن يحيى لم يكترث بهذا الطلب، وبهذا أصبح كمن يدعو القوات العثمانية للتحرك نحوه.

وفي رسالة أرسلها بكلربكي بغداد إياس باشا إلى حاكم الجزائر ((إلى الشمال من البصرة)) علي بن عليان التبعي الطائي في هذه السنة ١٥٤٦م يتوضح لنا شكل السياسة الجنوبية للدولة العثمانية:

((منذ مدة طويلة تربطنا وإياكم علاقات ودية كبيرة وإننا على مقربة من بعضنا البعض ويرد الكفار - أي البرتغاليون - من مختلف المناطق بشكل مستمر ويأمان وطلب مني السلطان سليمان قبل أيام أن أتوجه إلى البصرة وأقوم بفتحها وأتوجه منها إلى هرمز والهند ومحاربة البرتغاليين الضالين وإنهاء جميع إداراتهم والقضاء عليهم وقواتي على وشك التحرك وسيأتي عن طريق ركية ويملك كل المستلزمات من مدافع كبيرة وسفن وكل ما يلزم الجند وسنلتقي في القرنة ومنها سننطلق للسيطرة على البصرة عن طريق النهر والبر)).

وبعد أن تلقى إياس باشا أمر التحرك نحو البصرة قام بتسيير أسطول مكون من ١٢٠ سفينة إلى ركية سلم قيادته إلى سنجق بكي (أمير سنجق) الموصل كما أرسل القوات البرية تحت إمرة علي الذي ينتسب إلى أسرة دي قدر وعندما وصلت هذه القوات إلى القرنة سيطرت على قلعة (عجيلة؟)[1].

وقد زار إياس باشا في طريقه الروضة الرضية لفاتح خيبر[2]، وفي هذه الظروف رفع شيخ آل قشعم راية التمرد.

حاول ابن عليان حاكم (المدينة) بمنطقة الجزائر صد هذه القوات إذ سار على رأس ثلاثة آلاف من أتباعه المقاتلين إلى العثمانيين إلّا أنه انهزم كما انهزمت أمام العثمانيين القوات الواردة من أطراف البصرة

---

(١) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د محسن مهدي بيات ٢٠٠٣بيروت ص٤١.

(٢) يقصد بفاتح خيبر علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

وهذه القوات هي بالتأكيد كانت تحت إمرة الشيخ يحيى الذي كان يتحكم بالبصرة، الأمر الذي أدى إلى هروب المدافعين عن البصرة، فبقيت المدينة دون دفاع فدخلها العثمانيون بقيادة إياس باشا في ٢١ شوال ٩٥٢هـ ٢٦ ديسمبر ١٥٤٦م.

ويقول النبهاني الذي كان لا يزال يسمي حاكم البصرة في تلك الأثناء براشد بن مغامس: ((ومن ثم هرب الشيخ ابن مغامس إلى نجد فاراً))، وطبعاً الذي فر إلى نجد متوارياً هو يحيى بن محمد بن مغامس حاكم البصرة، والصبي محمد بن عثمان بن محمد بن مغامس وليس براشد

وبينما يذكر الوهبي أن سيطرة العثمانيين على البصرة كانت في ٢١ شوال ٩٥٣هـ ١٤ ديسمبر ١٥٤٦م[1] يذكر نظمي زادة أن تحرك والي بغداد إياس باشا كان في بداية سنة ٩٥٣هـ. وقد انشغل إياس باشا بتنظيم شؤون البلدة وأعلن أهالي واسط والجزائر الخضوع والطاعة، ثم انتقل من وظيفته في بغداد وحل محله هاد باشا[2].

دخول العثمانيين للإحساء ويرافقهم عبدالله بن مانع بن راشد

بعد استيلاء العثمانيين على البصرة اتجهوا لاحتلال الإحساء، وأشارت الرواية البرتغالية إلى أن سيطرة العثمانيين على الإحساء تمت بواسطة قوات عثمانية اتجهت من البصرة إلى الحسا عن طريق البر، وذلك بتعليمات من محمد باشا أمير إيالة البصرة، وتشير إحدى الوثائق البرتغالية إلى أن الشيخ عبدالله ابن حاكم الإحساء السابق (مانع آل مغامس) كان مرافقاً لتلك منذ تحركها من البصرة. وأنه قام بدور مهم في سرعة تحرك الحملة وتهيئة المناخ لها عند وصولها للمنطقة

ومن المحتمل أن عبدالله كان ضمن القوى المحلية التي ناصرت العثمانيين أثناء صراعهم مع الشيخ يحيى في سبيل الاستيلاء على البصرة، خاصة أن يحيى كان منافساً قوياً لمانع والد عبدالله، ونجح في عزل مانع عن زعامة البصرة والتولي بدلاً عنه[3].

قرار العثمانيين تسليم القطيف لعبدالله آل مغامس

في رسالة من مانويل قبطان هرمز إلى دي كاسترو نائب ملك البرتغال في الهند بتاريخ يوليو ١٥٤٧م الموافق جمادى الثانية ٩٥٤هـ ذكر: إن محمد باشا قرر الاستيلاء على القطيف وتسليم حكمها لأمير عربي والمقصود به هو الشيخ عبدالله (عبيدالله) بن مانع

عودة القوات العثمانية إلى البصرة

بعد أن تمكنت القوات العثمانية من بسط سيطرتها على الإحساء سنة ٩٥٤هـ ١٥٤٧م عاد جزء كبير

---

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص١٣٢

(٢) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي تم طبع هذا الكتاب سنة ١١٤٣هـ، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص٢٠١.

(٣) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص١٣٢

منها إلى البصرة في حين تم تعيين الشيخ عبدالله بن مانع أميراً على الحسا من قبل العثمانيين، وترك تحت تصرفه (١٥٠) عسكرياً عثمانياً وذلك لتعزيز سلطتهم في الحسا، ولحفظ الأمن والنظام، وتشير المصادر التاريخية بأن تلك القوة العثمانية من الأتراك المرتزقة الذين استأجرهم الشيخ عبدالله لمساندته وأنها فيما يبدو من طائفة المتطوعة أو المتفرقة التي كان يتم تجنيدها لحماية الأمير وفرض النظام، وأن تلك القوة رابطت في قلعة الهفوف قاعدة المنطقة[١].

أخذ قوافل عنزة على اللصافة

في سرد المؤرخ ابن بسام لأحداث سنة ٩٥٣هـ يذكر تعرض قوافل عنزة الخارجة من البصرة لهجوم على اللصافة استولت فيه هتيم وزغب وسبيع على قوافلها التموينية[٢]، ويعد هذا الخبر من الأخبار النادرة عن قبائل المنطقة الشرقية الذي نتعرف من خلاله على بعض منها.

عنزة تغزو العوازم وزغب على ثاج

٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م في هذه السنة ((صبحوا عنزة العوازم وزغب على ثاج[٣] وأخذوهم وقتلوا منهم عدة رجال))[٤].

وقوع القطيف والإحساء تحت الحكم العثماني المباشر

٩٥٧هـ قرر المجلس الوطني السلطاني باسطنبول التحول من سياسة التهدئة مع البرتغاليين إلى سياسة المواجهة الشاملة، فوصل إلى البصرة سعيد بن أحمد بن عبدالله cide amede Bedola أحد أعيان الإحساء وأعلن بصفته الشخصية وبوصفه ممثلاً للأهالي والأعيان عن مساندته للجهود العثمانية المعدة لطرد البرتغاليين من القطيف والبحرين، ومبدياً استعداده المسبق للإسهام في الحملة بإمكانياته المالية والبشرية، وكانت هذه الثورة الكبرى التي أثارها أهل القطيف بالتعاون مع شيخ الإحساء عبدالله بن مانع[٥] الذي كانت له صلة وثيقة بالعثمانيين وله موقف واضح ضد البرتغاليين وحلفائهم في القطيف والبحرين.

وتوجهت القوات العثمانية الإضافية بقيادة محمد بيك إلى الحسا بتأييد من أهالي الإحساء وتنسيق

---

(١) المصدر السابق ص١٣٤

(٢) تحفة المشتاق، مخطوطة بيد صاحبها ابن بسام ت١٣٤٦هـ تقريباً.

(٣) قال الكولونيل لويس بيلي في رحلته التي قام بها عام ١٨٦٥م ١٢٨١هـ حكى لي صحبي عن خرائب حصن يسمى ثاجاً... وذكروا أن ثاجاً كانت في الأيام السالفة المدينة الرئيسية في الإحساء، وبأنها كانت مشيدة بالحجارة البيضاء الكبيرة، وأفادوا أن أساساتها ما زالت بادية للعيان على طول يناهز الميل وعرض نصف الميل تقريباً. وما زالت بالجوار توجد بعض الخرائب وآبار ماء ويبدو بعد ذلك أن بلدة كبيرة ومزدهرة تسمى Dua قد قامت مؤخراً على مقربة من ثاج.

(٤) تحفة المشتاق، مخطوطة بيد صاحبها ابن بسام ت١٣٤٦هـ تقريباً.

(٥) القوى السياسية في كوت الإحساء-يوسف جعفر سعادة ط٩٧ ص٢٤٧.

مسبق معهم. وتشير المصادر إلى أنه قد تم عزل محمد باشا Mamede Baxa أمير أمراء إيالة البصرة، وتكليف بيرم بيك Barom Beqe أحد أمراء ألوية ايالة البصرة بإدارة الإيالة مؤقتاً ريثما يصل قباد باشا Cobade Baxa أمير أمرائها الجديد وتم توزيع تلك القوات على عدد من المواقع الداخلية في الإحساء[1].

وفي هذا الوقت قامت القطيف بطرد حاكمه و ستنجدت بالأتراك الذين في البصرة لحمايتها من البرتغاليين[2]، فتحركت في صيف ١٥٥٠م أواخر سنة ٩٥٧هـ من البصرة حملة بحرية عثمانية بقيادة مراد بيك، مكونة من ست سفن قوستا Fusta على متنها حو بي (٢٠٠) جندي وقامت بمحاصرة القطيف عن طريق الساحل، بينما تولت قوة عثمانية بقيادة أمير الإحسه عبدالله بن مانع قادمة من (موقع قريب) قوامها (٥٠٠) مقاتل بمهاجمة المدينة ومحاصرتها من البر، وقام العثمانيون بإمداد الشيخ عبدالله برماة البنادق وإسناده بقوة بحرية ويبدو أن ذلك قد تم وفق تخطيط مسبق مع أهالي القطيف، مما أقنع حاكم القطيف التابع للبرتغاليين بعدم جدوى المقاومة وتكللت الخطة بنجاح غير متوقع نظراً لقيام وزيرها بتسليمها ومغادرة المدينة، وقام الأهالي المتذمرون من حكم البرتغاليين وتعسف قادتهم بتسليم قلعة المدينة للقوات العثمانية[3]. وقد أعقب ذلك قيام الرئيس مراد قائد القوة البحرية العثمانية بتولي مقاليد السلطة في المدينة مباشرة مما يعني تجاهله للشيخ عبدالله بن مانع المصلي وأحقيته بحكم القطيف لا سيما وأنه بذل جهداً كبيراً ورئيسيًّا من أجل الاستيلاء عليها فكان طبيعيًّا أن ينسحب إلى الإحساء ويقطع صلاته بهم[4]. ويبدو أن تصرف مراد بك غير مرض للأهالي حيث إن أهل القطيف أخرجوه بعد ذلك وتعقبوه إلى شط العرب[5]، ويذكر أن الزعيم المناصي عبدالله بن مانع قد تحالف مع البرتغاليين في حملتهم على القطيف في سنة ٩٥٧هـ، ثم انقطع أي ذكر له بعد هذه الحادثة[6].

محمد باشا (فاتح باشا) أول حاكم عثماني على الإحساء

ذهبت القطيف من يد آل مغامس وبعدها الإحساء هي الأخرى تذهب من أيديهم بعد أن عُيِّن محمد باشا (فاتح باشا) حاكماً عليها وهو يعتبر أول أمير يتم تعيينه حاكماً على الحسا، من داخل المؤسسة الإدارية العثمانية، وقد عين محمد بكي في البداية بصفته أمير لواء الإحساء (الحسا سنجاغي بكي) ثم تم ترفيعه إلى رتبة أمير أمراء (بكلربكي) ومنح لقب الباشوية وهو على رأس العمل في الإحساء وذلك إثر تحول الحسا في التنظيم الإداري إلى إيالة (الحسا إيالتي) سنة ٩٦١هـ ١٥٥٤م[7].

---

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص١٣٤- ١٣٧.

(٢) قرون من تاريخ العراق الحديث- لونكريك، للعربية جعفر خياط ط٣/١٩٦٢ ص٤١.

(٣) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص١٤٦.

(٤) تاريخ الاحتلال البرتغالي للإحساء لعلي الدرورة

(٥) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لونكريك، للعربية جعفر خياط ط٣/١٩٦٢ ص٤١.

(٦) بنوخالد وعلاقتهم بنجد للوهبي.

(٧) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٢١٤

العثمانيون ينتقمون من أهل القطيف بمهاجمة مسقط!!

بعد أن احتل مراد بك القطيف وأخرجه أهلها وتعقبوه إلى شط العرب، قام الترك بمجازاة أهل القطيف بسبب إخراجهم لمراد بك، بأن غزوا مسقط وقشم وهددوا هرمز، فقطع رأس هذه الحركة بيربك في استانبول. ولم يستطع خلفه مراد بك أن يحرز شيئاً، وقد دحر قائدٌ بعده يدعى علي جلبي في موقعة سنة ١٥٥٣م (٩٦١هـ) على أن التهديدات بقيت موجهة نحو المراكز البرتغالية[١].

نزوح بعض أهل القطيف إلى أوال بسبب النعرة الطائفية التركية

يقول صاحب كتاب ساحل الذهب الأسود: ((يبدو أن الأتراك أبدوا نعرة طائفية بعد استيلائهم على القطيف فنزح كثير من أشرافها إلى جزيرة أوال وعلى رأسهم آل مقلد من بني وائل ومنهم شيخ القطيف الأكبر أبو علي عبدالله بن ناصر بن حسين بن مقلد المتوفى سنة ٩٩٩هـ)). وفي أثناء مسح وتعداد سكان لواء القطيف سنة ٩٥٩هـ تمت الإشارة في نهاية ذلك المسح إلى أن بدو عرب طائفة ذلك اللواء هم طائفة العماير. ومنهم: جماعة آل ماجد شيخهم شبيب والشيخ عساف، جماعة آل مبارك شيخهم علي بن هاشم، جماعة آل مانع شيخهم قاسم بن شبلي، جماعة آل أبي الدلف[٢]، جماعة آل توبة شيخهم سالم بن راشد، آل ممدع، وكذلك طائفة آل نقبان ومنهم جماعة آل علي شيخهم موسى بن محمد، جماعة ابن يزيد[٣]

تقسيم البصرة إلى ثمانية سناجق وثلاث نواح

في سنة ١٥٥٢م تحولت البصرة إلى إيالة (ولاية) عثمانية، وقسمت إلى ثمانية سناجق، وثلاث نواح، وهذه السناجق هي: البصرة (مركز الإيالة)، شرش، عراف، صدر سويب، ركية، محرري، قبان[٤]، قطيف. والنواحي هي: عشار، ناحية شمال جلق[٥]

الغارات البرتغالية تدمر القطيف وتصل البصرة

٩٥٩هـ- ١٥٥٣م يبدو أن القطيفيين كانوا ثوريين إلى درجة أنهم كلما وُلِّيَ عليهم حاكم ليس منهم قاموا بطرده، فبعد طردهم للحاكم التركي مراد بك قاموا أيضاً بالتنسيق مع الأتراك بطرد الحاكم الهرمزي الذي عين بعد أن سقطت بلادهم في يد البرتغاليين، ولهذا السبب استاء حاكم جزيرة هرمز، بسبب طرد الحاكم الهرمزي على القطيف الذي قام بمناشدة البرتغاليين بمساعدته، فجهز في الهند أسطولاً مؤلفاً من

---

(١) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: لونكريك، للعربية جعفر خياط ط٣/١٩٦٢ ص٤١.

(٢) بالنسبة لجماعة أبو الدلف فقد ذكر فضل الله العمري في زمنه بأن صدقة بن إبراهيم بن أبي دلف الأمير الحالي لبني مانع بن عصفور أو على أنهم أبناء عمومته وذكر أنه من أمراء المرتبة الأولى في المخاطبات وقد ذكرناه في موضعه من الكتاب.

(٣) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية لوهبي ص ٣٣٨ نقلاً عن مهمه دفتري٢٨٢ ص٣٤٠، أوائل رجب ٩٥٩هـ.

(٤) قبان: تقع على المصب الرئيسي لنهر الكارون وهي سوق تجارية هامة، ومركزاً لمنطقة مرورية جيداً.

(٥) م.دراسات الخليج ع٣٥ السنة التاسعة-التعيينات الإدارية العثمانية في إيالة البصرة، علي شاكر علي ص١٢٩

١٩سفينة تقل (١٢١٠) رجال بقيادة أنطونيو دي نورها وأُرسل إلى القطيف واستطاعت الحملة البرتغالية بموازرة حملات الموالين لشيخ هرمز أن تطرد لأتراك من القطيف بسرعة[١]، بل وتدمير المدينة وتسويتها بالأرض[٢]، إذ قام المهاجمون بأعمال انتقامية إذ عمدوا إلى هدم الحصون والقلاع ثم منها توجهوا إلى البصرة، لكن قائد الأسطول البرتغالي حشي الحيانة فلم تطل إقامته في البصرة[٣] وقيل خدعهم واليها الباشا وأقنعهم بالرجوع.

الحملة العثمانية الثانية على الإحساء

٩٦٠هـ- ١٥٥٣م. ذكر في أواخر هذه السنة قيام حملة عسكرية عثمانية ثانية على الإحساء بقيادة محمد باشا ونجحت هذه الحملة في احتلال الإحساء، وذكر الأستاذ علي الدرورة أنه لم تتوافر أية معلومات بخصوص الحملة العثمانية أو تاريخها أو الأحداث التي رافقتها إضافة إلى موقف حاكمها الشيخ عبدالله (عبيدالله) بن مانع بن راشد المفضلي لكن من المرجح أنه اتجه إلى اليمامة حيث ممتلكاتهم في معكال[٤].

تعيين مسعود بن حميد أميراً على بعض بلاد العارض ونجد

عندما احتلت القوات العثمانية الإحساء وفرضت سيطرتها على جميع أنحاء المنطقة احتاجت إلى تأمين طريق سير القوافل من الشرق إلى الغرب مروراً بالأراضي النجدية، وكان وسط نجد عبارة عن صحاري ممتدة، بعيدة عن الممرات المائية وطرق الملاحة البحرية التي تقل كبار السفن الحربية، وكان من الصعب وضع الحاميات التركية بها فأرادت ترك هذه المهمة لمن يقع عليه الاختيار من القبائل القوية، لذا وقع الاختيار على فئة آل حميد المتاخمين لمكة المكرمة وتم إنزالهم في وسط نجد لحفظ الأمن في وسط الجزيرة الثاني.

وذكرت وثيقة عثمانية تم كشف النقاب عنها مؤخراً مذيلة بتاريخ ١٠ محرم ٩٦١هـ الموافق (١٦ ديسمبر ١٥٥٣م تقريباً) أنه: ((قام العثمانيون عن طريق أميرهم في الإحساء محمد أمير (بك) بتعيين مسعود[٥] بن حميد أميراً على بعض بلاد العارض ونجد كالعيينة، ومعكال، ومنفوحة، وحريملاء، والقصب، بمبلغ وقيمته (٣٠٠,٠٠٠) أقجة، إلا أنه لم يستمر طويلاً بسبب قيامه بثورة على العثمانيين، عندئذٍ صدرت الأوامر العثمانية للأشراف في هذه السنة ٩٦١هـ بوضع البلاد النجدية من بين الأقاليم التي تكون تحت حمايتهم))[٦].

---

(١) السجل التاريخي للخليج القسم التاريخي المجلد الأول - لوريمر ت١٩١٤م طبعة جامعة قابوس ص٦.

(٢) القوى السياسية في كوت الإحساء-يوسف جعفر سعادة ط٩٧ ص٢٤٧

(٣) السجل التاريخي للخليج القسم التاريخي المجلد الأول - لوريمر ت١٩١٤م طبعة جامعة قابوس ص٦

(٤) تاريخ الاحتلال البرتغالي للإحساء لعلي الدرورة

(٥) نعتقد أنه مسعود بن ربيعة آل حميد جد الشيخ (براك بن عرير بن عثمان) بن مسعود بن ربيعة آل حميد.

(٦) قوافل الحج المارة بالعارض لراشد بن عساكر ط١/٢٠٠٥ الرياض دارة التاج ص١٢

بدء حكم الشريف حسن الذي صارت البلاد النجدية تحت ولايته

٩٦١هـ في هذه السنة تولى الحكم في مكة المكرمة الشريف الحسن بن أبي نمي محمد وكان عمره حينئذٍ ثلاثون عاماً، وأمه هي فاطمة بنت يسار بن عفنا بن وبير بن محمد بن عطيفة بن أبي نمي محمد[1]، وفي عهده صدرت إليه الأوامر بأن تكون مسؤولية الأمن في نجد من اختصاصه، فبهذا السبب بلغ اتساع أراضيه مساحة هائلة، فقد ذكر السيد ضامن بن شدقم نقلاً عن جده أن الشريف حسن كان يحكم: ((من مكة إلى خيبر شمالاً ثم إلى الإحساء شرقاً وإلى اليمامة وسط نجد إلى العقيق في الجنوب الشرقي من مكة إلى ملل)) وذكر قصيدة نقتطف منها الآتي:

دان الشريفين خوفاً من بواتره ... ودان خيبر مع خرج ومعكال

من العقيق إلى جرف العباس بالجمـ ... الى الجعيما إلى مهراس فالمال

الى العريش إلى فرش إلى ملل ... لى الحنايا إلى بيداء دجال

الى الحب إلى وادي السقيع الى ... يربم به الريم أجوالاً مع أجوال

الى غراب إلى حرم النواعم فالعبلا ... الى الويرات أصفى مورد المال

وتارة من حمى الوادي إلى حسن ... مع دار شمر بطنان وأجمال

وقد استمر الشريف حسن بالحكم إلى سنة ١٠٠٨هـ حيث تولى ولده أبو طالب، وقد توفي حسن سنة ١٠١٠هـ في فارعة أقصى نجد بعد وصوله إليها بأقل من ٥٣يوماً فحمل إلى مكة، وقبر بالمعلى[2]

قطع آل حميد وآل غزي طريق حجاج العراق

٩٦٢هـ على الرغم من أن الأتراك أرادوا من إنزال آل حميد في نجد وتقويته بالمال والسلاح أن يكون عوناً لهم لا عبئاً عليهم، إلا أن المصادر تذكر أن ابن حميد بعد أن منحته السلطة التركية ثقتها ثار في البلاد ولا نعرف سبب ثورته فلعل لديه من الأسباب ما يبررها، ومن مظاهر هذه الثورة قطعه طريق الحاج العراقي فقد ذكر الجريري نقلاً عن بعض خواص حمزة بن إسكندر أمير الحاج العراقي عن السبب في

= نص الوثيقة الأصلي من كتاب فوائد الحج لابن عسكر ((عرض محمد بك، نحمة(الإحساء) بكي، بأن القرى التي تعرف بأسماء عيبة(عيينة) وتمرة(لعلها عرقة) ومعكال ومنفوحة رفصة وجريمة(حريملاء) في الولاية المذكورة بأن تعطى كسنجاق لشيخ مسعود(سعدون) من الأعراب المشهورين بني حميد (القاطنين) أطراف مكة المشرفة (وبذلك) فإن العرب الموجودين إلى الكعبة لن يكونوا قادرين على إلحاق أضرار (بالولاية) وقد منح (السنجاق) بـ٣٠٠،٠٠٠أقجة)) انتهى كتبت هذه الوثيقة بتاريخ ١٠محرم٩٦١هـ المصدر الكنذري فيصل، العرب ج١١، ١٢ الجماديان ١٤٢١هـ ص٥٣٢

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار: لضامن بن شدقم ج١ ص٥٢٣

(٢) المصدر السابق

=

تأخير الحاج العراقي بالجمل فذكروا ((أن السبب في ذلك عدم الأمن من الطرقات من عربان آل غزي وشخص من مفسدي العربان يدعى بابن عجل ومن ابن حميد من عربان نجد))[1].

استعادة الجبريين الحكم على يد مقرن بن غصيب

قال أ. خالد بن أحمد الفريدة (باحث آثار سعودي) أن الجبريين استعادوا الحكم لأنفسهم في سنة ٩٦٣هـ على يد مقرن بن غصيب، في ((فترة النزاع بين بن مغامس والعثمانيين))[2]. وهذا القول يجرنا إلى احتمالية أن يكون المقصود في النص السابق للجريري عندما ذكر ثورة عربان آل غزي أن المتزعم لهذه الحركة هو أحد أفراد أسرة آل مغامس لا سيما الموجود في معكال منهم، وأن هذا الزعيم الفضلي جذب ابن حميد وابن عجل إلى صفه في هذه الثورة، التي أراد من قيامها إعادة سلطته على المنطقة.

فإذا كانت هذه السنة التي حددها الفريدة على أنها السنة التي استعاد فيها الجبريون سلطتهم على المنطقة فأين نذهب من قول الدكتور عبدالكريم الوهبي عندما قال تم ((تعيين مصطفى باشا أميراً لأمراء إيالة الحسا خلفاً لأمير أمرائها الأول محمد باشا في النصف الثاني من سنة ٩٦٣هـ تقريباً إلى سنة ٩٦٥هـ))[3]، ثم ذكر أنه في النصف الثاني من سنة ٩٦٥هـ تم تعيين مصطفى باشا أمير أمراء على إيالة الحسا!!، فأين ومتى وكيف حكم الجبريون الإحساء؟

قصيدة الكليف في الأمير مقرن بن قضيب بن زامل بن هلال

قال الصويان في كتابه الشعر النبطي آخر شاعر من شعراء الدولة الجبرية يصلنا إنتاجه شاعر تكتب بعض المخطوطات اسمه الكليف وبعضها تكتبه الخليف...، وقصيدته على وزن الرجز في مدح مقرن ولد قضيب تنيف على مائة بيت:

١- زهت الديار بحسنها وجمالها	واستبشرت بالعز روس رجالها
٢- وبها القلوب اطمأنت بعدما	كثرت وشاة السو في نزالها
٩- ولي إمام في الديار وقد طمى	بالعلم بحر من بحور ظلالها
١٠- بالعدل وإصلاح العشيرة بعدما	كثرت وشاة السو بين رجالها
١٤- إلى غريري من أولاد المصف	راعي عطايا ما يمن إجزالها
١٥- شيخ العشيرة مقرن راكي الوفا	حمال من جل الخطوب أثقالها
١٦- قد شاف بالأعمام ما لا يرتضى	بالدر واقفي راهد بأعمالها[4]

---

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجريري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج٢ ص١٢٩٠.

(٢) مجلة الواحة السعودية الصادرة ببيروت في ع٣٠ سنة ٢٠٠٤م ص١١٥.

(٣) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٢١٥

(٤) يقول الصويان. ويعلق الحميدان على البيت (١٦) بقوله ((يفهم من ذلك أن بلاد الجبور كانت تحكم من قبل عدد من أعمام مقرن وأن حكمهم كان غير مرضي محرضه الشاعر على الثورة ضدهم)).

١٧- متسلسل عن ديرته وأصحابه ... خرف القطيعة بالصديق وقالها
١٨- حتى بقي الطراش يتعب بينهم ... يسعى ويشكي ما جرى في حالها
١٩- ويقال ياستر العشيرة قد بقي ... قطع بأيدي الظالمين أوصالها
٢٠- فأجاب كالحر القطامي جارد ... من شوفته زريقة يدعى لها
٢١- حول محل الملك فانقادت له ... أهل الشروق وغربها وشمالها
٢٢- بالسيف حل الدار كره والقنا ... وبنى بيوت المجد فوق حلالها
٤٤- يابو مبارك لا بليت بسية ... يا ستر بيض قد ذهلن دلالها
٥٦- فإن كنت ذو حلم وعقل كامل ... و طبيعة ترها بحسن جمالها
٥٧- فارتد لحكمك من حكومة غيرك ... نور على نور يصير أزكى لها
٦٠- والمهلكات إعجاب إمر برأيه ... ودخوله القالات ما يعيا لها
٦٥- وابعد عدوك عن محل نلته ... فالنفس لا بد البلا يغتالها
٦٦- واحذر عدوك لو تسيد عندك ... لو قال هاك من الوعود أثقالها
٦٨- واحذر عدوك لو صفّى لك وجهه ... عنده يرجوى حيلة يحتالها
٦٩- يعطيك بالراحات أقوال وهي ... شروى سراب طافح في لالها
٧٠- وبشاشة بالوجه مثل ركيبة ... سراقة بالمسا هيار جالها
٧٢- على زلعت رجلك وحل بها القضا ... فادر إن الأخرى عالسها من حالها
٧٣- واعرف بأن الطير سعده ريشة ... وإن قص ما له حيلة يحتالها
٧٥- ومن لا ينال معزة برفيقه ... نال المذلة دقها وجلالها
٧٦- فإن كنت تبغى ملك هجر صادق ... فاضرب بحد السيف روس رجالها
٧٧- واجعل قديمي في محل مقدم ... وأهل الشروقات استمن بأموالها[1]
٩٢- الدار شروى زينة معشوقة ... كل البرايا مشتهين وصالها
٩٣- فإن حارها بعل غيور حفظها ... في موضع ما رامها من نالها
٩٤- وإن عدمت البعل الغيور تلطمت ... بعد الجمال تأزرى حالها
٩٥- وإلى وليت كن حفي رهف ... فالنفس لابد الإله يسألها
١٠١- جت من فؤاد ناصح بمحبة ... ما هوب محتاج بريد نوالها
١٠٣- وأنا بحالات الصديق مساعف ... إن شحت أولاد العمام بمالها

(١) أورده العاثم هكذا: ((واجعل جديمه في محل مجدّم،،، وأهل الجنوب فاستمن بأموالها)). راجع: خيار ما يلتقط من الشعر النبط للحاتم في الطبعة الثالثة ١٩٨١م الجزء الأول ص٥٨.

حرب أمير المدينة مع أبناء عمومته وعدد من القبائل وهجوم الشريف نحو شمر

٩٦٣هـ قال العاصمي: ((في عام ثلاث وستين من القرن العاشر كان أمير المدينة المنورة مانع الحسيني، وكان من أجلّ الأمراء قدراً وأرفعهم ذكراً، بلغ بمصاهرة موالينا وسادتنا حماة الحرمين محلّاً منيفاً رفيعاً وعزًّا منيعاً وشوكة قاهرة وحرمة وافرة.

وكانت عادة أمراء المدينة السابقين يسمون لبني عمهم من السادات بني الحسين ولعربان عَنَزة وصفير ونحوهم مواجب ومرتبات من الأموال الجزيلة والحبوب والأقمشة الجليلة، فمنعهم من ذلك الأمير مانع استخفافاً بهم وعدم مبالاة، فجمع كل من الطوائف المذكورة جماعة وحضر معهم. فأما السادات الأشراف آل نعير فمقدمهم الأمير منصور بن محمد - بن جامع - أمير المدينة المنورة، وابن أميرها سابقاً. وأما السادة الأشراف من آل جمز فمقدمهم أولاد مولانا جماز. وأما طائفة العربان فمقدمهم الشيخ المعروف بأبي ذراع وغيره من أكابرهم.

فلمّا خرج ركب الحاج المدني على عادتهم أواخر ذي القعدة[1] وأصبحوا بـ ((وادي الفريش)) صبحتهم الطوائف المذكورة في جمع من الأشراف عظيم، ومن العربان بخيل وركاب مع اللبوس والرانات وأحاطوا بالركب جميعه، وكان في الركب الأمدي الأعظم عبدالرحمن قاضي المدينة، والجناب العالي الأمير محمد بن حسن وشيخ الحرم المدني وأعيان المدينة من وجوه العرب، وسادات بني الحسين، مكان موقفاً شنيعاً، ومنظراً قبيحاً وقع فيه قتل وسلب وطعن وضرب وأهل الركب محرمون والطوائف المذكورة مجرمون.

وسلم أعاظم الركب وأعيانه، ثم انصرفوا بعد أن التزم لهم القاضي، وشيخ الحرم المذكوران بحصول مواجبهم وعادتهم، فلمّا وصل الخبر بذلك إلى الشريف حسن سكت على ذلك مطمئناً خواطر الحجاج، حتى انقضت أيام المناسك ثم أرسل سرية من الشجعان الفرسان وأمر عليهم السيد عجل بن عرار برسم حماية الركب المدني إلى وصوله المدينة، ثم يستمرون بها حفظاً لها.

ثم بعد ذهاب الحجيج من مكة نادى بالمسير إلى غزو الطوائف المذكورة، فخرج بذاته العزيزة في عسكر جرار.... فلمّا بلغهم أن الملك المنصور الهزبر المعروف المشهور قصد اللحوق بهم على كل حال، شمروا نحو شمر، وهربوا إلى رؤوس الجبال، فقصدهم إلى منازلهم ومساكنهم، وخرب شمر المذكور، لأنه من أمنع مواطنهم ثم قبض على أعيان الطوائف المذكورة الذين شنوا الغارة وكبل أشرافهم بالجنازير الحديد ودخل بهم وهم أسرى بين يديه مدينة جده السعيد ﷺ))[2].

---

(١) أكتوبر ١٥٥٦م تقريباً

(٢) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٣٧٤.

قال خالد عبدالمنعم العاني ((بعد أن انقضت مناسك الحج قام الشريف حسن بن أبي نمي بتجهيز العساكر للّحاق بعرب الصفير وعنزة التي يقودها أبو ذراع ومن معهم من الأشراف من آل حسين وآل نعير وآل جماز فشمروا نحو =

قال الشيخ نور الدين علي الشهير بالجم يهني الشريف حسن بالظفر في غزوة جبل شمر وإيقاعه ببني لام وذلك سنة ٩٦٤هـ:

١- كَيْفَ يَكْفِيكَ مِنْ دَمِ الأبطالِ ... ما أسالَتْ لَكَ الظُّبَا والعَوَالِي

٢٣- وَأَسَالَتْ فِي الشَّرْقِ سَيْلَ نَجِيعٍ ... سار في الغَرْبِ بالرَّواسِي الثِّقَالِ

٢٤- وَسَبَتْ حِلةً وحَلَّتْ محلاً ... قَصُرَ البَدْرُ عَنْهُ فِي الاتِّصَالِ

٢٥- ما بنو لام ما قبائل نجد ... م لِقَاه المرسان والأبطال

٢٦- إن هُمُ في لقاك إلا (........) ... بمخاليب الأسد والأشبالِ

٢٧- جَعَلَتْهُمْ نُزَّانَكَ الشُّهبُ طُعْماً ... حِينَ مَزَّقْتَهُمْ بِرَشْقِ النِّبالِ[1]

غزوة الشريف ابو نمي لبني لام والظفير

٩٦٥هـ فيها ((غزا السيد أبو نمي بن بركات طائفة بني لام والظفير وكانوا أخذوا قافلة المدينة زمن موسم٩٦٢ فظفر بآل ظفير وقبض على شيخهم (أبو ذراع) وتمزقت طائفته ونشتت بنو لام وتمزقوا كل ممزق في أطراف الحسا وتتبع آثارهم وهذه أول غزوة غزاها وحده ومعه أخوه السيد ثقبة))[2].

معركة بين عنزة والظفير على المستوي

٩٦٦هـ ((في أيام الربيع على المستوي تناوخت عنزة ومعها مدعم آل مسعود وراجح بن مشي من شمر مع الظفير بادي الفرم ومذال بن مصيان وجحنت سبيع والسهول لنجدة الظفير وصارت الهزيمة على عنزة وأتباعهم ومات من سبيع المشهور شارع الصيفي وفهد بن سرور المليحي ومن السهول كربوين بن عمهوج شيخ الرقاعين ومن الظفير حمدان بن سويط وشحموط بن خلاف ومن شمر مدعم آل مسعود وحاضر بن مشهور وخلف بن عطية))[3].

فشل حملة عثمانية في تحرير البحرين بسبب الدعم الإيراني والبرتغالي

(٩٦٦هـ تقريباً) ١٥٥٩م قال لوريمر: ((اتجه أسطول تركي مكون من سفينتين كبيرتين و٧٠ مركباً شراعيًا على ظهره (١٢٠٠ تركي وإنكشاري)[4] لمهاجمة البحرين وقام الرئيس مراد الذي كان في مركز

= جبل شمر وتحصنوا في حصن شمر وباقي الحصون في أعالي جبل أجا واستطاع الشريف حسن أن يشتت شملهم ويهدم هذه الحصون ومنها حصن شمر)). راجع آل الجربا ومشاهير قبيلة شمر في الجزيرة العربية لخالد عبدالمنعم العاني - راجعه وقدم له الشيخ عبدالكريم مشعان الفيصل الجربا - الدار العربية للموسوعات ص٥٣.

(١) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٣٨٧، والقصيدة أربعون بيتاً ولكن اخترنا منها هذه الأبيات.

(٢) درر الفرائد المنظمة.

(٣) تحفة المشتاق تحقيق إبراهيم الخالدي.

(٤) الإنكشارية: مهمتها حماية الولايات، وتقيم في القلاع العسكرية والمدن. أصلها يعني شارية ومعناها الحرس =

الحكم هناك باسم شيخ هرمز بطلب النجدة من الشيخ ومن البرتغاليين، وسرعان ما تحرك أسطول برتغالي إلى مكان الأحداث ولدى وصوله قام بمساعدة الرئيس مراد وثلاثمائة فارس مسلحين تسليحاً جيداً بالهجوم على الأتراك الذين كانوا يحاصرون القلعة الرئيسية. فاستدرج الأتراك البرتغاليين إلى كمين وألحقوا بهم خسائر فادحة حيث بلغ قتلاهم ٧٠ رجلاً، وأخيراً وبعد تلقي الحلفاء الإمدادات من هرمز اضطرت القوات التركية بالبحرين إلى الاستسلام وسمح لهم بالانسحاب بعد تسليم أسراهم وسلاحهم وخيلهم ودفع مبلغ عشرة آلاف دوكة))[١].

ثورة بني خالد بزعامة الشيخ سعدون وادعائه بملكية الإحساء

وفيها على قول الوهبي: ((ثار بنو خالد بعد شعورهم بضعف العثمانيين وقلة جنودهم في المنطقة على إثر حملة الإحساء الفاشلة على البحرين وما أدت إليه من أسر حاكم الإحساء مصطفى ومعظم جنوده سنة ٩٦٦هـ/١٥٥٩م وقد تمكن بنو خالد بزعامة سعدون في ثورتهم تلك من الاستيلاء على أجزاء عديدة في المنطقة وجعلوا المبرز مقرًا لحكمهم وحاولوا ضم بقية المنطقة والاستيلاء على قلعة الإحساء ولكنهم فشلوا في ذلك))[٢].

((وكان سعدون حاكم اللواء – لواء الصحراء – قد ادعى ملكية الإحساء ووزع الأراضي على عشائره وأتباعه من البدو بختمه الشخصي وقد وضع يده على بعض القرى والأرياف، وقبض على عثمان حاكم لواء العيون المسؤول عن المقاطعة في غياب حاكمها العام وحسين الدفتردار بالإنابة أثناء مفاوضة سعدون لحل النزاع وطلب (٦٠٠,٠٠٠ أقجة) فدية لهما، وأعلن أن الإحساء بأكملها ملكاً له))[٣]

الأمر بالقضاء على كل من يؤيد أو يتعاون مع سعدون

٩٦٨هـ ٢٢ صفر – ١٥٦٠/١١/١٤م يقول الوهبي: ((حكم ضمن وثيقة بهذا التاريخ موجهة إلى حاكم عام الإحساء تتضمن أمراً من السلطان باستمرار سجن كل من عثمان بك وحسين دفتردار وتحصيل ما في حوزتهما من الأموال والأمر بالقضاء على كل من يؤيد أو يتعاون مع سعدون ومن بينهم أغا تكلو الذي حاول برجاله أيضاً إطلاق سراح المسجونين السابقين وإيصالهما إلى جهة سعدون وكذلك سلطان علي أمير لواء القطيف المتفق مع المتمرد سعدون بن حميد كما يرد تعويض السلطان لحاكم عام الإحساء بما يجب عمله مع أغوات القطيف المتعاونين مع الكثيرين والذين أكثرهم من العجم والأجانب، الأمر الذي يعني استمرار ثورة سعدون ومساندة القطيف لها حتى تاريخ الخطاب)).

- الجديد ويقوم هذا النظام على ضريبة الدم أي يقدم رعايا الدولة في أوروبا ضريبة من أبنائهم تقوم على خدمة السلطان والولاء له، يؤخذ الأطفال صغاراً ويربون في البلاط السلطاني تربية عسكرية ودينية.

(١) السجل التاريخي للخليج القسم التاريخي المجلد الأول – لوريمر ت١٩١٤م طبعة جامعة قابوس ص٧.

(٢) بنو خالد وعلاقتهم بنجد.

(٣) بنو خالد وعلاقتهم بنجد للأستاذ عبدالكريم الوهبي.

ولاية مانع على المدينة بعد عزل جماز

٩٦٩هـ في هذه السنة تم عزل الشريف جماز عن إمرة المدينة المنورة ووليها الشريف مانع، الذي اشتهر بالرفض، وسب الشيخين[١].

غياب الشريف أبي نمي في الشرق لمحاربة بني خالد

٩٧٠هـ يقول الجزيري. ((انقطع الحج من البصرة سبع سنوات أولها ٩٦٣هـ بأمر من السلطان خوفاً من العدو كما قيل، وذكر لي من أثق به أنه ضبط جمال أهل البصرة وعقيل وبني جبر فكانت ١٧ألف مطية.

وفي هذه السنة لم يحج الشريف أبو نمي بن بركات ولم يحضر الموسم لغيبته بالشرق، لحرب فئة تدعى بني خالد من طوائف عربان بني لام، ويقال إنه قطع أعناق نحو (١٥٠ منهم) واعتقل بعض أكابرهم، وزينت له مكة في شهر ذي القعدة))[٢].

هوشة بين عُقيل من عربان البصرة وقبيلة عدوان في مكة

((وكانت هوشة أيضاً يوم التروية بين عقيل وعدوان وحجز بينهما فعادوا إلى الهوشة يوم السبت عاشر ذي الحجة بوادي محسر المجاور لمنى، بسبب ذلك أن عربان عدوان لهم عادة على عقيل (بالصمة والسكون) من عربان البصرة جبانة على الجمال ومنعهم من المنحر فيقال إن عدوان طلبوا من عقيل عن كل جمل (٢٦نصفاً) فاجتمعوا بسبب ذلك. قتل فيها من عقيل نفران ونفر من عدوان))[٣]

ذكر محمد بن علي بن حدجة صاحب الرس

٩٧٠هـ (ذكر ابن بسام) إن محمد بن علي بن حدجة أقام عند بني خالد في عيرة وصار راعياً عندهم ورزق بأربعة أبناء وصار في غير وقت العمل دائم الجلوس عند بيته فلقبوه أبا الحصين ثم خرج منهم بأولاده واشترى بلدة الرس[٤].

الأوضاع السياسية في إيالة البصرة

٩٧٢هـ ذكر أن إيالة البصرة كانت في هذه الأثناء تتعرض لهجمات رجال البادية مما دعا بغداد إلى

---

(١) درر الفرائد المنظمة للحج

(٢) ذو القعدة ٩٧٠هـ يوافق يونيو ١٥٦٣م تقريباً

(٣) درر الفرائد المنظمة للجزيري.

(٤) تحفة المشتاق تحقيق إبراهيم الخالدي

المطالبة ((بإرسال التعزيزات المستعجلة للدفاع عن قلعة البصرة المحاصرة من قبل الأعراب المتمردين الذين عجزت القوات العثمانية في المدينة عن صدهم)) وذلك ٢٢شوال ٩٧٢هـ الموافق مايو ١٥٦٥م[١].

ومع بدء السنة الجديدة ٩٧٣هـ في محرم، الموافق ٤ أغسطس ١٥٦٥م تم تعيين فرج باشا أمير أمراء على البصرة، بعد أن كان يشغل منصب أمير أمراء إيالة الحسا خلفاً لغضنفر باشا المتوفى. وتولى محمد باشا إمرة إيالة الحسا بعد انتقال فرج باشا مباشرة[٢].

ولاية مظفر بن سلطان على عُمان

٩٧٣هـ في هذه السنة توفي سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان وتولى الأمر بعده ابنه مظفر بن سلطان، ولم يترك لإخوته رأياً في الأمر إلّا أنه لم تطل أيامه فمات وخلف ولداً صغيراً اسمه سليمان لا يصلح للقيام بأمر الملك، وكان فلاح بن محسن عم أبيه مالكاً لحصن مقبات وقد كان مظفر، عدلاً في ملكه وكانت مدة ملكه عشر سنين ثم مات وملك بعده سليمان بن مظفر[٣].

احتلال المنتفق للجزائر بقيادة ابن عليان

٩٧٥هـ على ما يذكر النبهاني فإن في هذه سنة. ((جمع ابن عليان جموعاً من أعراب المنتفق وأعراب الجزائر وسار بهم نحو الجزائر فاحتلها كرهاً فجهز والي بغداد الجنود وساقها نحو ابن عليان تحت قيادة إسكندر باشا، وكذلك حشد والي البصرة عساكره ووجهها نحو المذكور فطردوا ابن عليان))[٤].

معارك بين الدواسر والفضول

٩٧٦هـ وفيها ((أخذ الدواسر قوافل الفضول وهي خارجة من الإحساء في العرمة وقتل عدة رجال من الفريقين منهم: فلاح بن مصيخ من شيوخ الفضول. وفيها أغار آل غري من الفضول على أهل المجمعة ففزعوا عليهم ولحقوهم في المشقر فصارت الهزيمة على آل عزي))[٥].

نشأة بلدة الزبير

في سنة ٩٧٩هـ-١٥٧١م كان ابتداء نشأة وقيام مدينة الزبير عندما أصدر السلطان سليمان ابن السلطان سليم الثاني أن يقام فيها مسجد على ضريح الصحابي الزبير بن العوام، فشيد هناك مسجد

---

(١) بنو خالد للوهبي.

(٢) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٢٢١.

(٣) عمان عبر التاريخ للسيابي ج٣ صفحة١٥٦

(٤) التحفة النبهانية.

(٥) تحفة المشتاق لابن بسام تحقيق إبراهيم الخالدي

وأقيمت قبة على ذلك الضريح في شهر رجب من العام نفسه، فأخذ الناس يقصدون ذلك المسجد ويسكنون حذاءه وسميت المدينة باسمه (الزبير). وهي قائمة على آثار مدينة البصرة القديمة على مقربة من أرض واقعة الجمل، ويقول صبغة الله الحيدري. البصرة الجديدة تبعد عن البصرة القديمة مقدار ساعتين[1] ولا أعلم هل يقصد صبغة الله سيراً على الأقدام أم على الدواب.

٩٨٠هـ تناوخ الدواسر، وآل مغيرة على الحرملية مع آل مغيرة آل كثير، وسبيع، والسهول، ومع الدواسر آل مسعود من قحطان، وأقاموا في مناخهم أكثر من عشرين يوماً ثم صارت الهزيمة على الدواسر[2].

ذكر أمراء العارض الذين يسيرون الحجاج إلى الديار المقدسة[*]

٩٨١هـ في هذه السنة في الثامن من رجب بعث أمير الإحساء عثمان بكتاب إلى السلطان العثماني يذكر فيه بعض شيوخ نجد (من أمراء العارض) الذين يسيّرون الحجاج إلى الديار المقدسة وهم عيسى بن عثمان شيخ قلعة الدلم وإبراهيم بن موسى (من ربيعة سمريدي) شيخ قلعة الدرعية وحسين بن أبي اللوابطة شيخ قلعة السلمية وأحمد بن عطاء شيخ قلعة منهم وهؤلاء قاموا بتسيير الحجاج سنة ٩٨٠هـ وأجاب السلطان العثماني بتعيين هؤلاء الشيوخ وأن يسيّروا الحجاج في الطريق المسموح به.

تعيين سعدون حاكماً على المنطقة بشرط إقامة عشيرته بالإحساء

٩٨٣هـ في وثيقة عثمانية بتاريخ ٢٢ صفر ٩٨٣هـ الموافق ٢ يونيو ١٥٧٥م جاء الآتي: ((إلى إلياس حاكم عام الإحساء، لقد كتب لنا سعدون أحد شيوخ البدو بأنه كان مستقراً في الصحراء ولا يقترب من المناطق المأهولة ولم يقم بالاتصال بأية قلعة تابعة لأي حاكم عام، ولكن بما أنك يا إلياس رجل واضح فإنه أتى لك بكل قبائله وأهله وسلم لك عن طيب خاطر وذلك لأنه يثق في عدلكم وشهامتكم وقد كتبتم لنا بولائه وطلبتم منا أن نعينه في المنطقة التي يحكمها أخوه.

الأمر: أنيطوا به حكم المنطقة كما عليكم أن تصرفوا لأخيه ٤٠ أقجه في الأسبوع تصرف من الخزينة))[3].

قال الوهبي: ثم جاء في حكم موجه إلى حاكم عام بغداد في ٢٦ شعبان ٩٨٣هـ ٤/١٢/١٥٧٥م أن

---

(١) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد إبراهيم فصيح ابن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي دار الحكمة ط١/ ١٩٩٨م ص١٥٨.

(٢) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج٢ ص٤٨٨.

(*) عن هذا النص الصغير ألف الأستاذ راشد بن عساكر كتاباً يتناول شرح جميع جوانب هذا الخبر، وأسماه (قوافل الحج المارة بالعارض)، وهو كتاب مفيد، وأرى أن المناطق المذكورة تقع في طريق حجاج الإحساء في ذلك الوقت.

(٣) بنو خالد للوهبي.

ابن حميد من أعيان العرب وقد تم توجيه لواء إليه في الاحساء بماتي ألف أقجة في السنة، بشرط أن يقيم في الإحساء مع عشيرته ويقوم بمهمة حفظها وحراستها من أشقياء البدو، وأن سعدون يهمل ويتراخى في أداء واجبه هذا، وقد نص الحكم في النهاية على أن يوجه والي بغداد خطاب استمالة وترغيب إلى سعدون لحثه على القيام بما أسند إليه من واجبات، ومع هذا فلم يتقيد سعدون بتلك التعليمات بل بدا أنه يتمتع بنفوذ واسع يتعدى الإحساء وقدرته على الحركة حتى بغداد في الشمال، إذ بعد أشهر من عودته إلى ولايته ورد خبر من بغداد إلى مجلس السلطان يوضح أن سعدون قد وصل بقومه إلى تلك المدينة وأنه يحاول الحصول على الإمدادات والمؤن. وكان رد المجلس السلطاني أن طلب من بغداد إشعار سعدون بأن راتبه يدفع له في حالة بقائه مع قومه في الإحساء وليس خارجها[1]

ويعلق makdaville على هذا بقوله: (في الحقيقة لقد كانت الدولة تدفع لسعدون ليعمل على الحفاظ على السلم وسط قبائل شرق الجزيرة العربية وليعمل على منع النهب في الإقليم، وبما أن هذا كان يتفق مع غرض سعدون بأن تكون له اليد الطولى على قبائل المنطقة وكان في نفس الوقت يحقق غرض العثمانيين، فإن كلا الطرفين كان قانعاً بهذا التنظيم)[2].

توغل بني لام إلى عربستان

١٥٧٥م ((في حوالي هذا العام بدأت هجمات بني لام الذين كانوا قد احتلوا قبل ذلك بوقت قصير المناطق الواقعة بين دجلة والجبال الإيرانية من مندلي وبدرة حتى الكرخة، أدت غزوات هؤلاء البدو الرحل إلى إيقاظ الميل الكامن إلى السلب والنهب لدى قبائل الحويزة، وقد عانت المناطق الريفية التابعة لديزفول وشوشتر من هجماتهم، وفي ذلك الوقت ظهر في المراجع لأول مرة تعبير عربستان كاسم لمنطقة الحويزة))[3].

٩٨٣هـ في هذه السنة تولى سليمان بن مظفر الحكم بعمان بعد أبيه وهو ابن اثنتي عشرة سنة واستولى على الأمر، وقد حاربه أهل بروى وكان معهم جبري يقال له محمد بن جيفر وعنده جيش عظيم فتآمر عليه النبهانيون والتفوا عليه من جميع النواحي فقصوا عليه[4].

ويذكر أن سليمان توفي في سنة ١٠١٩هـ عن عمر يناهز السابعة والأربعين، وقد استمر في الحكم لأكثر من ٣٥ عاماً تقريباً، وفي هذه المدة تزوج زوجة محمد بن جيفر الذي قتل على يده هو وعرار بن فلاح بن عبدالمحسن بن سليمان بن نبهان، وناصر بن قطن بن علي بن هلال بن زامل، وهي بنت عمير بن عامر.

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق ص١٣٣.

(٣) البدو ج٤ ط٢ تأليف أوبنهايم ومساعديه، شبر ص١٩.

(٤) عمان عبر التاريخ لسالم السيابي ط٨٢ ج٣ صفحة١٥٦.

تصدي ابن حميد لمحمد بن عثمان الذي أعلن أحقيته بحكم المنطقة

٩٨٦هـ- ١٥٧٨هـ شارك ابن حميد أمير لواء البدية ضمن تحالف من قبائل البادية الموالية للعثمانيين في الإيالة سنة ٩٨٦هـ في التصدي لتمرد قبائل المنتفق بزعامة الشيخ محمد بن عثمان(*) الحاكم المحلي للصحراء في ولاية البصرة والذي كان قد أعلن التمرد على العثمانيين وعن أحقيته بحكم البصرة والحسا(١).

وإثر مساندة العديد من القبائل ومن ضمنها شمر وبنو لام قاد محمد بن عثمان تلك الجموع إلى جهة الإحساء وهاجم العماير إحدى بطون بني خالد الشهيرة وتمكن من نهبها ثم أعلن عن نواياه وأحقيته بالإحساء وقرر الاستيلاء عليها، وعلى أثر هذا الهجوم قام سعدون بمهاجمة تلك القوات ومطاردتها في الصحراء (عن طريق خيالته) وبعد انضمام مهنا بن خالد حاكم لواء العام إليه ازدادت قوته فتخلت قبائل بني لام وشمر عن حليفهما محمد بن عثمان ونهبت معسكره ثم انضمت إلى قوات مهنا بن خالد، ومع أن محمد بن عثمان قد نجا بنفسه في تلك المعركة إلّا أنه حدث من نشاطه وطموحاته في المنطقة(٢).

سقوط معكال واعتقال زعمائها ثم تأمير محمد بن عثمان عليهم

٩٨٦هـ قال عبدالملك بن حسين العاصمي عن غزوة معكال ((برز مولانا الشريف حسن إلى غزو معكال بأقصى البلاد الشرقية لأمور معلومة، فيها طعن على الدولة الإسلامية، وحسبك السنة النبوية المبرورة: (الفتنة من هنا) وأشار إلى الجهة المذكورة، فقام مولانا المشار إليه في ذلك حماية لبيضة الإسلام خصوصاً حجاج بيت الله الحرام، وزوار جده محمد ﷺ، فوصل دارهم وقاتلهم فيها احتقاراً لهم، وعساكر الإسلام لله يحميها ويبلغها بسعده أقصى أمانيها في جمع كذلك يزيدون على خمسين ألفاً، وطال مقامه فيهم حتى استأصل أهل الدار رجالاً وأموالاً وكل من كان إليهم إلفاً.

.... فلمّا عاد مولانا الشريف من الشرق سالماً في النفس والأهل والمال، غانماً ملك معكال، وما قرب منه من سائر المحال، ودخل مكة على أجمل الأحوال ومشايخهم بين يديه في الحديد والأغلال، ثم أقاموا في ظل نعمه مدة عام كامل، فطلبوا من فضله وإحسانه الشامل أن يكونوا خدامه في محل سلطانهم وأن يحملوا إليه ما يرضيه كل عام من محصول أوطانهم، فأجابهم إلى مطلوبهم، وأمّر عليهم محمد بن عثمان(*) بن فضل حيث لم يبق من بيت سلطنتهم إلا هذا النسل))(٣).

(*) بتقديري قد يكون عمر الشيخ محمد بن عثمان في تلك السنة بحدود الخمسة والأربعين عاماً تقريباً، وذلك لأنه في سنة ٩٤٨هـ عندما كان صبيًا، عيّن حاكماً على البصرة بعد وفاة والده الشيخ عثمان بن محمد بن مغامس فحكمها لعدة شهور ثم عزل بسبب صغر سنه وتبدّل بابن عمه الشيخ مانع بن راشد

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٤٠٧.

(٢) بنو خالد للوهبي ص ١٣٣.

(٣) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٣٧٧

قال الشيخ عبدالله بن خميس: ويسجل أحد شعراء مكة - محمد بن علي بن إسماعيل الطبري (٩٣٢-١١١٠) هذه الوقعة، ووقعة أخرى في نواحي الخرج بقصيدة يقول فيها:

ويحسب الناس من أهل البديع ومن أهل السليمية الغبراء، ومعكانا
أو (آل خالد) من أهدى ضلالتهم نفوسهم فغدوا هدياً وقربانا[1]

غزوة الشريف لسوق الخميس بهذيل وغطفان وعدوان وبني سعد وغيرهم

٩٨٧هـ ((عزم الشريف حسن في هذه السنة على غزو سوق الخميس: فاجتمع بسوقه من بادية مكة المشرفة طوائف هذيل وغطفان وعدوان وبني سعد وما اتصل بهم من المؤلفة، فاجتمعوا بناديه الفسيح رحابه.... ثم سار بهم بعد مدة فلمّا وصل واديهم ونزل مخيمه المعظم في ناديهم قال لهم بعض عقلاء الرجال اطلبوا من مولانا الصلح، فأجابوا جواب أهل الغرور والهوس، على سبيل التهكم: اسألوا عن الصلح جبل ملس. فعم القتل معظم الرجال وأسر النساء والأطفال، ثم قبض على مائة وسبعين من أشرافهم وكبلهم في الحديد في أعناقهم وأطرافهم))[2]

حرب الشريف أحمد النقيب مع بني سليمان بنواحي ينبع

٩٨٧هـ قال صامن بن شدقم ((وفيها عصى بنو سليمان إحدى قبائل عنزة، وقطعوا الطرق وأسباب العالم عن الذهاب والإياب فجرد أحمد النقيب(*) عزمه لجماعة من بني إبراهيم الغمر أشراف ينبع فحلّ بناديهم ونزل بطن واديهم فحاربهم وظفر بهم وغنمهم، فاستعزموا عليه العربان واستجلبوا عليه ذوي البغي والطغيان، وأحاطوا به كالمعصم من السوار وطرحوه عن جواده بأسنة الرماح وكادوا يقتلونه بحد السلاح فأنقذه سلامة بن صبيح، وأحمد بن سليمان بن شرفي، وحربي بن (...)(**) واستخلوه وأركبوه إياها لما بينهم، وكسا بها من المحالفة، ثم إن الشريف حسن لمد أحمد النقيب بمائة رامي بندق، وسيّر معه أمير المدينة ميزان بن علي بن محمد ابن الأمير حسن بن ثابت النميري والسادة الأشراف بني حسين البادية، وبني إبراهيم الغمر وغيرهم من أهل ينبع و لبدوان، وكان أحمد النقيب هو سيد القوم ورئيسهم وإليه منتهى الرأي والأمر... فسار بهم إلى وادي محسوس بأعلى وادي ينبع المحروس فأحاط بهم يوم التروية الضحى من النهار، كما أحاط المعصم بالسوار فاستأصل شأفتهم بكمال العدة والعدد فقتل الأبطال واستأسر الأعيان وغنم الأموال وهرب الباقون في رؤوس الجبال، ثم أجاد بما هو أهله على سلامة وأحمد وحربي لما أسدوا معه، ثم توجه إلى ساحة الشريف حسن فشكره لما قد فعل ثم عاد إلى وطنه وأهله فأتته الشعراء.

---

(١) تاريخ اليمامة لعبدالله بن خميس.. ج٢ ص٢٧٩

(٢) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٣٧٨.

(*) ابن سعد نقيب أشراف بني حسين من قبل الشريف حسن بن أبي نمي.

(**) فراغ في الأصل.

أبقيتَ منا على حربي وصاحبهِ سلامةَ بن صبيح أكرم العربِ

أمّا فلاحُ فلاحَ العكس طالعه ومقبلٌ مدبرٌ بالقبس والهرَبِ

والمقشعرّ الذي تحت السيوف غدا بالقشعريرة في همٍّ وفي نصبِ

فقُلْ لآلِ سليمانٍ وتابعهم مقالةً سلمت من وَهْمَةِ الرِّيَبِ

إنَّ ابنَ سعدٍ إلهُ العرشِ ناصرُهُ بالمُصْطَفى والمليك العالي النسبِ

حامي الحجاز الذي في ذاته حسن وافي الصفات والأسماء واللقبِ

وناشر العدلِ في أكناف كاظمةٍ وباذل الفضلِ في القربى مع الجنبِ[1]

دخول إنجلترا تحت الحماية العثمانية

كانت إسبانيا وملكها شارل كوينت يهدد إنجلترا ويريد ضمها إلى ملكه مما دعا الملكة إليزابيث إلى طلب الحماية من السلطان العثماني فكتب السلطان سنة ١٥٨٠م للملكة ((وأنتم كذلك عليكم الطاعة والانقياد لبابي العالي)) ووعدها بالمساعدة المالية والعسكرية وبذلك نجت إنجلترا من الغزو الإسباني[2].

خضوع البرتغال للاحتلال الاسباني

١٥٨٠م في هذه السنة وقعت البرتغال تحت سيطرة إسبانيا إبان حكم فليب الثاني الذي استولى عليها بغير إراقة دماء[3]، مما حد من نشاط القوات البرتغالية في الخليج لوقوع بلدهم تحت وطأة الاحتلال.

غزوة الشريف للمرة الثانية على البديع والخرج والسلمية والإمامية

٩٨٩هـ ((سار الشريف حسن بن أبي نمي إلى ناحية الشرق مرة ثانية لمخالفة وقعت بينهم متناهية، في جيش كثيف ومدافع كبار ففتح مدناً وحصوناً تعرف بالبديع والخرج والسلمية والإمامية ومواضع في شوامخ الجبال تزيد على ما سبق بأمثال أمثال، فقويت شوكته وعزّ سلطانه، ثم عين من رؤسائه من ضبطها، على أمور اقترحها واشترطها فعاد مؤيداً منصوراً))[4].

---

(١) تحفة الأزهار لضامن بن شدقم ج٢ ص٢٩٩

(٢) تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا - جريدة الرأي العام بتاريخ ٢٤أغسطس ٢٠٠٥م بقلم مهنا حمد المهنا ص١٤.

(٣) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب.مايلز ط٣ ص١٨٢.

(٤) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٣٧٩.

مسير الخوالد لمساندة أهل الرياض

((ولما بلغ بني خالد مسير الشريف إلى الحرج ساءهم ذلك وكانوا قد ندموا على تقاعدهم عن مساندة أهل الرياض في غزوته الأولى عليهم، فأرادوا أن يمدوا أهل الحرج وينصروهم، فجمعوا، وقبل أن يسيروا علموا باستيلاء الشريف عليهم وأنه على وشك الرجوع فرصدوا له في الطريق في جريدة خيل وجيش، وكان الشريف قد بعث عيوناً تقدموه، فرجعوا إليه وأخبروه أن بني خالد رصدوا له في الطريق، فما لبث حتى وافاه جيش بني خالد، وقد استعد لقدومه فهاجموه، واقتتلوا قتالاً شديداً كانت نهايته هزيمة بني خالد))[1].

قال العاصمي: ((أخبره بعض عيونه التي يبثها في البلاد أن جماعة من شوكة بني خالد تجمعوا وتحزبوا، ومن طريقك ترصدوا وتقربوا في جمع من الشجعان والأبطال حتى جرائد الخيل وكرائم الجمال. فتدارك مولانا المشار إليه من الحزم ما أمكن.

فوافاه الجيش الخالدي فوجد مولانا على غاية الحذر فتقابلا وتقاتلا، فهرب الخالدي وانكسر، فقتل مولانا أكثرهم عدداً، وغنم خيلاً وإبلاً وعدداً ولم ينج منهم إلا الهارب..))[2].

انقراض دولة آل اجود بالإحساء

(٩٨٩هـ تقريباً) ١٥٨١م يذكر الأستاذ يوسف جمعر بأن لحسا كانت حتى هذا العام خاضعة للحكم الجاري أي (بني جبر)[3]، ويوافقه بالقول المؤرخ ابن ماضي حيث يشير إلى انقراض دولة أجود بن زامل من الحسا في هذا العام[4].

الاستعانة بشريف مكة وبأبي ريشة لرد هجمات البدو عن الإحساء

٩٩٠هـ تفيد المراسلات التي تمت في هذه السنة بين السلطات العثمانية في الإحساء والباب العالي باسطنبول أن الإحساء قد تعرضت لهجوم عنيف من قبل سعدون من بني خالد ومن معه من القبائل العربية، وأنهم استباحوا البلد وقتلوا الكثير من الجند، وبناء عليه جاءت الأوامر بالاستعانة بشريف مكة وبأبي ريشة إذا لزم الأمر من أجل إحلال الأمن[5].

يقول الوهبي: ويبدو أن العثمانيين قد قرروا هذه المرة مطاردة الثائرين والدخول معهم في معارك صحراوية، إذ طلبت إمدادات كبيرة ومن مناطق جديدة لمساندة لواء الإحساء عسكرياً فقد طلب إلى كل

---

(١) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٧ مطالع السعود لمقبل الذكير ص٣٠.

(٢) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٣٧٩

(٣) القوى السياسية في كوت الإحساء-يوسف جمعر سعادة ط٧٩ ص٢٢٧.

(٤) تاريخ تركي بن ماضي مخطوط ورقة رقم٣.

(٥) سواحل نجد ((الإحساء)) في الأرشيف العثماني ط٢٠٠٥م د أ.د زكريا كورشون ود.محمد موسى القريني ص١٦.

من محمد أبي ريشة حاكم منطقة الصحراء الواقعة جنوبي حلب وزعيم قبائلها، وشريف مكة حسن، بالسير إلى الإحساء بكامل قواتهما لمساعدة حاكم الإحساء في القضاء على المتمردين.

فقد جاء في ضمن (خطاب موجه إلى محمد أبي ريشة في ٨ جمادى الأولى ٩٩١هـ ٣١/ ٥/ ١٥٨٣م) أن الشقيين سعدون وعبيكة من بني خالد هاجما برجالهما الإحساء مما أدى إلى مصرع أعداد كبيرة من القوات العثمانية إضافة إلى الخسائر المادية الكبيرة، وأنهم الآن يتظاهران بمظهر الصلح والصلاح، وإذا لم يتم القضاء عليهما سيعظم أمرهما ويزداد شرهما، وكان الأمر أن عليه أن يسير إلى المنطقة على رأس رجاله من العشائر والقبائل، ومن ثم التشاور مع حاكم عام الإحساء وشريف مكة المكرمة حول ما يجب القيام به للقضاء على المتمردين المذكورين، وتم توجيه خطاب إلى أمير مكة الشريف حسن بهذا الخصوص إضافة إلى إشعار حاكم الإحساء بضرورة القبض على الثائرين حالاً[1].

استمرار ثورة سعدون

قال الوهبي: ((ورد في خطاب في ١٩ ربيع الآخر ٩٩٢هـ ١/ ٥/ ١٥٨٤م إلى حاكم عام الإحساء يتضمن الأمر بالتحقيق الدقيق في الاضطرابات التي سببها كل من سعدون أمير البادية ومحمد بك وموسى بك وداود آغا، ويتضح من خلال ذلك بقاء سعدون في منصبه كأمير لواء وتواطؤ بعض القادة العثمانيين معه مرة أخرى.

وعلى الرغم من ذلك تستمر ثورة سعدون بسبب ضخامة قوات سعدون فيطلب إرسال تعزيزات عاجلة إليه ولو بصورة مؤقتة، ولكن طلبه يرفض بسبب الحرب مع الصفويين وأن عليه معالجة الوضع اعتماداً على قدراته حتى يهدأ الوضع في إيران وترد تفصيل ذلك في خطاب موجه إلى حاكم عام الإحساء ٩٩٢هـ رداً على خطاب سابق يتعلق بحاجته إلى أربعمائة جندي إضافي منهم مائتان من القناصة لمدة ثلاثة أشهر بسبب وصول (الآلاف) من فرسان بني خالد إلى الإحساء أثناء حلول موسم صرام التمور في الإحساء تحسباً ضد مهاجمتهم للقلعة ولإنهاء أعمالهم العدوانية على الأنفس والممتلكات في القرى المجاورة وأنهم يجدون بأعداد ضخمة لا يمكن صدها)).

وفاة الشريف حسن وولاية الشريف أبي طالب
وحرب أحمد النقيب وميزان النعيري مع الجلاس من عنزة

٩٩٢هـ قال ابن شدقم: ((توفي الشريف حسن بن أبي نمي بن محمد بن بركات الحسيني فجلس على سرير ملكه ابنه الأكبر أبو طالب، فعصت البادية وطغت وقطعوا الطرق، فظفر قوم من الجلاس إحدى طوائف عنزة بسيدين شريفين أحدهما من الإحساء والآخر من اليمن وكان معهما عيالهما فأهانوهما

---

(١) بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص١٣٦

بالضرب والجراحات وأخذوا جميع أموالهما وأبقوهما عرايا فركب أحمد النقيب[1] ومعه الأمير ميزان بن علي النميري وعلي بن أحمد الدويدار حاكم المدينة يومئذٍ فأدركوهم بالصهيله فاستعادوا ما أخذوه من السيدين، وربط كبارهم وغنم أموالهم ثم أخذ منهم العهود والمواثيق أن لا يعودوا لمثلها وأن يسلموا لولي نعمته الشريف أبي طالب كل زمن عدة من الخيل والجياد والإبل المخدومة. ثم دخل على خيبر وقبض على كل من تغيب وتستر عنه، ثم عاد إلى وطنه فامتدحه جماعة من الشعراء:

أرادت عــيــون فــي زمــانــك دولــة   علـى ظـلمهم حاشا من الفتى يهتدوا
تـعـدّوا عـلـى زوار طـيـبـة وأسـرفـوا   بـسـلـب وضـرب مـثـلـه لـيـس يـعـهـد
وولـوا كـمـا ولـى يـهـود بـخـيـبـر   ....(**)
فـلـمّـا نـمـت أخـبـارهـم نـحـو مـكـة   إلـى مـن لـه رب الـسـمـاء مـؤيـد
أراد رعـاه الله أن يـأتـي بـنـفـسـه   لـيـنـصـر جـيـران الـنـبـي ويـسـجـد
مقالت بنو الزهراء.......... ....   يـكـفـيـك مـنـا الـمـهـذب وأحـمـد
حـسـيـب نـسـيـب نـجـل سـعـد وحـمـزة   وزيـرك والـسـيـف الـمـهـذب والـيـد
كـذلـك حـوى مـن زرود ويـنـبـع   وبـدر مـع الـصـفـراء والـخـيـف سـنـدوا
ومـن مـكـة الـغـراء أتـتـه عـصـابـة   لأعـدائـه سـلّـوا الـسـيـوف وجـردوا
فـلـمّـا أتـى الـصـهـيـلـه فـي قـرب خـيـبـر   وأى عـيـن الـقـوم الـذيـن تـعـدوا
فـحـاط بـهـم قـبـضـاً وأسـراً فـأخـبـروك   بـحـلـكـان فـي مـلـسـوس(**)... يـتـمـهـدوا
وكـن عـنـيـزة قـد أقـامـوا بـخـيـبـر   وغـنـمـهـم بـعـد الـجـذاذ يـشـردوا
فـلـمّـا أحـسـوا بـالـشـريـف تـبـادروا   ومـالـوا لـمـا يـرضـيـه قـول مـؤكـد
وإن يـسـلـمـوا كـل الـذي كـان عـنـدهـم   من الكسب في الماضي وما قد تجودوا
وان لـه فـي كـل عـام جـمـيـعـاً عـلـيـهـم   وفي الحال لا زالوا من الخير يسعدوا
فـقـل لـعـنـزوز والـذي فـي ديـارهـم   مـن الـعـرب ان يـدنـوا وان يـتـبـعـدوا[2]

٩٩٥هـ- ١٥٨٧م بداية حكم الشاه عباس الكبير على إيران.

---

(١) الغريب أن ضامن بن شدقم يذكر أن وفاة أحمد النقيب كانت في المدينة سلخ شهر ربيع الثاني سنة ٩٧٨هـ ولا شك أن هذا التاريخ مناقض لما ورد في هذه السنة المذكورة ٩٩٢هـ وكذلك مغالط لما ورد في سنة ٩٨٧هـ ولا أعلم ما هو الصحيح إلا إذا كان هناك شخصان بالاسم نفسه ومتقاربين في الفترة. راجع: تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٠٤.

(٢) تحفة الأزهار لابن شدقم الحسيني المدني ج٢ ص٣٠٢.

بداية حكم الشاعر بَركات المشعشعي أمير الحويزة

٩٩٦هـ- ١٥٨٨م وفيها كانت بداية حكم الشريف بركات بن مبارك بن عبدالمطلب المشعشعي أمير الحويزة، واستمر بالحكم لمدة ٢٨سنة. ونأخذ له هذه الأبيات التالية من كتاب (الشعر النبطي للصويان):

١- عفا الله عن عين للاعضا محاربة	و قلب دنيف زايد الهم شاعبه
٥- إذا ما هدان أضعف السعد عزمه	يعيش بذل واكب فوق غاربه
٦- شهرت عن الرهدا وهي لي قضية	و لا يدفع المخلوق ما الله كاتبه
٨- فيا مبلغ عني ذوي الجود والصحا	و من شب شارات المعالي مكاسبه
٩- مبارك زبون الجاذيات ابن مطلب	ذرى الجار والجالين عن كل تايمة
١١- وقل يا حمى دن السبايا من القنا	إلى أحمر من عود البلنزا ذوايبه
١٦- بنيت لنا بيت من العز شامخ	سل الله ألا يهدم الضد جانبه
١٧- لا تحسب أني بعد حسناك والرضا	أعضبك بالدنيا ولاهيب واجبة
١٨- فلا شك جاني منك ملموظ كلمة	على حضرة الرماق والحلق قاطبة
١٩- تقول لي يا ثبر وأنا غدوتك	و لا ثبر إلا من يفاجي قرايبه
٢٠- ولا ثبر إلا من يهد ويستشي	في ساعة والهوش حام جوانبه
٢١- وعاتبتني من غير ذنب جنيته	عساه يحظى بالغنى من تعاتبه
٢٢- أراك تعاتبني ولا دست زلة	والغير لو داس الحنا ما تعاتبه
٢٣- ترى عرق وجهي وجاهي وشيمتي	بحضور الحاضرة ما هيب غايبة
٢٥- وأنا احترت بعد الدار في مازح النيا	و لا قولة بركات كد هين جانبه
٤٤- إذا الخل أورى لك صدود فأوره	صدود ولو كانت جرال وهايبه
وكن عنه أغنى منه عنك ولا تكن	جزوع إلى حقت بالأقفا ركايبه

وتتداخل المصادر عند ذكر فترة حكم بركات وأبيه مبارك، فها هو العزاوي نقلاً عن كشف الظنون يقول: إن مبارك بن مطلب بن بدران خرج في سنة ٩٩٨هـ على المولى زنبور الذي تولى الحكم بعد أبيه سجاد في سنة ٩٩٢هـ فأقصاه عن الحكم وحل محله إلى أن توفي سنة ١٠٢٥هـ أو سنة ١٠٢٦ حسب اختلاف الروايات[1].

وإن مباركاً قام بتوطيد دعائم حكمه وقرب عشائر آل عزي إليه حيث كانوا أساس ملكه فأقطعهم

---

(١) العرب والعروبة م٢ ج٦ ص٥٤

الأراضي وأغدق عليهم الأموال الطائلة ورتب لستمائة رجل من أكابرهم رواتب وتعيينات سنوية وجعل لهم الزعامة على القبائل حتى أنه لم تنزل قبيلة في بلاده إلا بموافقتهم[1].

خطاب السلطان العثماني إلى الشيخ سعدون آل حميد

٩٩٨هـ في خطاب من السلطان مراد الثالث إلى سعدون بتاريخ ١٦ رجب ٩٩٨هـ ٢١/ ٥/ ١٥٩٠م):

((إلى الأمير سعدون لقد كنت سابقاً خادماً مخلصاً لهذه السلطنة ولكنك أصبحت في الفترة الأخيرة سبباً للمشاكل، يجب أن أفهم كل الظروف التي أدت إلى هذا التغيير، ولهذا فقد وجهت حاكم عام الإحساء أحمد للاتصال بك والاجتماع بك. وضّح له شكايتك بكل تفصيل وصراحة وسيكتب لي بدوره بالتفاصيل كلها أيضاً وإن شاء الله سنعمل بالعدل لإزالة كل المظالم التي وقعت)). إلا أن رد فعل سعدون على الخطاب لم يكن إيجابياً فقد صدرت الأوامر من جديد إلى البصرة لإنهاء تلك الثورة بمساندة من بغداد[2].

خطاب السلطان العثماني إلى حاكم البصرة

٩٩٩هـ جاء ضمن خطاب في جمادى الأولى ٩٩٩هـ مارس ١٥٩١م موجه إلى حاكم عام البصرة متعلق بثورة الأعراب تلك وما سببته من زعزعة للاستقرار في الإحساء، وإن أوامر صدرت لحاكم عام بغداد بتزويده بعتاد وقوات عسكرية ستصل قريباً. وإن عليه الاستعداد وتجهيز القوات الموجودة لديه ريثما تصل قوات بغداد وكلف بقيادة الحملة بنفسه أو يختار من لديه القدرة على ذلك ويثق فيه.

تبعية بولندا ولتوانيا للدولة العثمانية

طبقاً لمعاهدة ١٦ سبتمبر ١٥٩١م فإن بولندا ولتوانيا تتبع الدولة العثمانية وتدفع سلماً وقدره ربع مليون ليرة ذهبية سنوياً وأن يخاطب إمبراطور ألمانيا بصفة أرشيدوق النمسا ويعتبر تابعاً للخليفة[3].

---

(١) العرب والعروبة م٢ ج٦ ص٥٤.

(٢) بنو خالد للوهبي نقل مهمة دفتري٤ ص٢١٢ تاريخ ١٦رجب ٩٩٨هـ.

(٣) تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا – جريدة الرأي العام بتاريخ٢٤أغسطس٢٠٠٥م بقلم مهنا حمد المهنا ص١٤.



أحداث
القرن الحادي عشر الهجري



تكرار القول بانقراض دولة آل اجود في الإحساء

يقول ابن عيسى في كتابه الموسوم (تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد): ((وفي تمام الألف تقريباً استولى الروم على بلد الإحساء والقطيف ورتبوا فيه العساكر وبنوا فيها حصوناً واستقر في الإحساء فاتح باشا[1] من جهة الروم وانقرضت دولة أجود بن زامل بن جبر العامري العقيلي فسبحان من لا يزول ملكه)).

وكذلك قال الفاخري[*] (١١٨٦هـ -١٢٣٥هـ). ((وفي تمام الألف استولى الروم على بلد الإحساء ونواحيها ورتبوا فيها عساكر وبنو حصوناً واستقر فيها فاتح باشا من جهة الروم وانقرضت دولة آل أجود الجبري العامري وذريه)).

عصر منيع والخلاوي

من منّا لم يعجب ويعشق شخصية الكريم السخي منيع بن سالم ممدوح شاعر الحكمة والمواعظ والتجارب الكثيرة راشد الخلاوي، ومن منّا لم يتساءل من هو منيع وما نسبه ومتى كان زمانه وأين كان مكانه وما قصته بالضبط.

سنحاول في الأسطر التالية إلقاء الضوء على بعض الجوانب التاريخية لهاتين الشخصيتين المعروفتين إلى حد كبير، المجهولتين إلى حد أكبر منه، ونقول قد وقع الاختلاف في أصل منيع وزمانه ومكانه ووضعه الاجتماعي، وتوصل أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري في آخر أمره إلى أن منيع بن سالم

---

(١) يوجد والٍ عثماني اسمه محمد باشا ويسمّى فاتح باشا كان أول أمير عثماني يُعيّن أميراً على الإحساء في سنة ١٥٥٠م الموافق ٩٥٧هـ ولا أعلم هل هو الذي يقصده ابن عيسى والفاخري وغيرهم، أم أنهم يقصدون فاتح باشا الذي سنذكره في سنة ١٠٤٠هـ.

(*) المؤرخ الفاخري ولد في سنة ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م في بلدة التويم في إقليم الرس ونشأ بها وقرأ القرآن فيها، وقد توفي والده عام ١٢٢٢هـ، ثم انتقل إلى الإحساء عام ١٢٢٨هـ وبقي فيها حتى توفي عام ١٢٣٥هـ، وهكذا اسمه محمد بن عمر بن حسن بن محمد بن فاخر بن حسن بن سليمان بن عيسى بن علي بن عثمان بن عبدالله بن مشرف الوهيبي النجدي الحنبلي.

ممدوح الحلاوي من بني عقيل وأنه آخر ملوك آل أجود، انحدر للعراق في تمام الألف فانقرضت به دولة آل أجود. ومنيع هذا كان حاكماً في الإحساء والقطيف ونجد، فكان آخرهم وهو الذي انحدر إلى العراق وسكن الشامية بعشائر الأجود، وهذا كما قلنا آخر ما توصل إليه الظاهري[1].

ويلاحظ أن الحلاوي في شعره كان يسمي قوم منيع بالمنيعية ويسمي منيعاً بالمنيعي ويسميه أيضاً بالسيّار:

منيعية لا تتقي بأس فارس ... ولا يتقى من لا وساع مضاربه

عقالهم تكفيك عقال غيرهم ... وعيالهم تكفيك في الحرب صاحبه

منيعية فيهم حليم وعايل ... وفيهم رجال ذات للّه نايبه

رجال حظاها الله بالدين والهدى ... وبالسيف ناموس وبالضيف واجبه

مثل الحيايا لبّنات الملامس ... وفي البأس تلماس من الموت حالبه

وفي الأبيات التالية يطلق على منيع لقب (سلطان عقيل)، فهل منيع بالضرورة يكون عقيليًّا؟ رأينا في التاريخ أن هناك كثيراً من القبائل رؤساؤها ليسوا منها، والأمثلة كثيرة على ذلك، ولكن ما دمنا نتكلم عن بني عقيل الذين من قبائلهم قبيلة المنتفق، فالكل يعرف أن زعماءها الحاليين ليسوا منهم بل إن أكثر المؤرخين ذكروا بأنهم من الأشراف، وهم الذين حلوا محل آل مانع آل عزي العقيليين ومن هذا المنطلق يمكننا القول إن سلطان عقيل ليس من الضروري أن يكون عقيليًّا

على شان سلطان عقيل كميتها ... رمان القنا يشمي قراه الولايد

سريع القرا للضيف في ليلة الشتا ... وعايد المغاري سيد الناس ماجد

فمن عاش بالدنيا يرى يا بن سالم ... كريم الليالي والأمور الشدايد

كفا الله ذاك الوجه نار من اللظا ... بحق المصلي والدعا في المساجد

يا من صدا من حرة عامرية ... سماوية نمرا الذراعين صايد

وقال أيضاً:

نزارية تحدا لمحدا ربيمة ... منيعية تدعى وفاة الحصايل

وأما عن الزمان والمكان والنفوذ فيذكر صالح القاضي المتوفى سنة ١٣٥١هـ أن الشاعر راشد الحلاوي توفي في سنة ١٠١٠هـ[2] مما يعني أن الأحداث التي جرت لمنيع بن سالم كانت قبل هذه السنة، وعلى حسب ما نعلم فإن الإحساء لم تخلُ من عام ٩٥٧هـ إلى تمام الألف الهجرية من الولاة الأتراك، هذا

---

(١) مسائل من تاريخ الجزيرة العربية لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري ص٢٢٠-٢٢٤، نقلاً عن عباس العزاوي في كتابه عشائر العراق ج٤ ص٧٨.

(٢) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٨ تاريخ صالح بن عثمان بن حمد بن إبراهيم القاضي ت١٣٥١هـ ص٢٩

إلى جانب أن المنطقة بعد دخول الأتراك إليها طلت هدفاً مشروعاً لطموحات حكامها السابقين من آل مغامس الذين حاولوا أكثر من مرة إعادة سيطرتهم عليها.

لذا أظن أن منيعاً إما أنه كان يمارس سلطته في المنطقة كأداة إلى جانب الولاة الأتراك، أو أنه كان مجرّد زعيم محلي لبلدة صغيرة بمستوى أمراء القبائل وليس على مستوى رؤساء الدول كسلاطين آل جبر الماضين. وهذا الاحتمال يقويه وصف الخلاوي لمنيع بأنه صاحب مغازٍ وعقيد قوم ومن العارفين لمواضع المياه. وأما الاحتمال الثالث وهو الأرجح عندي أن نفوذ منيع كان يشمل اليمامة وبلدة مقرن ويبرين والسيح وحاجر والثليماء وهي الأسماء المتكررة في شعر الخلاوي على أنها ديار منيع:

متى هزها شوق المنيعي وسنعت	لذا نجمة السهلي من الشوق طاربه
جد السرى والسير عشرين ليلة[1]	في كورها ما صافح النوم راكبه
فلولا هواه ارتاح حالي وناقتي	ولولا هواه القلب ما اصفر جانبه
فلولا منيع سور (حجر) وبابها	وابنا عقيل عصبة من قرايبه
لنك الله ما سمعت لسهيل ناقتي	ولولاه ما نوخت (يبرين) شاربه
فلولا منيع فوقها عفت مابها	فلا رعبتي بالدار إلا لجانبه

وقال في منيع وقومه ويذكر بعض مراعيهم ويحدد ديارهم.

رعى الله حي للمنيعي وقومه	وأسقاه من غر الغوادي سحايبه
عسى سربهم مرعاه بأكناف (حاجر)	ومن فوق (وادي السيح) ترعى ركايبه
سحاب الحيا أسقاه وأروى وعله	وحتم (الثليما) فاض وأروى شعايبه

وقال راشد الخلاوي يحث منيعاً على مبادرة عدوه ومباغتته قبل أن يقع المحذور:

دع عنك يا مشكاي ما لج بالحشا	وما قاتله قوم من الموت هايبه
فإلى الحر صار العار والذل حظه	فالموت ستر له يغطي معايبه
لدعنا نصبحهم على سبق القطا	هوى الريح بكفيها عن الماء شاربه

(١) في الأصل الذي نقلنا منه وهو ديوان شعر الخلاوي الذي جمعه المؤرخ عبدالله بن خميس، جاء بدل عشرين ليلة (خمسين ليلة)، وخمسون مدة مبالغ فيها، وهي أكيد وصحت خطأ، لأن لو فرضنا أنه يقطع في اليوم على دابته ٣٥كم فقط فهذا يعني أنه قطع مسافة ١٧٥٠كم إلى يبرين، وهذا يعني أنه قدم إليها من ديار بكر بين تركيا والعراق وإيران، وأما إذا قلنا إنه يقطع في اليوم٧٠كم فهذا يعني أنه جاء من مسافة ٣٥٠٠كم وهذه المسافة تعني أنه جاء من موسكو عاصمة روسيا. لذا أظن أن الكلمة الصحيحة التي حُرِّت هي (عشرين ليلة) وهي تتماشى مع وزن البيت، لذا أرجح أن تكون نقطة الانطلاق التي جاء منها الخلاوي هي جنوب البادية العراقية
وكذلك جاء بدل (حجر) التي أثبتها (هجر) وأظن أن الأخيرة مقحمة على النص وليست فيه أو أنها صحفت، وأن الصحيح أنها حجر، أي حجر اليمامة، لأن الخلاوي ذكر في رحلته إلى منيع الورود إلى مياه يبرين في نجد كما أنه حدد ديار منيع تحديداً واضحاً.

وحـربـب جـدك لـو صـفـا مـا يـودك ... وعـيـنـاه لـو تـبـكـي لـك الـدم كـاذبـه
ومـن لايـعـدي عـن مـراعـي جـدوده ... بـالـسـيـف عدى عـن مـراعي ركـايـبـه
ومن لا يـرد الـصـد بـالـسـيـف والـقـنـا ... ويـحـمي الحـمـا تـطـمع عـلـيه الشماليه
إذا كـان حـكـم فـيـه ذل لـحـاكـم[1] ... فـي كـل حـال تـمـلـك أعـداه غـاربـه
و مـن قـيـد بـزمـام فـهـو فـي مـذلـة ... و لـو كـان مـن فـوق الـثـريـا مـناصـبـه
أو صـاب لـلـسـيّـار[2] مـا صـاب راشـد ... غـبـن كـبـيـر وحـبـة الـقـلـب دايـسـة
جـد قـلـت لـه يـا صـاحـبي حـي حـيـهـم ... بـالـسـيـف لا تـخـشـى الـصـد تـحـاربـه
ولا تـعـف عـمـن لا يـرى الـعـفـو مـنـه ... ومـن جـاك مـنـهـم صـاحـب لا تـصـاحـبـه
مـا طـاعـك إلا مـن فـرد الـزان جـنـبـه ... ولا هـاسـك إلا مـن وطـا الـسـيـف غـاربـه
راس تـقـسـمـه تـكـتـفـي بـأس شـره ... وروح بـلا رأس فـلا جـتـك حـاربـه
مـقـام الـفـتـى فـي مـنـصـب الـعـز سـاعـة ... ولا ألـف عـام يـصـحـب الـذل صـاحـبـه
والـعـز ولـو بـالـقـل زيـن عـلـى الـفـتـى ... والـذل لـو بـالـمـال مـا زان صـاحـبـه
لـيـاك تـبـقـي رأس مـن هـان قـدره ... فـكـم فـارس أفـنـاه مـن لا يـقـاس بـه
احـذر عـدوك فـي الـمـلا فـرد[3] مـرة ... واحـذر صـديـق الـسـو ألـف انـحـاطـبـه
حـذرا الـريـا يـا صـاحـبـي لا يـغـرك ... من غـر جـدك وأخـرجـه مـن مـراتـبـه[4]
و هـو فـي نـعـيـم مـسـتـقـيـم بـدايـة ... وريـامـا وبـامـا صـار فـيـهـا يـجـانـبـه

سقوط دولة منيع السيّار بن سالم المنيعي على يد زيد

الأبيات التالية توضح نهاية منيع وسقوط دولته على يد زيد ومعه أحد حلفائه الذين شنوا حرباً غادرة على منيع دون سابق إنذار:

ألا قـبـح الله لـلـمـغـراميـل كـلـهـا ... وأخـزى لـزيـد بـن الـروانـي وصـاحـبـه
فـلا غـلـنـا حـرب عـلـى واضـح الـشـقـا ... حـتـى نـحـذر الـحـذر مـمـن نـحـاربـه
ألا لـيـتـنـي فـي ذلـك الـيـوم حـاضـر ... لـيـل الـثـلاثـا يـوم مـن فـاز فـاز بـه
سـفـاسـيـف قـوم دمـر الله دارهـم ... وأضـحـوا بـعـار الـعـار وأخـزى مـعـايـبـه
نـمـات الـبـلا والـعـوق والـبـوق والـخـنـا ... مـن خـالـهـم قـبـح أولاد تـلاد بـه

(١) هذا البيت يؤكد أن منيعاً ليس مجرد أمير، بل إنه حاكم، ويسميه الخلاوي أيضاً سلطان عقيل
(٢) السيّار هو منيع.
(٣) كلمة ((فرد مرة)) تدل على لهجة الخلاوي العراقية.
(٤) هذا البيت يدل على أن جد منيع كان حاكماً، ولكنه اعتز في رأيه وأضاعه من استشاره.

رحيل منيع عن دياره بعد الهزيمة الشنيعة التي أطارت بحكمه وشتّت قومه، وهي الرحلة التي تكاد تجمع الأقوال على أنها باتجاه الشمال:

قل: الله هل شفت السخي ابن سالم ... منيع من حاش الثنا والفوايد
تطاوحنه الأيام لين أودعنه ... يشد على ثلب قصيف البدايد
يشد على ثلب وهو كان قبل ذا ... على ظهر الجدها يدور الفوايد
وهو كان في ما قد مضى في زمانه ... جميل الثنا من حامدات وحامد
وهو عجيد الركب لولاه ما غزوا ... ولا نسفوا بكوارهن الجراعد
ودليل هوص الناجيات إلى اختفت ... معالمها والنابيات القرايد
وإلى بغا يمضي على العزم واشترى ... أخذ رأي ألف واتفقا معه واحد
سريع القرا للضيف في ليلة الشتا ... وعيد المقاوي سيد الناس ماجد
فمن عاش بالدنيا يرى يا ابن سالم ... كريه الليالي والأمور الشدايد
كفا الله ذاك الوجه نار من اللضا ... بحق المصلي والدعا في المساجد
يامن غذا من حرة عامرية ... سماوية نمرا الذراعين صايد
ترى الثنا يابن كليب على الفتى ... إمكاو كما بالعين شوك الكتايد
فلا واحليلي الذي يعطي الغنا ... وخلف العطا منه الرجا بالوعايد
ترا إن كان جد ماتوا فيا طول ما ملوا ... مواْرد صيوف من قراه القواصد

توجد في البادية الجنوبية من الأراضي العراقية هضبة تسمى المنيعية، وفيها آبار تسمى آبار المنيعي[1] تقع في الحجرة وهذه الهضبة ضمن مساكن قبيلتي المنتفق والظفير في الماضي والحاضر.

وقال العلاوي عن كرم منيع:

ملكنا منيع بالهدايا من العطا ... يا ما ملا لهذا وهذا مراهبه
دعتنا عطاياه الغنى كل مرة ... وياما وياما ناخ حي مراكبه
لجلنا يعم الفود من فوق دارنا ... وفي كل زام حوزة الفود زاهمه
كفاني من الدنيا منيع همومها ... وحباني وصان الوجه عما يشان به
حباني منيع كل خير وكثر ... فلا ظننتي بالناس ناس تقاس به
كفاني عن الدنيا فلالي بها هوى ... ولا لي بأهلها رغبة كود جانبه
رد العدا بالمشرفيات والقنا ... عني وقومي يوم قومي محاربه
نكفنا على حب المنيعي وقومه ... والروح منا في مراضيه دايبه

---

(1) البدو والقبائل الرحالة في العراق لمكي الجميل دار الرافدين بيروت ط٢٠٠٥م ص٢٦٣.

وقوع الوية الإحساء في يد الخوالد ما عدا صفوى والقطيف

في شوال ١٠٠١هـ- ١٥٩٣/٦م لم يتبق من ألوية الإحساء تحت السيطرة العثمانية سوى لوائي صفوى والقطيف أما بقية الألوية فهي بيد بني خالد فهم هم القائمون فعلاً على الولاية، كما أن واردات المنطقة قد انخفضت إلى ٣٠ حمل أقجة لا تكفي لتسديد قسطين من مستحقات الطوائف العسكرية.

القبض على حسين بن هريش لقيامه بالقرصنة البحرية

في سنة ١٠٠١هـ تدهورت الإمكانيات البحرية في إيالة الحسا إلى درجة أغرت بعض القراصنة المحليين على مهاجمة سفن الصيد والغوص التابعة لرعايا الإيالة، مما دفع أمير أمراء الإيالة السابق إلى تزويد الأسطول بسفينتين حربيتين بتمويل من موارده الخاصة، الأمر الذي مكن أسطول الإيالة من فرض الأمن ومكافحة القراصنة وإلقاء القبض على أبرز زعمائهم ويدعى حسين بن هريش حيث تم إعدامه مع خمسة من رجاله[1].

مقتل عبدالباقي باشا وتعيين أحمد باشا مكانه على الإحساء

قبل ٢٥ رمضان ١٠٠٣هـ- ١٥٩٥/٦/٢م انتهت فترة ولاية عبدالباقي باشا أمير أمراء إيالة الحسا مقتولاً وهو على رأس عمله على يد المتمردين، وعلى أثر مقتله تم تعيين أمير أمراء جديد وباشر عمله قبل ٢٥ رمضان ويبدو أن اسم هذا الأمير هو أحمد باشا[2].

وفاة الخليفة العثماني مراد خان وخلافة ابنه محمد خان

١٠٠٣هـ في هذه السنة: توفي السلطان مراد خان بعد مرض، توفي عن عمر خمسين سنة ومدة حكومته إحدى وعشرين سنة، وقد دفن في مغنيسيا، وتولى السلطنة بعده ابنه محمد خان، وبعده عين الوزير حسن باشا حاكماً على بغداد[3].

بداية حكم أفراسياب على البصرة

كان في البصرة والٍ عثماني اسمه علي باشا، لم تمكنه موارده المالية القليلة من إخماد الثورة التي ألمت ببلاده فاضطر إلى مغادرة البصرة وتسليمها إلى شخص يدعى أفراسياب كان يعمل كاتباً للجند باعها له بثمانية أكياس رومية

---

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ٤٢٨

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٣.

(٣) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص٢١٠

أصبحت ولاية أفراسياب هذه على البصرة بداية حكم جديد في المنطقة عرف بالعهد الأفراسيابي وذلك سنة ١٠٠٥هـ- ١٥٩٧م.

ويرجع أصل هذه الأسرة إلى سلاجقة الترك وقد لقب أفراسياب بالديري نسبة لموطن أمه مما دفع البعض إلى نسبته لأصل عربي وهناك من نسبه إلى أصل فارسي، وقد استمرت حكومة أفراسياب في السلطة حتى وفاته سنة ١٠١١هـ.

إنزال بني كعب بالقبان

كان الكعبيون[1] من أنصار أفراسياب (١٠٠٥-١٠١١هـ) ودعاته ومحبيه وأعوانه ويتضح ذلك جليًا في كتاب زاد المسافر للشيخ فتح الله الكعبي، لذلك نقلهم من العراق وأسكنهم (قبان) وخصّهم بالأحواز، وجعلها منازل ومساكن لهم، ويعود ذلك لسببين:

١- مكافأتهم بهذه المنطقة الخصبة التي تطيب بها السكنى وتحسن المعيشة.

٢- جعلهم على حدود البصرة، حتى يحفظوا له الثغر، ويردوا غائلة العدو، ويصدوا هجمات العراة.

وقد أوفوا له، فعند استيلاء عباس الصفوي على العراق، كان موقف الشيخ بدر بن عثمان رئيس كعب مشرفاً من (علي باشا ابن أفراسياب)، فعندما أمر بتسليم نفسه إلى إمام قليخان أسوة بغيره أجاب بأنه ما دام (علي باشا) حيًا فإنه لن يسلم[2]

وعن أصل بني كعب قال الأستاذ علي نعمة الحلو في كتابه الأحواز. وقد خصّهم السيد أحمد الكسروي بالفصل الثاني من كتابه الفارسي (تاريخ بانصدساله خورستان) أي (٥٠٠ سنة من تاريخ عربستان) ويذكر أن عشائر كعب ثرمان (١) كعب (٢) بنو حرب[3]

ذكر هجمات مبارك بن مطلب على أنحاء البصرة وقرى البصرة والإحساء

١٠٠٦هـ قال العزاوي نقلاً عن كتاب جامع الدول. ((في سنة ١٠٠٦هـ (١٥٩٧م) خرج خارجيّ من

---

(١) قال الشيخ يوسف القناعي: بنو كعب من سبيع تحولوا من العراق إلى الدورق في سنة ١١٧٨هـ (١٧٦٤-١٧٦٥م تقريباً). انتهى كلام القناعي، ومن نقلناه أعلاه يقلب قول القناعي رأساً على عقب ويدحضه في أمرين، الأول أن بني كعب انتقلوا إلى الدورق في زمن أفراسياب وليس في سنة ١١٧٨هـ، والثاني أن بني كعب أقدم وأكبر من سبيع وليس من المعقول أن يعود القديم للجديد والكبير للصغير. راجع: صفحات من تاريخ الكويت ص٩٠، قرأت على نصوص شعرية تدل على أن لبني كعب موطن قدم في كاظمة وأنهم كانوا يترددون عليها وأنهم يعرفون هذه المنطقة جيداً. ومن كعب من نفس الأصل الذي ترجع إليه قبيلة المنتفق، ولا شك أن دولة بني عامر بن صعصعة انتهت بنهاية دولة آل مغامس مما أضعف السمعة المركزية بينهم وتفرقها في يد عدة رؤساء.

(٢) تاريخ إمارة كعب، تحقيق علي نعمة الحلو ١٩٦٨م النجف الأشرف ص٣٢.

(٣) الأحواز عربستان لعلي نعمة الحلو ج١ دار البصري بغداد ط٢/١٩٦٩م ص٢٢٢.

جانب البصرة يقال له السيد مبارك جمع جمعاً عظيماً من أوباش العرب والعجم فنهبوا البلاد وأفسدوا فيها وعروا إلى كشف الظنون: مبارك هذا هو ابن المطلب بن بدران وأنه خرج في سنة ٩٩٨هـ على المولى زنبور فأقصاه عن الحكم وحل محله إلى أن توفي في سنة ١٠٢٥هـ أو سنة ١٠٢٦هـ حسب اختلاف الروايات))[1].

في فذلكة كاتب جلبي في حوادث ١٠٠٦هـ: ((لما قام به السيد مبارك من أعمال نهب وإفساد متجاوز على أنحاء البصرة وسواحل الإحساء وحدودها.. وكان أهل تلك الأصقاع استمدوا من شاه العجم[2] فكان ضرر جيشهم أكبر فاستعانوا بالدولة العثمانية. وفي ذي الحجة من السنة المذكورة كتبت الدولة العثمانية لشاه العجم لدفع غائلته، إلّا أن الفذلكة أسدلت الستار عن النتائج))[3].

في سنة ١٥٩٨م ((اجتمع تسعة تجار من شمال هولندا وقرروا تأسيس شركة تجارية أطلقوا عليها اسم شركة الأراضي البعيدة في امستردام، على أساس أنها تتولى مهمة إرسال السفن التجارية إلى الشرق حتى بلغ عدد السفن المرسلة إلى الهند قبل نهاية القرن السابع عشر أكثر من ٦٥ سفينة زارت جاوة، سقطرة، تايلاند، كمبوديا، كانتون، وحتى اليابان))[4].

خلاص البحرين من أيدي البرتغاليين على يد شاه فارس

في سنة ١٦٠٢م الموافق ١٠١١هـ فقد البرتغاليون سيطرتهم على البحرين، بعد أن طردهم شاه فارس منها[5]، وفقدوا سيطرتهم أيضاً على هرمز في سنة ١٦٢٢م الموافق (١٠٣١هـ تقريباً)[6].

تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية

وفي هذه السنة توحدت عدة مؤسسات تجارية هولندية في مجال التجارة الدولية بإيعاز من ملك هولندا بموجب ترخيص ملكي، وأسست شركة الهند الشرقية الهولندية مع امتياز لمدة ٢٠ عاماً، وصدر في الوقت نفسه مرسوم يخول الشركة حق مزاولة التجارة مع الشرق وعقد المعاهدات والأحلاف

---

(١) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي لمحمد عزة دروزة م٢ ج٦ ص٥٤.

(٢) ذكر بعض ملوك الدولة الصفوية.

١- الشاه إسماعيل (١٥٠٢/١٥٢٤م).

٢- الشاه طهماسب (١٥٢٤/١٥٧٦م- ٩٨٤هـ)

٣- الشاه محمد خودابنده (١٥٧٧/ ١٥٨٧م).

٤- عباس الكبير (١٥٨٨/ ١٦٢٩م).

(٣) تاريخ المشعشعيين وتراجم أعلامهم لجاسم حسن شبر م.الآداب النجف ص١٠٧.

(٤) مرآة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية، لهيفة عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص٢٣.

(٥) السجل التاريخي للخليج القسم التاريخي المجلد الأول ص١٤.

(٦) أبوحاكمة: محاضرات في شرقي الجزيرة العربية.

والاتفاقيات، وفتح مراكز وتأسيس قواعد تجارية، وأصبحت شركة الهند الشرقية الهولندية فيما بعد أداة للاستعمار الهولندي فيما وراء البحار، فدخلت في صراع مرير مع الإسبان والإنكليز والبرتغاليين في تلك المناطق[1]

حكم الشيخ الجبري لجزيرة البحرين وانقراض دولته

قال الشيخ محمد بن خليفة الطائي في التحفة النبهانية: ((في سنة نيف وعشرة بعد المائة والألف استقل بالبحرين الشيخ الجبري وهو من بقايا الجبريين الذين كانوا يحكمون الإحساء فانقرضت دولتهم من الإحساء في سنة ٩٩٩هـ كما بيناه في تاريخ الإحساء.

ولما استتب للشيخ الجبري الحكم على جزيرة البحرين جعل مقره قرية يقال لها العمرو وبنى بها قلعتين على جبلين هناك متقابلين والبلدة بينهما. وكان له وزير يسمى (الشيخ فرير بن رحال) وسكناه الرفاع الشرقي وبنى به قلعة عظيمة ولتقادم السنين خربت تلك القلعة...

ويقال إن سبب انقراض دولة الشيخ الجبري من البحرين هو أنه كان مغرماً بالنساء، لم توصف له امرأة جميلة إلا سعى في طلبها إلى أن يتمكن منها حلالاً أو حراماً. فوافق في بعض الأيام أن أحد جلسائه جعل يصف له امرأة بالجمال الفائق ودقة الخصر الرقيق، وقال إنها إذا استلقت على ظهرها يمكن أن تمر الرمانة من تحت خصرها فتعجب الشيخ الجبري من ذلك وقال هل توجد امرأة اليوم بمثل ما وصفت؟ قال إن زوجة وزيرك الشيخ فرير هي أكمل حسناً مما ذكرناه. فشغف الشيخ الجبري بها... فوجه وزيره المذكور بهدايا إلى بعض الأمراء كالعادة وبعد مضيه بعث إلى زوجة الوزير المذكور وأمرها أن تتهيأ لمجيء الحاكم إليها في ليلة معينة وشدد الطلب عليها في ذلك فخافت من بطشه فأجابت طلبه. فلمّا أتى الحاكم إلى منزلها ليلاً زفت له جارية من خدمها فنام الحاكم معها حتى الصباح ظنًّا منه أنه هي زوجة وزيره الموصوفة بالحسن لكنه لم يجدها على ما وصفت له، فلمّا قدم الوزير أعلمته زوجته بما جرى وأنها خدعت الحاكم بزفاف إحدى الخدم فشكرها زوجها على حسن صنيعها وصيانة نفسها. ثم لما حضر الوزير مجلس الحاكم وشرعا يلعبان الشطرنج كالعادة فغلب الوزير فارتجل الحاكم بهذين البيتين (من النبط):

ذيب سرى في ظلام الليل كل شاتك	كل اللحم والشحم وأروى مشاشاته
والصاحب اللي بعد تهوى مماشاته	إن ردت لاماه لا تطرى ليا شاته

معرضاً فيها بقصته مع زوجة الوزير ففهم الوزير المرمى وتألم من ذلك، ثم إنه جد في اللعب حتى غلب الحاكم وأظهر الوزير السرور ثم أنشد أبياتاً منها:

من حبل للبطوط واصطاد عنقوده	هاذك بيس الحلايق شاع مفقوده

---

(١) غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفاء عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص٢٣.

قاصداً بها إجابة الحاكم، فشعر الحاكم بغصبة وعرف أنه خدع وتحقق لديه ما مر بخاطره اصطجاعه تلك الليلة في بيت الوزير، محنق لدلك وسل سيفه وجدل وزيره في الحال، لأن المسألة وافقت المثل (لا عارة انقصت ولا سر انكتم) فلمّا حرت روجة الوزير بقتله خافت على نفسها وفرت إلى دارين وشرعت في تدبير الأخد بثأر روجها ...، (قدمت هدية للشاه عباس الصفوي الثاني[1] وأغرته على الاستيلاء على البحرين)....، أمر عامله الذي في شيراز واسمه (الله ويردي خان) بأن يأخذ البحرين من يد العرب فجمع جموعاً من أهل المحمرة ومن أهل الحصبة وجهزهم تحت قيادة (حاجا معين الدين الفالي) فسار بهم نحو البحرين فبرز لهم الشيخ الجبري بجيش مؤلف من آل أبي مهير فتقابل الجمعان وحصلت بينهما معركة شديدة قتل فيها الشيخ الجبري وتفرقت جموعه)).

وفاة الشريف أبي طالب
صاحب الحادثة المشهورة مع قبيلة زعب قرب بيشة

١٠١٢هـ في هذه السنة توفي الشريف أبو طالب بن الحسن بن أبي نمي رحمه الله بمحل قرب بيشة، عن عمرٍ يناهز الخامسة والخمسين، قال العاصمي: ((قبل وفاته بأيام كان وقع من شيخ زعب جناية محبسه فيها، ثم إن جماعة الشيخ الزعبي طلبوا من الشريف أبي طالب أن يرضى عليه ويعطوه ما يطيب خاطره، واتفقوا بينهم على مائة فرس وألف بعير وكذا وكذا من الدراهم

ثم أحضروا جميع ذلك ووصلوا به إليه فقال لهم: أما ما كان مرادي إلّا تأديب الشيخ الزعبي وليس غرضي في طمع منه. والذي وصلتم به من الخيل والإبل هو معاد لكم. ولم يقبل من ذلك شيئاً وكسا الشيخ الزعبي وجماعته الذين كانوا معه في الحبس بعد أن أطلقهم، وأمر لهم بتعابي جسيمة))[2].

ولاية الشريف إدريس بن الحسن وشركاه على مكة المكرمة

١٠١٢هـ وفيها ولي الشريف إدريس بن الحسن، وأشركوا معه في الدعاء ابن أخيه الشريف محسن ابن الحسين بن الحسن، وأشركوا معه أخاه السيد فهيد بن الحسن[3].

ابن معمر ينتزع حريملاء وملهم من العطيان

يذكر الأستاذ الطعيس أن بلدة حريملاء ظلت جزءاً من إمارة العطيان بملهم، إلى أن دبت الخلافات

---

(١) نلاحظ أن الخبر يربط وقت وقوع الأحداث بالشاه عباس الصفوي الثاني الذي كان حيًا حتى سنة ١٠٦٢هـ ولكن السنة التي ذكرها النبهاني تدخل في فترة حكم الشاه عباس الأول الذي توفي في سنة ١٠٣٨هـ، ثم جاء بعده الشاه صفي ثم جاء الشاه عباس الثاني المذكور، علماً بأن الدولة الصفوية انتهت في سنة ١١٤٨هـ. راجع هامش ص ١٢١ من كتاب إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي ٩٠٦هـ إلى ١١٤٨هـ.

(٢) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٣٩٤.

(٣) المصدر السابق ج٤ ص٤٠٠.

بين أهالي ملهم أنفسهم، فانقسموا إلى حزبين، أحدهما مؤيد لحكم العطيان، والآخر معارض له، وذلك في العقد الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، فانتهز ابن معمر رئيس العيينة هذه الخلافات، وأغار على ملهم، والتحموا في معركة ضارية، انتهت بانتصار ابن معمر انتصاراً ساحقاً، وانتزاعه حريملاء من العطيان[1]، هذا ما ذكره الطعيمي، ويدلّ كلامه على أن ابن معمر انتصر على أهل (ملهم) واستولى على (حريملاء)، وهذا يعني أن هاتين البلدتين دخلتا تحت يد ابن معمر.

ويذكر ابن بشر، أن ابن معمر، بعد أن أجلى العطيان من ملهم، نزلوا القصب، ثم إن ابن معمر ردهم إلى بلدهم ملهم من رؤيا رآها اقتضى برأيه ردهم بسببها.

ذكر حكم الشيخ عبدالله بن راشد على كويبدة

ذكر تكسيرا في رحلته من بغداد إلى حلب بنهاية ١٦٠٤م (١٠١٣هـ تقريباً) أنه مر بالدرهمية والبرجسية والرميلة ثم جاء إليها وكانت تحكم من قبل الشيخ عبدالله بن راشد الذي كانت له صلات جيدة مع باشا البصرة، وزعيم البرتغاليين فيها[2]، وأرجح أن يكون الشيخ عبدالله من رؤساء المنتفق ولا سيما من آل معامس.

ولاية علي باشا الملقب بالبغدادي على الإحساء

في سنة ١٠١٨هـ بعد وفاة بهرام باشا والي الإحساء أقر المجلس السلطاني تعيين علي باشا بدلاً منه بصفة رسمية بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة التاسع من سبتمبر وذلك بناء على ((ما أبداه من مقدرة وما قدمه من خدمات جليلة سابقة)) كان علي من نتاج أفراد الطبقة العسكرية العثمانية التي استقرت في المنطقة العربية وازدادت صلتها بها نتيجة التزاوج وترابط المصالح، فقد تم تلقيب علي هذا بالبغدادي نسبة إلى نشأته ببغداد وارتباطه بها، وقد أدى استقراره هو وأفراد عائلته في الإيالي وتكوينه لأسرة حاكمة، وما أشتهر عنه وعن العديد من أبنائه من تدين وعي وبين قسط وافر من المعرفة والثقافة.. إلى شهرة واسعة. وقد استمر في منصبه حتى سنة ١٠٤٤هـ[3].

الصلح بين الاتراك والإيرانيين

١٠٢٢هـ (١٦١٣م تقريباً) في هذه السنة انعقد الصلح بين دولتي الفرس والترك وكان من جملة الشروط التي تعهد بها الشاه أن لا يشتم الصحابة ولا الأئمة المجتهدين ولا أم المؤمنين عائشة وأن يأذن لمن أراد القدوم إلى أنحاء بغداد وأن تراعى الحدود التي كانت أيام السلطان سليمان فلا يتعرض للقلاع

---

(١) مدينة حريملاء لصالح الطعيمي ج١ سنة١٩٧٩م.

(٢) م.دراسات الخليج ع٥٨. طريق البصرة–حلب للقوافل التجارية، مصطفى عباس ود. ملاح عبدالمحسن ص٦٦.

(٣) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٢٥٥–٢٥٩.

والبقاع وأن تكون البلدان والممالك التي في يد مبارك بن مطلب المشعشعي تابعة لبغداد وأن لا يساعد ولا يحمى من قبل الشاه[١].

مبارك المشعشعي وهجماته المتصلة على البصرة والإحساء

١٠٢٢هـ ١٦١٣م كان آغا حسين باشا حاكماً للبصرة وقد خاف جانب مبارك فأخذ يجاريه ويسترضيه إسكاتاً لمطامعه في البصرة ونواحيها، وقد كان مبارك يحاول الاستيلاء على البصرة ولكن قوة الترك هي التي منعته من الادعاء بحكمها

ويبدو من الحوادث المتقدمة أن السيد مباركاً كانت هجماته متصلة على البصرة والإحساء والجزائر حتى استولى على البصرة وجميع القرى المجاورة لها ولم تتمكن الحكومة التركية منه حتى عقدت الصلح بينها وبين الشاه دفعاً له ولهجماته المتتابعة وبناء على هذا فإن البصرة كانت في يد السيد مبارك وهو أهداها إلى علي باشا سابقاً كما نص على هذا صاحب كتاب أعيان الشيعة[٢].

القتال بين الأمراء الجبريين ونبهان بن فلاح بعُمان

١٠٢٦هـ ((أخذ نبهان بن فلاح جنوداً من أخواله آل ريس ووصل بهم إلى الظاهرة ودخل فدى، وأقام فيها مدة أيام، ثم جاء أحد ممن كان له مصاحباً من أهل ينقل من قبل، فقال له: (نحن ندخلك البلد، ونثبت قدمك، ونشد عضدك، وننصرك على القوم، ونستفتح لك الحصن)

فسار بقومه، وأدخله ينقل ليلة النصف من ربيع الآخر، سنة ١٠٢٦هـ. وحكم مقاصير البلاد من أولها إلى آخرها، إلا الحصن. وكان فيه قبيلة من بني علي تحصنوا، وأحدق بهم نبهان، واستدام بينهم القتال، فخرج راجل من الحصن، ومضى إلى الأمير قطن ابن قطن

وكان الأمير يومئذ ناصر بن ناصر، فركب معه محمد بن محمد بن محمد بن جيفر، وعلي بن قطن ابن قطن، وقطن بن علي بن هلال، وناصر بن ناصر بن قطن، بما عندهم من القوم. وكان مسكنهم ببادية الشمال فساروا حتى دخلوا ينقل. فاستقام بينهم وبين نبهان القتال واشتد الطعن والنزال..

فانكسر عسكر السلطان نبهان بن فلاح فمنهم من قتل ومنهم من طلب التسيار، فسيّر، ومنهم من مضى على وجهه))[٣].

قصيدة العليمي في الأمير قطن بن قطن الجبري

فيما يلي قصيدة عاميّة للشاعر محمد العليمي في مدح الأمير قطن بن قطن بن قطن بن علي بن

---

(١) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي لمحمد عزة دروزة م٢ ج٦ ص٥٤

(٢) تاريخ المشعشعيين وتراجم أعلامهم لجاسم حسن شبر م.الآداب النجف ص١٠٩.

(٣) تاريخ أهل عمان: تحقيق / سعيد عبدالفتاح عاشور ص ١٢١

هلال بن زامل الجبري ولا يعلم تاريخ هذه القصيدة إلا أن هذا الأمير كانت إمارته على أحد أقاليم عمان في بداية القرن١١هـ، وعدد أبيات هذه القصيدة في الأصل ٣٧ بيتاً وسنختصرها.

١- يا زاير في عمان قبل ينجالي	جنح الدجى والملا بالنوم ذهالي
٢- ياطول خطوتك من نجد إلى ملح؟؟	ومن دونك البيد قفر صحصح بالي
٣- أنا بوادي عمان عنك منتزح	وانته بوادي حنيفة[1] عالي الأوشالي
٤- أهلا هلا مرحبا في طارش هشل	في تالي الليل عندي تاقف غالي
٧- يا مايث العطر يا غض الشباب ويا	حوري الألحاظ يا جرار الأذيالي
٨- وراي أنشد طروشك عنك محتفي	وإلّا أنت من جاك ما سايلت عن حالي
٩- قال اقبل العذر مني لا تكذبني	ولا تطع يا العليمي فيّ الأقوالي
١٥- أصبحت كني ملكت الهند مع حلب	مع مصر والشام وما يخزن من المالي
١٦- يا لايمين العليمي في مودته	ما أطن فيكم ورب البيت عقالي
٢٠- الله يسقي ديار حل جانبها	من مدلهم طوال الليل هطالي
٢٤- يسقي الدجاني[2] إلى برك إلى ملح	إلى سنام[3] إلى معمورة الجالي[4]
٢٥- من عقب خمسين تلقى الزهر مختلف	يشادي لزل الزوالي عند دلالي
٢٦- تمني إليه ركاب الممحلين كما يمنى	إلى (قطن) المظيوم والمحتاج والجالي
٢٧- قطن بن قطن من النخي قطن	وابن هلال عريب الجد والخالي
٢٨- شيخ عطاياه جرد الخيل ملبسة	وكل إجرد عطيميط وصهالي
٢٩- والحمر والتمر صفط من وهايبه	ومجامع الهجن منتويات الأصالي
٣٠- خواض جمع العدا في كل هيرجة	خرس تجاول بها فرسان الأبطالي
٣١- والبيض فيها كشمس الصبح شارقة	ينخن فوق الحني في حسها العالي
٣٢- ينخن سور الظمن (أبو منيف قطن)	والموت يمشي معه قصاف الأجالي

---

(١) وادي حنيفة يسمى وادي القرى، ومن القرى أو البلدات الواقعة عليه سدوس والعيينة والجبيلة.

(٢) [الدجاني] على طريق الحاج من البصرة، قبل منطقة سدير و لوشم. وكذلك يُذكر أنه بين اللهابة وسدوس رغم طول المسافة بينهما.

(٣) المشهور في هذا الاسم جبلين، الأول جبل سنام الذي في عالية نجد والثاني جبل سنام الذي بين الكويت والبصرة وهو المقصود.

(٤) [معمورة الجال] يقصد بها مدينة كاظمة لمندرسة، القريبة من لكويت، وهذا دليل مهم على أنها كانت موجودة حتى ذلك الوقت كمستقر بشري عامر.

خلال عامي ١٦١٨م و١٦١٩م استطاعت القوات الهولندية أسر (٢١ سفينة) إنجليزية، بينما لم يأسر الإنجليز إلا واحدة مما يدل على قوة الهولنديين، ومع هذا التنافس فقد تم التوافق بينهما في عام ١٦١٩م عندما ساعد الهولنديون الإنجليزيين في تجهيز عشر سفن حربية في الشرق لحماية التجارة[١].

بداية ضعف الدولة العثمانية

١٠٢٩هـ في الوقت الذي كان السلطان مراد الرابع ما يزال طفلاً، تكالبت الظروف في إضعاف الدولة العثمانية ولو بشكل مؤقت، وكان أسلاف السلطان مراد قد سمحوا للفوضوية أن تجمع قواها من كل جهة، حيث يذكر لونكريك أن التتر أبطلة في ذلك الوقت كان يتسيّد آسيا الصغرى، وأن القبائل اللبنانية في عصيان علني، وحكام مصر وسائر الولايات مترددون في ولائهم، وأصبحت حاكميات البربر في حكم المستقلة، وفي القسطنطينية نفسها كانت خزانة بيت المال فارغة، ودار الصناعة معطلة، والعملة النقدية لا رواج لها، والمخازن خاوية والسكان جياعاً والجيش مشتتاً[٢].

هذه الظروف جميعها اضطرت الدولة العثمانية إلى توقيع معاهدة صلح في سنة ١٠٢٩هـ- ١٦١٩م بينها وبين إيران.

سقوط جزيرتي هرمز والبحرين في يد الشاه عباس

وفي الوقت الذي ضعف فيه أمر البرتغاليين في الخليج تحت الفوضى والاضطرابات في الأقطار التي كانوا يسيطرون عليها[٣]، وكان العثمانيون مشغلون في حروب أوروبا، فاستمرت تلك الظروف وأسفرت عن تعاون بريطاني إيراني سقطت بموجبه جزيرة هرمز بيد قوة فارسية بريطانية مشتركة في عام ١٠٣١هـ١٦٢٢م[٤].

وبعد سقوط هرمز نشب الخلاف بين سكان جزيرة البحرين فرفع أبناء الشيعة شكواهم إلى الشاه (عباس الصفوي) طالبين مساعدتهم على خصومهم فجهز جيشاً لاحتلال البحرين بقيادة (قوليخان) فاحتلها في السنة نفسها أي (سنة ١٠٣١هـ) ونصب الصفويون على البحرين (سوندك سلطان)[٥].

---

(١) عراة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيلة عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص٢٩

(٢) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لونكريك ط٦ ص٧٠ - يقول المترجم نقلا عن توصيين هذا ما كتبه كريسي ص٢٤٦

(٣) مجلة الوثيقة ع١ س٨٢: تاريخ العتوب،د/ علي أبا حسين ص٨١

(٤) التحفة النبهانية.

(٥) م.الوثيقة ع١ س٨٢ تاريخ العتوب د/ علي أبا حسين ص٨١ راجع سنة ١٦٠٢م، وقرأت في بعض المصادر أن من أبناء الشيعة الذين رفعوا الشكوى إلى الشاه عباس رجل وجيه يقال له هيبة آل مذكور وهو من رؤساء البحرين العرب الذي ذهب إلى فارس بدعوة من الشاه على ظهر سفينة أقلته من البحرين إلى بوشهر ومن هناك انطلق إلى الشاه فشجعه على التدخل السريع مما أسفر عن الانتصار الإيراني على جزيرة البحرين، عيّن لإدارة شؤونها سوندك سلطان وهو من العجم.

١٠٣١هـ تغلب بكر الصوباشي أحد الإنكشارية الذي كان برتبة صوباشي وارتقى إلى رتبة آغا على خصومه في بغداد وأعلن استقلاله وانفصاله عن الدولة العثمانية[١].

الاحتلال الإيراني لبغداد والبلاد العراقية

١٠٣٢هـ- ١٦٢٣م بكر الصوباشي أحد المتغلبين على بغداد كانت تضرب به الأمثال بسبب ما جرّه على نفسه وعلى بلاده من وبال، حيث إنه بعد تغلبه على الأمر اضطر إلى إعلان الانفصال عن الدولة العثمانية التي لم تعترف به ولا بحكومته، وفي خطوة منه يعتقد أنها في المسار الصحيح بعث بمفاتيح بغداد إلى شاه إيران مما يعني دخوله تحت الطاعة الفارسية وذلك نكالاً في الدولة العثمانية التي لم تعترف به.

وهذا ما جعل الدولة العثمانية تتراجع عن موقفها المتعنت لأنها نظرت إلى المصلحة العليا للبلاد والعباد، فأرسلت إلى بكر الصوباشي بهذا الخصوص ولكن بعد فوات الأوان، حيث إن الجيوش الفارسية كانت تطرق أبواب بغداد بقوة، فوقعت بغداد في يد إيران وندم بكر الصوباشي حيث لم يعد ينفع الندم.

فلجأ عيسى خان قائد جيوش الشاه عباس سكان بغداد بتسليط النار عليهم وشرد أطفالهم ونساءهم حتى وصف يوم دخوله كيوم من أيام القيامة، وراحت جيوشه تقتل وتنهب ووقعوا بأهل السنة والجماعة قتلاً ذريعاً وفتكاً[٢].

قال نظمي زادة: إن احتلال بغداد أدى إلى الكثير من الأضرار والتصفيات العدوانية، وصار عزيز القوم ذليلاً وتركوا الكثير من الأولاد والبنات أيتاماً وأرامل بسبب قتل آبائهم ورجالهم أو بيعهم في المزاد وصاروا ينقلون من يد إلى يد وكثير منهم أخذوا إلى ديار إيران وتفرقوا في البلاد، وتهدم الكثير من المدارس والمساجد.

وبعدها أعلنوا الأمان وصدر العفو عن الآخرين وأطلقوا سراح المسجونين وقسموا الأرزاق على السكان وأكثرهم اختار الهجرة نحو بلاد الروم حتى أن والدي المرحوم - القول لنظمي زادة - أيضاً بعد اختفائه بضعة أيام ترك ماله وما يملكه وفارق هذه الديار بزي درويش ولم يصحب معه سوى الوالدة[٣].

وبعد نجاح احتلال بغداد قامت القوات الإيرانية بتوزيع حامياتها على المدن المهمة في العراق[٤] ومنها كركوك والموصل، ثم تم الزحف على البادية واستولوا على الحلة ومنطقة نفوذ أبي ريشة وعانة وطيار القريبة من حلب وهدد هذه المدن أيضاً، ونصب في عدة حامية، ولكن بعد سفر الشاه وانسحاب قواته تحرك أبو ريشة الذي بقي على ولائه للسلطان وزحفت قبائله، فاستعادوا طيبة وعانة وقتلوا سبعين قزلباشياً كانوا في الحاميات ولم يوقف الزحف إلاّ تحرك (ناصر بن مهنا) أمير غربة حاكم (مشهد

---

(١) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص٢١٢

(٢) المصدر السابق ص٢٢٠.

(٣) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص٢٢٠.

(٤) أربعة قرون من تاريخ العراق ص٥٦

الحسين) والمنطقة الممتدة بين الحلة والبصرة، ولم يكن بمستوى أبي ريشة من حيث الزعامة، وكان أحد العاملين المهمين في سقوط بغداد في يد الفرس نظراً لولائه لهم، فقد تصدى لتحركات أبي ريشة وقاتله قتالاً ضارياً، فقتل من أتباعه وخرب أراضيه[1]، ولكن أبي ريشة الذي تنحصر المصادر في تسميته بين اسمين مطلق أو مدلج اضطر فيما بعد إلى الرضوخ للسيطرة الفارسية وتعرض لهذا السبب لانتقام الأتراك[2].

الاتفاقية الهولندية الإيرانية

بعد مفاوضات جرت بين الشاه عباس ومبعوث هولندي أصدر الشاه فرماناً شمل امتيازات سخية جداً رغم معارضة الإنجليز والكثير من المسؤولين في الحكومة الصفوية، ويتكون الفرمان من ٢٣ بنداً، تم توقيعه بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٦٢٣م.

١- السماح للهولنديين بالدخول إلى كل المناطق التي تحت حكم الشاه لعرض بضاعتهم أو شراء بضاعة فارسية للحد الذي يرى فيه الهولنديون مصلحتهم التجارية.

٢- لا يجوز إجبار الهولنديين على شراء بضائع ضد رغبتهم، بل يشترون البضائع التي يرغبونها بدون ضغط من أي شخص كان.

٣- لا يدفع الهولنديون ضرائب أو رسوماً عن البضائع التي يصدرونها أو يستوردونها ولا حتى أرصدتهم، مع استثناء وحيد بالنسبة لأرصدتهم الصغيرة طبقاً لقانون قديم

٤- ليس لأي وزير الحق في حجز بضاعة هولندية أو إيداعها سواء كانت مصدّرة أو مستوردة، وعدم منع الهولنديين من اصطحابها إلى أي مكان يرغبون من قبل أي حاكم مهما كان

٥- يسمح للهولنديين استخدام كل أنواع الأوزان التي تكون في عهدتهم في البيع والشراء ولا يحق لأحد من الوزارة الرسميين الاعتراض، ولهم الحق في وضع أجرة الوزن عدا الطلبات الشخصية للشاه التي تستثنى من الأجور.

٦- يحق لأي هولندي حتى لو كان بدون هوية التجول في المناطق التي تحت حكم الشاه.

٧- يتعهد الشاه بتعويض الهولنديين عندما تؤخذ بضاعتهم من قبل سلطة شرعية

٨- تنقل بضاعات الهولنديين بالعربات، وليس بالجمال، ويكون كل أصحاب العربات تحت خدمة الهولنديين بصورة توازي مستوى المواطنين في بلاد فارس.

٩- على الموظفين الفرس تهيئة الدور المحصنة والطعام والشراب والجياد وكل شيء يحتاجه الهولنديون، إضافة إلى قطعات حماية لمرافقتهم

---

(١) رحلة ديلاديليه إلى العراق ص١٤٢

(٢) البدو ج١ ط٢ لأوبنهايم ت/ ماجد شبر ص٤٤٧

١٠- تتمتع دور الهولنديين بحرية كاملة دون استثناء، ولا تدخل في إطار ملك أو عقار وإذا حصل وأجبر الهولندي بالتخلي عن العقار فعليه مقاومته بالقوة.

١١- يسمح للهولنديين شراء العبيد من أي قطر كان يرغبون وإدخاله إلى بلاد فارس.

١٢- يسمح للهولنديين ممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية دون معارضة.

١٣- إذا حصل وأسلم أي شخص هولندي فمن حق رئيس الوكالة نفيه في أي وقت يشاء.

١٤- إذا اقترف أي هولندي ذنباً ما، أو جريمة قتل، أو خالف القانون، فسوف لن تحقق معه أية سلطة في بلاد فارس بل يحاسب من قبل رئيسه طبقاً للظروف المحيطة بالحالة ومن الجهة التي يراها(*).

١٥- إذا وجد أي هولندي بصحبة امرأة فارسية، فسوف لن يعاقب من قبل مسؤول الأمن في البلاد بل من قبل رئيسه بعد أن يتأكد أنه مذنب حقًّا

١٦- يخصص مكان لدفن الموتى من الهولنديين وحسب طقوسهم وشعائرهم الدينية.

١٧- لا يجوز إيذاء ومعارضة أي شخص في خدمة الهولنديين، كما يسمح لكل الأشخاص سواء كانوا فرساً أو بنغالاً أو أرمناً أو أتراكاً للعمل بكل حرية في خدمة الهولنديين بدون معارضة.

١٨- يتمتع المترجم أو دليل السائح في دور الهولنديين التجارية بحرية كاملة توازي عضو مجلس الأمة الهولندي، ولا يزعجه أو يعارضه أحد.

١٩- إذا تعرضت السفن الهولندية لأي أذى أو حادث في مكان ما تحت حكمه وتلفت البضائع فعلى الوزير المختص تعويض الهولنديين عمّا فقدوا من دون اعتراض

٢٠- يسمح للهولنديين بتصدير الجياد وأي نوع من الحيوانات التي يرغبون تصديرها.

٢١- لا يؤخذ أي مبلغ أو ضريبة عن البضائع المشتراة من شيراز وهرمز من قبل الهولنديين تحت أي ادّعاء كان.

٢٢- لا يؤخذ أي مبلغ من الهولنديين الذين يعملون بحراسة الطريق في أية منطقة.

٢٣- وعد الشاه الهولنديين أنه سيمنحهم امتيازات إضافية حالما يحتاجون[1]

وكانت كل هذه التنازلات التي قدّمها الشاه عباس للهولنديين هي من أجل أن يوافقوا على طلبه في أن تقطع العلاقات التجارية والسياسية بين هولندا والدولة العثمانية، ومشاركة القوات البحرية التابعة للشركة الهولندية مع القوات الفارسية في طرد البرتغاليين من مسقط وعمان، إلا أن هذين الطلبين قوبلا بالاعتذار[2].

(*) تقول الأستاذة هيفاء الربيعي: هذه الفقرة بالذات شجعت الهولنديين فيما بعد لاستخدام العنف والقوة ومخالفة القانون واقتراف الجرائم دون رادع.

(١) غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفاء عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص٤٠-٤٢.

(٢) المصدر السابق ص٤٣.

فالشاه يريد استمرار التعاون الإيراني الهولندي لتحقيق أهدافه السياسية وأما الهولنديون يريدونها تجارية لا سياسية[1].

إقامة وكالة تجارية برتغالية في البصرة

(١٠٣٢هـ تقريباً) ١٦٢٣م قال لوريمر. ((عند فقدان هرمز وجه البرتغاليون نشاطهم التجاري وحماستهم للتبشير إلى البصرة فأقاموا فيها وكالة تجارية وجماعة دينية ومعهداً للتعليم الديني وظلوا هناك حتى عام ١٦٤٠م على الأقل))[2].

سلامة البصرة من الاجتياح الإيراني

(١٠٣٢هـ تقريباً) ١٦٢٣م البصرة نجح حاكمها التركي في الدفاع عنها بمساعدة البرتغاليين الذين تركوا فيها خمس سفن لمساعدة الأتراك على الجيش الفارسي وفي ٢٣ مارس ١٦٢٥م الموافق ١٣ جمادى الثانية ١٠٣٤هـ تقريباً تخلى الفرس مجأة عن هجومهم على البصرة[3].

من مشاهدات ديللافاليه في جنوب البصرة

في ٢٣ مايو ١٦٢٣م (٢٣ رجب ١٠٣٢هـ تقريباً) قال ديللافاليه سرنا ستة مراسح فوصلنا إلى قرية كويبدة التي يحترمها الأعراب قلعة، وكان شيخها يجمع الإتاوة من القوافل العابرة واسمه الشيخ عبدالله، توقفنا خارج هذه القرية بانتظار القوجي الذي زار الباشا، لأنه طلب منا أن يرافقنا في طريق عودته إلى اسطنبول[4].

الجدير بالذكر أننا دفعنا الضرائب في الطريق الصحراوي أربع مرات! ولا أعلم أكان دليلنا يخدعنا أم أن هذه العادة الجارية. فقد دفعنا أولى الإتاوات للشيخ عبدالله صاحب كويبدة..، والإتاوة الثانية يستوفيها شيخ عربي آخر في البادية اسمه ((ابن خالد))....، والإتاوة الثالثة تدفع إلى شيخ عربي ثالث يلقب ((بالأعور))... ومثل الإتاوات تدفع لشيخ آخر هو ((ابن عم الأعور)) المذكور.

في ٥ يونيو: بارحنا كويبدة قبل بزوغ الشمس فوصلنا عند الظهيرة قرب آبار يطلقون عليها اسم ((القنيمات)) وهناك وجدنا عدداً من البدو نازلين في تلك الديار، لقد خفت في بادئ الأمر من هؤلاء الرجال، ولكن عندما اقتربنا منهم رأيناهم مساكين مسالمين، فأنزلنا الرحال واسترحنا.

بلغنا هناك أن قبضة من قطاع الطرق قد أعدوا العدة لمهاجمتنا وقد سبقونا في البادية، فللتأكد من هذا الخبر عاد رئيس الجمالين إلى كويبدة ليستطلع الأمر فهناك تتجمع عادة عيون العشائر، وفي الليل

---

(١) المصدر السابق.

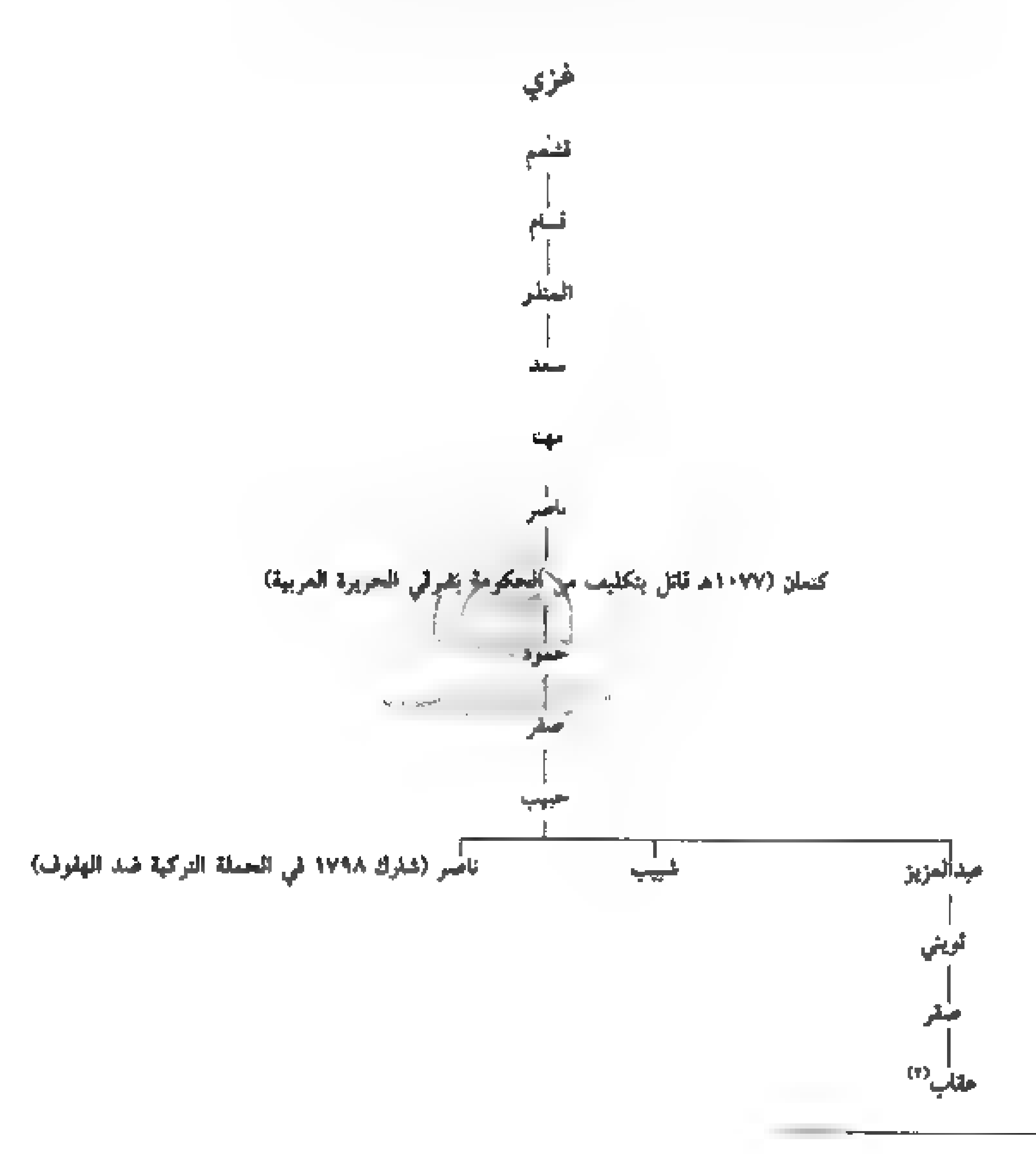
(٢) السجل التاريخي للخليج القسم التاريخي المجلد الأول ص٤٠

(٣) المصدر السابق ص٣٢.

(٤) رحلة ديللافاليه إلى العراق ص١٥٢

رجع إلينا مؤكداً صحة الخبر ونصحنا بالعودة إلى القرية، ولا أعلم مدى أمانة الرجل في كلامه، فعدنا في اليوم التالي ونزلنا في العراء خارج القرية، ثم دعب للدخول إليها لنكون في مأمن من اللصوص ونضيع آثارنا على جواسيسهم وكأننا غيَّرنا خطتنا وعدلنا عن السفر[1].

١٣ يونيو: غادرنا كويبدة في الليل ومررنا من جديد بالعبيمات. وفي ١٤ حزيران (يونيو) أكملنا السير إلى منتصف النهار أيضاً فنزلنا قرب مياه مرة المداق، هناك هبت علينا رياح حارة شديدة اقتلعت خيامنا ومزقتها بحيث اضطررنا في الليالي التالية إلى النوم في العراء.



(١) المصدر نفسه ص١٥٥.

(٢) راجع: البدو ج٣ ط٢ تأليف فرنز كاسكل ومساعديه تحقيق ماجد شبر ص٥٨٨، وراجع (تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي ج٤ ص٥١).

توغل شريف مكة إلى قرب الإحساء واجتماعه ببعض أقربائه

١٠٣٢هـ ((توغل الشريف إدريس بن حسن بن أبي نمي وابن أخيه محسن بن حسين في الشرق ووصلا بالفريق إلى قرب الإحساء اجتمع بدوي عبدالمطلب وكانوا في العام الماضي نافروا عمهم الشريف إدريس فقام الشريف محسن في موافقتهم لعمهم فتم ذلك وطابت نفوسهم، وصل الشريفان بفريقهما إلى الإحساء وضربت خيامهم قبالة الدب نقبلي من سور الإحساء وأكرمهم صاحبها علي باشا الكرامة التامة وأقاموا نحو ثمانية أيام ولم يتفق لأحد من أشراف مكة المتولين من القتاديين وصول الإحساء كما اتفق لهذين الشريفين))[1]

استيلاء ناصر بن مرشد على خورفكان

١٠٣٢هـ- ١٦٢٣م في هذه السنة استعاد الإمام ناصر بن مرشد بن سلطان اليعربي خورفكان الذي يتنافس عليه الفرس والبرتغاليون.

جدول لأمراء عُمان وإماراتها

في هذه الأوقات كان ملك عمان في أيدي المتزعمين التالين:

الرقم	المنطقة	صاحبها
١	نزوى	سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان
٢	سمائل	مانع بن سنان العميري
٣	بهلى	سيف بن محمد الهنائي
٤	سمد الشأن	علي بن قطن الهلالي
٥	أبراء	محمد بن جيفر بن جبر الجبري
٦	صور وقريات ومسقط والجانب الشمالي من الباطنة	البرتغاليون
٧	نخل	لعمه سلطان بن أبي العرب
٨	الرستاق	في يد أبي سلطان بن أبي العرب
٩	حصن العبي	لآل هلال رهط الجبور
١٠	حصن مقنيات	الجبور
١١	ينقل	الجبور ومالكها ناصر بن قطن وكانت لمحمد بن جيفر

(١) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٤٠٩.

١٢	صحار	البرتغال
١٣	جلفار	بيد العجم والمالك لها ناصر الدين العجمي[(١)]

مقتل أولاد صاحب بلدة مقرن

١٠٣٣هـ في ربيع الأول الموافق يناير ١٦٢٤م تقريباً: قتل أولاد معرج بن ناصر صاحب بلدة مقرن[(٢)].

اتساع حكم علي باشا البغدادي إلى هرمز

١٠٣٣هـ- ١٦٢٤م حكم علي باشا علاوة على ممتلكاته جزيرة هرمز لمدة ٢٥ عاماً، وفي خلال حكم ابنه حسين باشا تطلع إلى التوسع فأرسل قوة استولى بها على القطيف وعين عليها والياً من قبله[(٣)].

وفي عام ١٦٢٥م حصل تقارب إنجليزي هولندي عندما تعاونا في أسطول مشترك ضد الأسطول البرتغالي الذي تقدّم لاحتلال هرمز، فأصيبت سفنه بخسارة كبيرة فاضطر إلى التراجع إلى مسقط لإعادة التنظيم، لكن سرعان ما أصاب سياسة التحالف هذه الضعف بعد أن استنفدت أهدافها[(٤)].

وفاة الشريف إدريس في جبل شمر

١٠٣٤هـ مات الشريف إدريس بن حسن بن أبي نمي محمد وهو في الستين من عمره في جبل شمر، فأعلن محسن بن حسين بن حسن استقلاله بالإمارة[(٥)]، وكان الشريف إدريس قد عاش بعيداً عن مكة نحو شهرين في مكان يسمى ياطب عند جبل شمر[(٦)].

ولاية حسين افراسيب على البصرة

١٠٣٥هـ في هذه السنة وجهت ولاية البصرة إلى حسين باشا أفراسياب[(٧)]، الذي ((حاول أن يدعم استقلاله الحقيقي في ولاية البصرة، ولهذا لم يكن للعثمانيين أي تأثير فعلي عليه، لذلك فقد توجهت

---

(١) عُمان عبر التاريخ لسالم السيابي ج٣ ص١٩٣.

(٢) تاريخ اليمامة لعبدالله بن خميس.. ج٢ ص٢٨٠.

(٣) القوى السياسية في كوت الإحساء-يوسف جعفر سعادة ط٩٧ ص٤١.

(٤) قراءة في الخليج' الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفاء عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص٤٨

(٥) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج٥ ص٨٠.

(٦) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/ ١٩٩٩م ص٣٥٩.

(٧) ولاة البصرة ومتسلموها لابن الغملاس ت١٣٣٣ دار منشورات البصرة ٦٢

أنظار الأوروبيين الإنكليز والهولنديين رغم حصولهم على الامتيازات التجارية في الدولة العثمانية إليه للحصول على امتيازات مماثلة منه تضمن مصالحه التجارية هناك))[1].

ولاية الشريف أحمد بن عبدالمطلب على مكة المكرمة

١٠٣٧هـ ((ثار الشريف أحمد بن عبدالمطلب بجدة فتوجه محسن في أعوانه لملاقاة الثائرين وما كاد يترك مكة حتى ثار الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن محمد بن بركات في مكة، فلمّا بلغ محسن ابن الحسين بن حسن بن محمد ذلك ترك أمر جدة وعاد إلى مكة فشب القتال بينه وبين مسعود فيها، فتفرقوا عن محسن ففر إلى اليمن تاركاً مكة لأحمد بن عبدالمطلب وذلك في عام ١٠٣٧هـ))[2].

ولاية الشريف مسعود بن إدريس ثم الشريف عبدالله بن الحسن

١٠٣٨هـ بعد أن قتل الشريف أحمد بن عبدالمطلب في سنة ١٠٣٨هـ - تولى على مكة - الشريف مسعود بن إدريس ولم تطل مدته، ثم وليها الشريف عبدالله بن الحسن بن أبي نمي[3].

دفاع بني كعب عن البصرة ضد الفرس

خلال حصار البصرة من قبل الفرس (١٠٣٨هـ- ١٦٢٩م) أثبت شيخ كعب القبان بدر بن عثمان ولاءه المطلق لعلي باشا أفراسياب إذ وقف بمنتهى الحزم ضد من فكروا بالالتحاق بالفرس بسبب الوضع اليائس للمدافعين، وبعد إنقاذ المدينة بما يشبه المعجزة أدى نبأ وفاة الشاه عباس الكبير إلى رفع الحصار فجأة[4].

بعد وفاة الشاه عباس الأول اعتلى عرش بلاد فارس الشاه صفي[5].

انهيار أجزاء من جدران بيت الله الحرام

((البلاد الحجازية قد تعرضت في يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر شعبان المعظم من سنة ١٠٣٩هـ (٣ أبريل ١٦٣٠م) إلى رعود وصواعق وبروق وأمطار لم ير لها مثيل، إذ إن المياه التي نزلت من السماء تجمعت وكونت سيولاً كسيل العرم وهجمت بشدة إلى داخل المسجد الحرام وزادت ساعة بعد ساعة وارتفع مقدار ذراعين من عتبة مفتاح باب المعلى

---

(١) المجلة العربية للعلوم الإنسانية ع١١ مجلد٣ صيف٨٣ حكومة حسين باشا أفراسياب للحمداني ص١٥٨

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣٦٠

(٣) اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد بن إسماعيل الحسيني ص٣٤.

(٤) البلدوج٤ ط٢ تأليف أوبنهايم ومساعديه تحقيق ماجد شبر ص٨٣.

(٥) غزاة في الخليج. الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفه عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص٥٠.

إن الحوانيت والمدارس والمنازل التي تصادف وجودها في طريق السيل الشديد انهارت كلها...، وكانت جدران البيت المعظم قد أوشكت على السقوط بعد وقت قليل من أداء صلاة العصر من يوم الجمعة ٢١ شعبان.

وفي اليوم الثاني من دخول السيول داخل الحرم الشريف انهارت جدران الركن الشامي والركن العراقي فجأة، واختلط صخب الانهيار بأصوات الرعود والصواعق، فاستولى على أهل مكة خوف شديد حتى أن بعضهم ماتوا من شدة الفزع.

عقد في ذلك التاريخ أمير مكة المعظمة الشريف مسعود بن إدريس اجتماعاً في داخل الحرم مع الطبقة المختارة من الأشراف وسكان مكة، وبعد التشاور أسرعوا بإنزال القناديل الذهبية والفضية المعلقة في داخل بيت الله وبعد ذلك أخبروا الركاب السلطانية ما حدث، وأوصلوا خبر انهيار بيت الله بواسطة محمد علي باشا والي مصر))[1].

من الأخبار الأولى للمردة أسلاف آل سعود وآل ثاقب

١٠٣٩هـ / ١٦٣٠م ذكر حسين خلف الشيخ خزعل أنه بعد وفاة مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي خلفه في هذا العام المذكور ولده الأكبر ربيعة ثم قامت فتنة بعد وفاة ربيعة أسفرت عن استيلاء ابن اخيه مرخان بن مقرن بن مرخان على الحكم

اشتراك محمد بن عبدالله وزيد بن محسن في ولاية مكة المكرمة

١٠٤٠هـ توفي الشريف مسعود بن إدريس وبوفاته اجتمع الأشراف واتفقوا على تولية (عبدالله بن حسن بن أبي نمي)، وكان عبدالله رجلاً عظيماً صالحاً وكان من أكابر آل أبي نمي وبه سمّي (العبادلة) من الأشراف في مكة ومن ذرية العبادلة (آل عون).

ثم تنازل عبدالله بن الحسن لمحمد بن عبدالله وشريكه زيد بن محسن، واستقام الأمر لهما، وتوفي عبدالله بن الحسن بعد أشهر من تنازله في جمادى الآخرة من السنة نفسها ١٠٤١هـ، رحمة الله عليه[2].

إلا أن الشريف محمد بن عبدالله بن الحسن بن أبي نمي لم يدم في الحكم طويلاً إذ جاء في السنة المذكورة عسكر من اليمن ((ودخلوا مكة المكرمة عنوة بالسيف وقتلوا شريفها يومئذٍ محمد بن عبدالله وفعلوا بمكة ما فعله بالمدينة ملقّبهم أهل مكة بالجلالية))[3]

---

(١) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج١ ص٤٤٩.

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/ ١٩٩٩م ص٣٦٧.

(٣) تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب لعبدالرحمن الأنصاري تحقيق محمد العروسي المطوي ١٩٧٠ المكتبة العتيقة ص٧٥

اشتراك نامي بن عبدالمطلب وعبدالعزيز بن إدريس بولاية مكة

١٠٤١هـ ((نودي بالشريف نامي بن عبدالمطلب أميراً على مكة وندب للاشتراك معه في الحكم الشريف عبدالعزيز بن إدريس ..، وكان ذلك في ٢٦ شعبان من السنة نفسها. وبدخولهم فر زيد بن محسن إلى البادية ثم توجه إلى بدر ثم إلى المدينة فاستقر فيها وسميت الواقعة بـ واقعة الجلالية))[١].

فرار الشريف نامي وشريكه وولاية الشريف زيد

١٠٤١هـ فر الشريف نامي في بعض رجاله إلى خارج مكة، ثم تابع فراره إلى الشرق وتبعه عسكر الجلالية وقد انتهى بهم إلى تربة وتحصن معهم فيها كما فر شريكه عبدالعزيز فيمن تبعه إلى ينبع.

وباتت مكة في ليلة ٥ ذي الحجة من العام نفسه تنتظر دخول القادمين من الجموم...، وفي ٦ ذي الحجة (٢٤ يونيو ١٦٣٢م تقريبا) أقبل الشريف زيد في موكب حافل تتقدمه صناجق الأتراك حتى نزل في دار السعادة وأطلق مناديه ينادي بالأمان[٢].

في عام ١٦٣٢م حصل الإنجليز على بعض الامتيازات من الشاه صفي حاكم بلاد فارس وجدّدوا معه العقود السابقة بعد أن تم الاتفاق على دفع ١٥٠٠ تومان للشاه سنويًا على شكل هدايا[٣].

غزوة الشريف زيد على آل صبح من حرب

١٠٤٣هـ ((غزا الشريف زيد بن محسن عدداً من قبيلة حرب اسمها صبح فاستطاع أن ينكل بهم ويعيدهم إلى طاعته))[٤].

وباء الخيل

وفي هذه السنة وقع الفناء في الخيل بمكة حتى لم يبق فيها إلا فرس واحد جعلوه لركوب الأمير وركب بقية الأشراف الحمير[٥]

إعادة تعيين سوندك سلطان على البحرين

١٠٤٣هـ (١٦٣٣م) في هذه السنة عزل عن البحرين سوندك سلطان، إلّا أنه توجه بهدايا للشاه منها سيف (تيمورلنك) فأعاده إلى البحرين ثانية إلى سنة ١٠٧٧هـ[٦].

---

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣٦٨

(٢) المصدر السابق ص٣٦٩.

(٣) غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفاء عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص٥٣.

(٤) (تاريخ مكة لأحمد السباعي)

(٥) المصدر السابق ص٣٧٠.

(٦) م.الوثيقة ع١ ص٨٢: تاريخ العتوب،د/ علي أبا حسين ص٨١

تحركات الإمام ناصر العسكرية في الأراضي العمانية

١٠٤٣هـ في هذه السنة: ((اتفق ناصر بن مرشد مع والي لوى حافظ بن سيف أن يصير إلى صحار، ويبني فيها حصناً. فأرسل الوالي إلى من بقربه من القرى من بني خالد وبني لام والعمور، وكان رجال من صحار يدعونه إلى ملكها، فمضى بجيشه، وبات بقرية عمق، وصبح للبلد ضحى. وذلك آخر يوم من المحرم سنة ١٠٤٣هـ فأناخ بمكان يسمى البدعة من صحار))[١].

لجوء ابن قطن إلى الظفرة وتعصب بني ياس له

كان ناصر بن قطن يغزو أرض عمان انطلاقاً من بلد الإحساء بعد هروبه من ينقل العمانية وذلك لأخذ الإبل والأموال فيعود بجميع ما استولى عليه إلى الإحساء، فما زال على هذا الحال في كل سنة. فكتب الإمام ناصر بن مرشد لواليه محمد بن سيف الحوقاني أن يتجسس عن قدومه، فما إن أقبل ناصر حتى تلقاه محمد بن سيف، فصد الشيخ ناصر عن جيش الإمام قاصداً للظفرة ودخل حصنها بمن معه من البادية وعصبت له عصبة من قوم بني ياس، ثم اختار الشيخ ناصر بن قطن الجبري خيار السلام فوجه رسله للوالي محمد بن سيف الحوقاني ملتمساً منه الصلح وكان قد قل على الوالي الزاد، وتمدرت عليهم البلاد فوافق بشرط رد ما نهبوه فكان ذلك[٢]، وكان مقدام بني ياس في ذلك اليوم يسمى صقر بن عيسى فقتل وكان له أخ يدعى محمد بن عيسى[٣].

---

(١) تاريخ أهل عمان: تحقيق / سعيد عبدالفتاح عاشور ص...

(٢) سيرة الإمام ناصر بن مرشد لابن خلفان بن قيصر، تحقيق القيسي ص٧٦-٧٧/ تاريخ أهل عمان. تحقيق / سعيد عبدالفتاح عاشور ص ١٤١.

(٣) سيرة الإمام ناصر بن مرشد لعبدالله بن خلفان بن قيصر، تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي ص٨٩ (تاريخ أهل عمان. تحقيق / سعيد عبدالفتاح عاشور ص ١٤١) (تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان) للعلامة عبدالله بن حميد السالمي ت١٣٣٢هـ ج١-٢ ص١٤.

في كتاب تاريخ أهل عمان يسمي الموضع الذي جرى فيه القتال الشعب ويسمي أمير بني ياس سقير بن عيسى. أما تحفة الأعيان فيسمي المكان الشعية ويسمي أمير بني ياس صقر بن عيسى ويسمي بني ياس ببني إياس وطبعاً صقر وسقير وصقر هو تصحيف لاسم واحد، والصحيح هو صقر والله أعلم

كما أن السالمي يسمي جيش الإمام ناصر بن مرشد بجيش المسلمين جرياً على عادة المؤرخين المتحمسين لأئمتهم في ذلك الوقت، وقد رأينا هذا الحماس أيضاً من مؤرخي الدولة السعودية الأولى من أمثال ابن غنام وابن بشر والفاخري وبرأيي إن هذا الحماس لا يجوز لأن جميع أبناء الجزيرة العربية مسلمين إن شاء الله. وأما الصراع بينهم فلم يكن إلا من أجل الاستقلال بالسلطة والتوسع على حساب الآخرين، والحملات التأديبية والرادعة ضد المعارضين – هذا على مستوى الرؤساء والأمراء، وأما على مستوى الأفراد العاديين بادية وحاضرة فاقتتالهم إما على المال أو لأخذ الثأر أو الطمع أو طلب المرعى الجيد، غفر الله لهم جميعاً

اتفاق الجبري والخالدي على غزو بني خالد وبني لام في الباطنة

ناصر بن قطن الجبري اتفق رأيه ورأي محمد بن عثمان آل حميد الخالدي وعندهم أقوام من بادية الإحساء فمضى إلى الباطنة فهجم على بلدان بني خالد وبني لام أولو الإبل، وأخذوا منهم جميع مواشيهم وسلبوا ما على النساء من الحلي والحلل ورجعوا بما أخذوا إلى الإحساء.

اعتقال ابن حميد الخالدي بحصن الغبي[1]

((ثم إن محمد بن عثمان آل حميد الخالدي كان من أصحاب ناصر بن قطن غزا ببعض جماعته أرض عمان وقصد بلاد السر وأناخ بقرب بلدة الغبي فطلب سعيد بن خلفان من ابن حميد المواجهة وقال له: أما ترد ما كسبته ونهبته من العباد؟ فأعرض عنه بوجهه وتولى، وقد رفض المطالب فأمر سعيد بن خلفان بأسره ووضع بحصن الغبي))[2].

ولاية محمد بن علي على الإحساء بعد والده علي باشا

١٠٤٤هـ ١٦٣٥م في هذه السنة انتقلت ولاية الإحساء بعد وفاة علي باشا[3] إلى ابنه محمد، الذي استمر في السلطنة حتى سنة ١٠٧٤هـ ١٦٦٤م[4].

نزول آل ربيع حريملاء

١٠٤٥هـ قال ابن بشر نزل آل ربيع حريملاء وعرسوها، اشتروها من حمد بن عبدالله بن معمر التميمي، وكانت ملكه بعدما أخذ ملهم وأجلى عنها المعامير المعروفين نزلوا القصب ثم ردهم ابن معمر إلى بلدهم ملهم من رؤيا رآها اقتصى برأيه ردهم إليها.

ولاية راضي بن شنخة على المدينة المنورة

١٠٤٦هـ (١٦٣٦م تقريباً) في هذه السنة تولى على إمارة المدينة الشريف راضي بن شنخة بن عميرة ابن شهوان بن أحمد بن زهير بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة، ثم إن سلطان مكة المشرفة الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي الحسني أرسله بهدايا إلى السلطان مراد خان حين فتح بغداد سنة ١٠٤٨ ومات هناك بنواحي اسطنبول[5].

---

(١) بلدة الغبي من بلاد السر في عمان وكانت لرهط من آل هلال الجبريين قبل أن تستولي عليها قوات الإمام ناصر بن مرشد وتوحد البلاد.

(٢) سيرة الإمام ناصر بن مرشد لعبدالله بن خلفان بن قيصر، تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي ص٨٥

(٣) هناك مصادر تذكر أن علي باشا لم يمت في هذه السنة، بل إنه مات في سنة ١٠٦٠هـ أو في التي تليها في المدينة المنورة. راجع تاريخ اليمن طبق الحلوى لعبدالله بن الوزير تحقيق محمد عبدالرحيم ص١٢٢.

(٤) بنو خالد وعلاقتهم بنجد للوهبي

(٥) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٨٧

وقعة مران

قال ابن شدقم: ((رشود بن محمد بن فنخة كان سيداً جليل القدر عظيم الشأن ... .، له في الحروب مواقف عظيمة وغارات عالية عديدة قد بان في لحيته الشيب قبل إكمال عارضيه فشيحه جميع بني حسين.....، فمنها أنه قد عصى بهم على الشريف زيد بن محسن فسيّر عليهم جيشاً كثيفاً فمنهم السادة الأشراف آل طفيل وآل نعير والحذيفات من سويدا بني حسين ومطير وعدوان والأساعدة[1] الجبالة ومقدمهم الشريف حسن وصنوه حراز ابنا أحمد بن حراز بن (**)... الحسني ولم يكن مع رشود آل شهوان وآل شامان آل جماز، فالتقوا بمنه يقال لها مران أحد موارد الحج العراقي....، فساق بنو حسين عليهم المسوقة وفيها خمسة هوادج، فمنها ثلاثة لآل زبن أحدها لعيال رشود والثاني لعيال يحيى بن كليبات والثالث لعيال حسين بن مانع فكلها عقرت، والرابع لعيب منصور بن صويدر بن كليبات والخامس لعيال مسعود بن حماد بن ناموس الجمازي، فطرح عنده بزيع بن حمدان بن ناموس، فغار رشود على هودج عيال حجر بن سيحان العدواني فطرح دونه فانكسر بنو حسين عن آخرهم ثم ردوا عليهم ثانياً وأولهم علي المقتضح بن مسعر الشفيعي[2] على العقيد حسن، فدهزم منه حسن بن أحمد بن حراز، وغار مهنا بن راشد آل نادر النميري على أخيه حراز بن أحمد فعقر فرسه وقبض عليه دخيل الله بن سلطان بن بيه، فالذي قتل في الجبالية مائة وخمسون رجلاً غير البادية وابهم الباقون فلزم أثرهم من الفجر إلى الزوال فاغتنموا الخيل والعيس وربطوا كثيراً من الرجال وهودج شمسية عيال شبيب بن فارس العرادي وهودج عيال ساعد ابن رشود المطيري، ونزل حسن بن أحمد بوادي العقيق وأرسل إلى الشريف زيد يعرفه بذلك فأمده بالمال والرجال، فعاد على بني حسين بيثرب ولم يكن أحد ذلك اليوم حاضراً منهم غير أربعين رجلاً فتأهبوا للقتال ثم إن حسناً رجح الصلح ورجع عما نواهم به من القبح، فأمر بكف القتال))[3].

إعادة بغداد إلى السيادة العثمانية

١٠٤٨هـ- ١٦٣٩م تمكن السلطان مراد الرابع من انتزاع إيالة بغداد وإعادتها إلى السيدة العثمانية من جديد[4]، وعرض أفراسياب حاكم البصرة طاعته وبعث بهدايا، فقرر السلطان إبقاءه حاكماً عليها.

---

(١) يقول مندبل آل فهيد. من المعلوم أن الأسعدي والعامي أخوين نزحا من بلادهم المسماة رهط في الحجاز، من ضواحي مكة المكرمة، فأما العماة فصليهم بادية، وأما الأساعدة فأغليهم حاضرة، أقصاهم في العراق بالديوانية والحاويقة بادية وحاضرة يقال لهم ساعدة ومن الأساعدة المساعير مع الظفير والمويشر ولقميد في الجوف، والدكران والسلمان وعدة أسر في عنيزة، والرشود، والعوران والصقران في بريدة وغيرهم كثيرون. راجع كتاب. من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية لمنديل الفهيد ط٤/٢٠٠٣م ج١ ص١٤٩.

(٢) علي المقتضح العريان الحسيني: أدركته المنية بالفلاة (ر ه) سنة ١٠٦٦هـ راجع تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٤١٣.

(٣) تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٣٨٧.

(٤) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية ص٤٣٤

((ووصلت كذلك في الوقت نفسه مفاتيح قلاع قورنة[1] (قطر) مع هدايا من حاكم عمان وسبعون مفتاحاً للقلاع التي تحت يده، فأعيد تولية حاكمها [زين الدين خان] مقبولاً رسميًا. ثم وصلت هدايا من [شفيع] خان الحسنة = (الحسا) مع ستين مفتاحاً للقلاع فأعيد تعيينه حاكماً عليها))[2].

استقلال البرتغال من إسبانيا

١٦٤٠م استردت البرتغال استقلالها من إسبانيا، كما أن النجاح الذي حققه البرتغاليون على العمانيين في مسقط في نفس العام قد ضاعف من معنوياتهم وابتهاجهم[3].

وصول قبيلة شمر إلى الجهات العراقية ومزاحمة قبائلها

١٠٥٠هـ- ١٦٤٠م في هذه السنة وردت إلى العراق أعداد كبيرة من قبيلة شمر، وقد وصلت شمر إلى تدمر وحربتها وتنازعت قبائل الموالي وعنزة وآل أبي ريشة ووقعت بينهم الضحايا وسالت الدماء[4].

تحرير الساحل العماني

١٠٥٤هـ- ١٦٤٤م سيطر العمانيون على ساحل بلادهم الذي كان قد احتله الإفرنج وهم لم يكونوا يتوقعون أن ينجحوا في ذلك[5].

ولاية حسين باشا على البصرة من بعد والده علي باشا

في شعبان ١٠٥٥هـ/ سبتمبر ١٦٤٥م تولى حسين باشا السلطة في البصرة من بعد والده علي باشا (الديري الأفراسيابي)[6].

---

(١) تفسير قورنة بأنها قطر والحسنة بأنها الحسا، من رأي المترجم ولا نستبعده، لا سيما وكنا قد ذكرنا أن محمد باشا تولى حكم الإحساء خلفاً لوالده سنة ١٠٤٤هـ.

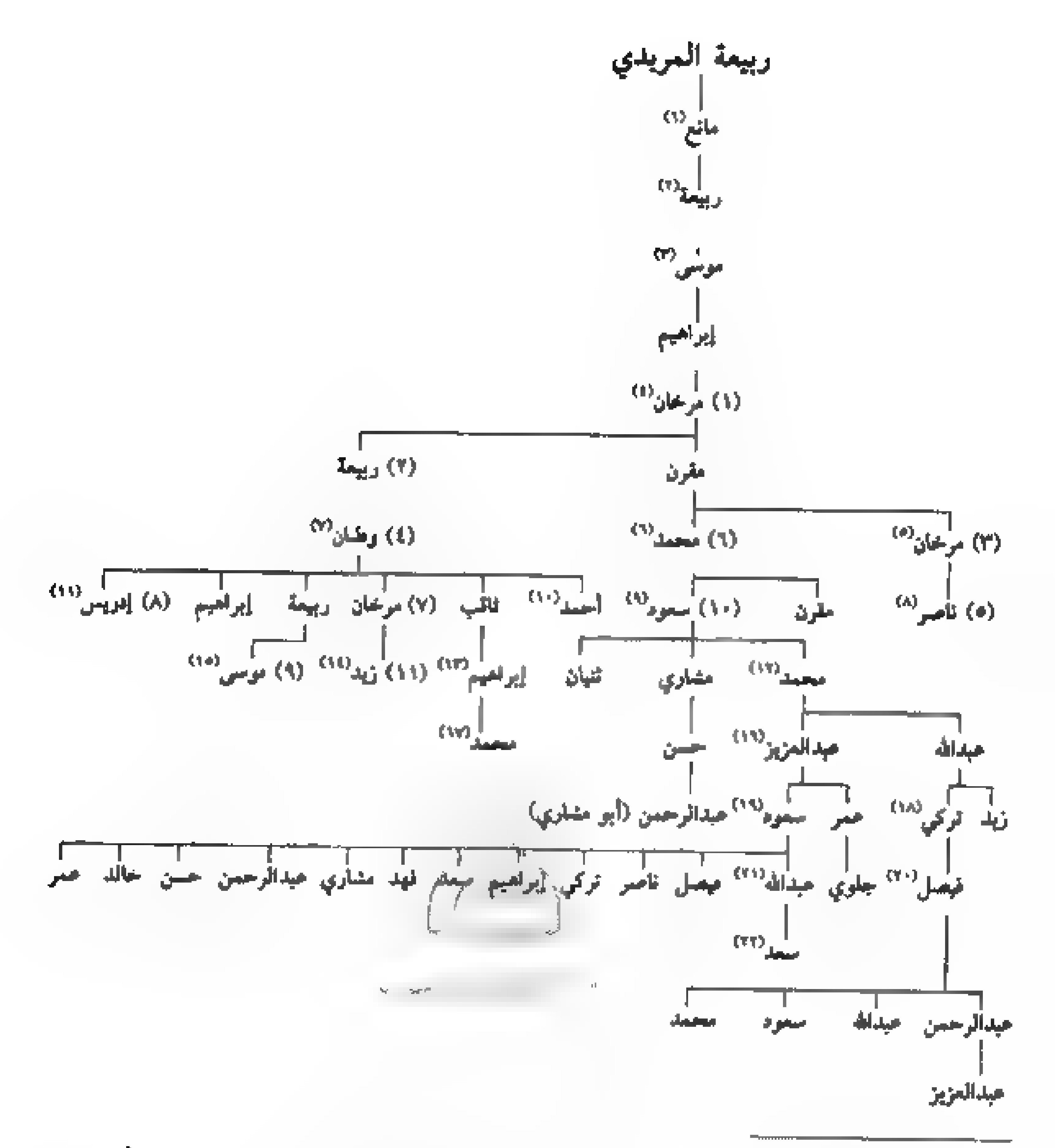
(٢) بغداد الجنة العامرة معرب من سياحتنامه ترجمة محمد جميل الروژبياني ١٩٩٨م ص٤١.

(٣) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب.مايلز ط٨٣ ص١٩٢

(٤) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط٢-٢٠٠٣ ص٢٢٦.

(٥) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب.مايلز ط٨٣ ص١٩٤.

(٦) بتوخالد للوهبي.



(١) تذكر المصادر أنه قدم هو وابنه ربيعة من القطيف في سنة ٨٥٠هـ إلى ابن درع رئيس الدروع فأعطاه المليبيد وغصيبة.

(٢) كثرت جيرانه من الموالفة وحارب آل يزيد، ولعل ذلك تم بالتعاون مع مقرن بن زامل كما ذكرنا في موقع آخر من الكتاب. وقد لجأ ربيعة بن مانع إلى حمد بن حسن بن طوق هرباً من ابنه موسى

(٣) احتال على قتل أبيه الذي تمكن من الهرب إلى حمد بن حسن بن طوق رئيس العيينة ثم إن موسى جمع جموعاً من الموالفة والمردة، وسطا بالمرايدة وغيل صبح آل يزيد في النعمية والوصيل وقتل منهم أكثر من ثمانين رجلاً واستولى على منازلهم ودمرها.

(٤) ت١٠٣٩هـ -١٦٣٠م.

(٥) قتل ١٠٥٦هـ - ١٦٤٦م.

مقتل مرخان بن مقرن على يد وطبان بن ربيعة

١٠٥٦هـ فيها قتل مرخان بن مقرن قتله ابن عمه وطبان بن ربيعة، واستولى على غصيبة المعروفة في الدرعية[١].

وفاة أمير العيينة حمد بن معمر وولاية أخيه بعده

وفيها (١٠٥٦هـ) توفي حمد بن عبد الله بن معمر أمير بلد العيينة حاجًّا في المناسك، وتولى بعده أخوه ناصر بن عبدالله ولم تتم له الولاية إلّا أشهراً معدودة، إذ ثار عليه ابن أخيه دواس بن معمر، فقتله سنة ١٠٥٧هـ وتولى الإمارة من بعده، ولكنه قتل أيضاً سنة ١٠٥٨هـ وتولى بعده محمد بن حمد بن عبدالله ابن محمد بن معمر، وأجلى منها آل محمد[٢].

ولاية رميزان بن غشام على روضة سدير

١٠٥٧هـ ((خرج الشريف زيد غازياً نجداً . ونزل بالروضة وقبض على محمد بن ماضي وقتله،

---

(٦) تولى الإمارة ١٠٨٤- ت١١٠٦هـ شيخ عصبية

(٧) قتل مرخان بن مقرن.

(٨) أمير الدرعية قتل١٠٨٤هـ

(٩) ت١١٣٧هـ وحكم بعده زيد

(١٠) ق١٠٨٤هـ.

(١١) ١١٠٧هـ، إدريس ت١٢١٣هـ

(١٢) بريع١١٣٩-ت١١٧٩هـ

(١٣) إبراهيم بن ثاقب في سنة ١٧٩٨- ١٧٩٩م / ١٢١٣ - ١٢١٤هـ سار في حملة بغداد ضد آل سعود، وفي سنة ١٢٤٠هـ صار أميراً على الزبير.

(١٤) قتل١١٣٨هـ.

(١٥) من١١٢١-١١٣٢هـ.

(١٦) ولد ١١٣٣ (١١٧٩).

(١٧) صار أميراً للزبير سنة ١٢٤٧هـ، وقتل ١٢٥٢هـ.

(١٨) ق١٢٤٩هـ

(١٩) و١١٦٥-ت١٢٢٩هـ.

(٢٠) ت١٢٨٢هـ.

(٢١) ١٢٢٩-١٢٣٣هـ

(٢٢) أطلق سراحه في احتلال الدرعية

(١) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٦ ص٤٢.

(٢) المصدر السابق ج٦ ص ٥٦ نقله عن تاريخ مقبل الذكير ص٩-٢٩.

وولى فيها رميران بن غشام بعد أن نكل بأهل البلد تنكيلاً شديداً ثم رحل منها ونزل بان الماء المعروف في العارض قاصداً العيينة))[1].

مقتل دواس بن معمر رئيس العيينة وإمارة محمد بن حمد

١٠٥٨هـ وفيها. ((قتل دواس بن محمد بن عبد الله بن معمر رئيس بلدة العيينة، وتولى في العيينة محمد بن حمد بن عبدالله وأجلى منها آل محمد، فلم تتم لهم ولاية العيينة إلّا تسعة أشهر))[2].

المصالح البرتغالية في كونك

١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م فيما بعد هذا العام المذكور كانت المصالح البرتغالية ((تنحصر في كونك وفي رحلات أسطول (جوا) نصف القرصنية، وكانوا يعتقدون أن غزوات القرصان العرب كانت بتحريض من البريطانيين إن لم تكن بقيادتهم هم أنفسهم، وتمكنوا من إثبات ذلك في ١٦٨٩م (١١٠١هـ) عندما سلبت معملهم في كونك سفينة بريطانية خاصة، وبهذه الحقارة قضت نحبها قوة البرتغاليين البحرية في الخليج غير مأسوف عليها))[3].

ذهاب وفد من مدينة القرين لتهنئة سلطان عُمان

في يوم ٢٣ يناير ١٦٥٠م / (٢٠ محرّم ١٠٦٠هـ تقريباً) استطاع سلطان بن سيف أن يطرد البرتغاليين من مدينة مسقط، ((فاجتاحت منطقة الخليج فرحة عامرة بطرد البرتغاليين منها ويشير عبدالله محمد الطائي في كتابه (قصة الشراع الكبير) إلى تشكيل وفود عربية من بلدان الخليج العربي ومنها وفد (القرين) لتهنئة سلطان بن سيف، ويعقب الأستاذ عبدالرزاق البصير في كتابه (الخليج العربي والحضارة المعاصرة) على هذه الوقائع بقوله: وهذه قضية تاريخية تعني أن القرين مدينة يسكنها جمع غفير من الناس بخلاف ما يقوله المؤرخون، والفترة التي يتحدث عنها المرحوم الأستاذ عبدالله الطائي مؤلف هذه القصة تقع في سنة ١٠٥٨هـ- ١٦٤٨م))[4].

الصراع الهولندي الإنجليزي في مياه الخليج العربي

تصاعد الصراع الهولندي الإنجليزي إلى حد إعلان الحرب على بعضهم عام ١٦٥٢م وبخاصة في عهد كرومويل في إنجلترا لفرض فرص الهيمنة البحرية، وعمدت هولندا على نقل الحرب إلى ما وراء البحار ومنها منطقة الخليج العربي بصورة خاصة فأرسلت أسطولاً ضخماً إلى مياهه[5]

---

(١) المصدر السابق ج٦ ص ٤٢.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص٥٦

(٣) أربعة قرون لـ لونكريك ص١٠٥.

(٤) الكويت في القرنين ١٨ و١٩ لخالد سالم حوادث وأخبار ط١/ ١٩٩٥م ص٦٢.

(٥) غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفه عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص٦٩

في عام ١٦٥٣م صعّد الهولنديون من صراعهم مع الأوروبيين في البصرة فاستخدموا القوة في منع الإنجليزيين والبرتغاليين من الوصول إلى هذا الميناء بهجوم على أربع سفن إنجليزية و١٠ سفن برتغالية والاستيلاء على ما فيها[١].

دخول الجيش العثماني للبصرة ثم عودة حسين باشا مرة أخرى

١٠٦٤هـ ترك علي باشا ولاية البصرة وذهب إلى استانبول فعاد حسين باشا للولاية ثانياً تغلباً ثم صدقت ولايته فبادر بحكم حكومة مستندة غير مرضية من ظلم واعتساف ولم يكتف بذلك حتى طرد متصرف الإحساء محمد باشا عن عمله سنة ١٠٦٦هـ وأرسل متصرفاً من قبله إلى غير ذلك مما استلزم سوق العسكر عليه[٢].

رغبة قبائل من بلاد الجميلي الدخول في طاعته إمام اليمن

ذكر المؤرخ اليمني عبدالإله بن علي الوزير أنه في سنة ١٠٦٧هـ/١٦٥٧م ((وصل من قبائل بحدود البصرة من بلاد الخميلي البديع ما بين الإحساء والدواسر مكتوب يذكرون اشتياقهم إلى أن يتّمّوا لهم الإمام – اليمني – ويسلموا إليه واجبهم، لما بلغهم من عدله، ولم يتم ذلك لبعد الديار والأنداد وكون تلك الجهة مما يضبطه نائب السلطان بن عثمان وهو أقرب إليهم وأشد وطأة عليهم))[٣]

ثم في حوادث سنة ١٠٧٣هـ / ١٦٦٣م ذكر أنه فيها ((وصل إلى حضرة أحمد بن الحسن شيخ يقال له الجميلي وبلاده يقال لها البديع، متوسطة بين الدوسر وبين الإحساء، وولاية بلاده منسوبة إلى الشريف صاحب مكة في الجملة فأكرمه وعدّ بلاده ومعه خطيب استدعاه المذكور، فلمّا استقر في بلاده خطب للإمام جمعة أو جمعتين ثم عاد الخطيب، ولم يتم ذلك الترتيب))[٤].

احتمال هجرة الجميلات من البديع

وبمقابلة النصين السابقين ببعضهما نخرج بنتيجة مفادها أن (الخميلي) هو تصحيف (للجميلي) الذي بلاده يقال لها (البديع)، والمعروف أن البديع هي من نفس منطقة الأفلاج والهدار، كما أن الجميلي هذا من الجميلات نسبة إلى جميلة، والبديع دارهم. وقد قال ابن لعبون: (يقال إن بعض الدواسر الذين ليسوا في رائد، (من تغلب)، ومن حاضرتهم في هذا الزمان الجميلات في الأفلاج، كان لهم في الماضي رياسة وسيادة).

---

(١) المصدر السابق ص٦٧.

(٢) ولاة البصرة ومتسلموها لابن الغملاس ت١٣٣٣ ص٦٢

(٣) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري المسمى طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى لعبدالإله بن علي الوزير تحقيق محمد عبدالرحيم حازم.

(٤) المصدر السابق.

يقصد ابن لعبون أن الدواسر فرعان، فالذين ليسوا من زايد، فهم من تغلب، والجميلات هم من تغلب، وتغلب بن وائل، وعلى هذا فهم وائليون.

والنقطة الثانية التي نود ملاحظتها أنه في المرة الأولى في سنة ١٠٦٧هـ (١٦٥٧م تقريباً) كان الشيخ الجميلي أو قومه قد اكتفوا بإرسال مكتوب برغبتهم بالدخول تحت لواء إمام اليمن رغم بُعد البلدين مما دعا الأخير إلى الاعتذار.

ولكن بعد ست سنوات أي في سنة (١٠٧٣هـ- ١٦٦٣م) ذهب الشيخ الجميلي بنفسه إلى اليمن لمقابلة إمام اليمن شخصيًّا وهناك طلب الدخول في طاعته على الرغم من أن الإمام كان قد اعتذر في السابق لدخول بلاد الجميلات في عهدة الأشراف، ولكن الشيخ الجميلي الذي يبدو أنه كان مضطرًّا استطاع إقناع الإمام، وربما دل هذا الخبر على أن في بلاد الجميلي وقعت مشاكل كان الشريف أحمد بن الحارث أمير نجد قد عجز عن حلها.

وبالرغم من الترتيب الذي وضع لإدخال البلاد تحت طاعة إمام اليمن إلا أن الأمور لم تدم إلا أسبوع أو أسبوعين، وهنا نضع عدة احتمالات لاشك بأن الشيخ الجميلي قد وضع نفسه بمأزق عندما وضع بلاده تحت سلطة إمام اليمن، وذلك يعني خروجه عن سلطة شريف نجد، لذا إن لم يتسبب هذا الوضع الجديد بمعاداة الشريف له، فإنه على الأقل سيفقده علاقته به، ثم إن إمام اليمن في الأساس لا يستطيع مساعدة الجميلات لا من قريب ولا من بعيد، وهذا الوضع الخطير ربما يضع أمام الشيخ الجميلي التغلبي خيار الحرب أو الهجرة أو أن يتصالح مع الشريف مرة أخرى.

ولكن فاتتنا نقطة أخيرة: عندما ذهب الشيخ الجميلي إلى إمام اليمن لطلب الدخول في طاعته إما أنه كان يعاني من مشاكل في منطقته كالحروب الأهلية وأنه لم يستطع التصدي لها، أو ربما أن مشكلته كانت في الأساس مع الشريف الذي تقع بلاد الجميلات تحت نفوذ سلطته، وأمام هذين الاحتمالين نرى أنه لم يعد أمامه سوى خيار الهجرة بعدد من قومه، ومن المرجح أن الجميلي الذي بلده في الجنوب ستكون هجرته إما إلى الشمال أو إلى الشرق متعمداً قدر الإمكان عن نفوذ شريف اليمامة ونجد وسطوته. وفي ذلك الوقت كانت الحروب مستمرة بينه وبين قريبه شريف مكة.

وربما أن وصولهم إلى المنطقة الشرقية كان مواكباً لأحداث هجوم قوات البصرة على الإحساء والقطيف عندما حاولوا احتلالهما، فتمكن براك بن غرير الزعيم القبلي في الصحراء من طردهم والانفراد بحكم المنطقة.

ويذكر أنه في قطر منطقة تسمّى البديع، وربما هي التي هاجر إليها الجُميّلات من الأفلاج وأطلقوا عليها هذا الاسم تيمناً باسم بلادهم التي هاجروا منها في الأفلاج، وهنا نضع تساؤلاً: متى عُرف اسم البديع التي في قطر؟

عودة حسين باشا لحكم البصرة

١٠٦٨هـ في هذه السنة رجع حسين باشا إلى البصرة وحكم بها[١].

خروج الشريف زيد إلى بلدان نجد

١٠٦٩هـ قال ابن بشر: ظهر الشريف زيد بن محسن على نجد ونزل قرى التويم وقدم في سدير وأخر، وأخذ وأعطى[٢].

الفتنة بين أمير مكة وأحمد بن الحارث أمير نجد

١٠٧٠هـ ((انقطع فيها حاج العراق لما حصل بين الشريف زيد والشريف أحمد بن الحارث من الفتنة، وطريق العراق تقطع عرض بلاد اليمامة، وهي بلاد ولاية الشريف أحمد، وأما تجار الحسا فإنهم تعدوا من بندرهم البحرين المعروف بالقطيف إلى البحر الفارسي وخرجوا إلى عدن وتركوا مكة))[٣].

توفير مقر جديد لشركة الهند البريطانية في البصرة

في إبريل ١٦٦١م (١٠٧١هـ تقريباً) عودت شركة الهند اتصالاتها مع حكومة البصرة ممثلة بحاكمها حسين باشا، حيث أوفدت الشركة السيدين جورج كرانمر وروبورت سانتهيل إلى البصرة على ظهر المرقاطة أميرتا وحددت لهما التعليمات بأن يذكرا باشا بالوعد الذي قطعه على نفسه في السنة السابقة بأن يقدم للشركة مقرًا أفضل من الذي استولى عليه، وعند وصولهما البصرة وجدا ذلك المقر مشيداً. وقد تحسنت العلاقات بين حسين باشا والشركة نوعاً ما في السنوات التالية[٤].

نهب المحمل الشامي على يد عنزة وبني لام

١٠٧٢هـ وفيها انتهب المحمل الشامي قبائل عنزة ولام[٥].

١٠٧٣هـ وفي هذه السنة ((جاء الخبر مع حاج اليمن أن عنزة انتهبوا الركب الشامي وهزموا أميرهم، وأسروا ولده وهو صغير السن فتفاداه منهم بمال جزيل، وأما أمير حاج اليمن فإن الحرامية تلقوه في رجوعه))[٦].

---

(١) ولاة البصرة ومتسلموها لابن الغملاس ت١٣٢٣ دار منشورات البصرة٦٢

(٢) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٦ ص ٨.

(٣) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري المسمى طبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى لعبدالإله بن علي الوزير تحقيق محمد عبدالرحيم جازم

(٤) مجلة العربة لعلوم الإسانية ع١١ مجلد٣ صـ٨٣ حكومة حسين باشا أفراسياب للحمداني ص١٥٨

(٥) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري المسمى طبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى لعبدالإله بن علي الوزير تحقيق محمد عبدالرحيم جازم.

(٦) تاريخ اليمن المسمى طبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى لعبدالإله بن علي الوزير تحقيق محمد عبدالرحيم جازم

إخضاع القطيف والإحساء لحاكم البصرة حسين أفراسياب

١٠٧٣هـ ((حسين باشا الأفراسيابي باشر باحتلال القطيف فسيّر إليها قوات برية وبحرية استطاعت دخول البلدة واحتلالها بالقوة وعانى أهل القطيف من وحشية وفساد القوات التي أعلنت مطالبها الجائرة وفرضتها على الجميع، وبهذا أصبحت القطيف ضمن سيادة حسين باشا فعين عليها أحد أتباعه))(١).

وكان سبب غزو حسين أفراسياب للقطيف والإحساء أنه لما حدثت فتنة بين حسين باشا آل أفراسياب وأعمامه كان أمير الإحساء محمد بن علي باشا قد ناصرهم ودلهم على طريق الالتجاء إلى الدولة العثمانية وساعدهم بكل ما أوتي، ثم أراد حسين باشا الانتقام منه، وأول عمل قام به أنه استمال العشائر الكبيرة هناك وفي مقدمتها (بنو خالد) التي كانت تنازع في السلطة وأميرها آنئذٍ براك، فقربه إليه واتفق معه، وأرسل جيشاً بقيادة أمير له اسمه سلمان، وكان ذلك في سنة ١٠٧٣هـ- ١٦٦٢م

وارتكب جند حسين باشا أعمالاً كثيرة في الإحساء وقتلوا منها خلقاً كثيراً واستباحوا النساء والأموال، وضيقوا الحصار على الإحساء، فوجد واليها محمد باشا في نفسه ضعفاً، لم يستطع الكفاح، فاضطر إلى أن يسلم البلد إلى الأمير سلمان، بعد أن طلب الأمان من أمير بني خالد (براك) وأجلى الباشا وأعوانه عن البلد.

استيلاء براك على الحكم وإرسال يحيى باشا للقضاء على براك

((ولما رام سلمان دخول الإحساء منعه الشيخ براك وانتزع أسلحة من معه وطردهم، فحكم البلد وكان حاكماً عادلاً، ولما علم حسين باشا بذلك، جهز جيشاً بقيادة الأمير يحيى للقضاء على براك، فانتصر الأمير يحيى، وهرب الشيخ براك فجاء أعيان الإحساء يطلبون الأمان فأمنهم، فصار يحيى حاكماً وحاول أن يمدد حكمه إلى عمان))(٢).

على حد وصف أحد شهود العيان لأحداث عام ١٦٦٤م/١٠٧٤هـ ذكر أن الهولنديين كانوا في هذه الفترة سادة الموقف في التجارة الفارسية ويأتي الإنجليز بالدرجة الثانية(٣)

تعزيز قوات يحيى باشا بقبيلة القشعم

قال الدكتور عبدالكريم المنيف الوهبي: جهز - حسين باشا - جيشاً بقيادة أبرز رجاله وهو صهره ووزيره يحيى آغا بمشاركة جميع رجال قبيلة القشعم بزعامة الشيخ كنعان وذلك سنة ١٠٧٥هـ(٤).

---

(١) بنو خالد وعلاقتهم بنجد لعبدالكريم الوهبي - عن العرابي.

(٢) أرجوزة في تاريخ البصرة، واقعة حسين باشا لياسين حمزة الشهابي كان حيًا ١٠٨٦هـ تحقيق فاخر جبر مطر ص٣٧ من شرح المحقق الذي استند في معلومته هذه إلى التحفة النبهانية ٢٧٦، تاريخ العراق بين احتلالين ٥/ ٧٤، مقدمة تاريخ العرب الحديث ١/ ١٠١.

(٣) غزاة في الخليج العربية لهيفاء الربيعي ص٨١

(٤) راجع: بنوخالد وعلاقتهم بنجد للوهبي ص ١٦٥-١٦٦

قال ياسين بن حمزة الشهابي البصري الذي كان حيًّا في سنة ١٠٨٦هـ في أرجوزته في الصفحة ٣٧:

فعندَ ذا أرسلَ سلمان إلى ... الإحساء وبرّاك يزكي العملا
في نبذة منَ الجنود المارِقَه ... أهلِ الفسادِ الأشقيا الزنادقه
فقد أتوها سرعة ببغونا ... خروجَهُ منها وهم ببغونا
فحاصَرَتْهُ الأشقيا في البلد ... تسعر في قلوبهم نار الحَقَدْ
ولم يكن كفواً لهم وخاف أن ... يحصل بالحصارِ وَهَنٌ وفِتَنْ
فرامَ من بَرّاك الأمانا ... فلم يكنْ في أمنه خَوّانا
فبعدَ ذا سَلَّمَ سلمانَ البَلَدْ ... من بعدِ قبضٍ بشهودٍ وسَنَدْ
ومحضرٍ من الشيوخِ الكُمَّلِ ... وسار نحو الحرم المُبَجَّلِ
فرامَ سلمانُ الدُّخولَ في البلدْ ... مع جنده أهل الفساد والحَقَدْ
فَلَمْ يَدَعْهُمْ ذو الذكا بَرّاك ... شيخ بني خالد الفتاك
فاستأصلَ السلاحَ منهم بالهدد ... ثم جميعهم من الإحساء طَرَدْ
فصار فيها حاكماً بالعدلِ ... يُعِزُّ اربابَ التُّقى وَالفضلِ
حتى انتهى إلى الحسين الحسَنْ ... فصار فيما جرى يفتكرُ
فلم يسعه غير بعث الجُنْدِ ... لأخذها منهُ وبذلِ الجُهْدِ
فجمع العسكر ثم سَيّره ... ولم يكن يعمل ذا بمَشُورَه
وكان يحيى لهم أميراً ... مدبراً وناصحاً نصيرا
يبذل جهده إلى أن وصلا ... مقصده روماً لتحصيل العلا
ثم مشى عليهم في الحال ... واصطفَّتِ الرجالُ للقتالِ
هذا وَبَرّاكُ منَ الحصنِ خَرَجْ ... للملتقى من غير خوفٍ وَحَرَجْ
فاقتتلا فصار يحيى غالبا ... ورد براك وولى هاربا
فعند ذا جاءتْ لهُ المشايخْ ... وخوفُهُمْ منهُ عظيمٌ راسِخْ
فالتَمَسُوا الأمانَ للرعيّه ... منه لهم فجاد بالعطيّه
فصار فيها حاكماً زمانا ... يرومُ من أرسلَه عمانا

ومما قال شهاب الدين الموسوي المعروف بابن معتوق[1] في قصيدة له يمدح بها الوزير حسين باشا بن علي باشا ويهنيه بفتح حصن الهفوف تأتي بهذه الأبيات:

سَلِ الهفوفَ عنِ الأعرابِ كَمْ تَرَكُوا مِنَ الكُنُوزِ وجناتٍ مُسَقّمَتِهِ

وسائلِ الجيشَ عَنْهُمْ كَمْ بِهِ نَسَفَتْ عَواصِفُ النَّصْرِ طَوْقًا عِنْدَ سَطْوَتِهِ

ثم يقول بعد بيتين:

يا خالِدِيونَ خنتم عهدَ سَيِّدِكُمْ هَلَّا وَفَيْتُمْ وَخِفْتُمْ بأسَ سَطْوَتِهِ

يَحْيَى دَعَاكُمْ لِمَوْلاكُمْ لِتَقْتَبِسُوا مِنْ نُورِهِ فاصْطَلَيْتُمْ نارَ جَذْوَتِهِ

إلى أن يقول:

تَراكَ رَبُّكَ ما بَراكَ مِثْلُهُ وَلا خصصتَ في بركاتٍ مِنْ عَطِيَّتِهِ

كفرتَ رَبَّكَ الثاني وحنتَ بِهِ يكفيكَ ما فيكَ من حرمانِ نِعْمَتِهِ

استعانة والي الإحساء المخلوع بشريف مكة للتوسط له لدى الخليفة.

((مال والي محمد باشا المخلوع إلى شريف مكة زيد يطلب منه أن يتوسط في أمره لدى السلطان محمد، شاكياً ظلامته، وما حل به من قبل حسين باشا آل أفراسياب الذي ضم الإحساء إليه، دون أخذ موافقة الدولة العلية، وعلى هذا أرسل السلطان إلى الوزير (قرة مصطفى باشا) والي بغداد أن يستطلع الأخبار عن هذه الفتن، وأن يحققها ويعلمه

ومن ثم استفهم الوزير قرة مصطفى باشا من حسين باشا عما فعل، فكان جوابه أن ذلك إنما جرى منه بأمر سلطاني، وأن الأمر لدى يحيى باشا أمير الإحساء وأنه سوف يأتي به تعلل بذلك ولا أصل لما أجاب به.

وحينئذٍ كتب حسين باشا إلى يحيى حاكم الإحساء ما جرى من المخابرة، حاكياً ما ابتلي به، ومن جملة ما كتب: أن يأتي على عجل ليتحد معه الأهبة لما يتوقع حدوثه، فأرسل الكتاب مع الساعي محمد، فوقع الكتاب بيد شيخ العرب[2] الذي سلمه إلى محمد حاكم الإحساء السابق، وكان إذ ذاك في بغداد، فقدمه إلى الوزير، وكان فيه طعن في شخصية الوزير قرة مصطفى باشا، فاشتد حنقه وسخط على حسين باشا، وصار ينتظر الفرصة للوقيعة به. ولكنه عزل. فلم يسع محمد باشا غير السكوت والانتظار))[3].

---

(١) ديوان طراز البلغة وخاتمة الفصاحة لابن معتوق، ضبطه ورتب على طبعه سعيد الشرتوني اللبناني ط/ بيروت١٨٨٥ ص٢٠٣.

(٢) شيخ العرب اسمه محمد أما الساعي فلم يذكر اسمه، وفي هذا الزمن كان هناك شيخ من شيوخ المنتفق الواقعة ديارهم بين الإحساء والعراق اسمه محمد بن راشد

(٣) أرجوزة في تاريخ البصرة، واقعة حسين باشا ليسين حمزة الشهابي كان حيًا ١٠٨٦هـ تحقيق فاخر جبر مطر ص٣٧ من شرح المحقق.

قال ياسين بن حمزة الشهابي في أرجوزته في الصفحة ١٤٠

وبين الأحوال للشريف ... وما جرى له من التخويف

فعند ذاك أخبر السلطانا ... بحاله وبين البرهانا

هذا ولما أطلع السلطان ... على الذي أبدعه الشيطان

أرسل للوزير مصطفى بأن ... يحقق الأخبار عن تلك الفتن

وكان إذ ذاك الوزير ذو الوفا ... حاكم بغداد ديار الخلفا

فعند ذلك الوزير أرسلا ... إليه يستفهم عما فعلا

هل كان بالأمر من السلطان ... أم كان تسويلاً من الشيطان

فقال بل عندي من السلطان ... أمر جليل واضح البرهان

وهو لدى يحيى وليس في البلد ... وسوف يأتيكم به مع محمد

وذا تعلل فلا أصل له ... لو صح قوله لما ماطله

فعند ذا أرسل مكتوباً إلى ... يحيى ويحكي فيه ما به ابتلا

وكان من جملة ما فيه بأن ... تأتي سريعاً كي نداوي الوهن

وفيه أقوال أثارت الجفا ... في حق ذي المجد الوزير المصطفى

فصادف الساعي شيخ العرب ... محمد ثم حظي بالكتب

هذا وقد أرسلها ولا ونى ... إلى محمد ينتحي الثنا

وكان ذاك الوقت في نجد إذا ... أتوا به ليخضع البلادا

بأمر سلطان الورى محمد ... ذي المكرمات والذكا والسؤدد

فجاء بالكتب إلى الوزير ... فأبصر التقصير في التعبير

فاشتدت البغضة في القلوب ... وصار ضده على المطلوب

ينتظر الفرصة في الأمور ... على الحسين الفاجر الغدور

لكنه في ذلك الوقت النزل ... فلم يسع إلا السكوت إذ أجل

فعند ذا أرسل للحسا عمر ... وجاء يحيى كي يصادف القدر

الكتاب الذي كان مع الساعي المرسل من حسين باشا في البصرة إلى يحيى باشا في الحسا وقع في يد شيخ العرب محمد.

كما أن محمد باشا والي الإحساء السابق استدعي إلى بغداد ليختار خلفاً له عليها، فاختير عمر باشا.

حسين باشا يطرد محمد باشا للمرة الثانية من الإحساء

١٠٧٦هـ- ١٦٦٥م في هذه السنة قام حسين باشا بطرد متصرف الإحساء محمد باشا مرة ثانية عن الإحساء وبادر بالظلم وصادر أموال التجار والأهالي بغير الحق وتجاسر على قتل الفقراء ظلماً وعدواناً فلمّا وصل ذلك إلى مسامع السلطان أمر حالاً بتأديبه وأصدر مشوراً بأن تسير العساكر تحت قيادة والي بغداد إبراهيم باشا[1].

ولاية عمر الحليبي ومحاصرة براك للإحساء

وكان حسين باشا قد استدعى الأمير يحيى وسير مكانه عمر الحليبي فولي الإحساء، إلا أن براكاً لم يصغ إليه، ورام مع أصحابه قتاله، وعند ذلك حاصر البلد فاضطرب الأهلون لما أصابهم من جوع ومن ضجر، وعمر الحليبي هذا هو الذي تذكره المصادر النجدية كآخر حاكم عثماني للإحساء في تلك الفترة.

إخراج براك بن غرير لوالي الإحساء عيسى بن علي دون قتال

بعد هذه الاضطرابات التي جرت، أمر حسين باشا الوالي عمر الحليبي أن يسلم البلاد إلى عيسى والي القطيف دون قتال، وبعد أن سلمت البلاد له أتى براك إلى عيسى بن علي وطلب منه أن يخرج من الإحساء وهو آمن، حيث ادعى أن أخاه محمد باشا قد أنابه، فخرج عيسى إلى القطيف دون قتال.

قال ياسين بن حمزة في أرجوزته ص٥٥:

هَذا وَلَمَّا جَاءَ بَرَّاكُ الخَبَرْ ... أَتَى إِلَى الحَسَا لإِخْرَاجِ عُمَرْ

أَعْنِي الحَلِيبِي فَلَمْ يُصْغِ لَهُ ... بَلْ رَامَ مَعْ أَصْحَابِهِ قِتَالَهُ

فَبَعْدَ ذَاكَ طَيَّنَ الأَبْوَابَا ... مُعَانِداً، وَقَاتَلَ الأَعْرَابَا

فَحَاصَرُوهُ مُدَّةً شَدِيدَةْ ... بِعَسْكَرٍ شَوْكَتُهُ شَدِيدَةْ

وَالخَلْقُ فِي جُوعٍ وَفِي اضْطِرَابِ ... وَفِي صُرَاخٍ مِنْهُ وَانْتِحَابِ

عَسْكَرُهُ يَأْتُونَ لِلْبُيُوتِ ... يَنْتَزِعُونَ مَا رَأَوْا مِنْ قُوتِ

فَاشْتَغَلَ الخَلْقُ عَلَيْهِ بِالدُّعَا ... وَأَنْ يُزِيلَ عَنْهُمُ ذَا البِدَعَا

فَبَعْدَ ذَاكَ رَبُّنَا تَقَبَّلا ... دُعَاءَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ تَفَضُّلا

فَأَرْسَلَ الحُسَيْنُ بَعْدَ مَا ابْتُلِي ... أَنْ سَلِّمِ البِلادَ عِيسَى بْنَ عَلِي

أَخَا الجَلِيلِ ذَا الحِجَا مُحَمَّدِ ... وَأْتِ إِلَيْنَا سُرْعَةً لِلْمَدَدِ

فَسَلَّمَ البِلادَ عِيسَى وَطَلَعْ ... وَفِي حِمَى الشَّيْخِ عِيسَى انْتَفَعْ

مَعْ مَنْ بَقِي مِنْ رِجَالِهْ ... مُسَلَّماً بِحَالِهِ وَمَالِهْ

---

(1) ولاة البصرة ومتسلموها لابن الغملاس ت١٣٣٣ دار منشورات البصرة ٦٢.

وَقَدْ أَتَى بِهِمْ إِلَى البِلادِ ... فَسَارَ فِيهِمْ سِيرَةَ الأَجْوَادِ

لِكَوْنِ نَجْلِهِ لَدَى الحُسَيْنِ قَدْ ... صَارَ رَهِيناً وَلِذَا بِالسَّيْرِ جَدْ

فَاسْتَخْرَجَ ابْنَهُ مِنَ (العِلِّيَّةْ) ... ثُمَّ تَوَجَّهَا إِلَى البَرِّيَّةْ

فَجَاءَ بَرَّاكٌ إِلَى عِيسَى وَقَدْ ... قَالَ لَهُ اخْرُجْ آمِناً مِنَ البَلَدْ

فَإِنَّنِي قَدْ نُبْتُ عَنْ أَخِيكَا ... بِأَمْرِهِ وَصِدْقُ ذَا يَأْتِيكَا

فَفَوَّضَ الأَمْرَ إِلَيْهِ وَخَرَجْ ... وَصَارَ يَدْعُو ذَا الجَلالِ بِالفَرَجْ

وَلَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ مُسْتَعِدًّا ... لِحَرْبِ بَرَّاكَ وَلا أَرَدَّا

فَجَاءَ عِيسَى بَعْدُ لِلقَطِيفِ ... مُسْتَنْجِياً مَعُونَةَ اللَّطِيفِ

وَكَانَتِ القَطِيفُ فِي يَدَيْهِمْ ... أَنْعَمَ فِيهَا خَصْمُهُمْ عَلَيْهِمْ

مِنْ قَبْلِ ذَا حِينَ أَتَاهُ العَسْكَرُ ... لَعَلَّ فِي هَذَا الأُمُورُ تُنْشَرُ

صدور الاوامر إلى والي بغداد بنزع البصرة من يد حسين باشا

١٠٧٦هـ مما يذكره فتح الله بن علوان في أحداث هذه السنة أنه ورد أمر من السلطان إلى إبراهيم باشا حاكم بغداد على أخذ البصرة من يد حسين باشا بسبب شكوى حاكم الإحساء - محمد بن علي العدادي - عليه، فتجهز إبراهيم باشا بعسكر عظيم قيل إنهم كانوا خمسين ألف محارب ومعه سبع باشاوات، ولما سمع حسين باشا بذلك بنى القلعة المعروفة بالقرنة وأحكمها واستعد للحصار ولما وصل إبراهيم باشا إلى البلد الموسومة بالعرجا أرسل كتاباً إلى أهل البصرة عامة والكواورة خاصة عنوانه

من إبراهيم باشا إلى مشايخ أهل البصرة ومن فيها من الرعايا والتجار خصوصاً قدوة الراسخين الشيخ ذو الكمل وقد كان هو بقية الموحدين من أولاد الشيخ عبدالسلام نفسه. أما بعد فسلام عليكم ومعلوم عندكم أننا متوجهون إلى فتح البصرة من يد الطاغي حسين باشا فحين اطلاعكم على مضمون كتابنا تطيعون أنفسكم وتؤمنون الرعايا فما ينالكم منا إلا الخير والسلام

ثورة أهل البصرة على حسين باشا أثناء غيابه في القرنة

ولما ورد الكتاب إلى الشيخ ذي الكمل وجماعة المشايخ سمعوا وأطاعوا له وعصوا خليفة حسين باشا على البصرة وأخرجوا عياله وحرمه منها ثم حصروا خليفة حسين باشا وكان يقال له محمد بن بداغ وقتلوه.

ولما سمع حسين باشا بذلك وهو محاصر في القرنة جهز عليهم عسكراً وغزاهم بياتاً وهم نائمون وأضاح الصبح فوجدوا الشيخ ذا الكمل مقتولاً وبعضاً من أعوانه وانهزم الباقون من البصرة[1].

---

(١) أحداث البصرة زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر للشيخ فتح الله بن علوان ص٣٩.

مساندة الموالي لوالي بغداد ومساندة المنتفق لوالي البصرة

في أثناء هذه الأحداث مالت عشيرة الموالي التي يرأسها الأمير علي الشديد أبو ريشة إلى والي بغداد وجاءت إليه بقيادة علي ومعه الأمير رشيد وهما من الأمراء الموالين للدولة على رأس قوة تقدر بثلاثمائة رجل، ولكن عند اقترابهم من كوت معمر تصدت لهم بعض عشائر المنتفق التي كانت تساعد آل أفراسياب الذين حكموا البصرة فطردوهم وعادوا من حيث أتوا[1].

توقيع الصلح بين إبراهيم باشا وحسين باشا

وأما إبراهيم باشا فإنه وصل القرنة وحاصر حسين باشا أشد الحصار وبقي على ذلك مدة ثلاثة أشهر ولما لم ينالوا منه، أظهروا له الصلح فتصالح معهم على أن يرسل وزيره يحيى آغا، وتعهد له إبراهيم باشا بأن يأخذ له أمر الحكم ويرسله مع يحيى آغا ولما رجع إبراهيم باشا تبعه أربعة من الكواورة.

ذهاب الكواوزة إلى الخليفة احتجاجاً على حسين باشا

١٠٧٦هـ قال ابن علوان لما كان من أمر الكواورة ما كان حتى ضاق بهم كل مكان انهزم منهم أربعة من أهل الشأن وتبعهم بعض أتباعهم وذلك حين رجوع إبراهيم باشا من حربه . وكان لسوء القدر أن أرسل حسين باشا معهم وزيره . يحيى آغا ابن علي آغا وهو حينئذ صهره كي يصلح من أمره ما فسد . ولما فارق هو والكواورة الأوطان، وتوجهوا يؤمّون السلطان وذلك لثمانٍ مضين من شوال سنة ١٠٧٦هـ (٦ إبريل ١٦٦٦م تقريباً) وبهذا التاريخ جرى الصلح بين إبراهيم باشا وحسين باشا بعد حرب طويلة.. ورجعوا عنه.

عزل سونك عامل الصفويين على البحرين وتلاه تعيين عدة عمال

١٠٧٧هـ (١٦٦٦م) في هذه السنة عُزل - سونك[*] سلطان المعيّن على البحرين من قبل الصفويين - فخلفه (بابا خان)، فكان ظلوماً غشوماً، فطلب أهل البحرين عزله وعين (سلطان بن غزل خان) ثم خلفه الأمير (مهدي قلي خان) الذي تم عزله سنة ١١١٣هـ الموافق (١٧٠١م) لظلمه وجوره ونصّبوا في محله قزاع سلطان[2].

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج٥ ص٨٥، وراجع آل ربيعة الطائيون ص٢٢٤، وراجع كلشن خلفا لنظمي زادة ص٢٦٧.

(*) يبدو مما تقدم أن سونك سلطان قد حكم البحرين منذ ٤٦ سنة تقريباً.

(٢) م.الوثيقة ع١ س٨٢٠ تاريخ المتوب،د/ علي أبا حسين ص٨١.

مقتل أمير المدينة المنورة محمد بن مسعود

في ربيع الأول ١٠٧٧هـ قتل الشريف محمد بن مسعود(*) بن حماد(**) بن ناموس بن لقطان بن إبراهيم بن زهير بن هبة، على يد بادية مطير في حرب بينهم، وكان فارساً بطلاً شجاعاً ولي الشيخة على آل جماز بعد عمه صالح.

وفاة الشريف زيد بن محسن وولاية ابنه الشريف سعد

وفيها (١٠٧٧هـ): مات الشريف زيد بن محسن، وولي مكة ((بعده ابنه الشريف سعد بن زيد، حتى جرت منه أمور أنكرها السلطان أحمد بن مراد فمت إليه الأجناد وخرج عن مكة إلى (بجيلة)، ووليها الشريف بركات من آل أبي نمي حتى توفي ووليها ابنه أياماً يسيرة))[١]

سعة نفوذ الشريف زيد ومعتقده المذهبي

((ذكر عبدالله العياشي في رحلته كثيراً من مناقب الشريف زيد ثم قال. وقد ولي الحجاز من أطراف اليمن إلى أقصى نجد مما يلي البصرة ثم إلى خيبر مما يلي ناحية الشام. ثم قال: وكان يعتقد اعتقاد أهل بيته من الزيدية ثم باينهم ورجع إلى معتقد أهل السنة وتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة وكف أهل بيته عن كثير مما كانوا ينالون من أهل السنّة ومنعهم من إظهار معتقداتهم))[٢]

عودة النزاع بين رميزان بن غشام وخصومه

استمر رميزان متغلباً على روضة سدير طيلة أيام الشريف زيد فلمّا توفي الشريف المذكور[٣] قويت شوكة خصومه فرجع أبناء راجح إلى محلتهم بالروضة وعمروها وتجدد النزاع بينهم كما كان سابقاً إلى أن قتل رميزان وضعفت شوكة آل أبي سعيد[٤]

ويقول الشيخ عبدالله بن خميس[٥]: إن رميزان قتل في سنة ١٠٧٩هـ حسب رواية ابن بشر، وبعض الروايات تقول إنه قتل أو مات في حدود ١٠٨٤ - ١٠٨٥هـ

(*) تولى الإمارة سنة١٠٥٦هـ.

(**) تولى الإمارة سنة١٠٣٧هـ.

(١) اللطائف السنّية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد بن إسماعيل الحسيني ص٣٥

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣٧٢.

(٣) يذكر ابن خميس أن الشريف زيداً توفي في سنة ١٠٧٤هـ ولكن الأصح أنه توفي في سنة ١٠٧٧هـ والله أعلم.

(٤) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٦ ص ٤٢.

(٥) المصدر السابق ص٨٢.

قصيدة رثاء لرميزان في محمد سلطان عامر

وفيما يلي نقتطف بعض الأبيات للشاعر رميزان بن غشام من كتاب الشعر النبطي للصويان في رثاء شخص اسمه محمد، ولم يعط الصويان أي معلومات عن تاريخ هذه القصيدة أو عن محمد هذا، أو بالأحرى لم يجد، ولكن القصيدة تسمي محمد بسلطان عامر وأنه كان حاكماً ذا قوة ونفوذ وأن لرميزان علاقة وثيقة به، حيث يقول عنه رميزان ((أخاً عشت أنا وياه))، وهذا يدل أيضاً على أنه مقارب له في السن وعاش معه بنفس الفترة، قال رميزان.

٨- وأشد مصيبات البرايا مصيبتي   وأعظم أمر قد جرى من عظايمه

٩- حليف الثنا المعروف ((سلطان عامر))   ذرى الجار عما يشتكي من عضايمه

١٠- حليف الثنا زين السجايا محمد   ومن شب زينات المعاني قوايمه

١١- أخاً عشت أنا وياه بالعمر لو زرى   عليه لساني في القضا غير عازمه

١٢- شفيقي على عصر التصابي وشملنا   دماج على طيب الليالي ملايمه

١٣- شعب لاما البين المماجي بعاره   أصاويبها في لاجي الروح واجمه

١٤- لكنني نهار ألفي غداه بعلمه   طعين الحشا أو عضني ناب كاظمه

٢١- ألى واعضيدي بالليالي إلى بدى   من الحرب ما يبحث كذا من يغارمه

٢٤- مكفيني إشيا لو تقاسي أمورها   هل الأرض ملوها هل الأرض عامه

٢٨- فياما عفا زلات من جاه مجرم   ونعما وطا راس المعادي بصارمه

٢٩- أما العون جالي كل هم من أجله   مصروف الليالي عن عقيل يوالمه

٣٠- ذرى الجار والجانين عن كل مشكل   والأصيدان تسمي حوفة منه خادمه

فتنة الشريف حمود بن عبدالله ومطالبته بالحكم

الشريف حمود بن عبدالله: ((رام الشيخة و الإمرة بعد وفاة الشريف زيد بن محسن فاجتمع معه قاطبة العشيرة والقرابة، فثار بينه وبين سعد بن زيد الفتنة واشتدت العداوة فاختار الرحلة إلى ينبع، فتبعه سائر الأشراف، فاجتمعت عليه أكثر العربان من كل مكان، ثم أرسل ولده أبا القاسم وبني أخيه ومحمد ابن أحمد الحارث إلى مصر لطلب الإمارة فأعزهم بشو قها إلى الغاية وأرسل إليه خمسمائة من المصرية لتكشف الخبر وتصلح بينه وبين سعد بالصفة....، فلمّا قربوا من ينبع برز بقومه وعشيرته وأتباعهم لاستقبالهم وقد أنذر أصحابه من الفتك قبل الفتك وجعل في لوذة من الطريق كمينة، فلمّا تقابلت الفئتان غارت عليه خيل ذي البغي والطغيان ورموهم بالرصاص وجردوا البيض الصفاح، فأتتهم تلك الكمينة فقتلوهم عن آخرهم إلا الشاذ منهم وغنموا جميع ما معهم من الأموال، وقبض على رئيسهم ثم عفى عنه.

وفي شهر ذي القعدة لهذا العام -؟ - توجه منها إلى خيبر ثم إلى(**)... فتفرقت عنه الأشراف

والأتباع والعربان عندما أصابه التعب الشديد... فحمود خلف ابنين: أبا القاسم ومحسناً أمه فاطمة بنت زيد بن محسن))[1].

إيقاع الشريف حمود بالتجريدة المصرية ((وقعة ينبع))

في يوم الأربعاء ١٤رجب ١٠٧٨هـ أوقع السيد حمود بن عبدالله بالتجريدة التي جهزت من مصر وكان جيشه يتكون من أهل ينبع وجهينة وعنزة وغيرهم، وقال العاصمي ((فأخذوهم عن آخرهم وقتلوا وسلبوا أموالهم وأسروهم ولم يسلم منهم إلا نحو المئة، وكان معهم مال جزيل فذهب شذر مذر))[2].

احمد بن رحمة بن مضيان شيخ حرب

في أحداث هذه السنة (١٠٧٨هـ) جاء ذكر الشيخ أحمد بن رحمة بن مضيان، حيث أطلق عليه مؤرخ الحجاز عبدالملك العاصمي (شيخ العرب وسلطانها القائم بخدمة الحرمين منذ أزمان، الشهاب أحمد ابن رحمة بن مضيان).

يقول الأستاذ فايز البدراني: وقد شهد عصر هذا الشيخ أحمد بن رحمة بن مضيان صراعاً مريراً بين قبائل حرب وأشراف الحجاز. وتاريخ رئاسته كان خلال الفترة من ١٠٧٠هـ إلى ١٠٩٠هـ تقريباً. ومما لا شك فيه أن بينه وبين الشيخ مضيان بن زبن - بن جمعة بن جبار شيخ المراوحة من بني سالم - عدداً من الرؤساء الذي ذكر الشيخ الجزيري أنه التقى به في بعض رحلاته للحج أثناء عبور الحاج المصري لدرك بني سالم بين ينبع والمدينة. ولا يستبعد أن يكون مضيان هذا هو الذي ينتسب إليه آل مضيان(*) إذا ما أخذنا في الاعتبار رأي بعض المشككين في تاريخ ابن بسام



(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار لضامن بن شدقم ج١ ص٥٤٠.

(٢) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٤٩٨

(٣) ذكر من آل مضيان الشيخ مضان بن حمد شيخ بني سالم ولعل مضيان تصغير لمضان جرياً على عادة العرب، فعلى سبيل المثال نذكر منها أن الشيخ عريعر آل حميد في مصادر كثيرة يذكر باسم عرعر، وكذلك يذكر هكذا أيضاً في الشعر الخالدي.

جاء ذكر الشيخ مضان في تحفة الأزهار حيث قال ابن شدقم عند حديثه عن الشريف يحيى بن عامر بن جيار بن ختوش بن محمد بن أحمد بن شليل بن سلطان بن يعيش بن معرج بن أبي حمزة عمارة بن صبيح بن المهنا الأكبر، فهو يقول، قال جدي علي كان يحيى صديقاً لوالدي رحمهما الله بينهما مودة ومواصلة ومحاباة ومعاضدة ومحاماة ومنها أنه مرع لوالدي إلى حديقته الشير حيالاً ملتمساً مستكملاً لأمة حربه حين الحام مع بني السفر في سبيل أبي =

اختيار يحيى آغا على ولاية البصرة

ذكرنا فيما سبق أنه لما وقع الصلح بين إبراهيم باشا والي بغداد وبين حسين باشا والي البصرة (١٠٧٦هـ/ ١٦٦٦م) غضب الكواوزة من هذه النتيجة وذهبوا على شكل وفد إلى الخليفة العثماني في اسطنبول وبعث معهم حسين باشا صهره يحيى آغا للدفاع عنه أمام الخليفة.

قال ابن علوان: ((ولما وصل المشايخ الكواوزة ويحيى آغا إلى السلطان وتسنّى لهم بث الأضغان شكوا إليه مصابهم.. وأباحوا فعل حسين باشا بهم لديه وأكثروا الشكوى عليه، فمد سمع شكواهم أجاب دعواهم...... وقال لهم: قد عزلناه. فمن تختارون مكانه؟ فقالوا: قد اخترنا مملكنا يحيى. وهو أطوع أوليائك. فقال ليحيى: قد اخترناك حاكماً للبصرة)).

قال ابن علوان. وحين فوض إليه أمر البصرة اجتمع لديه من بني الأصفر أربعون ألفاً وقيل ستون ألفاً وقيل وهو الأصح ثمانون ألفاً، وكان نزولهم في اليوم الرابع من رجب.

ولما اتصل خبر توجه العثمانيين من اسطنبول إلى البصرة بحسين باشا عزم على محاربتهم فجمع جيوشه واستعمل الحزم، وكان من بعض حرمه أنه أصر على إخلاء الديار فخرج الناس ملء الفجاج والطرقات في غرة جمادى الثانية (١٨ نوفمبر ١٦٦٧م تقريباً).

وهلال بن سنبل صاحب الشرطة يدور في الأسواق... وما مضت الأيام الثلاثة إلا والبصرة خالية المرابع، وكان المسلط على تحويلهم من بيتهم وتهويلهم ابن شاطر أحمد للسراجي وما يليه والأمير حسن بن طهمار أمر باقي البلاد إليه، وكان تمام خراب الجانب الغربي من شط العرب لمضي النصف من شهر رجب))[1].

= جيدة ثم إنه أشار عليه أن يحالف كبارهم وشيوخهم

قلت: وهذا الحلف بينهم يومئذٍ مضان بن حمد شيخ بني خالد وسالم الجمل بن سحيم الفريد، ومحمد وحمدان ابن عتيق الوهبي، فتعاطوه وتحالفوا وتعاهدوا بأن كلاً منهم صديق صديقه وعدو عدوه، جالب الخير لحليفه، ودافع الشر عنه، وليس على حسين بن علي الركوب إلى الحروب والغارات في الكروب بل النفع لهم على الأعداء بما اقتضاه الحلف في الوقف لسياق الدماء وعليهم النفع بالمعاضدة له ودفع الأعداء عنه بما اقتضاه الجهد حلفاً مؤبداً موروثاً سرمداً ماضياً على الأعقاب وأعقاب الأعقاب، والأتباع وأتبع الأتباع، لا انتهاء له ولا غاية لحده ولا مركز لآخره، فعلى هذا تعاطوا وتحالفوا وتعاهدوا بعهد الله وميثاقه على كتاب الله ﷻ وعهد رسوله ﷺ وأمانه وميثاقه ثم تلازموا على الأعراض من النكث والخيانة والورقة فمن نكث فإنما ينكث على نفسه يوم القيامة، ومن أوفى بما عاهد الله سيؤتيه أجراً عظيماً. وقد حضر هذا الحلف فضل بن جمعة الفريد وعامر الحيطي وسلامة بن **... آل حميدان وأجازوا الحلف كما هو مذكور وبهذا وقع الإشهاد والله خير الشاهدين وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير. حرر خامس عشري من شهر رجب الفرد سنة ٩٨٥هـ شهود الحال. يحيى وصالح ابنا عامر الظالمي، ومحمد بن راضي الوحادي، وإبراهيم بن قنع الر** وبريك بن **... راجع تحفة الأزهار لابن شدقم ج٢ ص٤٦٦.

(١) أحداث البصرة: زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر فيما جرى لحسين باشا أفراسياب- للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي المولود في سنة ١٠٥٣هـ ص٢٤وما بعدها

فقد أوعز الباشا قائد القوات على حسب قول نصمي زادة إلى ((كل مير ميران الموصل موسى باشا ومير لواء جعبان خلف بك بالتقدم أمامه بواسطة السفن، أما هو وبقية القوات فقد تحرك حسب الخطة المرسومة، في اليوم السابع من جمادى الآخرة سنة ١٠٧٨هـ حتى وصل إلى قلعة شولر فحط رحاله هناك بضعة أيام وصل بعدها سمره إلى الإسكندرية ومن هناك اتجه إلى زيارة سليل حيدر الكرار ونور عين أحمد المختار الإمام الجلي أبي عبدالله الحسين بن علي (ﷺ).

وبعد أداء الزيارة اتجه نحو النجف ومن هناك عطف على زيارة الإمام الهمام، وعند عودته سافر إلى الشعبانية، ثم أذن لبقية الوزراء والأمراء بزيارة الروضة الرضية لأسد الله الغالب ومظهر العجائب رابع الخلفاء المؤمنين علي المرتضى (كرم الله وجهه)، ثم سافروا إلى الرماحية ومنها إلى العرجة حيث مكثوا فيها مدة بانتظار ورود السفن، وفي صبح اليوم العشرين من رجب المرجب صدرت الأوامر بالحركة وكانت العساكر كأمواج البحر أو كسيل العرم تدفع وتتموج حتى وصلوا إلى كوت معمر، فتصدى لهم أحد شيوخ عشيرة المنتفق المسمى شيخ عثمان مع حوالي الألف من أتباعه وأراد أن يقطع عليهم الطريق فأزاحوه وواصلوا سفرهم حتى وصلوا إلى المحل المسمى منصورية، ومن هناك استأجروا سفناً لنقل القوات والمعدات، ودفعوا عن كل سفينة أربعمئة درة حتى وصلوا إلى شط العرب وحاولوا عبوره من المكان الذي سبق لإبراهيم باشا أن عبره بمنتهى المشقة

ولما كان مرورهم من ذلك المكان لا يخلو من محاذير ربما تعيقهم عن الوصول في الوقت المناسب فقد اتجهوا نحو الجزائر، ولأجل بث الرعب في قلوب المتمردين أوعز إلى حاكم الرقة دولار باشا، أن يأخذ قواته ويسير بها إلى الجانب الأيمن، أما حاكم الموصل وقائد قوات الإنكشاريين فإنهم تقدموا الجيش بواسطة السفن، وتبعهم بعدئذٍ القائد الأعلى وبقيه العساكر ووصلوا الجزائر، ونظراً لكثرة الأنهر العميقة والجداول الواسعة التي تحول دون مواصلتهم السير فقد اشتغلوا باتخاذ ما يلزم لرفع هذه الموانع.

وفي غرة شعبان وصلوا ديار بني أسد وضربوا خيامهم وعسكروا هناك

أما حسين باشا فقد جمع حوله ما يقارب الخمسة آلاف من رجاله بكامل أسلحتهم وتبعوا يترصدون بالجيش خلف النهر، وأخيراً أطلقوا النار على القوات العسكرية التي تقدمت منهم فقوبلوا بالمثل واشتد الرمي واستعملت المدافع واستبسل الطرفان في القتال

وبينما هم على هذه الحالة، تقدم من جانب البادية حاكم الرقة دولار باشا وهجم بقواته على حصون الثوار من الجانب الأيمن فاضطربوا عندئذٍ ثم مالوا إلى الفرار بواسطة المشاحيف التي كانوا قد أخفوها لوقت الحاجة وقتل منهم حوالي الخمسمئة رجل وغرق ثلاثمائة وانهزم الباقون هنا وهناك.

ثم عبرت قوات الحكومة الباقية واقتربت من البلدة واتخذت لها مواقع للقتال وذلك في اليوم الثالث من شعبان من السنة المذكورة، ونصبوا جسراً للعبور تحت حراسة كل من قوت الوزير كنعان باشا ودولار باشا ومن بعض المتطوعين، وبعد ذلك تقدم القائد الأعلى وبقية القوات وعبروا الشط.

وفي اليوم الرابع من شهر رمضان اصطدموا بثوار الدير تجمعوا خلف شط ركية الذي اتخذه

حسين باشا وجماعته من أعراب الجزائر مقرًّا احتجبَّ، ولأجل اصطيادهم أمر الوزير إبراهيم باشا والي ديار بكر بعبور شط زكية بأي طريقة كانت، فعبره هو وقواته وتمكن من دحر الثوار إذ فروا نحو الجهة الإيرانية بعدما تركوا الكثير من القتلى))[1].

وكان حسين باشا قبل وصولهم استعد لحربهم وبنى ثمة متريساً وأعد فيه حميساً فلمّا نظر البعض إلى البعض قامت الحرب فلم تكن إلا كجولة جايل حتى انتصرت الروم على العرب وقد حق القول بأنه لم يبق من عسكر البصرة إلا القليل وحين اتصل الخبر بالحسين عمد إلى حصنه الحصين الموسوم بالعلية وحشد فيه جنوده وعبر إلى الجانب المعروف بسحاب القريب وبنى فيه الخيام. قال الراوي: لما هزم الجمع وانكسر اتبعوهم مشرقين حتى شرفوا العلية رأي البصر ونزلوا محاصرين وجاهدوا وهزم حسين باشا وجنوده أجمعين.. وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر رمضان قيل لما أحصي من قتل من الرجال كانوا أربعة آلاف مع الزيادة غير الرؤوس والقادة.

انهزم الأهالي في كل اتجاه في العلاة وقسم كبير فرّ إلى الحويزة وأما حسين باشا فقد توجه طالباً بلاد العجم[2].

تنصيب يحيى باشا على البصرة باسم السلطان

((وفي الصباح مع قول المؤذن الله أكبر، دخلت المدينة قوات الحكومة وقتل من الذين كانوا يحاربون الجيش حوالي الأربعين رجلاً ثم صدر العفو عن الآخرين وسمح للهاربين بالعودة... وتحركت القوات واحتلت البصرة بكاملها، ونصّب يحيى باشا حاكماً عليها))[3]

فرار حسين باشا إلى إيران ثم الاستقرار النهائي في الهند

فرّ حسين ليلاً إلى المكان الذي أعده لتراجعه في بلاد الحويزة، وانتقض الدفاع فهرب الجند والقبائل الذين كانوا في الحامية...، ثم رفع يحيى إلى الدشارية، وعوهد بأوثق العهود وأبقى في الحامية ألف وخمسمائة إنكشاري وسجل ثلاثة آلاف من الجنود المرتزقة ...

وعلى هذا قدر لحسين أن لا يعود لبلاده مطلقاً، وحاول بلا جدوى في شيراز أن يقنع الشاه بشد أزره، ومن بعد ذلك سافر إلى الهند مع ابنه علي بك، إلى بلدة ((أوجين)) وهناك وكل إليه ملك البلاد إدارة مقاطعة ما، ومن ثم وقعا معاً في حومة الوغى دفاعاً عن الملك وحفظاً لمصالحه بعد أن تصاهرا من جهة النساء عائلة من الدورق لا يزال نسلها (نسلهما) فيها.

---

(١) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص٢٧٠-٢٧٢

(٢) أحداث البصرة: زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر فيما جرى لحسين باشا أفراسياب. للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي المولود في سنة ١٠٥٣هـ ص٣٩ وما بعدها.

(٣) كلشن خلف لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص٢٧٠-٢٧٢.

تغير أحوال بني كعب وتفرقهم وضعف قوتهم

((ضعفت قوة الكعبيين عندما هوجم (حسين باشا) من قبل العثمانيين وانغمروا بعض الوقت، وهاجر معظمهم إلى بندر معشور ولكنهم لم يقدروا العيش هناك لشدة المجاعة فعادوا إلى القبان، وتفرق بعضهم في الأقاليم، وتبدلت أخلاقهم وعاداتهم لتأثرهم بجيران المشعشعين وأصبحوا يختلفون كل الاختلاف عن سلفهم رجال الشر وتخلصوا من اللصوصية التي اتصفوا بها))[1].

مشيخة عثمان ابن أخي محمد بن راشد على المنتفق

١٠٧٨هـ من حوادث هذه السنة مجيء الشيخ عثمان ابن أخي الشيخ محمد بن راشد بن مغامس لمناصرة الدولة العثمانية طالباً الأمان، وكذا ورد ابن عمه (عبيد) مزاحماً له في الرئاسة، فتقاتلوا ببغداد، فخر (عبيد) صريعاً وهرب أعوانه الذين حضروا معه، ومن عثمان تكون فخذ العثمان.

ويقول العزاوي: الشيخ عثمان ورد في عمود نسب آل شبيب[2]. وإن عم عثمان هو محمد بن راشد ابن مغامس بن مانع بن راشد بن مغامس. ومن ثم نعلم تكون فخذ الراشد وفخذ العثمان والمحفوظ أن عثمان بن شبيب[3]

قال ياسين بن حمزة الشهابي في أرجوزته ص٧١:

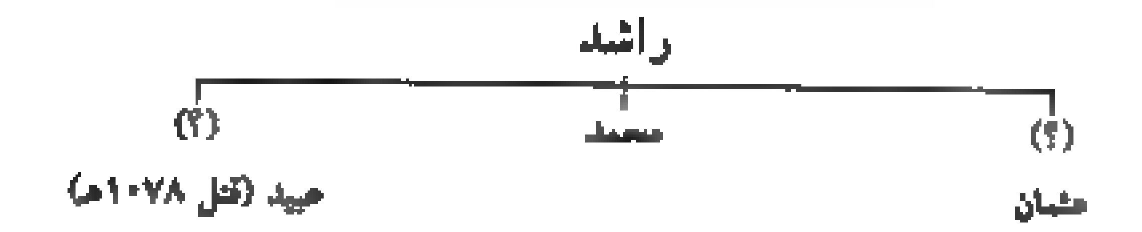
وَجَاءَهُ عُثْمَانُ ذو المَحَامِدِ	ابْنُ أَخِي مُحَمَّدِ بْنِ رَاشِدِ
مُسْتَسْلِماً وطَالِباً أَمَانَا	مِنْهُ فَأَعْطَاهُ أَمَاناً زَانَا
وَهُوَ كَرِيمٌ مِنْ شُيُوخِ المُنْتَفِقْ	وَلِلصُّفُوفِ فِي الحُرُوبِ يَخْتَرِقْ
فَمُذْ أَتَى صَيَّرَهُ شَيْخاً لَهُمْ	مَنْزِلاً أَتْبَاعَهُ مَحَلَّهُمْ
فَرَدَّهُ مُحَافِظاً مَعْ عَسْكَرِهْ	فِي الحُسَيْنِ ذِي النَّفْعِ ومُنْكَرِهْ
فَجَاءَهُ ابْنُ عَمِّهِ عُبَيْدُ	يَكِيدُهُ وَقَدْ دَهَاهُ الكَيْدُ
وَأَخْبَرُوا عُثْمَانَ عَنْهُ أَنَّهُ	آتٍ إِلَيْكَ لِيُزِيلَ غُبْنَتَهُ
لِتَنْبَهَ العَسْكَرُ ثُمَّ يَمْضُو	إِلَيْهِ والقَوْمُ بِهِ لَمْ يَعْلَمُوا
وَقَدْ تَلاقَوا سُرْعَةً واقْتَتَلا	فَجَاءَ لِلشَّيْخِ عُبَيْدِ البَلا
فَجَدَّلُوهُ سُرْعَةً صَرِيعَا	وَمَنْ نَجَا مِنْهُمْ غَدَا سَرِيعَا

(١) تاريخ إمارة كعب، تحقيق علي نعمة الحلو ١٩٦٨م النجف الأشرف ص٣٢.

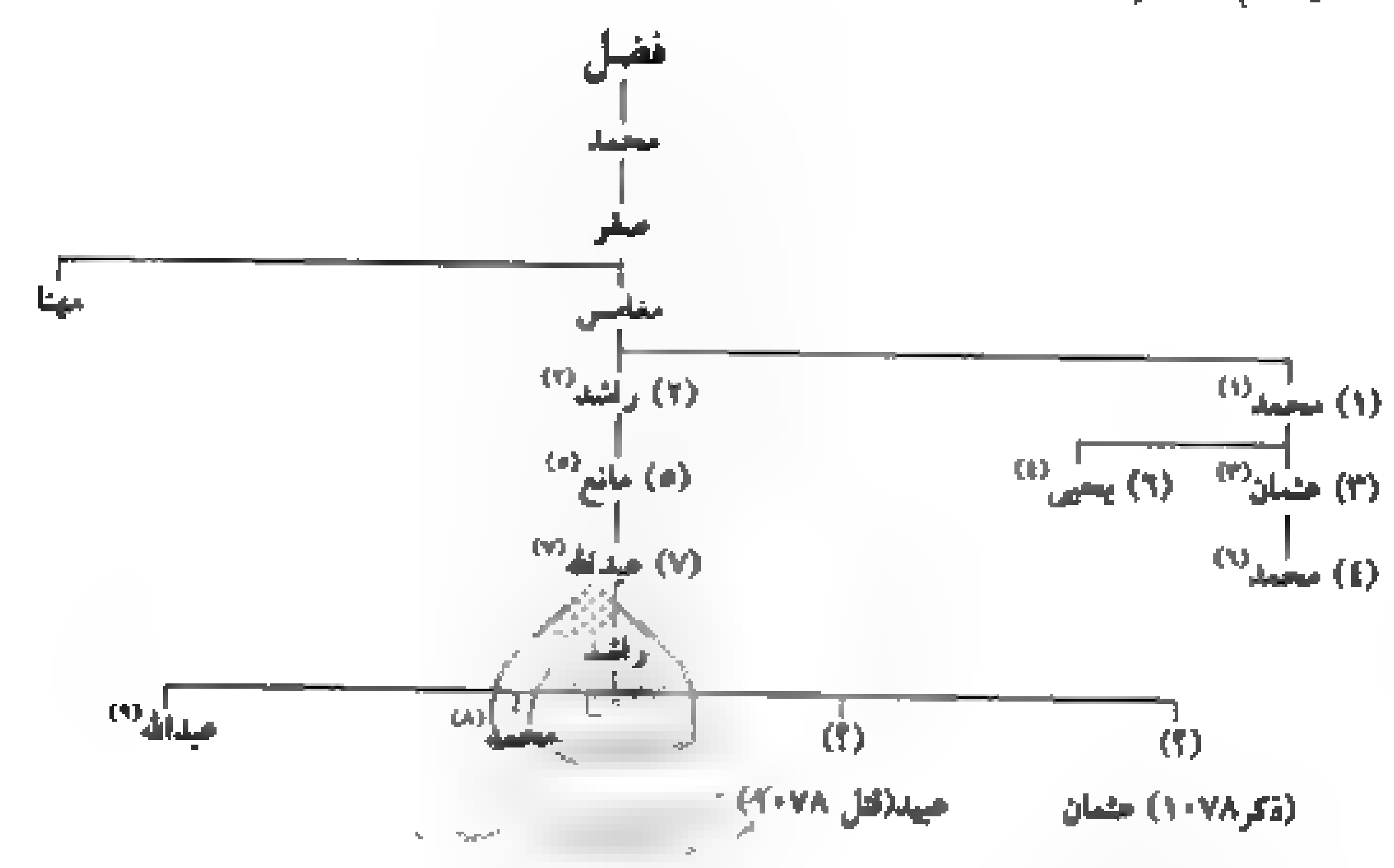
(٢) لا أتفق مع بعض المؤرخين الذين يخلطون بين أسرتي آل شبيب وآل مغامس، لأن آل شبيب أسرة تنتسب إلى أشراف الحجاز قدمت إلى العراق بحدود سنة ١٦٤٨م تقريباً، وأما آل مغامس فهم من آل غزي من بني لام من طيئ والرابط الوحيد المشترك بينهما أن آل شبيب صاروا امتداداً لآل مغامس في مشيخة المنتفق، والله أعلم.

(٣) عشائر العراق لعباس العزاوي ج٤ ص١٠٨.

فكان هذا أول الإقبال لمصطفى باشا الوزير العالي
ألهمه رب العباد العدلا زرّده كرامة وفضلا
وجاءت الشيوخ بعده إلى بغداد في أرغد عيش وعلا



(على كلام العزاوي يقول: المحفوظ أن عثمان بن شبيب)



---

(١) حكم البصرة سنة ٩١٥هـ، وتوفي سنة ٩٣٤هـ.
(٢) حكم لإحساء سنة ٩٣١هـ، وحكم الإحساء والبصرة سنة ٩٣٤هـ، وحكم الإحساء والبصرة والقطيف سنة ٩٤٤هـ.
(٣) حكم البصرة من سنة ٩٤٦هـ إلى ٩٤٨هـ
(٤) في سنة ٩٣٣هـ خرج محجاج لمشرق وحكم البصرة سنة ٩٤٩ حتى استيلاء العثمانيين على البصرة.
(٥) حكم الإحساء نائباً عن والده ٩٣٤هـ، وحكم الإحساء والقطيف٩٤٤هـ، وحكم الإحساء والبصرة والقطيف ٩٤٨هـ، وحكم الإحساء والقطيف٩٤٩-٩٥١هـ.
(٦) حكم البصرة في سنة ٩٤٨هـ، وتولى حكم أطراف ولاية البصرة ليقود مقاومة آل مغامس ضد العثمانيين وفي سنة ٩٨٥هـ حكم بلد سكال لشريف مكة.
(٧) حكم الإحساء سنة ٩٥١- ٩٦٠هـ.
(٨) شيخ العرب سنة ١٠٧٤هـ.
(٩) ذُكر مرتين بكريدة ١٠١٣- ١٠٣٣هـ.

آخر حاكم من أسرة آل مغامس هو راشد بن مغامس المقتول فيما بين سنتي ١٠٧٩هـ- و١٠٨٠هـ على يد براك بن غرير آل حميد كما سيأتي بيانه بعد قليل، وراشد هذا لم أجد في المصادر من تسلسل اسمه ما يساعد على ربطه في شجرة النسب التي وضعتها ربطاً مباشراً.

مقتل راشد بن مغامس واستيلاء براك آل حُميد على الإحساء

١٠٧٩هـ في هذا العام شق على راشد بن مغامس أمير المنتفق استيلاء بني خالد واستبدادهم بملك الإحساء فجهز حملة لغزو براك وجماعته في الإحساء[١]، فثار براك بن غرير بن عثمان بن مسعود بن ربيعة زعيم قبيلة آل حميد من بني خالد ومعه محمد بن حسين بن عثمان بن مسعود بن ربيعة آل حميد ومهنا الجبري أحد أفراد عشيرة أجود بن زامل على راشد بن مغامس أمير المنتفق الذي كان فيما يبدو لعبة في أيدي الأتراك، وتمكن براك من قتل عدد كبير من البدو الذين كانوا في جيش راشد ونهب أموالهم وطردهم من الإحساء، وانهزم الباقون إلى العراق[٢]، وكانت بادية الإحساء قبل آل حميد من طوائف المنتفق[٣].

ثم إن براكاً بعدما تخلص من المنتفق وقضى عليهم، اتجه نحو الحامية التركية في كوت الهفوف أي قلعتها فاحتلها وأعمل السيف في حاميتها وطرد من ظلوا أحياء فيها من البلاد[٤].

ووجه جبر بن سيار قصيدة إلى رشيدان بن عشم ذكر فيها مسألة[٥] طرد بني خالد لطيّئ وقيس والأتراك عن الإحساء:

١- سقفها وسرها لبلهب وسهارها ... مستمعد رواحبها وعشارها

٢٠- والى خلاف الحمص حيث لديرة ... تدرج سمات السحيل أسهرها

٢١ ملك لروس قبيلة تلتقى بهر ... يبهل إلى ضم القرا جرارها

٢٥- أولاد بلاع ذوابة خالد ... بصر الوليد أركى سلام زارها

٢٦- قتلوا بها طي وقيس مادعت ... أتراكها وأروامها وأمصارها

٢٧ بذلوا بها مهج النفوس فأدركوا ... لذاتها ممزوجة بأمرارها

٢٨- عفوا جوانبها بضرب صوارم ... ما سرحت فيها القضاة اسطارها

٣١- براك بن غرير أمضى خالد ... مولى مفاخرها سنا مسوارها

٣٤- وقر السلام وفيه خلط ملامة ... يعرف مشاحي زمرها حبارها

---

(١) تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب لحسين خلف الشيخ خزعل.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ حمد بن لعبون ص٤٠

(٤) راجع، تاريخ نجد لفيلبي، وراجع: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى.

(٥) كتاب الشعر النبطي للصويان.

٣٥- را شين يا دال ألف نون ومن نشا — شمطاء ما حل المـلام عذارها
٣٩- ألهاك عنا بالقطيف مواكل — ومواقع يشظي الدماغ بزارها
٤١- متفرش غالي الحرير مضرب — يضرب عليك الطار مع زمارها
٤٣- فإن كنت تزعم أن مي ذا مفتخر — مع رتبة تزهى بها حضارها
٤٤- فاعلم ثراها رتبة مذمومة — ماشومة بئس الفخار فخارها
٤٥- ماقمك ذا يصلح لعبد خايب — منتج قيان من ضا عشارها
٤٦- عفن لحوح كرف عبد ماهر — بالوجه سلاك الحكي هذارها
٥٠- أي لعيش أنت فيه ونعمة — عدا مع الفجار من كفارها
٥٥- واعلم تراي اليوم بأحسن رتبة — عظماً تزحزح عن فؤادي نارها
٥٦- متبدل سرج الجواد بمنبر — وجماعة تعكف عليّ خيارها
٥٧- بالصف معتكف وأرجي توبة — من سيدي وأرجي تحط أوزارها
٥٨- متقيد في خطبة جورية — تجلي القلوب المصدية بأنوارها

ذكر المقر الصيفي لحكم آل حُميد

((امتد نفوذ بني خالد من الإحساء إلى منطقة نفوذ العثمانيين في العراق، وكانت الكويت مقر حكمهم الصيفي))[1].

مسير صاحب الإحساء محمد بن غرير لغزو بلاد العارض

١٠٧٩هـ (قال ابن بشر) وفيها سار محمد آل غرير صاحب الإحساء وصبح آل معيرة وعايذ على حاير سبيع في العارض وقتل منهم الحياري ثم صبحهم في الصيف وهم في حاير المجمعة وقتلهم.

انضمام الشريف محمد بن زيد إلى ثورة الشريف حمود ضدّاً لأخيه

١٠٧٩هـ ((كان عصيان الشريف حمود في ينبع قد تفاقم أمره وكثرت قلاقله وانضم إلى صفوفه عاصٍ جديد هو محمد بن زيد الذي اختلف مع أخيه وغادرها مغضباً لينضم إلى حمود في ينبع. وصدرت الأوامر العثمانية إلى صاحب مصر بإرسال حملة عسكرية إلى ينبع لتأديب العصاة في جمع من مقاتلة الأشراف وبعض المتطوعة من قبيلة جهينة، وفتكوا بها فقتل منها نحو (٤٠٠جنلي) وفر الباقون وقد أسر

(١) مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق ع٣ ١٩٨١م، البصرة أول قاعدة بحرية للتوسع العثماني في الخليج العربي بقلم: د.مصطفى النجار ص١٠١.

قائد الحملة ونساؤه وأولاده فأبقوهم في الأسر كرهائن مقابل أسراهم من الأشراف في مصر وذلك في رجب ١٠٧٩هـ))[1].

زحف الجيش العثماني على البصرة وهروب صاحبها إلى الهند

١٠٨٠هـ في شهر صفر الموافق يوليو ١٦٦٩م بدأ الزحف العثماني مجدداً على البصرة، وانهارت معنويات يحيى باشا وفرّ إلى الهند بدون قتال وكان مصيره كمصير الوالي الذي سبقه حسين باشا الذي فرّ إلى الهند، ودخل الجيش العثماني البصرة ونصّب رئيس الحجاب مصطفى باشا والياً عليها[2].

ونتج عن ظروف الحرب أو بسبب السياسة السيئة التي أظهرها العثمانيون تجاه الأجانب عن مغادرة الكثير من السكان لمدينة البصرة[3].

توجه محمد بن زيد إلى بني سعد لخروجهم عن الطاعة

١٠٨٠هـ في ربيع الآخر ((توجه السيد محمد بن زيد إلى قبيلة بني سعد في جمع يسير وهم في منعة وشاهق خطير، وأراد قتالهم لخروجهم عن الطاعة فأرسل وعرف أخاه الشريف سعداً فجمع جمعاً وأمرهم بالمسير إليه والذهاب. فبينما هم كذلك إذ وصل الخبر إليه بالصلح على المال لتسلم الرقاب))[4]

وقعة الشريف حمود مع الظفير في نجد

ذكر فيلبي أنه في سنة ١٦٦٩م عهدت إلى الشريف حمود قيادة حملة عامة على نجد فأخضع قبائل متعددة ولكن كان هدفه الرئيسي قبيلة الظفير النازلة في العراق إذ كانت هذه القبيلة قد نهبت عدداً كبيراً من إبل عشائر (الصمدة) إحدى بطون قبيلة (الظفير) وقد انضم هؤلاء إلى جيش حمود وتبعهم سلامة بن سويط[5].

سبب اتفاع الشريف حمود مع قبيلة الظفير

وعن سببها يقول العاصمي ((سبب وقعة الظفير أنه انضم إلى جهامة السيد حمود قبيلة من ظفير

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣٧٥.

(٢) أرجوزة في تاريخ البصرة، واقعة حسين باشا لياسين حمزة الشهابي كان حيًّا ١٠٨٦هـ تحقيق فاخر جبر مطر ص٧٩ في شرح المحقق.

(٣) م.العربية للعلوم الإنسانية ع١١ مجلد٣ صيف٨٣ حكومة حسين باشا أفراسياب للحمداني ص١١٦٣.

(٤) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٥١٥.

(٥) تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لسنت جون فيلبي تعريب عمر الديراوي، منشورات المكتبة الأهلية بيروت ص١٣

يقال لها الصمدة، ثم انضم إليهم شيخهم الأكبر مع جماعته الأدنين وعصبته الأقوين وكان محبًا للسيد حمود بمنزلة العين للإنسان، والإنسان للعين، وهو ذو شهامة وصرامة، يعرف بمرشد بن سلامة، فوقع من جماعته جرم اقتضى أن يؤاخذوا بما هو المعتاد المرويّ عليهم في مثله، وهو أحد الشعثاء والنعامة، وفي خيار أوائل الأباعر، وخيار تواليها، فلم يرضوا بذلك، وقالوا هو جور وحيف، وليس عندنا دون ذلك إلا حد السيف، فأشار سلامة المذكور إلى السيد حمود وقال له: (اربطني ولست في ذلك بملام، فوالله لتأخذن ما تريد بالتمام). فقال: (كلا والله لا ربطتك ونخوة آبائي الكرام وكيف ذاك وفي بطنك من عيشي طعام وكفى به الترام ولزام)، فذهب سلامة إلى قومه وقد تهيؤوا للقتال والنصال والعدوان وتهيأ كذلك السيد حمود ومن معه من بني عمه ومن الصمدة وعدوان.

فانخزلت الطائفة من الصمدة، وولت ناحية ناجية، وانكفأ الجمعان بعضهم على بعض، واختلط الفرسان..، وقتل من السادة الأشراف زين العابدين بن عبدالله والسيد أحمد بن حسين بن عبدالله والسيد شنبر بن أحمد بن عبدالله.

وصُوِّب السيد ظفير ابن السيد زامل بن عبد الله أصاويب وكذلك صوب السيد بار بن هاشم بن عبدالله إلا أن الله سبحانه وتعالى من بالعافية عليهما ولله الحمد. ثم إن السيد غالب بن زامل صبحهم بعد مُديدة، فحلم عن ستين لحية منهم ولم يشف عن واحد من القتلى كبده. ولم تزل معهم ظفير في قتل وطراد إلى أن أصلح بينهم المرحوم الشريف أحمد بن زيد))[1]

قطع ابن رشيد لطريق الحجاج في منطقة العلا

١٠٨١هـ ورد في كتاب (الرحلة الحجازية لأوليا جلبي) وهو يتكلم عن قلعة العلا ويقول ((كان يجب وضع جند في هذه القلعة لتأمين سبل الحياة في هذه المنطقة لأن الذين سيأتون إلى هذه المنطقة ما لم يجدوا ماء بها فإنهم لن يجدوا له أثراً في شق الحجور - مذبح الناقة من قبل قوم صالح عليه السلام على الرغم من أن هناك بحيرة قوامها حوالي مائتي متر وعرضها عشرة باعات بجوار هذه القلعة وقد قام الملعون المسمى ابن رشيد بغلقها في السنة الماضية وأطلق النيران على الحجاج ولم يحظ الآلاف منهم هم وبهائمهم على أي قطرة من الماء لدرجة أن العديد من الحجاج قد تقددت أجسادهم من شدة العطش وقيلولة الشمس...- ثم قال - فإذا بصوت جاويش الكتيبة يقطع هذا السكون معلناً سنصل اليوم عند الظهر إلى الممر المسمّى قضبه صالح فاستعدوا وكونوا على يقظة تامة لأن ابن رشيد قام بقتل الحجاج في هذا الموقع في العام الماضي والواقع أنه منقاد لطاعة حسين باشا هذا العام)). ويخبر آخر يقول (مأمون أصلان في كتابه قافلة الحاج الشامي) انتهب الحاج الشامي في مدائن صالح من قبل عرب حمولة ابن رشيد[2].

---

(١) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٥١٨

(٢) بدو الرشايدة تحقيق ابن حية

هجوم براك بن غرير على الظفير وعلى آل نبهان

وفيها (١٠٨١هـ- ١٦٧٠م): ((ظهر براك بن غرير بن عثمان بن مسعود بن ربيعة آل حميد صاحب الإحساء وطرد الظفير، وأخذ آل نبهان من آل كثير على بلد آل سدوس))[١]، وفيها أيضاً وقعة الكيثال بين الظفير والفضول بنجد[٢]، وفي السنة التي بعدها (١٠٨٢هـ) وقعة الملتهبة بين الظفير والفضول.

تولية الشريف بركات بن محمد على مكة

١٠٨٣هـ في هذه السنة طلبت الخلافة العثمانية في تركيا إلى مصر إرسال ثلاثة آلاف جندي إلى مكة، وإلى حلب بإرسال ألفي جندي وجعلت قيادة الجيش إلى صاحب حلب حسين باشا، كما أمرت حسين باشا أن يأتمر بأمر الشيخ محمد سليمان المغربي – من أكبر علماء عصره – وانتهى الجيش المصري إلى مكة في موسم ١٠٨٣هـ وعسكر في حرول ثم وصل جيش حلب فعسكر في الزاهر وفطن الشريف سعد للأمر فبات منه على حذر.

وقصد حسين باشا والشيخ محمد المغربي إلى المسجد حال وصولهما فأديا نسكهما وقابلا الشريف سعداً فأظهرا له الود وقبّل حسين باشا يد الشريف ثم سهر عنده في بيته إلى منتصف الليل.

وأرسل الشريف سعد يطلب خلعته المعتادة من الباشا فطلب الباشا إليه حضوره ليشرب قهوته فامتنع فأعاد دعوته فلم يقبل وقال: إن العادة جرت بإرسالها إلى فقال الباشا: ليس لك عندنا خلعة فتأهب الشريف سعد للقتال فندب الباشا من ينادي بالأمان وأرسل الخلعة إلى الشريف سعد... ولما انتهوا إلى منى بات الشريف ينتظر من الباشا إعلان مرسوم التأييد له كالمعتاد فلم يفعل فأرسل يتنبه الباشا، فطلب الباشا حضوره فلم يقبل ....، فغادر منى خفية في بعض أنصاره إلى الطائف ومنها ارتحل إلى تربة فبيشة ثم سلك طرقاً كثيرة حتى انتهى إلى دار الخلافة في تركيا.... ثم أرسلوا إلى الشريف بركات بن محمد من آل بركات وأعلنوا ولايته[٣].

تحالف قبلي بين البصرة وبندر ريق ضد الهولة

قبل عام ١٦٧٤م بفترة قصيرة استطاع تحالف القبائل العربية في المنطقة الواقعة بين البصرة وبندر ريق (وهي منطقة تشمل أرض قبيلة الحليقات) من طرد الهولة من شواطئ اللؤلؤ في البحرين[٤]، وهذا الخبر يدل على قوة الهولة وكثرة عددهم التي استطاعت مجابهة أو التي تصدت لها قبائل عديدة تقع

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص٦٦.

(٢) المصدر السابق ص٦٦.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣١٤ ص٣٧٨.

(٤) نشأة الكويت تأليف ب.ج.سلوت رئيس الأرشيف الهولندي صدر سنة ٩٠/١٩٩١م في هولندا، مركز البحوث والدراسات الكويتية ط٢٠٠٣م ص١١٧.

أراضيها فيما بين البصرة وبندر ريق الذي يقع على الجهة الأخرى من الخليج العربي مقابل شواطئ الكويت.

وقعة القع

١٠٨٤هـ فيها: ((قتل محمد بن زامل بن إدريس بن حسين بن مدلج رئيس بلد التويم وإبراهيم بن سليمان بن حماد بن عامر الدوسري رئيس بلد جُلاجل في ((وقعة القاع))، وهي وقعة مشهورة بين أهل التويم بأهل جلاجل))[١].

انتصار الشريف بركات على قبيلة حرب

وفيها (١٠٨٤هـ) ((خرج الشريف بركات والسادة الأشراف والعساكر والعربان إلى قتال حرب وشيخهم أحمد بن رحمة فكان الظفر فيها للشريف ومن معه))[٢].

قال السباعي: خرج في عام ١٠٨٤، ١٠٨٥ على رأس جيش من الأشراف والعربان وبعض العساكر لقتال العصاة من قبيلة حرب، ولما نزل قرية بدر لم يبدأ القتال فوراً بل ظل يرابط فيها، وكلما اعترم العمل عاود الصبر حتى صاروا لا يهتمون لحركته، فلما طال الأمر ورأى بعضهم يفترق عن بعض وثب عليهم وثبة جبارة فكسر جموعهم واستأصلهم وأقام في قتلهم ستة أيام قطع فيها دابرهم وأحرق نخيلهم وأقام حكمه في بلادهم، ولما انتهت الأخبار إلى مكة زينت أسواقها ثلاثة أياماً ابتهاجاً بالنصر[٣].

إخضاع أهل وادي الفرع بعد عصيانهم

١٠٨٥هـ قال الدحلان عن هذا العام: خروج مولانا الشريف بركات إلى الفرع وأقطاره لتمرد أهله علنة وخروجهم عن طاعته..... ونزل بقرية تسمى أم العيال وأمر السيد ناصر ابن السيد أحمد الحارث بالنزول بقرية أخرى تسمى بأبي ضباع ثم استمر مقيماً بتلك الدويرة إلى أن ذهبت جميع أموالهم ومزارعهم حتى عادوا إلى طاعته راغبين من غير قتال ثم لما مشى قبض على خمسة وعشرين شخصاً من كبارهم وأتى بهم إلى مكة في الحديد إلى أن ماتوا بأجمعهم..[٤]

وفاة حمود بن عبدالله واحمد بن محمد الحارث

١٠٨٥هـ وفاة السيد حمود بن عبدالله بن حسن بالطائف وفيها توفي السيد أحمد بن محمد الحارث[٥].

---

(١) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج١ تاريخ ابن لعبون ص١٩

(٢) سمط النجوم العوالي

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣٨٣ وراجع إفادة الأنام للشيخ عبدالله غازي.

(٤) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص٩٤.

(٥) المصدر السابق ص٩٤.

محدار معظم بوادي الفضول إلى جهة الحويزة والعمارة

١٠٨٥هـ في هذه السنة وقع قحط شديد سمي (جرمان)، وهي السنة التي فيها حدروا بوادي الفضول إلى الشرق[١]، ونزلوا نواحي الحويزة والعمارة وبقي لهم بقايا قليلة يتعلقون العربان ثم رجع منهم إلى نجد وبقي الكثيرون هناك، واستمر القحط الشديد وكثر الجراد في نجد إلى سنة ١٠٨٧هـ مما اضطر العديد من القبائل للهجرة في اتجاه الشرق[٢].

سنة غبيبة

١٠٨٦هـ في هذه السنة أسر براك بن غرير الشيخ سلامة بن سويط رئيس بوادي الظفير. قال ابن منقور: وفيها غبيبة بني خالد، وأما هدية فبعدها بسنة وعن سنة غبية يقول الفاخري: هي اسم حرابة بين بني خالد وأخذ براك رفاقه وقتل محمد بن حسين بن عثمان بن مسعود بن ربيعة آل حميد، وهو ابن عمه الذي ساعده على نيل الحكم هو ومهنا الجبري

وفي كتاب الشعر النبطي للصويان. يقول براك في قصيدة طويلة سوف أختصر فيها:

١- جوابك في مبداه ماباب عاشقه   وبالمنتهى أنواه ماهيب لايقه

٣- رضيناك فيما قد رضينا مساند   وترك الحمايا صرت محتاج خالقه

٤- سنام لمعظم الضد بأسباب همه   توابعها فضل من أيدي الزنادقه

٥- فحاشاك لاجاك من لا تريده   عن أدفاعها خوف المصلاة ناطقه

٦- فشى فعال يا مهنا رضيتها   وخبير سديد الرأي من ذا معاشقه

٧- فلو كنت محتاج لمبذول مالهم   عذرناك يامن شانت أنواه شايقه

٨- للأصحاب فيما قد مضى ثم ريّحت   لك النفس ترك الند وارضاً مماحقه

٩- تريد تصلح في حمانا قبايل   محتمية من كل فيق لفايقه

١٠- وحنا بحرب كل يوم وليلة   نعالج فيها من خبيث مناطقه

١١- نورّم بها شعث النضا كل لقوة   على الترك وأرواح عن البيع نافقه

١٢- لمن يطلب العليا ومإياكم العدا   تعرض بها لإتلافها في مغارقه

١٣- ونقع من البارود والطوس كنها   رعود تجلي زجرها عن بوارقه

١٤- إلى ثار عنها الغبو صرنا ولاتها   بلا زغب ولا نتقي عن ممارقه

١٥- على كل قبا فوقها كل نادر   الى جار من ضرب العرنجي مطارقه

---

(١) سمط النجوم العوالي.

(٢) عنوان المجد لعثمان بن بشر

٢٠- فنم وارع في واديك ماكنت جامع   بذلك وسد عنك ماكنت فاتقه

٢١- وخالقك يا معدوم الإرشاد لو تكن   تخلي الأرض منا مابغوا منك دانقه

٢٢- وباطون ما لا تهتوي ثم خيرهم   لك تتخذ منهم رفيقٍ ترافقه

٢٤- ومن قبلهم....   تواعد مانمنت باقي لحايقه

٢٥- وتبقى على بيت ابن سلطان عامر   ومن له تذاكير بالآثار سابقه

٢٦- فكم ديرةٍ صافت عداها وحاربت   عراها عليها راية الذل خافقه

٢٧- ففي ثارنا من دارنا ما تمابه   مسا أو صباح يا مهمنا تواثقه

٢٨- ألبين أخذنا ثار دارٍ عزيزة   علينا إلى ما غير الدار سارقه

٢٩- وجاراتك اللّي طالعت من بيوتها   أخذنا قضاها من عداها سطارقه

٣٠- رجال ملت أركان هجر صرايع   بالإيمان كم رأس خلا من علايقه

٣١- وذاك الذي تمهد من الحزم عندنا   تمايز عنها بعد ما هيب رايقه

٣٢- وهمنا فحول أروامها اللّي دموا بها   بالأسمام وأخمدنا أهلها بصاعقه

٣٣- وأخذنا معاليم على ما أنت خابر   و لا ينحصي مرسومها من بنايقه

٣٤- بنت اللحا ما هوب عرج سملق   ... .

٣٥- على راي من منا حمى حرمة الحمى   ... .

٣٦- ولا نتقي الحكام من خوف بأسها   وفي كل ما يدرون تبدي حقايقه

٣٧- من أفعالنا اللّي عاد شرواك يتقي   بما كلاسها ذل ورجرى لغايقه

ومن أجل إكمال الصورة وإيضاح سبب قتل براك لولد عمه حسين بن عثمان ومهنا الجبري يجب الإتيان على جزء من قصيدته الموجهة إلى حسين.

٣- ذا سالف الدنيا كفى الله شرها   أهلها على نوعين راضي وغاضب

٤- ولا يستفيد المرء منها سوى التقى   وحفظ لدين الله خير المطالب

٥- والثانية روس المعالي فإلى مقى   صبور على الوجلا شقا كل طالب

٧- وبذل العطا للمستحقين والقرا   إذا حجبت غبر السنين الكواهب

٨- والرابعة بذل الحمايا إذا جرى   على اللحم الداني من الدهر نايب

٩- والخامسة جر السبايا على العدا   ببيض ورلبات السبايا جنايب

١٠- فقم أيها الغادي على عيدهيه   عمانية من طيبات النجايب

١١- إلى جيت عنا طيب الفال والذي   رقى بالثنا في عاليات المراقب

١٢- حسين حمى خيل الشفايا إذا بقت   جياد الرزايا قاسيات المعاصب

١٣- وقل له أبا من لا كسى الشين عرضه ... ومن ليس في شهوات الأنذال راغب

١٤- ليتك ماطاوعت الأوباش بالذي ... سعوا به من صوبي نحوس الأقارب

١٥- بلا جرمةٍ سويتها غير أنني ... حذرت العدا من عاليات المراتب

١٦- ومكنتكم منها على واضح النقا ... والأضداد في أكبادها الغل ناشب

١٧- صار الجزا لي منك ماهوب طيب ... تدبير أحوالٍ خبات المعاقب

١٨- وحالفت عظم الضد تبعى تهينني ... بلا سببٍ يوطيك ما أنت ضارب

١٩- ففرقت شوفاتٍ علينا تظاهرت ... سعون إله العرش من كل جانب

٢٠- حذرت سلاطين الحسا من تخوتهم ... بلا طيبٍ من كل معبون شارب

٢١- وأنا أحمد المولى على كل ما جرى ... إذا فاتني نفع الصديق المقارب

٢٢- وطاوعت بي من لا يسدون غيبتي ... إذا ما دهاك أمر وأنا عنك غايب

٢٣- تراني عن الرهدا غني بمن له ... على الخلق ستر من حسانيه حاجب

٢٤- وقولٍ بلا فعل على من يقوله ... وبالٍ إلى عد النبا بالمراكب

وأورد مقطعاً من قصيدة لمحمد أخي براك بن عرير لأخذ الحكمة المستفادة منها لمعرفة ما يجري في ذلك الوقت ومعرفة الظروف المحيطة:

١- إلى سرت يامن فالك الرشد مشمل ... على عبرة قد شاب ملفى وثورها

٣- إلى جيت عقب السير عنا قبيلة ... تسورر العدا ما لا عداها تزورها

٤- وساع الهوايا من ذرى روس عيلة ... يقيمت وبالعليا طوالٍ شبورها

٥- بلغ سلامي غير وافٍ وخص لي ... شفا صدها موصي هواها ونورها

٦- حسين بن عثمانٍ حمى ثقل التلا ... و رداد غيصات العدا في نحورها

٩- عفى الدرب عنكم ما لعى منك طارش ... فلاعلام عنكم داثراتٍ دثورها

١٠- قضيت حقوق الدار حتى صعت لنا ... على الزين واسقينا عدانا مرورها

١٢- تركنا كماة الترك فيها فرايس ... بطون الضواري والعدا هي قبورها

١٣- ولولاك ما جا عن هل الفسق محبر ... ولا فكها منا ولو طال سورها

١٤- لعينيك عفينا وعفنا مصالح ... وجاز أمرنا عما مضى من دثورها

١٥- توهمت عين النصح مني مضرة ... ولم تعتبر باللّي مضى من أمورها

١٦- وحاشاك ما ترضى علينا بنكبة ... و لا تسمع النمام فينا وزورها

١٧- نسقي عداك أن قدر الله مثلما ... سقينا عداك بالكدى من مرورها

يقول الصويان: توفي براك بن غرير سنة ١٠٩٣هـ وتوفي محمد أخوه في سنة ١١٠٣هـ وقام مكانه ابنه سعدون بعد مقتل ابن عمه ثنيان بن براك لكي لا ينافسه في الحكم الذي بلغ ذروته في عهده وتوفي سعدون ١١٣٥هـ.

وقعة هدية

١٠٨٨هـ وفيها وقعة هدية بين بني خالد، وأخذ آل كليب وقتل ساقان كبير آل مانع[1]. وفيها أخذ براك بن غرير آل عساف من آل كثير قرب الدرعية عند الزلال عند الدرعية.

مناخ الضلفعة

وفيها (١٠٨٨هـ): ظهر محمد الحارث إلى نجد. وقتل غانم بن جاسر رئيس المصول. وفيها: وقع مناخ الضلفعة من ناحية القصيم بين الشريف محمد الحارث وبين الظفير وصارت الهزيمة على الظفير[2]، ثم اصطلحوا وأخذ الحارث عليهم العقل وأنزلهم من سلمى الجبل المعروف في جبل شمر.

بنو لام يقطعون الطريق قرب الحويزة

١٠٨٩هـ وفيها: ((تصدت قبيلة بني لام للمسافرين وقطعت الطرق، ولما وصل خبرهم إلى المسؤولين أرسل الوزير حملة عسكرية عليهم تقدر ما بين الأربعة والخمسة آلاف جندي بقيادة الكتخدا، وعند وصول هذه القوة إلى قرب الحويزة هجمت على العصاة وانتصر عليهم ثم عاد إلى بغداد))[3].

الصرر الممنوحة للقبائل الواقعة على طريق الحج الشامي

١٠٩٠هـ ذكر المؤرخ العثماني راشد: ((أن الدولة العثمانية كانت تقوم بتسليم أمراء الحج (٢٣٩٠٠غروش) من خزينة دمشق لأجل تسليمها إلى شيخ دمشق وقبائل آل معمور وقبيلة وحيدان وبني صخر وعنزة والقبائل الأخرى المتواجدة على طريق الحج الشريف وقد استمر هذا الأمر إلى سنة ١٠٩٠هـ ومن هذه السنة وحتى سنة ١١١٠هـ تم منح العشائر البدوية كبني صخر وعنزة (٢٠٧٣٤غروش) زيادة على الصرر الممنوحة لها ولكن قام فيما بعد بعض قطاع الطرق من البدو بالنزول في طريق الحج للإغارة على الحجاج. ولهذا قامت الدولة بزيادة الصرة[*] الممنوحة إلى بعض العشائر وإيصالها إلى (١١١٠٠٠) غروش وذلك من أجل كسبها والحيلولة دون قيامها بعرقلة سير الحجاج، غير أن أمراء

---

(١) تاريخ الفاخري مطبوع ص ٧٧، تذكر بعض المصادر أن اسمه هكذا ساقان بن خلف آل مانع من السحبان من بني خالد

(٢) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى.

(٣) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص٢٨٣.

(*) أول من أرسل الصرة إلى الحرمين الخليفة المقتدر العباسي (٢٩٥-٣٢٠هـ).

الحجاج قاموا بالامتناع عن منح هذا المبلغ إليهم وبدؤوا بالتصدي لهم في أماكن خاصة لمنعها من الإغارة على الحجاج، كما قام شريف مكة هو الآخر بقطع الصرر المخصصة من موارد جده لعشيرتي عنزة وبني صخر كما اعتقل ١٥٠ فرداً من أفرادهما، مات منهم ٥٠ فرداً، غير أن الشريف لم يأخذ بنظر الاعتبار أن ما قام به سيستفز العشيرتين ويولد عندهما روح الانتقام ولم يذهب إلى وضع عددٍ كافٍ من الحرس لمرافقة الحجاج. فأغار البدو سنة ١١١١هـ على الحجاج وكان أمير الحج محمد باشا... فنهب البدو أموال الحجاج وقتلوا عدداً منهم، وكانت ردة فعل الدولة قوية وحملت أمير الحج مسؤولية ما تعرض له الحجاج متهمة إياه بالإهمال والتقصير فقدمت بعزله واعتقاله))[1].

وقعة دقلة وهي سنة حجرة الدغيرات

١٠٩٢هـ قال الفاخري في تاريخه: وفيها وقعة دقلة، ومقتلة عنزة قتل منهم الظفير ناساً كثيراً، وقتل فيها لاحم بن خشرم البهالي، وحصن بن جمعان، وهي سنة حجرة الدغيرات في رغبة، وأخذ محمد الحارث الدواسر حول المردمة، وفيها مقتل عدوان بن تميم راعي الحصون، وبناء مرلته، وقتل محمد ابن بحر في المبيزلة الداخلة.

انتقال عشيرة آل حميدي من قطر إلى البر الإيراني

(١٠٩٢هـ تقريباً) ١٦٨١م ذكر الأستاذ يوسف جعفر أن في هذه السنة المذكورة كانت عشيرة آل حميدي من بني خالد قد انتقلت من قطر إلى البر الإيراني في الجنوب في مكان يدعى (كجوة) وتفرقوا في عدة قرى متحدين ألقاباً مختلفة منها الصايرية، الأحمدية، الملامرزية. واستمر حكمهم حتى ١٧١٩م (١١٣٢هـ تقريباً) بعد وفاة الشيخ ياسر بن منصور بن خالد بن مهنا الجبري في قرية البحيرية)).

ثم قال: ((وفي عام ١٧٢٤م (١١٣٦هـ تقريباً) احتل الشيخ جبارة بن ياسر جزيرة البحرين وسكن بها مع عائلته، إلا أن الحكومة المركزية احتلت الجزيرة في عام ١٧٣٧م، وقد أصبحوا عجماً تكلموا الفارسية وتشيّعوا))[2].

وفاة الشيخ براك بن غرير

قال ابن عيسى: في ١٠٩٣هـ مات براك بن غرير بن عثمان آل حميد الخالدي رئيس الحسا والقطيف وتولى بعده أخوه محمد وصال على أهل اليمامة[3] وكذلك قال الفاخري في تاريخه.

---

(١) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني لفاضل بيات ص١٥٥

(٢) القوى السياسية في كوت الإحساء - يوسف جعفر ص٧٦

(٣) بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى.

تدهور العلاقات الإيرانية الهولندية

في عام ١٠٩٤هـ- ١٦٨٣م بدأت علاقة شاه إيران بالهولنديين تتأزم بعدما انكشفت له أساليب ألاعيبهم، وتبيّن له إخلاص الإنجليزيين[١].

وفي الوقت الذي بدأت علاقات الشاه سليمان بالهولنديين تسوء يوماً بعد يوم قرر الهولنديون اللجوء إلى أسلوب التخويف والقهر مرة أخرى لا سيما وأنهم نجحوا في هذا النهج في عام ١٦٤٥م، وعندما لم يستجب الشاه لمطالبهم اندفعوا لاحتلال جزيرة قشم وهرمز وخرج وغاروا على بندر عباس عدة مرّات وأسروا ثلاث عشرة سفينة تجارية فارسية.

ولم يتأثر الشاه بذلك لأنه عرف أهداف الهولنديين، ولمّا وجد الأخيرون أن استخدام القوة لم يحقق لهم هدفهم طالبوا الشاه بالتفاوض، لكنه رفض أيَّ تفاوض معهم حتى يطلقوا سراح السفن الفارسية ويجلوا عن الجزر التي احتلوها، فاستجاب الهولنديون إلى طلب الشاه، وأطلقوا سراح السفن الفارسية في يونيو ١٦٨٤م وانسحبوا من الجزر التي احتلوها[٢].

وفاة الشريف بركات

وفي ١٠٩٤هـ توفي الشريف بركت بن محمد بن إبراهيم بن بركات بتاه على ما ذكره السيد دحلان.

حالة الفوضى في الحجاز

قال المستشرق جيرالد دخوري: ((في نهاية موسم حج ١٦٨٣م (ذي الحجة ١٠٩٤هـ تقريباً) سيطرت الفوضى وعمت ولم يستطع الشريف سعيد أن يعالجها فعين أحمد بن غالب مكانه بالإنابة وذهب يريد أن يلتحق بقافلة حجاج الشام.

جمع أحمد بن غالب رجاله واقترح أن يتولى مسعود بن سعد الحكم ولكن وبعد فترة قصيرة وصلت تقارير سعيد عن حالة الفوضى في مكة وعن سوء تصرف الزنوج في الحكم إلى السلطان العثماني والذي تضايق جدًّا من الحالة فأرسل في الحال إلى أحمد بن زيد والموجود في المنفى في كيرك ليسه في آسيا الصغرى مقترحاً عليه حكم الحجاز.

وافق أحمد وانحدر لمرافقة قافلة الحجاج عند العلا في شمال الحجاز ووضع عليه الخلعة في المدينة، ودخل مكة سنة ١٦٨٤م، وكان وزير سعد رحل يمني ومعروف لدى عامة الناس وقد نصّبه أحمد وزيراً له أيضاً.

---

(١) غزاة في الخليج لهيفاء الربيعي ص٨٧.

(٢) المصدر نفسه ص٨٨

أما العالم الكبير الشيخ سلامة بن مرشد بن سويط من قبيلة الظفير من العراق وكان قد استقيل سابقاً في مكة وتولى التحكيم بين أفراد أسرة الأشراف وكان داعية سلام.

وحالما أعيدت الأمور إلى نصابها في مكة تجهز الشريف أحمد لمعاقبة قبيلة عـنزة (عنزة) في نجد والذين انتهزوا الفرصة حيث حالة الفوضى كانت منتشرة في الحجاز فأصبحوا متمردين فهزموهم هزيمة نكراء))[1].

في ٢ ذي الحجة ١٠٩٥هـ وصل الشريف أحمد بن زيد إلى مكة ودخلها بموكب حافل ((ومدحه الشعراء الذين مدحوا من قبله وسيمدحون من بعده))[2]

دخول ابن سويط في طاعة الشريف

١٠٩٦هـ((في يوم الجمعة ١٧ شعبان دخل شيخ آل ظفير سلامة بن مرشد بن صويت مكة في أمان الله، وأمان مولانا الشريف أحمد بن زيد خاصة و لأشراف جميعهم عامة، وألقى السلم ودخل تحت الطاعة، فأمر له الشريف أحمد بمضارب نصبت بالمحصب، وأقام قريباً من شهرين، فذكر مولانا الشريف للأشراف أن ابن صويت جاءكم بأهله وحلته، وقد دخل علي، فإن عفوتم فأنتم محل العفو فها هو قد استسلم، فأجابوه بالسماح، وكتبوا خطوطهم بالسماح عن ابن صويت عن جنايته وذلك ببركة الجميع والشريف أحمد نظر الله إليه بعين عنايته))[3].

من الأخبار النجدية المتفرقة

١٠٩٦هـ أخذ الظفير جردة لشيوخ من براك بن غرير وفيها رخص الزاد وكثر الفقع وهي سنة ديدبا وقيل سبع[4].

اتفاق ابن معمر وابن سعود على مهاجمة حريملاء

وفيها (١٠٩٦هـ) ((اتفق عبدالله بن معمر، وسعود بن محمد بن مقرن رئيس الدرعية، على مهاجمة حريملاء، فهاجموها وقتلوا من أهلها عدداً كثيراً))

الغارة على حريملاء مرة أخرى

١٠٩٨هـ أعاد ابن معمر رئيس العيينة الكرة فأغار على حريملاء وقتل من أهلها عدة رجال[5]

---

(١) حكام مكة لجيرالد دوغوري ط١/ ص١٨٠

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣٨٩.

(٣) سمط النجوم للعاصمي ج٤ ص٥٦٧

(٤) تاريخ الفاخري، مطبوع.

(٥) تاريخ اليمامة لعبدالله بن خميس - ج٢ ص٢٨٢

مسير أهل حريملاء ومعهم محمد بن مقرن إلى سدوس

١٠٩٨هـ سار أهل بلدة حريملاء، ومعهم محمد بن مقرن رئيس الدرعية وزامل بن عثمان رئيس الحرج وتوجهوا إلى بلد سدوس[١] وهدموا قصرها، وحربوا مساكنها[٢].

الاقتتال بين آل مغيرة وآل عساف

١٠٩٨هـ ((وفيها الوقعة المشهورة بين آل مغيرة وآل عساف من آل كثير في الحاير، وقتل من الفريقين عدة رجال منهم: محمد الحياري رئيس عربان آل مغيرة))[٣]

وقعة بين آل مغيرة وبني عامر بن صعصعة

(بدون تاريخ). تذكر بعض المصادر التاريخية وقوع معركة ضارية بين آل مغيرة وبين بني عامر بن صعصعة على الوفراء، وخلدت هذه المعركة في أشعارهم حيث يقول شاعر بني لام:

صبحنا على الوفرا دواوير عامر وعدا مالهم للطامعين أقسام

قال المغيري: وقد ذكر في زمن سعود بن عبدالعزيز رحمه الله سنة ١٢٠٠هـ أن رجلاً من أهل سميرا، لمّا مرّ بها غازياً الإمام سعود رحمه الله، قال للرجل: ما عمرك؟ وكان كبير السن، قال (١٢٤سنة)، قال له: من أشد القبائل أدركتها بنجد؟ فقال له: آل مغيرة، وكبيرهم عجل نزل بنا غازياً وكانت عداد خيله (١٥ ألفا)[٤].

وللوصول إلى تاريخ محدد لوقوع هذه المعركة التي ذكرناها بين آل مغيرة وبين بني عامر بن صعصعة نقول: بما أن المسن الذي أدرك عجل بن حثيتم كان عمره عندما مر به الإمام سعود (١٢٤سنة) فهذا يعني أنه ولد في سنة ١٠٧٦هـ.

وبما أن مقبل الذكير يقول في تأريخه لأحداث سنة ١١١١هـ إنه بعدما قدم عثمان بن نحيط من الإحساء واستولى على بلد الحصون ((حصل بينه وبين أخيه فايز سوء تفاهم فخرج هذا مغاضباً لأخيه فأراد عثمان استرضاء أخيه فأرسل له قصيدة)). مما قال عثمان بن نحيط:

٤٢- وين آل عجل ووين غدت مسالكهم من عقب الإقبال وجموع وارايات

---

(١) قال الهمداني عن قرية سدوس: من وراء الابكين وهما قريتان جيلان، وهي قرية بني سدوس بن ذهل بن ثعلبة، وهي قرية جيدة وفيها قصر سليمان بن داود ﷺ، مبني بصخر منحوت عجيب خراب، وبقيت القصبة. راجع: صفة جزيرة العرب للهمداني تحقيق الأكوع ص٢٦٧

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص٨٨

(٣) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ت١٣٤٣هـ ص٧١.

(٤) مبالغة واضحة في عدد الخيل.

إذاً الحادثة التي نتكلم عنها هي ما بين سنة ولادة ذلك المسن ١٠٧٦هـ وبين سنة ١١١١هـ وهي السنة التي قيلت فيها القصيدة السابقة وذكر فيها زوال دولة آل عجل.

فهذا يضعنا أمام ٣٥عاماً لا بد أن يكون عجل بن حنيتم موجود خلالها وبالأخص في منتصفها أي فيما بين ١٠٨٥هـ وبين ١١٠٠هـ وعلى وجه التقريب نقول ربما تكون السنة المقصودة هي ١٠٩٣هـ والله أعلم.

يقول المعيري: ومما يؤثر أن بني عامر بن صعصعة حبسوا أخا عجل، وكانوا بالوفراء، فغزاهم وقتلهم قتلاً ذريعاً، وأطلق أخاه، وقال قصيدته التي أولها:

حلرت من حليت بليا ضعاين	وعطى القوم من كثر الغبار عسام

إلى قوله:

وصبحت بالوفرا دواوير عامر	وغدا مالهم للطامعين أقسام

ويقال إن المبيحيص، سمي بعد هذه الغزوة لكثرة الجيش والخيل التي بحصته بحوافرها ومناسمها[1].

وكانت للأمير عجل بن حنيتم وقعة شديدة مع الشريف بركات وذكر أن الشريف غنم من جيش عجل عشرين ألف رأس من الإبل وثلاثمائة فرس والسمن لو أهرق لسال الشعر، والمعروف أن الشريف بركات حكم مكة المكرمة من سنة ١٠٨٣هـ إلى سنة ١٠٩٣هـ.

نبذة عن الأمير عجل بن حنيتم

كان عجل بن حنيتم لا يدع أحداً يمر ببلدة الشعراء ويشرب من مياهها حتى يدفع له بكرة من إبله. وقد جاء في معجم جغرافية الأدب العامي أن (ماسل - أمقرا) موارد قديمة حددها الشاعر قرب الشعراء.

قالت شما بنت عجل بن حنيتم من آل مغيرة:

كم وسمنا على الشعرا من زين بكره	جابتهـا الأنضـا والوجيـه السمايح
مواريدها بالقيظ قلبان ماسل	ومداهيلها الشعرا سقتها الروايح
وأجبار عليهم يا (أمقيرا) مايجرونها	لي العد مطوي الجبا بالصفايح

ويعلق الأستاذ سعد بن جنيدل على هذه الأبيات بعدما أوردها في بحث خاص له في جريدة الرياض السعودية:

الشعراء: بلد قديم معروف يقع في عالية نجد غرباً من مدينة الدوادمي، كان آل مغيرة يسكنون فيه. الأنضاء: نجائب الإبل، والوجيه السمايح: وجوه أهل السماحة من الرجال.

---

(١) المنتخب في ذكر أسباب قبائل العرب لعبدالرحمن المعيري تحقيق د إبراهيم الزيد ط٢ ١٩٨٥م ص٢٦٢-٢٦٤

ماسل: ماء قديم في جبل، يسمى حجم ماسل يبعد عن الشعراء جنوباً شرقيًا حوالي ثمانين كيلاً.
أجار عليهم: منعهم ويلغهم منه لهم، أجار: حلف وآلى.

أفقرا: ماء مشهور قديم يقع شمالاً عن الشعراء حوالي ثمانين كيلاً، وقد قامت فيه هجرة.

العد مطوي الجباه: يقصد به حلبان، وهو ماء قديم من مياه البادية يقع عن الشعراء جنوباً حوالي ستين كيلاً، وقد قامت فيه هجرة عامرة، وهي بهذا تبين حدود الحمى من ناحية الجنوب ومن ناحية الشمال ومن ناحية الشرق فهذه البلاد التي بين هذه المياه وبين مقره في الشعرا.

قال المغيري: ((عجل بن حيثم واحد من رؤسائهم - يقصد آل مغيرة - استقر في مدينة الشعراء...، وخلفه في الرياسة، أبهيد بن عروج من قبيلة آل كثير، أو من عمارة آل غزي من بني لام، الذي عاش في العمارية في نجد، فمعظم رجال قبائل آل مغيرة والفضول وآل كثير نزحوا إلى العراق))[1].

وقال المغيري: ((وقد تمكنت آل مغيرة في نجد بعد بني هلال، وكان آخر ملوك آل مغيرة، عجل ابن حثيم، ومسكنه بلد الشعراء من نجد وآثار قصر عجل باقية إلى الآن، ومن قوله في ذكر بلده الشعراء:

مدي بلادي جنب تيما مقيمة	ما دامت الشعراء هيام قليبها
مضى حقنا على الشريف ابن هاشم	على الحوض حقه من وردها يجيبها

وهي قصيدة طويلة))[2].

تيما: هضبة حمراء كبيرة جنوب بلدة الشعراء، والقليب الهيام. هي البئر التي لا تثبت جدرانها حتى ترص بالحجارة وآبار الشعراء كذلك.

مقتل وديد بن عروج على يد شمر

بدون تاريخ: قتل وديد بن عروج الذي خلف عجل بن حيثم في مشيخة بني لام الذين منازلهم بين العارض والإحساء، ذبحوه ساعيس حابل بدليل قصيدة روجته التي رثته فيها:

يلتاع قلبي كل ما أذكر سواياه	كما يلوع الطير شبك الحبايل
لا وا حبيبي أربع سنين فرقاه	عليه أنا قضيت كل الجدايل
لا وا حبيبي يتلف الهجن ممشاه	إلى بغاله نية ما يسايل
لا وا حبيبي يسقي الربع من ماه	دليلهن لا ضيعوه الدلايل
لا وا حبيبي كل يوم تنصاه	تلقى ربوعه طيبين القبايل

(١) المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب لعبدالرحمن المغيري تحقيق د.إبراهيم الريد ط٢؟ ١٩٨٥ ص٩.

(٢) المصدر السابق ص٢٦٢-٢٦٤.

لا وا حبيبي تذرف السمن بمساه | ب ما ذبح ما بين كبش وحايل
لا وا حبيبي والنيمات سجاياه | عليه عضات الصبايا غلايل
لا وا حبيبي طاح يوم الملاقاة | بحور علما فوق قب الاصايل
لا وا حبيبي طير شلوى تعشه | قطاعة المهجة سناعيس حايل
عندي مثيله واحد كنه إياه | عليه من توصيف خلي مثايل
المزول زوله والحلايا حلاياه | و المعل ما هو فعل وافي الخصايل

ويتضح في القصيدة أنها مدحت زوجها المتوفى وديد بن عروج على حساب ذم أخيه لرّام الزوج الحالي، وكأنها كانت تتمنى أن لا يكون أقل شأناً من أخيه من حيث الكرم والشجاعة، ولأنها لم ترَ منه ما تتمنى جاءت القصيدة التي كانت نتيجتها الطبيعية نقمة لرّام عليها وغضبه.

فأمرها ذات مرة أن تجهز له مطيته، ثم أعلن الغزو واستمر في غزاته ثلاثة أشهر ثم عاد سالماً غانماً ومعه الكثير من الأموال والحلال، فنظرت زوجته إلى حالة مطيته التي أصابها طول السفر وأصيبت بالهزل والضعف، فتبيّنت لها حقيقة معدن زوجها ذي القوة والصبر والجلادة، فندمت وشعرت بالأسف على قصيدتها السابقة، وخافت من أن يكون لرام قد بيت النية على أمر ما، فأنقذت موقفها بهذه القصيدة التي تمدحه فيها:

يا بكرتي علام حالك ضعيفي | أشوف حيلك وأنتي عقب الأردام
عقب الفسق ومهادرك بالمصيفي | و معاول القعدان مرباعك العام
عقب الأباهر والسنام المنيفي | صورتي كما المعرود من فعل لزام
حر شهر من ساكره له رفيفي | مطلعه بعيد من ورى نقرة الشام
قطع عليك ديار قوم تحيفي | تسعين ليلة راكب الهجن ما نام
أقفا عليك من الحسا للقطيفي | و حوران والحسرة إلى نقرة الشام
وتدمر وصلها وحمها مستحيفي | و سبيع والضاحك واكديم الاكدام
والخذ عليك أدواد جو مريفي | وضح كما برق الحباري بالأكوام
وعادوا على العارض ركيب يهيمي | يتلون ابن عروج مقدم بمي لام
رهابهم حب القرايا النظيفي | وسلاحهم صنع الافرنجي والاروام
توي هنيت وطاب بالي وكيفي | من عقب ضيمي صرت في خير وأنعام

وعندما سمع بالقصيدة لرام بن عروج قال سلمت وكأنه كان يضمر لها شراً، وارتد عنه في اللحظة الأخيرة ثم قال القصيدة التالية.

أنا ابن عروج وهذي سواتي | موصل سمان الهجن شي ما يجنه
خمسين يوم والنصا مقفياتي | مع أربعين وهن على وجههنه

تمشي النهار وليلنا ما تباتي	كم ذود مصلاح مميس خذنه
من ظن فينا الطيب شافه ثباتي	واللّي هفا فينا الردى صاع ظنه

والعروج هم شيوخ الفضول من بني لام من بني طيّئ وتوجد عوائل كثيرة متحصرة من الفضول ومنهم المغايرة مع عتية ويقولون منهم كرهان الدين مع الزبيل من شمر ومنهم الغزي بالعراق.

لمن كانت القوة في عالية نجد

قال المغيري: ((ومن بني هلال بن عامر بنو هلال، الذين شاع ذكرهم في نجد، جماعة أبي زيد الهلالي، وقد انتقل هذا الجيل إلى المغرب وقد قيل فيهم من يقول.

رابعت أنا نجد البيوق وبافني	أول باقة باقة (بني هلال)
وثاني باقة باقة (آل مغيرة)	اللّي دروعهم حمول جمال
وثالث ساقة باقة (بني لام)	أهل الصمرت عقال الرجال
وعد (جديع) وتوعظ (للدويش)	والهرومة ما تجني الرجال

وجديع هو ابن هذال كبير عنزة، قد استحاب في نجد بعد بني لام، ثم بعده الدويش، ثم بعد الدويش ابن هادي قحطان، ثم بعدهم عتية))[1].

وقعة مرازم بين الشريف وبني خالد غربي نجد

قال الوهبي: ((ورد في سنة ١٠٩٨هـ- ١٦٨٧م إشارة إلى موقعة تدعى مرازم بين الشريف وبني خالد برئاسة محمد بن غرير بالقرب من الدفاين في غربي نجد وبالرغم من عدم ذكر نتيجة المعركة إلا أنها أول مواجهة بينهما منذ تولي بني خالد السلطة وقد جاءت بعد اعتداء الشريف أحمد بن زيد بن محسن على أهالي عنيزة في السنة التي قبلها وارتكابه أعمالاً وحشية فيها والمعروف أن آل جناح من بني خالد كانوا في تلك الفترة من أبرز عشائر عنيزة))[2].

وفاة الشريف احمد بن زيد وولاية الشريف أحمد بن غالب

١٠٩٩هـ ((في أواخر ربيع الثاني مرض الشريف أحمد بن زيد وفي ١٢ جمادى الأولى توفي إلى رحمة الله عن عمر يناهز ٧٤سنة وكانت ولايته هذه أربع سنوات إلا ثلاثة أيام. ولما توفي العم اجتمع كبار العسكر وبعض الأشراف والأعيان لدى قاضي الشرع واتفقوا على تنصيب سعيد بن سعد بن زيد

---

(١) المصدر السابق ص٣٩٣.

(٢) بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص ٢٠٤

وكان الشريف أحمد بن غالب من ذوي بركات يقيم في هذه الأثناء في ينبع فكتب إلى صاحب مصر وهو من الأتراك يبذل مالاً يقدره الدحلان بمائة كيس ويطلب إليه العمل على توليته مكة ووهبه غير ذلك مالاً كان مجتمعاً في مصر لفقراء مكة يبلغ نحو ٧٥ ألف قرش!! فكتب صاحب مصر إلى والي جدة بموافقته على تنصيب الشريف أحمد فامتثل والي جدة ونادى بذلك في جدة. ودخل الشريف أحمد بن غالب مكة في ثاني شوال ١٠٩٩هـ))[1].

هجوم محمد بن غرير على آل عثمان العائذيين في الخرج

وفيها (١٠٩٩هـ): ((ظهر محمد بن غرير آل حميد الخالدي رئيس الحسا والقطيف ونزل الخرج وحصل بينه وبين آل عثمان رؤساء الخرج من عائذ قتال شديد، ثم إنهم صالحوا ورجع عنهم))[2].

وفاة الشيخ محمد بن بدران بن زايد الدوسري

وفيها (١٠٩٩هـ): ((كثر العشب والفقع والجراد، ورخص الزاد حتى بلغ التمر عشرين وزنة بمحمدية، والحب خمسة أصواع هذا في سدير وبيع في الدرعية ألف وزنة بأحمر......

وفيها مات الشيخ محمد بن عبدالله بن سلطان بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان بن جمعان بن سلطان بن صبيح بن جبر بن راجح بن حترش بن بدران[*] بن زايد الدوسري قاضي بلد المجمعة))[3].

نسخ الموطأ في فيلكا بيد علي بن مسيعيد

وفي هذه السنة (١٠٩٩هـ- ١٦٨٢م) تم نسخ مخطوطة كتاب الموطأ للإمام مالك في جزيرة فيلكا بيد مسيعيد بن أحمد بن مساعد بن سالم[4] وقال الأستاذ خالد سالم محمد[5] جاء في نهاية نسخة الموطأ ما يلي: ((وقع الفراغ من كتابة الموطأ ضحى يوم الاثنين من شهر عاشوراء للسنة الرابعة والتسعين والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام بقلم أفقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته علي بن مسيعيد بن أحمد بن مساعد بن عبدالله بن سالم ربيل فيلكا غفر الله له ولوالديه ولمشايخه)).

وفيها. قتل جساس رئيس بوادي آل كثير[6].

---

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣٩١

(٢) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ت ١٣٤٣هـ ص٧٣

(*) إذا كان الاسم صحيحاً فهذا يعطي نتيجة تفيد بأن وقت ولادة بدران بن زايد كان قبل خمسة قرون من هذه السنة التي توفي فيها هذا الشيخ والله أعلم.

(٣) تاريخ الفاخري، من تسلسل الاسم - إذا تأكدت صحته - يكون زمن بدران بن زايد المذكور هو في حدود منتصف القرن السادس للهجرة أو نهاية القرن الخامس.

(٤) جريدة الوطن بقلم دميمونة الصباح العدد١٠٧٠٣ - ٢٠٠٥/١١/١٧م.

(٥) الكويت في القرنين ١٨ و١٩ حوادث وأخبار ط١/١٩٩٥م ص٢٦.

(٦) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ص٧٣.

أحداث
القرن الثاني عشر الهجري



مقتل مرخان بن وطبان وولاية أخيه إبراهيم

١١٠٠هـ وفيها: ((قتل مرخان بن وطبان أمير الدرعية على يد شقيقه إبراهيم غدراً، واستولى على الدرعية وفيها ولد محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان في الدرعية الذي تولى حكمها ١١٣٨هـ أي كان عمره. (٢٨سنة هجرية) وقد ذكر هذا الخبر ابن منقور في أحداث هذه السنة فقال: وفيها قتل مرخان بن وطبان))[١].

ذكر عدة حوادث

وفيها (١١٠٠هـ): ((جاء مطر دقيق وبرد شديد وجمد المطر على جريد النخل وغيرها حتى أهداب عيون الإبل فسميت سليسل، وهي سنة الخليل بن وعب / عَدْوان وبني حسن والساقة على عنزة، وقتلة الموح وعمار الجرباء. وفيها أحدروا الظفير والفضول المانع العراقي عند التومة.. وفيها أخذ محمد آل غرير جردة مقحم))[٢].

وفيها (١١٠٠هـ): مات عبدالله راعي ثرمداء، وشايع ريمان[٣]

وقوع الطاعون بالبصرة ونواحيها وحكم بني كعب للقبان

١١٠٢هـ في هذه السنة ((وقع الطاعون في البصرة ونواحيها وبالقبان وأفنى منها خلقاً كثيراً، ومن بعد ذلك حكم بالقبان علي بن ناصر بن محمد، وقتل من يد كعب[٤] وحكم من بعده عبدالله بن ناصر

---

(١) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٣ تاريخ ابن منقور ت١١٢٥هـ ص١٩

(٢) تاريخ الفاخري.

(٣) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٣ تاريخ ابن منقور ت١١٢٥هـ ص١٩.

(٤) قال يوسف بن عيسى القناعي في كتابه: صفحات من تاريخ الكويت ط٤ س١٩٦٨م م-حكومة الكويت: بنو كعب من سبيع تحولوا من العراق إلى الدورق سنة ١١٧٨هـ؟. وقد نوهت فيما سبق عن خطأ التاريخ الذي وضعه الشيخ القناعي، لأن انتقالهم كان قبل ذلك بسنوات كثيرة، إلا إذا كان يقصد هجرة جزء متأخر منهم. وقد قال لوريمر: =

وقتل، وحكم رحمة وقتل، وكان منتهى الأربعة إلى سنة ١١٣٥هـ مدة ملكهم ثلاثة وثلاثين سنة))[١].

قال لوريمر: ((النصار والدريس الأسلاف الأسطوريين لبني كعب في جنوب عربستان قد مضوا في طريقهم من نجد إلى الدورق واحتلوها بعد أن طردوا منها بعض القبائل العربية وبعض الأتراك الأفشار أو العوشار الذين كانوا يمتلكونها.

لكن ليس هناك ما يؤكد تاريخ هذه الأحداث بمجملها، كما أن قبّان كانت على ما يبدو عاصمة لبني كعب في أوائل القرن السابع عشر، وبقيت كذلك حتى عام ١٧٤٧م عندما جرى الانتقال إلى مدينة الفلاحية أو دورق الفلاحية))[٢].

بداية مشيخة آل شبيب الأشراف في قبائل المنتفق

في حوالي هذه السنوات بدأت مشيخة آل شبيب في المنتفق وبالتحديد فيما بين (١٦٥٠- ١٧٠٠م تقريبا)، وذلك استناداً إلى قول خورشيد أفندي في تقرير عريق (لجنة تقصي الحقائق) الذي استمر عملها مدة أربع سنوات بدءاً من سنة ١٨٤٨م حيث قال: ((تنحصر زعامة المنتفق في حمولة عائلة آل شبيب، جاءت هذه العائلة من الحجاز قبل ١٥٠ أو ٢٠٠ سنة، وسكنت وسط هذه القبائل من بني مالك والأجود وبني سعيد)).

وتقسم حمولة آل شبيب إلى ثمان عوائل وسميت كل عائلة باسم أبرز رجل فيها وهم: السعدون، الراشد، الصقر، العزيز، الصالح، العيسى، العلي، العثمان[٣].

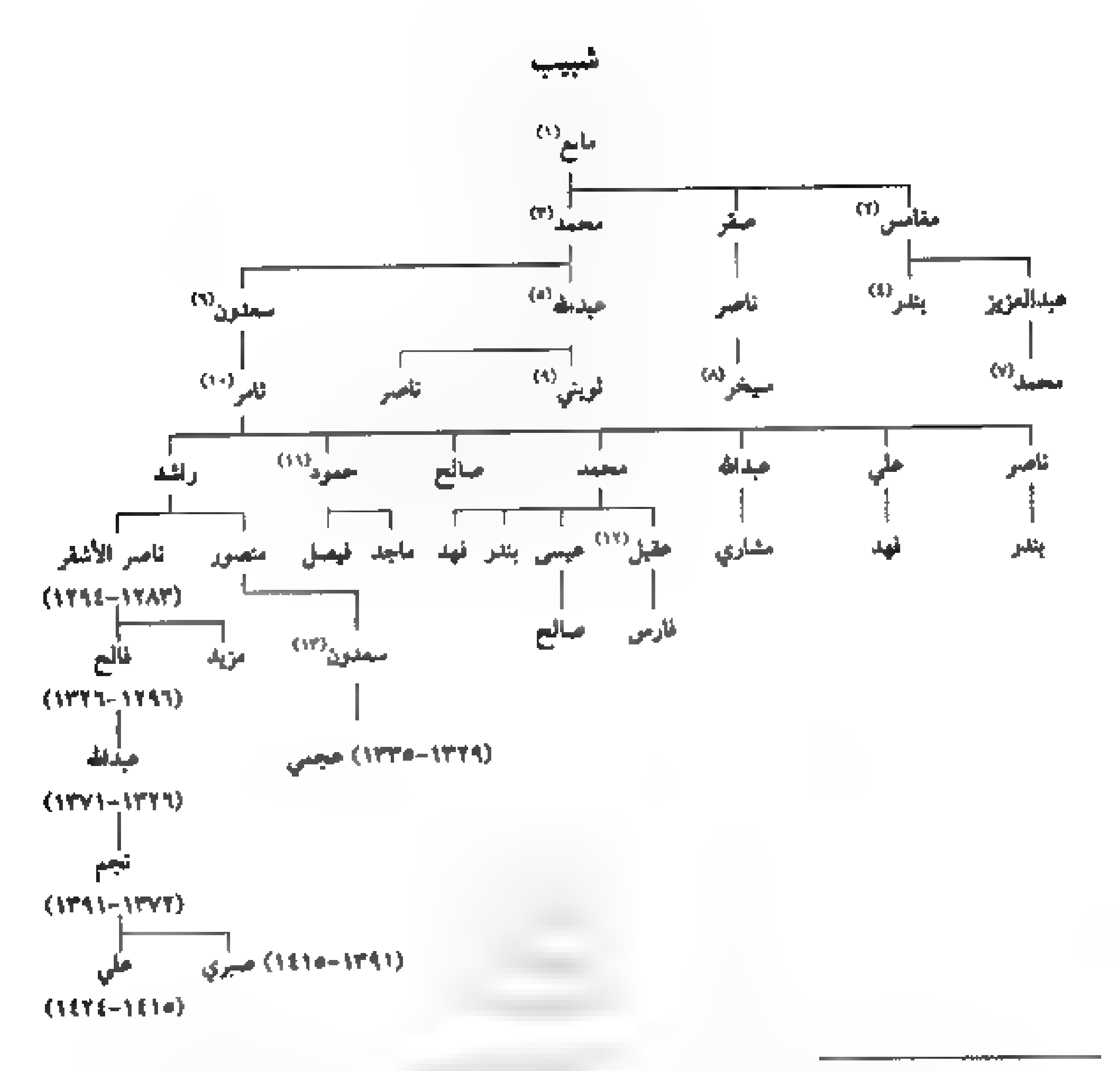


= ((يدعي بنو كعب أنهم عوامر أو أنهم من بني عامر، وهم ينحدرون من بني كعب بن ربيع بن عامر الذي يقال إنه هو نفسه المنحدر الرابع والعشرون من نسل إسماعيل. ويقال إن وطن المنشأ للكعبيين كان في نجد، وإن بعض أفراد القبيلة ما يزالون هناك في مكان يدعى البيشورانية (Bishauraniyah)، ومهما يكن من أمر فإن الجهود المبذولة إلى الآن للتعرف إلى هذا الموقع قد باءت بالفشل)). والظاهر أن لوريمر لم يهيّئ له الله من يحول كلمة (Bishauraniyah) إلى العربية التي هي اسم واضح لبيشة ورنية.

(١) تاريخ إمارة كعب، كتاب يعود تاريخه إلى سنة ١٢٧٠هـ حققه علي نعمة الحلو ١٩٦٨م النجف الأشرف ص١٣.

(٢) السجل التاريخي للخليج ق.الجغرافي المجلد الرابع - لوريمر ص١٢٨.

(٣) ولاية البصرة من كتاب سياحة نامه حدود تأليف خورشيد أفندي ترجمة موري السامرائي جامعة البصرة ص٥١



(١) ١٠٨٠-١١١٥هـ // ١٦٨٢-١٧٠٥م، وفي عام ١١٠٢هـ احتل البصرة. (كلشن خلفا) وفي عام: ١١٠٦هـ أعلن نفسه خليفة عن راشد بن مغامس آل شبيب(تاريخ نجد لفلبي) وفي عام. ١١٠٦هـ سقط المبلة بيد مانع بن مغامس(أربعة قرون -لونكريك)

(٢) ١١١٥-١١٣٠هـ // ١٧٠٥-١٧١٨هـ، ١١١٧ استولى على البصرة وفي عام ١١١٩ تمرد ضد باشا البصرة(كلشن خلفا) وفي عام ١١٢٠ مغامس بن مانع بن راشد جرت له حروب(السامرائي) وفي عام ١١٢١ ناصر شيخ المنتفق يحارب مغامس شيخ المنتفق(كلشن خلفا)

(٣) ١١٣٠- قتل ١١٤٧هـ.

(٤) ١١٣٠هـ -......

(٥) ذكر ١٧٦٨-١١٨١هـ تقريباً

(٦) ترأس ١٧٣٧ -قتل ١١٥٤هـ

(٧) ١٢٤١هـ طلب المشيخة ولكن أعطيت لبراك بن ثويني

(٨) بعد ١١٥٤هـ.

(٩) عين وقتل ١٢١٢هـ.

تعيين أحمد بن عثمان باشا على البصرة وذكر الطاعون

١١٠٢هـ ((في أوائل هذه السنة (أكتوبر ١٦٩٠م تقريباً) عين الوزير أحمد باشا نجل عثمان باشا حاكماً على البصرة.

وفي أواسط هذه السنة (مارس ١٦٩١م تقريباً) ظهر الطاعون في بغداد وانتشر داخلها وحواليها وأخذ يزداد رويداً رويداً... وقد تجاوزت الوفيات لآلاف و ستمرت هذه الأحوال إلى منتصف شهر شعبان (منتصف مايو ١٦٩١م تقريباً) حيث خف لهيب الطاعون.... وبسبب هذا الوباء اضطرب النظام لهجرة الكثير من الموظفين وغيرهم إلى أطراف بغداد مما حمل بعض أعراب البادية إلى انتهاز هذه الفرصة وقاموا بأعمال النهب والسلب والغارات هنا وهناك. وسرى الطاعون إلى البصرة أيضاً حيث فتك بالألوف إلى درجة أن الذي يموت يدفن في مكانه لعدم وجود من ينقله))[1].

احتلال الشيخ مانع زعيم المنتفق للبصرة

((حدث نزاع بين الحكومة والأهلين حول الرسوم والضرائب وتمردوا، ثم احتل البصرة الشيخ مانع شيخ المنتفق وعشيرته، ولكنه أخلاها بعدئذ خوفاً من عقاب الدولة ونزولاً عند نصيحة أهل الحل والعقد من سكان البلدة وعاد مسلمها إلى مقر حكمه))[2]

إصدار الأوامر لوالي بغداد للقضاء على حركة شيخ المنتفق

١١٠٣هـ ((بعد حروب مع شيخ المنتفق صدرت الأوامر بتعيين الوزير خليل باشا وهو أخو البرزكان أحمد باشا حاكماً على البصرة، ولأجل القضاء على حركة شيخ المنتفق وتأمين تسليم البصرة إلى المشار إليه فقد صدرت الأوامر بتعيين أحمد باشا والي بغداد قائداً عامًا للقوات التي جمعت من كركوك والموصل وديار بكر وقد تقدمت على رأسها حتى بلغ جزائر البصرة

وبعد اصطدام دام بضعة أيام انهزم الباشا أيضاً في سلخ رمضان سنة ١١٠٤هـ وكانت هزيمة منكرة، إذ استولى العرب على كل الذخائر والأموال التي معه وغرقوا حمله وقتلوا البعض وأسروا البعض الآخر وفر الباقون نحو البصرة وبغداد ومعظمهم ما بين جريح ومريض، وعاد أيضاً كل من الباشا المشار إليه ووالي البصرة خليل باشا إلى بغداد مخذولين.

---

(١٠) ١١٨٩- ١١٩٣هـ.

(١١) تولى أول مرة ١٢٠٢هـ.

(١٢) ذكر١٢٤٢هـ

(١٣) ١٣٠١-١٣٢٩هـ يتداخل مع فالح.

(١) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، ت. موسى كاظم نورس ص٢٩٨.

(٢) المصدر السابق ص٢٩٨

وعرضت تفاصيل هذه الموقعة على الدولة العلية التي أوفدت إلى الشيخ مانع رئيس المابين السلطاني للتحقيق، حيث تبين له أن سبب ثورة المومأ إليه إنما كانت من جراء تعدي الولاة حدود واجباتهم وقسوتهم على أفراد الأمة، وإنه ما يزال تحت طاعة الدولة العلية وأوامرها، وعليه فقد صفحت عنه، وهدأت الأمور وعاد خليل باشا إلى البصرة وتولى الحكم فيها بغير منازع ولا ممانع))[1].

مشاركة بني خالد للعثمانيين ضد المنتفق بقيادة ثنيان

١١٠٣هـ- ١٦٩٢م شارك بنو خالد في عملية التصدي لحركة التمرد التي قادها الشيخ مانع بن شبيب زعيم قبائل المنتفق ضد السلطة العثمانية في إيالة البصرة[2]، وقتل فيها ثنيان بن براك أحد المرشحين الأقوياء لتولي الزعامة الخالدية بقرب البصرة أثناء قيادته لقوات بني خالد في صراعها مع المنتفق سنة ١١٠٣هـ[3].

وفاة الشيخ محمد آل غرير وشيخة سعدون بن محمد

وفيها (١١٠٣هـ): مات محمد بن عثمان آل غرير رئيس بني خالد، وقتل ابن أخيه ثنيان بن براك وقتل في مسيره الأول حسن جمال وابن عبدان ثم قتل سرحان، وفيها تولى سعدون بن محمد آل غرير الرياسة على بني خالد وأخذ زعب[4].

١١٠٤هـ وجهت ولاية البصرة إلى خليل باشا أخي أحمد باشا والي بغداد[5].

عودة البصرة إلى حكم الشيخ مانع وطرد خليل باشا منها

١١٠٥هـ وفي هذه السنة عادت البصرة إلى حكم شيخ المنتفق مانع بعد أن خرجت الولاية من يد واليها خليل باشا الذي تعرضت العلاقات بينه وبين شيخ المنتفق مانع إلى الفتور، مما أدى إلى التصادم وكانت النتيجة خروج الوالي من البصرة[6]، ويقول ابن العملاس أن الأهالي حنقوا على خليل باشا فطردوه من البلدة ودعوا شيخ المنتفق مانع فسلموا إليه إدارة الولاية في سنة ١١٠٦ إلى ١١٠٩هـ[7].

وبعد أن حاز مانع بن شبيب رئيس بوادي المنتفق لهذه المكانة المرموقة بتملكه للبصرة[8]، أعلن

---

(١) المصدر السابق ص٣٠٠

(٢) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٤٦٤

(٣) بنو خالد وعلاقتهم بنجد للوهبي ص ٣٥٦.

(٤) تاريخ الفاخري

(٥) ولاة البصرة ومتسلموها لابن العملاس ت١٣٣٣ دار منشورات البصرة٦٢.

(٦) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص٣٠١.

(٧) ولاة البصرة ومتسلموها لابن العملاس ت١٣٣٣ دار منشورات البصرة٦٢.

(٨) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ص٧٦.

في هذا العام نفسه حلفاً لراشد بن مغامس المقتول سنة ١٠٨٠هـ في حكم البصرة ونواحيها، ولا شك أن الأتراك لم يكونوا قد شددوا قبضتهم عليها بسبب سوء الحالة الصحية فيما بعد الدمار الذي لحقها من جراء الطاعون[1]، الذي أصابها عام ١١٠٢هـ[2]، وقد سقط المباه بيد مانع الذي يسميه لونكريك مابن مغامس وقال إنه لم يحصل في هذه المرة مصادقة ملكية على الاغتصاب[3] وأما الفاخري وابن عيسى فيدعوانه بمانع بن شبيب.

بداية حكم سلطان حسين الصفوي

في سنة ١١٠٥هـ- ١٦٩٤م جلس (سلطان حسين بن الشاه سليمان) على كرسي الحكم في إيران بعد وفاة الشاه سليمان، واستمر حتى سنة ١١٢٥هـ- ١٧١٢م.

وفاة محمد بن مقرن

وفيها (١١٠٦هـ): توفي محمد بن مقرن بن مرخان الذي ذكر ابن بشر أنه صاحب الدرعية، وذكر ابن منقور أنه شيخ غصيبة، وفيها أيضاً قتل إبراهيم بن وطبان قتله يحيى بن سلامة أبو زرعة[4]. وهي سنة عروى على السهول، وفيها توفي إبراهيم بن راشد بن مانع راعي القصب وتولى ابنه عثمان[5].

استيلاء سلطان بن حمد القيسي على الدرعية

١١٠٧هـ فيها قتل إدريس بن وطبان بن ربيعة بن مرخان رئيس الدرعية، واستولى عليها سلطان بن حمد القبس[6]، ولكن الأستاذ حسين خلف الشيخ خزعل في كتابه لا يسمي سلطان بن حمد بالقبس، بل ((القيسي من بني خالد رؤساء الإحساء))[7]

تأجيل حملة الولاة العثمانيين ومعهم شريف مكة لاستنقاذ البصرة

وفيها (١١٠٧هـ): صدرت الأوامر السلطانية إلى والي ديار بكر حسين باشا وولاة كركوك والموصل والرها بوجوب الحركة لإنقاذ البصرة، وأضيف إليهم شريف مكة المكرمة الشريف سعد، على أن يكونوا كلهم تحت قيادة والي بغداد، ولكن شاء الله أن يتأجل موعد سفر هذه الحملة ووفاة والي ديار

---

(١) تاريخ نجد لفيلبي.

(٢) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، ت. موسى كاظم نورس ص٢٩٨.

(٣) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لونكريك، للعربية جعفر خياط ط٣/ ١٩٦٢ ص١١٩.

(٤) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص١٦٧، وراجع خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٣ تاريخ ابن منقور ت١١٢٥هـ ص٢٠، وراجع: خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٣ تاريخ ابن ربيعة سنة ١١٥٨هـ ص٣٩

(٥) تاريخ الفاخري.

(٦) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى ص٧٧.

(٧) تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب لخزعل.

بكر المرحوم حسين باشا، وارتفاع الأسعار في بغداد وتبرم رجال الحملة بهذا السفر، وقلة رغبتهم فيه، كل هذه الأسباب أوجبت عودتهم من حيث أتوا[1].

مكافحة والي بغداد للقبائل المتمردة على السلطة

انشغل والي بغداد بمطاردة المتمردين من الأعراب، ((ثم إن جماعة من عشيرة شمر يبلغ عددهم الثلاثمائة رجل أخذوا يعيثون فساداً حوالي نهر عيسى وقطعوا الطرق على المارين، فانعطف نحوهم وقتل البعض وشرد الباقين.

وأما من جهة الشامية فقد تواردت الأخبار بتمرد الأعراب هناك واتفق في ذلك الوقت وجود أمير الموالي حسين عباس في بغداد فأرسله الوالي مع مقدار من العساكر إلى ضرب الثائرين فتغلب عليهم وشردوهم واستولى على حوالي الألفي بعير منهم.

وعلى طرف الدجيل جماعة من بني جميل ومهرود وقسم من عشيرة زبيد، وأخذوا يميرون هنا وهناك يقتلون وينهبون، فسار الوزير بنفسه نحوهم على رأس قوة عسكرية وتمكن من تشتيتهم، وما عدا هؤلاء وأولئك ثار أعراب بني لام بأطراف مندلي وقطعوا الطريق، فتحرك الوزير أيضاً لتأديبهم على رأس قوة جمعها من عساكره ومن عشيرتي البيات وباجيون وهجم على المتمردين وتغلب عليهم... وقد ظل مدة أربع سنوات في حرب مع العصاة، سواء في أطراف بغداد أم في أطراف البصرة، وكان في كل مرة يتغلب عليهم))[2]

بحث الهولنديين عن اللؤلؤ في البحرين

١١٠٧هـ / ١٦٩٦م بعث الهولنديون خبيراً إلى البحرين للبحث عن اللؤلؤ، غير أن الأوضاع المتوترة حول البصرة والصراع بين عرب عمان والصفويين أنهت المحاولة كما أنهت التجارة الهولندية هناك[3].

انتقاض الأشراف العبادلة على الشريف سعد بن زيد

١١٠٧هـ ((الأشراف ذوو عبدالله نقضوا الطاعة وتجمعوا في مكان يقال له الحمّام (بتشديد الميم) من وادي فاطمة واجتمع إليهم جماعة من قبائل الروقة ومطير فاستعان سعد بن زيد بأقربائه من ذوي زيد وأصدقائه من ذوي بركات وسار إليهم فعلم أنهم تركوا الحمّام في طريقهم إلى جدة فاتّبعهم حتى قضى على حركتهم فأطاعوه وأخلصوا له وبذلك عاد الاستقرار إلى ما كان))[4].

---

(١) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص٣٠٢.

(٢) المصدر السابق ص٣٠٢.

(٣) غزاة في الخليج لهيفاء الربيعي ص٩٧.

(٤) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣٩٩.

تعيين الشريف عبدالعزيز على ولاية نجد

١١٠٨هـ في هذه السنة تم تعيين الشريف عبد عزيز على ولاية نجد[١]. ثم في السنة التالية قام الشريف سعد بن زيد غزا نجداً وهاجم روضة سدير واعتدى على أهلها واعتقل زعيمها ماضي بن جاسر ثم توجه إلى الثويم (وجلاجل والعاط) ثم رجع إلى مكة المكرمة.

وقعة بين الظفير والفضول وإلقاء القبض على الشيخ سلامة بن سويط

وفيها (١١٠٨هـ): حصلت وقعة بين الظفير و الفضول في موضع يسمّى الأبرق فانهزم الفضول وقبض الشريف عبدالعزيز على سلامة بن مرشد بن صويط رئيس الظفير، ولعل لذلك علاقة بحدوثهم مع الفضول، وكان الأشراف يتدخلون في شؤون نجد وفي شؤون القبائل تدخلاً فعليًّا على أن الشريف عبدالعزيز ليس هو صاحب السلطة في الحجاز، ولا هو مندوب من قبله، وإنما كل شريف يعمل لحساب نفسه إذا ضاقت عليه المآكل في الحجاز جمع له من أوباش الناس من لا يعيش إلا بالسلب والنهب ثم يخرج لنجد كما كانت مفككة الأوصال لعدم الرابطة بينهم[٢]

إخراج حاكم الحويزة لشيخ المنتفق واستيلاؤه على البصرة

وفيها (١١٠٨هـ) في ذي القعدة (نهاية مايو ١٦٩٧م تقريباً) أخذ والي الحويزة فرج بن مطلب البصرة[٣] فقد حارب مانعاً بجيش جرار حتى تمكن منه واستولى عليها[٤] وأخرج مانعاً بالخدعة والدسائس والحيل[٥].

ولما بلغ خبر استيلاء فرج الله خان على البصرة إلى السلطان العثماني وجه ولاية البصرة إلى والي حلب علي باشا وأمره بجمع العساكر وقتاله وإخراجه من البصرة، فاجتمعت العساكر من حلب وديار بكر والموصل وبغداد حتى بلغ الجيش قرابة خمسين ألفاً، ووصل القرنة ١١١١هـ فدخلها علي باشا بدون قتال[٦].

العلاقات الإيرانية الهولندية العمانية الإنجليزية

١١٠٩هـ- ١٦٩٨م حاول الهولنديون التقرب من الشاه حسين الذي كان لا يطيقهم مقدمين استعدادهم للتعاون معه ضد عرب عمان الذين ظهروا في ذلك الوقت كأكبر قوة عربية بحرية في منطقة

---

(١) تاريخ ابن مقور.

(٢) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٦ ص٣٥

(٣) تاريخ ابن يوسف وتاريخ الفاخري.

(٤) تاريخ المشعشعيين وتراجم أعلامهم لجاسم حسن شبر م.الآداب النجف ص١٦٠.

(٥) ولاة البصرة ومتسلموها لابن الغلامي.

(٦) تاريخ المشعشعين لجاسم حسن شبر م.الآداب النجف ص١٦٠

الخليج العربي وكان الشاه حسين يخشى مواجهتهم بعد أن هدده إمام عمان بالإغارة على بندر عباس، وكان هذا العرض الهولندي مشروطاً بإزاحة الإنجليز! فرفض الشاه ذلك، رغم أنه لم يحصل من الإنجليز إلا على الوعود المراوغة[1].

وفي عام ١٦٩٩م قام الشاه حسين بزيارة الوكالة الإنجليزية ولم يزر الهولندية.

طاعون البصرة ونواحيها

١١١١هـ في هذه السنة وقع الطاعون العظيم والموت الذريع في البصرة ونواحيها. قال محمد بن حيدر: هذا الطاعون لم يعهد مثله لأنه أفنى البصرة وأخربها خراباً لم يعمر إلى زماننا هذا[2].

حدوث تبدلات كبرى في مسميات القبائل وديارها

قال لونكريك في كتابه أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث في الصفحة ٧٧. في الفترة الواقعة ما بين ذلك القرن ونهاية القرن السابع عشر حدث عدد عظيم من التبدلات في ديار القبائل وتجمعها أو تفرعها وفي تشتتها واندماجها مما أدى لتعديل الخارطة القبائلية

فكم من فقير أو محارف قد التفوا حول سيد أو حول صبي من أبناء الرؤساء فكوّنوا قبيلة تسمى باسمه، وربما زادت في عدد خيام هذه القبيلة الأحوال أو الحروب أو عقد الصلح أو قوة الشخصية أو كل هذه العوامل فأدت لتوسع القبيلة أو انقسامها ينتمي كل منها إلى ولد أو أخ من أبناء المؤسس الأول أو إخوته وقد تتدخل الاساطير لتؤكد الأصل......

جبر بن سيار ينتقد عصره ويذكر استغلال رجال الدين لمناصبهم

١١١٠هـ يذكر المؤرخ عبدالله الحاتم أن الأمير الشاعر جبر بن سيار أرسل في هذه السنة قصيدة لسعود بن مانع بن نحيط أمير حوطة سدير ويقول الصويان من المعروف ان آل نحيط أمراء صبحا والحصون قارة سدير لا الحوطة.

ويستنتج الصويان أن الشخص المرسلة إليه القصيدة هو أخو نحيط، سعود بن مانع بن عثمان بن عبدالرحمن آل حديثة الذي كان معاصراً لجبر، وهنا يرد جبر على سعود:

٢- كل على مادبر الله والفتى	يظام إلى قلت حمايا عشايره
٣- فقلت لمنتوب الجدود ابن مانع	رفيع الثنا وأزكى تميم سرايره
٤- إلى عدت أنساب العرب فأنت فخرهم	بتميم وبالجواد اطوال شبايره
٥- هم الرأس من جشمان عمرو وغيرهم	الى تنتبت الأصال فأنتم مفاخره

---

(١) غزاة في الخليج لبهاء الربيعي ص٩٥.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص١٠٢.

١٢- وكل كبير التاج فصل مطوع   خبيث إلى كشف الغطا عن سرايره
١٣- كما الديك براق الجناحين مكحل   يرى الطوع في شالٍ على الرأس كايره
١٤- يطالع في كتب التسانيد معرض   عن الفهم ما ياعص لنفسه نظايره
١٥- وشيخان إن فكرت فيها لكنها   ثعالب طرفا تفسد الملك جايره
١٦- إن جيت تبغي نفعها جاك ضرها   جهار وفيهم نية الخير بايره
١٧- مفاخيرهم فرش وغرس وملبس   ومساحر يا حازم الرأي ثايره
١٨- ترى كسبهم ظلم الرعايا وطبعهم   يدلك عليه إن مات تشبح بصايره
١٩- وبالناس جرثومٍ ترلعت مغضه   ملاحظه من شربة الكيف طايره
٢٠- كلوب شموخ أزهر العين وثبتة   ربيب المواقد محجر في حصايره
٢١- وكل أعرابيٍّ دنوع مكهكه   عباله تغاره والمسافيه بايره
٢٢- فلا وجعي من كل قطو مسلط   على الجار في أخذ القضا من خسايره
٢٤- تميت لي في وسط الأجداث مبرل   أو الصين مقلوع الثيا مي ودايره
٢٥- ولا عيشتي مع كل فدام قرية   أخا الجهل مسلوب الحيا عن مصايره
٢٧- وكل مشاد يرفص المش مصحه   من المش ممزوج خشاث سرايره
٢٨- مع كل قصاب سروق ممتق   على المكر حلاف عني في نحايره
٣٠- نظرت لدى الركن اليماني حريمة   مطالمة في ملرم الحجر كايره
٣١- تطوف وتستلم اليماني وكبرت   لها دمعةٍ خوف اللظى من سمايره
٣٢- لها عين أدمي شقي كل متيم   ليفتني على غير الملازيم دايره
٣٣- لمستها وقد أولجت كفي بكتفها   وفاح علي المسك من ما غدايره
٣٤- أسباب ذا صار العمى لي عقوبة   فكم نظرةٍ صار العمى في نظايره
٣٥- فأنا على ما بي ترى يابن مانع   وكل فتى يعطى الجزا من مسايره

عثمان بن نحيط يدعو أخاه إلى أخذ العبرة من مصير الملوك السابقين

١١١١هـ في هذه السنة عندما قدم عثمان بن نحيط من الإحساء واستولى على بلد الحصون حصل بينه وبين أخيه فايز سوء تفاهم فخرج هذا مغاضباً لأخيه ونزل قرية صبحا ولم يكن لذلك سبب وجيه إلا وشايات الأعداء وتدخلهم في أمورهم فأراد عثمان استرضاء أخيه فأرسل له قصيدة يعتذر فيها فأجابه أخوه بمثلها وصلحت الحال بينهما لما عرف كل منهما ما عند الآخر، ومما قال عثمان بن نحيط[١].

---

(١) الشعر النبطي للصويان عن مقبل الذكير ومخطوطة هوبير.

٣٧- شف الليالي لها أفلاك تدور ولا ... يحصل مع إقبالها منها مكافاة

٣٨- لعبت بأهلها ألين ادعت منازلهم ... خلي خلي سوى رسم الملامات

٣٩- وين السلاطين هل المنشأ الكرام على ... عسر الليالي وأهل بذل المروات

٤٠- وشيوخ الأجود وين هم بعد ما ملكوا ... هجر مع الحظ وبلاد بعيدات

٤١- ما كنهم خربوا بطن النعوذ ولا ... سبقت لهم من حمى نجد الهديات

٤٢- وين آل عجل ووين غدت ممالكهم ... من عقب الإقبال وجموع ورايات

٤٣- وابو علي شبيب وين دولته ... والزير بلو فتى الجودا وشيمات

٤٤- وين الضياغم أسألك وين وجهوا ... وأهل سعيدة ووين الناس هيهات

٤٥- دارت عليهم صروف النايبات وكم ... دارت على أمثالهم كل آفات

ويرد عاير على أخيه عثمان. وفي البيت (١٥) يشير فايز إلى حكاية تتعلق شخص اسمه منيع لها مغزى يتعلق بما حدث بين فايز وأخيه لكننا لا ندري من يكون منيعاً ولا نعرف قصته.

١٠- وكل أخا ثقة وإن شاح بوطنه ... يحفظ صديقه إلى ما داس زلات

١١- وإن بانت له زلة أخرى عمى عنها ... وإن بانت الثالثة عادمع معاناة

١٢- وإن بانت الرابعة خله وشم عنه ... قل ما خلق واشذعه زد له بمجفاة

١٣- صديقك إن ما ورد ما كنت وارد ... لو كان نار وله عقل وبه دات

١٤- تنعاف عشرة صديق ذي سجيته ... نواح العيا بالعيا جاره مقاضاة

١٥- يصير شروى منيع هو وصاحبه ... يصير في فرقى الممات على الجمالات

١٦- هذاك يثبت على خير وصاحبه ... يشرب بكأس الصفا عقب الكدارات

١٧- يصير درع منيع دون صاحبه ... ما راد قال المهدي في كل نيات

١٨- فإن كان دوم يرى رأي وصاحبه ... يرى وما قد يرى للكل شوفات

١٩- متفاخشين وكل ضارب نهج ... متفاحت جذبهم فيه الحماقات

٢٠- فغراقهم للذي ضده مقابله ... أخير من جمعهم خوف المفاتات

٢١- قد قال بيت جميش صادق المثل ... و شفنا بما قال شارات وعلامات

٢٢- كم من عدو تمنى غصص قامته ... يجيك بالنفع فاثبت له مصافاة

٢٣- وكم من صديق تظن أنه أخا ثقة ... وهو كما عزة بالنفع والآت

عدة أخبار نجدية متفرقة

وفيها (١١١١هـ) قتل محمد بن سحوب وابنه[1]، وفيها قتل زامل بن تركي رئيس الدلم من قبل ابن عبدالله[2]، وفيها أخذ القعاسا الحوطة، وملكوا المدلج الحصون وأظهروا آل تميم وولوا فيها ابن محيط، وملكوا آل أبي راجح ربع آل أبي هلال، وذلك أنه سافر فوزان بن زامل بآل مدلج وتوابعهم وقصد مدينة الداخلة واستخرجوا آل أبو هلال من منزلتهم وقتلوا من قتلوا منهم وماضي بن جاسر وركلوا له الولاية ودمروا منزلة آل أبو هلال، وهي (سنة وتر) على مظفير، وفيها ربط سعد بن زيد الشريف في مكة نحو مائة شيخ من عنزة، وفيها سطوة ابن عبدالله على الدلم، وسطوة دبوس في أشيقر وقتله، وفيها قتل عليان ابن حسن بن مغامس في قصر الحريق قتله آل راشد وآل محبوس، وجلال بن يوسف[3]. وفيها فتنة بني علي المشهورة في حرة قريظة[4].

ولادة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونسبه

وفي هذه السنة ١١١١هـ كانت ولادة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعمّر حتى سنة ١٢٠٧هـ فكان عمره عند وفاته ٩٢ سنة[5]، وقال ابن بشر في سابقة سنة ١١١٥هـ إنه وفيها ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان في بلد العيينة ونشأ قبل أن ينتقل أبوه عبدالوهاب إلى بلد حريملاء[6].

حدوث منافرة بين الأشراف ذوي عبدالله والشريف سعد بن زيد

١١١٢هـ في هذه السنة حصل بين الشريف سعد وبين الأشراف ذوي عبدالله ((منافرة لعدم الوفاء بمعاليمهم فثار عليه ذوو عبدالله عن آخرهم وكان من جملتهم السيد أحمد بن حازم بن عبدالله وعزموا على الخروج من مكة ثم خرجوا من مكة وهم نحو أربعين شريفاً فتلافى أمرهم ووعدهم))[7]

حصار ابن سويط لآل عزي على سدير

وفيها: كان حصار ابن صويط لآل عزي من مفصول على سدير ثالثة[8]

---

(١) تاريخ ابن ربيعة.

(٢) تاريخ اليمامة لعبدالله بن خميس.. ج٢ ص٢٦٦

(٣) تاريخ الفاخري.

(٤) تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب لعبدالرحمن الأنصاري تحقيق محمد العروسي المطوي١٩٧٠ المكتبة العتيقة ص١٠٤.

(٥) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص٢٢٩.

(٦) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص١٤٠.

(٧) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص١٢٦.

(٨) تاريخ الفاخري.

فشل التحالفات ضد الظفير

١١١٣هـ في هذه السنة حدثت وقعة السليع والنترا الموضع المعروف عند نفوذ السر غربي القصيم وذلك أن الشريف الحارث وأهل الحجاز وابن حميد سعدون بن محمد آل غرير ومعه تحالف قوي من قبائل بني خالد والفضول صبحوا الظفير فيها فأخذوا جردات تلك الغزوان[1].

انهزام ابن سويط إلى الغوطة غربي جبل أجا

وفي السنة نفسها (١١١٣هـ) ترد هزيمة ابن صويط زعيم الظفير على يد سعدون الذي طارد فلوله المهزومة حتى تعدت منطقة حايل.

ويقول الوهبي[2]: ذكر ابن ربيعة. ((عده الجبل))، بينما أورد ابن عباد عبارة: ((أدخله الغوطة)) ولعل المقصود بالغوطة التي تقع غربي جبل أجا في منطقة حائل. وذكر الفاخري أن في هذه السنة (١١١٣هـ) مات سلامة بن مرشد بن صويط ودفن بالجبيلة، ووقع بمكة غلاء عظيم. لكن ابن عباد يذكر مطاردة سعدون لابن سويط وإيصاله الغوطة في حوادث سنة ١١١٤هـ

عدة حوادث

وفيها سعدون أخذ زعباً وادى عليهم، ويذكر ابن عباد هذه الحادثة في سنة ١١١٤هـ، وكذلك الفاخري يقول كما قال ابن عباد.

وفيها لما نهب عرب عنزة جماعة دبيس الحاج الشامي، أتوا بالأموال المنهوبة إلى المدينة المنورة وباعوها بأبخس قيمة[3]، لأن القبائل كانت تقابل تخفيض أموال الصرة أو الامتناع عن دفعها بغارات تشنها على قوافل الحج العائدة، ((فقد نهبت عنزة عام ١١١٢هـ-١٧٠٠م الحجيج في منطقة الشريف الأكبر، لأنه رفض دفع الصرة لها، وألقى بعدد من أبنائها في السجن، حيث مات قسم منهم))[4].

عزل مهدي قلي خان عن البحرين وتنصيب قزاع سلطان

١١١٣هـ (١٧٠١م) عزل الأمير مهدي قلي خان عن البحرين لظلمه وجوره ونُصِبَ في محله قزاع سلطان. فقال أحد الشعراء موضحاً أحوال البلاد وسبب عزل الولاة وأرّخ صرف الوالي المعاصر لدخول العتوب بقوله:

---

(١) هامش كتاب: بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى، ورجع بنو خالد للوهبي

(٢) بنو خالد للوهبي هامش ص ٢١٢

(٣) تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب لعبدالرحمن الأنصاري فرغ منه ١١٩٧هـ تحقيق محمد العروسي المطوي،١٩٧٠ المكتبة العتيقة ص١٧٨

(٤) البدو ج١ ط٢/٢٠٠٧م تأليف أوبنهايم ومساعديه تحقيق ماجد شبر - الوراق لندن ص١٢٦.

مهدي قلي صرفوه عن بحريننا عام الدستور وحكموا قزاعا
ملا العجاج ببغيه وفجوره فلذا أتى تاريخه (قد زاغا)[1].

تجارة العتوب والخليفات والهولة في البحرين التابعة لفارس

١١١٢هـ قال الدكتور القاسمي[*]: في نهاية القرن السابع عشر كانت هناك ثلاث طوائف في منطقة الخليج وهي: العتوب والخليفات وتسكنان بالقرب من الديلم الواقعة في منتصف المسافة بين بوشهر ومدخل شط العرب.

وطائفة الهولة المكونة من سبع أو ثمان من القبائل وتسكن بندر كنج القريبة من مدخل الخليج، وكانت هذه القبائل جميعها تغوص في مغاصات اللؤلؤ القريبة من البحرين وتبيع ما تجمعه من لؤلؤ في سوق البحرين التابعة لفارس وبها حاكم من قبل السلطات الفارسية . وكان يجمع مبالغ طائلة من الرسوم التي بالغ في فرضها على سفن الغوص وتجار اللؤلؤ[2].

(١) م.الوثيقة ج١ ص٨٢: تاريخ العتوب، د/ علي أبا حسين ص٨١.

(*) الوثيقة العثمانية التي أوردها الدكتور القاسمي في كتابه بيان الكويت (ط٢٠٠٤م)، وأوردها أيضاً الدكتور علي أبا حسين في مقاله عن تاريخ العتوب في العدد الأول من مجلة الوثيقة البحرينية سنة ١٩٨٢م، وأوردها كذلك الأديب سعود الحمران في كتابه رحلة سادلير مترجمة من قبل الدكتور كورش، وقام بترجمتها أيضاً آخرون وتكلم عن أهميتها سلوت، هناك عدد قليل يطعن بها، ولا يأخذ بها، مع أن الأصل منها محفوظ في الأرشيف العثماني، ويتعاطى معها الكثير من أساتذة الجامعات والباحثين.

والحقيقة لم يرَ من قبل فريق الهجوم طعن مباشر في الوثيقة، ولكن الطعن موجّه نحو ما جاء فيها من اختلاف في الترجمات التي اطلعوا عليها، وذكروا أنها ثلاث ترجمات، والحقيقة أني اطلعت حتى الآن على أربع ترجمات وليست ثلاث، وكانت تختلف فيما بينها بفوارق خفيفة ولكنها بالإجمال تتفق في السياق العام مع بعضها من حيث المضمون، وبذلك نرى أنه إذا كان الخلل في الترجمة فلا يعني هذا أن الخلل في نص الوثيقة.

ومما يؤكد حقيقة الوثيقة ما ورد في مخطوطة (لؤلؤة البحرين) الذي ذكر القتال الذي دار بين العتوب والهولة سنة ١١١٢هـ قرب البحرين وهو ما أشارت إليه الوثيقة، وورد أيضاً ذكر قبيلة الخليفات في وثيقة هولندية سنة ١٧٥١م في بندر ديلم وهو بالضبط ما تشير إليه الوثيقة من أن بندر ديلم كان من مواطن الخليفات ووجودهم في هذه السنة المذكورة يأتي مصداقاً لما ورد في الوثيقة العثمانية.

وكذلك مما يدل على حقيقة الوثيقة أنها أشارت إلى التنافس والصراع الدائر بين الهولة والقبائل الأخرى على مغاصات اللؤلؤ، ولو عدنا إلى سنة ١٦٧٤م من هذا الكتاب لعلمنا بداية الصراع الذي توّج بحرب سنة ١٧٠١م والذي أقصيت خلالها العتوب والخليفات عن دائرة المنافسة وابتعدوا إلى الجهة الثانية من الخليج العربي.

وكذلك مما يدل على صحة الوثيقة ذكرها لعلي باشا الذي تذكر المصادر أنه تولى الحكم على البصرة من سنة ١٧٠١م إلى سنة ١٧٠٤ أو ١٧٠٥م.

(٢) بيان الكويت د.سلطان بن محمد القاسمي الشارقة ٢٠٠٤م ط١ ص١٢

إيقاع الفتنة بين العتوب والخليفات والهولة

وقال القاسمي: ولما كانت تلك القبائل تمثل قوة بحرية مزوّدة بالبنادق والمدافع فإن المسؤولين التابعين لفارس[*] في البحرين قاموا ببثّ بذور الفتنة بين تلك الطوائف حتى لا تتحد ضدهم. فعادى بعضهم بعضاً. ...

وفي إحدى المرات هاجمت طائفة الهولة قبيلة العتوب المتحالفة مع الخليفات في البحر إذ باغتوهم وقتلوا من العتوب أربعمائة من الرجال واستولوا على جميع أموالهم ففر من بقي من العتوب ولجؤوا إلى الخليفات بعد ذلك اكتشفت القبيلتان (العتوب والخليفات) أن مصدر هذه الفتنة هم المسؤولون التابعون لفارس في البحرين[1].

هجوم الخليفات والعتوب على البحرين في أول رجب

قال القاسمي: فاتفقتا - قبيلتا العتوب والخليفات - على أن تقوما بالهجوم عليهم وقتلهم وتخريب البحرين فقام رجالهما في بداية شهر رجب من سنة ١١١٣هـ (بداية شهر ديسمبر ١٧٠١م) بالهجوم وإحراق المنازل الكائنة خارج قلعة البحرين ونهبوا أموالهم وقتلوا رجالهم ثم عادوا من حيث أتوا أي من بندر الديلم القريبة من شيراز عاصمة فارس[2].

نزوح العتوب والخليفات إلى البصرة

وقال القاسمي: وبما أن تحريك جنود فارس على الديلم لا يستغرق إلا بضعة أيام فقد اتفق العتوب والخليفات على مغادرة الأراضي الفارسية والتوجه إلى البصرة التابعة للدولة العثمانية. فانتقلوا جميعاً ودخلوا أرض البصرة في يوم الأربعاء الموافق ٢٠ من رجب ١١١٣هـ الموافق ٢١/١٢/١٧٠١م وكان عددهم نحو ألفي بيت في مائة وخمسين من المراكب وكل مركب مزود بمدفعين أو ثلاثة بالإضافة إلى ثلاثين أو أربعين من المسلحين بالبنادق[**].

(*) كانت تلك الفتنة تحاك بتدبير من مهدي قلي خان الوالي الفارسي على إيران

(1) بيان الكويت ص١٢.

(2) المصدر نفسه ص١٢

(**) أتساءل: كيف تقول هذه الوثيقة إنهم كانوا ألفي بيت ثم تقسمهم على المراكب؟ فهل يعني ذلك أنه تم إحصاؤهم وهم في مراكبهم؟ أم أن هذا كان عددهم بعد نزولهم إلى «اليابسة؟»، وهل يعني بقوله ألفي بيت أنهم كانوا ألفي أسرة والتي في الغالب تتكون من أب وأم وأولاد وربما أحفاد؟ وإذا قلنا «الأسرة الواحدة تتكون من خمسة أفراد فهل يعني ذلك أنهم عشرة آلاف نسمة؟ وإذا كانوا عشرة آلاف نسمة، فأين ذهب هذا العدد الضخم عندما نزلوا الكويت؟ أرى أن هذا العدد كبير جداً ويصعب تحركه بشكل منظم حتى ولو كانوا على قلب رجل واحد، وإن كان العدد المذكور صحيحاً وكانت هذه الصورة حقيقية فيدل ذلك على أن الأمر الذي أصابهم جلل، وربما أنهم كانوا مهددين بالتصفية العرقية والحرب الإبادية. ولكن أتساءل مرة أخرى: بعد هذه الهجرة الكبيرة هل استطاع أحد من المهاجرين العودة إلى دياره مرة أخرى؟.

نزل رجالهم من المراكب وتوجهوا إلى مقرّ والي البصرة[*] قائلين له: إننا جميعاً من أهل الإسلام وقد تركنا ديار الروافض ونحن دخيلون عليكم وأنتم أعلم بحالنا. رحب الوالي بهم وسألهم عن عملهم الدائم فأجابوا: بأن عملهم هو نقل التجار والتجارة بين البصرة والموانئ الأخرى[1].

يقول ب.ج. سلوت: ومما يدخل الرضا على النفس حقًّا أن هذه الوثيقة الموجودة في المحفوظات العثمانية تؤكد روايات العتوب التي تقول إنهم جاؤوا عن طريق البصرة أو جنوب إيران فهاتان الروايتان صحيحتان[2].

ويقول سلوت: تبين الإشارات التي ترد في كتابات أوتر (القنصل الفرنسي في البصرة)، وكذلك ما تميل إليه الوثيقة العثمانية أن العتوب لم ينتموا إلى مجموعة قبائل العراق العثماني، ولكن إلى القبائل التي تمارس الغوص على اللؤلؤ التي لم تكن لها أي اتصالات مع السلطات العثمانية، ولو أنهم انتموا إلى الأوساط العثمانية لما احتاجوا إلى إذن لكي يستوطنوا في البصرة وما كانت الوثيقة العثمانية لتكتب[3].

يقول الأستاذ سعود الجمران استناداً على كلام الأستاذ حسين خلف خزعل في كتابه تاريخ الكويت السياسي، أنه توجد أقسام من بني عتبة في الدورق والمحمرة بعربستان انخزلت عن القبيلة الأم لدى هجرتهم إلى البصرة واستيطانهم ضواحيها وأم قصر، وذلك قبل نزوحهم مرة أخرى إلى الكويت والإقامة فيها[4].

وكان أول نزول العتوب في منطقة المخراق على الضفة الغربية من شط العرب بولاية البصرة العثمانية، ثم نزحوا بعد فترة إلى أم قصر[5].

نزوح المهاجرين من البصرة ونزولهم منطقة ام قصر

ويكمل الشيخ الدكتور القاسمي وقائع ما جرى للعتوب بعد أن نزلوا البصرة: ((وفي اليوم التالي ذهب أحد رجالهم ويدعى (ماجد) إلى مقرّ الوالي قائلاً إنه لم يعين لهم مكاناً بعد، فهل سيبقون على هذه الحال لبعض الوقت؟ فردّ الوالي بأنهم إذا سمح لهم أن يبقوا بالبصرة بصورة دائمة فعندئذ تعطى لهم أماكن. كان الوالي متخوفاً من وجود (العتوب والحميدات) في منطقة البصرة، لذلك أشار عليهم أن يتوجهوا إلى مكان بعيد عن البصرة، فتوجهوا إلى خور عبدالله، ونزلوا منطقة أم قصر للرعي ولتنقلات مراكبهم بحُرِّيَّة إلى موانئ الخليج وغيرها)).

(*) كان علي باشا والي البصرة من سنة ١٧٠١م إلى سنة ١٧٠٥م

(١) بيان الكويت ص١٣ راجع سنة ١٧١٣م.

(٢) نشأة الكويت تأليف ب.ج.سلوت رئيس الأرشيف الهولندي صدر سنة ٩٠/١٩٩١م في هولندا، مركز البحوث والدراسات الكويتية ط٢٠٠٣م ص١١٧

(٣) المصدر السابق ص١١٩.

(٤) رحلة عبر الجزيرة العربية لـ الكابتن سادلير تحقيق الجمران ص٢١٠.

(٥) المستودع والمستحضر، لمخيف بن صغير الشمري، دار نينوى، دمشق ٢٠٠٨م ص٢٢.

محاولة الإصلاح بين المهاجرين والهولة

كتب الوالي رسالة إلى السلطان العثماني شرح له فيها أسباب قدوم العتوب والخليفات وأنهى رسالته بالتالي: ((وقد أرسلنا رجلاً إلى قبيلة الهولة، كي يأتوا ونعقد الصلح بينهم وبين الخليفات والعتوب. لأنه إذا لم يتمّ إصلاح ما بين هؤلاء، فإنّ ضرراً شديداً سيلحق بقدوم التجار إلى البصرة وعودتهم منها. أما إذا جاؤوا وأجريت المصالحة بينهم، فإن جانب البحر سيكون آمناً من شرُّهم وإذا تم إصلاح ذات بينهما، عندئذٍ يظهر ما إذا كان الخليفات والعتوب سيقيمون بالبصرة أم لا. أما الآن فإن ذلك غير معروف)).

إبعاد المهاجرين من منطقة ام قصر وتوجههم إلى الصبية

لم يستطع والي البصرة إتمام ذات البين لتشدد الهولة و لعتوب والخليفات مما اضطره إلى إبعاد العتوب والخليفات من منطقة أم قصر حيث انتقلوا إلى منطقة الكويت[1].

ويقول الأستاذ سعود الجمران: وحسب رواية ما يزال يرددها آل صباح حكام الكويت إلى اليوم، فإن أجدادهم قد جاؤوا إلى الكويت بعد أن طردهم الأتراك من أم قصر على خور الزبير وهو مكان قديم كانوا يتخذونه لقطع الطريق على القوافل المتجهة إلى البصرة أو القادمة، منها وكذلك للقرصنة على السفن في شط العرب[2].

ويقول ب.ج. سلوت لا بد أن قبيلة الخليفات قد عادت إلى بندر ديلم، أما العتوب فحسب روايتهم أبعدتهم الحكومة العثمانية من البصرة لأنهم شكلوا عقبة للملاحة في شط العرب، فوصلوا بأسلوب غير معروف ووقت غير محدد إلى الكويت[3].

ثورة الأشراف ذوي عبدالله على الشريف سعد

١١١٤هـ ذكر السيد الدحلان أن ((الأشراف من ذوي عبدالله ثاروا مرة ثانية على الشريف سعد، فطالبوه في معاليمهم وادَّعوا عليه بعدم الوفاء بها ولم يتمّ لهم معه حال فخرجوا مغاضبين له.....

الأشراف الجلوية – ذوي عبدالله – أخذوا من الينباع وقصدوا درب جدّة، فرجع الشريف سعد ومن معه على الوادي ثم وصلوا جدّة وباتوا فيها فجاءهم هتيمي وأخبر الشريف بأن الأشراف الجلوية غزوا ونهبوا إبلا ونجعا، فقال له الشريف سعد أتعرف محلّهم؟ قال نعم. قال أنت الدالُّ عليهم فساروا بجيشهم وحثُّوا في سيرهم فأدركوهم عند الظهر مقبلين وجميع ما أخذوه من هتيم عندهم فأقبل عليهم الشريف بمن معه من الأشراف والعسكر...، واقتتلوا معهم فقتلوا من القوم زهاء ثلاثين غير المصابين

---

(١) بيان الكويت ص١٣، ورجح سنة ١٧١٥م حيث إن العتوب استقروا في الصبية (١٢ عام تقريباً) قبل مسيرهم عنها إلى الكويت.

(٢) رحلة عبر الجزيرة العربية لـ الكابتن سادلير تحقيق الجمران ص٢١١

(٣) نشأة الكويت تأليف ب.ج.سلوت ص١١٨.

وكان مع الأشراف الجلوية من شيوخ العرب هيدس شيخ الروقة وربعه، وحسين بن سويدان شيخ مطير وربعه، فنهب الشريف ومن معه من الأشراف جميع ما كان معهم من الإبل والبندق وغير ذلك وردوا على هتيم جميع ما أخذ منهم، وردوا على الجلوية بعض خيل وركاب بواسطة بعض الأشراف وكانت هذه الواقعة يوم الأحد ١٧ ربيع الثاني)).

سنة سمدان

١١١٤هـ ذكر ابن ربيعة وفيها سمدان العوازم أي هلاك العوازم من شدة القحط[1]، وقال ابن بشر: وفي هذه السنة: أول وقت سمدان المحل المعروف والقحط والغلاء الذي سمد فيه أهل الحجاز وكثير من البوادي[2].

النزاع بين فوزان آل معمر وبين جبور بني خالد امراء الجناح في عنيزة

١١١٥هـ ((في هذه السنة حصل خلاف بين فوزان وبين الجبور، أدى إلى قتال، قتل فيه فوزان بن حميدان أمير عنيزة آخر يوم من جمادى الثاني سنة ١١١٥هـ (١٠ نوفمبر ١٧٠٣م) واستولى الجبور على عنيزة كلها بأقسامها وتوحدت إمارتها فهدموا قصر آل معمر وهو المسمى قصر الكميد))

أمير العوازم يقدم الدعم المادي لعنيزة

في خبر أورده الشيخ عبدالوهاب بن تركي عن أحداث سنة ١١١٦هـ ذكر نزول (أمير العوازم جب[*] بلد عنيزة، ومعه حاج لأهل المشرق كثيرة نزلها بعد انصرافه من الحج في شهر صفر)[3] يونيو ١٧٠٤م.

وعن هذا الحادث أيضاً، يقول مقبل الذكير: (ولقد اطلعت على بعض ترسيمات لأهل القصيم أردت وضع العبارة للتذكرة وإن لم أفهم معناها، قال: وفي صفر (١١٠٦هـ) نزل (جب[*] دار) عنيزة برجوعه من الحج ونثر فيها الدراهم الشيء العظيم).

ويضيف الذكير معلقاً: ولم يتضح لنا هذا الاسم، هل هو اسم شخص أو أمير؟ وإنما الذي لفت نظرنا قوله: (وملأها من الفلوس) مما يدل على الفائدة التي حصلت من مروره وأثرها في البلاد مما جعل هذا المؤرخ يرسمها مع الحوادث التاريخية[4].

---

(١) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٣ تاريخ ابن ربيعة ت١١٥٨هـ ص٤٠.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص١٣٩.

(*) جب تصحيف لجبر.

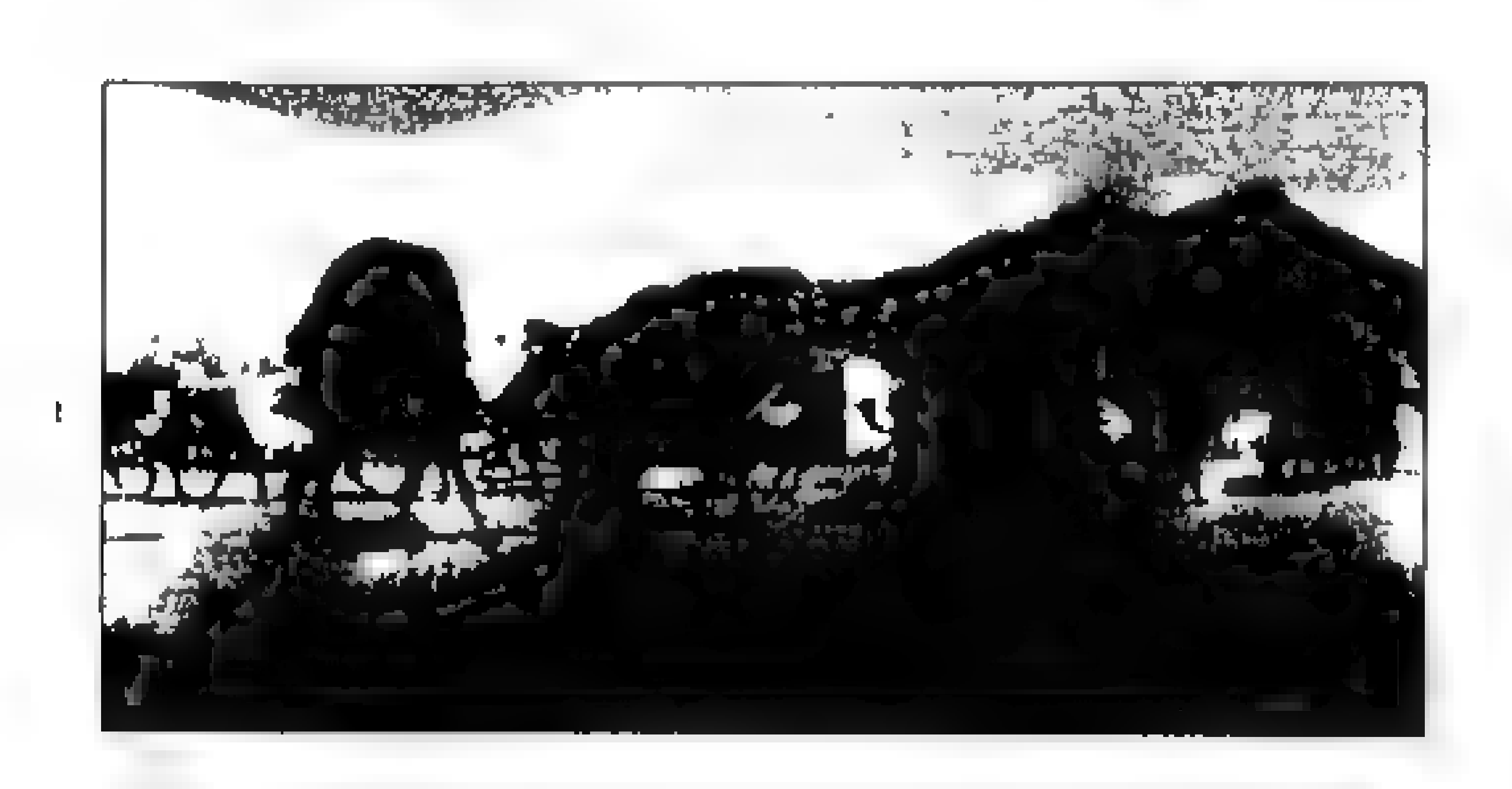
(٣) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٤ تاريخ نجد للشيخ عبدالوهاب بن محمد بن حميدان بن تركي توفي بعد سنة ١٢٥٤هـ ص١٥٥.

(٤) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٧ مطالع السعود لمقبل الذكير ص٧٢، انظر أيضاً: تاريخ اليمامة لابن خميس ج٦ ص ٥٦

وبالتوفيق بين الخبرين، يتضح أن هذه الترسيمات (جب دار)، أو (جنب بلد) هي تصحيف لـ(جبر دار، أو جبر بلد) وهكذا تكون صحة المعنى بعد ترميم الخبرين كالآتي: ((نزل أمير العوازم جبر بلد عنيزة في صفر ومعه حاج لأهل المشرق كبير ونثر فيها الدراهم الشيء العظيم وملأها من الفلوس)).

وقد ورد في التواريخ النجدية ذكر أمير من أمراء قوافل الحج في سنة ١١٣٣هـ اسمه جبر، فلعله هو بعينه جبر المذكور في هذه السنة (١١١٦هـ).

ومنصب أمير الحج الذي كان يتبوأه أمير العوازم يعتبر من المناصب الرفيعة في الدول الإسلامية، وقد شغله على مرّ التاريخ كثير من الشخصيات المهمة، وهذا يدل على المكانة العالية التي يتمتع بها جبر، ومن المرجح أنه عُيِّن في هذا المنصب من خلال أمير الإحساء سعدون بن محمد آل غرير الخالدي (١٠٩٣هـ/١١٣٥هـ) الذي كان يمتد نفوذه من الحساء حتى الديار الشامية والعراقية والعمانية وأقصى نجد، ومن المعلوم أن لأمراء الحج أجراً يتقاضونه ربما ريال أو ريالين عن كل حاج، هذا عدا المكافأة المخصصة له من الوالي ومن الدولة العثمانية نظير تسييره لقوافل الحج، وهذا ما يفسر لنا كيف أنه نثر في عنيزة من الدراهم الشيء الكثير.



وفي تاريخ قبيلة العوازم هناك أمير يدعى جبر بن جامع، يُذكر في القصائد الحربية كقائد قوي وعظيم ومن هذه القصائد قول الشاعر على أثر حرب للعوازم مع الظفير:

صبحنا دواوير على جال ملهم	سريطية يشكي الحفيف مليلها
سريطية كسابةٍ للطيب والثنا	وأهل طعونٍ ما ينادى قتيلها
سرنا وساروا ونحنا ونوّحوا	ودي قريةٍ ما عاد يربح عميلها
سرنا وسار الله عليهم ودبروا	بايمانٍ رومٍ تلتظي فتيلها
يا كن حس الكافريت بيننا	رعود من الجوزا صدوق مخيلها

إلى أن يقول:

مسهبول يا بياع جبر جواده ... يا عنك ما يلقا مثان[*] يجيلها

يحدها في ماقف الموت ساعة ... لين إن قضاف العمار يزيلها

عودة إلى الخبر السابق. الملاحظة الجديرة بالنظر هي أن خط سير هذه القافلة قد أخذ طريقاً بعيداً بعض الشيء عن مسلك قافلة الحج الإحسائية حيث إنها وطئت عنيزة والتي هي على طريق حاج أهل الكويت والعراق، فلعل هناك أسباباً أخرى لم يذكرها المؤرخ.

غرقة السليمي في عنيزة

وفي هذه السنة (١١١٦هـ) هطلت في عنيزة أمطار غزيرة أدت على التلال والمجاري وهدمت بعض المنازل، وتسمى غرقة السليمي وهو رجل أعمى دخل عليه السيل فأغرقه[١]

مقتل هنيدس شيخ الروقة على يد قبيلة هُذيل

وفيها: ((عتيبة ليلة التاسع من شوال قتلت أربعة من هذيل واثنين من قريش قريباً من السدّ فخرجت هذيل في صبيحتها في نحو مائتي مقاتل إلى أن وصلت المعابدة فوجدوا هناك حياً من عتيبة وفيهم هنيدس شيخ الروقة فقتلوه، وقتلوا معه سبعة أنفار من عرب عتيبة، وطرحوهم في الطريق ورقوا جبل الخندمة))[٢].

احتلال الشريف عبدالكريم البركاتي لمكة المكرمة ومعه عتيبة وحرب

١١١٦هـ ((لم يدم سعد بن زيد في إمارته - الرابعة - إلا ١٨ يوماً لأن الأمير عبدالكريم بن محمد ابن يعلى من ذوي بركات الغائب في اليمن عاد في جموعه من بني عمومته وأنصاره من قبائل عتيبة وحرب فهاجم مكة واحتلها في ١٧ شوال))[٣]. وفيها: ((أخذ الشريف سعيد ما يلي الحجون ومعه عبيده وجماعة من النمعة ومعهم محمد بن جمهور العدواني شيخاً عليهم))[٤].

مسير الأشراف البركاتية للشريف سعيد

((السيد عبدالله بن محمد بن بركات بن محمد ومن معه أرسلوا للشريف سعيد وقالوا له: اخرج من

(*) يقصد ببيع المثان أنه عندما يبيع رجل فرساً لرجل آخر فإن البائع يشترط على المشتري أن يكون له البطن الأول والثاني مما تلده الفرس المباعة ولا يسقط هذا الشرط إلا بفقدان الفرس أو موتها، وهكذا يدل البيت على أن من يبيع جواده لجبر فإنه خسران لأنها حتماً ستموت في أقرب معركة.

(١) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٨ العنبرية للشاعر الشيخ عبدالعزيز بن محمد القاضي ص١٧١

(٢) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص١٤٤.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٤٠٦

(٤) خلاصة الكلام للسيد زيني دحلان ص١٣٤.

ملاد الشريف - عبدالكريم - فردّ بهم جواباً غير لائق فأيقنوا منه الخلاف، فسارت الأشراف بمن معهم من العساكر ومعهم ابن زيد شيخ أهل العرج بما معه من قومه ومبارك بن رحمة بمن معه من قومه إلى أن وصلوا ينبع البحر فمانعهم السيد عبدالله بن سعيد فحصروه أياماً ثم عجز وطلب الأمان فأمنوه وخرج ليلاً إلى أن لحق بأبيه وأقام معه بالجابرية وتفرقت عنهم العرب))[1].

محاولة الشريف سعد دخول الطائف

بعد أن خرج الشريف سعد إلى المعاندة ((أرسل إلى ابن أخيه الشريف عبدالمحسن وطلب الإقامة بنجد مكفولاً مكفوفاً معاملاً له، ثم بعد خلع الشرافة على الشريف عبدالكريم بعث إليه فيما طلبه من ابن أخيه الشريف عبدالمحسن فأجابه إلى ذلك، وذلك بعد خروجه من مكة إلى نواحي الشرق ثم بعد برهة جمع جماعة من الروقة ومحلد والنعمة وقبائل من الأعراب وأطمعهم بالمال وأراد أن يدخل بهم الطائف فصدّه وكيل الديرة السيد عبدالله بن حسين بن جودالله))[2].

ولاية الشريف عبدالكريم على مكة المكرمة

..... ١٧٠٥م في هذا العام تولى الحكم في مكة المكرمة الشريف عبدالكريم بن محمد، واستمرّ حتى أُقيل في سنة ١٧١١م، وعاد بعد بقليل وبقي حتى سنة ١٧١٥م حيث تقاعد ليعيش عند قبيلة حرب، وبعدها ذهب إلى مصر حيث توفي هناك بالوباء[3].

الهجمات العُمانية على الأراضي الفارسية

خلال الفترة من (١٧٠٥-١٧٠٦م) حاولت شركة الهند الشرقية الهولندية التقرب من الشاه حسين مرة أخرى بحجة مساندته البحرية الفارسية ضد عرب عمان الذين استمروا في شنّ هجمات متكررة على الساحل الشرقي للخليج العربي، لكن الشاه رفض ذلك وفضّل التعاون مع الإنجليز الذين باتوا يخشون التقارب الهولندي - الصفوي رغم تحالفهم في أوروبا[4].

وفي عام ١٧٠٧م / ١١١٨هـ بدأ الصفويون يستاؤون من معارضة عرب عُمان لسفنهم وخاصة بعد أن وقعت إحدى السفن الفرسية بأيديهم، فازداد قلق الشاه حسين حتى اضطر إلى إعادة الطلب من الهولنديين والإنجليز معاً لمساعدته من أجل الوقوف ضد الإمام سيف بن سلطان إمام عُمان آنذاك[5].

---

(١) المصدر السابق ص١٣٨.

(٢) المصدر السابق ص١٣٨.

(٣) حكام مكة لجيرالد دوغوري ط١/ ص١٨٥.

(٤) غزاة في الخليج العربية لهيفاء الربيعي ص٩٩.

(٥) المصدر السابق ص١٠٠.

إمارة نجم آل غرير على الحاج العقيلي

١١١٧هـ في موسم حج هذه السنة كان نجم بن عبيدالله بن غرير أميراً على الحاج العقيلي[1].

استيلاء أمير المنتفق مغامس بن مانع على البصرة

١١١٧هـ ((مات والي البصرة فارتبكت حالتها وأحدث القبائل تمرد...، واغتنم أمير المنتفق مغامس بن مانع الذي صارت إليه الإمارة بعد أبيه الفرصة فزحف واستولى على البصرة.... ولقد كتب والي بغداد إلى الأستانة بحالة جنوب العراق واستيلاء مغامس على البصرة فأرسلت إليه مرسوماً بولاية البصرة إضافة إلى ولاية بغداد وأمرته بتجهيز الجيوش وبذل الجهود في إخماد الفتن واسترداد البصرة. فاستعدّ فزحف وأخذ أولاً يجتهد في إخضاع القبائل الثائرة وكان من هذه القبائل قبيلة زبيد بزعامة شيخ شيوخها عبدالقادر فنكل بها وهزمها، ثم لقي في طريقه بعض فروع من المنتفق فضربها وشتتها واستولى على كثير من مواشيها ومتاعها. ثم سار إلى البصرة وكان الأمير مغامس قد علم بزحفه فجمع جموعاً عظيمة روى المؤلف - العزاوي - نقلاً عن مصدره أنها كانت مئة ألف أو يزيدون بما جاءه من مدد من نواحي بغداد والإحساء والحويزة وعشائر آل سراج وزبيد وبني خالد وعزية وسباح وشمر حتى امتلأت بهم السهول وقد اشتبكت قوات الطرفين وأبلى كل منهما بلاءً عظيماً غير أن الدائرة دارت على العرب.

وقد قتل تركي شيخ قبيلة الأجود وكان جسوراً عنيداً فكان قتله من أسباب انكسارهم وهزيمتهم. بعد أن بلغ من هلك منهم نحو عشرة آلاف وكان الوالي يبذل الذهب والفضة سخاء لكل من يأتيه برأس أو قلب منهم ثم ذهب إلى البصرة فدخلها ووطد النظام فيها.

على أن مغامساً لم يكف عن نشاطه وطموحه فقد أخذ يتجوّل بين العشائر محاولاً تجديد العهود معها. وقد استجابت له قبيلة عزيّة فأعطته عهداً بأن لا يأتيه من قبلها شرّ وأن تحمي ظهره من ناحية الشامية.

وحينئذٍ هاجم حسكة والرماحية والأنحاء الأخرى المناوئة لها ونهبها وأحرق زرعها وجاء الشيخ شبيب أمير قبائل قشعم إلى بغداد فشكا للوالي من قبيلة عزيّة واتفاقها مع مغامس وحذره من العواقب.

... ولقد مال نحو عشائر المنتفق فأرسل إليه أميرها الشيخ ناصر عريضة يشكو فيها مغامساً ويقول إنه أصل الشرّ...

واستأنف الوزير وجموعه تعقب مغامس حتى وصل إلى مكان يعرف بأبي مهنة كان مغامس قد تحصن فيه هو ومن معه من ربيعة وسباح والمنتفق في عدد يتراوح بين خمسين وستين ألفاً. ويظهر أنهم وبرغم هذا العدد فضّلوا الانسحاب من وجه الوزير والتفرق في الطوائف فتعذّر على الوزير تعقبهم. أما مغامس فقد ذهب إلى الحويزة لاجئاً))[2].

---

(١) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٧ مطالع السعود لمقبل الذكير ص٧٣.

(٢) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي لمحمد عزة دروزة م٢ ج٦ ص٨٦.

خروج عشائر شمر عن طاعة الدولة في العراق وتمرد عشيرة غزيّة

١١١٨هـ وفيها ((خرجت عشائر شمر عن الطاعة وراحت تعيث فساداً، ثم تبعتها بقية العشائر الكائنة غربي نهري الفرات. وكثرت تعدياتهم وقطعوا الطريق فتحرك الوزير على رأس قوة من قوات بغداد وعبر نهر الفرات واتجه نحو تجمعاتهم ثم هجم عليهم فمزقهم وشردهم في البراري وعاد غانماً منصوراً.

وفي هذه السنة تمردت عشيرة غزيّة التابعة لشيوخ آل قشعم. وانبرت تقطع الطريق وتسلب الرائح والغادي في بادية السماوة والرماحية ونهر الشاهي. وكثر توارد الشكاوى من أعمالهم فاتجه الوزير نحوهم وأحاط بهم وظلَّ يحاربهم لمدة ثلاثة أو أربعة أيام مزق خلالها شملهم وأسر اثنين من شيوخهم ثم عاد إلى بغداد.

أما عشيرة شمر المارّ ذكرها فإنه بعدما كانت تتجول شرقاً وغرباً وتقضي أيامها في النهب والسلب فقد عادت إلى صوابها وسلكت طريق الرشاد وعاشت هي وأفخاذها وشيوخها بهدوء وسكون))[1].

((استدعي حال شمر العقاب، فعبر الباشا الفرات من جنوب الفلوجة، وبعد تعقيب شديد أنزل بها خسارات فادحة وسلب أمتعتها، وجردت الحملة تالية على قبائل الفرات الأوسط كالحميد والسعدة والرافع، وكانت هذه الحملة إجابة لتدمر شبيب شيخ قشعم ومساعدة قطعات قبائلية كبيرة فانتهت الحركات بخضوع العدو، وتلت ذلك حملة على زبيد فطلبوا العفو ساعة وصول الباشا))[2].

وقعة الخضار[3]

ذكر ابن بشر وقعة خضار الماء في حوادث سنة ١١٦٨هـ، وقال ابن خميس نقلاً عن الذكير أنها وقعت في سنة ١١١٥هـ، ثم يقول: حدثت وقعة الخضار بين الظفير وعنزة في نواحي الدهناء، وسبب ذلك أن الظفير كانوا نازلين في سدير. وكانت منازلهم هم وعنزة في ذلك الوقت في أراضي القصيم، وكانت بلاد الظفير بتلك السنة أكثر خصباً من بلاد عنزة فتقدموا إلى سدير يتتبعون مواضع الربيع لإصلاح ماشيتهم معتزّين بقوتهم، وساعدهم الشريف عبدالعزيز العدو اللدود للظفير فطردهم عن سدير، وسار الظفير إلى الدهناء فتبعتهم عنزة والشريف وحصل بينهم قتال شديد في موضع يسمى الخضار القريب من الدهناء فانهزمت عنزة والشريف، واستولى الظفير على بعض ما معهم، وأخذ ابن صويط خيمة الشريف عبدالعزيز[4].

---

(١) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص٣٢٢

(٢) أربعة قرون من تاريخ العراق: لونكريك ص١٢٤

(٣) قال ابن بشر: طردت عنزة ابن سويط عن سدير، ثم إنه جرى بين عنزة والظفير وقعة في الخضار عند الدهناء، وأخذ ابن سويط خيمة عبدالعزيز الشريف.

(٤) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٦ ص ٣٨ نقله عن تاريخ مقبل الذكير ص٢٦.

نزول الحاج العقيلي في ثادق

١١١٩هـ يقول مقبل الذكير: ((في هذه السنة نزل الحاج العقيلي الإحسائي بلد ثادق ومعه سعدون بعسكره، وهذا مما يرجح أن بني خالد من بني عقيل وإنما جدهم القريب[1] خالد غلب على عقيليتهم))[2].

وقت شيخة بداح بن بشر العنقري على ثرمدا

وفي حوادث هذه السنة ذكر ابن بشر مسير العناقر أهل بلدة ثرمداء بالصمدة من الظفير على أهل وثيثيا وقتلوهم وذلك وقت شيخة بداح في أهل ثرمداء.

ويقول فايز الحربي[3] واعتقد أن بداحاً المذكور هو بداح بن بشر بن ناصر العنقري الفارس المشهور.. وقد توفي هذا الفارس بداح بن بشر بن ناصر بن إبراهيم بن حيفر العنقري رئيس بلد ثرمداء سنة ١١٣٦هـ ولبداح قصيدة فريدة يقول فيها:

الله لنا يا ما عربنا وجينا ... ويا ما ركبنا حاميات المشاويح
ويا ما على أكوارهن اعتلينا ... ويا ما ركبناهن عصير مراويح
ويا ما تعاطن الهنادي يدينا ... ويا ما تقاسمنا حلال المصاليح
وراك تزهد يا أريش العين فينا ... تقول خيال الحصر زين تصفيح
الطيب ما هو بس للشاعنينا ... مقسم بين الوجيه المماليح
البدو واللي بالقرا ساكنينا ... يحل عطاه الله من هبة الريح
يوم الفضول بحلتك شارعينا ... والتلف يسحونك سواة الزناتيح
يوم انجمر رمحي حذيت السكينا ... وادعيت عنك الخيل صم مدابيح

إرسال الحملات لإخضاع الشيخ مغامس بن مانع

١١١٩هـ ((شيخ المنتفق مغامس بن مانع بدرت منه ما يدل على التمرد ضد أوامر والي البصرة الوزير خليل باشا، ومنها أنه تغلب على الجزائر والنواحي الأخرى، فأرسل - الوزير - حملة لتأديبه وإعادته إلى الطاعة، ولكن هذه الحملة ارتدّت على أعقابها مهزومة إلى البصرة. مما أثار الرعب في قلوب السكان. فأرسل والي بغداد مدداً من العساكر المشاة وجهزهم بالمعدّات والذخائر إلى خليل باشا يستعين بهم.

---

(١) بنو خالد وجودهم قديم في التاريخ وممن ذكرهم الحمداني المتوفى سنة ٧٠٠هـ في كتاب فضل الله العمري مسالك الأبصار.

(٢) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٧ مطابع السعود لمقبل الذكير ص٧٤

(٣) من أخبار القبائل في نجد.

وأرسلت الدولة: فرماناً إلى والي بغداد ليتولى بنفسه القيادة العامة على القوات التي سوف ترسلها هناك. وأصدرت أوامرها إلى والي كوتاهية الوزير المحترم حسن باشا ومحافظ ديار بكر الوزير المكرم رجب باشا ووالي الموصل وأمراء كركوك والقوات الإنكشارية الموجودة في بغداد حيث احتارت منهم مقدار خمسمائة جندي من المتصفين بالبسالة والإقدام. ولأجل جمع هذه القوات وجعلها على أتم استعداد أرسلت القلابجي باشي من البلاط السلطاني.

وأخذت هذه القوات تتوارد على بغداد الفوج بعد الموج .. وعسكروا في الجانب الغربي من البلدة.

تحرك من بغداد في أوائل رجب من سنة ١١٢٠هـ ووصل إلى الحلة، وبعد مكوثه هناك مدة أسبوع، واصل سفره حتى وصل العرجة التابعة لولاية بغداد ثم دخل الأراضي التابعة لولاية البصرة، واتجه نحوها من جانب البادية.

ثم إن الشقي - مغامس بن مانع - أرسل جواسيسه يستطلعون له الأوضاع، ولما علم بمقدم هذه القوات سارع إلى اتخاذ الحيطة وجمع جموعه خلف الأنهر والأهوار والجزائر التي يصعب اجتيازها وأقام في الجانب الغربي من نهر عنتر، وكان بصحبته عدد كبير جدًا من العشائر وخاصة عشائر المنتفق ونجد والعراق.

واستمرت الحرب أربعة أيام واشترك في القتال ما يقرب من الخمسة آلاف جندي ومع ذلك لم يتزحزح الثوار........، وأخيراً ضيقت الجيوش عليهم وأمطرتهم بوابل من قنابل المدافع ورصاص البنادق حتى اهتزت الأرض من تحت أقدامهم .. .. وعندئذٍ انتهزوا فرصة حلول الظلام وفرّوا نحو البادية تاركين أثقالهم وأطفالهم ونساءهم فنجا بعضهم وغرق في الأهوار البعض الآخر......، وهكذا تمزقوا شذر مذر))(١).

ذكر القبائل التي كانت تناصر الشيخ مغامس بن مانع

١١٢٠هـ - ١٧٠٨م: قال السامرائي: ((في أيام الوزير حسن باشا جرت حروب طاحنة توالت فيها النجدات بينه وبين العشائر التي انتصرت للشيخ مغامس بن مانع بن راشد الذي تولى إمارة المنتفق بعد أبيه السراج وزبيد ومياح وبني خالد وعزية وشمر وقد دامت الحروب إلى التاسع من رمضان وفي أثناء المعركة قتل الشيخ تركي شيخ الأجود وكان عضد الشيخ مغامس فتأثر به وأدى ذلك إلى انسحابه لأنه كان شوكتهم))(٢).

---

(١) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص٣٢٣-٣٢٥.

(٢) ولاية البصرة من كتاب سياحة نامة حدود تأليف خورشيد أفندي ترجمة يوري السامرائي، جامعة البصرة.

نزول الحج الإحسائي العيينة بقيادة نجم آل غرير

١١٢٠هـ ((نزلت قافلة الحج الإحسائية العيينة في طريق العودة من مكة بقيادة نجم بن عبيدالله بن غرير))[١].

انتهاء فترة حكم بني خالد للدرعيّة

طال حكم سلطان بن حمد القبسي من بني خالد للدرعيّة حتى كرهه الناس وثاروا عليه وقتلوه سنة ١١٢٠هـ وبعد مقتله تولى الأمر في الدرعية أخوه عبدالله ولكن مدة حكمه لم تدم طويلاً فقتل سنة ١١٢١هـ ١٧٠٩م وبمقتله انتهت فترة حكم بني خالد للدرعية[٢] وتولى في الدرعية موسى بن ربيعة بن وطبان[٣].

وقعة الساقة بين بني خالد والظفير عند الحجرة

١١٢١هـ- ١٧٠٩هـ في هذه السنة تجدد الصرع بين بني خالد والظفير حيث هاجم سعدون آل غرير قبيلة الظفير في موقعة تدعى الساقة عند الحجرة وفي السنة التالية عسكر الفريقان مدة طويلة وجرت بينهما عدة مواقع في وضاح ونمي ومع هذا لم يستطع أي من الطرفين تحقيق نصر حاسم فانسحبا عن بعضهما محتفظين بقدراتهما العسكرية[٤]

ثورة الأمير مغامس رئيس المنتفق مرة أخرى

وفيها (١١٢١هـ) ((ثار أيضاً مغامس ولم يعتبر بتلك الموقعة في السنة الماضية، وجمع مقداراً من أفراد عشيرة غزية وهجم بهم على ناحية الرماحية وأحرق المزارع وقطع الطرق، وعندما علم الوزير بادر بالسير نحوه برغم حرارة الصباح حتى وصل منتصف الطريق بين البصرة وبغداد، وأرسل العتاد والأسلحة الكافية بعده عن طريق الحلة.

وقد بلغ المتمردين قرب وصول الحملة واجتيازها الحلة ونهر الشامي، انتقل الشقي من مكانه إلى الجزائر وراح من هناك يحرّض العشائر على الثورة، وقد رأى الوزير أن هذه الثورة أخذت تتسع، كتب إلى الدولة العلية يعلمها بهذه الحوادث الجديدة))[٥].

حرب داخلية بين شيوخ آل شبيب أدت إلى انقسام المنتفقيين

((وفي أواخر شهر رجب من السنة المذكورة سافروا - قوات الدولة العثمانية - نحو الجهة

---

(١) قوافل الحج المارّة بالعارض لراشد بن عساكر ط١/ ٢٠٠٥م الرياض (درّة التاج ص٣٤)تاريخ ابن ربيعة ص٨٠

(٢) حسين الشيخ خزعل تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص١٦٢.

(٤) بنو خالد للوهبي.

(٥) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص٣٢٥.

المقصودة، ولما وصلوا السماوة علموا أن الشيخ ناصر شيخ المنتفق في حرب مع مغامس، وبما أن معظم عشائر المنتفق مع هذا الأخير فقد اندحر ناصر بوجه خصمه، ثم هجم مغامس على الجزائر وضبطها وحاصر البصرة، فما كان من القائد العام إلّا وأسرع نحوه...

وعند اقترابه من تلك الجهات سمع الشقيّ مغامس بمقدمه وفرّ نحو الجوازر وتحصن خلف الأنهار والأهوار والأمكنة التي يصعب الوصول إليها. ولكن الوزير لاحقه وعبر تلك الحواجز وأحاطت قواته بالعشائر الثائرة من كل صوب وناحية، وكان عدد أفرادها يتراوح بين الأربعين والخمسين ألفاً، ومع ذلك لم تصمد أمام ضربات العساكر المتلاحقة، خاصة وأن زعماءهم كل واحد منهم أخذ يختلق المعاذير للعودة إلى ديرته، وأخيراً انهزمت جموعهم))[1].

مرور ابن علوان على الكويت ووصفه لها

وفيها ١١٢١هـ (١٩يوليو) ١٧٠٩م: وصل مرتضى بن علوان الدمشقي العلوي إلى الكويت وكتب عنها ما يلي: ((ثم مضى إلى خمسة عشر يوماً، دخلنا بلداً يقال له الكويت بالتصغير وهي بلد لا بأس بها تشابه الحسا إلا أنها دونها ولكن عمارتها وأبراجها تشابهها وكان معنا حج من أهل البصرة فرق عنا من هناك على درب يقال له الجهراء ومن الكويت، إلى البصرة أربعة أيام وفي المركز البحري يوم واحد لأن الميناء البحري على كتف الكويت وأما الفاكهة والبطيخ وغير ذلك من اللوازم يأتي من البصرة في كل يوم في المركب بأنها مياه البحر أقمنا بها يوماً وليلتين وتوجهنا على بركة الله تجاه النجف الأشرف نهار الأحد عشر الشهر المذكور (الحادي عشر من الشهر) وهذه الكويت المذكورة اسمها القرين ومشينا قبل وصولنا إليها على كنار (ساحل) البحر ثلاثة أيام والمراكب مسايرتنا والمياه على حدود البلدة يأتيها ساير الحبوب من البحر حنطة وغيرها لأن أرضها لا تقبل الزراعة حتى ما فيها شيء من النخيل ولا غير شجر أصلاً وأسعارها أرخص من الحسا لأنها كثيرة الدعم)).

التشابه العمراني بين الكويت والإحساء في رواية مرتضى بن علوان، وسفره من الإحساء إلى الكويت برًّا دون الإشارة إلى وضع الكويت السياسي، يُوحي بأنّ العلاقة قوية بين هاتين المدينتين والتي نرجح وقوعها تحت حكم واحد يتمثل في آل حميد رؤساء بني خالد

وصف مرتضى بن علوان للإحساء

إنها بلدة عظيمة البناء، واسعة الرحاب كثيرة المياه تشتمل على عيون جارية وآبار معينة ومساجد وعلماء وصلحاء.. محصولها النخيل وجلّ غلاتها التمر مع الرخص.. ومواشيهم جميعاً الإبل والبقر والحمير مع أهاليها أكلهم التمر غير أن البقر يحلون لهم التمر بالماء ويسقوهم إيه والنوا يغلوا عليه في الماء حين يلين ويجعلوه لهم علفاً، ويذكروا أن نصف أهلها شيعة ونصفها سنة ومتحدين اتحاد الأهل من غير عناد بينهم وكذلك قراها. وكافلها وواليها وحاميها يقال له الشيخ سعدون (ابن محمد بن غرير

(١) المصدر السابق ص٣٢٦.

١١٠٣-١١٣٥) من عرب خالد ووزيره شيعي ويقل له الشيخ ناصر وبه من أولاد مروان بن الحكم واجتمعنا ببعض أهل البلد من الفريقين وكل منهما راضي عن الآخر

ووصفه للحج العقيلي في مكة المكرمة

((وقد واجهنا في طريقنا المبارك حج مقبل عليه فسألنا عنه فقيل لنا حج مختلط أعجام ومشاهدة، يقال لنا الحج العقيلي وقد دخل مكة بعد العصر وصدر له غاية الحصر، فبعضهم طاف وسعى وتم حجه بالتمتع على الوجه الاضطراري، ووقفت بعرفة ليلاً وبعضهم نقل تمتعه إلى الإفراد ووقع في بلاء بين العباد))[1].

وقوع خلاف بين شريف مكة وامير حج الإحساء

١١٢٢هـ- ١٧١٠م في موسم الحج وقع خلاف بين أمير حج الإحساء[2]، والشريف عبدالكريم لرفض الأول تسليم الإتاوة[3]، وقد اعتبرت تلك الحادثة سبباً لعزل الشريف عبدالكريم من ولاية مكة.

قال الذكير عن هذه الحادثة. ((سار حاج الحساء لأجل أداء الفريضة وأميره اسمه حمزة، فلمّا وصل مكة كان لبعض الأشراف رسم على حاج الإحساء، فطلب الشريف من أمير الحاج دفع الرسم المعتاد الذي يشبه الإتاوة، فأراد حمزة منع ذلك، وساعده على ذلك نصوح باشا أمير الحاج الشامي بذلك الوقت، وحصل بسبب ذلك منافرة بين شريف مكة عبدالكريم بن ليلى ونصوح باشا))[4]

قال أحمد السباعي ((كان لأشراف مكة على حجاج الحسا إتاوة خاصة جرى بذلك العرف القديم لديهم ولقد أراد أمير الحسا في هذا العام أن يماطل فيما جرى به العرف فاتصل بقائد العسكر التركي نصوح باشا فمنع الأشراف من التعرض له، فشكا الأشراف أمرهم إلى الشريف عبدالكريم فبعث إلى نصوح باشا يمنعه من التدخل في شؤون بلده، فغضب الباشا وتوعد فلمّا أتم الحج رحل إلى المدينة فتعرضت له قبيلة من حرب، فلم يخالجه شك في أنها دسيسة من عبدالكريم، فاستكتب أعيان الحجاج في قافلته محضراً بالأمر وقدمه إلى استامبول، ثم أبدى رأيه في توجيه الإمارة إلى الشريف سعيد فوافق الباب العالي على هذا وأرسل مرسومه بذلك فوصل إلى المدينة في أواخر شوال ١١٢٣هـ))[5]

مرافقة ابن علوان الدمشقي لقافلة الحج العقيلي الاحسائي

مرت قافلة الحج الإحسائية العائدة من الحج بنعي ثم ثرمداء فالعيينة ومنها إلى الإحساء ولم يشر

---

(١) قوافل الحج المارة بالعارض لراشد بن عساكر ط١/ ٢٠٠٥ الرياض درّة التاج ص١٩

(٢) لم يرد اسمه والأرجح أنه من زعماء بني خالد أو أتباعهم.

(٣) خلاصة الكلام لزيني دحلان.

(٤) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٧ مطابع السعود لمقبل الذكير ص٧٨

(٥) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٤١٢

ابن علوان المرافق لتلك القافلة إلى أية متاعب أمنية واجهها في الطريق كما ترد الإشارة إلى مرور قافلة الحج الإحسائية مرة أخرى بالعارض بعد خمس سنوات (أي سنة ١١٢٧) بإمرة ابن عفالق، وقد مكثت مدة تزودت ببعض مستلزماتها الغذائية[١].

هجوم عوف على الحجاج

وفي هذه السنة (١١٢٢هـ / ١٧١٠م) دفع نصوح باشا لمبارك بن مضيان شيخ حرب خمسة وعشرين كيساً فأرسل مبارك بن مضيان إلى العرب وفرق عليهم الدراهم وتعاهد معهم على الكف عن القتال وأرسل للباشا حال يصل إليك مرسولي ارحل بالحج لأن العرب جمعتهم عندي وفرقت عليهم الدراهم، فعند ذلك رحل الباشا بخزنته وصحبته أكابر الحج وأتباع الدولة، وتأخر كثير من الحجاج، وكان بعض العرب وهم عوف استقلوا ما أعطاهم الشيخ مبارك من الدراهم لكثرتهم، فحصل بينه وبينهم موافقة ثم نكثوا عليه ولحقوا بالحجاج الذين تخلفوا وأخذوهم عن آخرهم[٢].

معركة بين سعدون آل غرير والظفير

وفيها (١١٢٢هـ) ((صاوح سعدون وآل ظفير لوصاح وبعي، ثم كل منهما أقفى على حميته، وأكل الدبا والجيفان غالب زرع سدير وضر النخل إلى القصيم))[٣].

مواجهة بين شريف مكة المكرمة وبين الشريف عبدالكريم

١١٢٣هـ في هذه السنة جاءت الأخبار للشريف سعيد بأن الشريف عبدالكريم وصل إلى حليص ونيته الوصول إلى مكة ومعه جماعة من الأشراف والعرب فبرز الشريف سعيد لملاقاته وأخرج العساكر والمدافع إلى طوى وطلب قبائل هذيل وثقيف وبني سعد وناصرة ثم رحل من طوى إلى الزوارية ثم منها إلى الوادي.

هجوم سعدون آل غرير ومعه عبدالله آل معمر على اليمامة

١١٢٦هـ وفيها: ((أغار سعدون بن محمد بن حميد آل غرير رئيس الحسا والقطيف هو وعبدالله بن معمر رئيس بلد العينة على اليمامة من بلد الخرج، ونهبوا منها منازل، فظهر عليهم البجادي بالخيل))[٤].

---

(١) بنو خالد للوهبي ص ٢١٨.

(٢) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص١٦٣

(٣) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٣ تاريخ ابن منقور ت١١٢٥هـ ص٢٣.

(٤) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى

نزول حاج الإحساء بقيادة ابن عفالق على العارض

١١٢٧هـ وفيها ((نزل حاج الإحساء في العارض أميره ابن عفالق واشترى صاع سمن بمشخص والطلي بأحمرين))[١].

١٧١٥م في هذا العام قام عبد الله حسن المشعشعي بدخول المنطقة العثمانية[٢].

فترة الاضطرابات في الخليج العربي

في سنة ١٧١٥م بدأت محاولات الدولة العثمانية في الاستيلاء على البحرين التي كانت آنذاك تحت نفوذ الفرس، وفي سنة ١٧١٧م تمكنت القوات العثمانية من الاستيلاء عليها، مما جعل الفترة ما بين هاتين السنتين فترة اضطرابات في الخليج، بل توقفت التجارة في البصرة تقريباً، فلذلك ليس من المستغرب أن يهاجر بعيداً عنها من كان يتموّن منها[٣]

نزوح العتوب من أم قصر إلى الصبية

كما قلنا إن آل صباح ومن معهم كانوا نازلين في (أم قصر) بناءً على أوامر والي البصرة الذي طلب منهم الابتعاد عن البصرة حتى يبتّ في أمرهم من قبل السلطات العثمانية العليا، وكانت الحكومة العثمانية قد رأت أن مسألة وجودهم من عدمها متوقفة على ما ستسفر عنه المفاوضات بينهم وبين الهولة للإصلاح بينهم حتى لا تتعرض تجارة البصرة للضرر

ولا بد أنهم مكثوا في منطقة أم قصر فترة من الزمن ليست معلومة ولكن يبدو لي أنها قصيرة وكانت في خلالها تجري محاولات الإصلاح بين العتوب والخليفات من جهة وبين الهولة من جهة أخرى.

ولما فشلت محاولات الصلح وخوفاً على ألا يصاب اقتصاد البصرة بالضرر، تم إبعاد العتوب مرة أخرى عن منطقة أم قصر على يد الأتراك، فنزحوا باتجاه الجنوب ليستقروا فترة من الزمن تقدر بـ(١٢ عاماً تقريباً) أو أكثر بقليل في (الصبية)[٤].

ومن الصبية إلى الكويت

وفي ذات يوم – من أيام سنة ١٧١٥م وهم في (الصبية) بلغهم مسير قبيلة الظفير إليهم، فخشوا منهم فتحركوا عن موقعهم واستأذنوا أمير بني خالد لينزلوا في أرضه الكويت.

---

(١) عنوان المجد لابن بشر.

(٢) البدو ج٣ ط٢ تأليف فرنز كاسكل وصاحبه تحقيق ماجد شبر ص٢٨٠.

(٣) نشأة الكويت تأليف ب.ج.سلوت ص١١٨،١١٦.

(٤) نستدل بأنهم مكثوا في الصبية ثلاثة عشر عاماً، بقول المؤرخ حسين خزعل عندما ذكر مسير الظفير لغزو العتوب في الصبية سنة ١٧١٥م.

وعلى حسب الرواية المحلية من العوائل التي كانت موجودة في الكويت عند قدوم العتوب إليها عائلتا بورسلي والمصيبيح، وأما الذين نزلوا مع آل صباح، بناء على رواية المؤرخ الشملان وغيره: آل خليفة، الجلاهمة، الزايد، المعاودة، الرومي، آل سيف، آل ابن علي، آل نصف، آل خالد، والبدر.

وكانت الكويت خارج سيطرة حكومة البصرة تماماً، وتخضع لسيطرة بني خالد الذين لم يكونوا أصلاً على وفاق مع العثمانيين[1]، ومن الجدير بالذكر أن العتوب عندما اتجهوا إلى الجنوب لم يقوموا بتأسيس مدينة الكويت كما يزعم بعض المؤرخين، لأنها في الأساس كانت موجودة قبل وصولهم، ولو أمعنّا النظر فيما ذكره الرحالة مرتضى بن علوان الدمشقي عندما مر بالكويت في سنة ١١٢١هـ- ١٧٠٩م لتبيّن لنا أن الكويت كانت موجودة قبل قدوم آل عتبة إليها بكثير، وبذا يمكن أن تتأكد الرواية المحلية القائلة بأن براك بن غرير الذي استولى على حكم المنطقة منذ سنة ١٠٨٠هـ(١٦٧٠م) هو الذي بنى الكوت الذي سمي فيما بعد باسم الكويت، والكوت هو القلعة الصغيرة، على غرار كوت إبراهيم في الإحساء، وكان يبنى من أجل وضع الحاميات العسكرية فيه وجعله مخزناً للأسلحة، ولا بد أن يكون هذا الكويت هو الحدود الشمالية للإمارة الحُمَيْدِيَّة الخالدية التي كانت تتخذ من الكويت مقرًّا صيفيًّا لحكمها، وذكر سلوت أن الرواية الكويتية تقول ((أن الكويت – كبلد – نشأت في وقت ما من القرن السابع عشر كقرية ونمت مساحتها ببطء قرب مقر صيفي لبني خالد يحتمل أن يكون في منطقة الجهراء في الطرف العلوي من جون الكويت))[2].

وكان آل حميد عندما بنوا هذا الكوت، وضعوا فيه جماعة من أتباعهم، واتخذوه مستودعاً للأسلحة لتجهيز قواتهم أثناء غزواتهم الشمالية صوب العراق، وهذا الحصن يقع في منطقة بهيتة التي عليها الآن قصر السيف[3]، وفي رواية أخرى نقلها لي الشيخ أحمد الغنام الرشيد أن هذا الكوت في ما قيل كان يقع في مكان المستشفى الأمريكاني الذي شيد في السابق عند ما يسمى اليوم بمنتزه (يوم البحار)، ويظهر لي أن الموقع الأخير كان يشتمل ويضم خرائب الحصن البرتغالي الذي ذكره المستشرقون بأنه يقع إلى القرب من الكويت، أي أنه ليس الكوت الحميدي.

أما الكويت فليس بين مرور ابن علوان عليها في سنة ١٧٠٩م ووصفه لعمارتها التي قال إنها مشابهة للإحساء وبين بداية حكم براك بن عرير إلا ٣٩ سنة فقط، هذه السنين كانت كفيلة بتكوين حزام من السكان واستقرار بعض التجار حول هذا الكويت الناشئ.

ولا شك أن الكويت بعد قدوم آل عتبة إليها في سنة ١٧١٥م أي بعد بداية حكم آل حميد للمنطقة بـ ٤٥ عاماً دخلت في مرحلة جديدة من التاريخ، إذ خرجت بعد مدة من استقرارهم من مسمى البلدة الصغيرة، إلى ارتداء لباس الدولة والكيان المستقل، وذلك بعد أن رأت في نفسها القدرة على القيام بهذا العمل بتوافر الظروف المناسبة، وصدق بهم قول الوليد بن المغيرة الذي قال ((والله ما نزل قوم قط على

---

(١) نشأة الكويت تأليف ب.ج. سلوت ص١١٨.

(٢) المصدر السابق ص١٢٤.

(٣) المستودع والمستحضر، لخليف بن صغير الشمري، دار نينوى، دمشق ٢٠٠٨م ص٢٣.

قوم إلا أخلوا شرفهم وورثوا ديارهم))[1]، وهذا ما حدث فعلاً إذ إن آل الصباح ورثوا أرض آل حميد وحكمهم، مصداقاً لقول الرّب ﷻ. ﴿الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ﴾. وهذا ما حدث بعد ذلك، فقد انفرد العتوب بحكم المنطقة بعد بني خالد.

نعود إلى حديثنا عن خروج آل عتبة من الصبية إلى الكويت: فقد ذكر المؤرخ حسين خزعل أن نزوح العتوب من وجه الظفير كان في سنة ١١٢٨هـ- ١٧١٥م إلى الكويت فيقول. فلمّا علمت قبيلة الظفير باجتماع آل الصباح في الصبية سارت لغزوهم وفي أثناء سيرها ألقت القبض على أحد رجالهم لكي لا يفشي أمر سيرها وعزموا على قتله، غير أن دست الرجل توسل إليهم وأقسم لهم أيماناً مغلظة على أن لا يخبر أحداً بأمرهم فوثقوا بقوله وأطلقوا سراحه. وما كاد هذا الرجل يفلت من أيديهم حتى سار مسرعاً إلى قومه فقصد ديوان أحدهم المدعو (دولة) وخاطبه بأبيات من الشعر، وقد استعمل التلميح دون التصريح حتى لا يحنث بيمينه.

غَمْزُ الـغـلـبـون يـا دولـه　　تَـرَى ذُنـبـاكَ مَـغْـلُـولَـه　　إنّي حَلَفْتُ - بالله - ما أقُولَه

فانتبه دولة مع بقية من كان معه في ذلك المجلس إلى إشارة الرجل، وأسرعوا جميعاً إلى ترك الصبية، وقصدوا محل مدينة الكويت وسكنوها بعد أن استأذنوا من أمير بني خالد، واستحصلوا على موافقته فطابت لهم بها الدار ..وأخذت تتوافد عليهم الناس من البلاد الأخرى من عرب وعرس

اسم الكويت مشتق من الكوت وهو الحصن

يقول بيللي الذي زار الكويت في سنة ١٨٦٥م، أما مدينة الكويت الحالية، والاسم المشتق من (الكوت) وتعني الحصن فلها من العمر مئة عام تقريباً، وفي بدء الأمر احتل شيوخ الكويت حصناً يسمى أم قصر Mongassar على خور الزبير على مسافة يسيرة إلى جهة الشمال. وكانوا آنذاك قراصنة مدخل شط العرب، ولكن بعد أن أغار عليهم الأتراك أبحروا إلى جهة الجنوب، واستقروا في مكانهم الحالي وقاموا بتحصينه من جهة البر تحسباً لغارات البدو

ويقول بيللي عن انتقال آل الصباح من أم قصر: أقبل أول الشيوخ عبر خور بوبيان مع أتباعه، وحطّ الرحال على الخليج الذي سمي الآن الكويت أو القرين وبعد أن عبر الخليج استقر على الشاطئ الشمالي وأقام قلعة أو كوتاً ومن هنا اشتق اسم الكويت، أما كلمة القرين فتطلق على الخط الساحلي للخليج بأكمله حتى المنحنى المكون من قرنين ومنه جاء الاسم

بداية التاريخ الحقيقي لتأسيس الكويت

ذكر الحاتم بأن البحاثة المحقق الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة يقول عن الكويت: إنها

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ت٩١١ ص٢١٦

تأسست[1] عام ١١٢٥هـ (١٧١٣م))[2]، ويُذكر أن مسجد آل الخليفة أُنشئ في الكويت عام ١٢٢٦هـ الموافق ١٧١٤م على يد الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة، ونقش عليه سنة بنائه، وأوقف عليه قطعة نخيل في منطقة المبرز في الإحساء، منحها بنو خالد للعتوب عند مساعدتهم لهم في فتح القطيف.

ويقول لوريمر عن بداية تأسيس الكويت: ((بناء على أحد التقارير في عام ١٧١٦م[*] يمكننا أن نستنتج إلى حد ما من خلال الاسم أن الموقع كان في لنده مستوطنة عربية عادية، تحميها قلعة صغيرة. وبحسب التقليد حافظت عليه عائلة الصباح التي تحكم الكويت اليوم كان السبب الذي حدا بأسلافها للمجيء إلى الكويت طرد الأتراك لهم من أم قصر على خور الزبير وهو موقع قديم درجوا على قطع

---

(1) على حد قول النبهاني يكون تأسيس مدينة الكويت بالاستناد إلى الروايات المحلية في سنة ١٠١٩هـ، وعلى حسب رواية قاضي عنيزة صالح بن عثمان بن حمد(١٨٦٥ ١٩٣٢) يقول في كتابه تاريخ نجد وحوادثها إن تأسيس الكويت كان في عام ١٠٢٢هـ (١٦١٣م)، ويظهر لي أن هذين الرجلين يستندان في قوليهما إلى قول الشيخ مبارك الصباح في بيان سلمه للسلطات العثمانية في البصرة سنة ١٩١٣م بواسطة وكيله هناك عبدالعزيز لسالم البدر القناعي وأرسل نسخة منه إلى السلطات البريطانية لحفظ حقوقه كون بلاده تحت الحماية البريطانية واستهل بيانه بعبارة ((الكويت أرض قفراء نزلها جدنا صباح عام ١٠٢٢هـ)) راجع (جريدة الوطن بقلم د.ميمونة الصباح العدد ١٠٧٠٣ - ١٧/١١/٢٠٠٥)

وباعتقادي أن هذا التاريخ (١٠١٩هـ ١٦١٠م) غير دقيق

وأما الرواية الثانية فتذكر أن تأسيس الكويت كان سنة١٠٦٠هـ ١٦٥٠م، حيث يقول الوهبي. هناك من أشار إلى أن الكويت أسست سنة ١٠٦٠هـ على يد عقيل أحد شيوخ بني خالد من آل حميد. راجع بنو خالد وعلاقتهم بنجد للوهبي ص٣٥٢.

وقال الوهبي ص ٣٥٢ ((يعرف عقيل بأنه عقيل بن عريعر ومن المحتمل أنه عقيل بن غرير حيث ذكر الشملان ص١٠٢ -الحاتم ص٨) أنه أخ لبراك ثم نسب كل من عقيل وبراك إلى عريعر، مع أن عريعر المعروف في آل حميد أحد أحفاد محمد شقيق براك، ويبدو أن هذا الخطأ حدث بسبب شهرة عريعر))

قلت. ربما تكون هذه الرواية صحيحة، ولكن لا يوجد للشيخ براك أخ بهذا الاسم حيث إن المؤرخ ابن بشر ذكر أولاد الشيخ غرير في حوادث سنة ١١١٨هـ وهم (براك، ومحمد، وعبدالله، وعثمان، وهزاع، وشباط) وليس منهم من اسمه عقيلاً

إضافة إلى ذلك فإن الكويت كانت موجودة أصلاً باسم القرين وباسم كاظمة قبل هذه التواريخ وقد ذكرنا وفد مدينة القرين الذي ذهب إلى مسقط لتهنئتهم على انتصارهم على البرتغاليين.

ولكن. وجدنا في المصادر أن آل حميد في عهد براك آل عرير اتخذوا من موقع الكويت مقرًا صيفيًا لحكمهم

والرواية الثالثة تقول إن الكويت تأسست سنة ١١٠٠هـ وهو قول لقدمي. ((تأسست الكويت في هذا العام على يد براك بن غرير)).

وهذه الرواية خطأ لأن براك كان قد توفي قبل سبع سنين من التاريخ المذكور.

(2) من هنا بدأت الكويت ل الحاتم ص٩.

(*) في كتاب «الكويت في الوثائق البريطانية» يرى أن وصول العتوب كان في سنة ١٧٠٠م و١٧٠١م راجع كتاب الكويت تواجه الأطماع للدكتور يعقوب يوسف الغنيم ص٢٣ وربما يقصد في هذه السنة (١٧٠٠م) وصول العتوب إلى رأس منطقة الخليج العربي وعلى الرغم من أن لوريمر يذكر أن بداية تأسيس الكويت كانت في سنة ١٧١٦م ووافقه على ذلك بونداريفسكي، فإن دكسون يحدد تأسيس الكويت في سنة ١٧١٠م

الطريق فيه أمام قوافل البصرة والفرصة في شط العرب، وعندما تكونت مستوطنة الكويت كان جابر على رأس الجلاهمة وخليفة بن محمد على رأس آل خليفة، فيما ترأس آل الصباح استناداً إلى إحدى الروايات شيخ يدعى سليمان بن أحمد، وقد تمتعوا بنوع من السيطرة السياسية على مختلف فروع القبيلة الأخرى، وقد جاء في مصدر آخر أن شيخ آل صباح في زمن التأسيس كان يدعى رحيم))[1].

ويذكر لوريمر أن أول ظهور العتوب في الخليج ربما كان (في الكويت التي يبدو أنهم استقروا فيها حوالي عام ١٧١٦م)[2].

الشيخ سليمان بن أحمد اول رئيس لآل صباح

قال أبو حاكمة. ذكر المستر واردن warden في مقالته عن العتوب التي دونها في سنة ١٨١٧م أن أول رئيس لآل صباح هو الشيخ سليمان بن أحمد الذي كان يتولى الحكم حوالي سنة ١٧١٦م، ولما كنا لا نجد أي ذكر للشيخ سليمان هذا في الروايات المحلية أو أي مصدر آخر، سوى ما ذكره المستر واردن، كأول حاكم للعتوب من آل صباح، جاز لنا أن نشك في قوله ونميل إلى رواية آل خليفة أو أن نذهب إلى القول بأن حاكم الكويت إنما كان من بني خالد[3]

فيما يلي ترجمة نص عبارة المستر واردن كما جاءت في (مختارات بومباي ٢٤ ٣٦٢). ((حوالي عام ١٧١٦ استولت ثلاث جماعات من قبائل العرب يسمون بني صباح وآل جلاهمة وبنو خليفة على موضع في شمال غربي الخليج الفارسي يقال له الكويت وكانت هذه القبائل مدفوعة إلى عملها ذلك بدافع الطموح الشخصي التي وحدتها لتستولي على ذلك المكان، أما بنو صباح فكانوا يخضعون للشيخ سليمان بن أحمد وبنو الجلاهمة لجابر بن عتوبي وبنو خليفة لخليفة بن محمد))

ويقول الأستاذ سعود الجمران. ((صحة نسب خليفة هو خليفة بن محمد بن فيصل آل فاضل حسب الوثائق الموجودة لدي))[4].

ويقول أ.د. عبدالله الغنيم أن السيد واردن لم يكن الوحيد الذي أشار إلى عام ١٧١٦م كبداية لحكم آل صباح بل يشاركه عدد من موظفي حكومة بومباي الإنجليز في ص٢٥ من كتابه تاريخ الكويت الحديث[5].

---

(١) السجل التاريخي للخليج ق.التاريخي م٤ - لوريمر ص١٨٢.

(٢) المصدر السابق ق.الجغرافي م٧ ص٢٥٤

(٣) تاريخ الكويت الحديث لأحمد مصطفى أبو حاكمة، ذات السلاسل ط١ / ١٩٨٤م ص ٢٦

(٤) رحلة عبر الجزيرة العربية للكابتن سادلير تحقيق سعود الجمران ص٢٠٧.

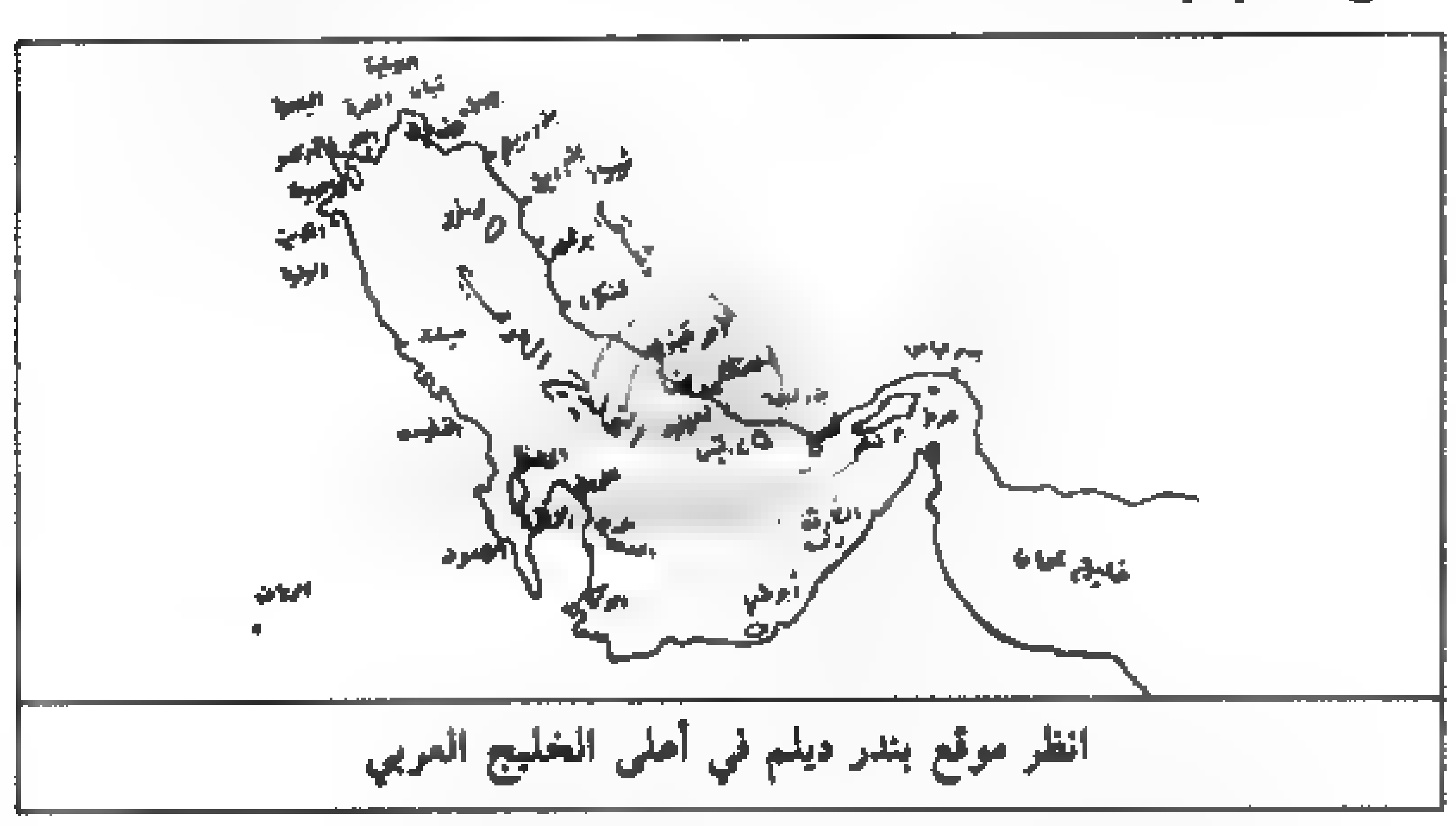
(٥) الكويت.. قراءة في الخرائط التاريخية لـ أ.د. عبدالله يوسف الغنيم ط٤/٢٠٠٦م مركز البحوث والدراسات الكويتية ص٨.

الشيخ صباح شقيق أول حاكم للكويت

وفي كتاب شؤون الكويت ١٨٩٦-١٩٠٤م الذي ألفه ج. ج. سلدانها قال: ((ينتمي شيوخ الكويت إلى أسرة صباح وهم من عرب العتوب، ويبدو أن (رحيم) كان أول من استقر من هذه الأسرة في الكويت، وكان ذلك على الأرجح في أواسط القرن السابع، إذا صدق الكولونيل بيللي في التاريخ الذي يحدده لهذه الاستيطان. أما إذا استندنا إلى تقرير الماجور بروكس السابقة الإشارة إليه الفقرة ٤ فلا يبدو أن ذلك قد تحقق قبل عام ١٧١٦م، وكان شقيق أول شيخ يحمل اسم صباح، وهو الذي قام بتحصين المدينة وأرسى أساس الإمارة الحالية، وقد خلفه في حوالي عام ١٧٦٢م ابنه عبدالله الذي استمر في الحكم ما يزيد على ٥٠ سنة...))(١).

التجمع الرئيسي في الكويت قبل ورود العتوب

قال الدكتور أحمد عبدالعزيز المزيني: ظل العوازم متواجدين في المنطقة حيث انقسموا إلى حاضرة وبادية، فلمّا هاجر العتوب إلى شمال الخليج واستقرّوا في القرين (الكويت) كان العوازم يمثلون التجمع الرئيسي في هذه المنطقة(٢).



انظر موقع بندر ديلم في أعلى الخليج العربي

---

(١) التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك الكبير ج ج. سلدانها د. فتوح عبدالمحسن الخترش ط٢/ ١٩٩٠م ص٢٧.
بعض المصادر التاريخية تذكر أن أول رئيس لآل صباح هو سليمان بن أحمد، وتذكر مصادر أخرى أن أول شيخ للكويت هو رحيم، وتذكر أن الشيخ صباح هو شقيق أول حاكم للكويت، وبناء على ما سبق يكون صباح شقيق لرحيم، ويمكننا الاستدلال على اسم والدهما من خلال بيت شعر يحفظه العتوب يشير إلى أن والد صباح اسمه جابر، وإن كانت المصادر قربتنا من ربط الشيخ صباح بن جابر بالشيخ ويقال أن رحيم مجرد لقب لرئيسهم لرحمته، إلا أن المصادر لم تبين علاقتهما بالشيخ سليمان بن أحمد أول رئيس لآل صباح.

(٢) الكويت والغزو العقلقي ط٢/ ١٩٩١م د.أحمد المزيني ص١٦٧.

(١) صباح الأول(*)

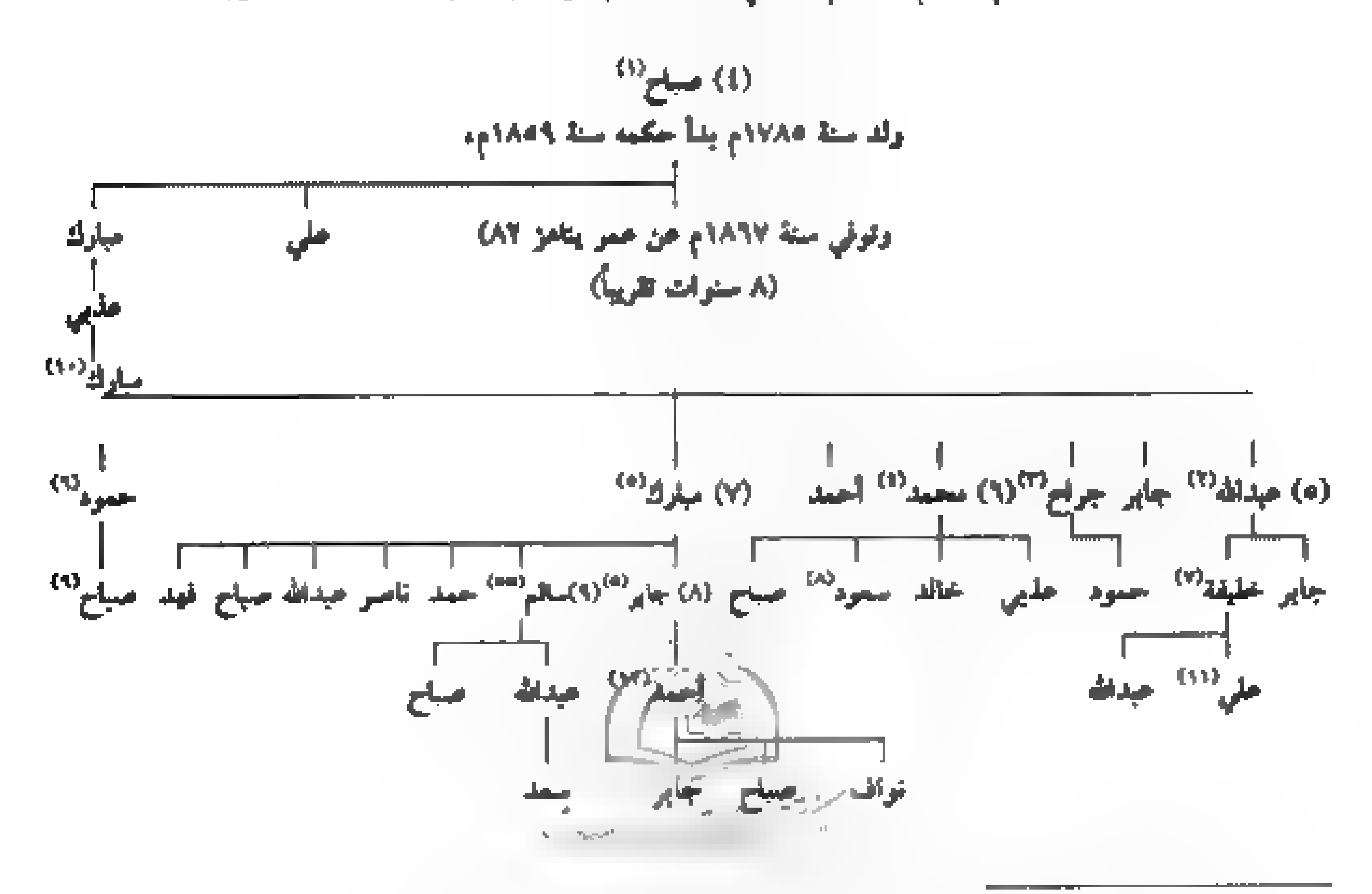
بدأ حكمه في سنة ١٧٥٦م وتوفي سنة ١٧٦٢م (ست سنوات تقريباً)

(٢) عبدالله

تولى الحكم سنة ١٧٦٢م، وكان هو أصغر إخوته، وتوفي ١٨١٤م (٥٢ عاماً تقريباً)

(٣) جابر العيش

ولد سنة ١٧٥٢م وحكم ١٨١٤م، وتوفي سنة ١٨٥٩م عن عمر يناهز ١٠٧) (٤٥عاماً تقريباً)



(*) هذه الشجرة لأسرة آل الصباح لا تشمل إلا من تولى الإمارة منهم أو دخل في تاريخ كتابنا.

(١) تزوج من لؤلؤة ابنة شيخ الزبير محمد الثاقب الذي تولى مشيخة الزبير لأول مرة بعد والده في سنة ١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م، ثم استقر لفترة في الكويت، ثم قتل سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٣٩م وهو شيخاً للزبير، ولؤلؤة هي والدة كل من محمد ومبارك وجراح أبناء الشيخ صباح بن جابر.

(٢) ولد سنة ١٨١٤م، وحكم سنة ١٨٦٦م - وتوفي سنة ١٨٩١م (٢٥ سنة تقريباً)

(٣) ولد سنة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٨م. تزوج من منيرة بنت شيخة، وشيخة هي خالة الشيخ يوسف آل إبراهيم، وأم يوسف هي مريم بنت علي بن محمد آل إبراهيم، تزوجت مريم من عبدالله والد الشيخ يوسف، وتزوجت شيخة من الشيخ علي بن جابر بن عبدالله، وله منها ابنتان منيرة التي ذكرناها، وهيا زوجة الشيخ محمد الصباح.

(٤) الحاكم السادس للكويت من أسرة آل صباح، تولى الحكم سنة ١٨٩١م واشترك أخاه جراحاً معه في الحكم

(٥) الحاكم السابع للكويت تولى الحكم سنة ١٨٩٦م، وقيل هو من مواليد سنة ١٨٣٧م، ولكن الأصح أنه ولد في سنة ١٨٤٤م، وقد نشأ في أحضان جده الشيخ جابر الذي تولى تربيته ورعايته منذ الخامسة من عمره.

(٦) قتل في معركة الصريف.

قيام الكويت كدولة

(١١٣٠هـ) ١٧١٨م في بداية استيطان العتوب للكويت لم تكن الكويت دولة ولكن في هذه السنة تقريباً كما يذكر الدكتور مصطفى النجار: ((اندفع شيوخ الكويت لأن يطلبوا الولاء من الخليفة العثماني عن طريق الوالي العثماني في البصرة، وبذلك قررت الدولة العثمانية سيادة اسمية على الكويت، دون أي تدخل في جانبها في الشؤون المحلية، ويقول لوريمر إن الكويت كان ينظر لها في ذلك الوقت أنها تابعة للبصرة))[1].

ويدل هذا الخبر على أن العتوب أرادوا التخلص من التبعية الخالدية، والاستقلال بحكم الكويت عن طريق التنسيق مع الدولة العثمانية. وبداية تكوّن الدول يستدعي دائماً الانقلاب على السلطة المحلية.

ولأن النجار قد ذكر في قول سابق له أن الكويت قد ((تخذها حكام الإحساء من آل غرير كمقر لحكمهم الصيفي)). وبذلك يتضح أن ارتباط الكويت يكون منسجماً مع إمارات الخليج ولواء نجد، أما إذا كان الخليفة العثماني ربطها إداريًا بالبصرة، فهذه الروابط الإدارية نراها دائماً في تغير مستمر وفي هذا الكتاب أمثله كثيرة على ذلك.

غارة عمانية ناجحة على البحرين

١٧١٨م (١١٣١هـ تقريباً) في هذه السنة: ((قدم عرب مسقط بغارة ناجحة على البحرين لكن إخلاء غالبية الجزر وضع نهاية للاحتلال العماني))[2]، كما أن عرب مسقط استولوا على بعض الجزر الإيرانية ومنها جزيرة قشم بتحريض من الدولة العثمانية[3].

---

(٧) قتل في معركة الصريف.

(٨) حمود بن محمد الابن الثاني للشيخ محمد بعد شقيقه الشيخ جراح بن محمد، ولد بالكويت سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م، وكان أشقاؤه معاداة لعمه الشيخ مبارك وكان أول الخارجين من الكويت بعد مقتل أبيه، ولم يعد بشكل نهائي للكويت إلى أن مات في سنة ١٩٣٣م وسط أملاكه بكوت الزين جنوبي البصرة، ولكنه كان يتردد على الكويت، وقد زوّجه الشيخ مبارك من إحدى بناته، ثم أعطيها بابنته الأخرى موضي وهي أم أبنائه عبدالعزيز ويوسف وناصر وفيصل.

(*) جابر بن مبارك بن صباح ولد سنة ١٨٦٠م

(**) سالم بن مبارك بن صباح ولد في سنة ١٨٧٧م الموافق ١٢٩٥هـ

(٩) قتل في معركة الصريف مع والده حمود بن صباح

(١٠) ولد عام ١٨٤٥م، تزوج من سبيكة بنت الشيخ صباح بن جابر بن عبدالله، ومنيرة بنت الشيخ علي بن جابر، أرملة الشيخ جراح، وتوفي سنة ١٩٤١م بالزبير.

(١١) شارك في معركة حمض.

(١٢) ولد الشيخ أحمد في عام ١٨٨٥م وعندما تولى الإمارة كان عمره ٣٦ عاماً.

(١) مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق ع٣ ١٩٨٠م. البصرة أول قاعدة بحرية للتوسع العثماني في الخليج العربي بقلم: د.مصطفى النجار ص١٠١، عن دكسون في: الكويت وجاراتها وعن لوريمر.

(٢) السجل التاريخي للخليج ق. التاريخي م الأول ص٨٤.

(٣) إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي ٩٠٦هـ إلى ١١٤٨هـ.

شاه إيران يَعدّ لهجوم على مسقط

١٧١٩م في أوائل هذا العام: أبحر أسطول من جوا إلى كونج بإيعاز من شاه فارس بمعاونة البحرية البرتغالية وذلك للقيام بعملية حربية ضد عرب مسقط وعندما سمع الإمام سلطان بن سيف بذلك أعدّ العدة للمواجهة ولكن القدر لم يمهله حيث توفي في نفس العام[١].

وفي هذه السنة (١١٣١هـ): وقع قتال آل طمير وعنزة[٢]. وفيها قصى ابن صويط أرض السبلة[٣].

ثورة سعود بن محمد على موسى بن ربيعة

١١٣٢هـ في هذه السنة ثار أهل الدرعية وعلى رأسهم سعود بن محمد بن مقرن على موسى بن ربيعة ابن وطبان بعد (٢٥) سنة من إمارته على الدرعية، وخلعوه ونفوه إلى العيينة حيث بقي لاجئاً لدى ابن معمر[٤].

١١٣٣هـ في هذه السنة ولد عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٥]، وفيها أخذ شمر للجبل[٦].

مرور حاج الإحساء على العارض

وفي هذه السنة (١١٣٣هـ): ((مر حاج الإحساء على العارض في صفر أميره جبر، ومات على أبي الجعان))[٧]. ويذكر ابن لعبون أن أمير حاج الإحساء الذي مر على العارض في شهر صفر من هذه السنة المذكورة ١١٣٣هـ (١٧٢١م) هو سيف بن جبر[٨]، وأتساءل هل الاثنان واحد؟ أم أن الثاني ابن للأول وأكمل السير بعد وفاة والده على أبي الجعان؟

إجلاء آل عنالق من الإحساء

١١٣٤هـ (١٧٢١م تقريباً) في هذه السنة: ((أجلوا آل عنالق من الإحساء، وفي آخرها مات مبيع بن محمد بن مبيع العوسجي، وقضى سعدون في نجد، وصار برد شديد، وجراد كثير))[٩]

---

(١) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب.مايلز ط٣ ص٢١٤

(٢) ابن ربيعة.

(٣) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج١ تاريخ ابن لعبون ص١٤٨.

(٤) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٦ ص٦٠.

(٥) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ت١٣٤٣هـ ص٩٣

(٦) تاريخ ابن ربيعة.

(٧) تاريخ الفاخري.

(٨) قوافل الحج المارة بالعارض لراشد بن عساكر ط١/٢٠٠٥ الرياض دارة التاج ص٣٥)ابن لعبون، حمد ص١٤٩، مجموعة التواريخ النجدية الفاخري ص١٢١.

(٩) تاريخ الفاخري.

سقوط الدولة الصفوية مؤقتاً على يد الأفغان

فيما بعد شهر أكتوبر ١٧٢٢م (بداية سنة ١١٣٥هـ تقريباً) انتقلت فارس لفترة حكم الأفغانيين السنة[١]، الذين انتهى تمردهم في قندهار البعيدة إلى نصر أوصل المتمردين إلى أبواب العاصمة أصفهان، وسلم الشاه سلطان حسين عاصمته وتاجه لقائد الأفغان المير محمود[٢]. وكان الأتراك قد زحفوا أيضاً على فارس لكي يتقاسموا الغنيمة مع الأفغان[٣]، وسقطت بذلك الأسرة الفارسية، وقتل الشاه حسين الصفوي ومعظم أفراد أسرته، وأصبح الأفغان حكام البلاد حتى عام ١٧٣٠م[٤].

ونعتقد أن هذا الوضع الجديد والتغير في الخارطة الجغرافية والسياسية في العالم ومنها اختفاء الدولة الفارسية الإيرانية تحت الظل الأفغاني سمح بقيام عدة إمارات عربية على سواحل الخليج العربي الشرقية والغربية.

في هذه السنة (١١٣٤هـ). تولّى يحيى بن بركات في مكة[٥]، وفي سنة ١١٣٥هـ تولى حكم مكة الشريف بركات بن يحيى بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن محمد.

وفاة الأمير سعدون بن محمد وصراع آل حميد على الحكم

وفي هذه السنة (١١٣٥هـ): مات الرئيس سعدون بن محمد آل عرير في الجندلية[٦]، وبعد موته تناوخوا آل حميد للبجسة، فكان (علي وسليمان أشقاء سعدون) معهم بعض بني خالد، و(دجين ومنيع) معهم بعض، وأخذهم علي بن محمد وربط ابني أخيه سعدون (دجين ومنيع) وأخذ المضول وتولى في بني خالد[٧].

قال الشيخ العالم منيع بن محمد بن منيف الموسجي الدوسري (ت١١٣٤هـ) قاضي ثادق في مدح الشيخ سعدون:

حمى من ربى هجر إلى ضاحي اللّوى	الى حَشْم رمانٍ إلى النير مجنب
الى العرض والوادي الحميفي مشرق	الى الشام من دار آل عمرو حدودها
الى ما الشعرا وأقمانها من نجودها	وما عن جنوب كل هذا يسودها

---

(١) السجل التاريخي للخليج القسم التاريخي المجلد الأول ص٥٩.

(٢) البدو ج٤ ط٢ تأليف أوبنهايم ومساعديه تحقيق ماجد شبر ص٢٦.

(٣) المصدر السابق ج٣ ط٢ تأليف فرتز كاسكل ومساعديه تحقيق ماجد شبر ص٢٨١.

(٤) نظرة في الخليج العربي لهيفه الربيعي ص١٠٥.

(٥) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج١ تاريخ ابن لعبون ص١٤٩.

(٦) تاريخ الفاخري.

(٧) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج١ تاريخ ابن لعبون ص١٥٠.

وفاة قاضي الكويت ابن فيروز

وفيها (١١٣٥هـ- ١٧٢٣م) توفي محمد بن فيروز الذي تولّى القضاء في الكويت، وذكرت الدكتورة الشيخة ميمونة الصباح أن وفاته كانت في سنة ١٧٢٢م[١].

حكم الشيخ جبارة الجبري لجزيرة البحرين

(في عام ١٧٢٤م (١١٣٦هـ تقريباً) احتل الشيخ جبارة بن ياسر بن منصور بن خالد بن مهنا الجبري جزيرة البحرين وسكن بها مع عائلته، إلا أن الحكومة المركزية احتلت الجزيرة في عام ١٧٣٧م، وقد أصبح آل جبارة بن ياسر عجماً وتكلموا الفارسية وتشيعوا[٢].

هجرة الكثير من بوادي نجد إلى الشمال والشرق

قال ابن عيسى عن أحداث هذه السنة (١١٣٦هـ- ١٧٢٤م): ((عمَّ القحط والغلاء الشام واليمن ونجد وهلك جملة من البوادي وغارت الآبار، وجلو أهل سدير للزبير والبصرة والكويت ولم يبق في العطار إلا ركيتين فيهما ماء، وكذلك بلد العودة لم يبق فيها ماء، وجلا كثير من أهل نجد للعراق والحسا في هذه السنة والتي بعدها، وهلك كثير من بوادي حرب والعمارات من عنزة وبني خالد وغيرهم وقال بعض أدباء سدير قصيدة منها:

غدا الناس أثلاث/ فثلث (شريدة)	يلاوي صليب البين عاري وجايع
وثلث إلى بطن الثرى دفن (ميت)	وثلث إلى الأرياف (جالي) وناجع))[٣]

ويذكر ابن ربيعة أن ابن سويط في هذه السنة قيض بين العراق والشام وذكر أن أنعام البادية نفقت، وأن أكثر الناس مات جوعاً، وأن أكثر أهل نجد قد جلا، وذهبوا حرب والعمارات أي هلكوا وهي ((سنة سحى))

وذكر الفاخري في سنة ١١٣٧هـ أنه ((غلا الزاد في الحرمين حتى لا يوجد ما يباع وأكلت جيف الحمير ومات أكثر حرب وعرب القبلة واشتد المحل والقحط والغلا إلى الغاية ومات كثير من الناس.

ثم قال: وفيها نزل الغيث وكثرت السيول و لخصب والنبات في كل مكان ولم تزل الشدة والموت من الجوع، وفيها ماتت الزروع في كل بلد وغلا الزاد وأكل الجراد ثمار جميع البلدان إلا ما كم من النخيل.

---

(١) جريدة الوطن بقلم د.ميمونة الصباح العدد١٠٧٠٣ - ١٧/١١/٢٠٠٥م

(٢) القوى السياسية في كوت الإحساء - يوسف جعفر ص٧٦.

(٣) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ت١٣٤٣هـ ص٩٦.

وفاة الأمير سعود بن محمد وإمارة زيد بن مرخان

١١٣٧هـ- ١٧٢٥م وفيها مات سعود بن محمد بن سعود بن مقرن رئيس الدرعية وتولّى فيها زيد بن مرخان[١]، ولكن مقرن بن محمد أحد أشقاء الزعيم السابق استولى على السلطة من زيد بن مرخان مما اضطر الأخير للخروج من الدرعية[٢].

وفيها: هزم آل كثير إبراهيم بن عبدالله بن معمر عند الأصيقع وقتلوا عشرين من أتباعه.

إمارة عبدالله بن سعيد ونزوح محسن بن عبدالله ومؤيديه

١١٣٨هـ- ١٧٢٧م في هذه السنة عين عبدالله بن سعيد حاكماً لمكة وبقي في السلطة حتى آخر أيام حياته[٣]، وفيها: اضطر الشريف محسن بن عبدالله بن أبي نمي والأشراف المناصرون له للنزوح إلى نجد إثر خلافهم مع شريف مكة عبدالله بن سعيد بن زيد[٤]، الذي استمر حكمه بنجاح نتيجة سيطرته على القبائل وقد قوي هو نفسه بهذه القبائل عندما حقق انتصاراته في اليمامة في وسط الجزيرة العربية حيث معقل قبيلة الظفير التي هزمها ولم ينجُ منها أحد إلا بعض الأطفال والنساء[٥].

وفاة أقوى زعماء نجد وولاية خرفاش

وفي هذه السنة توفي عبدالله بن محمد بن معمر صاحب العيينة الذي تذكر المصادر التاريخية بأنه أقوى زعماء نجد على الإطلاق في تلك الفترة خاصة في العارض، وخلفه على السلطة حفيده محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر الملقب بـ خرفاش.

وذكر ابن بشر أنه في سنة ١١٣٩هـ انتقل عبدالوهاب أبو محمد إلى بلدة حريملاء بعدما مات عبدالله ابن معمر في الوباء المشهور الذي وقع في العيينة وأصابها.

مقتل مقرن بن محمد وولاية ابن أخيه محمد بن سعود

١١٣٩هـ قال ابن بشر: قتل مقرن بن محمد بن مقرن صاحب الدرعية، قتله ابن أخيه محمد بن سعود بن محمد بن مقرن، وذلك أن مقرن بن محمد لما صالح زيد بن مرخان طلب من زيد أن يأتيه لتمام الاستئناس به والثقة، فخاف وقال: لا آتيك حتى يكفل لي محمد بن سعود، ومقرن بن عبدالله بن مقرن، فكفلا له. فأتاه زيد في جماعة، فهمّ مقرن بقتله، وبدت منه شواهد الغدر، فوثب محمد بن سعود ومقرن

---

(١) تاريخ الفاخري.

(٢) بنو خالد للوهبي ٢٢٩ المراجع: ابن ربيعة والفاخري وابن بشر وابن عيسى وابن بسام.

(٣) حكام مكة لجيرالد دوغوري ط١/ ص١٨٧.

(٤) ابن بسام، تحفة المشتاق - بنو خالد للوهبي.

(٥) حكام مكة لجيرالد دوغوري ط١/ ص١٩١) انظر سنة ١١٤٠هـ معركة الساقي.

ابن عبدالله على مقرن بن محمد وحملا عليه فألقى نفسه من فرجة، واختفى في بيت الخلاء، فأدركوه وقتلوه وردّوا زيداً إلى مكانه.

مقتل زيد بن مرخان أمير الدرعية وولاية محمد بن سعود عليها

سار زيد بن مرخان صاحب الدرعية بقوة كبيرة من أهل الدرعية إلى العيينة ومعه محمد بن سعود ودغيم بن فايز المليحي رئيس بوادي سبيع وسار معه آل كثير وغيرهم، تحدوهم الرغبة إلى الاستيلاء على ثرواتها بعد أن فقدت قوتها المعنوية بوفاة أميرها عبدالله بن معمر.

فبلغ خبرهم محمد بن حمد بن معمر، وعلم أنه لاينجيه إلا الخديعة والمكر، فكتب كتاباً إلى زيد فوافاه وهو في عقربا قرب العيينة يقول فيه: (قد بلغ مسيرك وما عزمت عليه وعلمت أنه ما ساقك إلا الطمع وأنت تعلم أننا لسنا طعمة لأول آكل وفي استطاعت الدفاع عن أنفسنا وأوطاننا إلى آخر نسمة، ولكن نفضل السلم، وأعلم أنه لم يسوقك إلا الطمع فإذا كان الأمر كذلك فما هي الفائدة التي تعود عليك إن جعلتنا طعمة لتلك البوادي، ولكن أعرض عليك أمراً إن قبلته فهو في صالح الجميع وهو أن تترك البوادي والجنود بموضعهما وتقبل إلي مع بعض خواصك ونتفاوض)

فانطلت هذه الحيلة على زيد الذي ذهب إلى ابن معمر، فتلقاهم ابن معمر عند باب القصر وأخذ بيد زيد حتى انتهى إلى الموضع المعد لجلوسه فما استقر فيه حتى استقرت في جوفه رصاصتان كان فيهما حتفه.

فوثب محمد بن سعود ومن معه ودخلوا في موضع من القصر محصروا فيه وحصل بينهم مجادلة قتل فيها موسى بن ربيعة أمير الدرعية السابق وكان جالياً عند ابن معمر بعد إخراجه، ولم يقبلوا النزول من القصر إلا بأمان عمته الجوهرة بنت عبدالله[(1)].

علاقة الافغان حكام إيران بالأوروبيين

الرئيس الأفغاني الذي حكم إيران بعد إسقاط الأسرة الصفوية حاولت القوى الأجنبية في المنطقة أن تتفاهم معه لتعيد العلاقات والاتفاقيات التجارية التي تربط بينها وبين بلاد فارس إلى حيز العمل فرحّب الرئيس الأفغاني بالوفد الهولندي وأحسن استقباله، وفي نفس الوقت رفض استقبال رئيس الوكالة الإنجليزية.

وبعد مضي فترة من الوقت اكتشف أن الهولنديين استغلوا ظروف حربه مع الصفويين وأنهم باعوا في فترة الحصار بضائعهم بأغلى الأسعار، فأرسل فوراً مبعوثاً إلى شركة الهند الشرقية الهولندية مطالباً بمبلغ ضخم من المال، وهدد أنه سيقطع رأس مدير الوكالة الهولندية وكافّة الموظفين في حالة الرفض، فردّ عليه رئيس الوكالة الهولندية بأن الشركة قوية لدرجة تستطيع الانتقام لموته وأن التهديد لن يخيفهم، فأصر المبعوث الأفغاني على تقديم ٤٠ ألف تومان خلال يومين وهددهم قائلاً: ((إذا لم تدفع فسوف

---

(١) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٦ ص ٥٣.

ترون كيف أن رؤوسكم متدلي على ظهوركم))، وأمام هذه القوة الأفغانية التي عامل بها الأفغانيون الهولنديين اضطر الأخيرون أن يدفعوا المبلغ المذكور في موعده بعد أن حطّم الأفغان مبنى الوكالة الهولندية عام ١٧٢٦م / ١١٣٩هـ[١].

حرب الشريف محسن مع آل حبشي وابن سويط مع دجيني والمنتفق

وفي هذه السنة (١١٣٩هـ): ((أخذ الشريف محسن بن عبدالله آل حبشي عند المجمعة، ثم تصالحوا وغدر به هو وابن حلاف. وفي آخرها حدر ابن سويط ومعه دجيني ومعه المنتفق، وحصروا علي ابن محمد آل غرير في الحسا وقتل بينهم رجال كثيرون، ونهب ابن سويط القرايا، وقتلهم، ثم إنهم صالحوه ورجعوا))[٢].

وقعة الساقي

١١٤٠هـ في هذه السنة كان مسير الشريف محسن بن عبدالله بن أبي نميّ ومعه تحالف قبلي يضم عدوان وعنزة والحجاز وغيرهم لقتال الظفير والعوازم وبني حسين، فناوخ حمود، وكنعان أخوه، وابن حبشي، وابن حلاف والذين معه من آل سعيد، وآل ظفير على ساقي الخرج المعروف، وأقاموا عليه شهراً متناوخين.

نوخ ابن صويط القرايا ونوخ الشريف ابن حلاف وابن حبشي أقاموا ثلاثين يوماً، وبعد شهر من القتال لم يستطع أحد من الطرفين حسم الأمر لصالحه، عندئذٍ استنجد الشريف محسن بحاكم الإحساء علي بن محمد آل حميد الخالدي وظهر عليهم علي آل محمد من الحسا بجرود وعسكر كثير وأخذهم جميعهم وانهزم لآل ظفير سبعين فرساً وركاب ودبش، وأخذهم محمد بن فارس راعي منفوحة ثم أخذهم الطيار في العرمة ولا لهم شريدة، وهذه وقعة الساقي المشهورة على صقر بن حلاف والذين معه[٣].

يقول الوهبي: حين تحدث الرضي (الدولة الحسينية) عن تلك الحادثة لقب الشريف محسن بصاحب نجد وأسهب في وصف شجاعته وقلة عدد قواته بالرغم من قوة خصومه الظفير وبني حسين ومن معهم من القبائل ثم ذكر انتصار الشريف بعد خمسة أسابيع من القتال الضاري، وبالغ في وصف ما حل بخصومه من الخسائر، ولم يشر إلى استعانة الشريف برعيم بني خالد على الإطلاق، بينما لقب ابن بشر الشريف محسن بن عبدالله عند ذكر تلك الحادثة برئيس مكة[٤].

مطاردة الطيار شيخ عنزة للظفير من العرمة إلى الرياض

بعد الهزيمة التي حلت بالظفير في معركة الساقي تعرضت أيضاً وهي في العارض لهجوم الطيّار

---

(١) غزاة في الخليج العربي لهيلة الربيعي ص١٠٦.

(٢) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج١ تاريخ ابن لعبون ص١٥٣.

(٣) المصدر السابق ص١٥٣، وانظر. تاريخ الفاخري، وتاريخ ابن عباد، وبنو خالد للوهبي نقلاً عن ابن بسام.

(٤) بنو خالد للوهبي

زعيم قبائل عنزة الذي استطاع أن يلحق بها العديد من الخسائر، ولجأت بعض فلولها المنهزمة إلى الرياض، حيث تحصنت فيها، وبالمقابل اتجهت عنزة إلى بلدة منفوحة حيث استمرت المناوشات ويبدو أن الرياض التي كانت في حالة صداقة مع الدرعية ليست على علاقة حسنة ببني خالد، أو على الأقل حلفائهم عنزة إذ ناصرت الظفير عكس منفوحة.

لم تسفر مناوشات منفوحة – الرياض عن نتيجة بل حدث التذمر بين أهالي منفوحة من رجال عنزة فانسحبت عنزة إلى الإحساء حيث تزودت باحتياجاتها من الأطعمة ثم غادرت بصحبة علي بن محمد آل حميد حليفها التقليدي إلى الشمال. ويبدو أن الزعيم الخالدي لم يزل على موقفه من قبيلة الظفير[1].

نزول أفراد من قبيلة العوازم في منطقة القريات

بدون تاريخ: يبدو أنه بعد الأحداث التي ألمّت بقبيلة العوازم في معركة الساقي جراء وقوفهم إلى جانب قبيلة الظفير في محاربتها لقطبي الحكم في الجزيرة العربية الشرقي والغربي، نزح أفراد منهم بعامل الضغط العسكري باتجاه الشمال حيث نزل بعضهم في جماجم والقريات، وكان من بينهم **عودة العازمي**[2]، الذي يذكر أحفاده بأنه جاء إلى النبك (القريات حالياً) قريباً من هذه السنين قادماً من نجد، وذكروا أن قبره رحمه الله معروف بها إلى الآن.

ولاية محمد بن عبدالله بن سعيد على مكة المكرمة

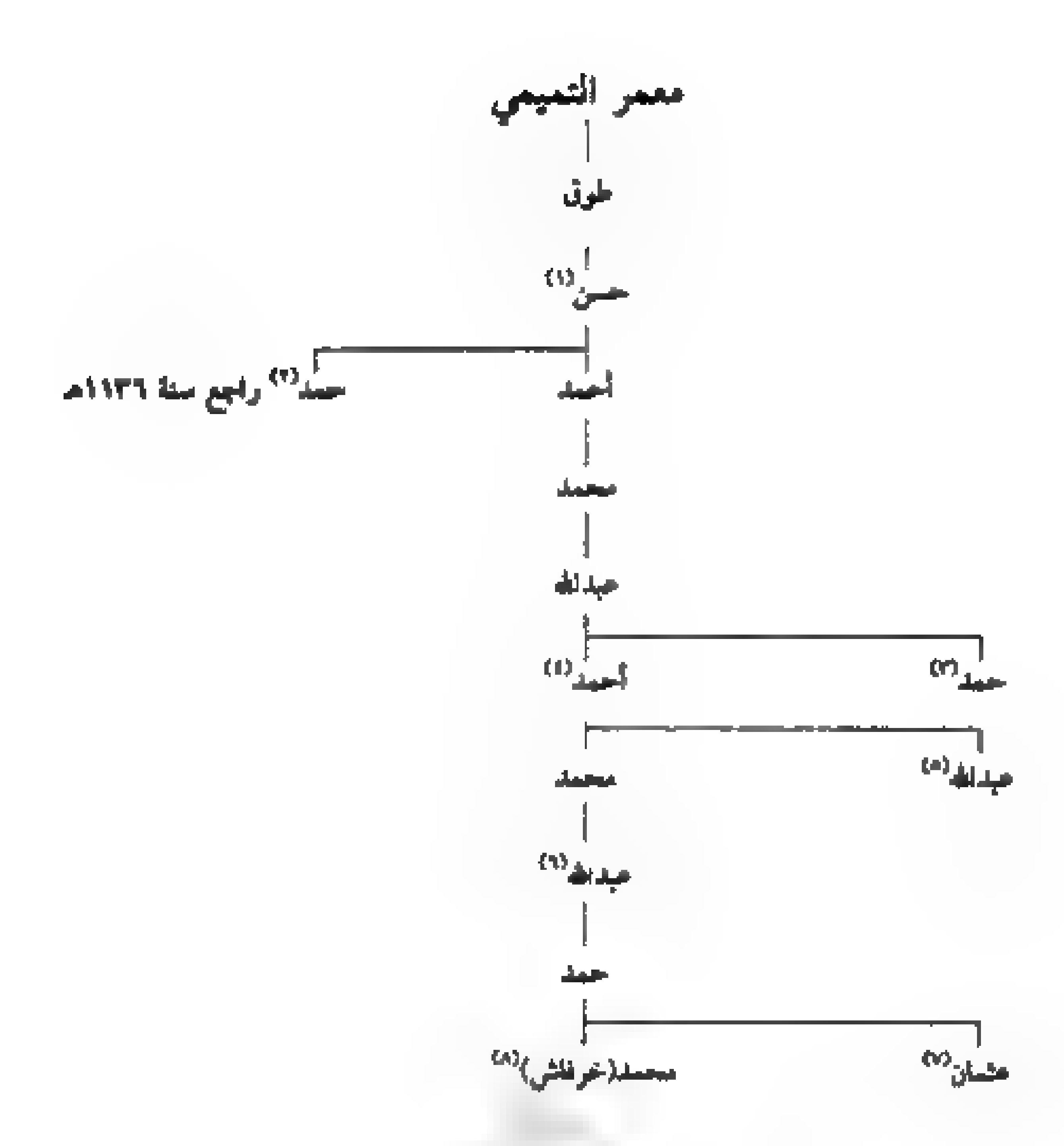
١٧٣٠م في هذه السنة توفي حاكم مكة الشريف عبدالله بن سعيد، فتولى الحكم بعده ابنه محمد الذي يبلغ من العمر عشرين عاماً وكان في اليمن حيث يقيم هناك، ولكن عمه وأخاه حاولا ونجحا في محاولتهما في إقناع القاضي كي يعلن محمد خليفة بعد أبيه. ثم تقدم عمه متطوعاً أن يكون وزيراً للحاكم واسمه مسعود بن سعيد[3].

---

(١) بنو خالد وعلاقتهم بنجد لعبدالكريم الوهبي.

(٢) عودة هو الجد السابع للشيخ ولمان العازمي كفيل قبيلة العوازم بمنطقة القريات، الذي حظي بمقابلة جلالة المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز آل سعود في عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) وكان له الفضل بعد الله في أن تكون هجرة جماجم لقبيلة العوازم خاصة، والشيخ ولمان هو ابن عقلة بن مطلق بن عبدالله بن حمدي بن فريح بن عودة بن عاقل الهدلاني العازمي.

(٣) حكام مكة ط١/ ص١٩٢.



---

(١) ٨٥٠هـ أجلى العطيان من ملهم، في تحفة المشتاق: توفي سنة٨٦٥هـ.

(٢) لجأ إليه ربيعة بن مانع فارًا من ولده موسى الذي زمنه ٩١٥تقريباً.

(٣) ١٠٤٥هـ باع حريملاء لآل أبي رباع.

(٤) في سنة ١٠٥٢هـ أخرج زميران من أم حمار فذهب زميران قريباً من القصب بجوار خاله جبر وبدأ بمكاتبة الشريف زيد.

(٥) ١٠٧٠ - ١٠٩٦هـ.

(٦) في سنة ١٠٩٦هـ تولى العيينة. وقد هجاه الشريعر. وفي سنة ١١٣٩هـ هاجمه آل كثير.

(٧) قتل١١٦٣-١٧٥٠ ويذكر أنه وقف مع ابن عبدالوهاب.

(٨) تولى الحكم بعد جده، وفي سنة ١١٤٢ قتله آل ثبهان.

مقتل خرفاش شيخ العيينة

وفي هذه السنة (١١٤٢هـ- ١٧٣٠م) قتل حرفاش شيخ العيينة واسمه محمد بن حمد بن عبدالله، قتله آل نبهان من آل كثير، وتولى بعده أخوه عثمان بن حمد[١].

هجوم أمير جلاجل وابن سويط على بلد التويم

١١٤٢هـ في هذه السنة: ((سار راعي جلاجل وشهيل بن سويط والظفير على التويم وأخذوه، وفعلوا به ما فعلوا، والذي قادهم عليه عبدالله بن حمد بن عوار، لأنه جلوي وشيخ التويم يومئذٍ ابن عمه مفيز بن حسين بن مفيز بن زامل فهرب وتولى عبدالله المذكور))[٢].

مقتل أمير الإحساء ووفاة والي مكة المكرمة

١١٤٣هـ يبدو أن قبيلة الظفير لم تغفر لقبيلة عنزة ذلك الهجوم الذي تعرضت له في العام الفائت في العارض، فقد ((تواقع ابن سويط هو وعنزة على ثمة وأخذهم ابن سويط وفيها قتل سليمان آل محمد ابن أخيه دجين بن سعدون. وفيها مات عبدالله والي مكة وتولى ابنه محمد))[٣].

مقتل شيخ الظفير شهيل بن سويط

١١٤٤هـ- ١٧٣١م وفي هذه السنة ثأرت عنزة لنفسها من الظفير، وقتلت شهيل بن سلامة بن سويط بعد معركة بينهم[٤]، ويذكر ابن ربيعة أحد ابن سويط المسمى في سنة ١١٤٥هـ، ومناوحته لعنزة وقتله على أيديهم.

مقتل أمير الرياض زيد ابي زرعة على يد قبيلة عنزة

١١٤٦هـ قتل زيد أبي زرعة رئيس بلد الرياض على يد قبيلة عنزة في وقعة بينهم هم وأهل الرياض، وتولى في بلد الرياض عبد آل زرعة خُمَيِّس[٥]، وفيما مضى عدمنا أن الرياض كانت تقف دائماً بصف الظفير ضد عنزة، والظاهر أن قتل أبا زرعة على يد عنزة جاء ثأراً من موقفه المنحاز ضدهم.

---

(١) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج١ تاريخ ابن لعبون ص١٥٤.

(٢) تاريخ الفاخري

(٣) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج١ تاريخ ابن لعبون ص١٥٥.

(٤) بنو خالد للوهبي ص ٢٢٨.

(٥) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ت١٣٤٣هـ ص١٠٣.

اتفاق عدة قبائل على الاشتراك في بعض الأراضي

١١٤٦هـ قال الفاخري: ((حصل خطيطه من بيان إلى الوشم إلى الدجاني واجتمعوا فيها البوادي بني خالد وعنزة ومطير وعتيبة وسبيع ورعب وبني حسين وذلك أنه قلّ الحياء وصار ما سواها محل)).

التوالي على منصب الإمارة في بني كعب ودخولهم تحت النفوذ الفارسي

في سنة ١١٤٦هـ ١٧٣٣م ثار محمد خان بلوج وتحت لوائه أعراب تستر والأحواز ونهض الكعبيون بوجهه واتجهوا إلى الدورق، فهبط نادر شاه الأحواز من أجل ذلك وبعث (محمد خان القاجاري) لإخضاع آل كثير وبني كعب فحاصر جيش كعب وأعادها من جديد لحكمه بعد أن ظلت تحت حكم ولاة البصرة ١٤٠ عاماً.

وفي هذه السنة قتل الشيخ فرج الله بن عبدالله (١١٣٥-١١٤٦هـ) الذي كان متولياً إمارة بني كعب، حيث وقع في زمانه حصار (أمبان) وكان محاصرهم محمد حسين خان القاجاري وعدد عسكره ثلاثون ألفاً من العجم والأكراد، وذبحوهم كعب وهم يومئذ كانوا في القبان، وقتل فرج الله بنهر عمر، وقد كان قازع لنمش باشا متسلم البصرة على محمد المانع شيخ المنتفج وقتلوه، ثم قتل محمد المانع وصارت وقعة كبيرة من الطرفين في سنة ١١٤٧هـ.

ظل الكعبيون ضمن الدولة القاجارية يتظاهرون بالولاء لها إلا أنهم كانوا يساعدون حكام البصرة باسم الجوار.

وبعد أن قتل الشيخ فرج الله، استغل العثمانيون الفرصة لتعيين خليفة له، فحكم طهماز بن جعفر بن ناصر (١١٤٦-١١٥٠هـ) لمدة سنة واحدة، وفي السنة الثانية تشارك مع سلمان وعثمان وقتل طهماز في سنة ١١٥٠هـ وحكم بندر بن طهماز شهرين وقتل، وقتله سلمان وعثمان ووقع في زمانهم حصار البصرة الأولى وهم فراعة للعجم والسردال قوجا خان وسلمان أخذ كوت فردلان من أمر العجم في شهر رجب ١١٥٥هـ[1].

مقتل محمد بن مانع الشبيبي وترؤس ابنه سعدون

في عام ١١٤٧هـ ((قتل الروم (الأتراك) محمد المانع الشبيبي[2]، وفي عام ١٧٣٧م (١١٤٩-١١٥٠) أعلن سعدون بن محمد بن مانع رئاسته على المنتفق دون أن يستأذن وزير بغداد[3].

وقد كانت قبائل المنتفق هادئة نوعاً ما منذ عام ١٧٢٩م (١١٤١هـ تقريباً) إلى أن ظهر زعيمهم

---

(١) تاريخ إمارة كعب، كتاب يعود تاريخه إلى سنة ١٢٧٠هـ حققه علي نعمة الحلو ١٩٦٨م النجف الأشرف ص١٣، ٣٣.

(٢) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٣ تاريخ الفاخري ص٩٥.

(٣) راجع: إمارة المنتفق للدكتور حميد السعدون ص٩٧.

العظيم سعدون، ((وقد عثرنا على اسمه في التواريخ أول مرة في ١٧٣٨م- ٣٩ عند حضوره اجتماعاً للشيوخ عقد بدعوة من الكهية في الحسكة، فسلم كل الشيوخ هدية ولطفوا بالحديث، عدا سعدون الذي أوقف وأخذ مخفوراً إلى قلعة بغداد جزاء لطموحه لعداثي الذي كان يرمي لسلطة العرب وعين أحد أقربائه المدعو منيخر. ثم سرح سعدون بعد ذلك ورجع لمشيخته بعد أن أخذت منه التعهدات الشديدة))[1].

الحملة الإيرانية لاحتلال البحرين بمساعدة المطاريش

ذكرنا أن البحرين في سنة ١٧٢٤م قد خضعت لحكم جبارة الجبري، إلا أنها في سنة ١٧٣٦م تعرضت لحملة إيرانية وجّهها إليها نادر شاه مدعومة بالقوات العربية البحرية النازلة على الساحل الفارسي وهم عرب بوشهر من المطاريش[2]، ثم عرب الهولة.

ويبدو أن نادر شاه قد أدرك أن حكم البحرين لا يمكن أن يستتب إلا بتولية حاكم عربي عليها وليس فارسي الأصل، ومن هنا جاء تعيين الشيخ (عيث) ثم الشيخ (ناصر آل مذكور) من عرب المطاريش على البحرين.

وقد استمرت سلطة المطاريش على البحرين قائمة منذ ذلك التاريخ حتى عام ١٧٨٢م حين انتزع العتوب السيادة على البحرين من الإيرانيين، أو بصفة أدق من الذين كانوا يحكمونها باسم شاه إيران وهم عرب المطاريش الذين كانت لهم السيطرة على بوشهر أيضاً والمناطق المجاورة لها[3].

((وخلال عام ١٧٣٨م تحالف بنو خالد مع الهولة (وهو تحالف غير مألوف لأعداء تقليديين) للهجوم على البحرين وفشل الهجوم، ولكن الأعمال العدوانية استمرت بين بني خالد والفرس ولم يستطع نادر شاه أن يبعث روح الولاء في رجال قبائل الهولة الذين تولوا أمر أسطوله))[4].

اتفاق محمد بن عبدالوهاب مع ابن معمر

١١٥٠هـ في آخر هذه السنة التجأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عثمان بن معمر التميمي بالعيينة، فاتفقا على إقامة الدين وقد تزوج محمد بن عبدالوهاب الجوهرة بنت عبدالله بن معمر أيام عثمان ابن حمد بن معمر.

---

(١) أربعة قرون من تاريخ العراق: لونكريك ص١٥٤.

(٢) جاء حكم عرب المطاريش للبحرين بعد ثلاثة عشر عاماً من حكم الشيخ الجبري لها. ثم إنه بعد خمس سنين من الاحتلال الفارسي أي في سنة ١٧٤١م هاجر عرب الهولة من البحرين. راجع (أبوحاكمة محاضرات في شرقي الجزيرة العربية.. ص ١٦٣).

(٣) أبو حاكمة محاضرات في شرقي الجزيرة العربية ص ٤٣.

(٤) نشأة الكويت تأليف ب.ج.سلوت ص١١٨.

استيلاء دهام بن دواس على الرياض

كان آل دواس يحكمون بلدة منفوحة، ولكن بحدود سنة ١١٤٣هـ تقريباً توفي دواس بن عبدالله بن شعلان(*) بعد حكم دام خمسين سنة، فتولى الحكم بعده ابنه محمد، الذي ما لبث أن خرج عليه ابن عمه زامل بن فارس بن عبدالله ومعه أهل البلد فقتلوه، وقاموا بنفس الوقت بإجلاء بقية ذرية آل دواس لسوء أثرهم وأعمالهم في أهل البلد وهم دهام بن دواس وإخوانه عبدالله ومشلب وتركي وفهد وسعدون وشعلان، فنزلوا الرياض واستوطنوها وكانوا أصهاراً لأميرها زيد بن موسى آل زرعة[1].

وكما ذكرنا فإنه في سنة ١١٤٦هـ قتل أمير الرياض زيد بن موسى أبا زرعة، ليتولى الحكم في بلد الرياض خُميس مملوك آل أبي زرعة، وكان آل دواس موجودين في الرياض.

ولكن في سنة ١١٥١هـ قام أهل الرياض ومعهم دهام بن دواس في الرياض ضد المملوك خُميّس بعد أن بدت منه أمور غير مرضية، وتمكنوا من إخراجه من البلد، ثم قال دهام لأهل الرياض: أنا الذي أقوم في الولاية حتى يكبر ابن أختي، فإذا كبر عزلت نفسي، فلمّا استوثق في الولاية وكثرت أعوانه أخرج ولد زيد بن أبي زرعة من الرياض واستولى عليها[2].

خروج الشيخ محمد بن عبدالوهاب من نجد إلى البصرة

١١٥٣هـ: قال في لمع الشهاب ((خرج محمد بن عبدالوهاب من أرض نجد قاصداً البصرة فحين دخلها أخفى أمره مما هو فيه من العلم وتلبس بثياب العبادلة وجلس في مسجد محلة المجموعة مع أبناء السبيل يترزق من الناس شيئاً بمونه وقيل إن بعض من أهل نجد صادفه فعرفوه فأنكرهم لما سألوه عن حاله ومنزله وكانوا يتحدثون فيه في مجالس أهل البصرة فرفعوا خبره إلى الحاكم عمر آغا فأخذ يتحدث معه ويبدي له محبة وإكراماً فرآه رجلاً فهيماً عاقلاً فهياً له مكاناً ومؤنة ورغب كثيراً من أهل البصرة بصحبته حتى قيل إنه من شدة ازدحام الناس عليه كان يُنصب له كرسي فوق الجماعة تحدق به)).

ثورة المنتفق ومقتل الأمير سعدون الشبيب

١٧٣٩م (١١٥٣هـ تقريباً) قاد الأمير سعدون قبيلة المنتفق في ثورة عارمة خلخلت نظام الدولة مجدداً وطرحت فكرة الاستقلال بعد أن التف حول المنتفق العديد من العشائر والقبائل من خارج اتحادها

(*) يذكر المصدر الذي نقلنا عنه هذا الخبر وهو تاريخ اليمامة لابن خميس أن دواس بن عبدالله قتل سنة ١١٥٣هـ، وأن بقية ذريته بعد ذلك ذهبوا إلى الرياض لاجئين عند أميرها زيد بن موسى أبا زرعة، والمعروف أن زيد هذا قتل سنة ١١٤٦هـ، كما أن المصادر تذكر استيلاء دهام بن دواس على حكم الرياض في سنة ١١٥١هـ، لذا أظن أن حادثة مقتل دواس ولجوء بقية ذريته إلى الرياض كان في سنة ١١٤٣هـ وليس في سنة ١١٥٣هـ والله أعلم.

(١) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٦ ص ٥٥ نقله عن تاريخ مقبل الذكير.

(٢) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ص١٠٤.

القبائلي فنفذت ثورة واسعة لم تقتصر آثارها عند حدود ديرة المنتفق[1]، وفي السنة التالية ١١٥٤هـ تمكن الأتراك من المنتفق وقتلوا رئيسهم سعدون بن محمد المانع الشبيب[2].

في عام ١٧٣٨م غزا نادر شاه بقواته البحرية عمان مستغلاً الطلب الذي قدّمه إمام عمان (سيف بن سلطان) ضد منافسيه، ولم يتردد الهولنديون في تقديم المساعدة عندما طلبها منهم نادر شاه عام ١٧٣٩م - ١٧٤٠م في القضاء على ثورة البحارة العرب الذين منعهم شعورهم القومي وانتماؤهم العربي من محاربة أبناء جلدتهم رغم خضوعهم للسيطرة الفارسية وعملهم تحت راية أسطول نادر شاه[3].

بداية دولة البو سعيد في عمان

بدأ الحكم البوسعيدي الذي يعود إلى أحمد بن سعيد[*] في مسقط وعمان في عام ١١٥٤هـ-١٧٤١م خلفاً لحكم اليعاربة[4].

ومع بداية دولته ظهرت قوتان سياسيتان جديدتان على ساحل عمان استقلتا عن الدولة، الأولى قوة بحرية تتألف من حلف قبائل يتزعمهم القواسم، وكان مقرهم رأس الخيمة ويمتد نفوذهم على الساحل حتى الشارقة.

والثانية قوة برية تتألف من قبيلة بني ياس وحلفائها من القبائل ويتزعمهم آل نهيان ومقرهم الظفرة ومدينة أبو ظبي ويمتد نفوذهم على طول ساحل عمان من دبي حتى حدود قطر[5].

وقد اختلف كثيراً في المقر الأول الذي هاجرت منه قبيلة القواسم إلى ساحل عمان، وهذا بعض ما قيل في نسب قبيلة القواسم[6]:

قالت تقارير حكومة بومباي إنهم عرب من نجد عاشوا في الصير كقبيلة مستقلة.

وذكر مايلز أن القواسم من عرب ساحل إيران وأن مقرهم من جمبرون (بندر عباس) حتى رأس بردستان مطر.

ويتفق رأي مايلز إلى حد ما مع رأي الطبيب الإيطالي موريزي الذي عمل في خدمة حاكم مسقط أوائل القرن التاسع عشر إذ قال إن القواسم عرب رحل يعيش بعضهم على ساحل إيران.

---

(١) راجع: إمارة المنتفق للدكتور حميد السعدون ص١٠١.

(٢) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٣ تاريخ الفاخري ص٩٦.

(٣) غزاة في الخليج العربي لهيفاء الربيعي ص١١٠.

(٤) أبوحاكمة: محاضرات في شرقي الجزيرة العربية.

(٥) إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى د.محمد مرسي عبدالله القاهرة ١٩٧٨ المكتب المصري الحديث ج١ ص٩٠.

(٦) راجع: (إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى د.محمد مرسي عبدالله القاهرة ١٩٧٨ المكتب المصري الحديث ج١ ص٩٠.

أما لوريمر فقد ذكر ان القواسم ينسبون أنفسهم للأشراف في الحجاز.

قال المؤرخ العماني ابن رزيق كاتب سيرة ابوسعيد أثناء عدائهم مع القواسم، وهو يسرد الصراع بين محمد بن ناصر الغافري وخلف بن مبارك الهنائي. «ووصل رحمة بن مطر الهولي بقوة خمسة آلاف من بدو وحضر، وفيهم من لا يعرف العربية ولا يعرف صديقاً من عدو».

بينما يرجعهم الشيخ سالم بن حمود السيابي إلى القائد العربي قاسم بن شعوة المزني الذي أرسله الحجاج عامل بني أمية إلى عمان لإخضاعها «القواسم في عمان هم من نسل القاسم بن شعوة المذكور وانتشروا في عمان خصوصاً في سواحلها ولعلهم اتخذوا الجصة متفائلين بها في ذلك العهد ومنهم زعماء الشارقة ورأس الخيمة وتوابعها».

رحيل محمد بن عبدالوهاب من البصرة إلى بغداد

١١٥٥هـ وفيها سار محمد بن عبدالوهاب من البصرة إلى بغداد متخفياً لم يعلم به أحد، وتزوج منهم امرأة ذات مال وجمال، فلبث عندهم (٣سنوات)، وقد ماتت زوجته، فقيل إنه ورث منها مقدار (٢٠٠٠دينار)، (يقول مؤلف كتاب لمع الشهاب) إنه من عجيب أمره أنه كان يغير اسمه في كل بلد ويتخذ التورية والإبهام.

حصار طهماز شاه للبصرة وبغداد ونهبه للكويت

١١٥٥هـ وفيها سار طهمار شاه إلى البصرة وحاصرها الحصار المشهور، وحاصر بغداد ونهب الكويت[1]، وشارك زعيم كعب الشيخ سلمان البوناصر في الحصار الذي فرضه الفرس على البصرة[2]، وابن عياد يجعل هذا الخبر في حوادث سنة ١١٥٨هـ.

وفي هذه السنة كان أول ذكر عربي للعتوب وهي سنة ١٧٤٢م (١١٥٥هـ) حيث أشار القنصل الفرنسي في البصرة جا أوتر إلى اسمهم دون ذكر لموقعهم في نصه التالي:

«قام العرب الهولة وبنو العتوب بثورة ضد تماس خان (نادر شاه)، فبناء على أوامر منه أخذت قواربهم لمهمة سرية وجهزت سبع سفن لهذا الغرض، وقد عامل مير علي خان الذي تولى قيادة الأسطول العرب بغلظة فقتلوه واستولوا على بعض سفنه وهربوا».

وفي موضع آخر من كتاب أوتر ترد إشارة قصيرة إلى أن العتوب بالاشتراك مع رجال قبائل الهولة في منطقة الخليج ذهبوا إلى البصرة لبيع اللؤلؤ هناك[3].

---

(١) تاريخ الفاخري، وابن عياد.

(٢) البدو ج٤ ط٢ تأليف أوبنهايم ومساعديه ص٨٥

(٣) نشأة الكويت تأليف ب.ج.سلوت ص١١٩.

اكتيال الظفير من البصرة وإقامتهم في ناحية العراق

في سنة ١١٥٦هـ ارتحل الظفير من نجد واكتالوا من البصرة، وأقاموا في ناحية العراق، وفي السنة التي تلتها أخذوا قوافل عنزة على رماح وقتل عدة رجال.

خروج الشيخ من العيينة إلى الدرعية

بعد أن اكتسب الشيخ محمد بن عبدالوهاب المعارف والعلوم وبدأ بنشر أفكاره وتطبيقها على أرض الواقع واختار العيينة لتكون نقطة الانطلاقة لحركته التصحيحية، جاءت الدر من أمير الإحساء الذي أمر بإخراجه، فيقول المؤرخ حسن الشيخ خزعل «وما كاد ينتشر الخبر عما طلبه أمير الإحساء حتى سمع به سليمان بن شامس العنيزي رئيس القبائل البدوية القاطنة في أطراف العيينة فاغتنم هذه الفرصة وأرسل إلى كبار أهل العيينة من تميم وغيرهم يحذرهم من متابعة الشيخ وينصحهم بإخراجه من مدينتهم ويتهددهم بغزو المدينة إذا لم ينصاعوا لنصحه ومما جاء بتهديده (إن هذا الأمر حدث عندكم وقد أخرجه العالم منكم فإياكم ومتابعته ولا تجعلوا له مسكناً ولا مأوى في بلدكم فإن بلغني عنكم إيواءه وإكرامه لأركبن عليكم بفرسان ورجال ولأجولن عليكم بعنزة كلها)، وقال بقية أهل العيينة لبعض: (يجب علينا الامتثال لوصية سليمان بن شامس فإن عنزة قوم ذو حرب وصولة ونحن لا نبلغ معاشرهم لا رجالاً ولا مالاً وإن ما دعانا إليه سليمان حق)» فخرج الشيخ وكان ذلك عام ١١٥٨هـ- ١٧٤٥م[1].

طلب الأمير عثمان بن معمر من الشيخ محمد بن عبدالوهاب مغادرة العيينة بعد أن تعرض لضغوط داخلية وخارجية، فأركبه مع الفارس الفريد الظفيري وخيالة مقدمهم طوالة الحمراني وأمرهم بإيصاله إلى ما يريد[2]، فاختار الشيخ الدرعية وتوجه إليها حيث فيها أعوان وأنصار «ونزل هنالك ضيفاً على تلميذه أحمد بن سويلم العريني، وسرعان ما وصل خبره إلى أمير الدرعية[*] محمد بن سعود عن طريق أخويه

---

(١) تاريخ الجزيرة العربية لحسن خلف الشيخ خزعل

(٢) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج٣ ص٦٤٩.

(*) عن ملخص مسيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من بدايته الدراسية إلى أن استقر عند ابن سعود يأتي على ما قاله سليمان فائق بك في مرآة الزوراء: ((هبط على (دمشق) رجل يسمى عبدالوهاب، وأخذ يدرس العلوم الدينية على المذهب الحنبلي، وبسبب بعض اعتراضاته الغريبة على شيخه، مفتي الحنابلة، فقد نفر منه الشيخ المذكور، ومنعه من الحضور لمجلسه، أو تلقي الدرس عنده. وعندئذٍ توجه نحو (نابلس) وهناك أيضاً تعرض لكراهية العلماء، ونفروا منه لتطرفه، فولى وجهه تلقاء (بغداد)، ومنها سافر إلى قرية (الشنافية) التابعة لقائمقامية الديوانية. وبما أن سكان هذه من الذين يقلدون علماء الشيعة ويتعصبون لهذا المذهب، وأن سلوكه وتصرفاته ونظرياته تختلف تماماً عن تعاليم هذه الطائفة، فقد أجمعوا على قتله والتخلص من البدع التي حاول بثها بينهم ولكنه فر من بين أيديهم وسافر إلى (البصرة)، ولما أعياه الاستقرار هناك أيضاً، اتخذ طريقه إلى (نجد).

وفي نجد بالنظر للجهل الضارب أطنابه على سكانها، فقد آووه والتمسوا من أحد أمرائهم أن يكون في عونه، إلا أن الأمير المذكور لم يوافق على بقائه بينهم، فالتجأ إلى شيخ إحدى قرى الدرعية المسماة (جزعة) وهي تتكون من =

مشاري وثنيان وزوجته موضي بنت أبي وهطان التي طلبت من الأمير محمد بن سعود أن يقدر هذا الكنز الذي ساقته إليه العناية الإلهية[1]، فقام بعض أهل الدرعية بزيارته خفية فقرأ لهم التوحيد فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود فهابوا وأبوا فتم تبليغه عن طريق زوجته وأخيه[2].

قال صاحب كتاب لمع الشهاب. أتوا الوادي وهي قرية لمحمد بن سعود وكان جملة من فيه من السكنى (٧٠بيتاً) وهو الموضع الذي يسمى الآن الدرعية فجاء إليه محمد بن سعود فصافحه وقال هذه القرية قريتك فقال له: أريد منك عهداً على أنك تجاهد في هذا الدين والرياسة والإمامة فيك وفي ذريتك بعدك والمشيخة والخلافة في الدين فيّ وفي آلي من بعدي أبداً، بحيث لا ينعقد أمر ولا يقع صلح إلا ما نراه كذلك.

أول الغزوات السعودية

أورد ابن بشر ذكر أول غزوة قام بها رجال الدرعية على إثر قيام الدعوة فيها فقال ((فأول جيش غزا سبع ركايب فلمّا ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا من أكوارها لأنهم لم يعتادوا ركوبها))[3].

ابن سويط يأخذ بريدة وآل شماس يغدرون بالهميلي

١١٥٨هـ فيها: أخذ ابن سويط بريدة، وغدروا آل شماس في الهميلي[4]، والهميلي بن سابق من آل شماس، وآل شماس من الوداعين من الدواسر[5].

مقتل دباس ابن محمد

وفي هذه السنة (١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م) قتل دباس وحمد بن سرحان قتلهم علي بن علي[6]. ويذكر ابن

= أربعين بيتاً تقريباً، وهذا الشيخ هو الشيخ محمد السعود، فقد أجاره وسمح له بالإقامة في قريته على شرط أن يعلم سكان نجد أمور دينهم ودنياهم)) راجع مرآة الزوراء في تاريخ بغداد لسليمان فائق بك ألفه ١٢٧٧هـ تعريب موسى كاظم نورس ص١٥٢.

(١) إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى د.محمد مرسي عبدالله القاهرة ١٩٧٨ المكتب المصري الحديث ج١ ص١١٣.

(٢) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج٣ ص٦٤٩.

(٣) انظر عنوان المجد ج ١ ص ٤٥ – ٤٦.

(٤) تاريخ الفاخري.

(٥) د. عبدالله الشبل محقق كتاب الأخبار النجدية تأليف الفاخري في هامش ص١٠٥.

(٦) تاريخ الفاخري.

لعبون مقتله في حوادث سنة ١١٦٠هـ: ويسميه ((دباس الدوسري رئيس بلد العودة في سدير))[1]، وذكر هذا الخبر أيضاً في مصدر ثالث في حوادث سنة ١١٦٣هـ.

ويرجّح أن دباس هذا هو صاحب القصة والقصيدة المشهورة، الذي توضح القصيدة أنه غادر عائلته لكسب الرزق وهو في الثانية عشرة من عمره، وظل يعمل في البصرة فداويًا لبعض أمرائها، وبعد عدة سنوات من غيابه، شعر والده الكبير في السن بالعجز أمام تحرشات بعض أقاربه به وكثرة اعتداءاتهم عليه ولم يكن له سند على الدنيا وشدائدها فيما يتذكر إلا الله سبحانه ثم ابنه دباس الذي غادره منذ ثمانية أعوام ويبلغ الآن من العمر عشرين عاماً فكتب له هذه القصيدة وأرسلها إليه في البصرة:

يا ونّةٍ ونيتها من خوى الرأس	من لا هب بالكبد مثل السعيره
ونين من رجله عدت تقل مقواس	يون تالي الليل يشكي الجبيره
ويأمل قلب مل بن بمحماس	ويا هشم حالي هشمها بالنجيره
ويا وجد حالي يا ملا وجد غراس	يوم أثمرت وأشفا صفا عنه بيره
على ثمر قلبي سرى هجعه الناس	متسحر درب عسى فيه حيره
الله يفكه من بلا سر الإتعاس	ومن شر عيشات الليالي يجيره
في ديرة تقطعت عنه الأرماس	سبعين[2] يوم للركايب مسيره
لا والله إلا حسال من دونه الياس	حط البحر والبر دون الجزيره
يا الله باللي رد من عقب ماياس	يوسف على يعقوب وأبصر نظيره
ترد على دباس يا محصي الناس	يا عالم ما بالخفا والسريره
يا دباس أنا باوصيك عن درب الأدناس	بحق الذي مثلك يشاطر مسيره
عليك بالتقوى ترى العز يا كيّاس	في طاعة اللي ما ينجيك غيره
هاذي ثمان سنين من رحت يا دباس	لا إرساله جتني ولا من بريره
يا دباس من عقبك ترا البال متحاس	وعليك دمع العين حرق نظيره
عليك كنى في دجا الليل حراس	أصبح على حيلي وعيني سهيره
أصبح أنا ما بين طارق وهوجاس	وطواريه تطرى علينا كثيره
مثل الوحش قلبي على كف حباس	يكفخ كما طير أسيوقة قصيره
متحير من عيلة البيت يا دباس	أرجى ثواب الله وأخشى المصيره
أخاف من حكي العدا ثم الأتجاس	أمل الحكايا الطايلة والقصيره

---

(١) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج١ تاريخ ابن لعبون ص١٥٧.

(٢) مسافة سبعين يوم مبالغ فيها ونظن أن دخيلة على النص الأصلي وأن المسافة التي ذكرها أقصر مما ذكر بكثير، فلو فرضنا أن المركوبة تقطع في اليوم مرحلة، والمرحلة ٨٣ كيلو متر فإن ذلك يعني أن مسير السبعين يوماً هو ٥٨١٠ كيلو متر.

يقال خلا عيلته وعنز الرأس   أقفا وخلا عيلة له صغيره

وإلا فأنا يا أبوك قطاع الأرماس   ما نيب مثبور ورجلي كسيره

أصلك لو دونك نبا حمر الأطعاس   الصلب والصمان ما هي عسيره

مهالك مدارك ما بها أوناس   إلا النمل والبوم تسمع صفيره

لو كنت في نزوا ودبرة بني ياس   أهل المرازى والوجوه الغبيره

عبادة الأصنام شرابة الكاس   الحمر والتنباك فيها وغيره

لا ركب علي وجنا من الهجن عرماس   فجا النحر يا أدباس حمرا ظهيره

مشروصة الفخذين مزبورة الراس   كن الخلاص أعيونها يوم أديره

أو شبه ريد أتخفق للاوناس   رفعت جمجماتها مستديره

أنشر من المودة على نور للأنفاس   عند الفجر والليل مقفى مريره

والعصر بالصمان تسمع لها أجراس   حبل الرسن خطر تبشر جريره

نهار ثالث بين حما والأوراس   واره بيمينك جملها لك سفيره

ثم على ساجية تقلب الراس   تمشي بأهلها في البحور الغزيره

إلى مسقط الفيحاء بها الخير محتاس   لولا الكفر والشرك واوي ديره

عز الله أنها ديرة ما لها أجناس   لولا بها يعبد مع الله غيره

لولا بها يشرك علي وعباس   وأيضاً بها الفاروق سبه بريره

فيها الطبيخ وراعي الخبز يا دباس   يطلب خوى الرأس خنة خميره

هي ديرة اللي باغي كيفية الراس   ولا له أحد همه من الناس غيره

هيس ولد هيس للأصحاف لحاس   يفرح ليا نيدى لذبح النحيره

وذا ماقفك يا أدباس ما فيه نوماس   يصلح لماين مهنته طق زيره

ترى الفداوي دون وأشد الناس   راعيه ما يذكر بمدح وغيره

ما له سوى طق الحنك منه والياس   والي انقطع خرجه فلا له ذخيره

طلب المعيشة بالحراثة والأغراس   المشترى والبيع يوصف وغيره

ثم انهض العيرات مع كل فراس   يا أدباس دور غير تستشيره

جدك وعمانك هل العزم والبأس   أهل المواجب مكملين القصيرة

يا دباس ما يصبر على البق والحاس   إلا الذي ما له ينجد عشيره

واليوم يا مروى شبا كل عباس   أنت الرجا يا أكمام وجه الصغيره

عشرين عام كلها أرجيك يا دباس   مثل الغرير اللي تولع بطيره

عدل المناكب هيلعي فرخ قرناس ... يمناه في لطم الحباري شطيره

عانق خلوج روحت عقب مرواس ... عند العصير لبيضها مستديره

والليل جاه وحال من دونه اليأس ... وروحه على فرقاه فرت فريره

يا دباس أنا يا بوك ما نيب بلاس ... مير إن عيلات الرفاقه كثيره

جنت عرض السوق وأمشي مع الناس ... وأخذ شوى الحق وأترك كثيره

يا دباس لو جمعت من ذهب الأكياس ... مختلفة ما بين زر ونيره

مالي بها يا جعلها بألف قباس ... أو جعلها تذهب ولو هي كثيره

يا دباس قلبي كل ماهب نساس ... شرقية همت بقلبي سعيره

والحال يا قرر الوغى مسها اليأس ... عليك يا نطاح وجه المعيره

واغصون قلبي يا فتى الجود يباس ... غاد أنا يا أبوك كسي هشيره

من شافني يقول ذا فيه لعاس ... والنَّي برا حالي إلهي خبيره

لا وعلى من قبل غوال الأنفاس ... وامفارق الدنيا يجيبنا بشيره

عسى بطق الباب والناس غطاس ... يا والي القدرة عليك اتعبيره

وصلاة ربي عد ما هب نسناس ... على النبي عدة حقوق المطيره

وبعد وصول هذه القصيدة إلى ابنه دباس واطلاعه عليها أسف على تفريطه وتهاونه في حق والده فأجابه بهذه القصيدة حيث أخبره فيها بعزمه على التوجه إليه.

حي الجواب إلي لفنا من الرأس ... جتابه علام ما توننا مسيره

أهلا هلا به عد ما حبك قرطاس ... وبعد كتب فوقه من بيوت شطيره

جواب مشهور لي مود من الناس ... أبوي ما يوصف حلى لغيره

قرز الوغي كنه على الوكر قرناس ... أقروم ربعه كلها تستشيره

دليل عيرات إلى هب نسناس ... ثم أدلهم النجو وما به ذخيره

مهمي الغم الأهل الركاب والأمراس ... لا روحوا له لا عليهم قصيره

راعي معاميل بها العهد جلاس ... للبن بشرى بالسنين العسيره

هذي بمركاها وهذي بمحماس ... و هذا يصبه للوجيه السفيره

وأخلاف ذا يا راكب فوق عرماس ... مأمونه من نقوت الهجن عيره

حمرا وهي في سنها رقم الأسداس ... متوسط لا فاطر ولا هي صغيره

ما هي لحوج راكبة بالمعضا قاس ... حرم عليها غير شيل النجيره

والخرج هو وابيوت قبل بقرطاس ... مع مزهب الأيام ما هي كثيره

وفوقه أقلام منوته قطع الأرماس	لو هو بلبل ما تغير نظيره
والي لفيت الدار فاجهر بالإحساس	وبلغ سلامي كل ذيك العشيره
واختص أبوي إلي نفل جملة الناس	وخصه بعلم وقل تراني بشيره
لا يانجي العرض يا بوي لاباس	إن كان تشكي الضيم فأنا أسيره
ومن سايلك عني تراني بنوماس	وأنا أحمد اللّي ما توسلت غيره
المدح لو يشرى شريناه بأكياس	بأموالنا نرخص ندور الستيره
مطرق إفرنج مضاريبه الرأس	ومصلبخ جبته عساني ذخيره
من صنع نصراني مشروبه الكأس	تذكر وراه جاره بعيد مسيره
أبغيه للي حادينك على الساس	أهل النعايم والحكايا الكثيره
ربع تووا فيك الردا والتحماس	مهبول يا من قال غايب عشيره
على دين لودع الجمع بنحاس	لين العشير أيقوم يلعن عشيره
يا أبوي أنا ما رحت لكيمت الرأس	مع ذا ولاني في سفاه أو غيره
أن ماسكنا الدار من غير هوجاس	وإلا نعاف الدار وندور غيره
كله العهنا كلمة قلت يا دباس	تشكي وأنا دونني ابحور غزيره
خذلك بمين الشرع قطاع الأنفاس	إنه فلا جتني اعلوم بصيره
لا نيب جاني منك حبر بقرطاس	أبيها ولا جتني اعلوم سفيره
إن كان تشكي الضيم يا بوي لا باس	جاك الفرج يا أبوي هو والبريره
وإلا فنا يا بوي قطاع الأرماس	اصبر على الشدة ولو هي عسيره
يا مسندي يا بوي شوف أوكد الناس	ثم أنشده قل ويش هو في مسيره
إن كان ما يفرح صديقك ابتوماس	تحرم علينا اللّي نهوده صغيره
مدلول مجهول زها زين الألياس	بنت الذي يشني اليا جت كسيره
طار يقول اظهر وطار بجلاس	قمت أشرب التنباك وأثره نكيره
أبغي عسى الله يبرد القلب يا ناس	من لاهب شيت بقلبي سعيره

هجوم دهام بن دواس على منفوحة

وفيها (١١٥٩هـ): ((سطا دهام بن دواس في منفوحة ومعه الصمدة من الظفير، وحصل بينه وبين أهل منفوحة قتال، قتل فيه عدة رجال من الفريقين ورجع إلى الرياض))[١]، ومن المعروف أن منفوحة

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ت١٣٤٣هـ ص١٠٧.

كانت في السابق تحت حكم دواس والد دهام، إلى أن تمكن ابن عمهم زامل بن فارس بن عبدالله من إخراجهم والاستيلاء على منفوحة.

المحاربة بين محمد بن سعود ودهام بن دواس

وفيها (١١٥٩هـ- ١٧٤٦م): وقعت المحاربة بين محمد بن سعود ودهام بن دواس وكان مع دهام الصمدة، وذكر كتاب لمع الشهاب أن الحرب قامت واستمرت بينهما (٢٨سنة)، ولم يقع في هذه المدة صلح إلا ثلاث مرات، كل مرة سنة ودهام بن دواس شيخ ايمامة المسمى بحجر اليمامة سابق الأيام كره استقامة الأمر لمحمد بن سعود بواسطة بدعة محمد بن عبدالوهاب حيث كان قبل هذا يكره محمد بن سعود ويريد ذله لأن أهل الدرعية برأيه أشر أهل نجد في طرق الحيل والخداعات.

وقعة دقلة

في ربيع أول من سنة ١١٦٠هـ سار محمد بن سعود بأهل العيينة وأهل حريملاء وأهل الدرعية وقراها وأهل منفوحة وتوجهوا إلى الرياض...، فصبحهم سعود فإذا هم مستعدون، والتقوا في جوف البلد، ((والتقى دهام بن دواس مع حمد بن محمد بن مبس - وكان فاتكاً - فتقاتلا راجلين، فضرب حمد ابن محمد دهاماً ضربات بالسيف في جسده ورأسه، حتى أتى موسى بن عيسى الحريص إلى حمد بن محمد من حلفه فقتله، فنجا بذلك دهام بعد أن أشرف على الموت. ومع ذلك فلم يكن جزاء موسى من دهام إلا المعاقبة والتنكيل، لأن موسى بعد ذلك اهتدى وأراد الهجرة إلى الدرعية، فذكر ذلك لدهام، فأمر بقطع يده ورجله، فقطعتا، ونعاه إلى الدرعية فلم يبرح إلا ثلاثة أيام ثم مات))[1].

١١٦٠هـ فيه هذه السنة تمكن دهام بن دواس من قتل فيصل وسعود ابني محمد بن سعود فاشتدت الحرب بينهم، ومنها وقعة دقلة ووقعة الشراك[2].

اغتيال الزعيم الإيراني نادر شاه

١٧٤٧م في هذه السنة اغتيل نادر شاه الصفوي على يد قومه، وكان نادر أفشاري من خراسان قد تمكّن من طرد الأفغان من فارس ووسع حدود الدولة حتى القوقاز وأمودرية والهندوس ونهب دلهي عاصمة قيصر المغول، ونتيجة إصابته بجنون العظمة بدأ بالتخريف والتعسف في بلاده نفسها التي استهلكتها الحروب المتواصلة، إلى أن اغتيل في هذا العام[3].

---

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ط١٩٦٢م القاهرة ص٩٢.

(٢) تاريخ الفاخري.

(٣) البدو ج٤ ط٢ تأليف أوبنهايم وصاحبيه تحقيق ماجد شبر ص٢١.

فهرس المحتويات



